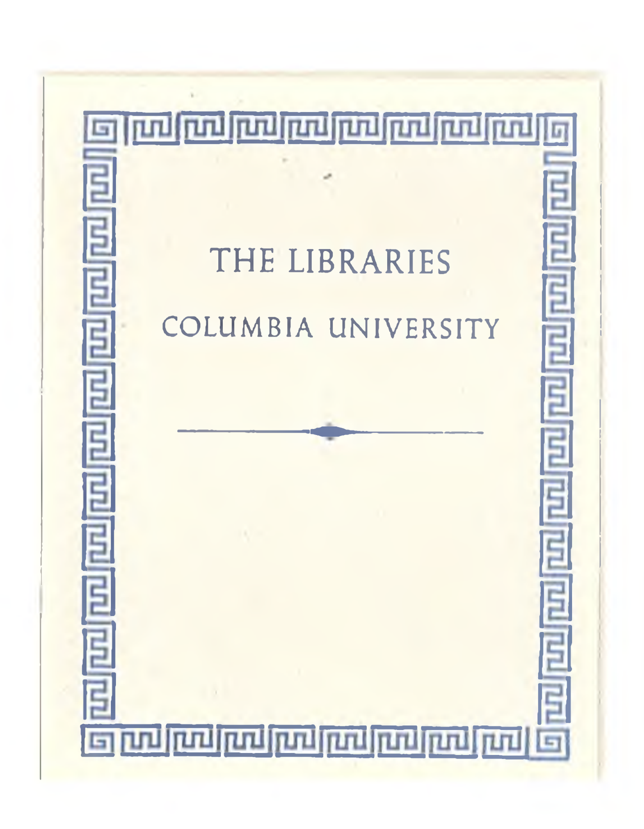
مدونة أبو عبدو
أبو عبدو البغل

محي الدين السفرجلاني
تاريخ الثورة السورية



صورة فريدة لزعماء الثورة السورية

لا يزال اقطاب الثورة السورية يوالون الاجتماعات لتدبير الخطط . وهذه الصورة تمثل بعض زعمائهم ومنهم : (١) الميرالاي عادل ارسلان (٢) سلطان باشا الاطرش (٣) صياح بك الاطرش (٤) القائد حسيب بك زيان (٥) الدكتور علي بك الشواف (٦) القائد المدفعي عبد الكريم بك (٧) القائد شوكت بك العائدي


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر



من جامعة باريس ومصر

تاريخ الثورة السورية

صفحات خالدة من روائع كفاح العرب في سبيل الحرية

والاستقلال والوحدة هي للاستعمار الفرنسي صحائف سوداء

دم الثوار تعرفـه فرانسا　　وتعلم انـه نور وحق

بـلاد مات فتيتها لتحيـا　　وزالوا دون قومهموا ليبقوا

وللحريـة الحمراء بـاب　　بكل يـد مضرجـة يدق

« احمـد شوقي »

(لغزوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)

« حديث شريف »

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للمؤلف

١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م

الاهداء

رجال الحرية في كل قطر وفي كــل مصر ، وأبطال التضحية في كــل صقع وفي كل حقل ، هم أهل هذا الكتاب وذووه .

فالى سافكي أولى القطرات من الدم في سبيل الحرية .

والى منتضي أول سيف في وجه العبوديــة .

والى محطمي قيود الاضطهاد والاستعباد ، والاستعمار ، من أي عرق او شعب أو مذهب .

الى حملـــة مشاعل النور في المعمور .

الى رافعي لواء الحياة الصحيحة في الشرق والغــرب ....

أرفــع هـــذا الكتــاب ....

المؤلف الدكتور :

محي‌الدين عبدالرحمن السفرجلاني

دمشق (المهاجرين : شورى هاتف : ١٣٩٤٣)

كلمة المؤلف

أنا مـذ كنت يافعاً كان همي في طلاب العليـاء والامجاد

أبذل الروح والنفيس من المـا ل وأمشي كما مشى اجدادي

ما أبالي لقيت من عنت الدهـ ـر صنوفاً ومن جراح الجهاد

زادي الصبر في قراع الليالي واحتمـال الأذى لمجـد بلادي

عرف الدهر من شبابي كفاحي ورأى في المشيب صدق جلادي

شيمة دأبهـا العلى لم تبـدل وفـؤاد أكـرم به من فـؤاد

فادع من ضل عن فداء بلادي أين صدق الهوى وحق الوداد

نحن ان لم نمت فـداء الاماني غاب عن خطونا سبيل الرشاد

الدكتور محي الدين السفرجلاني



(المؤلف)



الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن شهبندر



المقدمة

بقلم الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في هذا المدون النفيس طرف من الحديث الطويل عما قامت به سورية في نهضتها الحاضرة من الاعمال الوطنية المجيدة . واذا كانت الاقاصيص المنتشرة في الكتب الروائيــة عن أعمال الجبابرة المتقدمين هي من أساطير الاولين فان الوقائع المدونة في هذا السفر الذي جمع شتاته الاستاذ المفضال الدكتور محي الدين السفرجلاني هي من المدونات التاريخية التي لا يزال الناس الذين رأوها بعيونهم ، وسمعوا أحاديثها بآذانهم يترنمون بها كأنها آيات في البطولة محكمة وأعلاق في الوطنية تتهاداها المتاحف الفنية .

ما الذي حــدث من المدلهمات وطرأ من الطـوارىء ، حتى نرى هــذه النفائس النادرة ، تعرض في الاسواق بأبخس الاثمان ، ويتنازل عنها مــن يدعون ارثها ، كأنها من سقط المتــاع ؟! لم هذا التسابق يا ترى الى الاسواق الخارجية وفتح باب بيعها بطريق المناقصة العلنية حتى كاد عابر السبيــل يظن أن سورية فقدت كل شيء ، فلم يبق فيها رمق ، مما حملها على التنازل عن آخر حصصها من التراث الغالي وبيع تلــك البقية الباقية مما أصابهــا من المجــد ...

ليس ثمة حاجة لا بسيطة ولا اضطرارية وانما طمع بعض أبنائها في الخلود على منصة الحكم ، وحرصهم على التصرف في موارد الدولة ، وقد استولى هذا الطمع على النفوس حتى فقد الوازع الاخلاقي كل سلطة وأصبحت الشهوات مسيطرة كأنها السلطان المطلق في القرون المظلمة . ومتى تفككت العرى بين القلب واللسان واليد ، وأصبحت النيات والاقوال والاعمال طليقة من قيود الدقة ، وحدود التبعة ، تدنى الفرد ، وانحط المجتمع ، وأصبحت الجماعات البشرية عصابات من القردة !!...

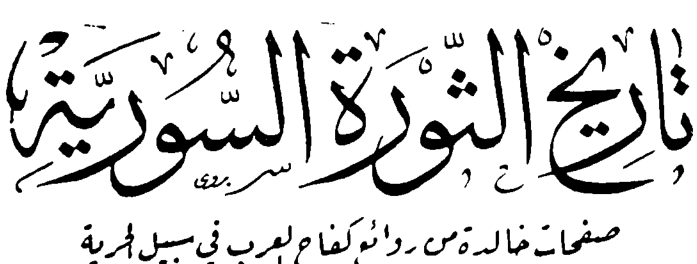
ولتسجيل هذه الاحداث في المدونات فائدة كبرى تمكن المتتبع من درس النهضات الوطنية درسا مقارنا تتجلى فيه الفضائل التي تتحلى بها كل أمة في نهضتها والنقائص التي تعيبها .

ولا مراء في أن سورية وهي البلاد التي فقدت استقلالها منذ مئات السنين وتوالت عليها المصائب المتنوعة وآخرها هذه الحرب العامة التي احرقت الاخضر واليابس قد أظهرت من العلائم الحيوية الدالة على شغفها بالاستقلال ، ما كان مثلا من الامثال ، فهي لم تكن دولة ذات سيادة مسلحة يوم أعلنت تمردها على الدولة العثمانية ، وقد تحملت أنواع الاذى والاضطهاد من الاتحاديين بصدر رحب ، فلما جاء الاحتلال الاوروبي لم يدهشها بسلاحه ـ بمدافعه ودباباته وطائراته ـ ولم ترعها العظمة المنفوخة التي طأطأت لها دعاة الهزيمة رؤوسهم بل تقدمت نحو مثلها الاعلى في الحرية بقدم ثابتة وقلب مفعم بالايمان .

ان ما أظهرته سورية في هذا المضمار يعد معجزة من معجزات النضال الوطني الحديث ولا يحق لأمة من الامم لا في الشرق ولا في الغرب أن تدعي أنها بمثل وسائل السوريين المادية البسيطة التي توسلوا بها ، والعقبات الخارجية العظيمة التي وقفت في سبيلهم ، استطاعت أن تحمي حوزتها وتدافع عن بنيانها كما دافعت سورية . ولكن والحق يقال ، لم يدر في خلد



من جامعة باريس ومصر



صفحات خالدة من روائع كفاح العرب في سبيل الحرية
والاستقلال والوحدة هي للاستعمار الفرنسي صحائف سوداء

يرصد قسم من ريعه لنصرة عرب الجزائر الابطال في كفاحهم ضد الاستعمار

دم الثوار تعرفه فرانسا   وتعلم انه نور وحق
بلاد مات فتيتها لتحيا   وزالوا دون قومهموا ليبقوا
وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق
« احمد شوقي »

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

مطبعة الثبات ـ دمشق
١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م

(لغزوة في سبيل الله خير من الدنيـــا وما فيهـــــا)

« حديث شريف »

الإهداء

رجال الحرية في كل قطر وفي كل مصر ، وأبطال التضحية في كل صقع وفي كل حقل ، هم أهل هذا الكتاب وذووه .

فالى سافكي أولى القطرات من الدم في سبيل الحرية .

والى منتضي أول سيف في وجه العبودية .

والى محطمي قيود الاضطهاد والاستعباد ، والاستعمار ، من أي عرق او شعب أو مذهب .

الى حملة مشاعل النور في المعمور .

الى رافعي لواء الحياة الصحيحة في الشرق والغرب ....

أرفع هذا الكتاب ....

المؤلف الدكتور :

محي الدين عبدالرحمن السفرجلاني

دمشق (المهاجرين : شورى هاتف : ١٣٩٤٣)

كلمة المؤلف

انا مـذ كنت يافعاً كان همي ... في طلاب العليـاء والامجاد

أبذل الروح والنفيس من المـا ... ل وأمشي كما مشى أجدادي

ما أبالي لقيت من عنت الدهـ ... ـر صنوفاً ومن جراح الجهاد

زادي الصبر في قراع الليالي ... واحتمـال الأذى لمجـد بلادي

عرف الدهر من شبابي كفاحي ... ورأى في المشيب صدق جلادي

شيمة دأبهـا العلى لم تبـدلَ ... وفـؤاد أكـرم به من فـؤاد

فادع من ضلّ عن فداء بلادي ... أين صدق الهوى وحق الوداد

نحن ان لم نمت فـداء الاماني ... غاب عن خطونا سبيلُ الرشاد

الدكتور محي الدين السفرجلاني



(المؤلف)



الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن شهبندر



المقدمة

بقلم الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في هذا المدون النفيس طرف من الحديث الطويل عما قامت به سورية في نهضتها الحاضرة من الاعمال الوطنية المجيدة . واذا كانت الاقاصيص المنتشرة في الكتب الروائيـة عن أعمال الجبابرة المتقدمين هي من أساطير الاولين فان الوقائع المدونة في هذا السفر الذي جمع شتاته الاستاذ المفضال الدكتور محي الدين السفرجلاني هي من المدونات التاريخية التي لا يزال الناس الذين رأوها بعيونهم ، وسمعوا أحاديثها بآذانهم يترنمون بها كـأنها آيات في البطولة محكمة وأعلاق في الوطنية تتهاداها المتاحف الفنية .

ما الذي حـدث من المدلهمات وطرأ من الطـوارىء ، حتى نرى هـذه النفائس النادرة ، تعرض في الاسواق بأبخس الاثمان ، ويتنازل عنها مـن يدعون ارثها ، كأنها من سقط المتـاع ؟! لم هذا التسابق يا ترى الى الاسواق الخارجية وفتح باب بيعها بطريق المناقصة العلنية حتى كاد عابر السبيـل يظن أن سورية فقدت كل شيء ، فلم يبق فيها رمق ، مما حملها على التنازل عن آخر حصصها من التراث الغالي وبيع تلـك البقية الباقية مما أصابهـا من المجـد ...

ليس ثمة حاجة لا بسيطة ولا اضطرارية وانما طمع بعض أبنائها في الخلود على منصة الحكم ، وحرصهم على التصرف في موارد الدولة ، وقد استولى هذا الطمع على النفوس حتى فقد الوازع الاخلاقي كل سلطة وأصبحت الشهوات مسيطرة كأنها السلطان المطلق في القرون المظلمة . ومتى تفككت العرى بين القلب واللسان واليد ، وأصبحت النيات والاقوال والاعمال طليقة من قيود الدقة ، وحدود التبعة ، تدنى الفرد ، وانحط المجتمع ، وأصبحت الجماعات البشرية عصابات من القردة !!...

ولتسجيل هذه الاحداث في المدونات فائدة كبرى تمكن المتتبع من درس النهضات الوطنية درسا مقارنا تتجلى فيه الفضائل التي تتحلى بها كل أمة في نهضتها والنقائص التي تعيبها .

ولا مراء في أن سورية وهي البلاد التي فقدت استقلالها منذ مئات السنين وتوالت عليها المصائب المتنوعة وآخرها هذه الحرب العامة التي احرقت الاخضر واليابس قد أظهرت من العلائم الحيوية الدالة على شغفها بالاستقلال ، ما كان مثلا من الامثال ، فهي لم تكن دولة ذات سيادة مسلحة يوم أعلنت تمردها على الدولة العثمانية ، وقد تحملت أنواع الاذى والاضطهاد من الاتحاديين بصدر رحب ، فلما جاء الاحتلال الاوروبي لم يدهشها بسلاحه - بمدافعه ودباباته وطائراته - ولم ترعها العظمة المنفوخة التي طأطأ لها دعاة الهزيمة رؤوسهم بل تقدمت نحو مثلها الاعلى في الحرية بقدم ثابتة وقلب مفعم بالايمان .

ان ما أظهرته سورية في هذا المضمار يعد معجزة من معجزات النضال الوطني الحديث ولا يحق لأمة من الامم لا في الشرق ولا في الغرب أن تدعي أنها بمثل وسائل السوريين المادية البسيطة التي توسلوا بها ، والعقبات الخارجية العظيمة التي وقفت في سبيلهم ، استطاعت أن تحمي حوزتها وتدافع عن بنيانها كما دافعت سورية . ولكن والحق يقال ، لم يبدر في خلد

احد ممن عانوا الشؤون العامة أن هذا السمو في الاهداف ، وهذا الجهد في الوسائل ، وهذا الاباء في المواقف قد انحط في العهد الاخير حتى صار نوعا من التسول ، بل لا نغالي اذا نحن قلنا أن الفهم المقلوب الذي يقود هذا الخنوع صار يعد استسلام الفئة الرخوة مرونة وكياسة ، وتمنع الحرة الشريفة رعونة وعنادا ، كأن تنازل المرء عن أقدس حقوقه عمل يحتاج الى مواهب عقلية خارقة .

الى هذه الدرجة انحطت المقاييس عند بعض الناس ويتجلى هذا الانحطاط متى تذكرنا سمو الاهداف التي كنا وضعناها نصب عيوننا وجعلناها المثل الاعلى المحتذى فقد طلبنا أمة عظيمة تتجاوز عشرات الملايين ، وصحنا من على سدود الشاتق بحوزة تمتد من المحيط الى المحيط ولكننا تنزلنا ونحن على مائدة المفاوضات حتى قبلنا المساومة على أربع واحات - دمشق وحمص وحماة وحلب ، وقبلنا لهذه الواحات احتلالا دائما واشرافا ماليا دائما ، وادارة لا مركزية مفسخة دائمة ، وحقوق أقليات تجعل الاكثريات على شفا جرف هار ، ناهيك بما بيع من الثروة الباطنية والظاهرية بيع السماح . وقد قال القائلون بعدما هزلت الوطنية هذا الهزال واصبح الوطن السوري أصغر من مديرية في وادي النيل لم تعد هذه القضية أهلا للخدمة الجليلة ، وان النفس الابية لا تجد في ميدانها متسعاً للجولات العظيمة ...

ولئن كان التاريخ عندنا في السنين الاخيرة عبارة عن تدوين وقائع لا ضابط لها وذكر أحداث لا تفسير لها فان في هذا السفر سعياً حثيثاً لتعليل الوقائع وضبطها بالعوامل الطبيعية من مادية ومعنوية وهذا ما يجعل للكلام قيمة يقدرها القراء حق قدرها ، وعلاوة على ذلك فقد وصف المؤلف التاريخ بقوله : -

« انـه هو الفن الذي يصور الفذلكة التاريخية لا الذي يسرد الوقـائـع سردا محكماً يأخذ بالالبـاب » ويخلب المشاعر والحواس ، وهو الذي يضـم بين دفتيـه مجموعـة فكر ، ومصورات حربية أخلاقيـة علمية فنيـة ، يستطيع مطالعها ان يجد فيها ما يريد من علم واسع الافق شـاسع الجـو بعيـد المحيط » .

ولما بلغ الثـورة السورية ، ذكر أسبابها القريبة والبعيدة وشرح تاريخ سورية القديم والحديث ، ووحدتها الجغرافية والعنصرية ، وخصائصهـا الطبيعية وأسباب ثورانهـا وسكونهـا منذ القـديم الى اليوم » وأيـد اقواله بحجج دامغـة وبراهين ساطعـة ، جريـاً على ما اتفق عليـه المؤرخـون والـكتاب ...

وأخبـار هـذا الكتاب كلها أخبار صحيحة مستقاة من المراجع الموثوق بهـا ، وفائدتـه أنـه يطلع النشء الحديث علـى صفحات ثمينة من تاريـخ جهاد شعبهم العربي وقد سد فراغا كبيرا يشعر بالحاجة اليه كل من تهمـه أخبار النهضة العربية عامة ، والنهضة السورية خاصـة ، ولمؤلفه الاستـاذ الاديب النابغ الدكتور محي الدين السفرجلاني جزيل الشكر وعظيم التقدير .

دمشق ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٣٨ عبد الرحمن الشهبندر

كلمات المجاهدين العرب الاحرار

مرتبة على حروف الهجاء



كلمة المجاهد العربي الكبير دولة جميل المدفعي

عزيزي الدكتور محي الدين السفرجلاني المحترم

بعد التحية ومزيد الاحترام يؤسفني تأخري في الاجابة على كتابكم بسبب انحراف صحتي .

ولقد تصفحت مؤلفكم « تاريخ الثورة السورية » فوجدته بالنظر لمحتوياته القيمة ، ووقائعه الثمينة من احسن ما يكتب في بابه . فالله أسأل أن يجعل التوفيق حليفكم في خدماتكم المبرورة . والسلام عليكم .

المخلص

جميل المدفعي

بغداد ٢٢ نيسان ١٩٣٩



عطوفة قائد الثورة السورية العـام سلطان باشا الاطرش

كلمة عطوفة قائد الثورة السورية العام سلطان باشا الاطرش

دون كثير من المؤرخين في الكتب حوادث الثورة السورية ووقائعها واخبارها ، ولم يخرج كل ماكتب عن التحزب لحزب من الاحزاب أو الانحياز لفئة من الناس دون أخرى ، واخيرا قام المؤرخ العربي الكبير الدكتور محي الدين السفرجلاني بتأليف كتاب عن الثورة السورية وتاريخها أسماه «تاريخ الثورة السورية» سرد فيه أخبار الثورة السورية . وقد طالعته فوجدته جديراً بالتقدير والاكبار وأنا أحث كل عربي مخلص صميمي على اقتنائه ليكون درساً بليغاً في التضحية والمفاداة في سبيل الحرية والاستقلال .

وبهذه المناسبة فاني أقدم للاخ الكريم المؤلف الدكتور السفرجلاني عظيم الشكر والتقدير ، ولا زال بمؤلفاته القيمة للامة العربية منهلاً يورد وكعبة تقصد ..

٢٠ شباط سنة ١٩٣٨ — **سلطان الاطرش**



المجاهد العربي النبيل المرحوم عقلـة القطامي

كلمة المجاهد العربي النبيل المرحوم عقلة القطامي

لقد أتحف المؤرخ العبقري والوطني الصادق الدكتور محي الدين السفرجلاني شعبه العربي بكتاب تاريخي سياسي كبير أسماه « تاريخ الثورة السورية » تناول البحث فيه عن الثورة السورية ، حوادثها ووقائعها ، وقد طالعت هذا السفر النفيس فألفيته يحوي أصدق الانباء وأصح الوثائق جدير بكل عربي حر ووطني ابي أن يطالعه ليرى فيه صوت صادق عن جهاد الشعب العربي في سورية في سبيل الاستقلال والحرية ، وانتهز هذه الفرصة السعيدة فأقدم للاخ الكريم الدكتور السفرجلاني أعظم التقدير وأخلص الاحترام .

المخلص

عقلة القطامي

٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٩



القائد العربي الكبير فوزي القـاوقجي

احد ممن عانوا الشؤون العامة أن هذا السمو في الاهداف ، وهذا الجهد في الوسائل ، وهذا الاباء في المواقف قد انحط في العهد الاخير حتى صار نوعا من التسول ، بل لا نغالي اذا نحن قلنا أن الفهم المقلوب الذي يقود هذا الخنوع صار يعد استسلام الفئة الرخوة مرونة وكياسة ، وتمنع الحرة الشريفة رعونة وعنادا ، كأن تنازل المرء عن أقدس حقوقه عمل يحتاج الى مواهب عقلية خارقة .

الى هذه الدرجة انحطت المقاييس عند بعض الناس ويتجلى هذا الانحطاط متى تذكرنا سمو الاهداف التي كنا وضعناها نصب عيوننا وجعلناها المثل الاعلى المحتذى فقد طلبنا أمة عظيمة تتجاوز عشرات الملايين ، وصحنا من على سدود المشانق بحوزة تمتد من المحيط الى المحيط ولكننا تنزلنا ونحن على مائدة المفاوضات حتى قبلنا المساومة على أربع واحات ــ دمشق وحمص وحماة وحلب ، وقبلنا لهذه الواحات احتلالا دائما واشرافا ماليا دائما ، وادارة لا مركزية مفسخة دائمة ، وحقوق أقليات تجعل الاكثريات على شفا جرف هار ، ناهيك بما بيع من الثروة الباطنية والظاهرية بيع السماح . وقد قال القائلون بعدما هزلت الوطنية هذا الهزال وأصبح الوطن السوري أصغر من مديرية في وادي النيل لم تعد هذه القضية أهلا للخدمة الجليلة ، وان النفس الابية لا تجد في ميدانها متسعاً للجولات العظيمة ...

ولئن كان التاريخ عندنا في السنين الاخيرة عبارة عن تدوين وقائع لا ضابط لها وذكر أحداث لا تفسير لها فان في هذا السفر سعياً حثيثاً لتعليل الوقائع وضبطها بالعوامل الطبيعية من مادية ومعنوية وهذا ما يجعل للكلام قيمة يقدرها القراء حق قدرها ، وعلاوة على ذلك فقد وصف المؤلف التاريخ بقوله : ــ

« انه هو الفن الذي يصور الفذلكة التاريخية لا الذي يسرد الوقائع سردا محكماً يأخذ بالالباب » ويخلب المشاعر والحواس ، وهو الذي يضم بين دفتيه مجموعة فكر ، ومصورات حربية أخلاقية علمية فنية ، يستطيع مطالعها ان يجد فيها ما يريد من علم واسع الافق شاسع الجو بعيد المحيط » .

ولما بلغ الثورة السورية ، ذكر أسبابها القريبة والبعيدة وشرح تاريخ سورية القديم والحديث ، ووحدتها الجغرافية والعنصرية ، وخصائصها الطبيعية وأسباب ثورانها وسكونها منذ القديم الى اليوم » وأيد اقواله بحجج دامغة وبراهين ساطعة ، جرياً على ما اتفق عليه المؤرخون والكتاب ...

وأخبار هذا الكتاب كلها أخبار صحيحة مستقاة من المراجع الموثوق بها ، وفائدته أنه يطلع النشء الحديث على صفحات ثمينة من تاريخ جهاد شعبهم العربي وقد سد فراغا كبيرا يشعر بالحاجة اليه كل من تهمه أخبار النهضة العربية عامة ، والنهضة السورية خاصة ، ولمؤلفه الاستاذ الاديب النابغ الدكتور محي الدين السفرجلاني جزيل الشكر وعظيم التقدير .

دمشق ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٣٨ — عبد الرحمن الشهبندر

كلمات المجاهدين العرب الاحرار

مرتبة على حروف الهجاء



كلمة المجاهد العربي الكبير دولة جميل المدفعي

عزيزي الدكتور محي الدين السفرجلاني المحترم

بعد التحية ومزيد الاحترام يؤسفني تأخري في الاجابة على كتابكم بسبب انحراف صحتي .

ولقد تصفحت مؤلفكم « تاريخ الثورة السورية » فوجدته بالنظر لمحتوياته القيمة ، ووقائعه الثمينة من احسن ما يكتب في بابه . فالله أسأل أن يجعل التوفيق حليفكم في خدماتكم المبرورة . والسلام عليكم .

المخلص

جميل المدفعي

بغداد ٢٢ نيسان ١٩٣٩



عطوفة قائد الثورة السورية العــام سلطان باشا الاطرش

كلمة عطوفة قائد الثورة السورية العام سلطان باشا الاطرش

دون كثير من المؤرخين في الكتب حوادث الثورة السورية ووقائعها واخبارها ، ولم يخرج كل ماكتب عن التحزب لحزب من الاحزاب او الانحياز لفئة من الناس دون اخرى ، واخيرا قام المؤرخ العربي الكبير الدكتور محي الدين السفرجلاني بتأليف كتاب عن الثورة السورية وتاريخها أسماه «تاريخ الثورة السورية» سرد فيه اخبار الثورة السورية . وقد طالعته فوجدته جديراً بالتقدير والاكبار وانا أحث كل عربي مخلص صميمي على اقتنائه ليكون درساً بليغاً في التضحية والمفاداة في سبيل الحرية والاستقلال .

وبهذه المناسبة فاني اقدم للاخ الكريم المؤلف الدكتور السفرجلاني عظيم الشكر والتقدير ، ولا زال بمؤلفاته القيمة للامة العربية منهلا يورد وكعبة تقصد ..

٢ شباط سنة ١٩٣٨   **سلطان الاطرش**



المجاهد العربي النبيل المرحوم عقلـة القطامي

كلمة المجاهد العربي النبيل المرحوم عقلة القطامي

لقد أتحف المؤرخ العبقري والوطني الصادق الدكتور محي الدين السفرجلاني شعبه العربي بكتاب تاريخي سياسي كبير أسماه « تاريخ الثورة السورية » تناول البحث فيه عن الثورة السورية ، حوادثها ووقائعها . وقد طالعت هذا السفر النفيس فألفيته يحوي أصدق الانباء وأصح الوثائق جدير بكل عربي حر ووطني أبي أن يطالعه ليرى فيه صوت صادق عن جهاد الشعب العربي في سورية في سبيل الاستقلال والحرية ، وانتهز هذه الفرصة السعيدة فأقدم للاخ الكريم الدكتور السفرجلاني أعظم التقدير وأخلص الاحترام .

المخلص

عقلة القطامي

٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٩



القائد العربي الكبير فوزي القــاوقجي

كلمة القائد العربي الكبير فوزي القاوقجي

أخي العزيز الدكتور محي الدين السفرجلاني المحترم

تحية وسلاما وبعد فقد قرأت كتابك القيم « تاريخ الثورة السورية »
تصفحت ما جاء فيه من الحوادث والحقائق والوثائق ما يصعب على غيرك
تدوينه وتسجيله ، لهذا فاني اتقدم لأخوتك الصادقة ، ولوطنيتك
خالصة بعظيم شكري وتقديري واعجابي واحترامي ودم للمخلص

اخيك

فوزي القاوقجي

الاثنين ١٥ مايس سنة ١٩٣٩

كلمة القائد الباسل محمد عز الدين باشا الحلبي

اذا كانت الشعوب الغربية تعتز وتتباهى بمدنيتها وحضارتها وعرفانها فان الشعب العربي يتيه فخارا ويميس عجبا ، بأنه كان السباق الى ذلك المجد والعلاء ، وانه أستاذ الغرب في نهضته الحديثة وحضارته الجديدة وله وحده دون سواه هذا الشرف والنبل والفخار .

كان الاوروبيون في قرون خلت يسبحون في بحر الجهل والوحشية ، بينما كان العرب يرتعون في بحبوحة من العلم والمدنية ، وان عهد الامويين والعباسيين والعرب في الاندلس لهو خير دليل شاهد وبرهان ساطع على ما نقول .

حق للعرب أن يباهوا بثورتهم العربية الكبرى وحق لعرب سورية ان يفخروا بثورتهم السورية بعد الاحتلال الفرنسي ، لانهم جاهدوا ويجاهدون في سبيل استرجاع مجدهم الغابر ، وعزهم الداثر وانهم بالغون أمنيتهم المنشودة هذه عاجلا أو آجلا ان شاء الله ، وقد زينوا صفحات التاريخ بأحرف ذهبية وسجلوا لشعبهم ووطنهم ذكرى جميلة لا تمحوها الايام ولا كر الليالي ومرور الاعوام ، وهذه الذكريات الطيبة هي التي تبعث في قلوب أبناء هذا الشعب العربي في العصر الحاضر الروح القومية الوثابة والطموح لاعادة حريتهم السليبة واستقلالهم الغصيب .

نهض مؤرخنا العربي الالمعي الدكتور محي الدين السفرجلاني الى تدوين حوادث الثورة السورية واثبات وثائقها الرسمية بصورة صحيحة ، مجردة خالصة في كتابه القيم « تاريخ الثورة السورية » وقام بذلك خير قيام ، ولعمري أنه عمل مجيد جدير بالتقدير والتجلة والاكبار ، وارجو لحضرته دوام التوفيق واضطراد النجاح ، ولسفره النفيس ما يستحقه من الرواج وعظيم الانتشار .

١ / ١ / ٩٣٨ عز الدين الحلبي

كلمة معالي رئيس المجلس الوطني الاعلى للثورة السورية المجاهد الكبير
نسيب البكري

لا مشاحة في أن من تصفح التاريخ الصحيح وتغلغل في مكنونات أسراره اتضح له أن الشعوب التي يكتب لها الخلود في أوج العظمة والسؤدد هي التي يقدر لها أن تدون تاريخها المجيد وتسجل حيويتها في بطون الاسفار ، وان للمؤرخين القسط الاوفر من الفضل في ابراز مزاياها في شتى النواحي بتسجيلهم ما ضيها اللامع على صفحات التاريخ ، بنزاهة وتجرد واخلاص ، ولهذا فاني أمحض خالص الشكر وعظيم التقدير والاكبار لأديبنا النابغ الدكتور محي الدين السفرجلاني لنهوضه بتأدية هذا الواجب الوطني الاقدس بتأليفه هذا المؤلف القيم «تاريخ الثورة السورية» الحاوي لأصدق الانباء ، وامتن الوثائق عن تاريخ الثورة السورية وحوادثها وقد سد هذا السفر النفيس فراغا كبيرا في عالم التاريخ والسياسة كنا نستشعره قبل ظهوره ، فلا يسعنا الا اطراء جهوده الجبارة والثناء على مواهبه السامية وتقدير هذه الخدمة الوطنية الخالصة .

نسيب البكري

٢ / ١٢ / ٩٣٨

توطئة

لا بد للمؤلف في كل كتاب يعن لـه أن يكتب به من خوض غمار تعريف موضوعـه للناس من قبل أن يخوض غماره . وهذا الكتاب الذي سنأخـذ على نفسنا أن نبسط وقائعـه ونعـدد الحـوادث التي ستأتي بين دفتيـه لا ندحـة لنا عن أن نأتي على تعريف الغرض الذي رمينا الى تأليفه منـه وذلك هو تاريخ الثورة السورية والاسباب التـي اهابت برجالها للقيـام بهـا ، والعـوامل التي ازكت أوارها وادلعت لهيبها ، فسيرا على هذه القاعدة التي قل من المؤلفين من ينتهجها ، أو قل من يفـكر بالاتيان على سردهـا ، نقـول :

قليـل من النـاس من يعرفون الفن أو العلم أو الفكرة ، التي يأخـذون على أنفسهم أمر الكتابة فيها ، حتى انك لو سألت الشاعر ما الشعر لأجابك بجمل وعبارات لا تخرج في وصفها مبنى أو معنى عن شعره وتصوره وخياله وتفكره ومنطوى نفسه ومرآة حسه ، على ان الشعر غير ذلك ، وانك لاتقصد من سؤالك اياه ما اجابك بـه ، وانما ترمي الى قصد عام تود لو تحصل على جواب عليـه شامل . ولا يكون شأنك مع المصور الذي تسأله عن فن التصوير بأكثر مما كـان شـأنك مع ذلـك الشاعر ، وهـكذا المؤرخ اذا ما شئت أن تصل منه الى تعريف التاريخ ، فانه لا يأتيـك بما تود أن تقف عليه ، اللهم الا سرد حوادث موضعية خاصة لا علاقة لها بسؤالك الذي وددت لو تتلقى جوابا شافيـا كافيا عليـه ...

التاريخ الذي يستطيع أن يكون قائدا مدربا آخذاً بيد أبناء الشعب من قارئيـه الى المثـل الاعلى ، وقمة المجد وقنـة الأوج ، هو الذي يصـور

الفذلكة التاريخية لا الذي يسرد الوقائع سردا محكما يأخذ بالالباب ، ويختلب المشاعر والحواس .

التاريخ الذي يجب ان يكون النبراس والمشكاة والمصباح ، هو الذي يضم بين دفتيه مجموعة فكر وخطط ومصورات حربية اخلاقية علمية فنية يستطيع مطالعها أن يجد فيها ما يريد من علم واسع الافق ، شاسع الجو بعيد المحيط ، وكل تاريخ لا يكون على هذه الصورة وهذا الوضع ، وكل تاريخ لا يمثل للناس روح ما سبب الظفر ، وكنه ما افضى الى الخذلان ، لا يكون بالسفر النفيس الذي يجدر بالناس أن تصرف در أوقاتهم في سبيل الوقوف والاطلاع عليه وتصفحه .

نحن عندما اردنا أن نجنح الى ابراز تاريخ الثورة السورية استعرضنا أمامنا كل ذلك واضحا جليا وشئنا ان نأتي الى الهدف السامي الذي يكون في آتي الايام ، ومستقبل الدهر ، كتابا يضم الحقيقة مجردة عن كل ما يقبح هيكلها ، مستورة بغشاء رقيق جدا ، وسجف شفاف من بلاغة كتابة ما أمكن ، وفصاحة اعراب ما تيسر ، وايضاح معنى مطلوب جهد المستطاع .

انا لا نرمي من جنوحنا الى العمل على تأليف شتات ما كان لسورية وفيها من الحوادث والوقائع ايام ثورتها الشهيرة الا ان يرجع اليها المطالع ، فيجد في هذا المؤلف صورة صادقة عن أماني وآمال الامة التي نحن من أبنائها عرب سورية ، التي هي جزء من الامة العربية الكبرى .

لهذا نرى لزاما علينا أن نأتي على ما كان في هذه الايام ، مستجلين الحقائق الراهنة ، والوقائع الثابتة ، بنصها وحدوثها ، مجردة عن التطاحن الحزبي ، أو الانحياز الى فئة من الناس دون فئة ، والى مذهب سياسي دون آخر ، ضاربين عرض الحائط بكل نعرة تفرق بين وحدة الصفوف ، وتصدع شمل الكيان القومي الذي ما زال المخلص من أبناء هذه الامة

العربية العريقة بالمجد والمختد ، يسعى جهد طاقته للابتعاد عما يفت في عضد هذا الوطن الذي هو باقصى حاجة الى لم الشعث وتوحيد الصف .

انا لا نرمي في هذا الكتاب الى ان نعلن راي حزب من الاحزاب ، أو أن نناصر قسما دون قسم ، ولا أن نؤيد فريقا على فريق ، او ان نلوم احدا على ما كان منه لاننا نعتقد الاخلاص بكل من انتضى سيفا أو اشهر حساما في وجه عدو الوطن . وان من هجر الراحة والمضجع فتوسد الغبراء والتحف السماء خير ممن قبع في عقر داره هنا مهما كان على قسم من الوطنية ونصيب عظيم منها . فكل من رمى بسهم في هذه الثورة سواء أخطأ في النتيجة أم أصاب لهو على القاعدين درجة ، كما انه فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما .

لهذا نرى لزاما علينا أيضا أن ناتي على شيء يسير من ذكر سورية من حيث الاقليم والموقع والمكان ، لما للتاريخ من صلة وثقى ووشيجة غظمى وآصرة مكنى ، بعلم تقويم البلدان « الجغرافية » .

* * *

فمن الاطلاع على مخطط سورية الجغرافي يمكن للناقد المطلع أن يتفهم شيئا عن ما أهاب بالسوريين العرب لامتشاق الحسام بوجه الظالمين .

فسورية العربية وحدة جغرافية يقطنها عنصر واحد ائتلف بعضا مع بعض دماً ولغة وعادة وتقاليد ، وتحدر منذ الازل السحيق بخصائص حيوية جمعته ولمت كرياته وحجيراته ، خصائص حيوية استمدت قوتها ومفعولها من طبيعة الاقليم الذي عاش ويعيش فيه آله وسكانه فكان وكانت وحدة سياسية قومية تاريخية جغرافية .

اما بصدد وحدة أقليم سورية الجغرافية فلا مشاحة في أن العالم قد أجمع على أن الحدود الطبيعية في كل شيء هي المرجع الوحيد لوضع

الاشارات الفارقة بين الاقاليم والبقاع ، ونحن هنا اذا ما شئنا أن ندلي بالبرهان الساطع والدليل القاطع ، على أن اقليم سورية وحدة جغرافية ، سهل علينا ويسر ذلك لأن الحدود الطبيعية التي تفصل تخومها عن تخوم وحدود غيرها من الاقاليم ذات معالم واضحة وآثار ظاهرة ، فجبال طوروس من شمال سورية ، وصحراء سيناء من جنوبها ، وصحراء بلاد العرب والخابور والفرات من شرقها ، والبحر المتوسط من غربها . كل هذا وهذه دليل واضح على أن العوامل الطبيعية التي أحاطت بهذه الربوع عن غيرها كانت كالهالة التي تحيط بالقمر ، أو كالدالة التي تمنطق الشمس ، وهي المنحة والميزة التي ميز الله بها هذه البلاد عن غيرها من غير أن يكون لهذا الفارق أو المميز ليد الانسان دخل فيه أو تأثير به وعليه/. وخير عمل ما عملته يد الله .

أما ما يراه اليوم المعاصرون من تمزيق وحدة جغرافية ، أو ابتتار قسم من الكيان القومي العربي ، او اجتزاء عضو من اعضاء هذا الوطن العربي الجغرافي الطبيعي فهذا ما لا دخل لنا هنا في سرد أسبابه وعوامله وما لا نرى لنا من شأن في بحثه في هذه العجالة ، لأن ما خالف الطبيعة فدوامه الى ميقات يوم معلوم والى حين ، وبانقضائه ينقضي ذلك الطارىء والطوارىء التي تعارض التيار الطبيعي الجارف ، واذا ثبتت في وجهه فلن يتأتى لها الثبات طويلا ، والعوارض التي تود أن تمزق النظام الجغرافي القديم وان استطاعت أن تلبث يسيرا ، فما هي بالتي تحدو بالمؤرخ أن يتنكب عن طريق الحقيقة لأنه عالم بأن ذلك موقتاً والموقت غير جدير بالتدوين .

أما ما نقوله الى المتنكرين للاقليم السوري من حيث الوحدة الجغرافية ، فهو عليكم بمن سبقنا من مؤرخي العالم وعليكم بالانتقاص من قيمتهم العلمية ، وعليكم بالادلاء بما لديكم من حجج تدحضون بها ما أتوا

به من سـاطع البينات ومشرق الآيات ، تدليلا على أحقية ما قالوه ، وهنالك يكون لنـا معكم شـأن غير هذا الشأن ، وموقف غير هذا الموقف .

انا لم نشأ أن نأخذ الا بما اجمع عليـه مؤرخو العالم وجغرافيوه بشأن الوحدة الجغرافية للاقليم السوري وحتى اننا لم نشأ أن نقول بأن العراق قسما من الاقليم السوري وان بابل من احد اجزائها حتى لانرمى بالمبالغة والاغراق رغما عن أن الرحالـة اليوناني *Strabon* قد قال بذلك . ولـم يكتف به بـل تعداه الى أكثر من هـذا(1) وهو الرجل الشهير في التاريخ ذو الكعب المعلـى فيه ، رافق ميلاد المسيح عليـه السلام ، قال هذا البحاثة : تمتد سوريـة من كليكيا وجبل أمانوس الى مصر(2) على انه لم ينفرد بتحديد سورية على ماذكرت من امتدادها للعراق وتناولها بابل بل قال بذلك هيرودوتش(3) شيخ التاريـخ الذي كان قبل المسيح بأربعمئة وخمسين سنة .

هذا فضلا عن ان اشهر مؤرخي العرب قد اتفقوا ، أو كادوا ان يتفقوا على ان الاقليم السوري يمتد من الفرات الى العريش ومن جبل طيء في نجد الى بحر الـروم (4) .

ذكر ياقوت في جملة ما ذكره من البلدان التي تدخل في حدود الشام : « يقصد المؤرخون بكلمـة الشام الاراضي السوريـة وليس ادل على ذلـك من وجـود المرء في مصر أو في ما وراء البحار يسمع ممن يكون اليهم هنـاك أن الشيء الفلاني من الشام ، والرجل الفلاني من الشام ، في حين انه يكـون ذلك المحكى عنـه اما من لبنان أو مـن فلسطين او شرقي الاردن » الثغـور كالمصيصة وطرطوس – واذنـه – وانطاكية والعواصم مرعشي ، والحدث ،

---

(1) راجع الصحيفة ٥٤٤ من الكتاب الثاني عشر والصحيفة ٧٣٧ من الكتاب ١٦

(2) راجع الصحيفة ٧٤٩ من الكتاب السادس عشر .

(3) راجع الصفحة ٧٢ من الكتاب الاول والصحيفة ٤٩ من الكتاب الخامس .

(4) راجع الصفحة ٢٤٠ من الكتاب الثالث من معجم البلدان طبعة ليبزغ .

وبغواس ، والبلقاء ، وغير ذلك .

فاليك ايها المطالع الكريم حدود الاقليم السوري كما وضعها وحددها أشهر قدماء المؤرخين حتى العهد العربي والخلفاء الفاطميين والمماليك بها .

عملت يد الترك بسورية كما كانت تعمل في غيرها فادخلتها ضمن النظام الاداري من حيث تقسيمها الى ولايات وايالات غير آبهة الى حد طبيعي ما وغير مكترثة بسوء ما كانت تفعل . والذي يخفف المصاب علينا انها فعلت فعلتها هذه في الاناضول ومكدونيا وغيرهم وهذا ما نواسي به كل ما صدعنا ريب الزمان بصادع .

رغم كل ذلك لم يغفل مؤرخوا الاوروبيين وكتابهم ذكر هذه الحدود الطبيعية على وضعها القديم الجغرافي الذي بسطناه قريبا . فأحدث هؤلاء الكتاب بنا الكونت دي غونتو بيرون « امين سر المسيو جورج بيكو المندوب السامي الافرنسي الاول في سورية » اذ قال في كتابه « كيف استقرت فرانسا في سورية » : لقد منحت الطبيعة سورية حدودا واضحة لا شبه فيها : « فالبحر المتوسط من الغرب وجبال طوروس وانتيطوروس من الشمال الغربي والشمال وحوض دجلة الاعلى والاوسط من الشرق وبلاد العرب وسيناء من الجنوب » . وقال رجل فرانسا العالمي نابليون بونابارت بصدد سورية : « ليس من بلاد افضل حدودا من هذه البلاد للدفاع عنها » .

أما الحلفاء في مؤتمر سان ريمو فانهم اتفقوا بالاجماع على حدود سورية الشمالية .

فأية حجة بعد ذلك كله لاعداء سورية ووحدتها الجغرافية يدلون بها على صدق نظريتهم الباطلة وجل ما نستشهد بهم من عظام رجال التاريخ في اوروبا والغرب ؟ ! ..

فوحدة سورية القومية العربية لم تسلم من فريق شاء لها أن تكون على

زعمه وحدة ممزقة لا قومية تجمعها ولا وحدة تضمها .

لقد زعم هذا الفريق من الناس أن سورية التي يتألف أفرادها من شعوب عديدة متغايرة الدين ، متباينة المذهب لا يمكن أن تثبت وحدتها القومية على انهم خاطئون فيما يقولون لم يستندوا في قولهم هذا الى ما يصح ان يكون حجة لأن من تصفح التاريخ منذ القديم يجد أن الفارق بالحقيقة الدم فحيث يكون تباين فيه يكون تباين في القوميات وحيث يأتلف تأتلف القومية وجريا على هذا القياس الصحيح والمعيار الثابت نجد أن الامم التي تفرس في هذه الربوع على اختلاف أديانها ونحلها قد انبعث التاريخ عنها من عنصر واحد وانبثق فيها من دم واحد ، ولغة واحدة ، وليس من حجة تقارع التقاليد والاعراف والعادة التي تتمشى عليها الامم القاطنة في الاقليم السوري . فهذه العادات والطبائع التي اتحد أبناء البلاد فيها اتحادا وثيق العرى محكم الوشائج قد دلل على ان عرب سورية من الوجهة القومية وحدة لا تتجزأ وعلى أن من شاء أن يأتي ببرهان يستبينه على أحقية ما يقول قد باء بالفشل والخسران لأن الواقع والحس يكذب ما زعم .

فأعظم مؤرخي العالم قد أجمعوا على أن كافة الشعوب التي استوطنت سورية وألفت الوحدة القومية نزحت اليها من جزيرة العرب « كما يؤيد ذلك بحث اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب بمجلة الزهراء » مثال ذلك سكان الاقليم السوري الاصليين ، والفنيقيين الذين أتوا من خليج فارس ، والهجرات التي تعاقبت عليها وتوالت .

وهكذا فان جميع سكان شبه الجزيرة العربية يمتون الى أصل واحد ويتكلمون بلغة واحدة منذ فجر التاريخ ، فعرقهم عربي ولسانهم عربي ولو كان قد أثبت المؤرخون انهم من قبل كانوا يتكلمون بلهجات متشابهة متفرعة عن لغة واحدة .

أما الاقوام التي قدمت الاقليم السوري فاتحة فان معظمها لم يساهم العرب في

حياتهم التجارية والزراعية ، بل كان يشاطرهم ثمار الانتاج فحسب ولهذا كان الغرباء ينزحون عنها كلما غلبوا على أمرهم لا يتركون في عرب سورية والدم العربي سوى اليسير من الاثر .

أما الدم العربي فقد ظل على نقاوته وصفائه منذ أن نزح الرومانيون عن سورية حتى الآن .

بعض العناصر الآسيوية كالكرد والترك والجركس - مازجو عرب سورية واختلطوا بهم منذ العهد العباسي الى هذا اليوم لكن عرب سورية كان يتمثل ويهضم جميع العروق فيفقدها كامل مميزاتها وجميع خصائصها بعد جيل واحد في عرب سورية فتذوب في بوتقة العنصر العربي في سورية .

وأما خصائص سورية الطبيعية فهي تعود للحقيقة الى موقعها الطبيعي الاقليمي ووضعها من الناحية الجغرافية وهذا الوضع كان سببا في رخاء سورية وبحبوحتها أو شقائها وعنائها وطمع الطامعين فيها ، ذلك لانها بالحقيقة ملتقى قارات ثلاث : آسيا واوروبا وافريقيا فهي كالثغر على شاطيء البحر يؤمه الربابنة من جميع الاقطار والامصار ، ويلقي مرساة سفائنه فيه كل بحار ، لهذا كان على الشعب العربي في سورية ، بهذا الوضع الذي ألمعنا اليه أن يعكف على التجارة وأن يبرع فيها ، فيتناول الواردات والصادرات مع هذه القارات وأن يكون بحكم الطبع ميدانا فسيحا للتبادل والتداول ، ونقطة ارتكاز لهذه القارات ببلدانها وامصارها وما تضم . ومن البداهة أن يستفيد في كل موقف فلا يقتصر هذا الشعب على الانعكاف على التجارة فحسب ، بل أن يولي وجهه شطر الصناعة كلما سنحت الفرصة أو سمح الزمن وكذلك من البداهة أيضا أن يكون على ميزات تؤمن له الفائدة والنفع بحيث يستطيع أن يقوم بما وهبته الطبيعة اياه من هذا الوضع بكل اقدام وجد وثبات وصمود. وهكذا كان الفنيقيقيون قديما « وعندما نقول عن الفنيقيين نكون قد جعلنا لبنان في حدود الاقليم السوري » وعرب سورية في عهد السلفكيين والرومانيين والامويين .

ان الشعب الذي يجد نفسه امام عمل تجاري او صناعي يكون احوج الناس جميعا الى الامن والنظام والهدوء يسود محيطه وبلاده وعلى هذه السنة درج الشعب العربي في سورية منذ فجر التاريخ الاول فكان مثال الدعة والسكينة والعمل والنشاط ، انه كان متصفا بذلك بدافع المصلحة الحيوية الاقتصادية التي كانت توجب عليه أن يكون بعيدا عن الفوضى والحروب والاعتداء . وكان ما يفكر الا في التوسع الاقتصادي التجاري وهذا ما كان يحدوه دائما الى نشد النظام حتى انه كان عندما يلقى ان اضطراب حبل الامن سائدا بلاده يثور على عامل الفوضى ويدك معالم التشويش والاضطراب . مثال ذلك ثورته على الفرس في العهد القديم وثورته على كثير من الغاشمين الفاتحين الطامعين .

قلنا ان وضع عرب سورية الطبيعي كما انه سبب لها الرخاء سبب لها العناء وذلك لانه كان موضع آمال الغير من اقوياء الامم وكان موضع جشع الجشيعين ونهم النهيمين منذ عهد الاشوريين حتى عهد الفرنسيين . فهي كانت هدف كل من تسول له النفس والقوة أن يتبسط البسط الاستعماري وان يستفحل استفحال الظالم العاتي ، فهي كعبة كل قوي يحب الاعتداء ، وهدف كل جبار يحب الفتك والقتل والحرب ، فمن الفى في نفسه القوة يتجه نحو سورية وما يقصد من ذالك الاتجاه وتوليته شطرها الا حب الكسب والغنيمة اذ ان كثيرا ما كان الفاتحون يقتصرون على سلب البلاد ثم الجلاء وكثيرا ما كان البعض الآخر يقيم ما دامت الاقامة لا تكلفه ضحايا كثيرة . فظل شأن الاقليم السوري هكذا دواليك الى ان كان السلفكيون والرومانيون والامويون ابعد نظرا ممن سبقهم من الامم واسدى رايا واصوب فكرا في سورية والسوريين فكان شأنهم غير شأن من تقدمهم من العالمين في هذه الربوع .

على أن موقف عرب سورية اتجاه جميع الغارات التي شنت والفتوحات التي تمت واحد لم يتبدل بمعنى انهم كانوا ينشدون الحرية والسيادة

والاستقلال رغم جميع ما كان يقوم امامها من حوائـل وسدود وعراقيل وما كل ذلـك الا لتكون في مأمـن على عملها الانتاجي وتجارتهـا التي كـانت وفطرت منه سيرا لا عقبة فيه ولا عثرة في سبيله ولـكي يكون ذلك السير آخذا سمته نحو النظام والامن حتى لا يقف دولاب اعمالها وحتى لا تشـل حركتها التجارية الاقتصادية او بالصحيح الحقيقي حتى تستطيع البقاء علـى وجه الارض اذ ان التاجر الذي يود أن يعيش في هذا العالم متمما واجبـه نحو المستهلك ونحو من استورد منـه تجارتـه يتوخى ان يكون في محيط هادىء وفي بيئة يسودها السـلام ويخيم فوق ربوعها الامن المطلق .

ان حب عرب سورية في الامن والسلام ماكان ليحول دونهم واشهار الصارم البتار عندما يدعو داعي الواجب اليه وعندما كانوا يثورون على مـن دعاهم للثورة يصمدون ويثبتون ويقارعون ويكافحون حتى ينتهوا باحدى النتيجتين: اما اجلاء العدو عن بلادهم قسر انفه ، وامـا ان يتفاهموا وايـاه وهم اعزاء الجانب مرفوعي الراس ناصعي الجبين . ومن تصفح التاريخ القديم بنزاهة وتجـرد قرأ صفحة من صفحات المجـد الذي جعـل عرب الاقليم السوري قادرين على أن يبرزوا في العالم بالانتعاش مـن حيث كل شيء في اقـرب وقت وقادرين أيضا على التفلت من الاسر ومن أشـد النكبات كلما اجمعـوا على ذلك الاجماع المطبق وانهم اثبتـوا ويثبتوا على انهـم أهل لحكم النفس بالنفس وتوليـة الشؤون بالذات وممارسة الحكم شخصيا مـن غير معـين ولا مساعـــد .

والمطالع العادل عندما يلقي نظرة ولو بصورة عجلى على تاريـخ الاقليـم السوري القديم وعلى تاريخه الحديث تنجلي أمام باصرتيه وبصيرته هـذه الحقائق التي ما بالغنا فيها ولا اغرقنـا .

وانا لنسوق اليه الحديث التالي ليكون له بمثابة النور يهتدي على ضوئه الى ما يريد ونريد :

على م كان الاقليم السوري يثور وعلى م كانت تهـدأ ثورته وتخمد ؟؟
هذا سؤال لا بد وان يجول في ذاكرة كل من يطلع على التاريخ ، وفـي مخيلة كل من وقف على ما كان عليـه وظل فيه حتى اليوم الاقليم السوري.
أما الجواب الذي نود أن نأتي عليه لا بد لنا من ان نتقدم الى يدي المطالع بتوطئة له وتمهيـد :

قد يظن المرء ان الثورة بنت ساعتها ووليدة وقتها ونتيجة حماس قائد من قوادها . وإنها تنفجر من أفواه البنادق قبـل أن تضطرب في أحشـاء النـاس وفي صدور البشر .

ان من يتخيل ذلك يعدو الحقيقة والامر الواقع ولا يكون على صـواب فيما خال وظن وزعم ، ان من يود أن يقف على تاريخ أيـة ثورة كـانت مـن ثورات العالم على اختلاف بواعثها ورجالهـا وأسبابها عليـه أن يعود الـى تمحيص مأتى تلـك الثورة ودافع رجالها وآلها للقيام بها وشق عصا الطاعة .

ونحن اذا جرينا على ذلك وحدثنا عن تاريـخ الاقليم السوري فعلينا أن نعود الى مـا له مساس في بحثنـا ومبحوثنـا حتى نهتدي بالنتيجة الـى ما أخذنا بتأليف هذا الـكتاب لاجلـه وحتى لا يرمينا الواقف على هـــذا الكتاب بالخروج عن الصدد .

ان اول ما فتح التاريخ عينيه عن هذه الارض العربية المسماة بالاقليم السوري فتحهما عليها وهي مستقلة ، ضمن حدودها التي أسلفنا ذكرها ، يديرهـا ملوك مستقل كل منهم في مقاطعة منها معينة . ثم تناول هذا الاستقـلال أيادي بعض الغزاة الفاتحين أموها بعضهم من آسيا وبعضهم من شمالي افريقيا وآخر من أوروبا ، وهكذا حتى أصبح هذا الاستقلال في حكم العدم . ومن رجـع الى تاريخ هذه الفتوحات والى المدة التي اخلدت فيها سورية العربية الـى

السكينة تحت سيطرة من غزاها وجد أن أطولها مدة هو الزمان الذي كان يسيطر فيه من أحسن الامتزاج مع أهليها ومن ابقى على خصائصها الحيوية ومن مهد لها سبيل الازدهار التجاري والاقتصادي والصناعي ووجد ان زمن سلطان الآثوريين ابعد مدى من سلطان الفرس عليها « وقد أثبت التاريخ ان الاسطول الذي غزا كبخسرو ملك الفرس بلاد اليونان كان منه ثلاثمئة سفينة من الاقليم السوري ومن صنعه » .

وما يؤيد النظرية التي اتينا على ذكرها هو ما كان من الآثوريين نحو هذه البلاد وأهلها لقد كان الآثوريون يحتلون نظام البلاد السياسي واعراضها وتقاليدها ويتركون سكانها أحرارا فيما يتجرون ويصنعون ويدينون وكان الفرد يمارس حرية العمل والتجارة والدين بأبعد معنى وأقصى مجال وهذا ما اهاب بهم لأن يكونوا في صف الآثوريين ولأن يظلوا على الاخلاص لملك آثور مقيمين الى ما بعد أفول نجمه وخمود ناره .

على أننا اذا ما جنحنا الى الحقيقة بأكثر من ذلك نرى ان لامتزاج عرب سورية بالآثوريين سبب من أقوى الاسباب واصحها ذلك هو ان عرب سورية والآثوريين تحدرا من جنس واحد ومن أب واحد وانهما من الساميين الذين تجمعهم أرومة الجزيرة العربية . واذا ما محصنا التاريخ بعين الحقيقة النزيهة نجد ان عرب سورية لم يمتزجوا في حياتهم مع فاتح من الفاتحين امتزاجهم مع الآثوريين .

ومن جملة من رأى أن خير سياسة يسوس بها هذه البلاد على طريق اعطائها الحرية هو سلفكوس من كان فيها أيام القرن الثالث من قبل الميلاد .

جنح هذا الرجل الى تأسيس امبراطورية مستقلة قوامها سكان البلاد انفسهم ففعل وكان بذلك من المنصفين وظلت حتى قبيل السنة الثالثة

والثمانين من قبل الميلاد . كان على ان يكون لهذه البلاد العربية ما تصبوا اليه من قرارة وهدوء متمتعة بسلطان الحكم القومي والاستقلال السياسي لولا ما داهمها من حروب وغارات وما طغى عليها من ظلامات واعتداءات ولولا ما حل بها من جراء ذلك من مصائب وويلات . كادت ان تكون سورية العربية بامبراطوريتها التي نوهنا بها أزهر ما تكون في كل حين آخر وازهى ما يمكن أن يقدر لها في عهد من عهودها ، لما كانت عليه في ذلك الزمن من اضطلاع بأعباء الشوكة والسلطان ، والقوة والمنعة مستجمعة وحدتها السياسية الكاملة التامة .

كان عصر الرومانيين في سورية العربية عصر فلاح ونجاح واقدام ومهما كانت النكبات التي تخللت أوائله واواخره مما لتعيق سيره نحو الازدهار والازدهاء والزهو ، ونقول بحق ان الرومانيين عرفوا كيف يعيدون النظام الى نصابه في هذه البلاد العربية من بعد ما كادت ان تأتي عليها حروب الدولة السلفكية .

لقد ادركوا ماعليه الشعب العربي السوري من مزايا وخصال وما هو مشهور فيه من براعة ومهارة ونشاط في التجارة والاقتصاد والصناعة فاستفاد الرومانيون من هذه الخلال كما استفاد سكان البلاد من النواحي الاقتصادية اذ لقوا سوقا عظيمة يستهلك فيها المستهلكون مصنوعاتهم في روما . ونبوغ السوري العربي الصناعي ألجأ الروماني لأن يستعيض بالاتجار في سورية العربية عن الاتجار بمصنوعات آسيا من آقاصي سيبريا والهند والصين . وكان الروماني أشد اعجابا بالحرير من اعجابه بأي صنف آخر وهكذا كان توثق العلاقة الاقتصادية والتجارية بين الاقليم السوري وروما مدعاة الى نزوح الكثيرين من السوريين العرب الى عاصمة الرومان ، وكان مدعاة ايضا الى مغادرة الرومانيين عاصمة بلادهم الى الاقليم السوري . وقد اشتد أمر هذا الارتباط الوثيق بين البلادين الى درجة استولى فيها طبع

السوريين العرب على طباع الرومانيين في بلادهم ، وكان لهم نفوذ عظيم في تلك الربوع حتى أن أحد شعراء الرومان جوفنال قال : « لقد اجتاح هذا العنصر — ويقصد به السوري العربي — روما فمزج مياه نهر العاصي بمياه نهر التيبر وطغى بلغة آسيا وعاداتها على لغة الرومان واعرافهم » .
من بعد هذا اقبل عهد العرب على اقليم سورية فشيد الامويون عاصمة ملكهم دمشق وكان اول ما عمد اليه معاوية ابن سفيان مؤسس الدولة الاموية انهاض الهمم الوطنية وتنشيط الحرية وبذلك استعان على بناء ملكه قائمة فوق أركان من عقيدة راسخة . قال الاب لامنس اليسوعي البلجيكي : « لقد سميت هذه الامبراطورية بالامبراطورية العربية وكان الواجب أن تسمى بالامبراطورية السورية العربية لأن الرأس الذي كان يديرها والايدي التي كانت تنفذ وتنظم اعمالها وتضطلع بأعباء المقاطعات والحرب والمالية كانت بالحقيقة كلها عربية سورية ولم يكن أمر الحكومة في أيدي البدو الذين جاؤوها من الخارج ، بل في ايدي العرب الذين كانوا يقطنون هذه البلاد منذ قرون والذين قد اصابوا من الحضارة الارامية بسهم وافر . والذين بنفوذهم نقلوا مركز الخلافة الى بلادهم ونؤكد أن هذه البلاد حكمت نصف العالم الشرقي المعروف في ذلك الزمن » مدة طويلة » .

لم يقتصر نشاط الشعب العربي في سورية في العهد الاموي على هذه الدائرة بل تعداها الى الفتوحات العظيمة التي اخترقت بلاد الاندلس والروح الاموية هي المنظم الاكبر لحضارة بلاد الاندلس الزاهرة ، وهكذا كان شأن السوريين العرب الامويين في الاندلس شأن الفنيقيين الذين اطلقوا على خليج فارس أسماء مواطنهم كحبيل وارواد وسوى ذلك ، كما أطلق الامويون على بلاد الاندلس كحمص ودمشق وغيرهما .

انتقل مركز الخلافة من دمشق الى بغداد واخذت مكانة سورية العربية المكتسبة في عهد الامويين متقلصة الظل تفقد الاهمية التي كانت عليها وقد

حاول الكثير أن ينقض على حكم العباسيين سواء بعامل حب استرداد الدولة والسلطان واستعادة الملك ، أو بعامل النفور من الحكم الجديد والحرص على الحرية الشخصية .

هذه البلاد كغيرها من بلاد الله يعتري سكانها الهيجان العصبي والنزوات الفردية والمطامع الشخصية ما يعتري اشخاص كل بلد من البلدان تقلص عنها ظل حكم وانضوت كرها تحت ظل حكم آخر .

لهذا نستطيع القول بأنه مر على سورية العربية خمسون عاما لم تذق فيها للراحة طعما ولا للطمأنينة مذاقا . وظل بها الامر كذلك حتى كان عهد الاتراك منذ عام ١٣٢ حتى ٢٥٤ هجرية ذلك العهد الذي سفكت فيه دماء كثيرة وتطايرت اشلاء عديدة سواء في فتح الشام وفلسطين او في الثورات التي نشبت على العباسيين وسواء في ذلك ثورة اللبنانيين والفلسطينيين على ما المعنا أو الفتن الداخلية في حمص ودمشق وغيرهما خلال زمن لا يتجاوز القرن ونصف القرن . من بعد هذا اقبل عهد الدولة الطولونية من ٢٥٤ – ٢٩٢ هجرية واعقب ذلك دور القرامطة والاخادشة فالحمارنة فالفاطميين فالسلجوقيين فالاتابكة الى أن كان دور السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي . وفي أواخر عهد السلجوقيين نشأت الحروب الصليبية التي ظلت سورية العربية بجنحها ثلاثة قرون « من سنة هـ ١٠٩ – ١٢٧٠ ميلادية » .

عانت سورية العربية في هذه الحروب الضروس التي التهمت غلال البلاد ومنتوجاتها أشد صنوف العذاب وارهق انواع المآسي والنوائب فهي التي كانت مدخر الجيوش الجرارة وهي التي كانت تتعهد اطعام وايواء المحاربين طوال تلك المدة وهي التي كانت تحتمل العدد الاوفى من المقاتلين في أروع المعارك واشد المعامع ، وجهاد كهذا أناخ عليها بكلكله قد برى منها المنة وافنى القوة واوقف دولاب حركتها وضعضع ما فيها من مكنة وحيل

هذا الى ما كان استنزف من رجالها وافني من ابنائها فقد كانت تعد خمسة وعشرين مليونا أيام الرومان وعشرين مليونا في أوائل الدور الاموي فما تقلص ظل الحروب الصليبية الا وأصبحت لا تضم أكثر من مليونين من النفوس .

هنا اقبل الاتراك العثمانيون فالفوا سورية العربية غنيمة باردة لا حول لها ولا طول ولا منعة فأرسلوا نفوذهم رواقا يمتد عليها ولا هنالك من يحرك ساكنا او يستطيع الاتيان بشيء .

ظلت سورية العربية قسما من المملكة العثمانية وجزءاً من اجزاء الامبراطورية التركية حتى أواخر عام ١٩١٠ لم تفكر خلال هذه القرون المتوالية في ذاتها أو في نفسها بل كان شأنها شأن الطفل الذي يظل على عهده لما كان من الكائنات حتى يأتي الزمن الذي يشعر بالوعي الافرادي ينساب اليه شيئا فشيئا . والذي احكم القيد والسلاسل في أبنائها ما كان يتشدق به اجداد احد الاسر المالكة في الدولة العثمانية من انهم حماة الدين وذادة الاسلام وان لا قومية هنالك ولا عنصرية وان الدين وحد الكل واستولى على الجميع وان العثمانية تناولت كل من ظلله العلم التركي في ذلك الزمن .

طرأ على الاتراك ما يطرأ عادة على كل امة امتد سلطان نفوذها ابعد مما تقدر على جمجمته فنشأ الحزب الاتحادي فيهم يناويء الظلم المستولي والاضطهاد الممتد وقاموا بما كانوا يفكرون فيه من زمن نأى وهو خلع السلطان عبد الحميد مقسمين جهد ايمانهم على أن لا هنالك فرق بين طائفة وطائفة وعنصر وعنصر ، وبهذا السراب المتلألىء استطاعوا ان ينفذوا الى غاياتهم عن اقرب الفجاج واهون السبل وان يقنعوا مختلف العناصر التي كانت تلم شتات العثمانية بأن يهدؤا خاطرا ويسكنوا بالا وان لا يشهروا حربا ولا ينتقضوا عليهم انتقاضا . فنامت الطوائف والعناصر ومن جملتها سورية العربية على هذه الوعود العذاب وعلى هذا الكلام المعسول وتركوا للاتحاديين

الحبل على الغارب واثقين بأن يصدقوا ما عاهدوا عليه . ولكن سرعان ما قام زعماء الاتحاد بنقض الوعود ونكث العهود وتكذيب الافعال منهم الاقـــوال . وسرعان ما قلبوا للعناصر المختلفة ظهر المجن واخذوا هم أنفسهم بالعنصرية الطورانية يبسطون نفوذها على كل عنصرية سواها . وكانت « جنكيزم » أي العنصريـــة الطورانيـــة تستفحل بصـــورة هيجت في بقيـــة العناصر الحس وأوجدت في سواها الوعي القومي والشعور الفردي وانمت في كـل عنصر من العناصر الاخرى روح التفكير بالذات والسعي نحو اثبات الوجود المستقل. فانبرى الســـوريون العـــرب يظهرون حيويتهـــم وأهليتهم للعيش الصحيح برجال رفعوا الصوت عاليا يجهرون بالمطالبـــة في الحريـــة في اوائل الحرب الكونية فأخـــذ متزعموا الاتحاد بأساليب العنف والارهـــاق والاذعان فقادوا أحرار البلاد الى أراجيح الابطال « المشانق » فكان لصنعهم هذا دوي رددت سورية صداه زمنا أخذ يزداد ذلك الصدى ويتردد الى ان انبعثت القوميـــة من مكمنها وانبثقت العنصريـــة من هدأتهـــا وانبرى رجـــال سورية العرب يلتمسون السبل الى اظهار وجودهم في العالم وتأسيس كيانهم في الوجود .

فتأسست النوادي والاحزاب والجمعيات في كل ناحية وفي كل قطـــر واخصها بالذكر جمعيات المهاجر ، وتألفت كـتب تدعو لاستقلال سوريـــة والعرب في مصر وفرنسا واميركا الشمالية واختها الجنوبية .

كل هذا كان من سورية العربية سعيا وراء الجدوى من الموضع الطبيعي الذي كانت عليه والذي كان يهيب بها الى العمل دواما كي تبلغ الهدوء والسكينة والنظام ، ولكي تكون على شـــيء من رقي في العمران والمدنيـــة والحضارة وبذلك أثبتت وتثبت أن الفاتح الذي يبتغي من وراء غزوها نفعـــه الذاتي فحسب لا ينال منها مبتغاه مهما طال زمن سلطانه فيها ولا بد لها من يوم تنفض فيه انتقاض الرئبال فتحطم القيد وتكسر الغل وترفل في ثوب مـــن الحريـــة قشيب .

كل ما مر ذكره كان من الاسباب العامة للثورة في سورية العربية وأما الاسباب الخاصة الحديثة لها فهي أن الحلفاء قد أخذوا يمنون الشعوب الضعيفة بالوعود أيام الحرب الكونية الكبرى ليستميلوا الجانب الاكبر منها الى حلفهم وليستطيعوا أن يتخذوا من هذه الامم الاداة الصالحة ارجحان كفتهم ولاحترازهم منار الفخر والنصر على أعدائهم . وبمعسول الاماني التي كانوا يقطعونها على انفسهم لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها والتي من جملتها سورية العربية استطاعوا كما عرف القاصي والداني أن يدلوا برفع راية الظفر على الاعداء ، ويباهوا بأنهم كسبوا المعركة في كل ناحية وفي كل صوب . ان العرب في سورية كغيرهم من الامم يتطلعون نحو الحياة الحقة والحرية المنشودة بأبصار تطير اشعاعا الى أن تكون بالغة ما تريد وقد كانت سورية كالغريق في الخضم الذي ينتظر أن تمتد اليه يد تنشله مما يعانيه من غصص الحتف وآلام الغرق مهما كان نوعها وكيفما كانت صفتها طالما تؤمن له العيش وتنهض به مما هو فيه من الهاوية واللجة . لهذا كانت أول من رمق العيش وأول من شاء أن يكون في عداد الاحياء العاملين في مضمار العالم السياسي فرات في الحلفاء المنقذ الامين على ما كانوا يقطعونه على أنفسهم من عهود ووعود ومواثيق . هبوا الى صف الحلفاء بقلوب أفعمت بالايمان الخالص الراسخ ينتزعون الحياة من بين ماضغي الموت وانهالوا على التجنيد في الجيش العربي الذي كان الدعامة الاولى في اسباب انتصار الحلفاء على أعدائهم والذي الى هذا الجيش يعود فضل النصر .

على أن ما كانت تحلم به سورية العربية من الاحلام الذهبية ومن الآمال القومية ومن انتظار العيش بحرية وحكم ذاتي واستقلال ناجز كما كانت موعودة ممن قاتلت الى صفهم وكانت لهم الدرع الحامي يوم الوغى والكريهة ، قد ذهبت ادراج الرياح ، ومع ذرات الهباء ولم تظفر بغير الفشل ولم تنل مما برت به من أعمال الا ان كانت ضحية من وعودها فأخلفوا وعاهدوا فانقضوا

واقسموا بكل محرجة من الايمان فحنثوا .

رأت نفسها فريسة ذلك الحليف ممزقة الاوصال ، مقطعة الاجزاء يعمل فيها فتكا وتقتيلا ، رأت بلادها كأنها نهب مقسم بين من كانوا اليها وكانت اليهم وكأن نتيجة الظفر قد وقعت عليها فذهبت ضحية نشوة الانتصار الذي كان بسببها لهم ولاجلها .

هبت عندما رأت من الحلفاء النقض والنكس والحنث ترفع عقيرتها بالشكوى وتبث ما تعانيه الى المؤتمرات والاندية السياسية خلال العام الذي يبدأ في ١٩١٩ وينتهي في ١٩٢٠ من غير ان تنفع الشكوى ومن غير أن يجدي التذمر والتطلب رأت نفسها سورية أمام ذلك مضطرة لأن تجابه الموقف بصلابة وبحزم وبعزم شديدين فأعلنت استقلالها في عهد الملك فيصل في شهر آذار من عام ١٩٢٠ على أثر مؤتمر عام شامل جامع قانوني لا غبار عليه مثل الانحاء السورية تامة أحق تمثيل . وهذا ما أثار حنق الافرنسيين الذين كانوا معرسين في الضفة الساحلية من اقليم سورية باسم الاحتلال العسكري وحملهم على أن يبعثوا بحملة كبرى يقودها الجنرال غورو رغم اعلان الملك تفاهمه مع الفرنسيين وموافقته على ما اشترطوه عليه . فدخل الفرنسيون دمشق بعد فاجعة ميسلون واستشهد البطل الوزير يوسف العظمة فأيقن عرب سورية أنهم أخذوا بالشراك الذي نصب لهم وادركوا أنهم كانوا على خطأ وخطل فيما ناموا لهم واعتمدوا عليهم من الحلفاء ، والشعب الذي ما نام على ضيم قط كما رأينا في بداءة هذا البحث ومنتهاه طبيعي أن لا يهدأ وان لا يهدىء للفرنسيين جنبا ، وان لا يقر لهم مضجعا وان لا يهنيء لهم عيشا وأن يرتقب لهم الفرص التي يداهمهم فيها مداهمة الاسد من يود أن يكتسح عرينه . فأخذوا يستعدون للثورة في طي الخفاء ويعدون لها العدة ما استطاعوا فما كان الفرنسيون ليمر بهم عام الا ويروا من انتقاض ساكني هذه الربوع ما يقلق ويزعج ويربك .

ثارت عليهم بلاد العلويين من عام ١٩١٩ـ١٩٢١ واعملوا الفتنة فلم يستطع الفرنسيون اخماد لهبها وقمع لظاها الا بحملة حامية بلغ عدد رجالها ثلاثة وعشرين الف مقاتل . ومن اواسط عام ١٩٢٠ الى اواسط ١٩٢١ هبت سورية الشمالية تندفع اندفاع الاسود على طالبي الاستعمار ولم يكن شأن حوران بأقل من شأن سواها اذ لبت هذه داعي الوطن من شهر اغستوس عام ١٩٢٠/ الى آخر السنة وكذلك كان شأن جبل عامل عام ١٩٢١ واما الجبل الدرزي فانه قام بواجبه عام ١٩٢٢ معلنا العصيان ايضا وقائما بالثورة على الظالمين . وفي عام ١٩٢٤/ نشبت في انحاء بعلبك الثورة التي كانت مقدمة للثورة التي نحن بصددها والتي من اجلها اخذنا بتأليف هذا الكتاب فاندلع ليهب ثورتنا التي نكبت فيها في شهر يوليو عام ١٩٢٥ .

عندما راى الفرنسيون اشتعال النار في كل ناحية من نواحي سورية ذهبوا الى ان الحادي بعرب سورية الى ذلك هم الانكليز الذين بثوا الدسائس وأعملوا نار الفتن واوعزوا الى شعب اقليم سورية أن يثور وغاب عنهم أن العنعنات التاريخية والتقاليد التي تحدر العربي منها هي الحافز الوحيد بالحقيقة له أن ينهض من كبوته وينفض عنه غبار الذل والخمول وان يستعيد حقا سليبا وعيشا صحيحا وحرية ما عاش بدونها قط .

غاب عن الفرنسيين ان الوضع الجغرافي والاقليم الطبيعي والمركز الذي خصها الله فيه هو الذي أهاب بها وبرجالها لأن ينهضوا ويكافحوا ويناضلوا من يود استعمارهم واضطهادهم وتقيدهم بالسلاسل والقيود . ونسوا ان الاقليم السوري منذ احتلالهم له وتعريسهم بساحله وشاطئه رأوا أنفسهم أمام نكبات عديدات بالغات :

١ ـ فقدان الوحدة الجغرافية .

٢ ـ القضاء على الوحدة السياسية . ٣ ـ ضياع الاسواق التجارية .

٤ ـ انتقال الموارد الاقتصادية والحركة التجارية الى أيدي الفاتحين . ٥ ـ

تقسيمها وتجزأتها بنوع واسلوب لا تقوى على الحياة عليه اصلا ولا يتاح لها ان تعود الى الوحدة القومية لما قائم به الفرنسيون من احلال الاديان والمذاهب محل الامم والعناصر والدول .

كل هذه النكبات والويلات وهذه الدواعي والاسباب وهذه الحوافز والغوامز هي التي كانت المدعاة لأن تهب نار الثورة في انحاء سورية .

وظل المستعمر الغاشم مواليا تنفيذ خطته التي رسمها منذ ان وطأ أول جندي أرض الاقليم السوري من غير ان يلتفت الى التاريخ فيعلم ان نفس رجاله وعلمائه قد نبأوه بما انطوى عليه السوريون العرب من مزايا وخصال فكانت هذه الخطة التي سار الفرنسيون عليها مؤيدة ومحققة مخاوف الاقليم السوري ومهيبة به وبرجاله لأن يشدوا أزرهم نحو مطاعنة الظلم ومقاتلة الاستعمار وطرح رداء الخمول والاستكانة .

يزعم الفرنسيون والمستعمرون أن هذه البلاد التي فرضوا انتدابهم عليها فرضا مجموعة أمم وعناصر واديان ومذاهب لا تقوم لها قائمة ولا يعتبر لها شأن ان لم تقسم على ما قسموها عليه وما لم تجزأ على ما جزأوها به الى غير ما هنالك من امثال هذه المفتريات مع ان التعدد هو في المذاهب والطوائف لا في العناصر والشعوب وهذا التعدد في المذاهب موجود في جميع بلاد العالم فلو شئنا أن نناقش نفس الفرنسيين بأدل برهان يلقم المتشدقين حجرا ويكون لهم بمثابة الجواب المسكت لأخذنا بيدهم الى بلادهم ولأريناهم بأم اعينهم ماتنطوي عليه من اديان مختلفة ومذاهب متنوعة وقلنا لها ولرجالها لماذا لم تعملي هذا الدواء لدائك العضال فتتقسمي وتتجزئي لكل مذهب من مذاهبك حكما خاصا وتقويما جغرافيا منفردا وادارة واسعة تستقل عن أختها من الادارات والسياسات وانك لو عدت الى الحقيقة لرأيت ان التجانس في الاقليم السوري أعظم بكثير منه لديك وانك لا يحق لك ان تدخلي العناصر الغريبة للاقليم السوري بالغرب عنه فتدمجيه فيه كما فعلت باحضار الارمن

من الاناضول وغيرهم لتزاحمي اهل البلاد وتناوئي قاطني الاقليم السوري بلا حق ولا وجه مشروع .

ما بال الفرنسيون يوعزون الى كل طائفة أمت الاقليم السوري أن تتطلب الانفصال عن الحكم السوري فيزينون للشركس والكرد والارمن ان يطالب بتأسيس وطن قومي له في الاقليم السوري ليوغروا بعضهم على بعض وليتخذوا منهم السلاح لمقاتلة ابناء البلاد به ، وهكذا فقد كان شأن الفرنسيين شأن العدو اللدود المنتقم الموتور الذي لا يترك فرصة الا ويعمل فيها الكيد وينشب فيها المخالب .

نظر الفرنسيون الى انهم لا يستقيم لهم الامر في هذه البلاد ما لم يقضوا على اقتصاديات البلاد من حيث التجارة والصادر والوارد فأعملوا أيديهم بشتى الطرق والوسائل يقللون مما ينتجه الاقليم السوري ويصدره ويكثرون مما يستورده ويستهلكه ، وهذه قاعدة يعرفها رجال الاقتصاد ، انها عبء على البلاد ثقيل يفضي الى الدمار الاقتصادي والافلاس الشعبي ويستنزف مال الشعب بطريقة غير مباشرة وبصورة سريعة غير مشعور بها قط . وشيء آخر عمد الفرنسيون اليه هو تبلبل النقد في الاقليم السوري بصورة تنقص الثروات الثروات فيه من حيث لا يشعر صاحبها فمن يكون على الف ليرة سورية في صندوقه اشتراها بمعدل كل خمسمائة وخمسين قرشا سوريا بعثمانية ذهبية يفقد نصف هذا المبلغ أو ثلثيه عندما تهبط قيمة الليرة السورية فتصبح كل عشر ليرات سورية او اكثر بواحدة عثمانية وهذا مفقد للثروة العامة من غير ان ينتضى سيف او ان تطلق في الفضاء طلقة . ومن ذيول هبوط النقد تدهور قيم الاملاك بحيث يعود ثمن البناء الشامخ الذي صرف لأجله الاموال الطائلة لا يساوي في الكساد المالي نصف ريع ما كلف بناؤه ، ومن ذيوله أيضا قلة الانتاج والمحصول ووقوف دولاب العمل وفقدان الثقة بين الناس فالبلد الذي ليس له نقد ثابت يتعامل به لا يمكن

الاتجار والاصطناع والتزارع فيـه على وجه ثابت . فيخشى التاجر ان يبيع فلا يستطيع ان يشتري بمثل ما باع ويخاف المصرف ان يعطي فلا يتمكن من أن يسترد الثمن الذي أعطى ويرهب المزارع ان يدفن في الارض ما يكون قد استقرض ثمن حبوبه به فلا يكون العامل المقبل منتجا ومفلا فيخسر حتى الحبوب التي بذرها لأنه في فقر مدقع حمله على ان يحاسب حتى على الحبة فيخاف ان يبذرها سدى .

وشدة الضغط والظلم والارهاق تنفر الصانع من البقاء في بلده وتهيب به الى ان يبارحها ويهجرها لغيره ، ومتى فقدت مدينة من المدن ايديها العاملة كتب لها البوار والفناء كما كان شأن الاقليم السوري وعمله .

ويضاف على ذلك ما قام به الفرنسيون من الاعمال الهدامة في الثورات التي سبقت ثورتنا التي نتكلم عنها من هدم قرى ودساكر ومدن أخصها في بلاد العلويين وشمالي الاقليم السوري وحوران وجبل عامل وجبال بعلبك ومما قامت به ايضا من سوق المواشي والاسس والاموال والرياش وبيعها بلا ثمن ومن فرض الغرامات بلا موجب ومن هدم اكثر القرى بالقنابل والطيارات منذ عهد الاحتلال حتى نهاية الثورة التي سنذكرها وبذلك فقد مني الاقليم السوري بخسائر فادحة لا تحصى فكانت ضغثا على ابالة بالنسبة له ، واذا كنا نود أن نأتي بالبرهان الساطع على حقيقة الوضع الذي أهاب بعرب سورية للثورة فلنترك القول الى من كان عاملا قويا لدى الفرنسيين في الجيش ذلك هو المجاهد الحقيقي بطل الثورتين وحامي ثالث الحرمين فوزي القاوقجي ، قال هذا القائد الكبير ما نصه بالحرف : « بارحت دمشق عقيب الاحتلال الفرنسي لأتسلم وظيفة جديدة في حماة وهي قيادة الجيش الوطني ــ المليش ــ فوجدت أعمال الظلم سائدة في تلك الارجاء وأول مشهد رايته هو أن جميع وجهاء المدينة وعلمائها القوا في غياهب الظلم مع اشنع أنواع الاهانات لتأخرهم عن تنفيذ اوامر الكبتين « ميك » المستشار الاداري

وعدد هذا القائد الكريم مشاهد اخرى لها علاقتها بتصرفات الجيش الفرنسي واعمال الموظفين فيه وتقسيم البلاد الى حكومات واستعمال غير الاكفاء للوظائف وفصل ادارة العربان عن الحكومة المحلية وما قام به جيش الجوقة السورية من اعمال وطرح الضرائب على المكلفين بقيم ومقادير باهظة وازكاء نار النعرات الطائفية بين الناس الى ما هنالك من الامور التي نكتفي بالتنويه عنها على ان ما لايمكن السكوت عنه هو ما افاض بشرحه هذا القائد الكبير من مضار المصرف السوري ومقادير الذهب التي نقلها من هذه البلاد الى البلاد الفرنسية قصد منفعته واضرار الاقليم السوري . قال ذلك هذا القائد العظيم جوابا لسؤال الزعيم العربي الدكتور شهبندر اياه عن الاسباب التي حملته على الالتحاق بالثورة رغم ما عرف عنه من مصافاة الفرنسيين له الود ورغم ما نال في زمانهم من مرتبة عليا واوسمة لامعة قلما أعطيت لسواه من الوطنيين .

ليس بدعا ان ينزع مثل هذا الشهم الابي من صدره أوسمة علقتها له أيد نكثت مع بلاده عهدا ونقضت مع أمته ميثاقا وكانت له مثل ما يكون الألد المخاصم نحو خصمه ، ليس بالكثير على مثل هذا القائد العظيم أن يشق عصا الطاعة على من أهان بلاده وامته وآله ووطنه وان يقلب له ظهر المجن وان يوقفه عند حده ويعلمه أنه ان يكون على أمته مع الاجنبي الفرنسي وانه :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

هذا واشياء أخرى مما قام به الضباط الفرنسيون كان من جملة الاسباب التي اهابت بعرب سورية للثورة . وهنالك امور هامة كانت عاملا قويا في اضرام نار الهياج على الفرنسيين تلك ما كانت منهم نحو رجال الاقليم السوري الابرار من قتل وسجن وتعذيب وابعاد خلال عام ١٩٢٢ قمعا للمظاهرات التي كانت تعج بها الالوف من الناس في شوارع المدن اذ ان الفرنسيين الذين عرفوا بالمزاج العصبي لم تهضم صدورهم الضيقة تلك

التظاهرات التي كان يقوم بها رجال لم يؤذوا الفرنسيين بشيء بل كل ما كانوا يعملونه افهامه انهم رواد حق وطلاب حياة ، وبغاة حرية وعيش وهذا المزاج العصبي قد كان السبب الفعال في سوء التفاهم بين سكان الاقليم السوري والفرنسيين . .

المعنا قبلا فيما مر الى الاسباب التي حدت بالاقليم السوري لأن يثور وكانت أسبابا عامة تناولت كل ناحية وتعرضت الى كل جهة ، وهنا نود أن نسرد الاسباب الموجزة القريبة الحديثة التي كانت مدعاة للثوران والغليان.

ان الشعب الدرزي العربي النبيل عرف عنه الاباء والشهامة وعدم الاستكانة والذل فكان على الفرنسيين وقد بسطوا نفوذهم على هذا الشعب في بلادهم المسماة بجبل الدروز أن يكونوا مقدرين هذه المزايا لهذا الشعب العربي الكريم وأن يولوا عليه من يستطيع ان يسوسه بالحكمة والادارة الحسنة والسياسة اللينة المقبولة المعقولة لا أن يبعثوا من عندهم بمن لايحسن السياسة ولا يتقن الادارة ولا يعلم كيف تساس الناس وتدار واذا كان الخسران لاحق بالأخوة الدروز فهو بالفرنسيين الحق وعليهم أعود وأضر

كان على هذا الجبل الاشم امير منهم يدعى سليم الاطرش وكانت أهالي الجبل مذعنة له القيادة والرضوخ ومسلسلة العنان الى أن توفي فحل محله بأمر الفرنسيين رجل يسمى كاربيه كان له من فظيع الاعمال وسيء الخصال ما حدثت عنه التواريخ والكتب وما محا بأفاعيله المستهجنة أعمال قرقوش التي يتحدث الناس عنها بغرابة وعجب .

ابتدأت حياة هذا الاداري الغريب ! في الجبل بتعيينه مستشارا فيه ثم ارتقى أيضا فتأصل وكان ذلك في عهد الجنرال ويغاند مفوض فرانسا الاستعماري الشهير .

سار في بدء سيره كالثعلب والذئب بمحض الود والعطف واللين الى أن تمكن واستأمر فكشر عن أنيابه واعلن الديكتاتورية تقريبا وراح يصدر الاوامر

الى هاتيك البلاد بوجوب الخضوع له والخروج في ركابه كلما بارح البلد الذي يكون فيه الى غيره وبلغت به الخيلاء والكبرياء درجة كان يفرض معها على البلد التي لا تهب للقائد واستقباله بالخيل والرجل ابهظ الغرامات واعظم الجزاءات مثال ذلك ما فعله في قرية غرمان حيث جبى منها مقادير كبيرة باسم الجزاء والغرامة كانت نصيبه وحده من غير مساهم ولا مشارك .

ومن غريب حوادث هذا الرجل أن فقدت للملازم موريل هرة في السويداء « البلد الاول في جبل الدروز » فنادى بزعماء البلد أن يقوموا بواحد من ثلاث : اما ارجاع الهرة سليمة معافاة بدينة وبحالة العكس سجنهم ، اختيار أحد الامرين اما السجن جزاءاً وفداءاً عن الهرة واما فرض غرامة على الاهلين قدرها عشر ليرات عثمانية ذهبا وقد اضطر الزعماء لأن يرضخوا لدفع الغرامة المذكورة ويجبوها من الاهلين ففعلوا وسلموها الى حضرة الحاكم حسبما اراد ليضمها الى مكتبه الضخم فيحشوها في جيبه الخاص .

وحادث آخر لا يقل غرابة عن حادث الهرة هو ان مصباحا للبلدية في احد الاسواق قد اتلف بسبب ما أو سرق من قبل مجهول ما فكان العقاب على ذلك فرض غرامة قدرها عشر ليرات عثمانية ذهبا .

وحدث أن سدد العريف الجندي دي بوشل على مدير العدلية في جبل الدروز محمد عز الدين الحلبي مسدسه لخصام شجر بينهما فأخطأه ولم يعاقب على فعلته بشيء رغم وجوده بالجرم المشهود .

واستاء هذا الحاكم مرة من السيد فهد الاطرش قائمقام صلخد فانهال عليه ضربا بالسوط مرة وبركل الرجلين مرة اخرى على مرأى ومسمع من جم غفير من الناس .

وكان هذا الحاكم « العادل !؟ » يأخذ أيا كان من متنفذي جبل الدروز مهما سمت منزلته وعلت مكانته بوشاية أحد الوشاة الى السجن دون أية محاكمة او اي استجواب وكان ينفذ فيه الاعمال الشاقة ، من تكسير حصى

وتعبيد طرق كما فعل بالسيد سليمان نصار شيخ قرية سالة وعين اعيانها وكما فعل بالشيخ صالح طربيه الفقيه الورع الصالح في الجبل .

وما أن نقم على آل الاطرش في الجبل وحاول سحق نفوذهم حتى اخذ بتعذيب وسجن من عاملهم ولو برد التحية والسلام وكثيرا ما كان يهجر السجناء الذين القوا في غياهب السجون من اجل تحية احد من آل الاطرش بلا طعام ولا ماء وان كان الماء فالمالح منه فقط .

ومن النوادر الغريبة التي تروى عن هذا الحاكم (المنصف !؟) انه كان يزج في السجن كل من سعل او تنحنح وهو مار في الطريق اذ انه نمي اليه من احد الجواسيس ان من يقوم بذلك من الدرزيين العرب يكون منه عبارة عن احتقار وازدراء يجهلها غير الدرزي يقوم بها نحو من يراه امامه .

اجمع الرواة على حجز هذا الحاكم للحرية الشخصية بصورة لا مثيل لها ويضاف على ذلك ما كان متصفا به من الانغماس في اللذة الشهوانية التي كانت به كالمرض البهيمي بحيث لا يسمح الادب ولا الفضيلة أن نعدد الحوادث التي ارتكبها هذا الرجل بهذا الموضوع . فجميع هذه الخطيئات الادارية التي قام بتمثيل ادوارها هذا الحاكم استفزت شعور الشعب العربي الدرزي الابي استفزازا طبيعيا غير غريب ، ونكتفي بأن نجعل هذه الحوادث الغريبة خاتمة التوطئة والتمهيد التي قدمناها بين يدي المطالع الكريم .

لمحة عما كان للاقليم السوري بعد فاجعة ميسلون عام ١٩٢٠ حتى الثورة السورية العربية الكبرى عام ١٩٢٥ .

لم يكن الشعب السوري العربي مفرقا ولا مغاليا عندما تشاءم من الانتداب الفرنسي وخشي على حريته واستقلاله وكان على حق فيما بذل من مهج وما سفك من دماء ذودا عن وطنه وذبا عن عرضه ودفاعا عن حياة صحيحة وعيش أكيد طالما فداهما بالعزيز الغالي والنفيس .

لقد كان العهد الفرنسي بالحقيقة من أشأم العهود التي مرت بهذه

البلاد وقد كان الشعب العربي في سورية على حق فيما خافه على بلاده من رجال الفرنسيين .

وبديهي ان يشدد المستعمر الخناق على رجال سورية فيحجز حرية القول وحرية الاجتماع وحرية الصحافة وان يعمد الى اغلاق المعاهد الوطنية وان يبث روح التبشير التي طردها من بلاده وان يفسد عقائد عرب سورية وان يشجع الارساليات الاجنبية ومدارسها لتكون لهم النواة الصالحة في بذر بذور السم الاجتماعي في روع الطلاب لافساد التربية الوطنية والاخلاق ولكي تكون معوانا لهم على الانحدار الى نفوس النشء الجديد فيبدلون الاعراف والعادات والتقاليد عن أهون السبل واقرب الطرق .

ومن البداهة ان تضطهد الرجال لغير ما ذنب ولا اثم فيودعون السجون ويساقون الى النفي والتشريد كأنهم مجرمون فتاكون يخشى على الانسانية منهم فضربوا بصنيعهم هذا بحقوق الانسان وبالقوانين البشرية وبمباديء الرئيس ويلسن عرض الحائط حتى انهم لم يتقيدوا بالقواعد التي حددها لهم نفس صك الانتداب الذين دخلوا هذه البلاد بموجبه ولأجل تدريب الشعب على الاستقلال والوعي السياسي والحكم الذاتي .

ونرى من الفائدة ان نسرد هنا الاتفاق الفرنسي الانكليزي على الحدود بين الاقليم السوري ولبنان وفلسطين والعراق :

أنابت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية الوزيرين المفوضين الواضعين اسميهما ادناه ليحلا جميع الامور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق ولفرنسا على سورية ولبنان في المجلس الاعلى الذي اجتمع في سان ريمو وقد اتفقتا على الشروط الآتية :

١ ــ تعينت حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسوي اي سورية

ولبنان وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني أي فلسطين والعـراق، كمـا يلـي :

من الشرق نهر الفرات وجزيرة ابن عمر الى حدود ولايتي ديـار بكـر والموصل القديمة ومن الجنوب الشرقي حدود هاتين الولايتين القديمة الـى غاية رومالين كوي ومن هنـا خط يمتد من المنطقة التي يشملها الانتـداب الفرنسوي فيترك فيها جميع الاراضي الواقعة في حوض نهر الخابور الغربي. ويمر باستقامة نحو الفرات فيجتازه بالبوكمال ويمتد باستقامة الى امتـار فجنوب جبل الدروز ومن هنا يمتد الى جنـوب نصيب الواقعـة على خط حديد الحجاز فسمخ الواقعة على بحيرة طبرية سائرا الى جنوب خط السكة الحديدية وموازيا له . وتبقى درعا وما حولهـا في المنطقـة التي يشملهـا الانتداب الفرنسوي ويبقى ذلـك الخط في وادي اليرموك ضمن المنطقـة الفرنسوية ويسير بصورة ملاصقة وموازية لخط السكة الحديدية كي يصبح في الامكان ان يمد في وادي اليرمـوك سكة حديديـة واقعة في الاراضـي المشمولة بالانتداب البريطاني وستوضع التخـوم في صمخ بصورة يمـكن معها للفريقين المتعاقدين الساميين أن يبنيا مرفـأ ومحطة للسكة الحديدية ليتمكنا من استعمال بحيرية طبرية بحريا .

ومن الغرب يسير الخط من صمخ مارا داخل بحيرة طبرية فأول وادي المسعدية حيث يسير مع مجرى هذا النهر في وادي جرابا ، الى نبعـه ، ومن هنا يتصل بطريق القنيطرة وبانياس بالمكـان المعروف بالسكيك فيسير مع الطريق التي تبقى في المنطقة الفرنسوية لغاية بانياس ومن هنا يسـير نحو الغرب حتى يصل الى المطلة وتبقى المطلة في المنطقة البريطانية .

ويضع لهذا الجزء من الحدود تفصيلات دقيقـة يمكن معها تسهيـل المواصلات بين جميع اطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي كصـور وصيدا والمناطق الواقعة في الغرب والى الشرق من بانياس .

وتفصل التخوم المطلة بمفرق الماء في وادي الاردن وحوض نهر اللبطاني وتسير جنوبا مع وادي الاردن فوادي فرعم ووادي كركره اللذين يبقيان في المنطقة البريطانية فوادي اليلاونة ووادي العيون والزرقاء التي تبقى في المنطقة الفرنسوية ويصل الحد الى شاطيء البحر المتوسط في ميناء رأس الناقورة وتظل في المنطقة الفرنسوية .

٢ ـ تؤلف بعد التوقيع على هذه المعاهدة بثلاثة اشهر بعثة لتدرس الحدود بين المناطق المشمولة بالانتداب الفرنسي والمناطق المشمولة بالانتداب البريطاني التي بيناها في المادة الاولى وتتألف هذه البعثة من اربعة اعضاء تعين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية اثنين منهم وتعين الاثنين الآخرين الحكومة المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوي والحكومة المحلية المشمولة بالانتداب البريطاني بعد مشورة الحكومتين المنتدبتين .

اذا وقع خلاف بين اعضاء هذه البعثة يعرض على مجلس جمعية الامم ويكون قراره قطعيا .

وتقدم تقارير البعثة النهائية عن الحدود الثابتة التي عينت اخيرا وتربط معها المصورات الضرورية الموقع عليها من قبل اعضاء البعثة . وتوضع ثلاث نسخ من هذه التقارير والمصورات تحفظ النسخة الواحدة بين سجلات مجلس جمعية الامم وتحفظ النسختين الاخرين الحكومتان المنتدبتان .

٣ ـ توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية على ترشيح لجنة خاصة مهمتها درس الخطط التمهيدية التي تعينها الحكومة الفرنسوية المنتدبة لاجل مصلحة الري في البلاد المشمولة بانتدابها لئلا يقلل ابرازها لحيز الفعل ماء دجلة والفرات في الموضع الذي يدخلان به المنطقة العراقية المشمولة بالانتداب البريطاني .

٤ ـ توافق الحكومة البريطانية بالنظر الى مكانة جزيرة قبرص من الوجهة الجغرافية والعسكرية بالنسبة الى خليج الاسكندرونة على ان لاتفاوض

احدا بخصوص التنازل عنها او تسليمه اياها قبلما توافق فرنسا على ذلك .

٥ - توافق الحكومة الفرنسوية على وضع ترتيب حر يبين كيفية استعمال خط السكة الحديدية الواقع بين طبرية ونصيب استعمالا مشتركا.

تضمن سير هذا الترتيب وانتظامه ادارتا السكة الحديدية المؤلفتان في منطقتي الانتداب البريطاني والفرنسوي بأسرع ما يمكن اي بعد تنفيذ الانتداب على سورية وفلسطين وتسمح هذه الاتفاقية بصورة خاصة لادارة السكة الحديدية البريطانية ان تسير قطاراتها ذهابا وايابا بين هاتين المنطقتين وفقا لمصالحها . وتنقل البضائع التجارية الى المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسوي بواسطتها ، وتعين هذه الاتفاقية الشروط المالية والادارية والفنية اللازمة لسير القطارات البريطانية ، اما اذا لم يتم الاتفاق خلال ثلاثة اشهر من تنفيذ الانتداب بين الادارتين المذكورتين اعلاه فستعين جمعية الامم حكما يفصل الخلاف وعندئذ تنفذ شروط هذه الاتفاقية التي حازت رضا الطرفين .

يعمل بموجب هذه الاتفاقية الى اجل غير مسمى وتصحح احيانا بمقتضى الاحوال .

ب - يمكن للحكومة البريطانية ان تمد خطا من الانابيب الحديدية بجانب السكة الحديدية ولها الحق في نقل جنودها على هذه السكة الحديدية دائما.

ج - توافق الحكومة الفرنسوية على تعيين بعثة خاصة تدرس الاراضي وبعد درسها اياها تعين الحدود في وادي اليرموك حتى نصيب بطريقة فنية يمكن معها بناء الخط الحديدي البريطاني وخط الانابيب الموصل بين فلسطين وبين سكة الحجاز ووادي الفرات في المنطقة المشمولة بالانتداب البريطاني . وتبقى السكة الحديدية الحالية المارة بوادي اليرموك داخل الاراضي المشمولة بالانتداب الفرنسوي ، ويجب على بريطانيا العظمى احقاق حقها هذا في مدة لا تتجاوز عشر سنوات .

د - تتألف البعثة التي ذكرناها اعلاه من عضو بريطاني وعضو فرنسوي

ويضاف اليهما نواب عن الحكومات المحلية بصفة مستشارين فنيين هذا ان رات الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية لزوما لذلك .

هـ ــ اذا اقتضى الامر لاسباب فنية ان يمر خط السكة الحديدية ــ البريطانية ببعض الاماكن المشمولة بالانتداب الفرنسوي توافق الحكومة الفرنسوية على مرور هذا الخط بتلك المناطق وتقدم الحكومة البريطانية او لعملائها المساعدات اللازمة .

و ــ اذا شاءت الحكومة البريطانية العمل بموجب الحق الممنوح لها بالفقرة الثالثة من هذه المادة اي ان تمد سكة حديدية في وادي اليرموك تنفذ الحكومة الفرنسوية الشروط التي اشترطتها على نفسها بالفقرة الاولى والثانية من هذه المادة غب مرور ثلاثة اشهر من انشاء السكة .

ز ــ توافق الحكومة الفرنسوية على اتخاذ التدابيرالفعالة لحمل الحكومات المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوي لتصادق على هذه الحقوق الممنوحة للحكومة البريطانية .

٦ ــ تم الاتفاق على هذه الشروط التي تسهل اعمال الحكومة البريطانية مقابل عقد الاتفاقية الفرنسوية البريطانية بخصوص الزيت في سان ريمو .

٧ ــ لا تضع الحكومةالبريطانية ولا الحكومة الفرنسوية موانع في منطقتي انتدابهما لجمع الموظفين اللازمين لادارة خط السكة الحجازية او لاستخدامهم تمنح جميع التسهيلات الضرورية لمرور جميع الموظفين المستخدمين في الخط الحديدي الحجازي بمنطقتي الانتداب البريطاني والفرنسوي لئلا تتأخر اعمال هذا الخط .

توافق الحكومة البريطانيةوالحكومية الفرنسوية عند اللزوم على ان تعقدا اتفاقية مع الحكومات المحلية خلاصتها استثناء جميع مهمات هذا الخط ومعداته من الرسوم الجمركية عندما تمر باحدى مناطق الانتداب .

٨ ــ يعين خبراء واختصاصيون من قبل حكومة سورية وفلسطين غب

بمرور ستة اشهر من امضاء هـذه المعاهدة مهمتهم فحص ميـاه نهر الاردن الاعلى ونهر اليرموك وتوابعهما لاستخدامهما لاجـل الري ولاجـل توليـد الكهرباء وتعيين المقدار اللازم للاراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي .

تزود الحكومة الفرنسوية الاخصائيين الذين تعينهم لدرس هذا المشروع بالتعليمات اللازمة لمنح فلسطين الماء الزائد خدمة لمنافعها العامة .

اذا لم يحصل الاتفاق المطلوب بنهاية هذا الدرس تعرض المسـألة على الحكومتين البريطانية والفرنسية لتدرساهـا وتقررا فيهـا قرارا نهائيا .

تشترك ادارة فلسطين بقدر انتفاعها من هذه الاعمال في دفع نفقات بنـاء الترع والخلجان والسدود والخزانات والاحواض والاقبية وخطوط الانابيب الحديدية الخ .. وتشترك في جميـع الاعمال التي من شأنها انبات الحراج وتنشيط تربيتها .

٩ ــ توافق الحكومتان البريطانية والفرنسية عملا بنص المادة « ١٥ » والمادة « ١٦ » من نظام الانتداب الفلسطيني وعملا بنص المادة الثامنة والمادة العاشرة من نظام الانتداب العراقي وعملا بنص المادة الثامنة من نظام الانتداب اللبناني السوري وعملا ايضا بموجب الحق العـام المعطى من قبل الحكومات الوطنية للمدارس المحلية بخصوص التربية والتعليم على السماح للمدارس التي تخص اناسا من التبعة الفرنسية او من التبعة البريطانية على المثابرة في ادارة هذه المدارس في منطقتي انتدابهما ، ويسمح بتعليم اللغـة الفرنسية واللغة الانكليزية في هذه المدارس .

لا تعني هذه المادة بحال من الاحوال منح رعايا احدى الدولتين المشار اليهما حق فتح مدارس جديدة في الوقت الحاضر في منطقة انتداب الدولة الاخرى .

هاردنج ج . بيج

لقد جعلت الدولة الفرنسية من هذه الولايـة الصغيرة « سورية » على

عهد العثمانيين والتي كانت تترامى اطرافها كما ذكرنا دول القت عليها الاسماء الضخمة والالقاب الفخمة والملاكات الواسعة فجعلت منها دولة لنبان الكبير « جمهورية لبنان اليوم » من بعد ان الحقت فيها اقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا فتألفت هذه الدولة من لبنان القديم ولواء بيروت الذي هو عبارة عن اقضية صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس الشام مع قضاء عكار والاقضية الشرقية وهي بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع وجعلوا العاصمة بيروت وقد اعلن الجنرال غورو بقصر الحرش استقلال لبنان الكبير تحت حماية فرنسا في اول ايلول ١٩٢٠ فاحتجت الحكومة السورية حينئذ على سلخ الاقضية الاربعة والحاقها بلبنان من غير مسوغ شرعي .

ودولة حلب : بقرار اعلنه الجنرال غورو في ٨ ايلول سنة ١٩٢٠ وجعل منها دولة مستقلة بهذا الاسم رغم ضآلة حدودها وقلة موازنتها .

ودولة العلويين : التي اصدر المفوض السامي قرارا بتأليفها في ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ من لواء اللاذقية القديم بما فيه اقضية صهيون وجبلة وبانياس وقضاء حصن الاكراد وصافيتا من لواء طرابلس الشام القديم وناحية طرطوس وقضاء مصياف من اعمال حماه .

ودولة دمشق : التي أصدر نفس المفوض في ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٠ قراره بجعلها دولة مستقلة وبابدال الوزارات بمديريات عامة وجعل حاكم لهذه الدولة بدلا من رئيس وزراء ففقدت ما تمتاز به هذه المدينة من المميزات الطبيعية واصبحت كغيرها من العواصم التي أحدثت والتي هي أقل شأنا منها بكثير .

ودولة جبل الدروز : التي اعلنت السلطة الفرنسية بتاريخ ٢٠ نيسان سنة ١٩٢١ بلسان الجنرال غورو انشاء الحكومة الجديدة فيها تحت امرة الامير سليم الاطرش وذلك بعد مفاوضات جرت فيما بينها وبين الشعب

الدرزي العربي على اثر المؤتمر الذي عقده الدرزيون في السويداء في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٢٠ فقرروا فيه ما يلي وقدموا هذه المقررات الى السلطة لتنفيذها :

١ ــ حكومة جبل الدروز هي حكومة سورية مستقلة استقلالا داخليا .

٢ ــ تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنسي بشكل لا يمس استقلالها

٣ ــ تسمى هذه الحكومة « مشيخة جبل حوران » ويدخل ضمنها كامل وعرتي اللجه والصفة وتمتد الى حدود الدير علي من الجهة الشمالية والى حدود الازرق من الجهة الجنوبية .

٤ ــ يرأس هذه الحكومة حاكم اهلي ، ينتخبه الاهالي ، وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس استشاري كبير ينتخب اعضاؤه وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ايضا .

٥ ــ يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي ولا يقل اعضاؤه عن الثلاثين عضوا .

٦ ــ تحديد وتعيين صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه اهل البلاد بجمعية عمومية .

٧ ــ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج اليه من المساعدة المالية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة .

٨ ــ لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بأمور الجبل الداخلية ، ولاتجنيد أهالي جبل حوران ولا نزع الاسلحة منهم ضمن المنطقة الفرنسية .

٩ ــ يعهد بأمور الجبل السياسية الخارجية لمأموري الحكومة المنتدبة السياسيين ولا يكون للحكومة الوطنية مأمورون سياسيون الا في دمشق وفلسطين وجبل لبنان .

١٠ ـ واردات هذه الحكومة تكون اولا مما يصيبها من حصة الجمارك السورية والفلسطينية . وثانيا مما يصيبها من واردات ممالح اتري وكاف وثالثا من دخل املاك الدولة التي ستدخل ضمن حدود حكومة الجبل ورابعا مما يطرحه المجلس الملي من الاموال عند الاحتياج المبرم على انه لا يحق لهذا المجلس أن يقرر استيفاء ضريبة الاعشار من حاصلات الاراضي انما الاموال التي يجوز له ان يقرر استيفاءها من الاراضي يجب ان تكون مقطوعة ومصدقا عليها من عموم اهل البلاد بجمعية عامة .

١١ ـ اذا خالف رئيس الجبل منافع الجبل العامة ومنافعه الحيوية واخل بالقوانين الاساسية الموضوعة وقرر المجلس تنحيته واستحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك فحينئذ ينحى وينتخب خلافه .

١٢ ـ ينصب مشايخ العقل مدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة التدخل بوظائفهم الدينية .

واليك نص الاتفاق الذي جرى فيما بين الشعب الدرزي العربي والسلطة يوم ٤ مارس سنة ١٩٢١ :

١ ـ تنشأ في جبل الدروز وحوران حكومة وطنية مستقلة استقلالا اداريا واسعا تحت الانتداب الفرنسي وتعين حدود هذه الحكومة لجنة ثم تقرها الدولة المنتدبة .

٢ ـ تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من ابناء البلاد ويكون طرز ادارتها منطبقا على العوائد المحلية وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين فرنسيين يقيمون عند الحكومة الوطنية لتدريبها على الامور القانونية والادارية ويرجعون الى رئيس البعثة بدمشق . اما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن ريثما يتفق عليه مع المندوب السامي .

٣ ـ يراس هـذه الحكومة حـاكم اهلي ينتخب بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة اربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد ولا يصح انتخابه نهائيا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة .

٤ ـ يساعد الحاكم في مهامه مجلسان يدعى الاول مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات ممثلوا الامة الشرعيون وفقا لقانون خاص يوضع فيما بعد ويلتئم هذا المجلس مرة في السنة لتدقيق ميزانية الحكومة والموافقة على الحسابات الماضية ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامة كالاشغال العمومية والصحة والاسعاف والمعارف الخ ... اما اللجنة الادارية فيكون اجتماعها بصورة دائمة وتكون مؤلفة من موظفين يعينهم الحاكم ومندوبين ينتخبهم مجلس الحكومة .

٥ ـ ينظم قانون خاص تعين به وظائف الحاكم وصلاحيته وصلاحية مجلس الحكومة واللجنة الادارية وكيفية تأليفهما ويعهد بتنظيم هذا القانون الى لجنة خاصة ولا يصبح نافذا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه .

٦ ـ ان الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم لحكومة جبل الدروز المساعدة الفنية والمالية والاقتصادية والعسكرية التي قد تحتاج اليها .

٧ ـ تتعهد الحكومة المنتدبة باستثناء سكان جبل الدروز من الخدمة العسكرية الاجبارية ، اما قوات الدولة والشرطة اللازمة لحفظ النظام العمومي فيصير تشكيلها بطريقة التطوع ويسمح لسكان الجبل بابقاء الاسلحة بين ايديهم داخل حدود الحكومة الدرزية . اما في خارج هذه الحدود فيجب على السكان المذكورين الخضوع للاحكام الموضوعة بخصوص حمل السلاح .

٨ ـ ان الحكومة المنتدبة هي مولجة وحدها في مصالح الحكومة الدرزية وتمثيلها في الخارج اما في داخل المنطقة الفرنسية فتقبل الحكومة المنتدبة معتمدين لحكومة الجبل لاجل المصالح الاقتصادية .

٩ ـ تتعهد الحكومة المنتدبة بعدم اجبار حكومة جبل الدروز على الدخول في الوحدة المحتمل حصولها فيما بعد بين الاقليم السوري الا فيما يختص بالمسائل الاقتصادية العائدة منفعتها على الحكومة الدرزية وسائر مقاطعات الأقليم السوري .

١٠ ـ مصادر الايراد لميزانية جبل الدروز هي الآتيــة :

١ ـ الضرائب والرسوم المختلفة التي يفرضها مجلس الحكومة .

٢ ـ الرسوم التـي تفرض على المناجم المعدنية المحتمل اكتشافها فـي أراضي هذه الحكومة .

٣ ـ واردات أقسام الاراضي السنية العائدة للحكومة العثمانية والمحتمل ادخالها ضمن منطقة جبل الدروز الجديدة ولا يصير دفع اعشار في هــذه الحكومــــة .

١١ ـ لا تصبح ميزانية جبل الدروز نافــذة الا بعد مصادقــة المندوب السامي للجمهورية الفرنسية في الاقليم السوري عليها .

١٢ ـ لا تقام حواجز جمركية بين حكومة الجبل وحكومة مقاطعة دمشق انما يحق لحكومة جبل الدروز أن تأخذ حصتها من واردات الجمارك السورية فيما لو ترتبت حصص لباقي مقاطعات الاقليم السوري .

١٣ ـ يمكن لمجلس الحكومة ان يطلب من الدولة المنتدبة في الاحـــوال المذكورة في القانون الخاص المتعلق بصلاحية الحاكم ووظائفه اقالة الحاكـم وتتخذ الحكومة المنتدبة قرارا بهذا الشأن بعد استشارة رؤساء الدين .

١٤ — ان الحكومة المنتدبة ومجلس حكومة الجبل واللجنة الادارية لا تتدخل على الاطلاق في الامور الدينية ولا يجوز للسلطة المدنية عزل او تنحية رجال الدين .

١٥ — تتعهد الحكومة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بالمحافظة على حقوق الاقليات داخل حكومة الجبل هذه .

« فضل الله هنيدي . نسيب الاطرش . سليم الاطرش . توفيق ابو عساف . عقلة القطامي . قفطان عزام . فخر الدين الشعراني . مسعود غانم . جبر شلفين . نايف ابو فخر ، ضمري شلفين . دخل الله ابو فخر نسيب الحسيني . حسين ابو فخر .

بالاصالة والنيابة عن المشايخ الروحانيين اقر واعترف بذلك .

محمود ابو فخر — والرئيس الروحي

مصدق : روبيردي كيه

المفوض السامي في سورية وكليكيا بتاريخ ٤ مارس سنة **١٩٢١**

* * *

ولواء الاسكندرون الذي ظل حتى صيف ١٩٢٤ جزءاً من دولة حلب فأصدر المفوض السامي قرارا قال فيه :

« يتمتع لواء اسكندرونة مع بقاءه تابعا للدولة السورية بنظام اداري ومالي خاص وتعتبر اللغة التركية لغة رسمية كالعربية والفرنسية ويعين متصرف لواء اسكندرون من قبل رئيس الدولة السورية بناء على اقتراح مندوب المفوض ويكون له كل السلطة المخولة لمتصرفي الالوية وله علاوة على ذلك النظر في شؤون المعارف والاشغال العامة » .

على ان الانتخابات التي جرت على قاعدة اللواء في عهد المسيو دي جوفنيل

كما سياتي تفصيله جعلت هذا اللواء منفصلا بصورة ادارية عن سورية ومربوط بالمفوضية العليا راسا مع توسيع سلطة مندوب المفوض السامي فيه ثم انهم ما عتموا ان عادوا عن ذلك بتاريخ ١٢ حزيران سنة ١٩٢٦ فقرروا الغاء استقلاله وادخلوه على قاعدة اللامركزية للبلاد السورية على ان يكون التعيين راجعا الى المرجع المختص على شريطة التفاهم مع المفوض السامي .

ويتألف هذا اللواء من مدن اسكندرونة وانطاكية وبيلان وقرقخان وهو متاخم لتركيا .

وفي الرابع عشر من شهر مايس سنة ١٩٣٠ اذاع المفوض السامي مجموعة الدساتير التي وضعها للدولة السورية كجمهورية دمشق وجمهورية لبنان وحكومة جبل الدروز وحكومة العلويين ولواء الاسكندرون وبعث بها الى جامعة الامم عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية فأقرتها .

ان هذه التجزئة المريرة التي أقدم الفرنسيون عليها قد قوبلت من عرب سورية بأشد الاستياء والاستنكار وقد ادرك الشعب ان ما أقدم على ذلك المستعمر الا لارساخ أقدامه في هذه البلاد ولانهاكه قواها بالموازنات الفضفاضة وبالاثواب الحكومية الواسعة التي القاها على اجسام هذه الدول النحيلة الهزيلة لكي يرهق كاهلها بما لا تطيق .

ادرك الجنرال غورو عقم وفساد ما صنع فشاء ان يتلافى ما فعل بتعديل مشروع التجزئة تعديلا بسيطا ظنا منه انه يسترضي الشعب به نوعا ما فأصدر بتاريخ ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٢ قرارا بانشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب والعلويين مواده ما يأتي :

١ ــ انه قد انشيء اتحاد بين الدول السورية المؤلفة من دولة حلب ودولة دمشق واراضي العلويين المستقلة .

٢ ــ ان من اراد الانضمام الى هذا الاتحاد من الدول او الاراضي الاخرى الواقعة تحت الانتداب الفرنسي يجب عليه قبول الشروط المدرجة في هذا القرار ثم يتخذ رئيس الاتحاد قرارا يصادق به على هذا الانضمام ويحدد عدد المثلين الذين تنتدبهم عنها لدى مجلس الاتحاد الدولي التي قبل انضمامها .

٣ ــ ان الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي داخلة كانت في الاتحاد ام لم تكن يكون لها عين النظام فيما يتعلق بالنقود والمعاملات الجمركية ولا يمكن ان يفصل بينها بأدنى حاجز جمركي .

٤ ــ ان السلطة التنفيذية تخول لرئيس الاتحاد الذي يمكنه تكليف حكام الدول بالنيابة عنه تنفيذ قرارات المجلس الاتحادي وان هذا الرئيس ينتخب من جانب المجلس بالاكثرية المطلقة ويكون انتخابه لسنة كاملة .

٥ ــ يساعد رئيس الاتحاد في مهام وظيفته مديرون من الدول المتحدة ومجلس الاتحاد وهذه المديريات المشتركة بين الدول تكون بصورة موقتة كما يأتي : مدير المالية ومدير الاشغال العامة ومدير العدلية ويرشد هؤلاء المديرين مستشارون افرنسيون .

٦ ــ ان قرارات رئيس الاتحاد لا تنفذ الا بعد مصادقة المفوض السامي عليها :

٧ ــ يؤلف المجلس الاتحادي من خمس ممثلين لدولة دمشق وخمسة لدولة حلب وخمسة لبلاد العلويين وينتخب هؤلاء المثلون لمدة سنة من قبل مجالس الحكومات حينما تؤلف على الطريقة الانتخابية على انه لا يجب ضرورة أن يكون اعضاء المجلس الاتحادي من اعضاء مجلس الحكومة الذين

ينوبون عنهــا بل يجري تعيينــه موقتا من قبل حكام الدول .

٨ ــ يلتئم المجلس الاتحادي بالمناوبة تارة في دمشق وتارة في حلب في كل منهما سنة واحدة وتؤلف دائرة تمثل فيها كل بعثــة مؤلفــة من رئيس أول ورئيسين ثانيين » .

وفي ٢٨ من الشهر المذكور من العام الملمــع اليه اجتمع اعضاء المجلس الاتحادي في حلب وكان من جملة الحضور الجنرال غورو من اعلن انشــاء هــذا الاتحاد رسميا ومن قال في مستهل خطابه ما معنــاه : « أنا أعلن ان هذا الاتحاد لم يقابله الاهالي في كل مكان بعــواطف واحــدة غير انــه من المحتمل ان لا يكون القرار الذي اوجده قد اعرب على وجه الصحة او نقــل بالضبط ، لذلك اراني مضطرا لأن أتلوه بنفسي عليكم » وبالفعل فقد تــلاه وهنا لا نرى بدا اتماما للفائدة من ان نأتي على ذكر الانتداب وصكه وكيــف كان اقراره على هذه البلاد .

اقر مجلس عصبة الامم في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٢ صك الانتداب على سورية الذي وضعته الحكومة الفرنسية لسورية ولبنان بنــاء على قرار مجلس الحلفاء الاعلى الذي صدر في سان ريمو بتاريخ ٢١ نيسان ســنة ١٩٢٠ بانتداب فرنسا على سورية ولبنان وها هو نص الصك :

« مجلس جمعية الامم :

لما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على أن أراضي سورية ولبنان التي كانت فيما مضى جزءاً من السلطنــة العثمانية يعهد بها ضمن حــدود تعينها الدول المشار اليهــا الى دولة منتدبة موكول اليها نصح الاهالي ومعاونتهــم وارشادهم في ادارتهم وفقا لنص الفقرة الرابعة من المادة « ٢٢ » مــن عهد جمعيــة الامــم .

ولما كانت دول الخلفاء الرئيسية قد قررت ان الانتداب علــى البــلاد المذكورة يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسية التي قبلته .

ولما كان صك هذا الانتداب المبين في المواد المذكورة فيما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الامم .

ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد باجراء هذا الانتداب باسم جمعية الامم طبقا للمواد المذكورة .

ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفة الذكر « الفقرة الثانية » تقضي بأنه لما كانت درجة السلطة والمراقبة والادارة التي تجريها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقا بين اعضاء جمعية الامم فالمجلس هو الذي ينظم ذلك .

يضع نصوص الانتداب كما يلي موافقا عليه :

١ ـ تضع الحكومة المنتدبة في برهة ثلاث سنوات اعتبارا من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب دستورا نظاميا لسورية ولبنان .

يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنين في هذه البلاد ومصالحهم وستشرع الحكومة المنتدبة في ايجاد الوسائل التي من شأنها ان تسهل تقدم سورية ولبنان ورقيهما كحكومتين مستقلتين وتسيرهما بموجب روح هذا الصك الى ان يتم الشروع في تنفيذ ذاك الدستور .

ويجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي قدر ما تسمح به الاحوال .

٢ ـ يمكن للحكومة المنتدبة أن تبقي جنودها في البلاد للدفاع عنها وقد خولت حق تنظيم جند من المليش المحلي قصد المحافظة على الامن والدفاع عن البلاد كما تقتضيه الاحوال وذلك حتى تنفيذ الدستور واعادة الامن الى نصابه وتنظيم جنود المليش المحلي من سكان البلاد فقط .

ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالادارات المحلية تحت اشراف الدولة المنتدبة ولا يجوز استخدامها لاغراض اخرى سوى الاغراض المعينة فيما تقدم الا بعد موافقة الدولة المنتدبة .

لا مانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك في نفقات القوات التي تضعها الدولة المنتدبة في البلاد .

يحق للدولة المنتدبة في كل حين ان تستعمل الموانيء والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة في سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها .

٣ – يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية ولها حق اصدار البراءات الى القناصل الذين يعينون من قبل الدول الاجنبية ، وتشمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين واللبنانيين الذين يعيشون خارج هذه البلاد .

٤ – الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن اي جزء من اجزاء سورية ولبنان وعن عدم تأجيره أو وضعه تحت تسلط دولة اجنبية .

٥ – ان اعفاء الاجانب من الامور الواجبة وتمتعهم بالامتيازات الاجنبية وبقضاء القنصلاتو وحمايته التي كانوا يتمتعون بها ايام الدولة العثمانية لا تطبق في سورية ولبنان ، غير ان محاكم القنصلاتو الاجنبية تداوم على القيام بوظيفتها الى ان يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه بالمادة السادسة.

ان الدول التي كان اتباعها يتمتعون بالامتيازات الاجنبية المبينة اعلاه لأول اغسطوس سنة ١٩١٤ والتي لم تتنازل عن هذه الامتيازات او توافق على عدم تطبيقها ، لاجل محدود ستمنح ثانية جميع الامتيازات او بعضها بعد انقضاء أمد الانتداب بالصورة التي يتم عليها الاتفاق بين الدول ذات الشأن .

٦ — تضع الحكومة المنتدبة في سورية ولبنان نظاما قضائيا يصون حقوق الوطنيين والاجانب على السواء .

يحافظ على احوال الناس الشخصية وعلى مصالحهم الدينية وخصوصا ادارة الاوقاف التي تدار وفقا للشريعة ولادارة الوقف .

٧ — تكون معاهدات تسليم الرعايا الاجانب المبرمة بين الدولة المنتدبة وبين سائر الدول الاجنبية مرعية في سورية ولبنان الى ان يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن .

٨ — تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية المصير وحرية القيام في جميع شعائر العبادة التي لا تخل بالامن ولا بالآداب العامة ولا يكون تمييز من أي نوع بين سكان سورية ولبنان بسبب الجنس او الدين او اللغة .

تنشط الحكومة المنتدبة التعليم العام ويكون هذا التعليم بلغة البلاد المحلية ، لا تحرم جميع الطوائف حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتها متى كان ذلك مطابقا لقانون التعليم العام الذي تعينه الحكومة .

٩ — تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل في اعمال المجالس الادارية وفي ادارة الطوائف الدينية وفي ادارة المعابد المقدسة التي تخص احدى الطوائف وقد تكفلت بالمحافظة على هذه المعابد .

١٠ — تحدد سلطة الدولة المنتدبة في مراقبة البعثات الدينية في سورية ولبنان لاجل محافظتهم على الامن وعلى الحكم بطريقة مرضية ، ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعي هذه البعثات بصورة من الصور ولا تقيد اعضاءها بقيود بسبب قوميتهم ما لم تخرج اعمالهم عن اصول الدين .

يمكن لهذه البعثات الدينية ان تشتغل بأمور الاسعاف والتعليم تحت مراقبة الدوة المنتدبة او الحكومة المحلية .

١١ — يجب على الحكومة المنتدبة ان لاتميز بالمعاملة في سورية ولبنان بين اتباعها وبين اتباع غيرها من الدول الداخلة في عضوية جمعية الامم

وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها ، وان لاتميز ايضا بين اتباع اي دولة اجنبية وبين اتباعها في الامور التي لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي الحرف والمهن او في معاملة السفن البحرية او الوسائط الهوائية وكذلك الامر يجب ان لا يكون تمييز في سورية ولبنان بين البضائع التي يكون مصدرها او محط رحالها بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور والتجارة عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة .

يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر اعلاه ان تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التي تراها ضرورية او توعز للحكومات المحلية ان تفرضها ، ويمكن للدلة المنتدبة او الدولة المحلية التابعة لمشورتها ان تعقد لاسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصا مع البلاد المتاخمة لها .

ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الاول من هذه المادة ان تتخذ الوسائل الفعالة التي تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان .

تمنح الامتيازات لترقية هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز في تابعية الاشخاص الداخلة دولهم في عداد اعضاء جمعية الامم بشرط ان لا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية ، ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام . لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة في ايجاد الاحتكارات المالية التي من شأنها ان ترقي مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردهما المالية والمحلية ، ويمكن للحكومة ان تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة او بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط ان لا يوجد هذا العمل لا عمدا ولا بالواسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة او برعاياها ، او يمنحهما ميزة من الامور الاقتصادية والتجارية والصناعية التي تقرر فيها المساواة بين الجميع .

المادة ١٢ ـ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولي عام عقد حتى الآن او ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الامم بخصوص الاتجار بالرقيق ، وبالعقاقير وبالسلاح ، والمعدات الحربية ، وبالمساواة التجارية ، وحرية العبور ، والملاحة والطيران ، والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية ، وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية المصانع والآداب والفنون .

المادة ١٣ ـ تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الاحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان في الامور ذات الفوائد العامة التي تقرها جمعية الامم لمنع الامراض ومقاومتها وفي جملتها امراض الحيوان والنبات.

المادة ١٤ ـ تتضمن هذه المادة بحثا طويلا في قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار في صك الانتداب لفلسطين فليرجع اليها .

المادة ١٥ ـ عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه في المادة الاولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومتان المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التي انفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التي افادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الامم .

المادة ١٦ ـ تكون اللغة الفرنسوية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين في سورية ولبنان .

المادة ١٧ ـ تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريرا سنويا حسب طلبه تبين فيه التدابير التي اتخذتها اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والانظمة التي تسن سنويا .

المادة ١٨ ـ يجب ان يوافق مجلس جمعية الامم على كل تعديل يحصل

في شروط هذا الصك .

المادة ١٩ – يستعمل مجلس جمعية الامم نفوذه عندما تنتهي مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان في المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التي منحتها ادارة سورية ولبنان ايام الانتداب .

المادة ٢٠ – توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة في عضوية جمعية الامم بخصوص تفسير شرط في صك الانتداب او تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولي الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم ، هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات .

لا بد لهذه الدول التي انشئت من مجالس تمثلها امام دولها لهذا أصدر المفوض السامي في ٣٠ اغستوس سنة ١٩٢٢ قرارا بانشاء مجلس تمثيلي لدولة دمشق قوامه ٣٠ عضوا على ان تكون صلاحيته محدودة للنظر في الميزانية والضرائب والتشريع والادارة وعلى أن يكون له الحق في تعيين ممثلي الدولة في مجلس الاتحاد وعلى ان يكون له ايضا حق طرح الاسئلة على الحاكم وابداء الرغبات .

كما انه قد اصدر المفوض ايضا قرارات بانشاء مجلس مثله لدولة حلب وآخر شبهه لدولة العلويين .

أما في لبنان وجبل الدروز فقد انشيء في كل منهما من نظير هذا المجلس مجلسا من قبل .

فدمشق التي ما أخلدت لضيم ما رفعت عقيرتها بالشكوى والاحتجاج على انشاء مجلس كهذا ضيق الصلاحية محصور الاختصاص لا يمثل الشعب بشيء وقاطعت انتخاباته ولم تعترف على القرار الذي صدر بشأنه واضربت المدن عشرة ايام احتجاجا على هذا الانشاء والتأسيس وان كان كل ما قام

به الاقليم السوري من الواجب لم يزحزح السلطة شعرة عما صممت على عمله . فهي قد اتمت الانتخابات واخرجت النواب الذين انتخبتهم والذين قاطعهم الشعب ولم يتعرف اليهم والذين كانوا يمثلون انفسهم فحسب والذين لولا ان تحرسهم الحكومة برجالها ما كانوا احياء بالفين مجلس الاتحاد.

واتحاد كهذا تحميه الحراب ، وتحرسه البنادق ورجال الانتداب من الطبيعي ان لا يعيش طويلا وان يلغى سريعا لأن ما لا يرضى الشعب عنه لا يمكن ان يكتب له البقاء وان كتب فالى زمان معلوم ووقت محدود .

والى الشعب السوري العربي احتجاجه فلم يفتر ولم يهدأ ولم يسكن مما اهاب بالجنرال ويغاند « خلف الجنرال غورو » ان يصدر في الخامس من كانون الاول عام ١٩٢٤ قرارا بالغاء الاتحاد وابداله بوحدة تجمع بين دولة دمشق ودولة حلب عدا حكومة العلويين ونص القرار ما يلي :

١ ــ تتحد دولتا حلب ودمشق اعتبارا من اول يناير سنة ١٩٢٥ وتؤلفان دولة واحدة تسمى ــ الدولة السورية ــ .

تؤلف الدولة السورية ضمن الحدود الحالية لدولتي دمشق وحلب دولة مستقلة عاصمتها دمشق على ان يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة المنتدبة .

يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى « رئيس دولة سورية » ، وينتخبه المجلس التمثيلي بأكثرية الآراء المطلقة وان كان من اعضاء المجلس التمثيلي تزول منه هذه الصفة يوم انتخابه . ويتحتم استبداله بغيره .

٣ ــ يتولى رئيس دولة سورية القيام بوظائف رئيس الاتحاد للدول السورية وبوظائف حكام الدول وفقا للقرارات المعمول بها .

وهو يعين كبار موظفي الدولة وفقا لاحكام القوانين والانظمة التي يتعين بها دستور هؤلاء الموظفين وسيصدر فيما بعد قرار للتمييز بين كبار الموظفين وغيرهم لتعيين سلسلة مراتبهم .

٤ ـ يؤازر رئيس الدولة وزراء يناط به امر نصبهم واستبدالهم وتعود الى الوزراء الادارة العليا لجميع مصالح الدولة المربوطة بدائرة كل واحد منهم ويضمن كل بما تعلق به تطبيق احكام القوانين والانظمة ويسمون الموظفين الذين لا يعود امر تسميتهم لا الى رئيس الدولة كما نصت عليه المادة الثالثة من هذا القرار ولا الى المتصرف او الوالي وفقا لاحكام القوانين المعمول بها .

٥ ـ الوزارات خمس ـ وزارة الداخلية : وبها تربط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والاسعاف العام .
وزارة العدلية : ـ

وزارة المالية : وبها تربط مديرية المصالح العقارية ومديرية اراضي الدولة .

وزارة المعارف العامة : ـ

وزارة الاشغال العامة والزراعة والاصلاح الاقتصادي : وبها تربط مديرية البرق والبريد .

٦ ـ تبقى على حالها ادارة الالوية والاقضية والنواحي والبلديات ويسمى لواء حلب « ولاية حلب » ويقوم واليها بوظائف المتصرفين وفقا للقوانين والانظمة المعمول بها .

٧ ـ ان وظائف مجلس كل من دولتي حلب ودمشق التمثيليين ووظائف المجلس الاتحادي يقوم بها في الدولة السورية مجلس يطلق عليه اسم « المجلس التمثيلي لدولة سورية » .

والقواعد التي اتبعت في انتخاب اعضاء المجالس التمثيلية لدولتي حلب ودمشق هي القانون المرعي في انتخاب اعضاء المجلس التمثيلي لدولة سورية

ما لم يصدر قانون انتخاب جديد .

٨ ــ تقوم بالسلطة القضائية المحاكم البدائية والاستئنافية ضمن الشروط المنصوص عليها في القوانين الاتحادية المحددة ووظائف هذه المحاكم وكيفية تأليفها وسير اعمالها .

٩ ــ ينتهي ارتباط لواء اسكندرون بولاية حلب وتبقى ادارته جارية وفقا للاحكام الخاصة المنصوص عليها في القرار رقم ٩٨٧ المؤرخ في ٨ اغسطس سنة ١٩٢١ والقرار رقم ١٨٨١ المؤرخ في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ وتناط برئيس الدولة السورية وظائف حاكم دولة حلب فيما يتعلق بادارة هذا اللواء .

١٠ ــ تتمتع ولاية حلب بالامتياز المالي المحدد كما يلي :

تجمع الواردات التي تجبى في اراضي الولاية باسم ضرائب بلا واسطة « مباشرة » وضرائب بالواسطة « غير مباشرة » ورسوم وكل دخل من أي نوع كان مما اجيزت جبايته وفقا للاصول وكذلك كل المبالغ المخصصة للولاية باسم الاموال التابعة للتوزيع .

وتجمع ايضا :

١ ــ النفقات التي تصيب الولاية من اعباء الادارة المركزية للدولة .

٢ ــ كل النفقات التي تستوجبها رسميا مصالح الدولة الكائنة في اراضي الولاية .

٣ ــ النفقات المتأتية عن القيام في اراضي الولاية بأشغال عامة او ذات نفع محلي او النفقات التي تستلزمها اعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية او الاجتماعية مما له فائدة محلية .

٤ ــ ما يصيب الولاية من النفقات التي يستوجبها القيام بأشغال عامة

ذات نفع عام أو بأعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية أو الاجتماعية مما له نفع عام تكون قد استفادت منه الولاية ويخصص الزائد من المداخيل لاشغال عامة ذات فائدة محلية او لاعمال لها ذات الفائدة من شأنها تحسين الزراعة والاقتصاد والاحوال الاجتماعية .

١١ – يمثل المفوض السامي لدى الدولة السورية مندوب يساعده مندوبون معاونون .

١٢ – ان سلطة المفوض السامي وممثله هي التي نصت عليها القرارات والتعاليم المعمول بها وان المقررات التشريعية والتنظيمية التي يصدرها رئيس دولة سورية تعرض للتصديق على المفوض السامي . وكل تعيين يجريه رئيس الدولة ينبغي تصديقه من المفوض السامي .

وينبغي ان يقر المفوض السامي انتخاب رأس الدولة وله ان يعلن زوال سلطته لاسباب تتعلق بالمصلحة العامة .

١٣ – ينبغي ان تصدق اعمال رئيس الدولة السورية من قبل المندوب لدى حكومته متى كان التصديق غير عائد للمفوض السامي او متى خول المفوض السامي مندوبه حق التصديق .

وكل تعيين للوظائف التي يتقلدها الوزراء والمديرون ينبغي تصديقه من مندوب المفوض السامي .

وفي الملحقات حيث يكون مندوب معاون تصدق مقررات الحكومة المحلية من قبله .

١٤ – يتألف اول مجلس تمثيلي للدولة السورية من اجتماع اعضاء المجلس التمثيلي لدولتي حلب ودمشق .

١٥ – رئيس دولة سورية هو الرئيس الحالي لاتحاد دول سورية الذي

انتخبه مجلس الاتحاد في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وسينتهي عهده قانونا في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

١٦ ـ تقوم الدولة السورية مقام دولتي حلب ودمشق فيما يختص بالحقوق والواجبات المتعلقة بهاتين الدولتين وتقوم مقام الاتحاد دول سورية بقسم يعين فيما بعد من الحقوق والواجبات المتعلقة بذلك الاتحاد .

ما كانت لتنطلي حيل الفرنسيين على الشعب العربي السوري وما كانت هذه القطرة من الماء لتروي ظمأه من بعد ان اصبح على عطش مميت للحرية فأدرك ان هذه الاسربة التي تلوح بها السلطة من حين الى حين من ضم بلد الى بلد واسترضائه بمعسول الكلم من وقت الى وقت ما كانت لتنقع منه الغلة او لتشفي العلة وانها بالحقيقة كانت كلاشيء بالنسبة الى ما تتمتع به من قبل كما المعنا من ايام ذاق فيها طعم السعادة طليا ورتع في بحبوحة من العيش السياسي المشرف السامي عقيب نصر الحلفاء وايام العهد الاستقلالي الذهبي .

وبحق نجاهر ونقول ان الفرنسيين قد سلكوا كل سبيل لخدمة امتهم على زعمهم فأتوا الى هذه البلاد بالضربة القاضية القاسية ، ضربة التقسيم ثم أخذوا يرتدون عنها فيلهون الشعب العربي السوري كلما راوا منه حركة نشاط او هزة عنف بضم جزء الى جزء ليروا مفعول هذا المخدر البسيط فيه وليقدروا مبلغ تأثيره عليه حتى اذا ما انسوا انه كان كافيا لاخلاده للسكينة وقفوا عند هذا الحد فلا يبلغوه امانيه كلها .

على ان الشعب السوري العربي الذكي قد ادرك ذلك منهم فلم يقنع بما فعله الجنرال ويغاند وظلت مراجل الفتن تضطرم على هدوء وسكون الى ان تجد المنفذ الذي تنفجر منه فتدل على ما كان يزكيها من بواعث واسباب .

عودة الى عام ١٩٢٠ والى صباح الواحد والعشرين من اغسطس تريننا

ان العربي السوري لا يؤخذ بالاشراك والحبائل مهما احكم امرها ومهما دبر اقرارها بليل . ففي هذا اليوم المشهود غادر وفد من دمشق يؤم حوران لا لكي يحمل اليه الحرية والحياة والاستقلال بل ليحمل له الرضوخ والذل ويحسن امامه العبودية والاضطهاد ولكي يوقعه في الغل والاسر والقيد واخيرا لكي يجبي منه الغرامة التي فرضتها عليه السلطة الفرنسية عقيب فاجعة ميسلون . ورجال هذا الوفد هم : علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة اذ ذاك وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى في ذلك العهد وعطا الايوبي وزير داخلية تلك الدولة والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الجليل الدرا .

وما ان وصل هذا الوفد محطة خربة الغزالة التي تبعد خمسة وعشرين كيلو مترا عن درعا حتى داهم القطار الذي يقله رجال حسبهم اعضاء الوفد انهم أتوا لاستقباله لما كانوا يسمعونه من اهازيجهم وصياحهم ولكن سرعان ما ذعروا واسقط في ايديهم عندما رأوا هذا الجمع الحاشد قد انقلب عليهم واخذ يتحراهم ليوقع فيهم ، فكان موقف عصيب رهيب لاقى فيه هذا الوفد ما لم يخطر له في بال واضطرب اي اضطراب ، واخذ كل منهم يفتش عن مخبأ يفر اليه من موت اكيد فاهتدى الجمع الى الدروبي وكان مندسا في قاطرة الدرجة الثالثة فقتلوه وانهزم عبد الرحمن اليوسف الى دار المحطة فلحق به الرجال ، وهناك ذبحوه بعد ان اطلقوا الرصاص عليه ، وقد نهبوا جميع ما في القطار وقد لاذ باقي الوفد بالفرار .

على اثر ذلك جهزت السلطة حملات على اهالي حوران انتقمت بها منهم انتقاما فظيعا اذ اعملت فيهم النار والدمار فلم يستطيعوا ان يقفوا في وجه الحديد والرصاص رغم ما انضم اليهم من قبائل بني نعيم والفضل والسلوط وغيرهم ، وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٩٢٠ اشترط الفرنسيون الغرامات الباهظة التي كان قدرها آلاف من الليرات العثمانية الذهبية لقاء ما كان من

أهالي حوران يوم ٢١ اغستوس على ان الطائرات الفرنسية قد فتكت في قرى حوران فتكا ذريعا فلم تبقي فيهـا حجرا على حجر ، واحرق الجيش البيادر والبيوت بعد نهبها ، فأرسلت لجنة الاتحاد السـوري في مصر بتاريخ ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ الى رؤساء حكومات الحلفاء ومجالسها النيابيـة ورئيس الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ فيها والى كبريات الصحف في العـالم ومشاهيرها الاحتجاج الآتي :

ذهل السوريون لقراءة البلاغات الفرنسية الصادرة بتاريخ ٢٣ اغستوس واول سبتمبر سنة ١٩٢٠ المنبئة بتدمير الجيش الفرنسي تدميرا منظمـا لمقاطعة حوران الزراعية التي هي اهراء سورية . الطيارات تخرب القـرى بأكملها قاتلة للنساء والاولاد بلا رحمة . نحن نستصرخ الامم المتمدنة ومنها الامة الفرنسية ضد هذه الاعمال الوحشية التي يقصر عنها الوصف وتورث الاحقاد باطالة زمن القتال » .

وفي العشرين من ايلول سنة ١٩٢٢ اعـدمت السلطـة كـلا من السادة عوض صلاح الدين المصري وحسين الحاج ويوسف عيسى وزعـل يوسف بتهمة اغتيال الوزراء يوم حادث خربة الغزالة .

هذا ما كان في حوران واما ما جرى في شمالي الاقليم السوري فـان الزعيم الكبير المغفور له ابراهيم هنانو قام بالواجب المقدس فألف العصابات وجاهر بمقارعة الفرنسيين ومقاتلتهم واعلن العصيان عليهم واخذ يضرم نار الثـورة في جهـات حلب وضواحيها فانتشرت وتفشت في انطاكية وحارم والعمق وادلب والمعرة وجسر الشغور ، وقـد ساعـده في عملـه الشريف وجهاده الاقـدس بعض من ضبـاط العثمانيين فانهزم الفرنسيون في معارك شتى واستطاع هذا الزعيم الباسل ان يتصل بالمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي الذي طالما اصطدم مع الفرنسيين في منطقة اللاذقية فصدمهم وهزمهم شر هزيمة وحتى انه استولى على معظم القرى والدساكر هناك فهدد نفس

اللاذقية فأوجس الفرنسيون منه خيفة ، وباتوا يحذرون هنانو في الشمال والشيخ صالح العلي في اللاذقيـة وستروا عديد انهزاماتهم بالكتمان فلم يطلعوا ابناء البلاد عليها فجهزت السلطة الفرنسية قـوات كبيرة لملاحقـة العصابات ومطاردتها ، واصدر الجنرال غورو بلاغا بالفرنسية في ٢ ايلول سنة ١٩٢١ بالنص التـالي :

« منذ شهر مارس حتى شهر يوليو سنـة ١٩٢١ كان عدد كبير مـن الكتائب يعمل بملء النشاط ويقاوم بدون انقطاع عـددا شديد المراس مـن العصابات مسلحا في اراضي جبلية وينازله في معارك كبيرة تنتهي بالانتصار حتى استتبت السكينة وانتظمت الامور الادارية وطاردت الجيوش بـين ٦ ابريل و٢٣ مايو سنة ١٩٢١ عصابتي ابراهيم هنانو والشيخ صالح العـلي وكانتا متحالفتين ولم تدع لهـا وقتا للراحة فتفرقت العصابتان منسحبتين نحو الشرق ، وقد افضت هذه المعارك الشديدة الى احتلال البلاد وانشـاء مراكز ثابتـة في كفر تخاريم ودركوش وجسر الشغور ومعرة النعمان ومـن ثم زحفت قوى الكولونيل نيجر العديدة بعدما وضعت الحواجز من البحـر الى نهـر العاصي وطافت بلاد العلويين من الشمال الى الجنوب واشتبكت في معـارك طويلة من ١٠ مايو حتى ١٩ يونيو حيث نشبت معركة بالقدموس وانتهت هـذه المعارك العنيفة بطاعة العلويين وهزيمة الشيخ صالح العلي وقد تخلى عنه معظم اعوانـه » .

واصدر نفس الجنرال بلاغا آخر نصه ما يلي :

« في ١٢ مايو خرجت حملـة من اللاذقيـة بقيـادة الكولونيـل نيجر فتوجهت الى جبلة والمرقب حيث مركز العصابات وفي يوم ١٣ منـــه زحفت حملة اخرى من محردة « محطة من محطات سكة الحديد بين حمص وحماه » بقيادة الكولونيل دوم وسارت في الوقت نفسه حملة ثالثة من الحمدانيـــة « محطة من محطات سكة الحديد بين حماه وحلب » بقيادة الكولونيل فيك

ومشى الجنرال غوبو قائد اللواء الثالث من حلب على رأس لوائه لتأديب العصابات فبلغ معرة النعمان يوم ١٥ منه ودخلت قوة الكولونيل فيك في اليوم التالي الى حبيط وتقدمت قوة الكولونيل دوم فاستولت على جسر الشغور وزحفت قوة اخرى بقيادة الكولونيل فونيه على قلعة المضيق فاحتلتها ودارت معركة عنيفة في جسر الشغور بين الثوار وحملة الكولونيل جران كور انتهت بانسحاب الثوار والاستيلاء على البلدة وقد ارتدت العصابات امام هذه القوات العظيمة ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثين ألف مقاتل فغادر ابراهيم هنانو مقره في جبل الزاوية يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢١ ومعه ٥٥ جنديا وضابطا قاصدا عمان فلاقاه الفرنسيون شرقي سلمية يؤيدهم اسماعيليون ودارت معركة بينه وبينهم انتهت بأسر اربعة من ضباطه اما هو فواصل السفر فوصل الى عمان يوم ٣١ منه » .

يمم الزعيم هنانو وجهه شطر فلسطين لزيارة القدس فاعتقلته السلطة البريطانية هناك فاهتاج العرب وماجوا واعتدوا على قائد الدرك البريطاني واحتج رجالات العرب هناك وطلبوا اطلاق سراحه فما افادت هذه الصيحات ولا أثرت تلك الاحتجاجات وأرسل الزعيم مخفورا الى بيروت حيث سلم للسلطة الفرنسية وحيث حوكم في حلب الشهباء امام المجلس العسكري الفرنسي اذ برأه واطلق سراحه . أما الشيخ صالح العلي فقد ظل متواريا عن الانظار حتى اذاعت السلطة الفرنسية بلاغا في السادس من تموز سنة ١٩٢٢ تعلن استسلامه لها .

الاغتيالات والعصابات :

لا بد وان يكون المطالع الكريم قد ادرك مما مر من الحوادث التي أتينا على وصفها والتي سنبسطها اليه فيما يلي مبلغ امتعاض السوريين العرب من الانتداب الفرنسي ومبلغ نفورهم منه واستنكارهم له وقد ذكرنا فيما

مضى ســوء تصرف السياسة الفرنسية وما قام به مندوب الفرنسيين السامي الجنرال غورو من سوء تصرفه ومن خطأ سياسته ومن قصر نظره في ادارة البــلاد مما اهاب بالكثير من الناس لاظهــار هذا المقت والالم في كل فرصــة وفي كل سانحــة وقد دل على ما ذكرنا بصورة صريحة الحادثة التي وقعت الى المندوب الســامي الجنرال غورو في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ ابان مجيئه لزيارة الامير محمود الفاعور قريبــا من القنيطرة اذ انــه ما بلغ تلك الناحيــة حتى انهال عليــه الرصاص كالوابل المدرار من قبل رجال اقتعدوا مقعــــدا له عندما علموا بأنــه سيمر من هنالك ، وفي هذه الواقعة نال حاكم دمشق اذ ذاك حقي العظم بضع رصاصات في فخذه وذراعه وشفته جزاء دفاعــه عن المندوب السامي غورو ونال نفس الجنرال شيئا من هذه الحادثة في كم بذته من ناحية اليد المبتورة فيهــا على ان مرافق الجنرال قــد قضى فــي هــذه المعركــة .

كان شأن الفرنسيين عقيب هذا الحادث شأن المتشفي المنتقم ممن لــم يجترح سيئة ولم يقترف اثما وولى وجهه شــطر العزل الآمنين من الاهلين اذ عجز وعيى عن الانتقام ممن اوقعوا به وبمن معه هنــاك . فكم عذب مــن ابرياء ونكل بودعاء واعمل الاذى والظلم والتعذيب بأناس لا ناقة لهم في ذلك الحادث ولا جمل . لقــد جرد الحملات على كل ما يتبع القنيطرة من قــرى ودساكر واعمل النار فيها يدمرهــا بقنابل المدافــع مرة وبقذائف الطائرات أخرى ويسـوم ذويهــا سوء العذاب بفرض الغرامــات تارة وبزج الزعماء في السـجون طورا كما فعل بقرى جباتة الخشب والعــوفاني وطرنجه والاحمــر وتل الشيخة ومجدل شمس وجباتة الزيت مما لا يقره عقل ولا يرضى به منطق ولا يأمر فيــه شــرع ولا يسوغــه قانون وان الفرنسيين انفسهم لــم يتورعوا عن ان يذيعوا ذلك ببــلاغ فرنسي تعريبه ما يلي :

« في يوم ٢٣ يونيو ظهرت على طريق القنيطرة عصابة قادمة من شرق

الاردن وبعد ان قضت مأربها عادت في اليوم نفسه الى عجلون وهذه نتائج التحقيق والعقوبات :

زحفت حملة بقيادة الكولونيل روكرو من دمشق يوم ٢٣ يونيو فوصلت الى القنيطرة يوم ٢٦ منه فدمرت بأمر المندوب السامي قرى جباة الخشب ـ المنشية ـ عوفاني ـ طرنجة ـ الاحمر ـ تل الشيخة ـ لانها آوت مجرمي القنيطرة فأصبحت شريكة لهم في الخيانة وقد حجزت اموال اهاليها وحكم فوق ذلك على كل قرية بغرامة من خمسين جنيها الى مئة جنيه ذهبا ودمرت الحملة نفسها ١٧ مزرعة في جباتة الخشب وارطانيا وترانك وفي ٢٩ منه زحفت على مجدل شمس وجباتة الزيت وفي ٣٠ منه عادت الى القنيطرة حيث باعت الاموال المحجوزة » .

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر بما قامت به السلطة الفرنسية من اعمال يندى لها وجه الانسانية خجلا وقد شاع ان الرجال الذين قاموا بايقاد نار هذه المعركة هم من لجأوا الى شرقي الاردن على اثر فاجعة ميسلون الشهيرة والذين هم : خليل علي المريود ومحمود حسن من جباتة الخشب وشريف شاهين من جباتة الزيت ومحمد ظاهر من شبعة وصادق حمزة وادهم خنجر . ويقال بأن هؤلاء قد عادوا الى شرقي الاردن على اثر هذا الحادث لذلك لم تستطع القوة الفرنسية ان تنال احدا منهم بأذى .

لم تقتصر الحال على سورية فحسب بل كانت كذلك في لبنان اذ انه في سابع نيسان سنة ١٩٢٢ اغتال مجهول على وصيد باب المستشفى الفرنسي في بيروت مدير الداخلية في لبنان اسعد بك لما اتصف به من الولاء والانقياد وانفاذ اوامر الفرنسيين وتفانيه بالاخلاص للانتداب الفرنسي.

اضطرب حبل الامن في المناطق التي كان الانتداب الفرنسي يسودها من ذلك ما ظهر في الفرات وامتد الى دير الزور وخضد من شوكة الفرنسيين وثل من نفوذهم هناك مما اضطر رجال السلطة لارسال حملة لقمع الثورة

في دير الزور في ثامن وعشرين ايلول سنة ١٩٢١ من حلب الشهباء بقيادة الكولونيل دي بيوفر قابلها الثوار بسواعد مفتولة وجأش رابط واعملوا فيها القتل واستبسلوا استبسالا شديدا ساروا فيه على اصول حرب العصابات فانسحبوا مرتدين الى الفرات وقد المع الى هذه المعركة بلاغ فرنسي رسمي .

واخذت الفتن تبدو في كل ناحية وفي كل مكان كلما رات الى العصيان سبيلا من ذلك ايضا ما قام به ملحم قاسم الثائر الشهير حوالي بعلبك من هجمات متوالية عليها وعلى ما يتبعها من بلاد ومدن مما ذعر له رجال الانتداب وظنوا ان لا قبل لهم بهذا الرجل وبرجاله وحسبوا لهذه العصابة حسابا كبيرا على قلة عدد رجالها وتفاهة معداتها وظلت حوادث العصيان بين كر وفر حتى أمن الفرنسيون ملحم قاسم على حياته فاستحسن الاستسلام وفعل .

الزعيم شهبندر ورجاله وحوادث كراين :

لقد اجمع المؤرخون قاطبة على ان الضغط المتمادي ما يلبث ان يبعث في نفوس المضغوط عليهم شعورا وحسا ينتج عنهما الانقلاب المفاجيء المدعو بالانفجار السياسي لا سيما اذا كان متواليا متعاقبا بلا فاصلة ولا انقطاع وعلى من عرف بالشهامة والمروءة والموت في سبيل الكرامة والعزة والحرية فالشعب السوري العربي العريق بالمجد والمحتد وبالاندفاع نحو الذود عن القومية العربية وعن مقومات الحياة الصحيحة لم يرضخ ولن يستكين ولن يرضى بذل لأي كان وان شام منه مضطهده هدوءا او صمتا او رضوخا فان ذلك منه كالرئبال الذي ينتكص الى الوراء كي يثب وكالاسد المتحفز للانقضاض عندما يرجع وكالاناء الذي يمكث تحت الضغط هنيهة ينفجر على اثرها فيهدمي ويؤذي ويدمر من ارهقه وضغط عليه .

بعد هذه الكلمة الوجيزة التي لم نر بدا من بسطها نرى انه من البداهة

ان نقول ان في هذا الشعب السوري العربي من الرجال من لا يكون للمستعمر عليهم أي سلطان او نفوذ وانه ان ألفى منهم سدرا وجمودا فان معنى ذلك التأهب والتهيؤ والاستعداد . وان الذي لم يرض لمن كان قبل الفرنسيين بتسليم القياد والانقياد لن يرض بهما للمضطهد المستعبد الاجنبي الغريب من كل ذلك نتج ان الزعيم العربي الدكتور عبد الرحمن شهبندر ما لوى عنقه امام السفاح جمال باشا الذي حمل على العرب ونال من كرامتهم بل جابهه في المسجد الاموي والناس سكوت مجابهة الند للند والعظيم للعظيم ، لا يمكن ان يخنع للفرنسيين وامثالهم ولا يمكن ان ينام على ذل لهم او لسواهم . وقد كان على الفرنسيين ان يدركوا ذلك وان لا يحسبوا ان الامر قد استقام لهم وان الدهر موات لهم وانهم قبضوا على ناصية الشعب .

في اول نيسان بينا كان الزعيم في مكتبه بداره بدمشق تناول من ساعي البريد كتابا صادرا من رئيس الجامعة الاميركية الاستاذ نيكولي مؤرخا في ٢٩ آذار سنة ١٩٢٢ يعلمه فيه بمجيء رئيس لجنة الاستفتاء الاميركية المستر كراين الى دمشق . فخف الزعيم الى لقاء الرئيس وفي ٢ نيسان المذكور اجتمع به في فندق دماسكوس بلاس فقال الرئيس ما معناه : « قدمت الى هنا بقصد التحقيق اذ ان مجرى السياسة يتطلب في هذه الايام ابداء التقرير المشترك الذي نظمناه مع الاخوة اعضاء اللجنة الاميركية التي استفتت بلادكم عام «١٩١٩» . ونود ان نرى ما ان كانت الاستعلامات التي حصلنا عليها حقيقة ام لا فأود ان تجمعني بأبناء هذه البلاد واخص بالذكر منهم العلماء « المشايخ » لأرى ما ان طرأ تبدل على آرائهم وما ان كنا مصيبين في الاخبار التي استعملناها فجعلنا التقرير مبنيا عليها » .

فأظهر الزعيم استعداده لتحقيق هذه الرغبة وواصل جهوده لتأمين ذلك واتفق مع كبار من المتنفذين في دمشق على ان يجتمعوا في حديقة الشراباتي في زقاق الحيآة في الصالحية . وقد اعلن الزعيم الى النزيل

الكريم ما تم الاتفاق عليه فامتطيا السيارة الى ما كان القوم بانتظارهما في الحديقة المذكورة وما ان وصلاها حتى كان الجمع المؤلف من كافة الطبقات باستقبالهما استقبالا شائقا لائقا يهتف بحياتهما هتافا يشق عنان السماء . وقد كان صحبة المستر كراين كاتم اسراره المستر برودي وبعد ان تجاذبوا جميعا اطراف الحديث اعلن المجتمعون تأييدهم ما كانوا اطلعوا عليه المستر كراين يوم تقدم الى دمشق مع اخوانه للاستفتاء عام ١٩١٩ وشكو اليه الظلم الفرنسي والضرائب التي طرحها عليهم وكان الرئيس الاميركي يدون ما يسمعه .

وفي ٣ نيسان زار المستر كراين الميتم السوري وعلى رأسه الآنسة اليس قندلفت فقدر لها جهودها التي رآها ونبوغها الذي لمحه منها وتبرع بايفادها الى الديار الاميركية لاتمام التحصيل هناك على نفقته فبر بوعده وحصلت على شهادة عليا من جامعة كبرى وتعينت في العراق .

وفي اليوم الرابع من الشهر الملمع اليه دعا حي الميدان المستر كراين الى حديقة حسن الحكيم فاحتشد هناك مئة من الاعيان او اكثر فلبى الرئيس الاميركي هذه الدعوة واصاخ بسمعه الى ما كان يدلي به القوم اليه من بث وشكوى ونجوى في كل ناحية من نواحي الحياة وشأن من شؤون الادارة .

ثم لبى المستر كراين دعوة نساء الشهداء في منزل الفقيد الكبير شكري العسلي في حي المهاجرين واصغى الى ما كن يشكونه اليه منه والى الآمال التي كن يعقدنها عليه وعلى لجنته .

وقد كان على موعد مع الآنسة نازك العابد ليستمع اليها ما تشكوه بشأن مدرسة الشهداء التي انشئت في عهد الحكومة العربية والتي اتخذت السلطة المنتدبة ادنى الوسائل واحطها لاقفالها وقد كاد ان يكون نصيب هذه الآنسة كنصيب الآنسة اليس من حيث التحصيل العالي في اوروبا على نفقة المستر كراين لولا أن مانع ابوها فكان بذلك على غير حق ولا عدل ولا راي .

ثم كان المستر كراين يوم الخامس منه في الدعوة التي وجهت اليه من عليه القوم واكابرهم لتناول الغذاء في بستان بالقصاع واستمع هنالك الى ما فاه به النخبة المختارة من الحاضرين والى ما قاله الاستاذ محمد الشريقي وعلى الاخص الى ما كان يطرب الجمهور وهو الآي الكريم الذي كان يرتلها الاستاذ الشيخ محمد الحلواني وقد كان سرور المستر كراين واعجابه بذلك عظيما . وابان ترك البستان تقدم طلاب الجامعة السورية وفي مقدمتهم تلامذة الحقوق منهم : امين سعيد وفائق العسلي وشفيق سليمان وصبري العسلي ومنير مردم وحلمي ابو خضرة وغيرهم يعلنون تأييدهم باسم طلاب الشعب العربي في مطاليبه المشهورة . وفي سادس نيسان تقدم الزعيم الشهبندر للمستر كراين بالوثائق والمستندات التي رفعها ذووها باسم المستر كراين ثم أزمع الرئيس الاميركي على السفر فبذل الزعيم اعظم الجهود ليكون الاحتفال بتوديعه على اعظم ما يكون وبالفعل فقد تم له ما اراد فأقبل الناس الى بهو الفندق زرافات ووحدانا يشيعون الراحل الكريم فودعهم المبستر كراين فردا فردا وخاطبهم بقوله : « ما اشد سروري برؤيتكم واسفي لاضطراري الى مغادرة مدينتكم وسيكون الدكتور كنج الذي كان في لجنة الاستفتاء مسرورا جدا من نتيجة تحقيقي . ثم انني أتيت لهذه البلاد في وقت لا يسمح لي سني معه على السفر ولكنني شئت ان ارى البلاد التي زرتها مع اصدقائي عام ١٩١٩ ولا يمكنكم ان تقدروا السرور الذي يصيبها من نتيجة هذه التحقيقات البديعة ... تمسكوا بقضيتكم فانها عادلة وتوسلوا اليها بالوسائل العصرية لا بالطرق القديمة » فتعالت الاصوات بالهتافات بالاستقلال العربي وللدكتور ولسن وللشعب الاميركي وللمستر كراين وللزعيم شهبندر ثم استقل المستر كراين سيارته يحيط به الزعيم والمحتشدون وكانت الشوارع والشرفات والاماكن والباحات غاصة بالجماهير التي كانت كالسيل العرم وهنا تبارى الناس للخطابات فارتجل شيخ مصري وقف على مقدم السيارة

خطابا رائعا اظهر فيه للمستر كراين تضامن الشام والقطر الشقيق مصر وختم قوله باسقاط الانتداب فتعالى الهياج والتهب الحماس ، وانبرى القوم يؤمنون على قول الخطيب باسقاط الظلم والاضطهاد ، فأعقب ذلك الخطيب الشاب المثقف فؤاد الخياط وارتجل كلمة كانت نارية الهبت في نفوس المجتمعين نار الكرامة واستفزت منهم الشعور والحس وانبرى القوم ينشد الاناشيد الوطنية صائحا :

نحن لا نرضى الحماية	**لا ولا نرضى الوصاية**
نحن أولى بالرعاية	**لبني العرب الكرام**

وغير ذلك من الاناشيد وكان الزعيم الشهبندر يترجم للمستر كراين ما كان يقوله الجماهير لافتا نظره الى ما تتضمنه من معاني والى ما كان يزداد في كل خطوة تخطوها السيارة من جماهير جديدة اتت لتشيع الرئيس الاميركي .

وكانت الزهور والرياحين تتساقط على السيارة والمحتاطين بها تساقط الغيث المنهمر . ولم يقتصر الاحتفاء بتشيع الرئيس على الرجال فحسب بل كانت جمهرة غفيرة من النسوة تساهم في ذلك وعلى رأسهن عقيلة الزعيم وشقيقة الفقيد الغالي شكري العسلي فقد بلغ الحماس بهاتين السيدتين درجة اقبلتا معها على رفع السيارة لو استطاعتا هاتفتين بحياة الاستقلال فأزكى صنيعهما هذا نار الحماس في صدور المحتشدين فأخذوا بالهتاف عاليا بحياة الاستقلال والحرية . ثم عندما بلغ الموكب دائرة البلدية صاحت عقيلة الزعيم بحياة الشعب العربي فدوت ارجاء الساحة بذلك الهتاف ولم يتمالك بعض الوطنيين أنفسهم من مشاطرة المحتشدين الشعور حتى أن كثيرا من موظفي الحكومة في السراي عندما بلغها الموكب كان شأنها شأن تلك الجماهير ، وكان الاستاذ زكي الخطيب مدير رسائل ديوان الحاكم العام يقاسم الناس شعورهم ويشاطرهم عواطفهم ، وظل الحشد سائرا

حتى بلغ نزل فكتوريا ، فأومأ الزعيم الى سائق السيارة بالوقوف للتوديع ، وصمت الناس فقال الزعيم الى المستر كراين بالانكليزية ما تعريبه : « التفت الى ورائك ياسيدي واحفظ هذه الصورة التاريخية في قلبك وستمر على اوروبا واميركا فترى فيها افرادا بضمائر حرة لا يزالون يحبون الانسانية ويغارون على الحرية فاذكر لهم ما رايت واشرح لهم ماسمعت وانقل اليهم ما تقراه في هذه الوجوه والجباه » .

ثم قال الزعيم بالعربية : « فليحيى الاستقلال التام . ولتحيى شجرة الحرية النامية والى الملتقى ايها الرسول الكريم » .

قال ذلك واشار الى الناس بالارفضاض عن السيارة ، وما ان فعلوا حتى رفع المستر كراين قبعته وانحنى امام الجميع يحييهم فصفقوا له طويلاوارخى السائق للسيارة العنان وكاتم اسرار المستر كراين يلتقط هذه الصورة التاريخية بجهاز تصويره لتكون له ذكرى .

اعتقال الزعيم ورجاله

غادر المستر كراين ربوع الفيحاء والشعور السائد الجماهير التي كانت ترافقه لا يزال طوافا عليها ترتقب مساعي ذلك الرجل الذي أنعش فيها الآمال واحيا الاماني وجدد الهمم وبعث النشاط ، وعاد الحشد الحافل يحتاط بزعيمه الفذ الدكتور شهبندر هاتفا له بالحياة الطويلة والعمر المديد ، ثم ذهب كل الى عمله وآوى الزعيم الى داره .

وفي اليوم التالي سابع نيسان أتى احد الشرطة دار الزعيم شهبندر طالبا اليه ان يرافقه فوعد بالتلبية ودخل الى داره يكتب الى الرئيس ولسون ما معناه : « لي الشرف ان اقص على مسامع حضرة الرئيس السابق للولايات المتحدة واذكره انني احد السبعة الذين وقعوا على المذكرة التي

تقدمت اليه – أي للرئيس ولسون – بواسطة معتمد حكومته السياسي في القاهرة سنة ١٩١٧ وفيها رغائب الشعب العربي ومن دواعي اغتباطي وتعزيتي ان الايام قد دلت بأفصح دليل رغم انف الدسائس على ان تلك الرغائب هي رغائب الشعب العربي المستضعف . ثم قال له ان العهود الشريفة التي اقتطعها للناس على جبل فرنون والمباديء السامية التي نشرها بجانب مرقد واشنطون لا تزال مصدر الهام للمظلومين في الشرق والغرب وان الكارثة التي سعينا جهدنا لتجنبها وقعت كالصاعقة على رؤوس أمتنا فاخذت تسحقها تحت اقدامها ، ويكفي أن أقول ان هتفنا واحدة للحرية والاستقلال وللمباديء السامية التي انطق الله بها الامة الاميركية على لسان رئيسها الكريم ادت بالحكومة المستعمرة الى اتخاذ قرار بتوقيفي وتوقيف بعض اخواني وربما نفينا جميعا بعد ذلك وسيقص على حضرته صديقه الامين المستر كراين ما رأى بعينيه وسمع بأذنيه في الاقليم السوري من المظالم والمغانم التي بلغ صداها عنان السماء ولولا الشرطي المفوض المأمور بالقبض علي ونقره على بابي يستبطئني ويستحثني على مغادرة داري لكتبت له من تفاصيل امورنا ما يدله على ان البذور التي زرعها في العالم الجديد نبتت او كادت تنبت في العالم القديم ولا سيما في الشرق حيث المظالم على أتم مظاهرها » .

وسلم هذه الرسالة الى الوصيفة التي في بيته اذ ان عقيلته اذ ذاك لم تكن في الدار وطلب الى هذه الوصيفة ان تسلم الكتاب الى سيدتها كي تبعث به غب عودتها الى المستر كراين الذي كان في بيروت اذ ذاك عن طريق المستر آلن معتمد جمهورية الولايات المتحدة بدمشق .

ابان مرافقته للشرطي صادف مجيء ولديه عائدين من المدرسة فانهالا على والدهما الزعيم يطوقان عنقه بأذرعهما طالبين اليه ان يأخذهما معه فطمأنهما بالعودة قريبا وانفلت منهما يرافق الشرطي .

وقد ألقي القبض في عين اليوم على كل من حسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وعبد الوهاب العفيفي .

اشتد الامر على الشعب وبينما كان الناس في الجامع الاموي لأداء فريضة الجمعة قام من بينهم كل من توفيق الحلبي وخالد الخطيب ومحمد الشريقي يخطبون الناس ويستفزون عواطفهم ويستنهضون هممهم ويستحفزون مشاعرهم وابائهم وغادروا المسجد بمظاهرة كبرى يتصفحون دور القناصل والمعتمدين واحدا واحدا طالبين التوسط بالافراج عمن اعتقلوا . ثم ألقي القبض على امين سعيد وعلى توفيق الحلبي وخالدالخطيب ومحمودحمديحمودة وعادل حتاحت وسعاد الشلبي وخليل خطاب وثروة الجعفري وتوفيقالقيسي ورشدي ملحس وتوفيق عجم اوغلي وحسن زنبركجي وصبري البديوي ومحمد الخطيب .

فسرى هذا النبأ في المدينة سريان البرق وهاجت دمشق وماجت وآلت على نفسها أن تضرب احتجاجا على هذا الاعتقال الغاشم واقفلت المحال التجارية والاسواق ومعاهد العلم ودور المدارس وهبت الفيحاء بأسرها تقوم بتظاهرة هتفت فيها للحرية طويلا فأرسلت السلطة قوات مسلحة عتادها الدبابات والمصفحات لتفريق المتظاهرين المتجمهرين وقد بلغ عدد من اعتقل حتى ذلك اليوم خمسين شخصا واعلنت السلطة الفرنسية الاحكام العرفية .

وتوالى ارسال المدد لقمع التظاهرات باطلاق الرصاص على الناس كما توالى من ناحية ثانية تأليف المظاهرات الواحدة تلو الاخرى والبلد مع جميع البلاد السورية مضرب مقفل متوقف عن العمل احتجاجا ينشد الحرية والاستقلال والافراج عن المعتقلين الاحرار ومن جملة التظاهرات التي تألفت مظاهرات السيدات وقد ضمت حرائر دمشق وفضليات نسائها تهتف للحرية وتسقطن الاستعمار والانتداب ويحيين الاستقلال والسيادة القومية

وتنادي بحياة الزعيم الشهبندر وظلت مظاهراتهن سائرة قدما حتى ساحة الشهداء في دمشق وهنالك تجمهر اشباه الرجال رجال الشرطة يحاولون تفريق اللبوات وردهن الى العرين فلم يفوزوا على ما أوتو من قسوة وخشونة وعنف من تلكم السيدات بطائل واستطعن هؤلاء الفضليات ان يجبن انحاء المدينة .

وظلت الفوضى سائدة ربوع الشام اياما طويلة الى ان هبطت المدينة قوة كبرى قوامها الف ومئتي جندي اشغلت كامل المدينة من جميع نواحيها وضرب النطاق على دمشق وقد اصدرت السلطات البلاغ التالي :

وفقا للقرار بوضع دمشق تحت الاحكام العرفية يشعر الكولونيل غودني قائد جيوش دولة دمشق الاهلين بما يأتي :

١ ـ يمنع التجمع في الطريق العامة ويقمع ذلك بالسلاح .

٢ ـ يمنع التجول في شوارع المدينة من الساعة السابعة مساء حتى السادسة صباحا .

٣ ـ يطلب من الاهلين ان يعودوا لاعمالهم كالعادة .

ازمعت السلطة بعد ذلك على محاكمة المعتقلين فنقلت ليلا في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل ١٨ نيسان الزعيم الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض والدكتور خالد الخطيب وعبد الوهاب العفيفي وتوفيق الحلبي الى نظارة الشرطة في الطابق الارضي من بناية العابد حيث كان الديوان العرفي الفرنسي في الطابق الاول منها .

وافرج عن بقية المعتقلين ما عدا امين سعيد ورشدي ملحس وسعاد الشلبي وتوفيق عجم اوغلي والشيخ احمد السوري اذ اشترطت السلطة ان يغادروا دمشق خلال ثمان واربعين ساعة . وبالفعل فقد اذعنوا وتركوا الوطن آسفين متألمين وكان المؤرخ الكبير امين سعيد في طليعة القوم الذين

آلوا على انفسهم ان يبرحوا دمشق بالجسم وان يظلوا فيها بالروح فقد نذر قلبه ودماغه وقلمه في سبيل العروبة والوطن واقسم جهد الايمان بأن لا ينفك عن خدمة الامة العربية مادام فيه عرق ينبض وفؤاد يخفق . وولى وجهه شطر الاقليم المصري الشقيق مصر يبر بوعده وينفذ ما آلى عليه واقسم وظل بعيدا عن وطنه حتى اعلان العفو العام سنة ١٩٢٨ اما موقوفوا النظارة فقد ظلوا حتى صبيحة اليوم الثاني الساعة السابعة والنصف وفي هذا الوقت جيء بهم من سلم البناية الداخلي الى بهو المحاكمة خلسة وخفية وقد سدت السلطة كل المنافذ المؤدية الى هذه البناية وحشدت قواها في مداخل الطرق الرامية الى بناية العابد واتخذت كل الاحتياطات حتى تمنع الناس من حضور المحاكمة . ولو افسحت المجال للناس لكانت دمشق بأسرها وبكاملها في المحاكمة .

كانت المدينة مغلقة برمتها محتجة على ما كان للزعيم ولرجاله الاحرار . وقد تألفت الهيئة الحاكمة « المحكمة العسكرية الفرنسية » من اليوتنان كولونيل لاريث « رئيسا » والكومندان جانيسي والكابتين غوري واليوتنان بيرساي « أعضاء » واليوتنان ليفيك سكرتيرا .

وتولى الدفاع عن المعتقلين كل من المحامين الاساتذة جلال زهدي — وزير العدل سابقا — وفارس الخوري نقيب محامي دمشق اذ ذاك وسعيد المحاسني والياس نمور والملازمون « الوليتنان » جيمس وشوفاليه والبين وهؤلاء قد انتدبتهم المحكمة للدفاع عن المعتقلين وفقا لنظامها .

ابتدات المحاكمة في الساعة الثامنة صباحا بتلاوة مضبطة الاتهام المنظمة من هيئة التحقيق ونصها :

« ١ — اتهم المعتقلون بتدبير مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مشفوعة بالعمل ومحاولة العمل لاعداد التنفيذ .

٢ ـ بالتحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع ايقاع اضطرابات لأن المؤامرة اعقبها العمل او المباشرة به لاعداد التنفيذ .

وتنطبق هذه الافعال على المواد « ١٧ و ٨٧ و ٨٩ » من قانون الجزاء الفرنسوي وعلى المادتين « ٢٤ و ٢٥ » من قانون المطبوعات الفرنسوي المؤرخ في ٢٩ يوليو سنة ١٨٨١ وعلى المادة ٢٦٧ من قانون الجزاء العسكري الفرنسي وعلى المادة ٨ من قانون ٩ اغسطس سنة ١٨٤٩ الفرنسوي المعدل بقانون ٢٧ ابريل سنة ١٩١٦ الفرنسي بشأن الادارة العرفيــة .

وبعد ذلك دعا رئيس المحكمة الزعيم شهبندر وسأله ما يأتي :

الرئيس : لقد تلقيت من الجامعة الاميركية في بيروت نبأ يشعر بوصول « كراين » الى دمشق فأعددت معدات استقباله وهيأت للاجتماع فريقا ممن اشتهر عنهم الاستياء من الحالة الحاضرة وسهلت اتصالهم به فعقدتم ثلاثة اجتماعات في ٢ و ٤ و ٥ ابريل ، قمتم بعدها بالمظاهرات ؟

الدكتور شهبندر : تلقيت في اول نيسان نبأ من المستر نيكولي وكيل رئيس الجامعة الاميركية في بيروت يشعر بوصول المستر كراين الى دمشق ولم يكن هذا الامر مجهولا فقد اذاعته صحف مصر وفلسطين من قبل وبما انني احد خريجي تلك الجامعة وصديق للمستر نيكولي اجله واحترمه وصديق للمستر كراين ايضا منذ عام ١٩١٩ عندما جاء سورية على راس اللجنة الاميركية الاستفتائية رايت انه يجب علي أن أقوم بكل ما يمكن من احترامه ما دام مقيما بيننا .

الرئيس ـ انا لا ألومك على استقبال المستر كراين او اكرامك اياه ولكنني أؤاخذك على ما دبرته من الاجتماعات والمظاهرات التي أفضت الى حدوث جرائم .

الدكتور ـ انا لست مسؤولا عن اي اجتماع أو مظاهرة لانني كنت اصحب

المستر كراين لأقوم بترجمة ما يطرح عليه من الاسئلة وما يجيب هو به .

الرئيس ــ ألم تعقدوا اجتماعــا في بستان الحيات بالصالحية بتاريــخ ٢ نيســـان .

الدكتور ــ نعم اجتمعنــا .

الرئيس ــ وجميع الذين حضروا ذلك الاجتماع الم يكونوا من المعروفين بالكره للحكومة الفرنسية ؟

الدكتور ــ كلا بل كان هناك فريق من أعز أصدقاء السلطة .

الرئيس ــ سواء كانوا من اصدقاء فرنسا او اعدائها فقد جاؤوا بدعوة منــك ؟

الدكتور ــ لم أدع احدا .

الرئيس ــ لقد القيت خطابا في ذلك الاجتماع ؟

الدكتور ــ كذب من ابلغكم ، فانا لم اخطب مطلقا بل كنت انقــل كلام الحضور الى المستر كراين وكلامه اليهم . انا لا اكذب فما قلته هو الصــــدق اما ما نقل اليكم فهو محض افتراء .

الرئيس ــ لدي صورة عن خطابك الذي قلت فيه : ان العــرب بذلــوا جهدهم في الوصول الى استقلالهم فكان جزاء عملهم حرمانهم من الاستقلال ومكافأتهم بالذل والعبودية . وقد حاولت مخادعة الجمهور بادعائك بأن المستر كراين مندوب من قبل عصبة الامم ؟

الدكتور ــ لقد سبق وقلت لك : انني لم أخطب في ذلك الاجتماع وقلت عن المستر كراين انه المنــدوب السابق لجمعيــة الامم لا في الماضي ولا في الحاضر .

الرئيس ــ اذن لم تدع احدا للاجتماع ؟

الدكتور ــ أحب ان تدعو لي من يشهد بأنني دعوته للاجتماع ، لقد كنت أصحب المستر كراين كترجمان فقط .

الرئيس ــ كان الاجتماع اذن بطريق المصادفة ؟

الدكتور ــ طلب كثيرون من المستر كراين ان يلبي دعوتهم .

الرئيس ــ من هم ؟

الدكتور ــ لست جاسوسا لأذيع خفايا الناس واسرارهم .

الرئيس ــ يوجد رجل دبر واياك هذا الاجتماع .

الدكتور ــ ومن هو ذلك الرجل ؟

الرئيس ــ حسن الحكيم .

الدكتور ــ وهل تريدون ان اسأله ؟

الرئيس ــ في ذلك الاجتماع كنت انت وسعيد حيدر تستقبلان الجموع

الدكتور ــ انا لم اكن مستقبلا للناس بل كنت ترجمانا للمستر كراين ليس الا .

الرئيس ــ لقد القيت خطابا في ذلك الحين .

الدكتور ــ أعود فأؤكد لكم انني لم الق خطابا مطلقا لا في ذلك الاجتماع ولا في سواه .

الرئيس ــ كنت تظهر رغائب الحضور وامانيهم وقد قلت بوجوب اسقاط الحكومة ، واستبدال رجالها والمناداة باستقلال البلاد .

الدكتور ــ هذا زعم جناة كاذبين ، وانا لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ــ اذن ما الذي كنت تنقله من كلام الاهلين الى المستر كراين

الدكتور ــ لقد كان اكثر ما ترجمته مقتصرا على الحالة الاقتصادية فقد قال احد الحاضرين : ان والده كان يدفع ۳۰۰ غرشا سنويا في زمن الحكم التركي وقد بقي في هذه البلاد ثلاثين سنة تاجرا ولم يتجاوز ما يدفعه من التمتع ذلك المبلغ المذكور . اما اليوم فيأخذون منه ۱۷۰۰۰ غرشا سنويا . وقال غيره : انه كان يدفع ايام الحكومة الماضية ١٥٠ غرشا فأصبح اليوم يدفع ١٣٦٠ غرشا .

الرئيس ــ كان ذلك في ايام تركيا ام في ايام غيرها ؟

الدكتور ــ كان في ايام تركيا والحكومة الوطنية .

الرئيس ــ لقد قلت في خطابك ان التقرير الذي طلبتم فيه انتداب اميركا قد ضاع وان الانتداب الفرنسي غير رسمي .

الدكتور ــ لقد كنت اترجم كلام المستر كراين الذي قال : ان التقارير التي جمعناها من سورية والتي عرفنا منها رغبة السوريين في الاستقلال التام قد القيت في زوايا الاهمال في وزارة الخارجية الاميركية وقد جئنا الى سورية في الماضي رسلا أمناء وكان هذا جوابا من المستر كراين على سؤال وجه اليه عن نتيجة تقرير اللجنة الاميركية .

الرئيس ــ ثم حدث اجتماع آخر ؟

الدكتور ــ أين ومتى ؟

الرئيس ــ في بستان عبد الرحمن الكزبري في ٥ نيسان .

الدكتور ــ نعم ولكنني لا اذكر التاريخ .

الرئيس ــ وكان الاجتماع لامضاء مضابط وكنت انت الداعي اليه .

الدكتور ــ ارد هذا الكلام ردا باتا .

الرئيس ــ وعندما خرجت من الاجتماع سألت جمهورا من الشبان هل انتم ثابتون على افكاركم ؟ وحرضتهم على المناداة بالاستقلال والمجاهرة بعداوة الانتداب .

الدكتور ــ لا اذكر شيئا من ذلك وانني لا ابرح ارفض كل انتداب فرنسويا كان او انجليزيا او اميريكيا .

الرئيس ــ وقلت ليحي الاستقلال وليحى كراين وولسون والشعوب الحرة .

الدكتور ــ قلت ذلك وقاله الكل ، ولكل انسان الحق في ان يقول ذلك ويحيى الاستقلال والحرية .

الرئيس ــ في ٦ ابريل جئت فندق دامسكوس والقيت امام المستر كراين خطابا اجابك عليه بمثله .

الدكتور ــ جئت الفندق لاودع المستر كراين فوجدته في غرفته ثم نزلنا معا فرايت جمعا من الناس جاؤوا لتوديع الضيف فدعاني مستر كراين للذهاب معه ومخاطبة جمهور المودعين .

الرئيس ــ وهل كلمت الاشخاص الذين اتوا امام الفندق ؟

الدكتور ــ لقد تكلمت امامهم بما لا يخرج عن حد المجاملة .

الرئيس ــ اكنت راكبا ام ماشيا ؟

الدكتور ــ مشيت اولا ثم ركبت مع المستر كراين لاكون مترجما له .

الرئيس ــ ماذا كنتم تقولون ؟

الدكتور ــ كنا ساعة التوديع في حالة انفعال نفسي فكنا نصيح ليحى الاستقلال لتحى الحرية ، مظهرين في هذا الهتاف اعجابا بهذا الشخص

المحبوب الذي جاء سورية لانتخاب فتاتين تتعلمان على حسابه في اميركا وهما الآنستان نازك العابد واليس قندلفت .

الرئيس ـ هل كان انفعالكم هذا نتيجة اجتماع اربعة ايام ؟

الدكتور ـ كلا فان الدموع التي كانت تجري من اعين الناس كانت بنت ساعتها وقد سببها شعور الالم الذي يشعر به كل سكان هذه البلاد .

الرئيس ـ كنتم تصرخون ليسقط الخونة ، وليسقط الظالمون ، ولتسقط الحكومة ولنمت في سبيل بلادنا .

الدكتور ـ لم ينطق احد منا بغير كلمة ليحيى الاستقلال ولتحيى الحرية .

الرئيس ـ انك قلت امام دائرة الشرطة ـ البوليس ـ : ان فرنسا بعفوها عن المجرمين السياسيين تشجعنا على طلب الاستقلال .

الدكتور ـ لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ـ قلت امام فندق فكتوريا لتحيى شجرة الاستقلال النامية .

الدكتور ـ كنت اتكلم باللغة الانكليزية وقلت ذلك .

الرئيس ـ هتفت عند سفر السيارة قائلا مع السلامة الى الملتقى ياحضرة المندوب وفي تلك الاثناء حملك الشعب على الاكتاف .

الدكتور ـ هل تكره ياحضرة الرئيس ان اكون محمولا على اكتاف الشعب ؟..

الرئيس ـ كلا

الدكتور ـ ان الشهبندر قضى عشرين سنة في خدمة استقلال وطنه ونصرة قوميته ، فرجل مثل هذا الا يحق له ان يحبه الشعب ويحمله على الاكتاف ؟

الرئيس ـ انك تحاول بمناسبة عفو فرنسا عن المجرمين السياسيين ان تتظاهر بالتودد لها ومحبتك اياها .

الدكتور ـ كلا أنا لا أحب فرنسا ولا أتودد لها . وعندي ان انكلترا واميركا وفرنسا شعوب واحدة لا فرق بينهما .

الرئيس ـ في اليوم الذي اوقفتك فيه الشرطة وجد معك حوالة بألف دولار بامضاء المستر كراين .

الدكتور ـ ان تلك الحوالة تسبب لي الفخر .

الرئيس ـ ما هو الغرض من تلك الحوالة ؟

الدكتور ـ ان في نية المستر كراين تعليم فتاتين الواحدة مسلمة والثانية مسيحية على نفقته في مدارس اميركا أسوة بخالدة اديب الشاعرة التركية التي تعلمت على حسابه .

« وهنا قام المحامي الياس نمور واراد ان يتكلم ـ فقال الدكتور شهبندر دعني أدافع عن نفسي وانفي التهمة التي الحقت بي واكشف للمحكمة أمر الحوالة ـ » .

الرئيس ـ لا يهمني امر الحوالة مادامت لم تدفع وانا أؤمن بكلامك ، ولكن بعد ايقافك ظهرت في المدينة مظاهرة .

الدكتور ـ لا أعرف شيئا مما حدث اذ كنت في سجني .

الرئيس ـ ان المظاهرات حدثت عن اوامر صدرت من السجن والادلة متوفرة .

الدكتور ـ أروني تلك الاوامر ؟ !

الرئيس ـ يقرأ صورة الاوامر وهي : « أقفلوا المدينة حتى موعد المحاكمة » انك لم تكتب هذا المنشور ولكنه خرج من السجن ورجال الدرك

السوري هم الذين اذاعوه وبلغوه .

الدكتور — لا علم لي بشيء من هذا ولا نصيب له من الصحة .

الرئيس : لقد تبين لنا ان المظاهرات التي حدثت في ١٠ و ١١ نيسان « ابريل » كانت من الاشخاص الذين اطلق سراحهم وكانوا يتلقون اوامرهم منك اثناء اعتقالهم .

الدكتور — لم أعط أمرا لا في السجن ولا في غيره .

الرئيس — في ٩ نيسان « ابريل » ألقيت في السجن خطابا صرحت به للمسجونين بكل ما تداولتم به في الاجتماعات الماضية . وقلت : « ان الولايات المتحدة مهتمة بأمر سورية ثم حلفت المعتقلين على القرآن » .

الدكتور — كنت اقص على الرفاق حوادث سفري يوم فررت من مظالم جمال باشا الى العراق والهند ومصر .

الرئيس — الك ما تقوله بعد ؟

الدكتور — انني أشكو من المعاملة التي عوملنا بها ، والسجن الذي وضعنا فيه فانه لا شمس فيه ولا هواء ، وقد منعنا من الخروج لاستنشاق الهواء النقي .

الرئيس — ولكن هذا السجن لم تبنه الحكومة الفرنسية بل هو موجود من قبل وقد كان في زمن الحكومة الفيصلية .

الدكتور — كان يمكن للحكومة ان تضعنا في منزل او بناية اخرى غيره .

ثم عكف على بقية المعتقلين يسألهم الواحد تلو الآخر فكان كل منهم يجيب بما ينبغي من رباطة جأش ووطنية متقدة ، من ذلك ما قاله في المحاكمة حسن الحكيم : « هل تريد المحكمة ان تناقشني الحساب على ما بدر مني من حسن

وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها ، وان لاتميز ايضا بين اتباع أي دولة اجنبية وبين اتباعها في الامور التي لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي الحرف والمهن أو في معاملة السفن البحرية او الوسائط الهوائية وكذلك الامر يجب ان لا يكون تمييز في سورية ولبنان بين البضائع التي يكون مصدرها او محط رحالها بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور والتجارة عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة .

يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر اعلاه ان تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التي تراها ضرورية او توعز للحكومات المحلية ان تفرضها ، ويمكن للدلة المنتدبة او الدولة المحلية التابعة لمشورتها ان تعقد لاسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصا مع البلاد المتاخمة لها .

ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الاول من هذه المادة ان تتخذ الوسائل الفعالة التي تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان .

تمنح الامتيازات لترقية هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز في تابعية الاشخاص الداخلة دولهم في عداد اعضاء جمعية الامم بشرط ان لا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية ، ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام . لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة في ايجاد الاحتكارات المالية التي من شأنها أن ترقي مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردهما المالية والمحلية ، ويمكن للحكومة ان تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة او بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط ان لا يوجد هذا العمل لا عمدا ولا بالواسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة او برعاياها ، أو يمنحهما ميزة من الامور الاقتصادية والتجارية والصناعية التي تقرر فيها المساواة بين الجميع .

المادة ١٢ ــ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولي عام عقد حتى الآن او ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الامم بخصوص الاتجار بالرقيق ، وبالعقاقير وبالسلاح ، والمعدات الحربية ، وبالمساواة التجارية ، وحرية العبور ، والملاحة والطيران ، والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية ، وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية المصانع والآداب والفنون .

المادة ١٣ ــ تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الاحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان في الامور ذات الفوائد العامة التي تقرها جمعية الامم لمنع الامراض ومقاومتها وفي جملتها امراض الحيوان والنبات.

المادة ١٤ ــ تتضمن هذه المادة بحثا طويلا في قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار في صك الانتداب لفلسطين فليرجع اليها .

المادة ١٥ ــ عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه في المادة الاولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومتان المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التي انفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التي افادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الامم .

المادة ١٦ ــ تكون اللغة الفرنسوية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين في سورية ولبنان .

المادة ١٧ ــ تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريرا سنويا حسب طلبه تبين فيه التدابير التي اتخذتها اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والانظمة التي تسن سنويا .

المادة ١٨ ــ يجب ان يوافق مجلس جمعية الامم على كل تعديل يحصل

في شروط هذا الصك .

المادة ١٩ ـ يستعمل مجلس جمعية الامم نفوذه عندما تنتهي مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان في المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التي منحتها ادارة سورية ولبنان ايام الانتداب .

المادة ٢٠ ـ توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة في عضوية جمعية الامم بخصوص تفسير شرط في صك الانتداب او تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولي الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم ، هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات .

لا بد لهذه الدول التي انشئت من مجالس تمثلها امام دولها لهذا أصدر المفوض السامي في ٣٠ اغستوس سنة ١٩٢٣ قرارا بانشاء مجلس تمثيلي لدولة دمشق قوامه ٣٠ عضوا على ان تكون صلاحيته محدودة للنظر في الميزانية والضرائب والتشريع والادارة وعلى أن يكون له الحق في تعيين ممثلي الدولة في مجلس الاتحاد وعلى ان يكون له ايضا حق طرح الاسئلة على الحاكم وابداء الرغبات .

كما انه قد اصدر المفوض ايضا قرارات بانشاء مجلس مثله لدولة حلب وآخر شبهه لدولة العلويين .

أما في لبنان وجبل الدروز فقد أنشيء في كل منهما من نظير هذا المجلس مجلسا من قبل .

فدمشق التي ما أخلدت لضيم ما رفعت عقيرتها بالشكوى والاحتجاج على انشاء مجلس كهذا ضيق الصلاحية محصور الاختصاص لا يمثل الشعب بشيء وقاطعت انتخاباته ولم تعترف على القرار الذي صدر بشأنه واضربت المدن عشرة ايام احتجاجا على هذا الانشاء والتأسيس وان كان كل ما قام

به الاقليم السوري من الواجب لم يزحزح السلطة شعرة عما صممت على عمله . فهي قد اتمت الانتخابات واخرجت النواب الذين انتخبتهم والذين قاطعهم الشعب ولم يتعرف اليهم والذين كانوا يمثلون انفسهم فحسب والذين لولا ان تحرسهم الحكومة برجالها ما كانوا احياء بالفين مجلس الاتحاد.

واتحاد كهذا تحميه الحراب ، وتحرسه البنادق ورجال الانتداب من الطبيعي ان لا يعيش طويلا وان يلغى سريعا لأن ما لا يرضى الشعب عنه لا يمكن ان يكتب له البقاء وان كتب فالى زمان معلوم ووقت محدود .

والى الشعب السوري العربي احتجاجه فلم يفتر ولم يهدأ ولم يسكن مما اهاب بالجنرال ويغاند « خلف الجنرال غورو » ان يصدر في الخامس من كانون الاول عام ١٩٢٤ قرارا بالغاء الاتحاد وابداله بوحدة تجمع بين دولة دمشق ودولة حلب عدا حكومة العلويين ونص القرار ما يلي :

١ ــ تتحد دولتا حلب ودمشق اعتبارا من اول يناير سنة ١٩٢٥ وتؤلفان دولة واحدة تسمى ــ الدولة السورية ــ .

تؤلف الدولة السورية ضمن الحدود الحالية لدولتي دمشق وحلب دولة مستقلة عاصمتها دمشق على ان يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة المنتدبة .

يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى « رئيس دولة سورية » وينتخبه المجلس التمثيلي بأكثرية الآراء المطلقة وان كان من اعضاء المجلس التمثيلي تزول منه هذه الصفة يوم انتخابه . ويتحتم استبداله بغيره .

٣ ــ يتولى رئيس دولة سورية القيام بوظائف رئيس الاتحاد للدول السورية وبوظائف حكام الدول وفقا للقرارات المعمول بها .

وهو يعين كبار موظفي الدولة وفقا لاحكام القوانين والانظمة التي يتعين بها دستور هؤلاء الموظفين وسيصدر فيما بعد قرار للتمييز بين كبار الموظفين وغيرهم لتعيين سلسلة مراتبهم .

٤ ـ يؤازر رئيس الدولة وزراء يناط به امر نصبهم واستبدالهم وتعود الى الوزراء الادارة العليا لجميع مصالح الدولة المربوطة بدائرة كل واحد منهم ويضمن كل بما تعلق به تطبيق احكام القوانين والانظمة ويسمون الموظفين الذين لا يعود امر تسميتهم لا الى رئيس الدولة كما نصت عليه المادة الثالثة من هذا القرار ولا الى المتصرف او الوالي وفقا لاحكام القوانين المعمول بها .

٥ ـ الوزارات خمس ـ وزارة الداخلية : وبها تربط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والاسعاف العام .

وزارة العدلية : ـ

وزارة المالية : وبها تربط مديرية المصالح العقارية ومديرية اراضي الدولة .

وزارة المعارف العامة : ـ

وزارة الاشغال العامة والزراعة والاصلاح الاقتصادي : وبها تربط مديرية البرق والبريد .

٦ ـ تبقى على حالها ادارة الالوية والاقضية والنواحي والبلديات ويسمى لواء حلب « ولاية حلب » ويقوم واليها بوظائف المتصرفين وفقا للقوانين والانظمة المعمول بها .

٧ ـ ان وظائف مجلس كل من دولتي حلب ودمشق التمثيليين ووظائف المجلس الاتحادي يقوم بها في الدولة السورية مجلس يطلق عليه اسم « المجلس التمثيلي لدولة سورية » .

والقواعد التي اتبعت في انتخاب اعضاء المجالس التمثيلية لدولتي حلب ودمشق هي القانون المرعي في انتخاب اعضاء المجلس التمثيلي لدولة سورية

ما لم يصدر قانون انتخاب جديد .

٨ – تقوم بالسلطة القضائية المحاكم البدائية والاستئنافية ضمن الشروط المنصوص عليها في القوانين الاتحادية المحددة ووظائف هذه المحاكم وكيفية تأليفها وسير اعمالها .

٩ – ينتهي ارتباط لواء اسكندرون بولاية حلب وتبقى ادارته جارية وفقا للاحكام الخاصة المنصوص عليها في القرار رقم ٩٨٧ المؤرخ في ٨ اغسطس سنة ١٩٢١ والقرار رقم ١٨٨١ المؤرخ في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ وتناط برئيس الدولة السورية وظائف حاكم دولة حلب فيما يتعلق بادارة هذا اللواء .

١٠ – تتمتع ولاية حلب بالامتياز المالي المحدد كما يلي :

تجمع الواردات التي تجبى في اراضي الولاية باسم ضرائب بلا واسطة « مباشرة » وضرائب بالواسطة « غير مباشرة » ورسوم وكل دخل من اي نوع كان مما اجيزت جبايته وفقا للاصول وكذلك كل المبالغ المخصصة للولاية باسم الاموال التابعة للتوزيع .

وتجمع ايضا :

١ – النفقات التي تصيب الولاية من اعباء الادارة المركزية للدولة .

٢ – كل النفقات التي تستوجبها رسميا مصالح الدولة الكائنة في اراضي الولاية .

٣ – النفقات المتأتية عن القيام في اراضي الولاية بأشغال عامة او ذات نفع محلي او النفقات التي تستلزمها اعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية او الاجتماعية مما له فائدة محلية .

٤ – ما يصيب الولاية من النفقات التي يستوجبها القيام بأشغال عامة

ذات نفع عام أو بأعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية أو الاجتماعية مما له نفع عام تكون قد استفادت منه الولاية ويخصص الزائد من المداخيل لاشغال عامة ذات فائدة محلية او لاعمال لها ذات الفائدة من شأنها تحسين الزراعة والاقتصاد والاحوال الاجتماعية .

١١ ــ يمثل المفوض السامي لدى الدولة السورية مندوب يساعده مندوبون معاونون .

١٢ ــ ان سلطة المفوض السامي وممثله هي التي نصت عليها القرارات والتعاليم المعمول بها وان المقررات التشريعية والتنظيمية التي يصدرها رئيس دولة سورية تعرض للتصديق على المفوض السامي . وكل تعيين يجريه رئيس الدولة ينبغي تصديقه من المفوض السامي .

وينبغي ان يقر المفوض السامي انتخاب رأس الدولة وله ان يعلن زوال سلطته لاسباب تتعلق بالمصلحة العامة .

١٣ ــ ينبغي ان تصدق اعمال رئيس الدولة السورية من قبل المندوب لدى حكومته متى كان التصديق غير عائد للمفوض السامي او متى خول المفوض السامي مندوبه حق التصديق .

وكل تعيين للوظائف التي يتقلدها الوزراء والمديرون ينبغي تصديقه من مندوب المفوض السامي .

وفي الملحقات حيث يكون مندوب معاون تصدق مقررات الحكومة المحلية من قبله .

١٤ ــ يتألف اول مجلس تمثيلي للدولة السورية من اجتماع اعضاء المجلس التمثيلي لدولتي حلب ودمشق .

١٥ ــ رئيس دولة سورية هو الرئيس الحالي لاتحاد دول سورية الذي

انتخبه مجلس الاتحاد في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وسينتهي عهده قانونا في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

١٦ ـ تقوم الدولة السورية مقام دولتي حلب ودمشق فيما يختص بالحقوق والواجبات المتعلقة بهاتين الدولتين وتقوم مقام الاتحاد دول سورية بقسم يعين فيما بعد من الحقوق والواجبات المتعلقة بذلك الاتحاد .

ما كانت لتنطلي حيل الفرنسيين على الشعب العربي السوري وما كانت هذه القطرة من الماء لتروي ظمأه من بعد ان اصبح على عطش مميت للحرية فأدرك ان هذه الاسربة التي تلوح بها السلطة من حين الى حين من ضم بلد الى بلد واسترضائه بمعسول الكلم من وقت الى وقت ما كانت لتنقع منه الغلة او لتشفي العلة وانها بالحقيقة كانت كلاشيء بالنسبة الى ما تتمتع به من قبل كما المعنا من ايام ذاق فيها طعم السعادة طليا ورتع في بحبوحة من العيش السياسي المشرف السامي عقيب نصر الحلفاء وايام العهد الاستقلالي الذهبي .

وبحق نجاهر ونقول ان الفرنسيين قد سلكوا كل سبيل لخدمة امتهم على زعمهم فأتوا الى هذه البلاد بالضربة القاضية القاسية ، ضربة التقسيم ثم اخذوا يرتدون عنها فيلهون الشعب العربي السوري كلما رأوا منه حركة نشاط او هزة عنف بضم جزء الى جزء ليروا مفعول هذا المخدر البسيط فيه وليقدروا مبلغ تأثيره عليه حتى اذا ما أنسوا انه كان كافيا لاخلاده للسكينة وقفوا عند هذا الحد فلا يبلغوه امانيه كلها .

على ان الشعب السوري العربي الذكي قد ادرك ذلك منهم فلم يقنع بما فعله الجنرال ويغاند وظلت مراجل الفتن تضطرم على هدوء وسكون الى ان تجد المنفذ الذي تنفجر منه فتدل على ما كان يزكيها من بواعث واسباب .

عودة الى عام ١٩٢٠ والى صباح الواحد والعشرين من اغسطس ترينا

ان العربي السوري لا يؤخذ بالاشراك والحبائل مهما أحكم امرها ومهما دبر اقرارها بليل . ففي هذا اليوم المشهود غادر وفد من دمشق يؤم حوران لا لكي يحمل اليه الحرية والحياة والاستقلال بل ليحمل له الرضوخ والذل ويحسن امامه العبودية والاضطهاد ولكي يوقعه في الغل والاسر والقيد واخيرا لكي يجبي منه الغرامة التي فرضتها عليه السلطة الفرنسية عقيب فاجعة ميسلون . ورجال هذا الوفد هم : علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة اذ ذاك وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى في ذلك العهد وعطا الايوبي وزير داخلية تلك الدولة والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الجليل الدرا .

وما ان وصل هذا الوفد محطة خربة الغزالة التي تبعد خمسة وعشرين كيلو مترا عن درعا حتى داهم القطار الذي يقله رجال حسبهم اعضاء الوفد انهم أتوا لاستقباله لما كانوا يسمعونه من اهازيجهم وصياحهم ولكن سرعان ما ذعروا واسقط في ايديهم عندما رأوا هذا الجمع الحاشد قد انقلب عليهم واخذ يتحراهم ليوقع فيهم ، فكان موقف عصيب رهيب لاقى فيه هذا الوفد ما لم يخطر له في بال واضطرب اي اضطراب ، واخذ كل منهم يفتش عن مخبأ يفر اليه من موت اكيد فاهتدى الجمع الى الدروبي وكان مندسا في قاطرة الدرجة الثالثة فقتلوه وانهزم عبد الرحمن اليوسف الى دار المحطة فلحق به الرجال ، وهناك ذبحوه بعد ان اطلقوا الرصاص عليه، وقد نهبوا جميع ما في القطار وقد لاذ باقي الوفد بالفرار .

على اثر ذلك جهزت السلطة حملات على اهالي حوران انتقمت بها منهم انتقاما فظيعا اذ أعملت فيهم النار والدمار فلم يستطيعوا ان يقفوا في وجه الحديد والرصاص رغم ما انضم اليهم من قبائل بني نعيم والفضل والسلوط وغيرهم ، وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٩٢٠ اشترط الفرنسيون الغرامات الباهظة التي كان قدرها آلاف من الليرات العثمانية الذهبية لقاء ما كان من

أهالي حوران يوم ٢١ اغستوس على ان الطائرات الفرنسية قد فتكت في قرى حوران فتكا ذريعا فلم تبقي فيهـا حجرا على حجر ، واحرق الجيش البيادر والبيوت بعد نهبها ، فأرسلت لجنة الاتحاد السوري في مصر بتاريخ ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ الى رؤساء حكومات الحلفاء ومجالسها النيابيـة ورئيس الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ فيها والى كبريات الصحف في العـالم ومشاهيرها الاحتجاج الآتي :

ذهل السوريون لقراءة البلاغات الفرنسية الصادرة بتاريخ ٢٣ اغستوس واول سبتمبر سنة ١٩٢٠ المنبئة بتدمير الجيش الفرنسي تدميرا منظمـا لمقاطعة حوران الزراعية التي هي اهراء سورية . الطيارات تخرب القـرى بأكملها قاتلة للنساء والاولاد بلا رحمة . نحن نستصرخ الامم المتمدنة ومنها الامة الفرنسية ضد هذه الاعمال الوحشية التي يقصر عنها الوصف وتورث الاحقاد باطالة زمن القتال » .

وفي العشرين من ايلول سنة ١٩٢٢ اعـدمت السلطـة كـلا من السادة عوض صلاح الدين المصري وحسين الحاج ويوسف عيسى وزعـل يوسف بتهمة اغتيال الوزراء يوم حادث خربة الغزالة .

هذا ما كان في حوران واما ما جرى في شمالي الاقليم السوري فـان الزعيم الكبير المغفور له ابراهيم هنانو قام بالواجب المقدس فألف العصابات وجاهر بمقارعة الفرنسيين ومقاتلتهم واعلن العصيان عليهم واخذ يضرم نار الثـورة في جهـات حلب وضواحيها فانتشرت وتفشت في انطاكية وحارم والعمق وادلب والمعرة وجسر الشغور ، وقـد ساعـده في عملـه الشريف وجهاده الاقـدس بعض من ضبـاط العثمانيين فانهزم الفرنسيون في معارك شتى واستطاع هذا الزعيم الباسل ان يتصل بالمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي الذي طالما اصطدم مع الفرنسيين في منطقة اللاذقية فصدمهم وهزمهم شر هزيمة وحتى انه استولى على معظم القرى والدساكر هناك فهدد نفس

اللاذقية فأوجس الفرنسيون منه خيفة ، وباتوا يحذرون هنانو في الشمال والشيخ صالح العلي في اللاذقيـة وستروا عديد انهزاماتهم بالكتمان فلم يطلعوا ابناء البلاد عليها فجهزت السلطة الفرنسية قـوات كبيرة لملاحقـة العصابات ومطاردتها ، واصدر الجنرال غورو بلاغا بالفرنسية في ٢ ايلـول سنة ١٩٢١ بالنص التـالي :

« منذ شهر مارس حتى شهر يوليو سنـة ١٩٢١ كان عدد كبير مـن الكتائب يعمل بملء النشاط ويقاوم بدون انقطاع عـددا شديد المراس مـن العصابات مسلحا في اراضي جبلية وينازله في معارك كبيرة تنتهي بالانتصار حتى استتبت السكينة وانتظمت الامور الادارية وطاردت الجيوش بـين ٦ ابريل و٢٣ مايو سنة ١٩٢١ عصابتي ابراهيم هنانو والشيخ صالح العـلي وكانتا متحالفتين ولم تدع لهـا وقتا للراحة فتفرقت العصابتان منسحبتين نحو الشرق ، وقد أفضت هذه المعارك الشديدة الى احتلال البلاد وانشـاء مراكز ثابتـة في كفر تخاريم ودركوش وجسر الشغور ومعرة النعمان ومـن ثم زحفت قوى الكولونيل نيجر العديدة بعدما وضعت الحواجز من البحـر الى نهـر العاصي وطافت بلاد العلويين من الشمال الى الجنوب واشتبكت في معـارك طويلة من ١٠ مايو حتى ١٩ يونيو حيث نشبت معركة بالقدموس وانتهت هـذه المعارك العنيفة بطاعة العلويين وهزيمة الشيخ صالح العلي وقد تخلى عنه معظم اعوانـه » .

واصدر نفس الجنرال بلاغا آخر نصه ما يلي :

« في ١٢ مايو خرجت حملـة من اللاذقيـة بقيـادة الكولونيـل نيجر فتوجهت الى جبلة والمرقب حيث مركز العصابات وفي يوم ١٣ منـه زحفت حملة اخرى من محردة « محطة من محطات سكة الحديد بين حمص وحماه » بقيادة الكولونيل دوم وسارت في الوقت نفسه حملة ثالثة من الحمدانيـة « محطة من محطات سكة الحديد بين حماه وحلب » بقيادة الكولونيل فيك

ومشى الجنرال غوبو قائد اللواء الثالث من حلب على راس لوائه لتأديب العصابات فبلغ معرة النعمان يوم ١٥ منه ودخلت قوة الكولونيل فيك في اليوم التالي الى حبيط وتقدمت قوة الكولونيل دوم فاستولت على جسر الشغور وزحفت قوة اخرى بقيادة الكولونيل فونيه على قلعة المضيق فاحتلتها ودارت معركة عنيفة في جسر الشغور بين الثوار وحملة الكولونيل جران كور انتهت بانسحاب الثوار والاستيلاء على البلدة وقد ارتدت العصابات امام هذه القوات العظيمة ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثين الف مقاتل فغادر ابراهيم هنانو مقره في جبل الزاوية يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢١ ومعه ٥٥ جنديا وضابطا قاصدا عمان فلاقاه الفرنسيون شرقي سلمية يؤيدهم اسماعيليون ودارت معركة بينه وبينهم انتهت بأسر اربعة من ضباطه اما هو فواصل السفر فوصل الى عمان يوم ٣١ منه » .

يمم الزعيم هنانو وجهه شطر فلسطين لزيارة القدس فاعتقلته السلطة البريطانية هناك فاهتاج العرب وماجوا واعتدوا على قائد الدرك البريطاني واحتج رجالات العرب هناك وطلبوا اطلاق سراحه فما افادت هذه الصيحات ولا أثرت تلك الاحتجاجات وأرسل الزعيم مخفورا الى بيروت حيث سلم للسلطة الفرنسية وحيث حوكم في حلب الشهباء امام المجلس العسكري الفرنسي اذ برأه واطلق سراحه . أما الشيخ صالح العلي فقد ظل متواريا عن الانظار حتى اذاعت السلطة الفرنسية بلاغا في السادس من تموز سنة ١٩٢٢ تعلن استسلامه لها .

الاغتيالات والعصابات :

لا بد وان يكون المطالع الكريم قد ادرك مما مر من الحوادث التي إتينا على وصفها والتي سنبسطها اليه فيما يلي مبلغ امتعاض السوريين العرب من الانتداب الفرنسي ومبلغ نفورهم منه واستنكارهم له وقد ذكرنا فيما

مضى ســـوء تصرف السياسة الفرنسية وما قام به مندوب الفرنسيين السامي الجنرال غورو من سوء تصرفه ومن خطأ سياسته ومن قصر نظره في ادارة البــلاد مما اهاب بالكثير من الناس لاظهــار هذا المقت والالم في كل فرصــة وفي كل سانحــة وقد دل على ما ذكرنا بصورة صريحة الحادثة التي وقعت الى المندوب الســامي الجنرال غورو في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ ابان مجيئه لزيارة الامير محمود الفاعور قريبــا من القنيطرة اذ انــه ما بلغ تلك الناحيــة حتى انهال عليــه الرصاص كالوابل المدرار من قبل رجال اقتعدوا مقعـــدا له عندما علموا بانــه سيمر من هنالك ، وفي هذه الواقعة نال حاكم دمشق اذ ذاك حقي العظم بضع رصاصات في فخذه وذراعه وشفته جزاء دفاعــه عن المندوب السامي غورو ونال نفس الجنرال شيئا من هذه الحادثة في كم بذته من ناحية اليد المبتورة فيهــا على ان مرافق الجنرال قــد قضى فــي هــذه المعركــة .

كان شأن الفرنسيين عقيب هذا الحادث شأن المتشفي المنتقم ممن لــم يجترح سيئة ولم يقترف اثما وولى وجهه شــطر العزل الآمنين من الاهلين اذ عجز وعيي عن الانتقام ممن اوقعوا به وبمن معه هنــاك . فكم عذب مــن ابرياء ونكل بودعاء واعمل الاذى والظلم والتعذيب باناس لا ناقة لهم في ذلك الحادث ولا جمل . لقــد جرد الحملات على كل ما يتبع القنيطرة من قــرى ودساكر واعمل النار فيها يدمرهــا بقنابل المدافــع مرة وبقذائف الطائرات أخرى ويسـوم ذويهــا سوء العذاب بفرض الغرامــات تارة وبزج الزعماء في السجون طورا كما فعل بقرى جباتة الخشب والعــوفاني وطرنجه والاحمــر وتل الشيخة ومجدل شمس وجباتة الزيت مما لا يقره عقل ولا يرضى به منطق ولا يأمر فيــه شــرع ولا يسوغــه قانون وان الفرنسيين انفسهم لــم يتورعوا عن ان يذيعوا ذلك ببــلاغ فرنسي تعريبه ما يلي :

« في يوم ٢٣ يونيو ظهرت على طريق القنيطرة عصابة قادمة من شرق

الاردن وبعد ان قضت مأربها عادت في اليوم نفسه الى عجلون وهذه نتائج التحقيق والعقوبات :

زحفت حملة بقيادة الكولونيل روكرو من دمشق يوم ٢٣ يونيو فوصلت الى القنيطرة يوم ٢٦ منه فدمرت بأمر المندوب السامي قرى جباة الخشب ـ المنشية ـ عوفاني ـ طرنجة ـ الاحمر ـ تل الشيخة ـ لانها آوت مجرمي القنيطرة فأصبحت شريكة لهم في الخيانة وقد حجزت اموال اهاليها وحكم فوق ذلك على كل قرية بغرامة من خمسين جنيها الى مئة جنيه ذهبا ودمرت الحملة نفسها ١٧ مزرعة في جباتة الخشب وارطانيا وترانك وفي ٢٩ منه زحفت على مجدل شمس وجباتة الزيت وفي ٣٠ منه عادت الى القنيطرة حيث باعت الاموال المحجوزة » .

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر بما قامت به السلطة الفرنسية من اعمال يندى لها وجه الانسانية خجلا وقد شاع ان الرجال الذين قاموا بايقاد نار هذه المعركة هم من لجأوا الى شرقي الاردن على اثر فاجعة ميسلون الشهيرة والذين هم : خليل علي المريود ومحمود حسن من جباتة الخشب وشريف شاهين من جباتة الزيت ومحمد ظاهر من شبعة وصادق حمزة وادهم خنجر . ويقال بأن هؤلاء قد عادوا الى شرقي الاردن على اثر هذا الحادث لذلك لم تستطع القوة الفرنسية ان تنال احدا منهم بأذى .

لم تقتصر الحال على سورية فحسب بل كانت كذلك في لبنان اذ انه في سابع نيسان سنة ١٩٢٢ اغتال مجهول على وصيد باب المستشفى الفرنسي في بيروت مدير الداخلية في لبنان اسعد بك لما اتصف به من الولاء والانقياد وانفاذ اوامر الفرنسيين وتفانيه بالاخلاص للانتداب الفرنسي.

اضطرب حبل الامن في المناطق التي كان الانتداب الفرنسي يسودها من ذلك ما ظهر في الفرات وامتد الى دير الزور وخضد من شوكة الفرنسيين وثل من نفوذهم هناك مما اضطر رجال السلطة لارسال حملة لقمع الثورة

في دير الزور في ثامن وعشرين ايلول سنة ١٩٢١ من حلب الشهباء بقيادة الكولونيل دي بيوفر قابلها الثوار بسواعد مفتولة وجأش رابط واعملوا فيها القتل واستبسلوا استبسالا شديدا ساروا فيه على اصول حرب العصابات فانسحبوا مرتدين الى الفرات وقد ألمع الى هذه المعركة بلاغ فرنسي رسمي .

واخذت الفتن تبدو في كل ناحية وفي كل مكان كلما رأت الى العصيان سبيلا من ذلك ايضا ما قام به ملحم قاسم الثائر الشهير حوالي بعلبك من هجمات متوالية عليها وعلى ما يتبعها من بلاد ومدن مما ذعر له رجال الانتداب وظنوا ان لا قبل لهم بهذا الرجل وبرجاله وحسبوا لهذه العصابة حسابا كبيرا على قلة عدد رجالها وتفاهة معداتها وظلت حوادث العصيان بين كر وفر حتى أمن الفرنسيون ملحم قاسم على حياته فاستحسن الاستسلام وفعل .

الزعيم شهبندر ورجاله وحوادث كراين :

لقد اجمع المؤرخون قاطبة على ان الضغط المتمادي ما يلبث ان يبعث في نفوس المضغوط عليهم شعورا وحسا ينتج عنهما الانقلاب المفاجيء المدعو بالانفجار السياسي لا سيما اذا كان متواليا متعاقبا بلا فاصلة ولا انقطاع وعلى من عرف بالشهامة والمروءة والموت في سبيل الكرامة والعزة والحرية فالشعب السوري العربي العريق بالمجد والمحتد وبالاندفاع نحو الذود عن القومية العربية وعن مقومات الحياة الصحيحة لم يرضخ ولن يستكين ولن يرضى ببدل لأي كان وان شام منه مضطهده هدوءا او صمتا او رضوخا فان ذلك منه كالرئبال الذي ينتكص الى الوراء كي يثب وكالاسد المتحفز للانقضاض عندما يرجع وكالاناء الذي يمكث تحت الضغط هنيهة ينفجر على اثرها فيهدمي ويؤذي ويدمر من ارهقه وضغط عليه .

بعد هذه الكلمة الوجيزة التي لم نر بدا من بسطها نرى انه من البداهة

ان نقول ان في هذا الشعب السوري العربي من الرجال من لا يكون للمستعمر عليهم أي سلطان او نفوذ وانه ان الفى منهم سدرا وجمودا فان معنى ذلك التأهب والتهيؤ والاستعداد . وان الذي لم يرض لمن كان قبل الفرنسيين بتسليم القياد والانقياد لن يرض بهما للمضطهد المستعبد الاجنبي الغريب من كل ذلك نتج ان الزعيم العربي الدكتور عبد الرحمن شهبندر ما لوى عنقه امام السفاح جمال باشا الذي حمل على العرب ونال من كرامتهم بل جابهه في المسجد الاموي والناس سكوت مجابهة الند للند والعظيم للعظيم ، لا يمكن ان يخنع للفرنسيين وامثالهم ولا يمكن ان ينام على ذل لهم او لسواهم . وقد كان على الفرنسيين ان يدركوا ذلك وان لا يحسبوا ان الامر قد استقام لهم وان الدهر موات لهم وانهم قبضوا على ناصية الشعب .

في اول نيسان بينا كان الزعيم في مكتبه بداره بدمشق تناول من ساعي البريد كتابا صادرا من رئيس الجامعة الاميركية الاستاذ نيكولي مؤرخا في ٢٩ آذار سنة ١٩٢٢ يعلمه فيه بمجيء رئيس لجنة الاستفتاء الاميركية المستر كراين الى دمشق . فخف الزعيم الى لقاء الرئيس وفي ٢ نيسان المذكور اجتمع به في فندق دماسكوس بلاس فقال الرئيس ما معناه : « قدمت الى هنا بقصد التحقيق اذ ان مجرى السياسة يتطلب في هذه الايام ابداء التقرير المشترك الذي نظمناه مع الاخوة اعضاء اللجنة الاميركية التي استفتت بلادكم عام « ١٩١٩ » . ونود ان نرى ما ان كانت الاستعلامات التي حصلنا عليها حقيقة ام لا فأود ان تجمعني بأبناء هذه البلاد واخص بالذكر منهم العلماء « المشايخ » لأرى ما ان طرأ تبدل على آرائهم وما ان كنا مصيبين في الاخبار التي استعملناها فجعلنا التقرير مبنيا عليها » .

فأظهر الزعيم استعداده لتحقيق هذه الرغبة وواصل جهوده لتأمين ذلك واتفق مع كبار من المتنفذين في دمشق على ان يجتمعوا في حديقة الشراباتي في زقاق الحياة في الصالحية . وقد اعلن الزعيم الى النزيل

الكريم ما تم الاتفاق عليه فامتطيا السيارة الى ما كان القوم بانتظارهما في الحديقة المذكورة وما ان وصلاها حتى كان الجمع المؤلف من كافة الطبقات باستقبالهما استقبالا شائقا لائقا يهتف بحياتهما هتافا يشق عنان السماء . وقد كان صحبة المستر كراين كاتم اسراره المستر برودي وبعد ان تجاذبوا جميعا اطراف الحديث اعلن المجتمعون تأييدهم ما كانوا اطلعوا عليه المستر كراين يوم تقدم الى دمشق مع اخوانه للاستفتاء عام ١٩١٩ وشكو اليه الظلم الفرنسي والضرائب التي طرحها عليهم وكان الرئيس الاميركي يدون ما يسمعه .

وفي ٣ نيسان زار المستر كراين الميتم السوري وعلى راسه الآنسة اليس قندلفت فقدر لها جهودها التي رآها ونبوغها الذي لمحه منها وتبرع بايفادها الى الديار الاميركية لاتمام التحصيل هناك على نفقته فبر بوعده وحصلت على شهادة عليا من جامعة كبرى وتعينت في العراق .

وفي اليوم الرابع من الشهر الملمع اليه دعا حي الميدان المستر كراين الى حديقة حسن الحكيم فاحتشد هناك مئة من الاعيان او اكثر فلبى الرئيس الاميركي هذه الدعوة واصاخ بسمعه الى ما كان يدلي به القوم اليه من بث وشكوى ونجوى في كل ناحية من نواحي الحياة وشأن من شؤون الادارة .

ثم لبى المستر كراين دعوة نساء الشهداء في منزل الفقيد الكبير شكري العسلي في حي المهاجرين واصغى الى ما كن يشكونه اليه منه والى الآمال التي كن يعقدنها عليه وعلى لجنته .

وقد كان على موعد مع الآنسة نازك العابد ليستمع اليها ما تشكوه بشأن مدرسة الشهداء التي انشئت في عهد الحكومة العربية والتي اتخذت السلطة المنتدبة ادنى الوسائل واحطها لاقفالها وقد كاد ان يكون نصيب هذه الآنسة كنصيب الآنسة اليس من حيث التحصيل العالي في اوروبا على نفقة المستر كراين لولا أن مانع ابوها فكان بذلك على غير حق ولا عدل ولا راي .

ثم كان المستر كراين يوم الخامس منه في الدعوة التي وجهت اليه من
علية القوم واكابرهم لتناول الغذاء في بستان بالقصاع واستمع هنالك الى
ما فاه به النخبة المختارة من الحاضرين والى ما قاله الاستاذ محمد الشريقي
وعلى الاخص الى ما كان يطرب الجمهور وهو الآي الكريم الذي كان يرتلها
الاستاذ الشيخ محمد الحلواني وقد كان سرور المستر كراين واعجابه بذلك
عظيما . وابان ترك البستان تقدم طلاب الجامعة السورية وفي مقدمتهم
تلامذة الحقوق منهم : امين سعيد وفائق العسلي وشفيق سليمان وصبري
العسلي ومنير مردم وحلمي ابو خضرة وغيرهم يعلنون تأييدهم باسم طلاب
الشعب العربي في مطاليبه المشهورة . وفي سادس نيسان تقدم الزعيم
الشهبندر للمستر كراين بالوثائق والمستندات التي رفعها ذووها باسم المستر
كراين ثم أزمع الرئيس الاميركي على السفر فبذل الزعيم اعظم الجهود
ليكون الاحتفال بتوديعه على اعظم ما يكون وبالفعل فقد تم له ما اراد فأقبل
الناس الى بهو الفندق زرافات ووحدانا يشيعون الراحل الكريم فودعهم
المستر كراين فردا فردا وخاطبهم بقوله : « ما اشد سروري برؤيتكم واسفي
لاضطراري الى مغادرة مدينتكم وسيكون الدكتور كنج الذي كان في لجنة
الاستفتاء مسرورا جدا من نتيجة تحقيقي . ثم انني أتيت لهذه البلاد في وقت
لا يسمح لي سني معه على السفر ولكنني شئت ان ارى البلاد التي زرتها مع
اصدقائي عام ١٩١٩ ولا يمكنكم ان تقدروا السرور الذي يصيبها من نتيجة
هذه التحقيقات البديعة ... تمسكوا بقضيتكم فانها عادلة وتوسلوا اليها
بالوسائل العصرية لا بالطرق القديمة » فتعالت الاصوات بالهتافات بالاستقلال
العربي وللدكتور ولسن وللشعب الاميركي وللمستر كراين وللزعيم شهبندر
ثم استقل المستر كراين سيارته يحيط به الزعيم والمحتشدون وكانت الشوارع
والشرفات والاماكن والباحات غاصة بالجماهير التي كانت كالسيل العرم وهنا
تبارى الناس للخطابات فارتجل شيخ مصري وقف على مقدم السيارة

خطابا رائعا اظهر فيه للمستر كراين تضامن الشام والقطر الشقيق مصر وختم قوله باسقاط الانتداب فتعالى الهياج والتهب الحماس ، وانبرى القوم يؤمنون على قول الخطيب باسقاط الظلم والاضطهاد ، فأعقب ذلك الخطيب الشاب المثقف فؤاد الخياط وارتجل كلمة كانت نارية الهبت في نفوس المجتمعين نار الكرامة واستفزت منهم الشعور والحس وانبرى القوم ينشد الاناشيد الوطنية صائحا :

نحن لا نرضى الحماية	**لا ولا نرضى الوصاية**
نحن أولى بالرعاية	**لبني العرب الكرام**

وغير ذلك من الاناشيد وكان الزعيم الشهبندر يترجم للمستر كراين ما كان يقوله الجماهير لافتا نظره الى ما تتضمنه من معاني والى ما كان يزداد في كل خطوة تخطوها السيارة من جماهير جديدة اتت لتشيع الرئيس الاميركي .

وكانت الزهور والرياحين تتساقط على السيارة والمحتاطين بها تساقط الغيث المنهمر . ولم يقتصر الاحتفاء بتشيع الرئيس على الرجال فحسب بل كانت جمهرة غفيرة من النسوة تساهم في ذلك وعلى رأسهن عقيلة الزعيم وشقيقة الفقيد الغالي شكري العسلي فقد بلغ الحماس بهاتين السيدتين درجة اقبلتا معها على رفع السيارة لو استطاعتا هاتفتين بحياة الاستقلال فأزكى صنيعهما هذا نار الحماس في صدور المحتشدين فأخذوا بالهتاف عاليا بحياة الاستقلال والحرية . ثم عندما بلغ الموكب دائرة البلدية صاحت عقيلة الزعيم بحياة الشعب العربي فدوت ارجاء الساحة بذلك الهتاف ولم يتمالك بعض الوطنيين أنفسهم من مشاطرة المحتشدين الشعور حتى أن كثيرا من موظفي الحكومة في السراي عندما بلغها الموكب كان شأنها شأن تلك الجماهير ، وكان الاستاذ زكي الخطيب مدير رسائل ديوان الحاكم العام يقاسم الناس شعورهم ويشاطرهم عواطفهم ، وظل الحشد سائرا

حتى بلغ نزل فكتوريا ، فأومأ الزعيم الى سائق السيارة بالوقوف للتوديع ، وصمت الناس فقال الزعيم الى المستر كراين بالانكليزية ما تعريبه : « التفت الى ورائك ياسيدي واحفظ هذه الصورة التاريخية في قلبك وستمر على اوروبا واميركا فترى فيها افرادا بضمائر حرة لا يزالون يحبون الانسانية ويغارون على الحرية فاذكر لهم ما رأيت واشرح لهم ماسمعت وانقل اليهم ما تقراه في هذه الوجوه والجباه » .

ثم قال الزعيم بالعربية : « فليحيى الاستقلال التام . ولتحيى شجرة الحرية النامية والى الملتقى ايها الرسول الكريم » .

قال ذلك واشار الى الناس بالارفضاض عن السيارة ، وما ان فعلوا حتى رفع المستر كراين قبعته وانحنى امام الجميع يحييهم فصفقوا له طويلا وارخى السائق للسيارة العنان وكاتم اسرار المستر كراين يلتقط هذه الصورة التاريخية بجهاز تصويره لتكون له ذكرى .

اعتقال الزعيم ورجاله

غادر المستر كراين ربوع الفيحاء والشعور السائد الجماهير التي كانت ترافقه لا يزال طوافا عليها ترتقب مساعي ذلك الرجل الذي انعش فيها الآمال واحيا الاماني وجدد الهمم وبعث النشاط ، وعاد الحشد الحافل يحتاط بزعيمه الفذ الدكتور شهبندر هاتفاً له بالحياة الطويلة والعمر المديد ، ثم ذهب كل الى عمله وآوى الزعيم الى داره .

وفي اليوم التالي سابع نيسان اتى احد الشرطة دار الزعيم شهبندر طالبا اليه ان يرافقه فوعد بالتلبية ودخل الى داره يكتب الى الرئيس ولسون ما معناه : « لي الشرف ان اقص على مسامع حضرة الرئيس السابق للولايات المتحدة واذكره انني احد السبعة الذين وقعوا على المذكرة التي

تقدمت اليه – أي للرئيس ولسون – بواسطة معتمد حكومته السياسي في القاهرة سنة ١٩١٧ وفيها رغائب الشعب العربي ومن دواعي اغتباطي وتعزيتي ان الايام قد دلت بأفصح دليل رغم انف الدسائس على ان تلك الرغائب هي رغائب الشعب العربي المستضعف . ثم قال له ان العهود الشريفة التي اقتطعها للناس على جبل فرنون والمبادىء السامية التي نشرها بجانب مرقد واشنطون لا تزال مصدر الهام للمظلومين في الشرق والغرب وان الكارثة التي سعينا جهدنا لتجنبها وقعت كالصاعقة على رؤوس امتنا فاخذت تسحقها تحت أقدامها ، ويكفي أن أقول ان هتفة واحدة للحرية والاستقلال وللمبادىء السامية التي انطق الله بها الامة الاميركية على لسان رئيسها الكريم ادت بالحكومة المستعمرة الى اتخاذ قرار بتوقيفي وتوقيف بعض اخواني وربما نفينا جميعا بعد ذلك وسيقص على حضرته صديقه الامين المستر كراين ما رأى بعينيه وسمع بأذنيه في الاقليم السوري من المظالم والمغانم التي بلغ صداها عنان السماء ولولا الشرطي المفوض المأمور بالقبض علي ونقره على بابي يستبطئني ويستحثني على مغادرة داري لكتبت له من تفاصيل امورنا ما يدله على ان البذور التي زرعها في العالم الجديد نبتت او كادت تنبت في العالم القديم ولا سيما في الشرق حيث المظالم على أتم مظاهرها » .

وسلم هذه الرسالة الى الوصيفة التي في بيته اذ ان عقيلته اذ ذاك لم تكن في الدار وطلب الى هذه الوصيفة ان تسلم الكتاب الى سيدتها كي تبعث به غب عودتها الى المستر كراين الذي كان في بيروت اذ ذاك عن طريق المستر آلن معتمد جمهورية الولايات المتحدة بدمشق .

ابان مرافقته للشرطي صادف مجيء ولديه عائدين من المدرسة فانهالا على والدهما الزعيم يطوقان عنقه بأذرعهما طالبين اليه ان يأخذهما معه فطمأنهما بالعودة قريبا وانفلت منهما يرافق الشرطي .

وقد ألقي القبض في عين اليوم على كل من حسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وعبد الوهاب العفيفي .

اشتد الامر على الشعب وبينا كان الناس في الجامع الاموي لأداء فريضة الجمعة قام من بينهم كل من توفيق الحلبي وخالد الخطيب ومحمد الشريقي يخطبون الناس ويستفزون عواطفهم ويستنهضون هممهم ويستحفزون مشاعرهم وابائهم وغادروا المسجد بمظاهرة كبرى يتصفحون دور القناصل والمعتمدين واحدا واحدا طالبين التوسط بالافراج عمن اعتقلوا . ثم القي القبض على امين سعيد وعلى توفيق الحلبي وخالدالخطيب ومحمودحمديحمودة وعادل حتاحت وسعاد الشلبي وخليل خطاب وثروة الجعفري وتوفيقالقيسي ورشدي ملحس وتوفيق عجم اوغلي وحسن زنبركجي وصبري البديوي ومحمد الخطيب .

فسرى هذا النبأ في المدينة سريان البرق وهاجت دمشق وماجت وآلت على نفسها أن تضرب احتجاجا على هذا الاعتقال الغاشم واقفلت المحال التجارية والاسواق ومعاهد العلم ودور المدارس وهبت الفيحاء بأسرها تقوم بتظاهرة هتفت فيها للحرية طويلا فأرسلت السلطة قوات مسلحة عتادها الدبابات والمصفحات لتفريق المتظاهرين المتجمهرين وقد بلغ عدد من اعتقل حتى ذلك اليوم خمسين شخصا واعلنت السلطة الفرنسية الاحكام العرفية .

وتوالى ارسال المدد لقمع التظاهرات باطلاق الرصاص على الناس كما توالى من ناحية ثانية تأليف المظاهرات الواحدة تلو الاخرى والبلد مع جميع البلاد السورية مضرب مقفل متوقف عن العمل احتجاجا ينشد الحرية والاستقلال والافراج عن المعتقلين الاحرار ومن جملة التظاهرات التي تألفت مظاهرات السيدات وقد ضمت حرائر دمشق وفضليات نسائها تهتفن للحرية وتسقطن الاستعمار والانتداب ويحيين الاستقلال والسيادة القومية

وتنادي بحياة الزعيم الشهبندر وظلت مظاهراتهن سائرة قدما حتى ساحة الشهداء في دمشق وهنالك تجمهر اشباه الرجال رجال الشرطة يحاولون تفريق اللبوات وردهن الى العرين فلم يفوزوا على ما أوتو من قسوة وخشونة وعنف من تلكم السيدات بطائل واستطعن هؤلاء الفضليات ان يجبن انحاء المدينة .

وظلت الفوضى سائدة ربوع الشام اياما طويلة الى ان هبطت المدينة قوة كبرى قوامها الف ومئتي جندي اشغلت كامل المدينة من جميع نواحيها وضرب النطاق على دمشق وقد اصدرت السلطات البلاغ التالي :

وفقا للقرار بوضع دمشق تحت الاحكام العرفية يشعر الكولونيل غودني قائد جيوش دولة دمشق الاهلين بما يأتي :

١ ـ يمنع التجمع في الطريق العامة ويقمع ذلك بالسلاح .

٢ ـ يمنع التجول في شوارع المدينة من الساعة السابعة مساء حتى السادسة صباحا .

٣ ـ يطلب من الاهلين ان يعودوا لاعمالهم كالعادة .

ازمعت السلطة بعد ذلك على محاكمة المعتقلين فنقلت ليلا في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل ١٨ نيسان الزعيم الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض والدكتور خالد الخطيب وعبد الوهاب العفيفي وتوفيق الحلبي الى نظارة الشرطة في الطابق الارضي من بناية العابد حيث كان الديوان العرفي الفرنسي في الطابق الاول منها .

وافرج عن بقية المعتقلين ما عدا امين سعيد ورشدي ملحس وسعاد الشلبي وتوفيق عجم اوغلي والشيخ احمد السوري اذ اشترطت السلطة ان يغادروا دمشق خلال ثمان واربعين ساعة . وبالفعل فقد أذعنوا وتركوا الوطن آسفين متألمين وكان المؤرخ الكبير امين سعيد في طليعة القوم الذين

آلوا على انفسهم ان يبرحوا دمشق بالجسم وان يظلوا فيها بالروح فقد نذر قلبه ودماغه وقلمه في سبيل العروبة والوطن واقسم جهد الايمان بأن لا ينفك عن خدمة الامة العربية مادام فيه عرق ينبض وفؤاد يخفق . وولى وجهه شطر الاقليم المصري الشقيق مصر يبر بوعده وينفذ ما آلى عليه واقسم وظل بعيدا عن وطنه حتى اعلان العفو العام سنة ١٩٢٨ اما موقوفوا النظارة فقد ظلوا حتى صبيحة اليوم الثاني الساعة السابعة والنصف وفي هذا الوقت جيء بهم من سلم البناية الداخلي الى بهو المحاكمة خلسة وخفية وقد سدت السلطة كل المنافذ المؤدية الى هذه البناية وحشدت قواها في مداخل الطرق الرامية الى بناية العابد واتخذت كل الاحتياطات حتى تمنع الناس من حضور المحاكمة . ولو افسحت المجال للناس لكانت دمشق بأسرها وبكاملها في المحاكمة .

كانت المدينة مغلقة برمتها محتجة على ما كان للزعيم ولرجاله الاحرار . وقد تألفت الهيئة الحاكمة « المحكمة العسكرية الفرنسية » من اليوتنان كولونيل لاريث « رئيسا » والكومندان جانيسي والكابتين غوري واليوتنان بيرساي « أعضاء » واليوتنان ليفيك سكرتيرا .

وتولى الدفاع عن المعتقلين كل من المحامين الاساتذة جلال زهدي – وزير العدل سابقا – وفارس الخوري نقيب محامي دمشق اذ ذاك وسعيد المحاسني والياس نمور والملازمون « الوليتنان » جيمس وشوفاليه والبين وهؤلاء قد انتدبتهم المحكمة للدفاع عن المعتقلين وفقا لنظامها .

ابتدات المحاكمة في الساعة الثامنة صباحا بتلاوة مضبطة الاتهام المنظمة من هيئة التحقيق ونصها :

« ١ – اتهم المعتقلون بتدبير مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مشفوعة بالعمل ومحاولة العمل لاعداد التنفيذ .

٢ ـ بالتحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع ايقاع اضطرابات لأن المؤامرة اعقبها العمل او المباشرة به لاعداد التنفيذ .

وتنطبق هذه الافعال على المواد « ١٧ و ٨٧ و ٨٩ » من قانون الجزاء الفرنسوي وعلى المادتين « ٢٤ و ٢٥ » من قانون المطبوعات الفرنسوي المؤرخ في ٢٩ يوليو سنة ١٨٨١ وعلى المادة ٢٦٧ من قانون الجزاء العسكري الفرنسي وعلى المادة ٨ من قانون ٩ اغسطس سنة ١٨٤٩ الفرنسوي المعدل بقانون ٢٧ ابريل سنة ١٩١٦ الفرنسي بشأن الادارة العرفيـة .

وبعد ذلك دعا رئيس المحكمة الزعيم شهبندر وسأله ما يأتي :

الرئيس : لقد تلقيت من الجامعة الاميركية في بيروت نبأ يشعر بوصول « كراين » الى دمشق فأعددت معدات استقباله وهيأت للاجتماع فريقا ممن اشتهر عنهم الاستياء من الحالة الحاضرة وسهلت اتصالهم به فعقدتم ثلاثة اجتماعات في ٢ و ٤ و ٥ ابريل ، قمتم بعدها بالمظاهرات ؟

الدكتور شهبندر : تلقيت في اول نيسان نبأ من المستر نيكولي وكيل رئيس الجامعة الاميركية في بيروت يشعر بوصول المستر كراين الى دمشق ولم يكن هذا الامر مجهولا فقد اذاعته صحف مصر وفلسطين من قبل وبما انني أحد خريجي تلك الجامعة وصديق للمستر نيكولي أجله واحترمه وصديق للمستر كراين ايضا منذ عام ١٩١٩ عندما جاء سورية على راس اللجنة الاميركية الاستفتائية رايت أنه يجب علي أن أقوم بكل ما يمكن من احترامه ما دام مقيما بيننا .

الرئيس ـ انا لا ألومك على استقبال المستر كراين او اكرامك اياه ولكنني أؤاخذك على ما دبرته من الاجتماعات والمظاهرات التي أفضت الى حدوث جرائم .

الدكتور ـ انا لست مسؤولا عن اي اجتماع أو مظاهرة لانني كنت اصحب

المستر كراين لأقوم بترجمة ما يطرح عليه من الاسئلة وما يجيب هو به .

الرئيس ــ ألم تعقدوا اجتماعــا في بستان الحيات بالصالحية بتاريــخ ٢ نيســـان .

الدكتور ــ نعم اجتمعنـــا .

الرئيس ــ وجميع الذين حضروا ذلك الاجتماع الم يكونوا من المعروفين بالكره للحكومة الفرنسية ؟

الدكتور ــ كلا بل كان هناك فريق من أعز أصدقاء السلطة .

الرئيس ــ سواء كانوا من اصدقاء فرنسا او اعدائها فقد جاؤوا بدعوة منــك ؟

الدكتور ــ لم أدع احدا .

الرئيس ــ لقد القيت خطابا في ذلك الاجتماع ؟

الدكتور ــ كذب من ابلغكم ، فانا لم اخطب مطلقا بل كنت انقــل كلام الحضور الى المستر كراين وكلامه اليهم . انا لا أكذب فما قلته هو الصــــدق اما ما نقل اليكم فهو محض افتراء .

الرئيس ــ لدي صورة عن خطابك الذي قلت فيه : ان العــرب بذلــوا جهدهم في الوصول الى استقلالهم فكان جزاء عملهم حرمانهم من الاستقلال ومكافأتهم بالذل والعبودية . وقد حاولت مخادعة الجمهور بادعائك بأن المستر كراين مندوب من قبل عصبة الامم ؟

الدكتور ــ لقد سبق وقلت لك : انني لم اخطب في ذلك الاجتماع وقلت عن المستر كراين انه المنــدوب السابق لجمعيــة الامم لا في الماضي ولا في الحاضر .

الرئيس ــ اذن لم تدع احدا للاجتماع ؟

الدكتور ــ أحب ان تدعو لي من يشهد بانني دعوته للاجتماع ، لقد كنت اصحب المستر كراين كترجمان فقط .

الرئيس ــ كان الاجتماع اذن بطريق المصادفة ؟

الدكتور ــ طلب كثيرون من المستر كراين ان يلبي دعوتهم .

الرئيس ــ من هم ؟

الدكتور ــ لست جاسوسا لأذيع خفايا الناس واسرارهم .

الرئيس ــ يوجد رجل دبر واياك هذا الاجتماع .

الدكتور ــ ومن هو ذلك الرجل ؟

الرئيس ــ حسن الحكيم .

الدكتور ــ وهل تريدون ان اسأله ؟

الرئيس ــ في ذلك الاجتماع كنت أنت وسعيد حيدر تستقبلان الجموع

الدكتور ــ انا لم اكن مستقبلا للناس بل كنت ترجمانا للمستر كراين ليس الا .

الرئيس ــ لقد القيت خطابا في ذلك الحين .

الدكتور ــ أعود فأؤكد لكم أنني لم الق خطابا مطلقا لا في ذلك الاجتماع ولا في سواه .

الرئيس ــ كنت تظهر رغائب الحضور وامانيهم وقد قلت بوجوبه اسقاط الحكومة ، واستبدال رجالها والمناداة باستقلال البلاد .

الدكتور ــ هذا زعم جناة كاذبين ، وانا لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ــ اذن ما الذي كنت تنقله من كلام الاهلين الى المستر كراين

الدكتور ـ لقد كان اكثر ما ترجمته مقتصرا على الحالة الاقتصادية فقد قال احد الحاضرين : ان والده كان يدفع ٣٠٠ غرشا سنويا في زمن الحكم التركي وقد بقي في هذه البلاد ثلاثين سنة تاجرا ولم يتجاوز ما يدفعه من التمتع ذلك المبلغ المذكور . اما اليوم فيأخذون منه ١٧٠٠٠ غرشا سنويا . وقال غيره : انه كان يدفع ايام الحكومة الماضية ١٥٠ غرشا فأصبح اليوم يدفع ١٣٦٠ غرشا .

الرئيس ـ كان ذلك في ايام تركيا ام في ايام غيرها ؟

الدكتور ـ كان في ايام تركيا والحكومة الوطنية .

الرئيس ـ لقد قلت في خطابك ان التقرير الذي طلبتم فيه انتداب اميركا قد ضاع وان الانتداب الفرنسي غير رسمي .

الدكتور ـ لقد كنت اترجم كلام المستر كراين الذي قال : ان التقارير التي جمعناها من سورية والتي عرفنا منها رغبة السوريين في الاستقلال التام قد القيت في زوايا الاهمال في وزارة الخارجية الاميركية وقد جئنا الى سورية في الماضي رسلا أمناء وكان هذا جوابا من المستر كراين على سؤال وجه اليه عن نتيجة تقرير اللجنة الاميركية .

الرئيس ـ ثم حدث اجتماع آخر ؟

الدكتور ـ أين ومتى ؟

الرئيس ـ في بستان عبد الرحمن الكزبري في ٥ نيسان .

الدكتور ـ نعم ولكنني لا اذكر التاريخ .

الرئيس ـ وكان الاجتماع لامضاء مضابط وكنت انت الداعي اليه .

الدكتور ـ ارد هذا الكلام ردا باتا .

الرئيس ـ وعندما خرجت من الاجتماع سألت جمهورا من الشبان هل انتم ثابتون على افكاركم ؟ وحرضتهم على المناداة بالاستقلال والمجاهرة بعداوة الانتداب .

الدكتور ـ لا اذكر شيئا من ذلك وانني لا ابرح ارفض كل انتداب فرنسويا كان او انجليزيا او اميريكيا .

الرئيس ـ وقلت ليحي الاستقلال وليحى كراين وولسون والشعوب الحرة .

الدكتور ـ قلت ذلك وقاله الكل ، ولكل انسان الحق في ان يقول ذلك ويحيى الاستقلال والحرية .

الرئيس ـ في ٦ ابريل جئت فندق دامسكوس والقيت امام المستر كراين خطابا اجابك عليه بمثله .

الدكتور ـ جئت الفندق لاودع المستر كراين فوجدته في غرفته ثم نزلنا معا فرايت جمعا من الناس جاؤوا لتوديع الضيف فدعاني مستر كراين للذهاب معه ومخاطبة جمهور المودعين .

الرئيس ـ وهل كلمت الاشخاص الذين اتوا امام الفندق ؟

الدكتور ـ لقد تكلمت امامهم بما لا يخرج عن حد المجاملة .

الرئيس ـ اكنت راكبا ام ماشيا ؟

الدكتور ـ مشيت اولا ثم ركبت مع المستر كراين لاكون مترجما له .

الرئيس ـ ماذا كنتم تقولون ؟

الدكتور ـ كنا ساعة التوديع في حالة انفعال نفسي فكنا نصيح ليحى الاستقلال لتحى الحرية ، مظهرين في هذا الهتاف اعجابا بهذا الشخص

المحبوب الذي جاء سورية لانتخاب فتاتين تتعلمان على حسابه في اميركا وهما الآنستان نازك العابد واليس قندلفت .

الرئيس ـ هل كان انفعالكم هذا نتيجة اجتماع اربعة ايام ؟

الدكتور ـ كلا فان الدموع التي كانت تجري من اعين الناس كانت بنت ساعتها وقد سببها شعور الالم الذي يشعر به كل سكان هذه البلاد .

الرئيس ـ كنتم تصرخون ليسقط الخونة ، وليسقط الظالمون ، ولتسقط الحكومة ولنمت في سبيل بلادنا .

الدكتور ـ لم ينطق احد منا بغير كلمة ليحيى الاستقلال ولتحيى الحرية .

الرئيس ـ انك قلت امام دائرة الشرطة ـ البوليس ـ : ان فرنسا بعفوها عن المجرمين السياسيين تشجعنا على طلب الاستقلال .

الدكتور ـ لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ـ قلت أمام فندق فكتوريا لتحيى شجرة الاستقلال النامية .

الدكتور ـ كنت اتكلم باللغة الانكليزية وقلت ذلك .

الرئيس ـ هتفت عند سفر السيارة قائلا مع السلامة الى الملتقى ياحضرة المندوب وفي تلك الاثناء حملك الشعب على الاكتاف .

الدكتور ـ هل تكره ياحضرة الرئيس أن أكون محمولا على اكتاف الشعب ؟..

الرئيس ـ كلا

الدكتور ـ ان الشهبندر قضى عشرين سنة في خدمة استقلال وطنه ونصرة قوميته ، فرجل مثل هذا الا يحق له ان يحبه الشعب ويحمله على الاكتاف ؟

الرئيس ــ انك تحاول بمناسبة عفو فرنسا عن المجرمين السياسيين أن تتظاهر بالتودد لها ومحبتك اياها .

الدكتور ــ كلا انا لا احب فرنسا ولا أتودد لها . وعندي ان انكلترا واميركا وفرنسا شعوب واحدة لا فرق بينهما .

الرئيس ــ في اليوم الذي اوقفتك فيه الشرطة وجد معك حوالة بألف دولار بامضاء المستر كراين .

الدكتور ــ ان تلك الحوالة تسبب لي الفخر .

الرئيس ــ ما هو الغرض من تلك الحوالة ؟

الدكتور ــ ان في نية المستر كراين تعليم فتاتين الواحدة مسلمة والثانية مسيحية على نفقته في مدارس اميركا اسوة بخالدة اديب الشاعرة التركية التي تعلمت على حسابه .

« وهنا قام المحامي الياس نمور واراد ان يتكلم ــ فقال الدكتور شهبندر دعني ادافع عن نفسي وانفي التهمة التي الحقت بي واكشف للمحكمة أمر الحوالة ــ » .

الرئيس ــ لا يهمني امر الحوالة مادامت لم تدفع وانا أؤمن بكلامك ، ولكن بعد ايقافك ظهرت في المدينة مظاهرة .

الدكتور ــ لا أعرف شيئا مما حدث اذ كنت في سجني .

الرئيس ــ ان المظاهرات حدثت عن اوامر صدرت من السجن والادلة متوفرة .

الدكتور ــ أروني تلك الاوامر ؟ !

الرئيس ــ يقرأ صورة الاوامر وهي : « اقفلوا المدينة حتى موعد المحاكمة » انك لم تكتب هذا المنشور ولكنه خرج من السجن ورجال الدرك

السوري هم الذين اذاعوه وبلغوه .

الدكتور ــ لا علم لي بشيء من هذا ولا نصيب له من الصحة .

الرئيس : لقد تبين لنا ان المظاهرات التي حدثت في ١٠ و ١١ نيسان « ابريل » كانت من الاشخاص الذين اطلق سراحهم وكانوا يتلقون اوامرهم منك اثناء اعتقالهم .

الدكتور ــ لم أعط أمرا لا في السجن ولا في غيره .

الرئيس ــ في ٩ نيسان « ابريل » ألقيت في السجن خطابا صرحت به للمسجونين بكل ما تداولتم به في الاجتماعات الماضية . وقلت : « ان الولايات المتحدة مهتمة بأمر سورية ثم حلفت المعتقلين على القرآن » .

الدكتور ــ كنت اقص على الرفاق حوادث سفري يوم فررت من مظالم جمال باشا الى العراق والهند ومصر .

الرئيس ــ الك ما تقوله بعد ؟

الدكتور ــ انني أشكو من المعاملة التي عوملنا بها ، والسجن الذي وضعنا فيه فانه لا شمس فيه ولا هواء ، وقد منعنا من الخروج لاستنشاق الهواء النقي .

الرئيس ــ ولكن هذا السجن لم تبنه الحكومة الفرنسية بل هو موجود من قبل وقد كان في زمن الحكومة الفيصلية .

الدكتور ــ كان يمكن للحكومة ان تضعنا في منزل او بناية اخرى غيره .

ثم عكف على بقية المعتقلين يسألهم الواحد تلو الآخر فكان كل منهم يجيب بما ينبغي من رباطة جأش ووطنية متقدة ، من ذلك ما قاله في المحاكمة حسن الحكيم : « هل تريد المحكمة ان تناقشني الحساب على ما بدر مني من حسن

الشعور نحو وطني ، او هل تريد ادانتي بجرم ارتكبتــه فاذا كانت محكمتكم تحاسب الناس على شــعورهم فانــه ليسرني ويثلج صدري ان أكرر امامكم هنـا هتافي للاســتقلال والحريــة لانني أحب وطني واتمنى ان يكون حــرا مستقلا بعيدا عن كل وصاية اجنبية او حماية غربيــة .

واما ما أجاب به سعيد حيدر فهو : « اذا كان يجوز في شرعكم محاكمتنا لمجرد حبنا لبلادنا فنحن لا نفتر عن المجاهرة بهذه المحبــة » .

ثم ان الدكتور منير شيخ الارض قــال : « كان استاذي الافرنسي فــي مدرســة عينطورة يقول لي دائما ــ أحب وطنك واحترم قوميتك واعمل لخير بلادك ولذلك لم اتمالك عنــد ذلــك المشــهد المهيب من ان اهتف لاستقــلال بلادي وحريتهــا » .

وكذلك الدكتور خالد الخطيب لم يكن أقل من هؤلاء الاحرار الابرار جرأة وتفكيرا اذ قال : « انني درست التاريخ وعلمت ان فرنسا هي أم الحرية وان ابناءهــا هم الذين دكــوا الباستيل فأنا كنت أعبر عن شــعوري في الهتاف للحريــة والاستقــلال » .

وهنا بعد ان أنهى كل منهم مقاله طلــب الرئيس الى كــل واحد ان ينهي جميع ما له من الدفاع الاخير فأخذ الكل يشكو من ســوء المعاملة التي كانوا يعاملون بها ومن وضعهم في مكان لا يتخلله نور ولا ينحدر اليه شعاع .

فما ابهت المحكمة الى ذلك وبعدها اعلنت المحكمة القول للمحاكمين فاعترض الاساتذة على صلاحية المحكمة لرؤية هذه الدعــوى لانها عسكريــة افرنسية ولأن المعتقلين مدنيين سوريين . فقررت رد هذا الدفاع وصلاحيتها لرؤيــة الدعــوى واخذت باستماع شهود الادعاء وهم رجال الشرطة ورجال التحري. ثم استمعت الى شهود الدفاع وكــان عددهم ١٥٠ شاهدا في مقدمتهم حسام الدين العمــري وعثمان الشراباتي ورشــيد الرافعي فاكتفى الرئيس بهــؤلاء الثلاثــة وقــال :

« لو جئنا بسكان دمشق قاطبة لشهدوا ببراءة المعتقلين فلا حاجة للاطالة » . ثم تلى النائب العام الفرنسي مطالعته التي حمل فيها على المعتقلين الابرياء حملة شعواء جرم في نهايتها احرار البلاد وختم قوله بطلب الحكم عليهم ، فانبرى المحامون الاساتذة وادلوا بدفاعات مجيدة سجلت لهم القدح المعلى بالقيام في الواجب . واعلن ختام المحاكمة واختلت الهيئة للمذاكرة وبعدها خرجت وقد دعت المحامين وابلغتهم الاحكام الآتية :

الدكتور شهبندر بالسجن عشرين سنة (بأكثرية الاصوات) .

حسن الحكيم بالسجن عشر سنوات (بأكثرية الاصوات) .

سعيد حيدر بالسجن خمس عشرة سنة (باتفاق الاصوات) .

منير شيخ الارض بالسجن عشر سنوات (بأكثرية الاصوات) .

عبد الوهاب العفيفي بالسجن عشرين سنة (بأكثرية الاصوات) .

الدكتور خالد الخطيب بالسجن عشر سنوات (باتفاق الاصوات) .

توفيق الحلبي بالسجن خمس سنوات (بأكثرية الاصوات) .

وذلك وفقا للمواد « ٤٧ و ٨٩ و ٩١ » من قانون الجزاء الافرنسي بدعوى محاولتهم قلب الحكومة .

ان شكل القرار كان مخالفا لقانون أصول المحاكمات اذ انه لم يتل علنا ولم يبلغ للمعتقلين . وان مجرد تبليغه للمحامين مخالف للاصول والقانون .

بعد انتهاء المحاكمة فرق الجند والشرطة المتجمهرين خارج بناية العابد وفي منتصف ليل ٢٠ نيسان أعيد المعتقلون الى القلعة وباتوا حتى منتصف ليل ٢١ منه وفيه ابعدوا الى بيت الدين (قرية في لبنان) .

ثار ثائر الشعب الدمشقي على اثر ذلك وقامت المظاهرات واعلنت الاضطرابات ونشبت الاحتجاجات في كل مكان فنقلت السلطة المعتقلين الى جزيرة ارواد .

فازداد هياج الرأي العام وقد عقد زعماء الاحياء اجتماعات متوالية قرروا فيها الاحتجاج على ما كان من حكم الفرنسيين الجائر نحو الزعيم والاحرار وبالفعل فقد قامت المظاهرات واشتبكت الاهالي مع الشرطة والجند بمعارك دارت رحاها في الاسواق والقي القبض على خمسين رجلا من المتظاهرين وكادت قوى الحكومة ان تنهزم لولا أن عززتها السلطة بقوتها فازداد الشعب حماسا ولم يثنه الضغط عن عزمه بل كان يهيب به لأن يتشدد بالطلب وان يثبت ويصمد حتى ينال امانيه وظلت المدينة مضربة اضرابا عاما من ٢٢ نيسان حتى ٣٠ منه فأثر ذلك على السلطة واذاعت في الشوارع البيان الآتي :

« ليكن في علم الجمهور ان كل من لا يفتح دكانه ويعود لمعاطاة اشغاله يغرم بثلاثين ليرة سورية بدون محاكمة ولا يسمع له اعتراض » .

ظنا منها انها بما صنعته تلقي الرعب في القلوب فيعود المضربون عن اضرابهم ويمارسون اعمالهم غير ان ذلك لم يخفف من غلواء الاهلين وتمسكهم بعقائدهم بل كان شاحذا للهمم ان تصمد وللنشاط ان يستمر وللاضراب ان يدوم فالتاث على السلطة الامر ولم تجد وسيلة ترغم السكان بها على العودة للاعمال الا الجنوح الى الشدة فأخذت تلقي القبض على من تسول لها نفسها بالقبض عليه من التجار والضباط المتقاعدين والشباب بزعم ان لهم تدخلا في المظاهرات والحض على الاضراب . وكانت تبعد من تلقي القبض عليه الى خارج الشام وقد ورد في العدد الصادر بتاريخ ١٧ يونيو سنة ١٩٢٢ من جريدة العمران الدمشقية ان عدد من سجن ونفي وحكم عليه في الحوادث التي جرت بين نيسان ويونيو ٤٤١ شخصا .

وانا اذا ما شئنا ان نورد اسماء كل من اعتقل او حكم او نفي لضاق بنا نطاق هذه الصحائف القليلة لذلك نقتصر على ذكر السادة الآتية اسماؤهم :

حمدي السفرجلاني ، نزيه المؤيد ، عارف الادلبي ، عثمان الشرباتي ،

سعيد عبيد ، مصطفى عمار ، رشيد بقدونس ، شفيق العطري ، محمد الشريقي ، يحيى حياتي ، عادل العظمة ، مسلم العطار ، سليمان القصار ، توفيق مغربية ، أديب خير ، عبد الهادي دباب ، الحاج ياسين دياب ، نسيب سليق ، ياسين الخانجي ، حسني العوا ، نوري الزين ، حسام الدين العمري ، زكي الطرابيشي ، حسن الطرابيشي ، خليل خطاب .

وفي ثالث اغستوس سنة ١٩٢٢ اصدر ديوان الحرب الفرنسي بدمشق حكمه بالسجن خمسة عشرة سنة على كل من منير مردم بك ومحمد شفيق سليمان بك واحمد نسيب السكري وعبد الغني عمر باشا بجرم التواطىء مع الدول الاجنبية او ممثليها ودعوتها للقيام باعمال عدائية واشهار الحرب على حكومة دمشق والسعي في تغيير شكل الحكم . كما انه حكم ايضا على صهيب العطار في السجن خمس سنوات وتغريمه ٣٠٠٠ فرنك بجرم تهيج الرأي العام كما انه حكم ايضا في سجن نديم ظبيان سكرتير المعهد الطبي بدمشق اذ ذاك بالسجن اربع سنوات وتغريمه ٣٠٠٠ فرنك وبديع ظبيان التلميذ في مدرسة الزراعة في تلك الايام بالسجن ٥ سنوات وثلاث آلاف فرنك بجرم القيام بمخابرات سياسية مع الدول الاجنبية وملوك العرب ضد الفرنسيين وقد بعثت السلطة بهم الى جزيرة ارواد والقي القبض على السيد نجيب الريس فنفي الى ارواد ايضا .

عمت موجة الاستياء مدن سورية قاطبة فنشبت المظاهرات في كل بلد وفي كل صقع واعلن الناس استنكارهم للتدابير القاسية التي قامت بها السلطة الفرنسية نحو الشعب السوري العربي فارتفعت الاصوات بالاحتجاج في كل من حمص وحماة وطرابلس الشام وحلب وعم الحنق والغضب كافة البلدان واندلع لسان الالم في كل من المدن السورية واشد ما كان عليه في حمص اذ قامت مظاهرة عنيفة انتهت بجرح ثلاثين شخصا وقتل اربعة اقفلت على اثرها مدرسة التجهيز هناك وحكم على عدد كبير من الطلاب بالطرد والسجن.

بينا كانت سورية تبيت على الالم والحزن والكارثة تتلو الكارثة فيها كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في مصر تتبع مايجري في سورية باهتمام عظيم وكانت توالي الاحتجاجات وتذيع البيانات وتعلن للعالم اجمع ما يأتيه الفرنسي في هذه الربوع من مظالم ومغاشم فكان لهذه اللجنة الفضل الاكبر في هذا الصدد ولولا ان كانت تسمع الصوت السوري العربي يدوي في العالم الاوروبي والشرقي لما كان لسورية من نصير ولا معين ولا سميع .

كانت هذه اللجنة الكريمة تنقل صوت الاستياء العام المنبعث عن قلب سورية الى جمعية الامم والى رؤوساء الحكومات الكبرى في عاصمة الفرنسيين وقاعدة البريطانيين وبقيت عواصم اميركا وايتاليا والى كبريات الصحف الاوروبية والعربية والى رؤوساء وفود الدول والى القارىء الكريم نص بعض البرقيات التى كانت تطيرها هذه اللجنة الكريمة .

« أصبحت الحالة في سورية لا تطاق : ضرائب فادحة وادارة استبدادية ومراقبة شديدة ومحاباة في المعاملات الرسمية وتبذير في اموال الامة انتهز الاهالي فرصة زيارة المستر كراين الرئيس السابق للجنة الاستفتاء الاميركية فأظهروا استياءهم من السلطة المحتلة وسوء ادارتها ورغبتهم في الاستقلال التام بصفة مظاهرة عند توديع المستر كراين فألقت السلطة الفرنسية القبض على زعماء الحركة واعتقلتهم في مكان مجهول فهاج الشعب وقام بمظاهرات عامة مناديا بالاستقلال واسقاط الانتداب فكافحهم الجند بأفتك آلات الحرب من الدبابات والرشاشات وقنابل اليد فقتل أناس وجرح آخرون فأقفلت المدينة ووقفت حركة التجارة وسائر المعاملات فيها والهياج مستمر من أسبوع وقد أعلنت الاحكام العرفية . فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري — الفلسطيني الممثلة لجميع الاحزاب الاستقلالية السورية تحتج على هذا الاعتداء على حقوق الشعب وكل حرية بشرية وتشهد العالم المدني على الآلام التي تقاسيها سورية وتكرر اعلانها لرفض الانتداب المخالف لرغائب

الشعب وتناشد ضميركم تأييد قضيتها العادلة حقنا للدماء وتأمينا للسلام».
ثم ان لفيفا من السوريين العرب في القاهرة عقد في عاشر نيسان اجتماعا قرر فيه تطيير البرقية الآتية الى جمعية الامم والى رؤساء الدول الاوروبية والعربية :

« زار دمشق المستر كراين رئيس اللجنة الاميركية التي انتدبها مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ للوقوف على رغائب اهالي سورية العرب وبمناسبة الاحتفال به اظهر الاهالي استيائهم من الحالة السياسية والمالية الحاضرة. طالبين استقلال البلاد ووحدتها رافضين الانتداب فقبضت السلطة الفرنسية على الزعماء الذين تكلموا باسمهم وعلى اثر ذلك اقفلت دمشق وقام الاهالي بمظاهرة عطف وتضامن مع الزعماء الوطنيين الاحرار ففرقتهم السلطة الفرنسية بقوة السلاح فالسوريون العرب المجتمعون اليوم اجتماعا عاما في مصر يحتجون على هذا الاعتداء على الحرية الشخصية والضغط على حرية الرأي العام ويطلبون نشر تقرير لجنة الاستفتاء الاميركية وارسال لجنة دولية للتحقيق » .

فاهتمت الصحف الاوروبية والاميركية للحوادث المذكورة وافاضت بالكتابة عنها باسهاب وكان مكاتبوا هذه الصحف يوالون التردد على مكتب اللجنة التنفيذية في القاهرة ليستقوا مفصل الحوادث والوقائع السورية العربية منها ليبعثوا بها الى صحفهم .

المستر كراين والعرب :

بعد ان بارح المستر كراين هذه الربوع ولى وجهه شطر الاستانة حيث قابل الجنرال غورو فيها وواصل السير الى جنيف ليلتقي بأعضاء لجنة الوصايات الفرعية في جامعة الامم . هنالك سرد لهم مارآه في الاقليم السوري

ووقف بهم على الشعور الصحيح للشعب العربي السوري ويمم وجهته نحو عاصمة الفرنسيين فاحتفى به السوريون العرب وادبوا له مآدب حافلات فتحدث عن الحالة في هذه البلاد الى صحف واشخاص عديدة كما انه شرح الموقف السوري العربي الى جم غفير من اعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي فأقنعهم ان سوء تصرف السلطة العسكرية في الاقليم السوري يمني فرنسا بمصاريف باهظة هي في غنى عنها ويضطرها لموالاة ارسال النجدات اليه من غير طائل .

لقد كان لهذا الرجل الفذ خدمته الجلى نحو هذا الوطن المفدى مما اطلق الالسنة بالشكر له ومما يجب على كل جيل ان يذكر له هذه الايادي بمزيد الثناء .

بعد ان أتم المستر كراين سياحته في الشرق والغرب وقام بما قام به من الخدمات الجلى عاد الى بلاده فاستعدت الجاليات السورية هناك لاستقباله بحفاوة وتكريم فألفوا موكبا فخما لاستقباله من الباخرة وما ان كان تاسع حزيران سنة ١٩٢٢ حتى وصل الرجل الكريم والانسان الحقيقي مدينة نيويورك وعندما بلغ مدينة بوسطن قابله رجال جامعة هرفرد بما يليق بجنابه من الاحتفال والتعظيم وقد منحوه لقب دكتور في القانون وظل كذلك هذا الشهم يوالي الدفاع عن القضية السورية وحقوق العرب ساردا الحقيقة والامر الصحيح عن الشعب العربي السوري بمقالات عديدة نشرها على صفحات الجرائد الاميركية وهكذا كان الرجل عظيما في بره بوعده كبيرا بانجازه عهده فذا بما أسدى الى هذه الامة من جميل ومعروف .

سفر غورو وتعيين ويغاند

في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ غادر الجنرال غورو الاقليم السوري الى باريس حيث يحضر اجتماع الندوة الفرنسية

لاستجوابه في ميزانية الجيش وكـان يود لـو يستطيع تثبيت المخصصات التي أرصدت للمفوضية كي تنفذ اهدافها الاستعمارية فترك البحث في ذلك الى المسيو روبير دوكـه لما يعلمه عنه من نزعته الاستعمارية غير ان الجنرال لم ينجح فيما تمنى لأن المعارضة كانت شديدة حوله أرغمت الحكومة على تخفيض الاعتماد المخصص للمفوضية الى أدنى حـد ممكن فاستشاط الجنرال عندئذ غضبا ولم يجد ازاء هذا الفشل المريع الا ان يتقدم بالاستقالة وظلت المفوضية العليا خالية في الاقليم السوري من مفوض افرنسي سام الى اواسط نيسان سنة ١٩٢٣ وفيه عين الجنرال ويغاند مندوبا سامـيـا للاقليم السوري ولبنان وهـو من اقطاب الجيش الفرنسي ورئيس الشورى الحربي للمرشال فوش بل ساعده الايمن وقد بلغ بيروت في ٩ مايس سنة ١٩٢٣ خال الشعب العربي في الاقليم السوري ان الحكومة الفرنسية قـد جنحت الى تعديل خطتها وتخفيف وطأة سياستها الغاشمة باستبدال مندوب بدل آخر ولكن ما عتم ان راى خطأ رايها وخطل زعمها عندمـا تحقق لديه ان هذا الخلف لا يمتاز على سلفه بشيء الا الفطنة والدهاء فحسب وهو وايـاه فرسـا رهان وكفتي ميزان من حيث امتهان الكرامة وهضم الحقوق واعنات الكاهل وارهـاق الشعب .

ففي عهد هذا الخلف تمدد امتياز المصرف السوري رغم معارضـة البلاد اياه واحتجاجها عليـه . ذلك المصرف الذي طالما قال عنـه المسيو فيكتـور بيرار ــ النائب الفرنسي ــ « وتدل ميزانية هذا المصرف على ان معدل ربحـه الصافي يساوي سنويا ٢٨ مليونا من الفرنكات فهنيئا لهذا المصرف السعيـد الذي يتناول ستة في المئة من جهة ويربح ٢٨ مليونا من الفرنكات من جهـة ثانيـة » وفي عهـد هذا المندوب الجديد انشئت المحاكم المختلطة التي كانت ضاربة قاضية على القضاء في الاقليم السوري وفي عهده كمت الافواه وأخرست الالسن وتحطمت اقلام الصحافة الوطنية لما كان يتخذه ضدها من تدابير قاسية

وتضييقات شديدة على الحرية الفكرية وكل حرية وفي عهده ايضا توالت الاعتداءات على من يمارس شعائره الدينية وتقاليده المذهبية فكان سيفا مصلتا على الحرية الدينية .

الزعيم الدكتور شهبندر وصحبه وحوادثهم في المعتقل :

منذ ان قام المستعمر بتطبيق سياسة العنف والارهاق والشدة والشعب العربي في الاقليم السوري على قدم وساق لم يهدأ له ثائر ولم يسكن له مضطرب وكانت الهياجات في طول البلاد وعرضها تزداد يوما عن يوم مما خيب ظنون المضطهد وابان له سفه رأيه وقصر حلمه ومما ايد له ان الشعب العربي السوري كل واحد منه شهبندرا بمفرده وكل منهم واع الوعي السياسي المطلوب وان اعتقال احرار البلاد وزعيمها لا يفت في عضد الشعب ولا يقلل من نشاطه ولا يخمد من جذوته بل يزكي النار ويزيد الاوار مهما شددت السلطة على المعتقلين ومهما سامتهم سوء العذاب .

ان السجن والابعاد والتشريد ليصقل النفس ويرهف الحس ويصلي نار الوطنية في الصدور بنسبة الضغط والارهاق فقد كان احد المعتقلين في جزيرة ارواد على مرض أليم بارح معه معتقله ليستشفي في مصح فما كان من هذا الحر الابي الا ان صاح بملء صوته لتحيى الحرية بلغة افرنسية نصها بالحرف الواحد : Vive La Liberté من اعماق فؤاده مما زاد في حنق حاكم الجزيرة العسكري واستشاطته غضبا وأمر ان يزج كل فرد في سجن منفرد لوحده .

تسريح المعتقلين :

في منتصف ليل ثامن عشر تشرين الاول سنة ١٩٢٣ أبلغ حاكم الجزيرة الفرنسي المعتقلين الاشاوس نقله اياهم الى جهة غير معلومة بناء على أمر آمر واطلعهم على وجوب كتابة كل منهم قائمة بما لديه من متاع حتى يعلم ما للواحد عن الآخر من اشياء اذ لايسمح لهم اخذ شيء من امتعتهم معهم . وفي الصباح عاد صحبة اربعة من جنود الفرنسيين واخذ يضع القيود في ايديهم وسار مع تسعة منهم في زورق الى طرطوس حيث كانت سيارتان كبيرتان في انتظارهم معدة لنقلهم وكان الكولونيل بيتشون مدير الامن العام في لبنان بانتظارهم وعاد حاكم ارواد للمجيء بالباقين الى طرطوس وعندما تم نقل الجميع أركبوا السيارتين فأوصاهم مدير الامن العام بالصمت وعدم تحديث السائق وعدم الاشارة وعدم التكلم مع احد ووعدهم خيرا ان عملوا بوصاياه وعبثا حاولوا معرفة الجهة التي يؤخذون اليها غير انهم كانوا يشعرون من بعد الشقة انهم آيبون الى دمشق وفي الساعة الثامنة كانت السيارتان توصل كلا منهم الى بيته وهناك تطلق سراحه في دمشق وما أن علم الاهلون بوصولهم حتى زحفت دمشق برمتها لتحيتهم والهتاف بحياتهم واقامة المآدب والحفلات لتكريمهم .

وهكذا اخذ الافراج عن المعتقلين الآخرين يزداد بالتدريج فانتعشت الآمال بعودة المبعدين وعلى الاخص زعيمهم وارهفت الهمم ومضت العزائم واخذت الاجتماعات الوطنية تتوالى للمداولة فيما يرفع شأن البلاد وينيلها مبتغاها . على ان الزعيم الشهبندر قد رأى بأن البقاء في دمشق لا يؤمن للبلاد ماتصبو اليه من اهداف سامية فقام برحلة طويلة مع عقيلته الى البلاد الاوروبية واميركا وجاب عواصمها الكبرى وتحدث الى اقطاب السياسة فيها وادلى ببراهينه على احقية ممارسة السوريين العرب حقوقهم القومية فكان موضع

احترام واكبار وتعظيم اينما حل وسار وعلى الاخص في اميركا الشمالية ولم يكن شأن عاصمة البريطانيين مع الزعيم شهبندر بأقل مما كان له في عاصمة البلاد الاميركية .

لقد حاضر الزعيم شهبندر في لندن عن حقوق العرب في الاقليم السوري في دار اللورد « مانفيلد » وكان الجمع الذي أصغى الى محاضرته القيمة حافلا بعظام البريطانيين ودهاتهم ورجال الرأي الحصيف فيهم حتى ان نفس عميد جامعة اوكسفورد الدكتور هوجرس كان من جملة من أصغى لما قاله الزعيم وخطب الزعيم العربي في الندوة البريطانية شارحا القضية العربية بحضور الوزراء والاعيان والنواب وحتى بحضور وزير المستعمرات البريطاني الشهير المستر ايمري فكان لمواقف الزعيم المشرفة في اوروبا واميركا التأثير الكبير والصوت الداوي والصدى المسموع .

حزب الشعب :

عاد الزعيم شهبندر الى سورية واخذ بتنظيم الحركة الوطنية بالاشتراك مع اخوانه فكان لا بد من حزب يجمع شتات الامة ويؤلف منها مجموعة واحدة فألف حزبا دعاه باسم « حزب الشعب » .

لقد كان هذا الحزب اقوى الاحزاب قاطبة لما امتاز به من فروعه الممتدة في كل الاقليم السوري حتى الاقليم المصري واتصاله باللجنة التنفيذية وحتى في اوروبا ايضا فمن اعضائه المؤسسين البارزين رئيسه الزعيم الشهبندر والسادة فارس الخوري وفوزي الغزي وحسن الحكيم ولطفي الحفار واحسان الشريف وسعيد حيدر وابو الخير الموقع وعبد المجيد الطباخ وتوفيق شامية واديب الصفدي وغيرهم وقد كان يعمل على وضح النهار وجهارا في حر

الظهيرة اذ كان مسموحا بتأسيسه من قبل السلطة الفرنسية بصورة رسمية ان حزبا مؤسسوه ورجاله هؤلاء الافذاذ لا بد وان يكون له شأن خطير وان يمثل في المسرح السياسي دوره بمهارة واتقان وابداع على انه لم يكتب له البقاء طويلا اذ أغلقت السلطة التي منحته رخصة التأسيس ابوابه ضاربة بالقانون وبالنظام وبالرخصة عرض الحائط ولم تكتف بذلك بل اعتقلت عددا كبيرا من اعضائه وحكمت غيابيا على رئيسه الزعيم شهبندر وعلى السادة حسن الحكيم وسعيد حيدر بالاعدام وذلك قبيل بدأ الثورة السورية العربية الكبرى .

مبايعة الحسين الاول بالخلافة :

خلال يناير من عام ١٩٢٤ حدث في العالم الاسلامي حدث كبير ذلك ان الحكومة التركية الغت الخلافة الاسلامية وطردت السلطان عبد المجيد خليفة المسلمين مع آله من اراضي تركيا وقد صادف ان قام الملك حسين ابن علي برحلة الى شرقي الاردن لبسط نتيجة المفاوضات التي كانت بينه وبين البريطانيين على زعماء البلاد فاتجهت من جميع انحاء البلاد العربية الوفود الكثيرة لمبايعة جلالته بالخلافة .

وما ان اختمرت هذه الفكرة ونضجت واصبحت الرأي السائد في الجميع حتى عرضت على جلالته فقبلها وتمت البيعة بموافقة المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين في العاشر من آذار سنة ١٩٢٤ في حفلة شائقة أقيمت لهذه الغاية خصيصا فكان اول من بايعه شيخ العروبة احمد زكي باشا الشهير .

اقض ذلك الحدث الاسلامي الجديد مضاجع الفرنسيين وآلمهم فطفقوا يحاولون بما أوتوا من قوة التأثير على الرأي العام في الاقليم السوري بشتى

الطرق ومختلف الوسائل مانعين اياه من اداء واجبه الديني موعزين الى عمالهم ان يضطهدوا خطباء المساجد وان يحملوهم على عدم الدعاء الى الخليفة الحسين ابن علي من فوق المنابر وقد بلغ بمتصرف حمص المسيحي الامر ان حظر على الخطباء ذكر اسم الحسين في خطبهم بالجوامع فكان من هؤلاء الخطباء أن ضربوا بأقواله عرض الحائط واجابوه : « لقد تمت البيعة ونحن ادرى بشؤون ديننا وبأحكامه من سوانا » .

وعندما لم تجد السلطة الفرنسية سبيلا للتأثير على الراي العام من هذه الناحية عمدت الى الانتقام ممن بايع الخليفة وهو رئيس علماء دمشق العلامة الكبير المرحوم الشيخ سليم البخاري والد معالي الوطني الكبير الزعيم العسكري نصوحي البخاري فأمرت بتنحيته عن رئاسة العلماء لاقترافه جرم مبايعة المليك .

سلطان باشا الاطرش يضرب الرقم القياسي الاعلى في الشهامة والمروءة :

لقد مر بنا في غير مكان من هذا الكتاب ان الشجاع ادهم خنجر كان في عداد من هاجموا الجنرال غورو واطلقوا الرصاص عليه عندما كان هذا الجنرال آتيا لزيارة الامير محمود الفاعور فكان الساعد الايمن للبطل احمد مريود في اعماله الوطنية .

لقد ذاق هذا الشجاع ادهم الوان البؤس والفاقة في شرقي الاردن حينما اتاها بعد الاحتلال الفرنسي فشاء أن يزور سلطان باشا الاطرش في داره الكريمة في القرية وكان عنده في ١٧ تموز سنة ١٩٢٢ ولم يكن فيه اذ ذاك سلطان فعلم الفرنسيون بوصوله اول القرية فارسلوا قوة كبيرة ساقت ادهم الى

السويداء بجرم انه كان في جملة من هاجم الجنرال غورو قصد الاغتيال في ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٣ فلم يحترموا حق الضيافة واخترقوا حرمة الشهامة العربية . وما ان عاد المضاف وعلم بما كان من خرق الفرنسيين حرمة بيته حتى ثارت فيه النخوة العربية ولعبت براسه الشهامة وآلى عليه ان يترك ادهم بين ايدي من اعتقلوه ولو ادى الامر الى تضحية نفسه فداه لانه ضيف عليه والضيف يجب ان يكون في حمى وان يكون بعيدا عن متناول اليد فأرسل احد اشقائه علي الاطرش الى السويداء طالبا اليه في كتاب ارسله له ان يتوسط لدى السلطة ملفتا نظرها للمحافظة على العنعنات والتقاليد التي يصعب على العربي ان يراها تمتهن وتخترق حرمتها وختمها بأن الحل الوحيد هو اطلاق سراح الرجل متعهدا للفرنسيين بكل ما يرضيهم بعد ذلك . على ان ذلك لم يجد نفعا ولم يعدل السلطة عن رايها مما اضطره لان يبعث بالبرقية التالية :

« فخامة المندوب السامي لسورية ولبنان المعظم .

مع الاسف لم يراع البند القائل ان فرنسا تحافظ على تقاليدنا وعوائدنا ومعلوم ان الضيف والقاصد هما واحد في نظر عشائرنا فرجال حكومتنا لم يراعوا هذا البند وسعادة المستشار ترانكا يؤيد اصراره ... اطلب من حلمكم او عدالكم ان لا تجعلني مضغطة في افواه العرب وان اتخصص بالاهانة عن امثالي في سورية وبعد هذا تروني اعترف فيحلمكم ويقضيالواجب أداء الشكر لفخامتكم غير مجهول ان موتي واهانة ضيفي سيان في عوائد السوريين الرجل يطلب مني ان اتوسط له عفوا من فخامتكم حلمكم انقاذا لشرفي ووطني » .

سلطان الاطرش

فتريث قليلا ينتظر الجواب دون جدوى فلم يجد بدا من ان يثأر لمضيفه وان يحافظ على كرامته وان يعلن للملأ بأنه عربي بحق فجمع اخوته علي

ومصطفى وزيد وصديقه حمد البربور واتباعه وعولوا على ان يقاتلوا الفرنسيين فسعى المستشار الفرنسي جهده يثني السلطان عن عزمه فلم يفلح مما اهاب بالسلطة للاستعداد وايفاد الدبابات والمصفحات من دمشق للذود عن السلطة الفرنسية وكلمتها ، وما ان وصلت الى تل الحديد حتى التحم القتال بين الطرفين فانقض كل من الابطال المغاوير حمد البربور ومصطفى الاطرش شقيق سلطان على الدبابات انقضاض الصواعق وقد تمكنوا من تعطيل ثلاثة منها وقتل قائد احدها بيدهم واربعة من جنودها واسر خمسة من بقية الجنود فارتاع الفرنسيون لهذا الانتصار المفاجيء الذي عقد لهذه الفئة القليلة فانبروا يتمسحون الى رؤساء الدين ويتزلفون الى مشايخ الدروز وعقلائهم ويتوسطون لدى السلطان ان يعود عن ماعزم عليه فلم يذعن الا بشرطه الاول اطلاق سراح ضيفه وحلقت اربع طيارات الى السويداء وقد اقلت الثائر ادهم خنجر الى دمشق فبيروت حيث مثل الفرنسيون فيه اعظم تمثيل وفظعوا فيه اشد تفظيع من غير ما محاكمة او استجواب ثم عملت السلطة بعدئذ الى تدمير القرية بلدة سلطان باشا والى حرق داره الفخمة فيها مما اهاب به الرحيل الى شرقي الاردن مع افراد عائلته حتى اذا ما أمن عليهم هنالك عاد الى الجبل يتفرغ للاشتباك مع الفرنسيين في كل مصادمة ومكافحة فأول ماقام به من المعارك واقعة خربة بورد تلك الحادثة التي أمعن فيها برجال السلطة تقتيلا وتشريدا فلجأت السلطة الى الحيلة والدسيسة للقبض على السلطان فأوعزت الى صنائعها ان يدعوه للمفاوضة في احدى قرى الجبل وهنالك تم للسلطة ماتريد من اعتقال من اقلق راحتهم واقض مضاجعهم سلطان ، الا ان هذه الدسيسة لم تنطل على ذكاء سلطان وعبقريته وادرك ان ما يدعى اليه مكيدة مراد الفرنسيين منها تدمير المنزل الذي زعموا ان سيعقد فيه الاجتماع وبلغه ان عمال الفرنسيين قد استاقوا بعض مواشيه فهاجمهم قرب بصرى اسكي شام واستطاع استردادها منهم مضموما اليها اثني عشر بغلة بذخائرها من بعد ان اعمل فيهم القتل والفتك وفي ٧ كانون الاول سنة ١٩٢٣ اطلق رصاصه على

بعض الطيارات الفرنسية التي كانت محلقة في الجوزاء فعطل واحدة منها عندها دخل الرعب الى قلوب الفرنسيين امام هذه البسالة الخارقة والشجاعة النادرة وألغوا القرار الذي اصدره المجلس العسكري باعدامه وجماعته وبما قام به هذا الرئبال من اعمال استطاع ان يعود الى وطنه مرفوع الرأس ناصع الجبين يضرب الرقم القياسي الاول في المروءة والنخوة والشهامة .

العصابات :

اضطرب حبل الامن صيف ١٩٢٣ في جهات الشوف وبصورة اقلق ظهور العصابات هنالك رجال الفرنسيين فسيروا القوى لقمعها فما كانت تهدأ الحال الا من بعد ان تابع الفرنسيون القوى بالقوى تترى .

وفي يوليو سنة ١٩٢٤ بدت طلائع العصابات في قرى حور تعلا وبريتال من اعمال بعلبك فاغتالت بعض الرجال ضابطا فرنسيا هناك مما اثار تأثر الفرنسيين وحملهم على ارسال قوات كبرى هاجمت القريتين وحلقت الطائرات الفرنسية فوقهما وقد امطرتهما وابلا من القنابل كما ان الجند قد طوقهما وقبض على النساء والاطفال والذراري وصادر المواشي التي يربوا عددها على ٥٥٠٠ رأس وارسلها الى بيروت وآوى الرجال والشبان الى الجبال يعتصمون بها ويناضلون فاحتجت دمشق الى جمعية الامم على هذه الاعمال البربرية ودارت رحى القتال بين ملحم قاسم وابطاله وبين الفرنسيين زمنا طويلا انتهى باعلان الفرنسيين بالعفو عنه وعنهم والاتراك انفسهم لم يهدءوا على الحدود السورية بل كانوا يشنون الغارة من حين الى حين على الفرنسيين فيزعجونهم ويضرونهم الى حشد الكثير من القوى في تلك النواحي .

وخير ما نختتم به هذا الفصل هو ماكتبه ثالث مندوب سامي في سورية ولبنان الجنرال ساري عام ١٩٢٤ ردا على مقالة دبجها الكاتب الفرنسي الشهير

« هنري بوردو » اذ تضمن هذا المقال « ان سورية كانت هادئة في عهدي غورو وويغاند » فأجابه الجنرال ساري بقوله :

« ان الكاتب يجهل كل شيء او يكذب اذ نشبت في سورية وحدها عام ١٩٢٣ خمس وثلاثين ثورة كان طعمتها خمسة آلاف جندي » وابلغ من هذا وذاك ما قاله الجنرال ويغاند في حفلة ازاحة الستار عن النصب التذكاري الذي أقيم في بيروت لقتلى جيش الشرق الفرنسي والفرقة البحرية الفرنسية في يوليو سنة ١٩٢٤ ما معناه : « ... واضطرت فرنسا بعد الهدنة وبعد ماصمتت اصوات المدافع في اوربا ان ترسل الامهات الفرنسيات اولادهن الى ساحات القتال في مرعش واورفه وميسلون من بعد ان ظنن ان ابناءهن سيبقون لديهن بعد الحرب طويلا فأنتم الذين رأيتم جهود جندنا وقد بلغ عدد قتلاه ٩٢٥٠ جنديا وضابطا بامكانكم ان تذكروا ذلك للاولاد والاحفاد ... »

على اثر فاجعة ميسلون وعلى اثر استقرار معظم الاحرار في القاهرة فقد انتقل مقر الحركة الوطنية اليها حيث كان الاحرار مقيمون في الاقليم الجنوبي وهنالك وحدوا صفوفهم وقالوا لا بد من النضال والكفاح من بعد ان سيطر الاجنبي على البلاد واستولى على الاوطان ففي ٢٣ كانون الاول تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على تحديد الحدود التي تفصل بين الاقليم السوري وفلسطين مما اهاب بلجنة الاتحاد السوري بتطيير برقية الى جميع صحف العالم تحتج فيها على ما كان من هاتين الدولتين وعندما عقد الحلفاء في شهر مارس سنة ١٩٢١ مؤتمرا في لندن لاعادة النظر في معاهدة سيفر عقد من ناحية ثانية مندوبو الاحزاب الاستقلالية السياسية اجتماعا قرروا فيه مطالبة الحلفاء بقبول مندوب عربي عنهم في المؤتمر يشرح للاعضاء القضية العربية السورية كي يمكن وضعها في جملة الابحاث التي سينظر فيها فتحل هذه المعضلة على اساس يضمن للسوريين والعرب الحق والعدل .

المؤتمر العام ولجنتاه :

بعد ان منيت البلاد السورية العربية بالاحتلال الفرنسي بعد فاجعة ميسلون ومن بعد ان تقوض العرش السوري الفتي الذي كان يتبوأ مقعده الملك فيصل الاول اخذ السوريون العرب يدركون الحاجة الماسة الى تنظيم هيئة تكافح عن حريتهم وترفع صوتها بالدفاع عن حقوقهم امام المراجع المختصة في جميع انحاء المعمورة لا سيما من بعد ان انفض المؤتمر السوري العام المؤلف في العهد الفيصلي على ما مر ذكره في كتابنا « فاجعة ميسلون » .

فكان حزب الاتحاد السوري بالاقليم الجنوبي هو الحزب الوحيد الذي تمكن من المحافظة على كيانه وكان يعمل بانتظام في سبيل خدمة القضية الوطنية برآسة عميده الجليل الامير ميشيل لطف الله فرأى هذا الحزب العزيز ان يحقق تلك الامنية التي كانت تجيش في صدور زعماء البلاد وان يؤلف نخبة تتمثل فيها كل العناصر السورية الوطنية فوجه دعوة الى عقد مؤتمر عام في جنيف يضم جميع العناصر السياسية والاحزاب والجماعات على اختلافها داخل البلاد وخارجها وذلك في ٢٦ شباط سنة ١٩٢١ فاذاعت لجنة حزب الاتحاد السوري منشورا على جميع الاحزاب والجمعيات التي تسعى لاستقلال الاقليم السوري ما يفيد هذا المعنى الذي المعنا اليه وانتدبت هذه اللجنة توفيق اليازجي للقيام بذلك فسافر الى جنيف لتهيئة اعمال المؤتمر وجمع المعلومات اللازمة واستقبال الوفود القادمة والعمل على الدعاية بمبادىء الحزب وانشاء مكتب له وابان ذلك رأت اللجنة تأجيل عقد المؤتمر الى انعقاد الهيئة العامة لجامعة الامم لما في ذلك من الوسيلة والفرصة السانحة في عرض القضية العربية السورية على مندوبي الدول فاذاعت منشورا آخر تعلن فيه تأجيل المؤتمر الى اوائل ايلول سنة ١٩٢١ وفي ١١ اغستوس غادر وفد

الاتحاد القاهرة الى جنيف فأقبلت الوفود الاخرى اليه وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر خامس وعشرين اغستوس عقد المؤتمر جلسته التمهيدية في بلدية «بلان فإله» في جنيف وبعد ان سرد كاتب اللجنة التحضيرية برنامج الاعمال تلى برقيات ورسائل متعددة واردة من مندوبين ما زالوا في طريقهم الى جنيف لحضور المؤتمر تشير الى انهم لا يستطيعون بلوغها قبل ٢٦ اغستوس وما ان تلى ذلك حتى قرر الاعضاء تأجيل الجلسة الى ٢٧ اغستوس حتى اذا ما كان اليوم المذكور وتكامل عدد من ابرقوا افتتح الجلسة الامير ميشيل لطف الله بالنيابة عن حزب الاتحاد السوري صاحب الدعوة بخطاب استهله بشكر الذين لبوا الدعوة ثم انعكف على ذكر الغاية التي من اجلها انعقد هذا المؤتمر وهي توحيد الاحزاب وتنظيمها ووحدة السعي في اعلاء شأن الوطن ونوه الى السبب الذي حدا بحزب الاتحاد الى اتخاذ جنيف مركزا لهذا الاجتماع ذلك لانها مركز جامعة الامم ولان المجتمعين قادرون على ان يرفعوا صوتهم الى هذه الجمعية التي بيدها مقدرات الشعوب ومستقبلات الامم بكل سرعة ووضوح وانتخب المؤتمر رئيسا الامير ميشيل لطف الله ورشيد رضا والحاج توفيق حماد وكيلي رئيس والامير شكيب ارسلان سكرتيرا عاما وفي ٢١ايلول سنة ١٩٢١ ختم المؤتمر اعماله من بعد ان اعد بيانا مسهبا باللغة الفرنسية عن القضية السورية العربية قدمه الى اللجنة المختصة في جامعة الامم وقد نسخ عنه صورا وزعها على اعضاء الجمعية الامية مفاده طلب استقلال البلاد السورية وسيادتها القومية وممارستها جميع الحقوق السياسية ختامه المواد الخمس الآتية :

١ ــ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ولبنان وفلسطين .

٢ ــ الاعتراف بحق هذه البلاد في ان تتحد معا بحكومة مدنية مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وان تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة « فيدراسيون » .

٣ ــ اعلان الغاء الانتداب حالا .

٤ ــ جلاء الجنود الفرنسية والانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين .

٥ ــ الغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي اليهود في فلسطين .

وقبيل اعلان المؤتمر ختام اعماله ألف لجنة من اعضائه تبقى بعد انتهائه في جنيف لملاحقة القضية ومتابعتها لدى جامعة الامم كما تقرر ايضا تأليف لجنة تنفيذية لمواصلة العمل وتنظيمه ضمن دائرة المبادىء التي وضعها على ان يكون مقرها القاهرة وعلى ان تتضمن ممثلي الاحزاب التي اشتركت في المؤتمر والتي يجب ان يكون عدد اعضائها سبعة او خمسة او ثلاثة وان يكون رئيس المؤتمر رئيسا دائما لها وقد ألفت اللجنة التنفيذية في جلستها التي عقدت في القاهرة بتاريخ ٢ مايس ١٩٢٢ الوفد السوري وارسلت الى اعضائه وهم السادة الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري وسليمان كنعان تفوضهم ان يعملوا باسمها ثم قررت في جلسة ٢٨ منه ان يكون الرئيس الامير ميشيل لطف الله مع هذا الوفد وارسلت كتب اعتماد الى وزارات خارجية الدول العظمى بذلك وقد قدم الوفد المؤتمر الدولي الاقتصادي في جنوى مذكرة مفصلة عن القضية السورية العربية وذلك بتاريخ ١٢ مايس سنة ١٩٢٣ وابان اقامة الوفد بروما اتصل برجال السياسة الايطاليين ولا سيما الحزب الفاشستي ــ من قبل ان يقبض موسوليني على زمام الحكم ــ فاستطاع الوفد ان يحصل منهم على قرارات استنكار الاعمال الفرنسية في الاقليم السوري وعلى الاعتراض على فرض الانتداب الفرنسي وعاد الوفد الى جنيف محتجا امام سكرتير جامعة الامم العام على اعمال الفرنسيين في الاقليم السوري ولبنان المخالفة لروح العهود الدولية يعلن باسم الشعب العربي السوري رفض الانتداب وقد وضع تقريرا مفصلا عن مجمل الحال في الاقليم السوري رفعه الى مجلس عصبة الامم عن طريق لجنة الانتداب .

وفي اوائل يوليو عام ١٩٢٢ وصل الامير ميشيل لطف الله الى لندن.

لمواصلة السعي وراء القضية السورية لدى مجلس جامعة الامم وقد ضرب له يوم ١٥ منه موعدا للاجتماع به والتحدث اليه وكان في جملة البرنامج النظر في تقرير الانتدابات فاتصل الامير بالوفد الفلسطيني ووحد العمل معه واتفقا على ان يناضلا ويجاهدا متحدين معا ولما علم الوفد من الصحف بأن مجلس جمعية الامم قد اقر صك الانتداب الفرنسي على الاقليم السوري ولبنان ارسل الى رئيس عصبة الامم بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٢ احتجاجا على ذلك اعقبه احتجاجات اخر ، ولما انجلت الحرب في الاناضول عن انتصار الترك وتقرير عقد مؤتمر في لوزان لحل قضايا الشرق وتنظيمها انتهز الوفد السوري فرصة وجوده في روما فاتصل بمندوب الحكومة الكمالية جلال الدين عارف بك وتباحث معه في العلاقات السياسية بين الشعبين العربي والتركي وقد برهن له ان من صالح الترك تأييد السوريين في السعي للاستقلال فرأى لهم جلال الدين ان يسافروا للاستانة ليكونوا على اتصال معرجال تركيا فسافر الجابري وارسلان اليها في تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ وقد مكثا هنالك اياما سعيا فيها الحصول على تأكيدات من الترك بعدم التنازل عن السيادة على بلاد العرب المفصولة عنها الا لاهل البلاد انفسهم وعاد الوفد الى لوزان ليكون على مقربة من رجال المؤتمر فاجتمع برئيس الوفد التركي عصمت باشا بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ واوقفاه على ما كان من مطالب السوريين العرب وتمسكهم بالميثاق القومي فأجابهما بأن الميثاق هو دستور العمل .

وفي الثالث والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣ طلب الوفد الى مؤتمر لوزان ان يسمح له ببسط القضية رسميا ولكن عندما لم يتناول جوابا منه ارسل في اول كانون الاول مذكرة كرر فيها رجاءه الى المؤتمر ان يصغى لبيانه حين البحث في حدود تركيا الجنوبية والحدود الجنوبية الشرقية .

وكان الوفد السوري خلال اقامته في لوزان يتصل بمندوبي الدول كلا بمفرده ويشرح له قضيته ولم يسمح للوفد بدخول المؤتمر وعندما عقدت

الهيئة العامة لجامعة الامم اجتماعها السنوي المعتاد في ايلول سنة ١٩٢٣ قدم الوفد اليها بيانا مطولا في القضية السورية العربية كما انه فعل مثل ذلك عام ١٩٢٤ وكان يلاحق قضيته في كل مكان ولم تكن اللجنة التنفيذية اقل منه متابعة للقضية السورية العربية في كل حين .

بدء الثورة السورية العربية الكبرى :

استبدلت الحكومة الفرنسية واستدعت بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الجنرال ويغاند بالجنرال ساراي العلماني عدو الاكليروس وقدو صل هذا المندوب السامي الجديد الى بيروت في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٤ وكان اول ماقام به هو دعوة المجلس التمثيلي اللبناني لانتخاب ثلاثة من الوطنيين يختار واحدا منهم ليكون حاكم دولة لبنان بدلا من حاكمها الفرنسي وعندما عي هذا المجلس عن الاتفاق على ما طلبه المندوب منهم اصدر بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٢٥ قرارا بحله وان يبدا بانتخاب مجلس جديد خلال ستة اشهر ثم يكون الحاكم من هذا المجلس الجديد وفي ١٥ منه الغى الاحكام العرفية التي كانت لما تزل حتى تلك الساعة ممدودة الرواق على البلاد منذ عام ١٩٢٠ ثم اصدر عفوه عن خمسين محكوما من لدن المحاكم الفرنسية العسكرية واصدر بلاغا قال فيه انه مستعد لسماع الشكاوى من اي كان ولاجابة المطاليب فتألف وفد من رجال دمشق العاملين وسار الى بيروت لمقابلة المفوض السامي وقد نعل فكان لديه بتاريخ ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ رافعا اليه مضبطة تشتمل على تواقيع عديدة جدا مآلها ما يلي :

« نحن الموقعين ادناه من مختلف طبقات الشعب السوري العربي قد انبنا عنا الوفد الحامل لهذه المطالب ليبلغها الى الجنرال ساري المفوض السامي للجمهورية الفرنسية وليعرب له عن اماني الامة التي تطلب تحقيقها وهي :

١ ـ نطلب ان تكون البلاد السورية بحدودها الطبيعية التي كانت عليها

قبل الحرب العالمية بما فيها بلاد العلويين وجبل الدروز ولواء الاسكندرون والاراضي الملحقة بلبنان الصغير وطنا واحدا في اللغة والقومية .

٢ ـ دعوة الجمعية التأسيسية وان تنتخب انتخابا حرا لتضع البلاد قانونها الاساسي وحل المجالس التمثيلية الحالية لانها لا تنطبق على القواعد النيابية وحصر حق التشريع بالمجلس النيابي والغاء القوانين الاستثنائية الصادرة بشكل قرارات افرادية .

٣ ـ لما كانت سورية بلادا معترفا باستقلالها في العهود الدولية فنطلب تأييد قاعدة مسؤولية الحكومة امام البرلمان والغاء الادارة العسكرية ومنع تدخل المستشارين حتى في الامور الجزئية .

٤ ـ الحرية الشخصية حق طبيعي لكل فرد وهي مقدسة في نظر الشرائع العامة في جميع البلاد المتمدنة فليس ما يبرر عمل السلطة في تضييق نطاق هذه الحرية ولذلك نطلب احترام الحرية الشخصية بجميع انواعها لانها من الحقوق الطبيعية المقدسة .

٥ ـ بما ان السلطات السابقة اعتقلت بعض الوطنيين وابعدت آخرين بلا محاكمة او اثبات استنادا الى وشاية الجواسيس الذين يصمون الوطنيين بأنهم صنيعة الدول الاجنبية فنطلب وضع حد لهذه الاعمال المنافية للقوانين واصدار عفو عام عن جميع المحكومين والمبعدين السياسيين .

٦ ـ توحيد القضاء بالغاء المحاكم الاجنبية واحترام صناعة القضاء واستقلال المحاكم وجعل اللغة العربية لغة المحاكم الرسمية فقط .

٧ ـ لما كانت الاوقاف والمؤسسات الخيرية الدينية المحضة للاعمال الخيرية والشعائر الدينية وكانت اوقاف بقية الطوائف غير المسلمة تدار بمعرفة الطائفة نفسها وكانت الادارة السابقة قد ضمت ادارة الاوقاف الاسلامية الى المفوضية العليا فلم تحترم بذلك ارادة الواقفين حتى انها

استولت على الخط الحديدي الحجازي الذي هو اعظم وقف اسلامي وسلمته الى شركـة اجنبية رغما عن احتجاج الاهلين فانا نطلب اعادة هذه الادارة الى الطائفة الاسلامية وارجاع الخط الحجازي الى استقلاله السابق .

٨ ــ منع الهجرة الارمنية الى البلاد السورية .

٩ ــ توحيد اسعار النقد وجعل الذهب اساسا لجميع المعاملات الرسمية وغير الرسمية .

١٠ ــ الغاء الزيادة الجمركية واتباع قاعدة الحماية تبعا للحالة الاقتصادية والاسراع في عقد اتفاقات جمركية مع الحكومات المجاورة بالاشتراك مع الحكومة المحلية والغرف التجارية .

١١ ــ جعل الشركات ذات الامتيازات تابعة لمراقبة الحكومة المحلية وحصر حق اعطاء الامتيازات بالحكومة الوطنية والغاء مصلحتي احتكار الدخان والديون العـامـة .

١٢ ــ توحيد الانظمة الادارية والغاء قانون العشائر الاستئنافي .

١٣ ــ الاقتصار على استخدام اهل البلاد في الوظائف الرسمية .

* * *

بعد ان تعرف المندوب الى رجال الوفد قال لهم : « يظهر لي انكم تمثلون طبقات الشعب المختلفة واراني سعيد جدا بالتحدث اليكم فاعتقد ان لكم ثقـة بي فآمل ان نتحد معا على العمل لتحقيق المطاليب التي تريدونها واذا كـان ما اتصل بي صحيحا من المعلومات فانكم تمثلون الفكر النير والعقيدة الحـرة واعتقد انكم تتمكنون من مساعدتي على جعل الثمرة ناضجة في بلادكم » .

وعندما دار البحث عن الوحدة اجابهم : « ان الوحدة فى يدكم فاتحـدوا بعضا مع بعض عليها ثم طالبوني بتطبيقها » فأجابوه ان الوفود بأسرها مجمعة على طلب تحقيقها وما عليه الا ليطمئن من قولهم ان يقوم باستفتاء يؤكد لـه

ما يقولون فأعاد قوله وحدوا الصفوف اولا وبعدئذ لكل حادث حديث .

وقد تألف وفد أم بيروت من حلب برئاسة احسان الجابري بغية مقابلة المندوب وعندما زاره قدم اليه مطاليب حلب التي لا تختلف عما طلبته دمشق وجرت بين هذا الوفد وبين المفوض السامي مناقشات ردد فيها المندوب قوله بتوحيد الصفوف لهذا الوفد ايضا .

مر الوفد الحلبي بدمشق وقد قضى فيها اياما اتصل خلالها بالعاملين من الرجال واجمع الكل على وجوب توحيد العمل وآب وفد حلب الى بلده وقد اذاع البيان الآتي :

« ان الوفد الحلبي لم يجذبه الى دمشق عاصمة الامويين ومصدر روح القومية والاستقلال الا توحيد العمل لتحقيق آمال الامة وتنظيم الصفوف كما طلب الجنرال ساراي وقد لاقى في مقدمه كل حفاوة تجلى فيها عطف اخوانه رجال الوطنية ثم اطلع على اعمالهم السديدة واتحد واياهم في الفكرة والعمل فهو يحمل كل بشارة تقوي العزم ويهدي من اعماق قلبه الشكر الى من جمع الكلمة ورفع شأن الشباب الناهض والمباديء المقدسة .

التظاهر ضد بلفور ووعده المشؤوم :

كان ثامن نيسان سنة ١٩٢٥ حيث وصل اللورد بلفور صاحب الوعد والعهد المشؤوم الى عاصمة الامويين فاستشاط الشعب غضبا من وقاحة هذا الرجل الذي ينطبق عليه المثل القائل يقتل القتيل ويمشي في جنازته فما كفاه ماقطعه على نفسه لطراد العالم وشذاذ الآفاق من وعد كان شؤما على البرية اجمعين بل جاء الى النار يزكيها والى الحماس يلهبه ضده فيتحدى الشعور العربي في مدينة كدمشق بمجيئه غير المحمود وقدومه الذي ليته لم يكن . لذلك كان من البداهة بمكان ان تقابله الامة بهذا النفور والسخط

والاستياء الذي قابلته به وان تعج دمشق وتهب شيبا وشبانا لاظهار عواطف الاستنكار ضد من ثل جبينها للذبح فما كنت تسمع في كل ناحية من دمشق الا اصواتا تهتف بسقوط بلفور والصهيونية والهتاف بمقابل ذلك بالحرية والاستقلال فدارت بين المتظاهرين وقوى الحكومة كانت حامية الوطيس انجلت عن قتل عدد كبير من المتظاهرين ورجال الحكومة وكثيرا من الجرحى فاعتقلت السلطة نحوا من خمسين شابا ثم اضربت دمشق بأسرها وازدحم الشباب والامة في الجامع الاموي وقد خطب السادة علي الطنطاوي والشيخ عبد الحكيم المنير والمؤلف محي الدين السفرجلاني خطابات ابانوا فيها خطر وعد بلفور على العرب وقاموا جميعا يطوفون دمشق متظاهرين وقد اموا الفندق الذي كان نازلا فيه صاحب العهد المشؤوم فصد الجند المتظاهرين فقتل اثنان وجرح عشرون منهم رشاد الدقاق وكاتب هذه الاسطر السفرجلاني في صدره .

وعندما رات السلطة ذلك اوعزت الى الدخيل اللورد بمغادرة البلاد منعا لاتساع الخرق وازدياد الهياج فامتطى سيارة تحافظه الدرك والشرطة فهدات الحال نوعا ما وكانت هذه التظاهرة الوطنية اول واحدة من نوعها بعد حوادث كراين عام ١٩٢٢ وقد كتب المفوض السامي في خواطره عن هذه الزيارة ما يلي :

« لقد استقبلت دمشق اللورد بلفور بالاحتجاجات التي اشترك فيها بعض العناصر المسيحية التي لا تستطيع الكف عن عاداتها في ادخال الديانة في كل شيء . وقد وزعت في المدينة مناشير كثيرة بعنوان فلسطين للعرب بلاد العرب للعرب مما دل على ان هذه الحملة ضد اليهود تخفي ورائها اشياء كثيرة . وقد كانت زيارة اللورد بلفور مقدمة لمظاهرات عديدة ليست خطيرة النتائج اقتصرت على اغلاق الحوانيت وصدور الصحف بالاطارات السوداء واضراب طلاب المدارس ولم تحدث حركة ما في الشوارع الا بعد الخروج من

المسجد فعمدت الى اخمادها بسرعة دون شيء من الشدة كما أشيع هنا وهنالك » .

المندوب الفرنسي والدستور :

خلال مايس سنة ١٩٢٥ أم النائب في الندوة الفرنسية المسيو برونه الاقليم السوري لمحادثة المفوض السامي عن الدستور واسسه عملا بصك الانتداب . فكان هذا مدعاة للراي العام بأن يكرر مطالبته بالوحدة وبأن يعهد الى جمعية وطنية بوضع الدستور بدلا من اللجنة التي الفتها وزارة فرنسا الخارجية برئاسة المسيو بول بونكور . فعاد المندوب الى فرنسا بعد ان اقام شهرين في الاقليم السوري وبعد ان اعلن عدم عدول فرنسا عن رايها بشأن الدستور مما اثار نقمة الشعب وسخطه .

الوطنيون وسفر كاربيه : (١)

ان ما قام به الوطنيون من تمهيد السبل للاعمال العظمى نحو الوطن والشعب وما أثاروه من الابحاث خطبا ومقالات ومضابط واحتجاجات امام العالم الاوروبي على اختلاف انواعه وطبقاته رسميا او غير رسمي والمعلومات التي وضحت القضية السورية العربية امام عصبة الامم بأجلى بيان كل ذلك قد القى على المعضة السورية ضوءا يستنير به الباحث فيها ويهتدي بهديه وقد رفع مستوى الادراك السياسي العام الى الدرجة التي لم يعد منكورا من قبل احد ولا مجهولا فكان كل ذلك بمثابة اتون هيأت اركانه ومواده ولم يعد ينقص ذلك من الاندلاع الا يد تولع فيه النار وتعمل الشرر من ابناء البلاد الابرار . فلما أذن الزمن وسنح الوقت والتقى الشعب الدرزي العربي الهائم في مهام الافكار

---

(١) كان لقب نفسه بامبراطور الصحراء لسبب هو ادرى به .

بأخوان لـه في دمشق شعر بأن الزمن قـد انجلى عن وجوب اعلان السخط فعليـا فانعقد اول اجتماع تمهيدي في دار الاستاذ قاسم الهيماني بأوائل ايار سنة ١٩٢٥ حضره الامير حمد الاطرش بحث فيه عن الثورة واضرامها . ثم تلى ذلك الاجتماع من مثله آخر في منزل الزعيم الشهبندر حضره لفيف مـن زعماء الشعب الدرزي العربي كالمرحوم نسيب الاطرش وعقلة القطامي وصياح الاطرش وفؤاد عز الدين الحلبي ونجم باشا عز الدين الحلبي وسعيد الحلبي وفضل الله باشا الهنيـدي واسعد مرشـد ويوسف العيسى ومتعب الاطرش وغيرهم من مشاهير الرجال فأقسموا جهد ايمانهم على العمل وراء تحقيـق الوحدة والاستقلال حتى يتأمنـا الشعب وانهم لن يرضوا عن ذلك بديلا حتى الموت . وفي ١٧ مايس من العام المذكور سافر حاكم الجبل الدرزي الفرنسي الكابتين كاربيه باجازة الى فرنسا فتنفس اهل الجبل الصعداء ورأوا ان يعلنوا عدم قبول حاكم فرنسي مهما كان شأنـه وان يستبدل بواحد وطني منهـم وفي خامس نيسان سنة ١٩٢٥ عندما نمي اليهم ان الجنرال ساراي سيزور الجبل للاشتراك في حفلة عيد استقلاله ألفوا وفدا من الامير حمـد الاطرش ونسيب وعبـد الغفـار ومتعب آل الاطرش وشبيب القنطار وعقلة القطـامي وغيرهم من الزعماء والشيوخ لمقابلة المندوب السامي وابلاغـه مطاليبهم وعندما طلبوا اليـه تعيين وقت يتحدثوا فيه اليـه قال بلزوم حضورهم لدمشق . أتوها وتقابلوا معـه وبسطوا اليه ما يأتي :

١ ـ تطبيق الانتداب في الجبل وفقا للشروط المتفق عليها بيننا وبيـن فرنسا والمصدقة من الجنرال غورو .

٢ ـ سماع شكاويهم من سوء تصرف بعض الموظفين .

٣ ـ ازالة كل سوء تفاهم يحدث بين الزعماء ورجال فرنسا ونصب حاكم وطني على الجبل وانشاء التفاهم بين الشعب الدرزي والانتداب .

عندما تكرر على المندوب لفظ الاتفاق سأل عن ماهيتـه فأجابه عقلة القطامي بأن ذلك ما صادقت عليـه المفوضية العليا في ٤ مارت سنة ١٩٢١ بشخص المسيو روبير دوكه فأجابهم بجهله ذلك عندئذ اخرج عبد الغفار الاطرش نص الاتفاق وقدمه اليه وعندما فرغ من تلاوته اجابه بأنـه حبر على ورق وانـه لا يعتد به ولا يتقيد فيه طالما ان موقعه غيره واردف قائلا لا اسمح لكم بالبقاء في دمشق اكثر من ساعتين ومن يتأخر عن انفاذ هذا الامر أسوقه الى المنفـى حالا وبعد نقاش قصير خرج الوفد غاضبا وقـد القي القبض على عقلة القطامي « شيخ قريـة خربة وزعيم المسيحيين في الجبل » . وارسل مخفورا الـى تدمـر .

عاد الشيوخ والزعماء يحرقون الارم غيظا الى الجبل وينتوون نوايا اظهرتها الايام فيما بعـد .

طلائع الثـورة في الجبـل :

بعد ان نزح كاربيه بالاجازة الى فرنسا قدم الكابتين رينو بتاريخ ١٨ مايس سنة ١٩٢٥ ليحل محله فألف الدروز لجانا لتوحيد الصفوف وازالة السخائم والاحقاد فكانت اللجنة العليـا برئاسة السلطان في السويداء يتفرع عنهـا لجان خمس في المجيدل والشهباء وتعله وقيصما وساله . وقد وضعت هـذه اللجان مضابط وقعها سكان الجبل يطلبون فيها عدم ارجاع الكابتين كاربيـه وقد اضاف على هذه المضابط موظفوا الحكومة في الجبل الدرزي كتابا بعثوا فيه الى المندوب السـامي قالوا فيـه : « نرجـو من المفوض السامي ان يقبل استقالتنا في حالة رفض مطالبنا بصدد كاربيه اذ يتعذر العمل معه .

وقد ارسلت اللجنة العليـا في الجبل برقية الى المسيو برونه تطلب فيها تحديد وقت لمقابلته فكان يوم ١٦ حزيران سنة ١٩٢٥ وفيه ام دمشق ثلاثون

من مشائخ الجبل ورؤسائهم وهم : الامير حمد الاطرش ، نسيب عبد الغفار ، متعب آل الاطرش ، فضل الله الهنيدي ، جاد الله سلام نجم عز الدين هلال عز الدين ، سعيد آل الحلبي ، قفطان عزام ، نسيب نصار ، سعيد ابو عساف حمد عزام ، داوود ابو عساف ، حمود نصر ، اسعد مرشد ، شبيب القنطار ، خليل كيوان ، عمار الحناوي ، فرحان ابو راس ، محمد ابو عسلي ، حمود الجربوع ، حسين الهنيدي ، برجس سليمان ، صياح آل الاطرش ، فواز الحلبي ، حنا ابي راشد ، عبد الله النجار ، حسن اللحام ، برئاسة الشيخ محمود ابو فخر بصفته نائب عن الرؤساء الروحانيين .

وقد رفعوا اليه مضبطة جاء فيها ما يلي :

« ان جبل الدروز جزء لا يتجزأ من سورية العربية تجمعه بها جامعة اللغة والجنس وتربطه بها روابط اقتصادية مستحكمة الحلقات فدمشق تأخذ ذخائرها من الجبل وهو يستورد منها جميع حاجياته فالجبل مدخر واسع ودمشق معين لا ينضب وهما مرتبطان من عصور طويلة بروابط لا تفصم عراها والجبل لا يحيا بدون الصحراء والصحراء لا تعيش بدون الجبل ولذلك فان جبل الدروز يريد المحافظة على شكل حكومته واستقلاله الاداري في جميع اوضاعه الحاضرة .

اننا نريد ان يسود القانون في البلاد فتحترم الحرية الشخصية فلا يسجن احدا ولا يعاقب احدا ولا ينفى احدا الا بقرار تصدره المحاكم العدلية وفقا للقوانين المتبعة في بلاد العالم عامة والمشمولة بالانتداب خاصة على الاقل ونريد حرية الكلام وحرية الشكوى واذا ما شكا احدنا امره الى المرجع الفرنسي فلا يعاقب على شكواه على الاقل كما سبق وحصل مرات عديدة في بلادنا وذلك من قبل الحاكم كاربيه فقد كان لا يجرأ احد على الشكوى نريد ان تلتفت المراجع الفرنسية العليا الى شكوانا وتسمع ندائنا وتصغى الى مطالبنا فلا يحل بنا العقاب الشديد كما حل بنا من الكابتين كاربيه لشكوانا ولأننا عرضنا

حقيقة امرنا على مندوب المفوض السامي في دمشق فرفض مطاليبنا نريد ان ينصفنا الجنرال فيستبدل كاربيه برينو وكلاهما فرنسيان » .

فبعد أن وقف النائب الفرنسي على ما جاء فيها قال لهم ان امر التعيين وغيره مما يشابهه من اختصاص المفوض السامي لا من صلاحيته على انه لا يدخر وسعا بمساعدتهم لدى المندوب السامي فطير الوفد برقية حينئذ الى نفس المفوض نصها : « الوفد الدرزي الممثل بشخص الزعماء والشعب وجهته بيروت يلتمس مقابلة فخامتكم » .

حنق المفوض السامي من هذه البرقية وعندما وصلوا بيروت اجابهم برفض المقابلة وعندما الحوا بطلبها هددهم بالنفي ان لم يعودوا على انه عاد فسمح للسكرتير العام لديه بمقابلتهم بعد توسط زعماء دروز لبنان بذلك وعندما وقف هذا السكرتير على مطاليبهم قال لهم بوجوب عودتهم الى الجبل والاحتفاظ بالشكوى على كاربيه لحين عودته وحينئذ تنظر المفوضية العليا بالامر فقالوا له ان شكواهم من سوء تصرفه ليست بنت وقتها بل منذ سنتين ولا من مجيب ودارت بين السكرتير والوفد احاديث طويلة لم تنجم عن شيء وعادوا بخفي حنين .

طبيعي ان يكفهر أفق الجبل بعد هذه المقابلة السيئة وان يغلي الشعب الدرزي العربي الابي غليان الموتور وان يلم شعثه ويبيت على امر فاجتمع نحوا من اربعمئة شابا في السويداء باسم الجمعية العمومية وبرآسة السلطان وبعد درس الموقف من كل نواحيه تقرر ما يلي :

اولا — بذل كل مرتخص وغال في سبيل الاستقلال .

ثانيا — مواصلة السعي في عدم قبول كاربيه لحاكمية الجبل .

ثالثا — تذكرة كل عضو من اعضاء المجلس النيابي ممثل الامة تنفيذ مقررات الامة .

رابعا – رجم وضرب واهانة كل نائب لا يعمل بهذه المقررات .

خامسا – بذل كل عضو من اعضاء الجمعيـة العمومية دمـه في سبيل مسـاعدة اي فرد من افراد الجمعية والسير على خطة معتدلة بطريقة قانونية .

وفي اول ايلول الذي صادف اول عيد الاضحى توجه رينو الى قرية ام الرمان لمعايدة رؤساء الدين وقد القى على مسمع من الجمهور خطابا خلاصته ما يلي :

« ايهـا الشعب الدرزي لا حياة لكم الا بالاتحاد ثابروا على خطتكم المثـلى فتفوزوا بمطالبكم انبذوا كل روح شريرة من بينكم واعلموا ان فرنسا ستجيب مطاليبكم كلها ولا تنظروا الى قول الوشاة فالطيارات التي قد اشاعها الاعداء فهي غير صحيحة .

والمبالغ التي يقول عنها المفسدون بأن الحكومة الفرنسية تريد ان تغرمكم فهذا غير صحيح ايضا واما مطاليبكم سينظر بها اذا اتحدتم واما مقتل حمود نصر [1] فاذا لم تجبكم عليها الحكومة الفرنسية وتجازي المجرم فأنا سـأسعى ان ادخل بنفسي الى اللجاه لاستحضار الفريم واذا ابت السلطة الفرنسية في دمشق فأطلق لكم الحرية بأن تدخلوا اللجاه وتقتصوا من المجرم وانا سأكـون في مقـدمتكم » .

وعندما انتهى من قوله هتف له الشعب الدرزي طويلا .

* * *

---

[1] هو احد اعضاء الوفد الدرزي الذي أم بيروت ولدى رجوعه منها اغتاله مجهـول .

في ثالث يوليو من العام المذكـور دعي المجلس النيـابي الدرزي للاجتماع فعقد اعضاء الجمعية الوطنية اجتماعا فـي دار حسين مرشد قرروا فيـه الاتصال بالنواب ودعوتهم الى اصدار قرار بتنحية كاربيه عملا بارادة الشعب فأقر الجميع ذلك ما عدا فارس الاطرش شيخ ذيبين الذي اثبت بالفعل ايثاره الاجانب والفرنسيين على ابناء الوطن والذي ارتكب بذلك اعظم خيانة عظمـى يقترفها مارق من الوطنية في العالم وقـد بلغت بـه القحة انتهاره الجميـع ووصمه اياهم بالخيانة وباصراره على ابقاء كاربيه حاكمـا في الجبل قائلا : « انتم خائنوا الوطن انتم اعداء فرنسا ، كاربيه ابي وامي وحياتي فلا ارضى به بديلا مهما كان القصد » . وما اتى آخر كلمة من قوله حتى انقض عليـه الشباب وقد اشبعوه ضربا ولكما ولولا ان انقـذه حسني صخر قائـد الدرك من بين ايديهم لكانوا قضوا عليه وفي تلك البرهـة كانت الندوة الدرزيـة ـ المجلس النيابي ـ معقودة الجلسة برئاسة وكيـل الحاكم ومـا ان تم قرار الجمعيـة العمومية بما مر حتى انصرف الشباب يهزجون وينشدون والحماس آخذ منهم كل مأخذ ففاجأهم زميل كاربيه في اعماله البربرية الملازم موريـل وانهال على الشباب الدرزي بالسياط مما اثـار النخوة العربيـة فيهم وحدا بأحدهم حسين مرشد الباسل ان يقابل الضرب بالضرب والاهانة بالاهانـة وان يصفعه بعصا كانت بيده على انفه ولم يكن شأن يوسف نجل عبد الغفـار الاطرش بأقل من شأن حسين مع هذا المعتدي موريل اذ اطلق عليه عيـارا ناريا ولى على اثره هذا الملازم هاربا والاحجار مـن المتظاهرين تنهال عليـه كوابل المطر فلجأ الى دار الحكومة يطلب نجدة من غير ان يكون لوكيل كاربيـه المسيو رينه علم بكل ما جرى .

من الانصاف ان تعدد محاسن المحسن ومساويء المسيء ومن العدل ان نقول ان المسيو رينو كان بالحقيقة اوسع صدرا من سلفه وكان ابعـد نظـرا وكان اعلم بادارة الشؤون وسياسة الرعية فهو رأى ان يقف الامر عند هـذا

الحد وان تحل هذهالمعضلة بشكل سلمي فدعى الوجوه والاعيان واصدر مايلي :

١ ــ ان تعتذر الشيوخ والزعماء للملازم عن الاهانة التي لحقت به .

٢ ــ ان تدفع السويداء مئتي ليرة عثمانية غرامة .

٣ ــ ان ينفى عشرة من آل مرشد الى صلخد .

٤ ــ هدم دار حسين مرشد (ضارب الملازم بالعصي) .

انا وجدنا الفرق بين كاربيه ورينو بعيدا جدا رغم مافي هذه المطاليب التي وقعت من الاخير من اجحاف بالنسبة الى الحقيقة على ان الشعب الدرزي العربي لم يكن بأقل من المسيو رينو رحابة صدر وبعد حلم فقد وافق على الشروط الثلاثة الاول وطلب العدول عن انفاذ المطلب الرابع لما فيه من امتهان وخرق حرمة وابلغوا السلطة بحال الاصرار على هدم الدار لا بد من اعلان الثورة . وهكذا انتهت حادثة الملازم موريل عند هذا الحد ولكن قضية منع كاربيه من العودة الى الجبل لم تنته بعد اذ ان الكل مجمع على ان يواصل السعي وراء انفاذ ما قررته الجمعية العمومية بشأن كاربيه مهما كلف الامر .

شاء السلطان ان يتغيب عن السويداء ذاهبا الى قرية سميح لحضور مأتم حمود نصر فلم يرق للمسيو رينو ذلك وطلب اليه البقاء في السويداء وقد كان يرمي الكابتين رينو من وراء ذلك الى ايقاف المطالبة بمنع عودة سلفه اذ لمح من السلطان انه يستهدف المنع وفي المساء انعقد اجتماع في بيت الترجمان يوسف الشدياق حضره كل من السلطان والبربور وحسن صخر قائد الدرك والغاية منه المثابرة وراء السعي في عزل كاربيه .

على اثر ما مر من الحوادث لقد اضطربت الاندية السياسية لدى السلطة فاصدر المفوض السامي في الخامس من يونيو امرا الى القائد الاستعماري الشهير تومي مارتان بأن يتولى الامر في الجبل بدلا من المسيو رينو الذي اصبح بنظر الفرنسيين باعث هذه الحركات هناك هذا من ناحية ومن ناحية

ثانية ليمهد السبل الى عودة الحاكم السابق الكابتين كاربيه بالاتفاق مع الحزب المؤيد للحاكم الموما اليه فبلغ هذا القائد الجبل في السادس من الشهر المذكور وحل في دار الحكومة طالبا الى الشعب الدرزي العربي ان يتقدم اليه بمطاليبه خطيا واعلن انه آت للتحقيق . فاجمعوا على انهم يحصرون الآن مطاليبهم بعدم رجوع كاربيه ورفعوا اليه البيان الآتي كي ينوب عنهم بتقديمه الى المفوض السامي :

« ياحضرة القائد :

ان سوء التفاهم وحصول ماحدث والخوف من حصول خلافه مسبب عن الامور الآتي بيانها التي لحقت بالدروز مدة حكم الكابتين كاربيه :

١ ـ فتح آذانه للجواسيس مثل حسن الخطيب وحمود ابي حمرة ويحيى دليقان وساسي افندي والشرطي فهمي افندي والحرمة نسيمة وبنتها زكية ومعلمي المدارس الذين يلفقون الاخبار الكاذبة حتى لحق بالابرياء ما لحقهم من الضرب والاهانة بأجرة يتقاضاها الجواسيس عن كل خبر بانفراده .

٢ ـ مخالفة النظام عند جنود الدرك الذين لا يعرفون من الوظيفة الاالعصي التي يحملونها حتى انك لا تجد جنديا من الفرسان والمشاة الا وبيده عصا لمس شرف الوجهاء وسوقهم سوق البهائم .

٣ ـ ان حامد قرقوط من ذيبين سجن خمس شهور وكسرت اضلاعه ومزق جلده من ضرب السياط لوشاية وشاها حسود وقد اتضح ذلك فيما بعد .

٤ ـ ان حسن كسبول من قرية ريمة اللحف تمزق جلده من ضرب السياط لمجرد مروره بالطريق العام من غير ان يتنبه من القاء السلام على الكابورال دي بوشيل .

٥ ـ احضر ساسي افندي المستخدم في المستشفى العام بعض نســاء الدروز للايقاع بهن فشعر بذلك حسين مرشد المجاور للمستشفى فنصحه وردعه ولكن ذلك اساء ساسي افندي فوشى به لليوتنان موريل وادعى انه ضربه فوضع في اعماق السجن وقد اغتنم ساسي حبسه مدة عشرة ايام فكان يأتيه كل يوم في الصباح والظهر والمساء ويضربه بالسياط على راسه المكشوف مع تشغيله طول النهار حاسر الرأس حافيا لتكسير الحجارة وحبسه ليلا في غرفة الفحم ولم يكفه ذلك بل شهد عليه انه في تلك الجلبة شهر مسدسه على الليوتنان مع انه لم يكن حاضرا وكان اعزل من السلاح .

٦ ـ اغفال التحقيق عن كل الدعاوى يعني وشايات المخبرين المذكورة اسماؤهم اعلاه وخلافهم واعتبارهم مخبرين صادقين حتى ان وشاية حسن الخطيب أدت الى سجن الشيخ سعيد طربين واخيه سلمان وفارس مفرج أخصاء سلطان باشا الاطرش وغازي الصفدي مدة شهر ونصف مع تكسير الحجارة والضرب المؤلم دون سبب .

٧ ـ توقيف اولاد صحوعة واولاد حاتم وتغريمهم ثلاثة وعشرين ليرة ذهبا لمجرد وشاية هؤلاء المخبرين بدون تحقيق .

٨ ـ توقيف وهبة الفشفوش لانه امتنع عن ايجار داره وضربه ضربا مبرحا حتى انه بقي شهرا لا يقدر على الوقوف على قدميه .

٩ ـ اطلاق العيارات النارية على محمد الحلبي مدير العدلية ـ الحقانية ـ اطلقها الكابورال دي بوشيل من غير ان يسأل عنها او يجازى عليها .

١٠ ـ ضرب امين حديفة من قرية الكفر وحبسه تسع ايام في غرفة الفحم بدون اكل وشرب ومن غير سبب معروف .

١١ ـ توقيف حسين حديفة خمسة عشر يوما لانه كان غائبا في ملاقاة

الكابتين كاربيه يوم زار القريــة وغرم الاهلون لاجل ذلك عشرين ليرة عثمانية ذهبــــا .

١٢ ــ وضع غرامة عشرين ليرة ذهبا على اهالي عرمان لعدم تنظيم ملاقاة لائقــة به .

١٣ ــ توقيف قائمقام صلخد فهــد الاطرش وضربه ضربا أليما لمجــرد وشايــة المفسدين ومن غير تحقيق عما اسند اليــه .

١٤ ــ توقيف اولاد الخيياني سبعة ايام في غرفة الفحم وضربهم ضربــا مبرحا وسقيهم ماء الملــح لمجرد وشاية تدعي انهم قتلوا شقيقتهم وقد ظهرت حية تجري على قدميها ولم يجاز المفترون ارباب الغايات الشخصية الدنيئة .

١٥ ــ سجن حمد بن جبر حميدان وضربه ضربا مبرحا من غير مــدع شخصي ولا سبب بل لوشاية مفسد .

١٦ ــ ايداع السجن ثلاثة من المسيحيين من اهالي خربة نجهل اسمائهم أبقوا في السجن ثلاثة عشر يوما وعوملوا نفس المعاملة يعني الضرب المبرح .

١٧ ــ سجن شاهين شروف من قنوات وتشغيله بالاعمال الشاقة وضربه ضربــا مبرحــا .

١٨ ــ توقيف فارس اسماعيل ابو عسلة وضربه ضربا مؤلما لغير ما سبب .

١٩ ــ توقيف قاسم عمر وضربه ضربا مؤلما لغير ما سبب .

٢٠ ــ فرض غرامة عن ثمن مصباح البلدية المسروق الذي ظهر اخيرا عند نسيمة الجاسوسة والبالغ ثمنه سبع قروش ونصف غرم الجوار بسبب هــذه السرقة المكذوبة ثلاثة عشر جنيها عثمانيا .

٢١ ــ ضياع هرة الليوتنان موريل وفرض غرامة عشر ليرات عثمانية على جميع اهل السويداء .

٢٢ ــ ضرب الكابورال دي بوشيل شاهين الباروكي حتى بقي ثلاثة ايام بحالة العدم لولا ان احياه الله مرة ثانية ولم يسأل الكابورال عنه .

٢٣ ــ توقيف سليمان بك نصار مدير ناحية سالة وطرده من الوظيفة وتشغيله بالاشغال الشاقة مدة نصف شهر لوشاية مفسد معروف .

٢٤ ــ توقيف حمد عامر من عرى وتشغيله بالاشغال الشاقة لوشاية مفسد هو معلم المدرسة الذي اتخذ التجسس مثل اكثر زملائه بدلا من التعليم .

٢٥ ــ توقيف حضرة الشيخ حسن صالح طربين شيخ العقل وفارس افندي عزت واسماعيل افندي مزهر ورفاقهم من اعيان السويداء لوشاية وشاها فهمي افندي الشرطي وتشغيلهم بتكسير الحجارة .

٢٦ ــ ان الموقوف الذي تبرؤه المحكمة اذا طلب باخلاء سبيله عند انتهاء مدة حبسه يضاف عليه مدة خمس عشر يوما لقاء استدعاءات وحوالات الاستدعاءات الموجودة في قلم العدلية .

٢٧ ــ تغريم المستنطق لاسباب لا محل لذكرها واجباره على تأدية عشرين ليرة ذهبا عثمانية لزوجته بدون مسوغ شرعي او قانوني وخصمهم من راتبه .

٢٨ ــ ان محمد رضوان لم ينبه لمرور احد الضباط الافرنسيين فيأخذ له السلام لذلك سجن ١٥ يوما مع الاشغال الشاقة وضرب ضربا اليما وطرد من وظيفته .

٢٩ ــ ادخل حسيب الخوري الجاسوس الفرية الآتية في ذهن بعض رجال البعثة وهي ان كل درزي يسعل فانه يعني ذلك انه يلعن من يراه في الطريق من خلاف مذهبه ولما كان الانسان لا يستغني عن السعال في بعض الاحيان فقد ادت هذه الفرية الى ظلم كثير من المساكين الذين اودعوا السجن وضربوا ضربا اليما ومن جملتهم خزاعي الحلبي الذي بقي في السجن شهرين تقريبا .

٣٠ ـ طرد الوكيل عبد الكريم حرب المشهود له بالامانة والصدق المتخرج من مدرسة الدرك بدمشق وسبب طرده وشاية مخبر لاخذ وظيفته وقد سجن خمسة عشر يوما مع الاشغال الشاقة وطرد من وظيفته .

٣١ ـ توقيف هلال نخله مدة خمسة وستين يوما نهارا بالاشغال الشاقة وليلا في غرفة الفحم وبقي في اول الامر خمسة ايام من غير اكل ولا شرب بل على الماء والملح الى ان اشرف على الموت وقد هدده الليوتنان موريل والمسدس بيده كي يشهد على بعض الموظفين انهم يتناولون الرشوة .

٣٢ ـ ان معلمي المدارس الذين يتقاضون الرواتب الباهظة من صندوق الحكومة لتعليم الاولاد تركوا واجبهم هذا ودخلوا في سلك الجاسوسية المريح تحت رياسة جاسوسهم الاكبر فيليب حتى معلم صلخد ، واستبد كل معلم بقريته واتخذ لنفسه صفة الحاكم وغدا يضرب ويسجن ويغرم حتى ضجرت النفوس .

٣٣ ـ اصدر الكابتين امره بمنع الاهالي من دخول بيوت الزعماء واحتقاره الرؤساء وتطاوله عليهم بالشتم والقذف وتهديده رئيس محكمة البداية وضربه العضو النيابي كل ذلك مما آلم النفوس واحفظها .

٣٤ ـ احتكاره جميع الصلاحيات المعطاة لرؤساء الدوائر والدرك حتى ان العدلية اصبحت اسما من غير مسمى اذ لم يكن لها حكم الا بعد صدور الارادة الكاربينيه .

٣٥ ـ سجن مختار قرية عاهره فياض الطرودي ستة اشهر ونصفا من غير ان يعلم جرمه وذلك لوشاية مفسد وقد قضى جميع هذه المدة في الاشغال الشاقة .

جنوح المفوض الى الحيلة والغـدر :

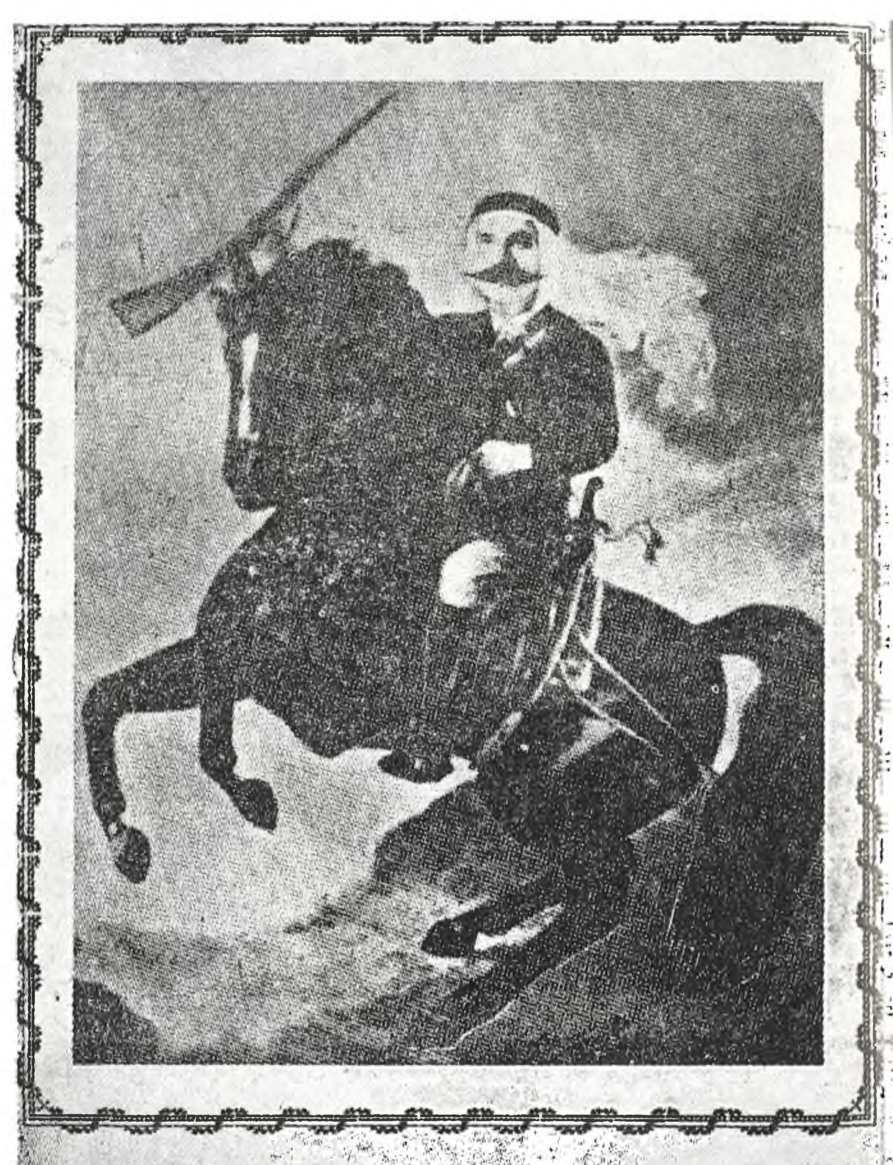
بعث المفوض السامي بتاريخ ١١ يوليو بالكتاب السري التالي الى مندوبه بدمشـــق :

ارجو منكم ان تدعوا الى دمشق المحرضين الدروز وبينهم حمدبك ونسيب بك ومتعب بك وعبد الغفار وسلطان باشا الاطرش بحجة انكم تريدون استماع شكواهم ومطالبهم حتى اذا حضروا ابلغناهم انني اعدهم مسؤولين عن كل اضطراب يقع في الجبل وابقيهم ضمانا عندي في مكان يحتم عليهم الاقـامة وستعنون انتم بابلاغي اسم المكان الذي يختار لهذا الغرض .

وانفاذا لهذا الامر فقد دعا مندوب المفوض في دمشق عبد الغفار باشـا ونسيب والامير حمد آل الاطرش فأبلغهم ما المه اليه المفوض السامي مـن رغبته بمقابلتهم فلما بلغوا دمشق ابعدهم الى تدمر وبعد ايام أخر ابعـــد الى الحسجة كـل من برجس الحمود وعلي الاطرش وحسني صخر وعلي عبيـد ويوسف الاطرش .

أما السلطان فقد كان خلال تلك الحوادث قد رحل الى قرية رساس وقـد أبلغه الخبر الامير حسن فامتعض لذلك كثيرا ورأى ان اضرام نار الثورة قـد آن وحان . أوعز المفوض السامي الى القائد تومي مارتان باعتقال سلطان بحيلة فدعاه الى مقابلتـه فلم يلب الطلب وعلم بما دبر له من مكيدة ولم تجز حيلـة القائد عليـه واستنكف عن الحضور فأرسل اليه القائد اربعة من الضبـــاط الفرنسيين على رأس قوة صغيرة يقودها الكابتين نورمان لاقناعه بالمجيء طوعا والا فالقبض عليه ان استطاعوا قسرا على ان السلطان كان في ارساس وعلى أتم الاستعداد للقاء أي حملة كانت بما جمعه حوله من رجال أشاوس .

أقبل الفرنسيون يزمعون على دخول القرية مقر السلطان فحذرهم شقيقه علي من هذا التحدي فمشوا الى الكفر ونزلوا عند مائها وكانوا يبلغون المئـــة



عطوفة : سلطان باشا الاطرش

والتسعين جنديا فأنذرهم اسعد مرشد شيخ الكفر بمغادرة المكان الذي نزلوه. فآوى الكبتين نورمان وحملته الى مكان وعر مستدير يطل على الطرقات وابى النزول والعودة .

المعركـــة الاولى :

مر بنـا ان السلطان قد اهتاج كثيرا لافاعيل السلطة واعمالها المشؤومـة . فأخذ يلم شـعث الجبل الـدرزي العربي ويستنهض هممهم ويحفز عزائمهم ويشحذ نشاطهم ويحرك عوامل الشهامة والمروءة فيهم وقد اخذ يتنقل مـن قرية الى قريـة ويعمل في كل واحدة منها ما استطاع من حماس فابتدأ بأم الرمان فامتن فملح فعرمان فصلخد وهكذا الى جميع القرى في الجبل وكان في كل قريـة يلقى الاجابة والمتابعة والاهازيج والحماس وكان يقابله كـل بلد يحل فيه أحفل مقابلة واجمل استقبال فاجتمع لديه خلق كثير بامكانه ان يقابل ايـة قوة مهما عظمت وكان شأنها بليغا .

قلنا بأن الكابتين نورمان حل في مكان وعر مستدير يشرف على طـرق عديدة ولم يصغ ألى نصيحة شيخ الكفر وذلك في ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ فبلغ سلطان محاولة الكابتين نورمان دخول عرينه فأقسم ان لاينام على القذى وان يوقف هذا المتعدي الوقح عند حده وان يلقنـه الدرس الكافي بأن حمى الاسود لا تباح واتى على الناحية التي علم بأن القوة قد حطت رحالها فيها وقسم رجاله الاشاوس ألى قسمين قسم يهاجم الفرقة العسكرية من ناحية وقسم يأتيهـا من خلفها من الناحية الاخرى .

التقى الجمعان فكان الفعـل الاكبر للسـلاح الابيض وكان النصر حليف الابطال الاشاوس الاحرار فلم يفلت من بين ايدي هؤلاء الجبابرة الا بضعـة افراد أوصلوا خبر الكارثة الى تومي مارتان في السويـداء الذي اسرع الـى

الالتجاء لقلعة السويداء بمن كان لديه من الموظفين الفرنسيين ونساءهم ومعه ما يستطيع حمله من مال .

كان عدد الجنود الذين هناك مئتين وستين بينهم عدد كبير من الضباط الفرنسيين وكان عدد المجاهدين لا يتجاوز المئتين قضى من المجاهدين اربعون شهيدا منهم مصطفى الاطرش شقيق السلطان واسماعيل الاطرش نجل جاد الله الاطرش ونصار البربور .

دخل السلطان والمجاهدون البلد الاول في الجبل وهي السويداء وحاصر القلعة التي لجأ اليها تومي مارتان برجاله ...

لهذه الملحمة شأن خطير في تاريخ النهضة السورية العربية اذ انها جعلت الثورة امرا مبرما ودلت على ان الحق الصريح على تفاهة عدده وعدم معداته لا بد وان يصرع القوى مهما ايدتها الآلات الحربية والجحافل العديدة يؤيد ذلك النشاط الذي كان من المجاهدين في معاركهم كما القي عبء القيادة العامة في الجبل خلال الثورة على عاتق السلطان الذي احرز هذا النصر المبين .

واقعة ميشو :

ما ان بلغ المفوض السامي خبر حصار المجاهدين للقائد مارتان في قلعة السويداء حتى اهتاج وغضب ايما غضب وجهز حملة لقمع الثورة وتخليص المحصورين عدد افرادها يربو على السبع آلاف برئاسة الجنرال ميشو مجهزة بأتم الاستعدادات واحدث الآلات واعظم العتاد وقد كانت تحميها في السماء الطائرات .

يممت هذه الحملة وجهها شطر السويداء من ازرع — هي احدى محطات سكة الحديد بين درعا ودمشق — في الصباح الاول من اغسطس سنة ١٩٢٥

فوصلت الى ماء نجران (قراحه) مساء وقد حلت رحالها هناك فقابلها بعض
من الدروز قليل حاول منعها من الاقامة فلم يفلح وعاد هذا القسم الى قـراه
وحدث ان مر ثلة من المجاهدين الابرار بهذه الحملة مساء في مقدمتهم كـل
من الابطال المغاوير شبيب القنطار وجاد الله سـلام ومحمد شرف وكثير مـن
عشائر الجبل من آل الحلبي والنصر والصخور وعوام وشلفين والمقرن الجنوبي
وقنطار وسواهم وكان لايتجاوز عدد هؤلاء البواسـل المئتين نفرا وما انالتقوا
بمؤخـرة هـذه الحملة في المقرن الغـربي مـا بين قريتي الدورى وبصـرى
الحرير حتى انقضوا عليهـا كالصواعق والبزات واعملوا فيها السـلاح حتى
استولوا على قسم كبير من الذخائر التي كانت على ظهور الخيل والبغال ولـم
ينـج من هذه الحملة الا القليل ممن لاذ بالفرار يعلن للقائد مافعله بهـم بنـو
معروف الاشاوس وما ان اصبح الصباح حتى نفر رجال الجبل الاشم بهمـة
قعساء لا تعرف الملل والكلل فتجمهروا وحملوا حملة صادقة على من كـان
هنالك من الفرنسيين فأعملوا فيهم القتل والفتك بحماس زائد وحرارة كبرى
واستعر نار القتال وحم الحمام فكانت تقذف المدافع من افواهها الحمم وكانت
البنادق توالي اطـلاق النار كمن افواه القرب والطائرات تصب جامات القذائف
تترى وكانت الارض والسماء بركانا واتونا ما يكاد يهدأ يسيرا حتى يشتعـل
كثيرا وكانت المصفحات كأنهـا قطع من ظلام تكر وتفر وتقدم وتحجم وكـان
الذي يرمق هذه الواقعة عن كثب يرى بأن الارض قد استحالت الى جحيم لاهب
ونيران تأكـل الاخضر واليابس كل هذا لم يكن امام الدروز العرب الاشـاوس
الا كجنة عدن او روضة من رياض الفراديس اتى هؤلاء الجبابرة على كل هذه
المعدات الحربية وعلى من كـان يوقـد أجيجها واعملوا فيهم ما عرف عنهم
من حرب ضروس ذللت منهم الهام والرؤوس وانبلج فجر هذه المعركة عـن
نصر لـم يسطر مـن قبل ذلك اليـوم تاريخ بمثله ابـدا عندها عـاد بنـو
معروف الكرام ينفضون عن عواتقهم الدمـاء والاشـلاء وعن اذرعهم العجـاج

والغبراء يرفلون بثوب من الظفر قشيب ويختالون في برد من الثناء عجيب واستطاع الجبل الاشم ان يسجل له في البطولة العربية والشجاعة النادرة على صفحات الزمان الآتي رقما قياسيا عاليا لا يبارى وسبقا في الميادين لا يجارى ومعقلا لا يمكن ان ينال مثيله احد .

محا بنو معروف بأفاعيلهم هذه اعاجيب الاساطير الاولى ودواوين الشعراء السوالف ولم يعد من ذكر لعنترة العبسي وابي زيد الهلالي والملك الظاهر وسواه ممن كان يتغنى بأفاعيلهم الرجال .

وقد روى شاهد عيان ان كثيرا ما كان البطل الدرزي يشطر الفرنسي بضربة سيف واحد شطرين متساويين تماما وكان كل منهم يباهى على رفيقه قائلا : أنظر هكذا فليكن القتال والا فلا واخص بالذكر من هؤلاء البواسل المرحوم سليمان العقباني من كان ينفرد عن الجمع ويكر منفردا على الفرنسيين هازا صارمه مناديا اشهدوها ، اشهدوها ، وسجلوا سجلوا .

ثم ينبري على الجند فيعمل فيهم الفتك الذريع بهذا الصارم البتار فما كنت تراه الا يندف في ذبالته الرؤوس كأنه قوس يتطاير من فوقه القطن وما كان الرائي يرى الا رؤوسا في السماء تتصاعد وأشلاء في الهواء تترامى وقطعا من الانسان بما فيها من ثياب تعلو تارة وتنخر اخرى وما زال البطل العقباني كذلك الى ان اصابته رصاصة فخر على اثرها صريعا شهيد الوطنية والواجب وقد استشهد في هذه المعركة من الزعماء العظام الذين سجلوا بدمهم على لوحة صدورهم آية المجد ومعجزة البطولة وبرهان الفخار البطل حمد البربور من قرية ام الرمان « المقرن القبلي » لقد كان هذا النابه على صغر سنه في القتال آية في الذكاء ورجاحة العقل والشجاعة الفائقة وكان الساعد الايمن لسلطان باشا سلما وحربا وقد اجمع الكل على ان مصيبة الجبل بفقد هذا الدهقان الباسل مما لا يمكن ان ينكرها احد واستشهد اخوه أجود وابن عمه احمد كما انه جرح البطل الكبير فضل الله باشا الهنيدي الذي سجل على

صفحات التاريخ آية التضحية الكبرى والبطولة النادرة وكان في جملة الشهداء الابرار سلمان الهنيدي وحسين عريج وهاني شاطر من بعد ان قام كل منهم بما لا يقل عن اخوته شجاعة وبسالة وقياما بالواجب وقد جرح ايضا حمد العامر لما ابداه من اقدام واستقتال .

لم يمكن على وجه الصحة ان يضبط عدد القتلى في هذه المعركة وجل ما يمكن ان يقال عن هذه الواقعة الكبرى ان الذي سلم من الجيش الفرنسي كان قليل العدد جدا لا تتجاوز عدد الفلول الهزيلة الضئيلة وقد حطم ابطال الجبل دبابات خمس وركلوها على جوانبها وقلبوها رأسا على عقب بعد ان قتلوا قوادها وسائقيها من كواها وقد تعطل عدد كبير من المدافع الضخمة واستولى المنتصرون على كثير من عتاد وسلاح ومؤن فكان لهذا النصر المبين وهذا الظفر الاكيد الواضح احسن وقع واكبر تأثير حسن على نفوس آل الجبل جميعا ولم يقتصر هذا الامر من فرح وسرور ونشاط على بني معروف فحسب بل كانت غبطة جميع الاقليم السوري بقاطنيه اكبر وابهج فقد كانوا يتحدثون عن هذه الانتصارات بثغور باسمة وجباه عالية ونفوس مشرقة تود لو تطير الى الجبل لتشارك الاخوة آله ما ينعمون به من فخار وخيلاء .

جزع المفوض لهذه المعركة العظمى التي ما كان ينتظر مثلها ابدا وخشي ان ينزع الثائرون ويزلزلوا أقدام الفرنسيين من هذه البلاد فبث العيون والارصاد يمنع سريان اخبار هذه المعركة الى بلدان الاقليم السوري واخذ يراقب رجاله عظماء الرجال كالزعيم الشهبندر وصحبه الكرام مخافة ان يبلغهم خبر هذا الانتصار العظيم فيستثمرونه ويستغلونه ويتفقون مع آل الجبل الاشم فتتفاقم الحال ويخشى المآل .

كان بمقدور بني معروف ان يحتلوا دمشق لو واصلوا الزحف على الشام وكان باستطاعتهم ان يلهبوا الثورة في كل مكان من ذلك اليوم بما احرزوه من

ظفر بالقوة الفرنسية كبير فقد أهلعوا قلوب الضباط واخافوا نفوس الجنود وبات كل فرنسي لا يأمن على حياته ويود ان يركب الريح فرارا من وجه العرب فسامح الله هذا الشعب الكبير الدرزي العربي الذي لم يغتنم هذه الفرصة السانحة ولم ينتهز ذلك الوقت المواتي .

ابرق المفوض السامي الى باريس يطلب نجدات سريعة وانصرف يطلب التفاهم مع الدروز الاشاوس فأرسل بتاريخ ١٢ اغسطس وفدا من دروز لبنان الى السويداء وقد قابل الزعماء هناك يدعوهم للصلح والوئام فعاد الى مرسله بشروط خلاصتها اولا منع عودة الكابتين كاربيه . ثانيا اختيار الشعب الدرزي العربي الحاكم الذي يريدونه . ثالثا عدم معاقبة احد بجريمة العصيان وعدم مصادرة سلاحا ما . رابعا وضع دستور خاص بالجبل .

فقال المفوض بوقف الاعمال العسكرية ضمن الشروط الآتية :

أولا ــ ان يدفع الجبل خمسة آلاف جنيه انكليزي تعويضا عسكريا .
ثانيا ــ أن يعوضوا على تجار السويداء ما لحق بهم من خسارة بسبب الحوادث الاخيرة .

ثالثا ــ اعادة السلاح الذي غنموه .

وقد اطلق المفوض سراح من كان معتقلا من الدروز في تدمر والحسجة وعادوا الى الجبل .

دمشق والثورة :

لقد تقدم المعركة الكبرى التي اتينا على وصفها اجتماعات عدة عقدت في دمشق أولاها الاجتماع الذي كان في دار الاستاذ الهيماني بأوائل ايار سنة ١٩٢٥ كما انه أعقب ذلك من مثله في منزل الزعيم شهبندر كثير وفي كل اجتماع كانت تؤخذ المواثيق والعهود على حاضريه كعبد الغفار الاطرش ومتعب

الاطرش ونسيب الاطرش وابي حمدي سيف العيسمي وغيرهم بأن لا يحيدوا عن طلب الوحدة والسيادة شيء وكانت هذه الاجتماعات تعقد افراديا بالاضافة الى احزاب ومنتديات وجمعيات .

وبعد ان حدثت المعركة الكبرى « معركة ميشو » تلقى الزعيم الشهبندر رسائل دعي بها الى وضع الخطط المشتركة للثورة السورية وكان مرسل هذه الرسائل السلطان وجاد الله الاطرش ومحمد عز الدين الحلبي وكان رسول الزعيم الموفد من الجبل اليه محمد كيوان الذي كان ضابطا والذي حل ضيفا على آل البكري الكرام بدمشق .

وقف الزعيم على ما جاء في الرسائل واشبعها بحثا ودرسا وتمحيصا . بينا كان الكابتين رينو مندوب المفوض السامي يتحدث الى بني معروف باسم الدولة المنتدبة لتوطيد دعائم السلام وكان ثلاثة من دمشق أموا الجبل من دمشق لعجم عود رجاله ولكي يكون لهم راي حصيف بشأن الثورة ذلك الثلاثة هم السادة أسعد البكري وتوفيق الحلبي وزكي الدروبي .

وصلوا الجبل وقد كان المجلس الذي انعقد لبحث مطالب الشعب الدرزي لا يزال ملتئما والابحاث تكاد ان تثمر والصلح يوشك ان يقع فكان لوجود هؤلاء الثلاث اثرا بينا في عرقلة مساعي الصلح ومقاومة فكرة المسالمة وكان هذا الصنيع ثوريا نجم عنه تشديد الرقابة على اعضاء حزب الشعب الذين تكلموا باسمه وباسم غيره وكاد ان يكون لعملهم ذاك اثرا سيئا من حيث شل حركة الرجال الاحرار لما كانوا يضعونه عليهم من مراقبة دقيقة .

ولم يقف بهم الامر عند هذا الحد بل زينوا لسلطان ان يزحف برجاله نحو الكسوة في صباح الثالث والعشرين من أغسطس بحيث يزحف الزعيم ايضا من دمشق والمجاهدين الكرام للقاء السلطان واخوانه فيباغت الكل عاصمة الامويين ويحتلونها بالاشتراك معهم .

تم ذلك وبيت عليه هؤلاء في السابع عشر من اغسطس فلم يبلغ الوطنيين امره الا في العشرين من الشهر المذكور وعلى هذا المعدل لا يكون قد بقي لانفاذ الخطة الا يومان وليس من المستحسن والحكمة ان يقدم احد ابراز ذلك لحيز الذي بمثل هذه السرعة ومع ذلك فقد بذلت جهود عظمى من اجل تحقيق ما ارادوه وعقدت اجتماعات اخصها الاجتماع الذي انعقد بدار الحاج عثمان الشراباتي بحضور الزعيم واخوانه المجاهدين الاكرمين جميل مردم ونسيب البكري وحسن الحكيم واتخذت مقررات خطيرة عملية من اجل تأمين انفاذ الخطة التي رسمت .

بعد ايام ثلاثة كان الزعيم في طريقه الى الجبل فبات في قرية حوش المتبن يصحبه السادة امير اللواء يحيى حياتي ونزيه المؤيد وجميل مردم وكان على ما علم انه هنالك رجالا واستعدادا لاتمام العمل فلم يجد مما ذكر له شيئا فتألم لذلك وعاد مع فجر اليوم التالي الى بلودان ومن هناك الى دمشق وفيها يمم وجهته الى الغوطة حيث التقى في حوش المتبن باخوانه جميل مردم وسعد الدين ونزيه آل المؤيد وقد قصدوا الجبل جميعا فاجتمعوا في ٢٥ اغسطس بسلطان واخوانه في قرية كفر اللحا واجمع الكل على العمل معا وقد اقسم الجميع على ان لا ينفرد بمعالجة الفرنسيين احد لا من جبل الدروز ولا من دمشق .

مطاردة حزب الشعب :

نمي الى الفرنسيين ان الذين عرقلوا صلح الجبل رجال من الاقليم السوري الابرار فأصدر المفوض السامي بتاريخ ٢٦ اغسطس قرارا باعتقال الهيئة الادارية لحزب الشعب ومصادرة اوراقه واغلاق مكتبه فالقي القبض على كل من السادة : فوزي الغزي وفارس الخوري واحسان الشريف وعبد المجيد

الطباخ من رجال الهيئة الادارية وابعدتهم السطة الى ارواد وفي اليوم الثاني اعتقلت كلا من توفيق شامية وعثمان الشراباتي وعمر الطيبي وابعدتهم الى الحسجة اما حسن الحكيم وسعيد حيدر فقد استطاعا ان يفرا الى زحلة وان يغادراها متنكرين وان ينضما الى اخوانهما في الجبل الذين كان في مقدمتهم نسيب وفوزي واسعد آل البكري حيث يتذاكر الكل بما ينبغي ان يفعلوه .

كتاب الزعيم الشهبندر الى وزارة فرنسا الخارجية :

لقد رأينا ان نأتي على ذكر الكتاب الذي بعث به الزعيم الى وزارة فرنسا الخارجية لما له من القيمة السياسية والحنكة والمرونة وها هو تعريبه بنصه:

« أتشرف بأن أبسط لسعادتكم اسباب الثورة التي نشبت اخيرا في جبل الدروز والنتائج المنتظرة منها والحالة الحاضرة في سائر انحاء سورية :

بعد وفاة سليم باشا الاطرش في سنة ١٩٢٣ عين المندوب السامي الفرنسي الكبتين كاربيه حاكما على الجبل خلافا للاتفاق المبرم مع الدروز وهذا الموظف الذي اشتهر بسوء السيرة في حياته الخاصة والعامة واعتمد على فريق من الموظفين الذين فسدت اخلاقهم نهج في الجبل سياسة الارهاب والافساد فبدلا من ان يدير شؤون البلاد عمد الى دس الدسائس وهذه مقتطفات من وثيقة طويلة قدمت رسميا الى الجنرال ساري في ٦ حزيران سنة ١٩٢٥ عن اعمال الكابتين كاربيه :

١ ـ كان عدد من رجال الجندرمة المسلحين بالعصي مخصصين لاهانة الناس وضربهم تنفيذا لرغائب الكابتين كاربيه ورجال حاشيته بدلا من ان يقوموا بالواجبات المفروضة عليهم .

٢ ـ اعتقل حامد قرقوط من اعيان قرية ذيبين مدة خمسة اشهر من دون سبب ولا محاكمة وكان يهان ويضرب في الصباح والمساء لأقل وشاية

من احد الجواسيس .

٣ ـ جلد المدعو حسين كابول من قرية رعية اللحف حتى مزق لحمه لأنه أهمل ان يحيي الكابورال دي بوشيل في أثناء مروره على الطريق العام .

٤ ـ نصب المدعو ساسي الذي كان يشغل وظيفتين وظيفة جاسوس ووظيفة في المستشفى شركا لاغراء بعض النساء الدرزيات وقد حاول جاره المدعو حسين مرشد ان ينصحه في العدول عن هذا المشروع الذي كان يحتمل ان يؤدي الى نتائج مؤلمة ولكن هذه النصيحة سببت شقائه لان ساسي شكا الى اليوتنال موريل الذي اعتقله مدة عشرة ايام كان يجلد في خلالها في الصباح وعند الظهر وفي المساء ويكره على ان يقضي نهاره مكشوف الرأس حافي القدمين في تكسير الحجارة وينام الليل في مخزن للفحم .

٥ ـ اعتقل المدعو وهبه العشعوش وضرب ضربا مبرحا في السويداء لأنه رفض ان يؤجر منزله .

٦ ـ أطلق الكابورال دي بوشيل عدة طلقات من مسدسه على محمد الحلبي مدير العدلية العام ولم ينل أي عقاب على عمله الجنائي هذا .

٧ ـ اعتقل المدعو حسين صديق خمسة عشر يوما لانه لم يذهب الى استقبال الكابتين كاربيه وفرضت غرامة على القرية قدرها ٢٥ جنيها ذهبيا لانها لم تستقبله استقبالا فخما وقد فرضت مثل هذه الغرامة على قرية عرمان للسبب نفسه .

٨ ـ اعتقل فهد بك الاطرش قائمقام صلخد وضرب ضربا مبرحا دون تحقيق بناء على وشاية بسيطة من احد الجواسيس .

٩ ـ فرضت غرامة على سكان السويداء قدرها عشر جنيهات لضياع قطة اليوتنان موريل .

فهذه الحوادث وامثالها والافتئات على حقوق البلاد كل ذلك حمل الاهلين

على الثورة ويخطيء من يعتقد ان الوطنيين وحدهم هم الذين اثاروا حركة الاحتجاج هذه فان المعتدلين انضموا اليهم وقد الف وفد ذهب لبث شكواه وتقديم عريضة تتضمن راي الجبل ومطالبه .

ورفض الجنرال ساراي قبول هذا الوفد رفضا فيه كل معاني الاحتقار والتهديد فزاد بعمله هذا غير المنتظر هياج الافكار الناشيء عن ادارة الكابتين كاربيه ولم تقتصر السلطة على الاحتقار والتهديد بل جردت على الجبل الهاديء المسالم حتى تلك الساعة قوة قوامها بضع مئات من الجند بقيادة القومندان توما مارتان الذي أسديت اليه نصائح كثيرة في العدول عن سياسة الشدة ومعالجة المشكلة باللطف واللين ولكنه لم يرد ان يستمع شيئا وقد استهل عمله باعتقال عدد من الزعماء تمكن من اعتقالهم لقربهم منه وارسلهم الى المنفى ثم وجه قسما من قوته للقبض على زعماء آخرين وكان ذلك فاتحة الثورة اذ لم يبق احد منا امينا على حياته وممتلكاته ولكن هذه القوة أبيدت في الكفر يوم ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ قبل ان تحقق أمنيتها ولم تشأ السلطة ان تعد هذا العمل انذارا كافيا بل واصلت مغامراتها التي انتهت بنكبة المزرعة في ٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ وبتاريخ ٣ منه على الرغم من النصائح التي أسديت الى ولاة الامور وكانت نتيجة هذه السياسة ابادة بضعة آلاف من الجنود الفرنسيين المساكين ولا تزال القوات الفرنسية تصادف الصعوبات عينها حتى يومنا هذا.

ولا تزال الثورة التي نشبت في جبل الدروز تتسع نطاقا حتى اوشكت ان تعم سورية كلها وهذه نتيجة لازمة لسياسة الضغط والارهاق التي وضع أساسها الجنرال غورو وسار عليها خلفاؤه من بعده اما قواعد هذه السياسة فهي :

١ ــ جمع كل انواع السلطة في يد المفوض السامي .

٢ ــ خنق كل الافكار الحرة .

٣ ــ استغلال البلاد واهلها من غير ابقاء على شيء .

وقد اعتزلت العناصر الوطنية المتنورة العمل ردحا من الزمن متوقعة فشل هذه السياسة من جهة وانتهاج طريق أخرى تكفل للبلاد حقوقها وتحقق الآمال التي أعربت عنها بلسان الجماعات التي فوضتها من جهة أخرى .

على انــه لم يطرأ أي تعديل جوهري مع ان النتائج جــاءت سيئة جــداً وكانت البلاد التي بدأت تنتعش بعد الحرب قد وقعت في أزمة اقتصاديــة ومالية لامثيل لها فلم تفعل الحكومة شيئا لتخفيف هذه الازمة بل وجهت كل مساعيها لاستغلال دافعي الضرائب بفرض رسوم وضرائب جديــدة وحسب القارىء ان يلقي نظرة اجمالية على احوال التجارة والصناعة والزراعة ليدرك حقيقة الازمة الاقتصادية والمالية التي عانتها البلاد بين ســنة ١٩٢٠ وسنــة ١٩٢٥ . فان الثروة العامة نقصت نقصا عظيما بينمــا كانت الضرائب تزداد على نسبة اعظم وقد اتضحت الغاية المنشودة حينئــذ وهي اقنــاع البرلمان والحكومة في فرنسا واقناع العالم كله بان سورية اخذت تثري وان الدليل على ثروتها كثرة الضرائب المفروضة عليها .

واذا صرفنا النظر عن الحالة السياسية ونظرنا الى الحالة الاقتصادية لم نرها احسن منها لان المفوض السامي ظل مصدرا لجميع انواع السلطات من تشريعية وتنفيذية وقضائية ولم يكن للمجالس التمثيلية التي منحوها البــلاد في سنة ١٩٢٣ اقل سلطة وقد اصبحت الحكومة المحلية شبحا يمثل المفوض السامي اكثر مما يمثل البــلاد .

واشتد الاستياء واصبح عاما فقامت البلاد غير مرة تحتج على هذه الحالة التي كانت تسير عليها الى الفوضى التي هي فيها الآن وقد أفهم ولاة الامــــور ان طريق الحل الوحيد هو تأمين سياسة سورية بانتخاب مجلس تأسيسي ينظم دستور البلاد ويضع اساس علاقاتها الوديــة مــع المحافظة على حقــوق :

سورية ومصالح فرنسة في وقت واحد على ان يكون هذا الانتخاب حرا ولكن هذه الرغائب لم ترق الموظفين الذين تعودوا ارضاء شهواتهم من دون مراقبة ولا مسؤولية فان بعض كبار الموظفين الفرنسيين وجدوا في البلاد خدما مخلصين فألفوا معهم شركة لاستغلال السكان على حساب فرنسا وسورية العربية استغلالا يجنون كل فائدته لانفسهم وقد صادفت هذه الشركة نجاحا عجيبا في جميع مشروعاتها الخاصة وهكذا اذن تتحققون ان قمتم بتحقيق دقيق ان كثيرين من هؤلاء الموظفين جمعوا ثروات طائلة وتركوا في البلاد آثارا من مساوئهم وفضائحهم لا يمكن تصديقها وان الكابتين كاربيه وحمدي الجلاد الذي بقي مديرا للبوليس العام في سورية مدة اربع سنوات ونصف سنة هما في سورية من اكبر الشواهد على ذلك .

ولما تحقق الوطنيون السوريون ان الحالة تسير من سيء الى اسوأ قرروا تأليف حزب باسم حزب الشعب فأفرغت السلطة قصارى جهدها لمنعهم من ذلك ولم يحصلوا الا بعد جهد جهيد على ترخيص الحكومة لهم بالاجتماع في شهر ايار سنة ١٩٢٥

والتف اكثرية سكان البلاد حول هذا الحزب كما ثبت للمسيو اوكست برونيه في اثناء قيامه بالمهمة التي انيطت به في الاقليم السوري في شهر تموز سنة ١٩٢٥ وقد سار هذا الحزب على الطريق المشروعة لتحقيق الاماني الوطنية وحاول ان يقنع الجنرال ساراي وكبار الموظفين الفرنسيين بأن الوطنيين السوريين ليسوا اعداء لفرنسا ولكنهم يريدون خدمة بلادهم بتأمين حريتها وحقوقها المهضومة واقامة نظام وطيد فيها على قاعدة الاماني الوطنية لا المنازعات الطائفية التي لا تزال تسير بها حتى الآن الى الخراب والدمار

وحاولت الحكومة المحلية ومن ورائها كبار الموظفين في المفوضية السامية غير مرة ان يخنقوا معارضة «حزب الشعب» لاسباب خاصة ولما نشبت ثورة الدروز للاسباب التي بسطتها آنفا تمكنت السلطة من انتهاز الفرصة للانتقام من حزب تألف لتحقيق برنامجه بالوسائل المشروعة .

وقد قبض على كثيرين من اعضاء حزب الشعب وابعدوا بلا سبب الى جزيرة ارواد حيث عوملوا أسوأ معاملة وتمكن آخرون من الفرار قبل فوات الآوان وضاعف هذا العمل الفجائي غير المعقول الصعوبات القائمة في البلاد وكان انذارا بالجلاء وكانت السلطة بالتجائها الى مثل هذه الاعمال القاسية غير المشروعة قد أهاجت سخط الاهالي الناقمين واقنعت اكثرية الوطنيين السوريين بأن الوسائل السلمية المشروعة لا تؤدي في حال ما الى تحقيق آمال شعب من الشعوب وان دعاة الوسائل السلمية يكونون دائما ضحايا القوانين التي يريدون احترامها وهكذا اخذت بؤرة الاضطراب تتسع بالتدريج ولا يعلم احد ما ذا يحدث في الغد اذا لم تبذل المساعي لمعالجة المشكلة بالحكمة والعدل وارى من واجبي ان اقول قبل ان اختم هذا الكتاب :

ان فرنسا لم تحافظ على نفوذها في هذه البقعة من بقاع الشرق بقوة السلاح وانما تستطيع ان تفعل ذلك بانتهاجها سياسة المسالمة واعترافها بحقوق سورية المشروعة واستطيع ان أؤكد لكم ان اكثرية الشعب السوري العربي على استعداد للتفاهم مع فرنسا على قاعدة سيادة سورية القومية مع المحافظة على مصالح الفرنسيين وتفضلوا في الختام بقبول فائق احترامي .

« الدكتور شهبندر »

التاهب لمباغتة دمشق :

دب نار الحماس في بني معروف بصورة لم يسبق لها مثيل الى ان كان يوم واقعة ميشو وقد كان لوجود الزعيم ورجال الشام المجاهدين بين اخوانهم رجال الجبل الاشم اكبر باعث لروح الحماس والنشاط والغيرة .

فقد اجتمع الزعيم ونزيه المؤيد والمرحومان سعد الدين المؤيد وحسن تحسين بالسلطان في قرية كفر اللحا في اواخر اغسطس سنة ١٩٢٥ على ان

المجاهد الكبير نسيب البكري والقائد العظيم يحيى حياتي قد سبقوا رفاقهم الى قرية عرى .

أتى دروز الاقليم الى كفر اللحا البواسل يتبارون لاظهار شعورهم الحي وعواطفهم الصادقة والتحفز نحو الثورة والحرب وكانوا كأتون يغطيه الرماد مترقبا قليلا من هواء ينسف عنه ما يغطيه .

كان اول ما قام به مجاهدوا الشام الابرار غب وصولهم الجبل حشد الجماهير لاحتلال دمشق اذ ان الحملة التي وعد بتجهيزها السلطان لاجل هذه الغاية كانت ضئيلة العدد جدا وعندما التقت مع الفرنسيين قرب جبل المانع في ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٥ لم تستطع الثبات تحت قنابل الطائرات التي كانت تصليها النار تباعا هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فقد وضعت الاسلاك الشائكة ونصبت الرشاشات وحشدت القوى في دمشق وحواليها مما اضطر بني معروف للعودة الى الجبل .

اخذ الرجال الاحرار يسعون جهدهم في الاسبوع الاول من ايلول سنة ١٩٢٥ لتطبيق خطة الهجوم على الشام بقيادة القائد الحربي يحيى حياتي فارتأى حشد خمسمئة فارس تنقسم على خمسة اقسام كل مئة لوحدها فيدخل دمشق من نواح متعددة غير انه لم يكن ليجتمع لدى السلطان ذلك العدد المطلوب وعندها ولى هذا القائد الحكيم وجهه شطر راي آخر .

لقد اشترك مع الابطال المجاهدين في الجبل كل من البطل حسن الخراط الذي كان له ذكر محمود وعمل مبرور في نواحي غوطة دمشق والمرحوم سرحان ابو تركي الديري الباسل والشيخ محمد حجاز وحسن الحكيم وسعيد حيدر .

أم الجبل ايضا كل من المجاهدين ابراهيم وجميل البيك وعبد القادر القواص وبشير الهندي وغيرهم .

بينما كانت الزعماء تفكر بمهاجمة الشام كان الجنرال غاملان يؤلف حملة كبرى فيحشد الجند على طول الخط بين محطة قنوات وحوران فارتأت القيادة العامة للوطنيين ان تولي وجهها نحو هذا الجند فذهب الزعيم الى قرية عرى كي يتداول في هذا الامر مع بقية القرى .

بلاغـات السلطـان :

اذاع السلطان في ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٥ النداء التالي : يحض بـه ابناء الاقليم السوري على حمل السلاح :

— ١ —

الى السلاح الى السلاح :

يا احفاد العرب الامجاد هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم هذا يوم انتباه الامم والشعوب فلننهض من رقادنا ولنبدد ظلام التحكم الاجنبي عن سماء بلادنا لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد ان سكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب .

ايها السوريون لقد اثبتت التجارب ان الحق يؤخذ ولا يعطى فلنأخذ حقنا بحد السيوف ولنطلب الموت توهب لنا الحياة .

ايها العرب السوريون :

تذكروا اجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومي تذكروا ان يد الله

مع الجماعـة وان ارادة الشعب من ارادة الله وان الامم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغي لقد نهب المستعمرون اموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا واقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد وقسمونا الى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا وبين حريـة الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى في بلادنـا واقاليمنـا .

الى السلاح ايها الوطنيون الى السلاح تحقيقا لاماني البلاد المقدسة الـى السلاح تأييدا لسيادة الشعب وحرية الامة الى السلاح بعد ما سلب الاجنبي حقوقكم واستعبد بلادكم ونقض عهودكـم ولم يحافظ على شرف الوعـــود الرسمية وتناسي الاماني القوميـة .

نحن نبرأ الى الله من مسؤولية سفك الدماء ونعتبر المستعمرين مسؤولين مباشرة عن الفتنة ياويح الظلم لقد وصلنا من الظلم الى ان نهان في عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم اجنبي محروم من مزايا الانسانية بآخر من بني جلدته الغاصبين فلا يجاب طلبنا بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج .

الى السلاح ايها الوطنيون ولنغسل اهانة الامة بدم النجدة والبطولة ان حربنـا اليوم هي حرب مقدسة ومطالبنا هي :

١ ـ وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة ســورية عربيـة واحدة مستقلة استقلالا تاما .

٢ ـ قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون اســاسي على مبدأ سيادة الامـة سيادة مطلقة .

٣ ـ سحب القـوى المحتلة من البـلاد السوريـة وتاليف جيش ملـي لصيانـة الامـن .

٤ ـ تأييد مبـدأ الثورة الفرنسية وحقوق الانسان في الحرية والمساواة والاخـــاء .

الى السلاح ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها اجدادنا من قبلنا .

الى السلاح والله معنا والانسانية معنا ولتحيى سورية حرة مستقلة

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

منشور عام الى اخواننا السوريين :

باسم الوطن السوري المقدس وباسم استقلاله المبارك احييكم واحيي. فيكم العروبة الصادقة والانفة القومية واستصرخ منكم امة عربية مشت على مناكب الدهر محمية الذمار ما حملت عارا ولا كان بحماها قرار واستنفركم لحومة الجهاد الوطني يا خير من حمى الوطن وكنتم عنه ذادة ابطالا ونفرتم الى موطن الشرف القومي خفافا وثقالا وانديكم من معاقل الجبل المنيع وهو داركم وسلاحكم وحرزكم وملاذكم ان هبوا الى المنافحة عن اوطانكم اوطان ابائكم واجدادكم وحطموا اغلال الاستعمار في دياركم فقد هبت رياحكم فاغتنموها ودرت ضروع ايامكم فاحلبوها :

وبعض الحلم عنــد الجهل للذلة اذعان

وفي الشر نجاة حين لاينجيك احسان

اما بعد ايها المواطنون العرب : ان ثورتنا الدموية هذه هي بعروتها وزرها ثروة القائم لتحرير البلاد من المغتصبين المستعمرين هي ثورة سورية بعيدة المدى شريفة الغاية نصابها النفوس والارواح والسلاح والعزمات الصادقات خالصة لوجه الاستقلال العربي ففي سبيل استقلال بلادنا السورية حياة الاعزة نحيا وفي هذا السبيل موت الكرام نموت .

لقد اوقدنا نار هذه الثورة الاستقلالية بعد ان رزحت البلاد تحت كابوس الاستعمار اعواما خمسا ثقالا ولسنا بتاركين من ايدينا سلاحا ولا باغين من الفرنسيين سلما ولا اصطلاحا حتى نبلغ بحد الحسام تمام المراد وهو تخليص كامل البلاد السورية العزيزة من احتلال المحتلين ونحن على مثل اليقين ان الوصول الى هذه الغاية من السهل المستطاع ولا سيما وهي الغاية التي تفديها الامة بما عز لديها وهان ولذلك ادعو سائر البلاد السورية ساحلا وداخلا سهلا وجبلا لقدح زناد الثورة العامة في وجه الفرنسيين فمن اجاب هذه الدعوة الوطنية وسارع الى القيام بهذا الواجب فهو العربي المخلص الامين ومن تقاعس عن ذلك فهو الخائن لامته وبلاده وسيلقى جزاء الخائنين .

فهيا ايها العرب الاماجد اهل النجدة والنخوة وحدوا مساعيكم وتعاقدوا بقلوبكم وتقلدوا سلاحكم وانشروا ألويتكم واركبوا خيولكم وصابحوا العدو الجائس خلال دياركم ببارود الثورة وخذوا عليه الطرق وارصدوا له في المكامن وقطعوا الاسلاك وانسفوا الجسور واهبطوا على مخافره في كل مكان واقتلوه حيث ثقفتموه واغنموا سلاحه واعتاده وكونوا عليه جميعا يدا واحدة واصبروا في القتال والجلاد ان الله مع الصابرين لقد جاء اليوم الذي جاد الدهر به علينا لتنجية بلادنا بلاد اولادنا واحفادنا من بعدنا من العدو الذي كفى ما انزل بالبلاد من شر وخسارة وبوار تجارة وارهاق وتعذيب وقتل وتغريب وهو اليوم في بلادنا اضعف منه غدا واقل سلاحا وجندا فقد توالت بميادين المغرب هزماته ونكست فيها اعلامه وراياته وهو اليوم في الوطن السوري على حال ارق من الخيال واقرب ما يكون الى الزوال ودوام الحال من المحال فسارعوا الى يومكم فهذا هو اليوم وهذا هو المجال فالثورة العامة منجاة البلاد والعباد من الاستعباد وقد بلغنا الى الآن من هذه الثورة العربية مبلغا عظيما محفوفا بالنصر مؤيدا بالظفر فطردنا الفرنسيين من ديار الجبل وجواره ونجد لدركهم في مفرهم ومحو آثارهم وقد كان لنا معهم معارك

دموية ما الكلام عنها بمثل العيان فقتلنا جند العدو تقتيلا وغنمنا اسلحته وذخائره وأسرنا ضباطه وقواده واسقطنا من اعالي الجو طياراته وافترسنا بالفوارس العربية دباباته واعلنا الحكومة العربية الموقتة لتقوم بتدبير البلاد ريثما يتم طرد العدو فيجتمع اذ ذاك مجلس تأسيسي ليعين شكل الحكومة الذي تختاره الامة ورفعنا العلم العربي المربع الالوان على السويداء قاعدة الجبل وفي السويداء رجال . واقمنا الحكم ووطدنا الامور والآمال بقوة من المولى المتعال وها قد اجمعنا امرنا واعددنا عدتنا وواصلنا الزحف على قوات العدو في كل جهة هو فيها حتى نأتي عليه فلا نذره الا اثرا بعد عين وهذا بلاغنا الى جميع الموظفين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم ان يكونوا أمناء على وظائفهم واعمالهم على شريطة ان يعاونوا السلطة المحتلة معاونة قلت في جمع ضرائب ولا تجنيد ولا سوق عسكري ولا في أي خدمة تكون العدو نوعا من المدد والعون فمن اقدم من اصحاب الوظائف الملكية اوالعسكرية على هذا عد خائنا للبلاد يعاقب عقاب الخيانة الكبرى ثم يجب على أولي الامر بذل الجهد فلا يدعوا في هذه الآونة العصيبة التي تجتازها البلاد في حريق النار والدم مجالا لوقوع الاعتداءات فيجب صيانة الاموال والنفوس ورعاية المصالح والمحافظة على الاقليات وتظل القوانين الحالية سارية مرعية الحرمية ومن يجسر على ارتكاب الخيانة للبلاد وللثورة يحاكم عسكريا . فالى اليوم الذي لاح صبحه وفيه تتحرر البلاد السورية العربية يا اباة الضيم وعياف الذل الى اليوم الذي تتوحد فيه البلاد مستردة استقلالها المسلوب .

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

* * *

- ٣ -

الاستقلال يؤخذ ولا يعطى

الحرية والمساواة والاخاء

يا بني الوطـن :

لا تنافس في الاهواء ولا خصومات ولا احقاد طائفيـة بعد اليوم انما نحن امـة عربية سورية امة مستضعفة قوية في الحق قد انتبهت الى المطالبـة بحقها المهتضم امـة عظيمة التاريخ نبيلة المقاصد قد نهضت تريد الحيـاة والحياة حق طبيعي وشرعي لكل الامم قد قسمها الاستعمار الاجنبي فوحدتها مباديء حقوق الانسان واعلام الحرية والمساواة والاخاء نعم ليس هناك درزي وسني وعلوي وشيعي ومسيحي ليس هناك الا ابناء امة واحدة ولغة واحدة وتقاليد واحدة ومصالح واحدة ليس هناك الا عرب سوريون .

يا بني الوطـن :

ليس لكم بعد الآن على اختلاف المذاهب والفئات الا عدو واحد هو الحكم العسكري الجائر والاستعمار الاجنبي فانفروا الى انقاذ البلاد من اوضاعهـا السيئـة وارفعـوا علـم الاتحاد والتضامن والتضحية ان حركتنـا اليـوم هي حركـة مقدسة غرضها المطالبة بالحرية والاستقلال وضمان حقوق البـلاد على مبدأ سياسة الامـة فليتحد الدرزي والسني والعلوي والشيعي والمسيحي اتحادا وثيقا وليؤلف بين قلوبنا الاخاء القومي ومحبة الوطن ولتكن ارادتنـا ارادة حديدية واحدة .

ان قائد جيوش الثـورة الوطنية السوريـة المقدسة يطلب الى كل العرب السـوريين :

١ ـ اعلان الاخاء الوطني بين كافة الطوائف .

٢ ـ قيام الاحياء ـ الحارات ـ في كل مدينة بصيانة الامن الداخلي كل بحسب جهته عند دخول جيوش الثورة الوطنية وانهزام المستعمرين .

٣ ـ تأليف دوريات ومخافر وطنية يمشي على راسها الزعماء المخلصون المحترمون من الامة لتأسيس الاتصال الداخلي لحفظ الامن وصيانة الامـوال ومنـع التعـدي .

٤ ـ ارسال قوة محلية من المتطوعين الى خارج المدينة او القرية لاستقبال كتائب الثـوار الوطنيين بالاهازيج الحماسية عند وصولهم باعتبار جميع الامة جيشا واحدا لهذه الثورة المقدسة .

هذه هي التعليمات التي يجب ان يتبعهـا الشعب العربي السوري فـي المدن والقرى تأيدا للاخوة القومية والثورة الوطنية : ولتحيا سورية حـرة مستقلـة .

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

ـ ٤ ـ

القت الطائرات الفرنسية في ٢١ اغسطس سنة ١٩٢٥ رسالة موقعة مـن الكابتين رينـو اجاب عليها السلطان بما يأتي :

تتهمنا الرسالة اننا لم نف بالوعد بقولها اننا استسلمنا للنفوذ الاجنبـي فقبلنا في منطقتنا عصابات مسلحة وشاركناها بالهجوم على دمشق اننـا لا

نسمح لأي نفوذ اجنبي مهما كان نوعه ان يمتد الى منطقتنا لاننا من طلاب الاستقلال وطلب الاستقلال لا يتفق بوجه من الوجوه مع طلب النفوذالاجنبي واذا عبرت منطقتنا بعض العصابات المسلحة فانما هي عصابات ابناء عمنا سمعت بالضيم المشين الذي اصابنا من امثال الكابتين كاربيه فخفت لمساعدتنا وهي عادات العرب تنفر لرفع الضيم عن ذويها منذ الوف السنين واما كون الدمشقيين الذين هم اكبر انصار الحرية والاستقلال هزأوا بنا وانسلخوا عنا فهو كلام الواشي الذي يريد القاء بذور الشقاق بين افراد الاسرة الواحدة تتهمنا الرسالة بالابطاء والمطالة وهي تهمة خالية من البراهين لان كل من عرف احوال الجبل ووعورة مسالكه وصعوبة مواصلاته يدرك تعذر انجاز الاتفاقات بالسرعة الواجبة واما اطلاق النار على الطيارات فليس بالامر الغريب لان اولادنا الذين لهم شغف بالرماية لا يملكون نفوسهم عن الرمي حين يرون مثل هذه الآلات الغدارة التي جعلت اسم المدنية الحديثة هزءا وسخرية تحلق في سماء الجبل الآمن — ثم — ان شتم العيال الذين جاءوا لدفن الموتى في ساحة القتال هو امر لا نعلم منه شيئا بل نحن بالعكس من ذلك مستعدون في كل آن لتسهيل دفن هؤلاء المساكين الذين ذهبوا في سبيل المطامع الاستعمارية وذكرت الرسالة تخريب خط الهاتف بين بصرى واذرع ومهاجمة محطة خربة الغزالة ان تخريب خط الهاتف ليس بمستغرب بل بقاؤه في بلاد تلاشت السلطة منها هو من الغرابة بمكان ونحن لم نأمر احدا قط ان يتعرض لخربة الغزالة او لغيرها واذا جرى شيء من ذلك فيكون على ايدي العصابات التي تسرح في طول تلك البلاد وعرضها .

وقالت الرسالة ان دولة فرنسا المعروفة في التاريخ بالانسانية والشرف والرحمة مستعدة ان تعفو اننا نرد كلمة العفو ردا مطلقا لاننا طلاب عدل وانصاف والذين طلبوا في باديء الامر تغيير موظف فرنسي بموظف فرنسي آخر مكانته لا يستحقون كلمة العفو بل يستحقها الذين سببوا بما اسدوه من

النصائح الطائشة للجنرال ساراي سفك هذه الدماء البريئة على جانبي الطرق المؤدية الى موقع المزرعة . ثم تذكر الرسالة رغبة كاتبها في حقن الدماء بين امتنا والامة الفرنسية وتسألنا هل لنا مصلحة حقيقية في دوام الحرب ؟ اننا من احرص الناس على السلم واكثرهم ما لم يكن لها مبرر شريف كالمبرر الذي الجأنا الى امتشاق الحسام بعدما طفح الكيل بل صرنا لا نحجم عن ان نمد يدنا الى من يمد لنا يده بعدما يعترف بحقوقنا الصريحة المشروعة المنشورة في بياناتنا وقد علمتنا الاختبارات الماضية ان العهود قصاصات من الورق تلقى تحت الارجل فهل تقدم لنا الضمانات الكافية يا ترى اذا نحن عاهدنا وعقدنا الاتفاقات التي تضمن مصلحة الطرفين اننا نطلب مثل هذه الضمانات على مذاكرات الصلح وما دام هذا الشك في الانفس فلا يتيسر الاطمئنان ولا تحصل الثقة المتبادلة فعلينا ان نواجه الحقائق كماهي ونستكشف الدواء الناجع للامراض الماضية التي ادت الى الحالة الحاضرة المؤسفة ان كل تدبير موقت سينتهي بالفشل ولا بد من وضع أسس ثابتة ترضي أهل البلاد ارضاء تاما من جهة ولا تضير دولة الجمهورية الفرنسية من جهة اخرى وهذا الامر لا يتعسر اذا كان وراءه حسن النية واعطاء الضمانات التي لا تحتمل شكا .

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

وقد طير السلطان في ٥ ايلول سنة ١٩٢٥ الى كل من الوزارة الايطالية والبريطانية ورئيس دار الندوة الفرنسية ووزير خارجية اميركا والى بعض الجرائد الاوروبية البرقيات التالية :

الدروز وعموم السوريين يقاسون اشد آلام الحكم العسكري الفردي والظلم الفرنسي منذ الاحتلال بصورة تهدد السلام دائما وتشعل نار الاحقاد

بين الشرق والغرب ان القوات الفرنسية التي تساق اليوم لخراب بلادنا وقتل الحرية ومبادىء حقوق الانسان تضرب النساء والاطفال والشيوخ والقرى الآمنة بقنابل طياراتها ظلما وبغيا وهذا ما يضطرنا للدفاع عن كياننا وشرفنا حتى الموت . نحمل رجال فرنسا وحدهم مسؤولية سفك الدماء البريئة نستنجد بالامم المتمدنة ان تبطل رق الشعوب بعد ان ابطلت رق الافراد .

— ٦ —

وقد اجاب في ٢١ ايلول على نشرة القت بها الطائرات بما يلي :

تناولنا اليوم دعوتكم الكريمة الى السلم مع القنابل المتفجرة من الطيارات فلم يزدنا هذا التناقض الغريب علما بالوضعية الحاضرة .

ان ما جاء فيها من التهديد المشرب بروح العطف يلفت الانظار لان الجيش الذي اقتحمت به سورية هو كطياراتكم من عادته عند سنوح الفرصة ان ينفذ صامتا خطط الفتح من غير التفات الى عويل الاطفال وبكاء الامهات .

تقولون قد اقتربت الساعة التي نعرف فيها قوى جيشكم ونتحمل فيها نتائج الثورة : ان انكار بسالة الجيش الفرنسي حينما كان يدافع في الحرب العامة عن كيان فرنسا وحريتها هو انكار الشمس في رابعة النهار ولكن الجيش القادم الى جبل الدروز لتأمير الكابتين كاربيه ومن حذا حذوه وتأييد الاستعمار بأفظع معانيه في امة آمنة كأمتنا هو غير الجيش الفرنسي ومن انقض على خصومه في الكفر والمزرعة كما انقضضنا لا يأبى ان يتحمل نتائج الثورة تذكرون مضاء سلاحكم في معركة المسيفرة ولم تذكروا مضاء العزائم التي اغتنمت هذا السلاح في عقر استحكاماتكم وسحبت الخيول من ايدي أصحابها المقتولين في سبيل الفتح والاستعمار واذا كانت فرنسا كما تقولون لا تقاتل مدفوعة بعامل البغض بل تعاقب المجرمين بحسب جرمهم فثقوا اننا

لا نقاتل الا دفاعا عن الشرف القومي الذي عبث به موظفوكم والحرية التي ماتت تحت اقدامها رجال ثورتكم الباهرة اما مسألة المجرمين الذين سودوا وجه الانسانية بسيرتهم الخصوصية والعمومية وجعلوا اسم الانتداب عارا وشنارا فالاجدر ان نتركها الى يوم الحساب . تقولون ان الاشخاص من ذوي البصيرة الذين يتركون منذ الآن السلاح يكونون في مأمن على حياتهم وان بين البصيرة وترك السلاح تناقضا ما كنا لندركه لو لم يكن له سابقة على عهد الحكومة الوطنية السورية لما آمنت بمواعيد اسلافكم فحلت جيشها في أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ وحكم على زعمائها بالموت في اوائل اغسطس ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وقبل الوقوع في مثل هذا الفخ عليكم ان تبيضوا الصفحات السود وتعيدوا الى الشرق حسن السمعة التي كنتم تتمتعون بها قبل أن تتطأ اقدامكم هذا الوطن المقدس تدعوننا الى القاء السلاح وان نتقلد بدلا منه المحراث اننا ما حملنا السلاح الا دفاعا عن هذا المحراث الذي هو فخرنا اننا نريد ان نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولاولادنا ولكن اذا كانت ثمرة اتعابنا تذهب الى بطون رجال امثال من غرمونا آلاف القروش لفقدهرة في السويداء وصفعوا اشرافنا وخيارنا لاستنزاف اموالهم فأن السلاح يكون خير ضامن لهذا المحراث اننا نرغب في السلم من صميم الفؤاد واذا أنسنا في خصومنا اليوم هذه الرغبة الاكيدة فاننا نمد اليهم ايدينا ولكن على الشروط التي اذعناها للملأ في منشورتنا السابقة .

وقائع الجبل والفوطة :

عقيب ما مر من الحوادث التي المعنا اليها اخذ الفرنسيون يعززون القوى في درعا واذرع ودمشق وكانوا يختصون المحطات في حوران في الشيء الكثير من معدات الدفاع حتى انهم اتوا بكل ما في الشمال من قوى ورجال .

بارح الجنرال سوله عاصمة الامويين صحبة الكابتين دوكوتيل كي يستطلع

اخبار الجند بين دمشق ودرعا ولكي يغمز من القناة حتى يرى مبلغ ما هنالك من قوى غير انه ما ان قارب قرية المرجانية حتى اعترض سبيله سد من الحجارة وضع خصيصا لقطع الطريق وما ان باشر السائق بازالتها حتى بدت كوكبة من الفرسان اصلت السيارة ومن فيها نارا حامية وامعنت في الفرار الا انها لم تكد تبلغ مرتفعا قصدته حتى ظهر امامها رجال آخرون اطلقوا عليها العيارات النارية فجرح الجنرال في فخذه الايمن والكابتين في ذراعه وفخذه واصيب السائق في كتفه ورغم ما اعترى هذا السائق فانه واصل السير حتى محطة المسمية حيث امتطى الجنرال القطار عائدا الى دمشق فاستدعت السلطة قوة دمرت القرية واعملت النار فيها مما ارغم السكان على الالتجاء للجبل .

الجنرال ميشو في باريز :

في ثالث ايلول سنة ١٩٢٥ استدعت وزارة الحربية الجنرال ميشو من سورية لاستطلاع تفاصيل الواقعة التي جرت له في الجبل الدرزي وارسلت مكانه الجنرال غاملان قائدا عاما للجيش الفرنسي في الشرق .

نحن لا ندين الفرنسيين من عندياتنا بل نعيد عليهم اقوال بعضهم لبعض حتى يعلموا اننا رواد حقائق في كل ما نقول ونكتب وليسمع الفرنسيون ما قاله المفوض السامي ساراي في مذكراته على الجنرال ميشو وهو : « لقد ارتكب اخطاء عدة وهو مثقل بالمسؤوليات فلو كان لديه فرق ثلاث كالتي كان يراسها المرشال ليوتي في المغرب الاقصى لبدل وجه الثورة ولكان الجنرال ميشو في عداد مشاهير قادة فرنسا » .

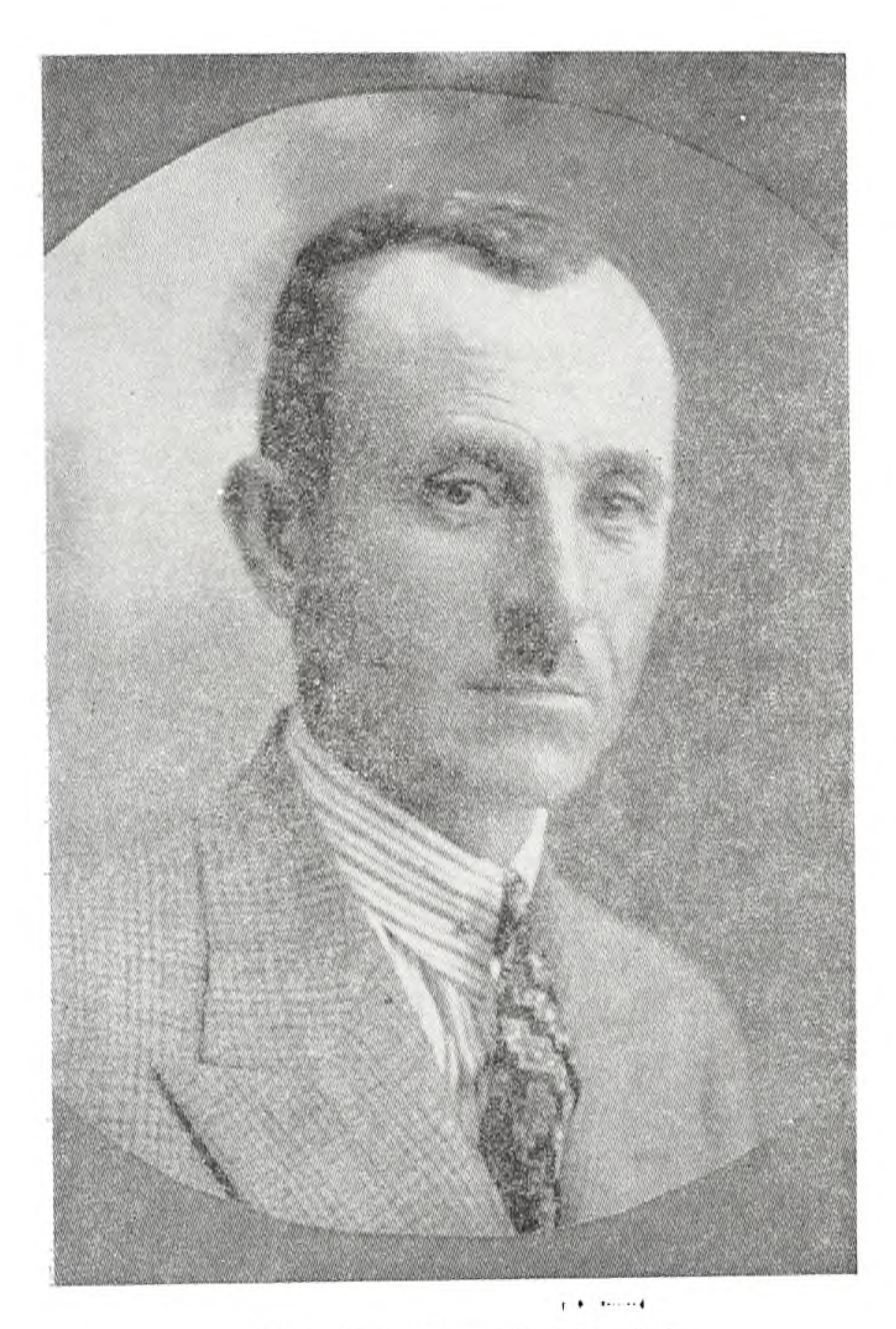
وصل الجنرال غاملان في الثالث عشر من ايلول سنة ١٩٢٥ ثغر الاقليم السوري بيروت يصحب معه قوى للزحف على السويداء كي يقضي على

الثورة من ان يتسع الخرق على الراتق وقد وصل دمشق في الرابعة عشر منه واستعرض الحامية وفي السادسة عشر من ايلول سنة ١٩٢٥ توجه نحو اذرع وقاد الحملة بنفسه .

واقعة المسيفرة :

ما كان الوطنيون الابرار بغافلين عن ما كان يقوم به الفرنسيون من خطط وبرامج للقضاء على الثورة بل كانوا على اتصال تام مع رجال اعدوا خصيصا لاطلاعهم ما خفي على الكثير من الناس وقد عقدوا اجتماعا في قرية عرى لبحث الحال والوضع فأجمع الرأي بعد نقاش طويل على خطة اقترح بها المجاهد الكبير محمد عز الدين الحلبي وهي أن يباغت الجيش ابان زحفه في اهم نقطة يصل اليها وليس من نقطة احكم من قرية المسيفرة لانفاذ مابيت القوم عليه فاجتمع ما يناهز الخمسمئة من فرسان بني معروف الاشاوس لصدام عدد من الاعداء لا يقل عن الالفين وقد كان في هذه المعركة من ابناء الشمال نزيه المؤيد وسرحان ابو تركي الديري وقد رسم الوطنيون خطة مفادها الزحف على المسيفرة تحت جنح الظلام حتى يبلغوها قبل فجر السابع عشر من ايلول وبينا كانوا آخذين بالسري وكانوا يوصون بعضهم بعضا بالهدوء التام وعدم اثارة اية حركة توقظ حرس العدو واذ بواحد منهم وهو ابراهيم الاطرش يطلق عيارا ناريا في الفضاء مما دل على انه ممن لا ثقة به ولا اعتماد عليه وانه من صنائع الاعداء ومما دل على انه قد قصد ايقاظ الجند الفرنسي كي يعرقل حركة الوطنيين الاحرار في عمله هذا .

استيقظ الحرس قبل وصول المجاهدين بخمس دقائق على التقريب فأخذوا باطلاق الاسهم النارية في الفضاء لتبديد الظلماء وابتدات معركة شابت لها نواصي الاطفال لروعتها فقد صدق بنو معروف الابطال ما عاهدوا



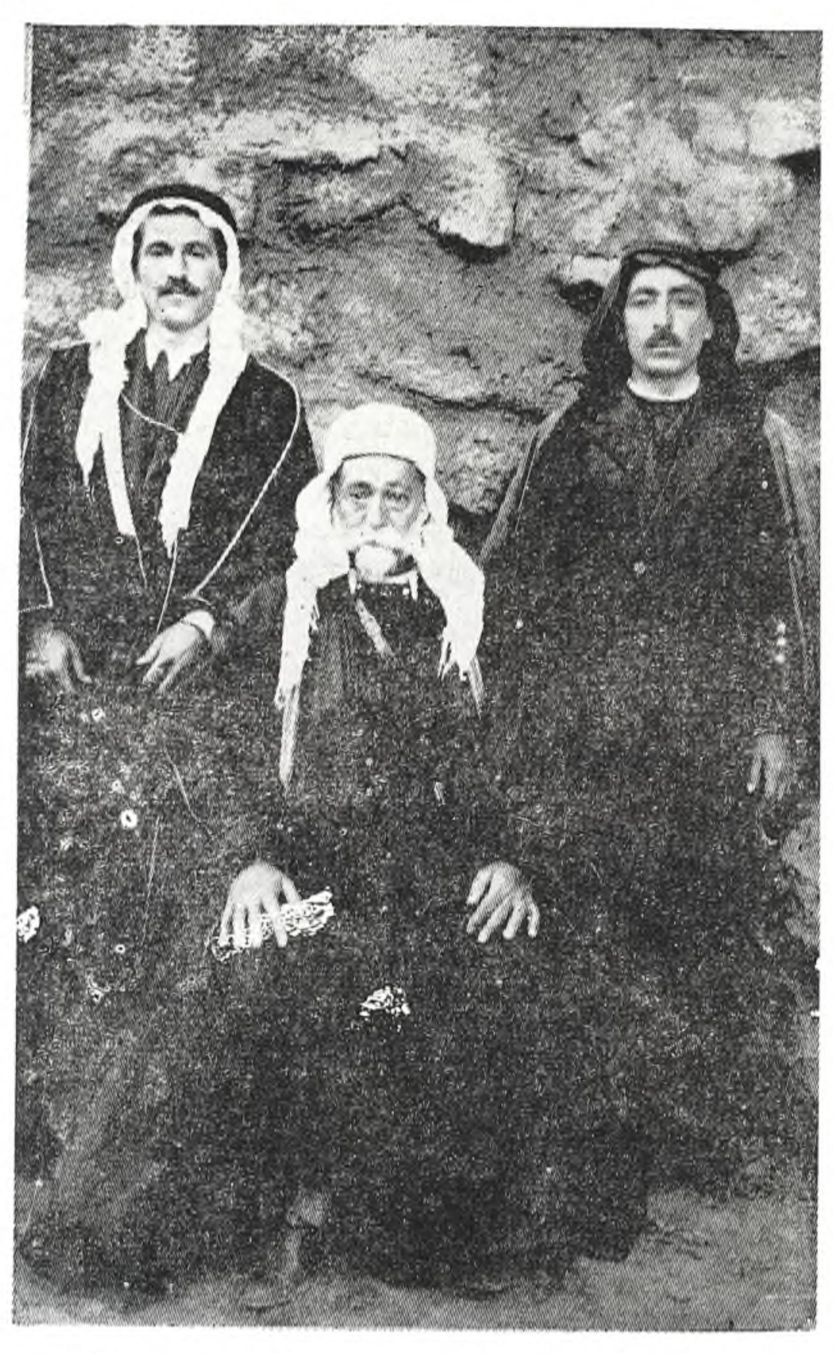
المجاهد الكبير السيد نزيـه المؤيد العظم

الله عليــه وصمدوا صمود الرجال الرئابيل وناضلوا نضال المستميت واعملوا في الاعداء النار تــارة والبيض الرقاق طــورا مما ارغم العدو على الانسحاب واللجوء الى ما كانوا اقاموا من معاقل وحصون داخل القرية وقد احاطوا بها من كل نواحيها لما كان يرد عليهم من النجدات والامدادات . وقد التجأ الجند الى الخنادق الحربية المسلحة التي حمتهم من هجوم المجاهدين .

وما ان اشرقت الشمس حتى رأى المجاهدون الابرار ان قسما كبيرا منهم في نفس القرية وكان الجند ضمن دائرة احاطت بها الحصون الصغيرة مــن كل ناحية ومن وراء تلك المحصنات السيارات المصفحة لتحمي بني قومها من مهاجمــة الوطنيين وكــانت قذائف الفريقين تحول دون وصــول احد مــن الطرفين الى بئر كانت هناك كان هذا النصر الذي احرزه الوطنيون قد القــى الرعب في قلوب الاعداء وكــاد ان يكون له ما كان للعرب في واقعة بواتيــه الشهيرة غير ان انشغال الوطنيين بالغنائم واقتسام ما تركــه الجند من عتاد حال دون امكان متابعتهم فلول الجند المهزومــة والتي لو كانوا حولوا ابصارهم عن الغنائم ووجهوها نحو ملاحقة الاعداء ولكن كان شأنهم شــأن عرب الاندلس في انتصارهم بذاك التاريخ .

حلقت الطائرات في سماء مكــان الواقعــة فرات جموع المجاهدين لاهية بالسلب والغنائم فامطرتهم وابلا من قنابلها شتت فيه شملهم فاضطر محاصروا القرية على الانسحاب كما اضطر الذين كانوا فيها من المواطنين على الانسحاب والتحصن في بيوتهم منتظرين ان يسدل الليل سدوله حتــى يخرجوا تحت جنح الظلام بما غنموه من معدات .

وان نذكر ابطال الوغى في هذه المعركة نرى كلا من شبيب القنطار وحمزة الدرويش وسليم هنيدي في مقدمة من ابلى البلاء الحسن وكانوا موضع التقدير والاعجاب ومما يجدر بالذكر ان كاد المجاهدون على ان ينفذ عتادهم في ابتداء



المجاهدين الابطال فضل الله البربور ، محمد البربور ، هايل البربور

المعركـة وانهم في هذا النصر المبين استعاضوا عما فقدوه الشيء الكثير وبما غنموه استطاعوا مواصلة القتال سحابة اليوم .

وكان ممن سقط من الشهداء الابرار الشيخ سعيد الحلبي والشيخ سعيد الحناوي وكامل حاطوم وشحادة قرينة .

وقد قال نزيه المؤيد انـه راى بأم العين البطل المغوار محمد عز الديـن الحلبي يشق النيران التي كانت تتساقط عليـه من كل حدب وصوب لانقاذ من انقطع في القريـة ولم يكن معـه الا سبعة عشرة فارسا . خسر الفرنسيون في هذه المعركـة الكبرى ما يربوا على التسعمائة من الجنود اما العتادوالادوات الحربية التي فقدوها فلا تدخل تحت حصر ولا تحت حد ولا يتجاوز من فقد من المجاهدين الابرار المئتين ومما يؤسف له ويؤلم في هذه المعركة أنها انجلت عن فقد بطلين عظيمين كان لهما الفضل الكبير في الظفر بهذه الواقعـة همـا يوسف الهنيدي وهاني الهنيدي من ثارا لنفسهما من الاعداء قبل ان يخـرا في ساحة الشرف والبطولة صرعى وكان موقف الفرنسيين من هذه المعركـة عند المثل القـائل « رمتني بدائها وانسلت » فهم قد اخذوا يقنعون الدروز بأنهم لم يربحوا المعركة وانهم هزموا شر هزيمة على ان الحقيقة والواقع يكذبان مايتقولونه عن شعب بني معروف اعداءه والداؤه ولولا معركة السويداء التـي حدثت في الخامس والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٦ لكانت واقعة المسيفرة خاتمة الوقائع وآخر المعارك .

التضحية الحقيقية والشجاعة الفائقة :

« رساس » قرية من قرى الجبل الاشم لها شأنها في الشجاعة والبسالة والمعارك وكان حامي ذمارهـا ورافع لوائهـا أسرة آل حمزة الاكارم فكـانت كلما دعا داعي القتال ينفر واحد من هذه العائلة الكريمة لحمل العلم والـذود

عنه ففي واقعة المسيفرة استقل واحد من ابناء رجل في الثمانين من عمره من هذا البيت الكريم علم رساس وتقدم للمعركة وقلبه على كفه وروحه تحوم فوق راسه يقدم نحو الموت حتى ينال ما يتمناه منه .

كان هذا الشيخ الجليل اخذ على نفسه السقاء ايام الوغى يوزع الماء من وكاثين كلما اشتد الظمأ واستعر القتال فلما التحم الصدام بين الوطنيين والاعداء كان في المقدمة حامل العلم احد ابناء الشيخ الاربعة وما ان استمات هذا الشبل حتى نال مناه بالشهادة فانبرى اخوه يحمي العلم بدل اخيه الذي خر شهيدا وظل يناضل وقد احتضن العلم ويدافع عن مجد رساس حتى لحق بأخيه للقاء ربه على ان الثالث لم يكن اقل شجاعة من اخويه حماسة وبسالة فانبرى كالسهم يتناول العلم ممن قضى نحبه وينكب على الاعداء كي يثأر لاخويه فقام بما تقتضيه واجب العروبة من قتال مستميت نال في نهايته مناه من الشهادة فلم يبق من ابناء هذا العجوز الا الرابع فشاء القوم ان يبقوا عليه فلا يدعوه ينفلت ممن حوله الى مكان الراية واخذها ولكن أبى عليه اباؤه ان يرى أبناء امه وابيه صرعى وهو حي فوق الثرى يتمشى فعاف الحياة واستعذب الموت والقى بنفسه على الاعداء يشبعهم من ذات قلبه وذات نفسه مما جعلهم يألمون اشد الالم منه وان يستهدفوه من بين جميع الناس لما نالهم منه من ضيق وكرب فقاتل حتى قتل ولحق بمن تقدمه من اخوته الشهداء الابرار اما الشيخ فقد كان نصيبه من هذه المعركة شظية اصابته من طائرة القت حممها فناله من ضرها ما حمله على ظهر بعير كي يأوي الى بيته وقد كان جاهلا ما حدث لاولاده وفلذات اكباده فانحنت عليه زوجه العجوز واقتعدت منه مقعدا واستبطأت اولادها وما كانت لتستبطأهم لولا انها املت بهم ان يحملوا عنها يسير من عبء تمريض العجوز ومواساته وما كانت لتستبطأهم لولا ان المعركة كانت حامية الوطيس وان من يتأخر في عودته يحسب لتأخره الف حساب لم يعقد

الكرى في جفنها سنة من النوم حتى الصباح وكانت كمن يتلظى من المين الـم الشفقة على العجوز الجريح والم انشغال البال على شباب اربع كانوا لها زهرة الدنيا وبسمة الفجر كل صباح قلقت وذعرت عندما افتر وجه الصباح ولـم يفتر لابنائها ثغر ولم يحضر منهم احد فهلع قلبها واستطار لبها وقالت لا بد من سوء لفلذات الكبد وظلت بين يأس قاتل ورجاء ضئيل حتى شهقت شهقة تمددت على اثرها الى جانب والد ابنائها الذي كان قضى نحبه من تلك الشظية فحار القوم بأمرها واتوا الى بيت متعب الاطرش يزلفون اليه ان يأتي بالزعيم شهبندر عله ينقذها من بين مخالب الاغماء وبراثن الصعقة التي حلت بهـا فهب رجل الانسانية والوطنية الدكتور شهبندر على الاثر سريعا يلبي النداء واللهفة واتى هذه المراة فاذا هي جثـة هامـدة واذا بأطرافها قد يبست واذا بنـور الوطنية المتلألىء ما يزال يشع ناصع البياض على جبهتها فلحقت ببعلها وبنيها الى دار خلد لا يعتريها عدم .

ففي سبيل الله يا أسرة آل حمزة وفي سبيل الوطن والعروبة ما ضحيتم وما بذلتم وما فديتم وما نلتم من شهادة سجلتموها في لوح التقـادير بمداد الدمـــاء ...

المعامـــع والجبـــل :

بذل الجنرال غاملان اقصى ما لديه من جهد كي يزلزل القوة المعنويـة في الجبل على أثر معركـة المسيفرة وان يقنعهم كما ذكرنا بأنهم خسروا الحرب والحقيقة التي لا يمكن كتمانها انـه نجح بما بذله من دعايات في هذا الصدد وان القوى المعنوية في بني معروف في السويداء لم تعد شيئا مذكورا .

مر بنـا ان الحامية الفرنسية في البلد الاول من الجبل كانت في حصار شديد تؤتي اكلها بالطائرات التي كانت ترمي لها الجليد بدل الماء مصحوبـة



ثلاثة من اشهر قادة الثورة السورية العربية
يتوسطهم المواطن العربي الاول فخامة السيد شكري القوتلي
والى يمينه المغفور له الزعيم الشهبندر والى يساره المجاهد السيد نسيب البكري

بالقوت والارزاق وهكذا استطاعت ان تصبر على القــذى وان تتمسك بأهداب الامــل حتى كان يوم ٢٤ ايلول سنة ١٩٢٥ وفيــه دخــل الجنرال غامــلان السويداء فأزاح عمن كان محصورا الضيق والكرب والحصار .

تسقى السويداء من ماء يردها من ام صاد وهي قريــة تبعد عن السويداء قليــلا لهذا عندما دخلت الحملة هذا البلد بعثت بأربعين مغربيا من جنودهــا للماء المذكور كي يحموا حماه .

غير ان الثائرين قد انقضوا عليهم واسروهم واخــذوا باطلاق النار في الظلام مما ارهب الجنرال غاملان وارعبه وخشي ان تكون هنالك خطة حربية مدبرة لحصارهم في البلد اذ انــه كان يسمع الشيء الكثير عن عصابات في الغوطــة تحيط بدمشق لهذا غادر السويداء خلسة صحبة تومي مارتان تاركا كل ثقيل من عتــاد وكل سلاح كبير وقــد بلغ الذعر بــه درجة ترك علــى النــار قدور الطعــام وذهب الى المسيفرة يتخذها مركزا لاعماله العسكريــة من جديـــد .

بعد اسبوع من الحادثة التي لمحنا اليها زحف في ثاني تشرين الاول بقوة من المسيفرة قوامها آلاف من الجنود تعززها الدبابات والطيارات والمدافــع الضخمة الى عرى وظلت زاحفة حتى شارفت المجيمز فصادفت هنالك شرذمة صغيرة من بني معروف ابدت من ضروب البسالة وصنوف الشجاعة مــا علم الفرنسي كــيف يــكون الصبر على المكـــاره وكــيف يمكــن للفئة القليلـــة ان تثبت امام الفئــة الكثيرة عندمــا تتطلب الحتف وتتمنى المــوت وقد كانت معركــة تذكر لبى نداء ربــه فيها البطل المغوار نسيب الاطرش بعد ان أبلى في الاعــداء البلاء الحسن المشكور واما القائد المقدام سعيد العاص فقد اظهر من الفروسية والبســالة ما لايحد بحد ولا يقدر بوصف .

لم يكن عدد الثائرين كافيا لان يقوم بحركة التفاف يحيطون بها بالحملة
لذلك رأوا ان اصول الحرب تقضي بترك الفرنسيين يتوغلون بين عرى والمجيمر
حتى اذا ما بلغوا الوعور والهضاب في شرقيهما اعملوا فيها القتال وبذا يظفرون
مهد الفرنسيون لانفسهم سبيل الحرب بما قذفوا به من قنابل المدافع
وقذائف الطائرات وساروا فابتدأ القتال بينهم وبين المجاهدين في صباح ٣
تشرين الاول وقد امتد الصدام بين الفريقين طويلا صد المجاهدون ميمنة
الجيش الفرنسي في المجيمر فحولت السلطة وجهتها نحو تل الحبس
فاحتلوها كما احتلوا عرى اما نبع عرى الذي لا يبعد عن القرية الا اربعة كيلو
مترات شرقا فقد حمى الثوار منبعه فلم يستطع الجيش بلوغه .

ظل الثائرون يشغلون الجيش كل ليلة ٤ تشرين الاول بموالات اطلاق
الرصاص على معسكر العدو من شمالي عرى وغربيها ومن المجيمر والوعور
الغربية وفي الصباح الباكر تقدم فرسان الجيش لاحتلال النبع لما لمسوه من
مسيس الحاجة الى الماء فصدهم المجاهدون عنه ولم يمكنوهم منه واخذت
قوى الثوار تدنوا من عرى قادمة من الشمال والغرب فانجلى الجيش عن تل
الحبس واخذوا يتجمعون في عرى واخذ جيشهم يمتد شرقا نحو رساس
مجتنبا كل وعر من الاماكن ثم توجه نحو الشمال قليلا ليكون سيره في السهل
الممتد بين رساس والسويداء وعندما بلغ الاولى دخلها بلا مقاومة قط اما
المجاهدون فقد هاجموا ساقة الجيش وبعثوا بقوة للاستيلاء على عرى كي
يقطعوا على العدو خط الرجعة فقتل قائد هذه القوة من بعد ان استولي
على عرى ومن بعد ان غنمت رجال الثورة غنائم عديدة .

اما حمد الاطرش فقد استسلم للفرنسيين عندما احتلوا عرى ابقاء على
داره واثاثه غير ان الثوار قد هدروا دمه ونزعوا منه الامارة ونادوا
بالامير الحسن نجل يحيى الاطرش ان يحل محله فكان درس بليغ في الوطنية

شائق لذلك المستسلم ولغيره ممن تسول له بمثل فعاله النفس واحتل الفرنسيون رساس وقد اعملوا فيها القتل والتدمير وقطع الاشجار والفتك الذريع بصورة همجية وقد دمروا دار متعب الاطرش اما الثوار فقد صمدوا لهم وحالوا بينهم وبين بلوغ الهضاب القريبة منها خلا تل رساس الواقع في شرقها الجنوبي .

عندما بلغ بالجيش الفرنسي الظمأ منتهاه وكان صباح خامس تشرين الاول رأى ان يتوجه نحو كناكر لورود الماء غير ان الثوار كانوا للعدو بالمرصاد اذ وقفوا وحالوا دونه والماء وكان بين الثائرين البطل الامير حسن الاطرش قائدهم ويوسف الاطرش وشبيب القنطار وسعيد العاص وفؤاد وصياح الحمود حيث صمد هؤلاء الابطال بوجه الجيش الذي كان لا يقل عن الخمسمئة صمود الاسود الكواسر وقد قاموا بما تقتضيه الفنون الحربية خير قيام واعملوا بالفرنسيين الفتك الذريع والتقتيل المريع فاضطر الجنرال غاملان الى بث جنوده المشاة هناك لكن البطل الكبير حمد عامر لاقاهم في جهات تل الحديد ودامت الحرب بين الطرفين حتى العصر وقد مني العدو بخسائر فادحة في هذه المعركة وقد انسحب حمد العامر الى المزرعة حيث قضى ليلته وفي اليوم الثاني تابع الانسحاب الى المسيفرة وقد كان للاشاوس الرئابيل زيد الاطرش وفضل الله الهنيدي وحمزة الدرويش اكبر الفضل في الانتصار بهذه الوقائع غير ان الذي كدر هذا الظفر وعكره استشهاد الباسل حمد العامر وجرح البطل الكبير فضل الله الهنيدي .

على اثر ما رآه الجنرال غاملان من ابطال الوطنية والتضحية تراجع في صباح الثامن من تشرين الاول مع جيشه الى حوران تحميه المصفحات على الثرى والطائرات في السماء وظل في سيره من غير ان يعكر عليه الطريق معكر حتى بلغ قرية كناكر وهنالك انصبت نيران حامية عليه من مسافات

قصيرة ولا نبالغ اذا قلنا من مسافة لا تزيد عن ثلاثماية متر كما ان مدافع الثوار قد أصلته وجيشه قنابل عديدة مما اذعره وقد اشتبك القتال واستعر النضال اذ حملت عليه من الخلف ايضا قوة كبرى لا قبل له بها فانفسد عليه الامر وتبدلت الخطة ولم يعد بقادر على بلوغ بصرى اسكي شام كما كان مقررا فانقلب انسحابه الى هزيمة مخجلة واتجه الى الشمال فرصد له الثائرون في الطرق المؤدية الى اذرع وبصرى الحرير ومنعوه ايضا من كل طريق عدا طريق المزرعة فانتهى به التسيار الى قرية التعلة حيث بقي ليلته فيها وقد بارحها في صباح ٩ منه متجها نحو الشمال فوصل ماء المزرعة بلا ان يقاومه احد ولكن عندما شاء ان يسلك السبيل الى بصرى الحرير الفاها مغلقة في وجهه والفى الثوار محدقة به من كل جانب وقد رأى اما ان يتشجع فيشق الطريق من امامه او ان يعود الى التعلة فآثر ان يجرب الاولى ففعل ولكن الثائرين كانوا اشد منه ميراسا اذ صدوه عما ابتغى فاضطر الى اختيار طريق التعلة حيث نظم فيها قواه وغادرها على جناح السرعة الى المسيفرة وبكر في الغداة الى درعا ثم قصد طفس ومما كان له التأثير الاكبر عليه والذي ارغمه على ان يعود عن الجبل اشتعال الثورة في حماه اذ خاف ان تكون هناك خطة عسكرية مدبرة غايتها القضاء على الجيش لهذا انسحب الى الشمال مسرعا تاركا الجبل .

واقعة الزور الاولى :

ما ان ارتفع صوت الثورة في الجبل ونشبت المعارك التي اتينا على وصفها فيه وحواليه حتى هب الكثيرون من جميع انحاء سورية وجهتهم نحو الجبل الاشم للانضمام الى صفوفها والقتال مع رجالها في سبيل الله والوطن لقد كان الى من ذكرنا من قبل كثير من الابطال المغاوير والقادة الاحرار مرتبة اسماؤهم



الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وصحبه المجاهدون الابطـال

على حروف الهجاء الامير عز الدين الجزائري ، امين رويحة ، آصف السفرجلاني ، ابراهيم صدقي ، ابو عمر خيتي ، بشير الهنداوي ، جميل البيك ، حسن الخراط ، سعيد العاص ، سرحان ابو تركي ، فؤاد سليم ، مصطفى وصفي ، محمد الاشمر ، محمد حجاز ، عبد القادر سكر ، ممدوح واصف وعبد الوهاب آل‌عمرباشا وآلاف غيرهم من الرئابيل الذين يشار اليهم بالبنان وعندما باشر الفرنسيون بالزحف على الجبل رأى قواد الثورة وزعماؤها ان خير ما يقومون به هو توسيع نطاق الثورة حتى تتناول غوطة دمشق وجبل قلمون والمناطق الشمالية لتخفيف الضغط عن الجبل وعملا بهذا الرأي السديد غادر المجاهد الكبير نسيب البكري الجبل الاشم الى الصفا لتجنيد عربانها الغياث بقيادة خلف النعير حتى يزحف بهم لمقاتلة الاعداء وكان للسيد المجاهد البكري شأن عظيم وتأثير كبير في موقفه من الفرنسيين كما ان حسن الخراط البطل الشهير قد بارح الجبل الدرزي الى الغوطة وكان قد اتى اليه مع آل البكري الاكارم .

هنالك في الغوطة قام هذا العصامي بأعظم الادوار التي يمثلها الوطنيون الابرار ثم انضم اليه كل من المجاهدين الابطال الذين ابلوا احسن البلاء في ميادين الجهاد والكفاح ابو عبده العشي وابو عبده ديب الشيخ وابو صلاح العرجا والسيد محمد الخطيب والشيخ نديم حيث ألفوا عصابة رابطت من زور بالا على مقربة من دمشق .

فأرسلت السلطة الفرنسية قوة كبرى من الدرك السوري لقتال هؤلاء المجاهدين الابطال تحت قيادة الرئيس رفيق العظمة فاشتد القتال بين الاسود المجاهدين وبين رجال الدرك السوري بمعركة دعيت بواقعة الزور الاولى ابدى فيها المجاهدون الاحرار كل ما كانوا يملكون من شجاعة وحماسة وفنون في القتال اضطر على اثرها رجال الدرك للانهزام الذي لم يستطع ان يظفر به رئيس الدرك السيد العظمة حتى وقع اسيرا بين ايدي الثائرين المغاوير وقد غنم هؤلاء الابرار ٢٩ حصانا في هذه المعركة .



المجاهد الكبير الشيخ محمد الاشمر
وعلى يمينه السيد صالح عياش وعلى يساره السيد عيسى حنين

واقعـــة الزور الثانيـــة :

وقعت هذه المعركـــة في السابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ وكان عدد الثائرين ٨٢ فارسا في مقدمتهم الابطال الاشاوس سعيد العاص والشيخ محمد الاشمر وصـــالح عياش وعيســى حنيـــن وخـــير الدين اللبابيـــدي ومحمــد الخطيـــب وفرحـــــان شرف ومحمد سلمان ويوســف واســعد الشوفاني وعارف الدرزي وغيرهم ممن لم تتصل بنا اسماؤهم .

نمي الى هؤلاء الابطال ان الحرب قائمة على قدم وساق في الزور قــرب المليحـــة وكـــان على رأسها الفارس المقدام حسن الخراط مزكي نارها اقبـــل هؤلاء المجاهـــدون على مكـــان الواقعـــة في الزور فالتهب اديم المعركة وحمي وطيسها وتأزم الهول وتطايرت الرؤوس والاشلاء وانصبت نيران الرشاشات وانفجرت القنابل وتساقطت قذائف الطيارات حتى ان البطل الشهير سعيـــد العاص قال ما معنـــاه : « أتت الطيارة تكشف مواقعنا فخشي الفرسان علـــى خيولهم فعقلوها في قريـــة البلاط وقـــد بقيت الى فرحـــان شرف وسلمان ويوسف والملازم الطيار خير الدين اللبابيدي ثم تبعنا نفر من البدو عزل مـــن الســـلاح فرابطنا قرب العيارة وسرنا في طريق المليحة مسافـــة ٣٠٠ مـــتر حيث خططنا هنالك متاريس واخذنا نقارع العدو حتى الغروب وحتى اذا ما نفـــذ العتـــاد منـــا انسحبنا فانسحب امـــا الفارس الـــكبير محمد عز الدين فقد رابط في طريق جرمانا واتبع العـــدو واعمل فيـــه النار والسيف حتـــى أوصلـــه الى ابواب دمشق .

كان ممن لهم صوت مسموع وصدى مرفوع في هذه الواقعـــة وسجل في صفحـــة تاريخه آي الخلود البطل فرحان شرف من صمد صمود الشجعـــان الاكفياء في القتـــال وظـــل يقاتل حتى ظفر بالشهادة في الآخرة وبالذكر الدائم على المدى في الدنيـــا وجرح في هذه المعركـــة ابو علي طربوش الباسل امـــا



في الوسط المجاهد الكبير السيد نسيب البكري وعلى يساره المجاهدون الابطال السادة ابو صلاح الشربجي وخضر دلول وابو محي الدين شعبان وسعيد القلعجي وعلى يمينه سعيد العاص وعمر الترميني وخالد قلعجي

قتلاهم وجرحاهم فقد املأت اربعة عشر سيار بشهادة عبد الحميد النابلسي احد رجال جيشهم .

اما بواعث هذه المعركة فهي ان الفرنسيين خرجوا لحصار البطل حسن الخراط وعصابته في الزور وكان عدد افراد هذه العصابة ٩٠ رجلا ناضلوا نضال الاشاوس وقاتلوا قتال الشجعان وابدى الاسد المغوار حسن الخراط في هذه المعمعة ما لايحدث التاريخ بمثله ولا يسمع انسان بنحوه وظل كذلك يناضل ويكافح حتى جرح في كتفه اما البطل الشاب منير الريس فقد ابلى بلاء حسنا وجاهد جهادا عنيفا مما سطر له التاريخ اسما مجيدا في هذه المعركة .

اما البلاغات الرسمية فاقرأ ما قالت بصدد هذه الواقعة :

« دامت الحرب في المليحة ٦ ساعات خسر الثوار ١١٥٠ خسرنا خمسة اشخاص فقط » .

ومن هنا يدرك القاريء الكريم مبلغ حقيقة ما كان يذاع بلسان السلطة الفرنسية من بلاغات عن الثورة .

ثورة حماه مدينة ابي الفداء والقاوقجي :

على اثر معركة المسيفرة كان حادث له قيمته التاريخية وله شأنه الكبير في الثورة ذلك ان البطلين الباسلين منير الريس ومظهر السباعي ذهبا الى جبل الدروز من مدينة ابي الفداء عن طريق شرقي الاردن يصطحبان صورة اتفاق لاضرام نار الثورة وقعه كبار حماه مآله أن تقع مناوشات تمهيدية في اول تشرين الاول في الغوطة وان تزحف على القريتين قوة من الجبل لا تقل عن مئة فارس لتكون تحت لواء المجاهد الكريم والقائد

العربي الكبير فوزي القـاوقجي وتنضم الى جنوده البواسل فيكونون جميعا تحت امرتـه . وتضمن الاتفاق ان تبدأ الثـورة في حماه في الثاني من تشرين الاول وان لا يعقد الجبل صلحا منفردا بل ان كان الصلح فبالاشتراك باسم الاقليم السوري وتتضمن غير ذلك من شروط .

قدم السيدان الريس والسباعي الاتفاق الذي نوهنا عنـه الى الزعيـم الشهبنـدر فراى ضرورة الاسراع في قبوله ليخف الضغط عن الجبل باشغال الجنود الفرنسية التي كانت يومئـذ في حوران لا سيما من بعـد ان تزلزلت نوعا ما معنويات الجبل متأثرة بالدعاية الفرنسية عقيب معركة المسيفرة .

قصد الزعيم الشهبندر واخوانـه السلطان فالتقوا به في قرية رساس حيث اوقفاه على ما كان من امر الاتفاق فوافق على ما بيتوا عليـه وقـال بوجـوب الانفاذ بسرعـة عندها طلبـوا الى السلطان ان يوقعه دليل الموافقـة باسم بني معروف حتى يطمئن رجال حماه ففعل وتسلمه البالسلان نزيـه المؤيـد ومظهر السباعي وعادا الى الغوطـة حيث اعطوه للدكتور خالد الخطيب كي يقدمـه الى مجاهدين حماه .

وبالحقيقة كان لهذا الاتفاق شأنه الخطير وتأثيره الكبير على الفرنسيين اذ ان ثورة حماه كما المعنـا قبلا كانت هي العامل الاكبر في سحب غاملان جيشه من السويداء من بعد ان احتلها ومن بعد ان كان مزمعـا على اخضاع الجبـل جميعا فلم يستطع بسبب ابطال حماه وثورتهم .

وان شئت ان تسمع ايهـا القارىء الكريم عن هذه الثورة التي لها قيمتها في تاريخ الاقليم السوري فاتـل ما كتبه ببراعة نفس البطل العظيم القاوقجي اذ قـال :

« عندما كلفت الدخول للجيش الفرنسي وجدت الفرصة ملائمـة لانزال

الضربة التي كنت اتخيلها بالفرنسيين على ان تكون هذه الضربة ذات مفعول قوي من حيث نتائجها الادبية والمادية وان تكون على شكل تحرك حماس الشعب وتزيل الاوهام التي اخذت تثبت في ادمغتهم بقوة فرنسا وقدرتها وان تكون فجائية من حيث لا ينتظرونها حتى تضمن النتائج المطلوبة ولهذا كان يجب احراز ثقة الفرنسيين من جهة وثقة الشعب من جهة اخرى ثم تحري الفرص المناسبة اما ثقة العدو فقد تمت بما اظهرته من الفاعلية العظيمة واما ثقة الشعب فقد ضمنت بما بذلته لحماية المصالح والحقوق والدماء التي كانت دوما هدفا للهدر ثم تقوت بواسطة التشكيلات التي بدات بها عن طريق رجال الدين والتي بفضلها نفذت الى الشعب واتممت تشكيلات حزب الله الذي ربط به قسم عظيم من سواد الشعب في حماه وخارجها بعهود دينية متينة وكان لانتصارات عبد الكريم البطل على الاسبان واستعداد المرشال ليوتي للاشتباك بالبطل الريفي الامل بقرب ساعة الفرصة المنتظرة واخيرا اشتبك الفرنسيون مع عبد الكريم وكانت الفرصة سانحة عقبتها اعمال الفرنسيين الطائشة في الجبل التي ولدت قيامه فاتسع المجال امامي بزيادة ثقة الفرنسيين الاضطرارية من جهة وبنشاط الحرب وحماسه من جهة اخرى تخابرت مع بعض الزعماء في دمشق ــ لايمكني ذكر اسمائهم ــ فيما اذا كانوا مستعدين للثورة او للاشتراك او اذا كان عندهم شيء من هذا القبيل لتوحيد الاعمال فأجابوا بأنه ما فكروا بهذا الموضوع قط وانهم يرونه مضرا جدا بمصالح سورية قررت البدء بتشكيلاتنا وحدها فقط وقد وسعتها حتى شملت البدو اجمعهم تقريبا ومن المدن حمص وبعلبك والمعرة ودير الزور ثم سرت الى وحدات الجيش السوري حتى شملت مراكز القريتين وتدمر وحمص وحماه والذين اشتركوا في حلف القسم الديني والشرف من الضباط كثيرين جدا وهؤلاء من الجيش السوري ومن الدرك والشرطة والكل تعين له واجب خاص بجنود يستميلها بتدبيره وحسن تأثيره واثارة النخوة

الوطنية والدينية في نفوسهم ثم اخذت اتجول متذرعا بشتى الحجج بين كل مراكز هذه الوحدات واتصل بواسطة الضباط الى الجنود منهم اليمين وكنت المس الحماس والغيرة الملتهبة لما ثم انتقلت الى رجال الوظائف الملكيين فوجدت الكثير منهم الذي ادى اليمين والعهد وتعينت واجبات هؤلاء جميعا التي تكون بعد اعلان الثورة .

اما البدو فتمكنت من اقناعهم بلزوم الاشتراك وذلك بعد ان اثبت لهم استعداد الجيش كله لهذه الثورة التي تنقذ بها البلاد من الفرنسيين ثم بالوعود المالية الخلابة وبرفع الضرائب عنهم ثم بالوعيد ان أسلط عليهم الجيش الثائر ونجعلهم هدفاً لنا عوضا عن الجيش الفرنسي ان لم يشتركوا وبعد تجوال دام نحو عشرين يوما تقريبا تمكنت من اخذ مضابط من اكثر الشيوخ البدوية وكذلك فرضت على كل شيخ مقدار المقاتلين من المشاة والفرسان حسب قابلية القبيلة الذي يجب احضاره وبعد اشتراكه بالثورة يتناول كل شيخ راتبه وراتب جنوده واخذت المضابط الموقعة من هؤلاء على هذا الموضوع وجعلت الوعد بيني وبينهم نيران تندلع في مدينة حماه فعند رؤيتها يجب ان يحضروا للمحلات التي تقرر تجمعهم فيها .

ولقد نظمت هيئة حكومية تدير البلاد اعتبارا من ثاني يوم الثورة والتي يكون لها ماليتها من اموال الحكومة والبنوك التي تدخل في حوزتنا والتي اتخذت لها التدابير الاكيدة وقد اشترك بوظائف هذه الحكومة كثير من الاشخاص البارزين الذين لا يمكن ذكر اسمائهم اليوم وبعد ما تمت كل هذه الترتيبات لم يبق الا تعيين اليوم الذي يكون مبدأ الثورة وتعين هذا اليوم على ان يكون ١٢ ربيع الاول اي يوم مولد الرسول الاعظم وكانت في هذه الايام حملة الجنرال غاملان تتوغل في الجبل بموفقيات متتابعة وكان الموقف يتطلب السرعة في الشروع لانه كانت ثقلة الجيش الفرنسي كله في الجبل



صورة المجاهــد الباســل ابو عبده العشي

وفي الجنوب ولم يوجد عندهم ما يشغل البال من القوة في الشمال والخوف الوحيد هو ان يتمكن الجيش من اعماله في الجبل وتخمد الثورة بسرعة ويؤمن الامن ثم يفرز قواه الزائدة الى الشمال عندها يتعسر كل شيء لذلك يوم المولد كان موعد مناسب جدا فخرجت قبل هذا اليوم الى البادية بحجة مراقبة قبائل العمارات الآتية من العراق وتطمين اهل القرى وحمايتهم من تعديهم لكي لا يحدث أي حادث يشوش اعمال الجيش الفرنسي في الجبل ويعرقل اعماله في استحصال الظفر السريع فكانت هذه الفكرة معقولة جدا ووجدت تحسينا وتشجيعا في تطبيقها من قبل المستشار فخرجت وتركت المفرزة تسير باتجاهاتها التي اقررتها لها ثم انطلقت بالسيارة الى مشايخ القبائل الذين عاهدوني على العمل لتوثيق العهود واحضارهم للعمل القريب وكنت كذلك اتصل بالذين عاهدوني من المدن في قرى قريبة من حماه وندخل بعض التعديلات على اساسات الحركة وذلك موافقة لمطاليبهم كي لا تتأخر الحركة وبالنتيجة كان اجتماع « .... » وكان قرار الدخول لحماه ليلة المولد والكل على اهبة العمل الكامل خاصة الجيش والدرك والشرطة فتركت المفرزة في « .... » واخذت قسما من الجنود بالسيارة ودخلت حماه الساعة العاشرة بعد الظهر واجتمعت مع الرؤساء وطلبت ان يحضروا برجالهم الى المحلات التي قررتها لهم ثم ارسلت مفارز صغيرة لقطع المخابرات التلفونية داخل حماه وما بين حماه وخارجها ومفارز اخرى لمحاصرة دور الضباط الفرنسيين لمنع اتصالهم بقطعاتهم والقبض عليهم كي يكونوا رهان عندنا نفتدي بهم عند الحاجة بعض من رجالنا المهمين وكان الموعد للانتهاء من الاجتماع الساعة ١٢ حيث تباشر هذه المفارز عملها اتصلت المفارز بالجيش واستعد الجيش بهذه الليلة وحضر رشاشاته وكان ينتظر الاوامر . مضى على الموعد نصف ساعة ثم ساعة ثم ساعتين ولم يأت سوى « .... » و « .... » ارادوا الانتحار لعدم تمكنهم من جمع رجالهم فان وقت العمل ولا بد من تأجيله الى يوم آخر

فأخبرت الجيش بأن يلتزم السكينة المعتادة الى يوم آخر ثم سحبت المفارز الذين قطعوا بعض خطوط المخابرات ثم ضربت للرؤساء موعد آخر وانسحبت من حماه التي دخلتها على راس دورية لتأمين الامن وبهذه الواسطة تمكنت من اخفاء امر دخولي هذه الليلة ولكي أزيل اثر اي اشاعة يمكن حدوثها ثاني يوم فقد رجعت بالسيارة الى « .... » حيث ارسلت في الصباح تقريرا مفصلا للمستشار الفرنسي اعلمه فيه عن جريان الاحوال حسب ما يرام وعن اضطراري ملازمة قبائل العمارات الذين اخذت اجليهم نحو الشرق لأبعدهم عن المعمورة فوصل هذا التقرير صباحا حيث كانت المدينة امتلأت بأنواع الاشاعات ولكي لا أفوت فرصة وجود الجيش الفرنسي في الجبل ولكي اجعل رفقائي امام امر واقع لا يمكن تجنبه طلبتهم يوم ٥ تشرين الى « .... » للاجتماع والمداولة وكنت في هذا اليوم ارسلت اوامر لفصائل الجيش الموجودة خارج حماه ان تترك مراكزها وتحضر الى مراكز عينتها لها بقصد الهجوم على حماه وان يأتوني ببعض الضباط الفرنسيين مكتوفي الايدي لتكون هذه الحركة هي بداية الثورة التي لا يمكن لاخواننا تجنبها وهكذا كان فلم يتم حضور الاخوان من حماه الا وكانت فصائل هذا الجيش تتحرك حسب الاوامر وكان بعض الضباط الفرنسيين مقيدين تقودهم جنود الثورة لامام الجماعة فالامر وقع وكل من الرؤساء وبعض المشايخ من شيوخ القبائل فالذي شاهد هذا المشهد وحضره ايقن انه اصبح عدو فرنسا من هذه اللحظة فلم يبق علينا سوى تنظيم الحركة وترتيبها وهذا تم ايضا والذي يهمني كثيرا في تنظيم الحركة ان تكون الترتيبات قطعية فيما اذا مست الحاجة لارغام المأمورين الملكيين واجبارهم على تنفيذ الخطة والعمل بموجب الاوامر والتعليمات والانظمة الصادرة اليهم اول يوم ولكن الاهم هو نشوب الثورة ثم توسعها وتنظيمها وبعد اتمام الترتيبات وتعيين محل الاجتماع في حماه في دار « .... » افرزت قسما لحماية محل النصارى كي لا تحدث حوادث غير مرضية يستغلها

الخصم سلاحا علينا وتكون حجة قاطعة بيد اعدائنا يوصمنا بالهجمة والتعصب الذميم والقتل والنهب ليكون بيدهم سلاحا ماضيا من هذه الاباطيل مما يؤثر على سمعتنا في الداخل وعلى الرأي العام المتمدن في الخارج ضد حركتنا المقدسة ثم جعلت آذان العشاء عن المنارات هو الايعاز للهجوم « بارولة الهجوم — وشعاره » .

وصلنا قبل الآذان بنصف ساعة لمحل الاجتماع فلم اجد من كان يجب ان يكون حاضرا بل انما كان قد حضر قسما لا بأس به فعدلت الخطة على اثر ما شاهدته من ضآلة الجمع المحتشد .

قررت ان يكون الهجوم اولا على المخافر وتجريد الجنود من السلاح ثم مهاجمة السرايا والاستيلاء عليها واطلاق سراح السجناء واستخدامهم حالا وكانت السرايا مخفورة ومحمية بجنود نظامية اضافة على قوى الدرك ارسلتها السلطة احتياطا من النهار واضطررت لهذا التغيير بوجه خاص لما علمت بأن الاوامر التي اصدرتها لبعض الرؤساء بشأن سوق فصائلهم الى امكنة الهجوم المعينة لم تصل بعد والمفرزة التي انيط بها تعطيل المواصلات وقطع الطريق بقيادة « ..... » لم تتمكن وذلك على أثر وصول مفرزة الارتباط من قبل الضابط الفرنسي « .... » فلم تقم بواجبها وتبين لي بأن بعض الفصائل دخلت المدينة والتحمت مع حامية الثكنات التي امطرتها هاطلا من الرصاص دفاعا عنها وفوق هذا كله فان « ..... » الذي كان من الذين يعول عليهم وعليه اكبر واجب فقد ذهب توا الى المستشار واخبره عن الاجتماع الذي حصل والمقررات التي اتخذت والترتيبات المصممة والخطة الحربية وهذا الرجل يعد اكبر زعيم بحماه وعلى اثر ذلك فقد ابرق المستشار الى حمص والشام والى المندوب في بيروت والى حلب واكد لهم نشوب الثورة في هذه البلدة وفي هذه الليلة وهو من جهة اخرى فقد تذرع بجميع وسائل

الدفاع لتخفيف وطأة الصدمة وعمل هذا الزعيم كان سببا لحرماننا من مساعدة فصائل الجيش التي كانت هي وهيئة ضباطها على اتم الاستعداد لنجدتنا والاشتراك معنا . بدأ الهجوم على المخافر وتوفقنا لتجريدهم من اسلحتهم ثم استأنفنا الهجوم الكبير لاحتلال السرايا فاصطدمنا مع الحامية اصطداما عنيفا واشتبكنا معها اشتباكا ودارت بيننا وبينها معارك كانت حامية الوطيس كبدتنا خسائر فادحة بالنفوس واستشهد كثير من رجالنا حيث كان حربهم في العراء في بقعة مجردة من كل استحكام طبيعي او صنعي. وفي هذا الوقت الرهيب اطل القمر علينا من نافذته الابدية ونشر علينا اشعة أنواره فنور ساحة معركتنا فتبين للحامية مواطن هجوم رجالنا ومكامن دفاعهم. والحامية متمكنة في السرايا ومحصنة فيها جدا ومع كل هذه العوائق الطبيعية والحوائل الصنعية فاننا بفضل التدابير الحاسمة العسكرية فقد تغلبنا على الحامية واضعفنا وطأة دفاعهم ولم تأزف الساعة ١٢/١٠ الا وكان المهاجمون اشعلوا النار في السرايا فقتل من قتل من جنود الحامية وفر من فر من الثقوب وكان يوجد ثقب في السرايا يوصل حتى اصطبلات دارالعظم فاستفادوا منه ونجوا من قبضتنا سرنا فاستولينا على السلاح والعتاد وفتحنا ابواب السجون واطلقنا سراح المسجونين وكانت النيران تندلع في جدران السرايا وفي غرفها الجميلة حتى يكاد لهيبها يعانق كبد السماء فكانت هذه النيران اصدق رمز لتأدية الاشارة المطلوبة الى القبائل التي تترصد هذه الاشارة من شواهق حماه الشرقية وعدا ذلك فقد سيرت السيارات لاعلام القبائل البعيدة والتي يحتمل عدم تمكنها رؤية اللهب المتصاعد وعلى اثر مشاهدة النيران فقد زحفت جموع من العشائر المسلحة من قبائل ... و ... و ... واشتركت هذه القبائل في الهجوم الذي حدث في اليوم الثاني من نشوب الثورة صباحا وصدت هجمات قوى الفرسان الفرنسية حينما أقدمت على الخروج .



شرعنا بتطبيق خطتنا الهجومية على المواقع العسكرية الحصينة حيث دارت بيننا وبين حامياتها معارك عنيفة وتبودلت مع هذه الحاميات القنابل اليدوية بدلا من البنادق من ابعاد قريبة جدا فاحترق السوق الملاصق لمركز الحامية وبدأت دائرة النيران تتسع في اطراف الثكنة .

ـ خمدت نيران الحاميات المدافعة وقوبلت الطيارات بنيران الثوار المجتمعة واسقطت طيارة بالقرب من حماه تتأجج نارا وتلتهب سعيرا واسقطت طيارة أخرى في اطراف الخط الحديدي جنوبي حماه وكفانا الله شر بلاء الطيارات المستطير على اثر احتراق البعض منها وفي هذه الساعة الرهيبة كنا ننتظر وصول نجدة مفارز ... و ... الذي كان قد وعدنا بارسالها وهذه المفارز من اقوى عناصر قواتنا عددا وعدة وعنصرا وسلاحا فلم يف بوعده بل امتطى حضرته مركبة تحيط به حاشيته ومتجها نحو دار المستشار حيث يعرض عليه اخلاصه وارتباطه وتقوية صلته به على جثث الشهداء حيث يؤكد بأن الاهالي لا دخل لهم في هذه الحركة وما هي سوى حركة عصيان الجند على الجيش ـ وهنا وصمة عار وفصل مؤلم مثل على جماجم الشهداء لايمكن شرحه الآن ـ .

في جانب اروع صفحة نورانية واشرف صفحة من صفحات الجهاد القومي تقوم بعبء تضحياتها السواد الاعظم من العامية التي هي اكثر الامة العربية وسوادها الاعظم وجنود حريتها واستقلالها بعكس ما هي عليه طبقة الارستقراطية الحديثة من تملق ورياء وخبث ودهاء ومكر وتقرب من الاجنبي المهيمن على البلاد لم يبق امل في اتمام الخطة المطلوبة على اثر الخيانة الكبرى من قبل اصحاب الوجاهات المزيفة ولكن لابد من الوصول الى الهدف المطلوب والغاية المثلى التي اطمح اليها هي ارغام الفرنسيين واجبارهم



المجاهدان الكبيران السيد نسيب البكري والسيد فوزي القاوقجي،
وبعض المجاهدين الابطال يتأهبون لدخول دمشق

على سحب قواهم من الجبل وتوجيهها الى الشمال لكي يتسع المجال امام ابطال الجبل ولكي يتنفسوا الصعداء انفاس حرية العمل وكبح جماح قوى غاملان ونقل ثقل جيوشه وتخفيف عبء وطأتها لذلك يجب ان تأخذ ثورة حماه مفعولا كبيرا وتفعل دورا خطيرا له شأنه وتكون حركة خطيرة ومهابة ومخيفة وعامة لهذا قررت مغادرة حماه للاجتماع بعشائر ... « الموالي » فذهبت للحمرة حيث هي مركز فوج افرنسي فقررت القيام بحركة واسعة النطاق وعنيفة جدا فصممت مهاجمة المعرة والاستيلاء عليها وتعطيل المواصلات الحديدية بين حماه والشمال فتمكنت من تنفيذ خطتي الاولى وانهيت الدور الاول حسب المطلوب فهاجمت المعرة مباغتا ومفاجئا سرية الفرسان المعسكرة بها وقتل ضابط افرنسي وغنمنا ثلاث وثلاثون راسا من الخيل وكمية من الاسلحة ومقادير لا بأس بها من العتاد ثم خربت محطة كوكبان وتركت العشائر تعبث بالامن وبعد ان قمت بهذه الاعمال غادرت منطقة المعرة ويممت وجهي شطر الحمرة حيث تقطنها عشيرة ... « الموالي » التي قام بالحركات الاولى البعض من افخاذها والحمرة يعسكر بها فوج افرنسي من المشاة لانها سيف البادية فهاجمت هذه القوة مهاجمة عنيفة وارغمتها على الانهزام بشكل فظيع تاركا خلفه كل اعماله واثقاله من ارزاق وسلاح وعتاد وعلى اثر هذه الحركات واندحار قوى الفرنسيين فقد انتشرت الفوضى بهذه الاصقاع التي عجزت الطيارات عن قمعها ولم تؤثر عليها المدافع التي وضعت بالقطارات وسيرت على امتداد الخط الحديدي وسيرت خصيصا بالقطارات لقمع دابر الفوضى وعلى اثر اطلاق المدفعية قنابلها فقد شدت العرب رحالها ونزحت عن المناطق المهلكة التي تتقاذفها وتنتابها قنابل المدفعية وتؤثر على وضعها الطبيعي الطيارات فهجت أي نزحت من المواقع المجاورة للخط الحديدي واتصلت بالقبائل ... التي تمكنت من قطع كل صلة وتعطيل كل اتصال ما بين دير الزور وحلب وهكذا عمت الفوضى اطنابها بأصقاع حماه والمعرة وتوسع نطاق الثورة وشملت الثورة كافة انحاء سورية الشمالية فنجحت ثورة حماه



القائد العربي الكبير فوزي القاوقجي وصحبه المجاهدين
في ميادين البطولة والشرف

بهذا التوسع نجاحا باهرا وضمنت الفوائد المثمرة الآتيــة .

١ ـ اضطر الجنرال ساراي ان يبرق الى غاملان المظفر في جبل الدروز والذي اكتسح المقرن الجنوبي كله وكان على ابواب رساس اي مفتاح المقــرن الغربي ان يخلي الجبل ويجلي عنه بسرعة ويتوجه بقسم كبير من قواه الــى الشمال لتسكين ثائرة ثورة حماه واخمادها بعــد ان كــان قد احتل السويداء عاصمة الجبل وانقذ حاميتها واستسلم الاسرى واستسلم امير الجبل الامير حمد من تلقاء نفســه الى الجنرال غاملان من عرى حينما كان معسكرا فــي رســاس .

٢ ـ انسحاب الجيش الفرنسي انقذ الجبل من الاكتساح العام ومــن هزيمــة شنعاء فتنفس الصعداء واشــتد الحماس وازال اليأس من النفوس ونهض الجبل من عثرتــه وتمكنت قوى الجبل من مطاردة الجيش المنسحب وكبدتــه خسائر فادحة معملة في اطرافــه سيف التقطيع مهما امكنهــم ولولا استعجاله بالانسحاب لاستحال تراجعه الى هزيمة شنعاء ولكارثة حربية لا تقل شأنا عن كارثة ميشو في المزرعــة .

٣ ـ بعد انسحاب الجيش الفرنسي من الجبل لم يبق مايمنع مجاهــدي الدروز ومن التحق بهم من سورية بالهجوم على الغوطة وعلى دمشق نفسها والتوسع بالحركات وهكذا اصبحت ابواب دمشق مفتوحة امام مهاجمات الثوار ودخلوها بدون ادنى مقاومة عنيفة ولو كان الرأس الذي تزعم حركة دمشــق له اقل المام بالفنون الحربية والاضطــلاع بالادارة الثورية لكانت النتيجــة المتوخاة من ثورة عامــة في الشمال حصلت في قلب دمشــق وقضي الامر وتمكنت سورية من عقد معاهدة تضمن لها مطاليبها القومية وتحفظ لها شرفها وكيانها وتمحي وصمــة عار ميسلون من جبينها الناصع وتسترد ما اضاعته من كرامة وعزة قوميــة .

٤ ـ دخول دمشق والغوطـة كانا من عوامل توسع الثورة في المناطـق الاخرى ونشوب الثورات فيها .

٥ ـ اضاع الفرنسيون اقتطاف ثمرة انتصاراتهم في الجبل وعكست الآية فأصبح انتصارهم اندحارا وبدل النصر بالقهر .

ان الاسباب التي ادت الى فشل ثورة حماه في نفس حماه وحرمان سورية من اجتناء ثمرات هذه الثورة الشريفـة ترجع الى عوامل عديـدة والى اعمال اشخاص لا يمكن البوح الآن بذكر اسمائهم قطعا حرصا على سلامة سمعتهم انما سيأتي الوقت الذي تعرف به وكيف استثمر البعض من اغنيائها وكبارها الدماء المهراقـة دمـاء ابنائهـا المخلصين لتوطيـد دعـائم نفوذهم وخلاصة القول فان ثورة حماه كانت كالقنبلة التي وجهت الى تخريب مدفع العـدو وسددت باتقان ومهارة فأخطأته واصابت عجلة عتاده فانفجرت فيها فأحرقتها واحرقت العتـاد وتعطل المدفع بصورة غير مباشرة .

بقلم : فوزي الدين القاوقجي

هذا وقد رفعت لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني التنفيذية تقريرا مطولا في شهر شباط سنة ١٩٢٦ الى جمعية الامم عن ثورة حماه اليك ما جاء فيه :

« في الساعة التاسعة من مساء الاحد ٤ اكتوبر ١٩٢٥ هاجم الثوار دار الحكومة وارادوا الاستيلاء على السـلاح المدخـر في مستودع الدرك فقابلهم الجنود المحافظون برصاص بنادقهم وبعد مقاومة عنيفة دامت زهاء ساعتين استولى الثوار على دار الحكومة وصادروا السلاح الموجود فيها وكـان قسم من الثـوار قصد مخافر الشرطة وجرد رجالها من اسلحتهم بدون مقاومة وقد انضم بعض رجال الشرطة اليهم وبعد احتلال دار الحكومة والمخافر هـاجم الثـوار الثكنتين العسكريتين وكانت القوات الموجودة فيهما قد اغلقت الابواب واخذت تقاوم الثوار باطلاق القنابل اليدويـة وبرشاشات المتريلـوزات ودام

الحصار واستمرت المقاومة العنيفة حتى آخر الليل ولما استولى الثوار على دار الحكومة وتغلغلوا في اروقتها كان لا يزال بضعة افراد من جنود المليس والدرك في الطابق العلوي يطلقون الرصاص من المنافذ وقد شعروا بأن الطابق السفلي سقط في ايدي الثوار فأشعلوا النار في الطابق العلوي بقصد احراق السراي بمن فيها من الثوار ثم ركنوا من ناحية اخرى الى الفرار فامتد لهيب النار من دائرة الى اخرى حتى عم جميع دوائر الحكومة وشعباتها وقبل ان يتصل لسان اللهيب بادارة السجن احس السجناء بالخطر وكانت الابواب قد خلت من الحراس فحطموا الابواب وخرجوا جميعا .

وقبل شروق الشمس خرجت القوة العسكرية المحاصرة في خان الموقف احدى الثكنتين المحاصرتين حيث كانت اصوات الرصاص انقطعت في ذلك الوقت وجعلت تقبض على من تراه من الاهلين في الطريق وتعمل في اقفيتهم ضربا بكعاب البنادق غير ان الثوار اعادوا الكرة على هذه القوة وهاجموها ففرت من امامهم ودخلت الثكنات وعادت الى حصارها كما كان في الليل المنصرم واشتد الحصار والمقاومة الى قبيل الظهر وكان الجنود المحصورون يلقون القنابل اليدوية المشتعلة من أعلى الجدران ومن نوافذ الثكنة بدون ان يسددوها الى جهة معلومة واخيرا جعلوا يرمون تلك القنابل المشتعلة على المخازن المجاورة للثكنة فشبت النار في تلك المخازن واندلعت فيها السنتها والجنود تطلق القنبلة تلو الاخرى على المخازن بدون انقطاع فلما راى اصحاب تلك المخازن اموالهم تأكلها النيران وهي كل ما يملكون من حطام الدنيا القى بعضهم بنفسه الى مخزنه تحت وابل الرصاص والقنابل وحاول الوصول الى انقاذ شيء من ماله فلم يتمكن وكانت الجنود الفرنسية كلما رات احدا يحاول التقرب من دكانه تلقي عليه قنبلة فينجو بروحه وعيناه ترى وتشاهد ماله تلتهمه النيران حتى ان رجلا يدعى حسن شاكر لم يطق الصبر على مشاهدة ماله يحترق فتقدم الى مخزنه وكانت النيران لم تصل اليه بعد

ففتحه وانتشل دفاتره والنقود الموجودة في صندوقه وبينما هو كذلك رماه جندي من أعلى الثكنة بقنبلة اصابته وهو في داخل مخزنه فأردته قتيلا وشبت النار في المخزن فلم تبق على شيء منه وهكذا ظلت النار تأكل من المخازن وتمتد من واحد الى آخر حتى اتت على ١١٧ مخزنا بما فيها من بضائع واموال ونقود واصبح اصحابها بعد ان كانوا اغنياء بأموالهم فقراء لا يملكون شروى نقير وبعد ظهر الاثنين وصلت قوة من الجند السنغالي والفرنسي فدخلت المدينة بمدافعها ودباباتها ورشاشاتها وجعلت تطلق النار على الطرقات والشوارع كيفما سارت وعلى اي شخص تراه في طريقها من الاهلين فأخلت المواقع المرتفعة من المدينة وصبت نيران بنادقها ورشاشاتها على المنازل الآهلة بالسكان دون ما تمييز بين الثوار والآمنين فخلت الطرق من الناس والتجأ الاهلون الى منازلهم فلم تغنهم منازلهم شيئا حيث أزهقت نفوس كثيرة وهي في بيوتها آمنة مطمئنة برصاص بنادق الجنود المصوبة من شاهق وفي تلك الساعة الرهيبة اشتد البلاء وعظمت النكبة فلم يعد الاخ يشعر بأخيه ولا الاب بابنه ولا الام بطفلها والناس في بيوتهم حائرون مضطربون واعظم الناس مصيبة هم الذين كانت بيوتهم قريبة من المواقع المرتفعة التي احتلها السنغاليون حيث لم يبق بيت الا اصيب من سكانه برجل او امراة او صبي ثم وصف التقرير الاعمال الشاذة التي ارتكبت في خلال الاضطرابات فعدد ثلاث عشرة حادثة منها حادثة مصرع الدكتور صالح قنباز ومما قاله في هذا الصدد ان الفقيد امضى سحابة يوم ٥ اكتوبر باسعاف الجرحى وقد قام بذلك احسن قيام مما سجله التاريخ على صفحاته بأحرف من نور ولما آب الى منزله مساء اليوم المذكور سمع صوت استغاثة من منزل مجاور له ففتح الباب فرأى ابن عمه مطروحا على الارض والدم يتدفق من رأسه وقد وقف ابوه قريبا منه لايجسر على الدنو منه فصاح به الدكتور الي الي ولم يكد يأتي على آخر هذه الكلمة حتى اصابته رصاصتان من بندقية سنغالي في رأسه فخر

صريع الواجب وظلت جثته مطروحة على الارض زهاء ساعتين حتى خرجت النساء وحملنها الى الدار وعند الصباح احتل السنغاليون المنزل ونهبو ما وصلت اليه ايديهم من نقود ورياش تقدر بألف جنيه وقبضوا على اخويه محمد وعبد الحميد مما أذعر النساء وارعبهن ومما جاء في التقرير ان الجنود السنغاليين كانوا يقتحمون البيوت والمنازل فيقتلون فيها الرجال والاطفال ويعتدون على النساء ولما شكا بعض الاهالي هذا الامر الى القائد العسكري اجاب بقوله : ان حدوث مثل هذا الامر طبيعي من جنود ظافرة في مدينة ثائرة وفي التاسع منه نشر القائد بلاغا يتضمن بأن المدينة اصبح امرها منوطا الى السلطة العسكرية ومحظور على الاهالي التسيار من الساعة السادسة مساء حتى السادسة صباحا وكذلك الاجتماعات العامة والخاصة وقد هدد باطلاق الرصاص على كل من يخالف هذا البلاغ وفي الرابع عشر من شهر اكتوبر عام ١٩٢٥ اذاعت السلطة انذارا الى اهالي حماه جاء فيه بوجوب تسليم مئة بندقية مع قذائفها خلال اربعة وعشرين ساعة وفي حال عدم تلبية الطلب تضرب المدينة بالقنابل .

اذعن الاهلون بأمر السلطة فجمعوا البنادق المطلوبة الا اربعا منها لم يتمكنوا من جمعها فاسترحموا من المستشار الفرنسي تمديد الاجل المضروب ليلافوا هذا النقص وليتداركوا جلب بقية البنادق من خارج المدينة فقبل المستشار على شريطة مضاعفة العدد ووجوب تسليم مئتي بندقية حتى عصر ذلك اليوم وفيه لم يتمكن الاهلون من تلبية الطلب وعندها لم يكن من ذلك المستشار الا ان صب قنابل المدافع وقذائف الطيارات على احياء المدينة تترى فهدمت البيوت على اصحابها وقتلت الشيوخ والنساء والاطفال واشتد الكرب وعظم المصاب على الناس فما كان ليسمع الا عويل النساء وصياح الاطفال مما يفجر الصخر عيونا ويقطر من القلب دما .

فتراكض الاهلون من كل حدب وصوب يضرعون الى القائد بنفوس هالعة

وعيون دامعـة ان يمنيهم بوقف الضرب فما كان منه الا ان اجابهم بقوله لقد امرت باطلاق مئـة وخمسين قنبلة ولم يبق منها الا اربعون فلا بد من اطلاقها وفي نهايتها يجب تسديد مئة بندقية اخرى حتى عصر اليوم واذا لم تلبـوا الطلب اعيد الكرة مرة اخرى .

وهكذا توالى اطلاق الرصاص والنار كابد الاهلون خلاله اشد العـذاب وذاقـوا انواع الآلام واخيرا تمكن القوم من جمع البنادق المطلوبة مع قذائفها وذلك من ابتياعها من الجنود الفرنسية وتسليمها للسلطة الغاشمة .

لم يكتف رجال الاستعمار بما قاموا به من تقتيل وتهديم وتعذيب حتـى قبضوا على مئتي رجـل من وجهاء حماه واعيانهـا واخيارهـا واتوا بهم الى المعتقل العسكري حيث مثلوا بهؤلاء الابرياء اشنع تمثيل وافظع تنكيل ممـا سطر ذلك على صفحات التاريخ للفرنسيين اسطر الخذي والذل والعار على كر الايام وتوالي الحدثان .

سيدات حماه تحتـج :

لم تقتصر الوطنية ولم يقتصر حب الحرية على رجال حماه وشجعانهـا الابرار فحسب بل كان لسيداتها الحرائر الفعل الكبير في هذا الشأن لذلك عندما مر خلف الجنرال ساراي وهو المسيو دي جوفنيـل المندوب السامي الجديد في حماه بطريقه الى حلب تقدمت فضليات مدينة ابي الفداء باحتجاج قيم رفعنه اليـه يتضمن ما يلي :

« غضبت المقادير ياسعادة المندوب على هذه البلاد بسبب سوء معاملـة حكامها واولي الامر فيها حتى اصبحت هي وسكانها طعامـا لالسن النيـران وفريسة للفوضى والاستعباد ولم تأت بذنب يستحق هذا العقاب الذي لـم يسطر له التاريخ مثالا في القرون الاولى .

انا لنذكر لسعادتك طرفا مما قاسته حماه تلك البلدة الصغيرة الهادئة التي صمتت طويلا عن ظلمها والاستبداد بأهلها اذ لم يكن في ابان تلك الحوادث الدامية سامع او راحم .

١ ـ أباحت السلطة لجنودها القتل والنهب فكانوا اذا تخيل لهم احد في نافذة بيته او في الطريق اردوه قتيلا ذكرا كان او أنثى وكم من شيوخ واطفال ونساء قتلوا بلا ذنب ولا جريمة .

٢ ـ توالى القاء القبض على الناس من أي طبقة كانوا فكل من يجدونه خارجا من بيته يسوقونه الى السجن ويوسعونه ضربا ويشغلونه بالاشغال الشاقة . فلما رأى السكان ذلك اخذوا يفرون لا خوفا على انفسهم من السجن بل من المعاملة القاسية التي كان يعامل بها المعتقلون ـ تلك المعاملة التي قلما شهد مثلها التاريخ .

٣ ـ واذا دخلوا منزلا للتفتيش عن رجل او للتنقيب عن اوراق نهبوا ما وجدوه من متاع ودراهم والحقوا بنسائه كل انواع الاذى والامتهان حتى اصبحوا ويا للعار يسوقون السيدات المصونات بدلا من ازواجهن الفارين .
وكل ما ذكرناه يا حضرة المندوب السامي من تشويه وجه الفضيلة وتسويد صحائف التاريخ وعدم مراعاة القانون والنظام لا يساوي شيئا بجانب الاطفال الذين كاد ان يقضي عليهم رعبا وذعرا من القاء القنابل واطلاق المدافع التي كانت تصب نارها على البلدة من دون سابق انذار والتي كانت تنهال على السكان انهيالا مريعا لانهم لم يكملوا تسليم عدد البنادق التي فرضت عليهم في مدة ساعتين فقط فكم من منازل عامرة خربت ونفوس بريئة قتلت فمن المسؤول عن هذه الفظائع يا ترى الخ ...



هــذه هي وحشية فرنســا

فاجعـــة الشــام :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كـان في القلب اسلام وايمان

من يكيد لهذه الثورة ومن لا ينصف في التحدث عنها هو من يقول بأنهـا كانت نتـاج تعصب طائفـي او عقيب حادث ديني او مظهرا من مظاهر قيـام المسلمين على المسيحيين ان شيئا من ذلـك لم يكن والمنصف مـن مؤرخـي الغرب عن هذه الثورة المجيدة قد كفانا ان ندلي بالبرهان على حقيقة ما نقول لا سيما وان مراسل جريدة فرانكفـورت غازل قال يومئـذ مـا تعريبه : « ان الاحياء المسيحية التي تخلى الفرنسيون عن حمايتها في دمشق قـد سلمت من كل تعدي بفضل زعماء المسلمين وعلى فرنسا ان تسلم بأن سورية اليوم غير سورية بالامس وان الوطنية فيها قد حلت محل الطائفية وقامت تطالب بحقها المهضوم وان النزعات الدينية والمذهبية التي كانت مستولية عليها قـد بادت واصبحت خبرا بعد عين فلا حاجة بنا للتدليل بعد هذا على ان ثورتنا كانت كما تكون كل ثورة من ثورات العالم يسام بنوها سوء العذاب ويضطهـد رجالها واحرارها فينكل بهم تنكيلا ويقضى على الحريـة لديهم في جميع انواعها من فكرية واجتماعية وتحديث فاذا ما طبع الغير ثورات فرنسا والمانيا وايطاليا على مرهقيهم وظالميهم والمستعبدين بما طبعوا به ثورتنا يسوغ للمتخرصـين نعتوا تلك الثورات بنعوت تشابه تلك النعوت ان يفعلوا ما يشاؤوا وان يتقولوا ما يريدوا وان يرموننا بكل هجو من القول .

انا لا نود ان نأتي بالبراهين من غير نفس المسيحيين واعيانهم كالمرحوم غبطة بطريرك الروم الارثوذكسي غريغريوس والمحامين الاستاذين ناصيف ابي زيد ووديع ابي حديد الذي كان يومئذ مدير دائرة التنفيذ الاجنبية وغيرهم فهؤلاء الاكارم هم احياء يرزقون ما عدا غبطـة البطريرك ــ تغمده الله برحمته



الضابط الباسل السيد محمد فائز عيد السفرجلاني
من حماة الاخوة المسيحيين بدمشق

واسكنه فسيح جنانه ــ وها هي احيائهم لا تزال تشهد بما كان يقوم بــه الثائر نفســه من تأمين ابنــاء هذا الحي وتطمين النســاء والاطفال والشيوخ من حين الى حين وما طواف البطــل المرحــوم حسن باشــا الخراط هنالك بمجهول ولامنسي وما ذهاب الضابط الباسل محمد فائز السفرجلاني الذي كان موضع اعجاب الاخوة المسيحية وتقديرهم على راس وفد حي العمارة المؤلف من السادة الاكارم الامير جعفر الجزائري وعثمان حمزة وعبد النبي السيدة رقيــة وكــاتب الاسطر وغيرهم مرسل من قبــل الامير طاهر الجزائري لحمايــة الاخوة المسيحية في حي باب توما والقصاع ومقابلتهم غبطة البطريرك المرحــوم غريغريوس والاخوة التي المعنا الى ذكرهم فليس ذلك بالامر الذي مر عليــه زمن بعيد لا تتذكره القرون والاجيــال وكذلك الوفد الذي ألفه حــي الميدان الكريم من شباب بني المهاينــي وبني سكر والشهيــد عمر عمر باشا يطوف في الحي المسيحي بالميدان بمكتوم امره وكذلك وفد القيمرية وعلى راسه الصيدلي محمد سعيد المخيش الذي طاف الاحياء المسيحية لحمايتها واطمئنانها ليست كل هذه الوفود بمقصي خبرها فآل هذه الاحياء النبيلة لايزالون يذكرون حتى اليوم هذا الصنيع الجميل بالامتنان والشكران لقد اتسع نطاق الثــورة للاسباب التي سبق ان ألمعنا اليها في بداءة هذا الكتاب مما اقض مضاجـــع الفرنسيين واقلق بالهم ودعاهم لان ينقلوا القسم الكبير من قواتهم في حوران الى ضــواحي دمشق ونفس دمشق حتى يستطيعوا ان يكافحوا الثــورة والثوار اذا ما سولت لهم انفسهم ان يخترقوا البلد والعاصمة .

لقــد اقاموا حول دمشق ابراجا وحصونا تدرأ عنهم هجمات رجـــال العصابة وترد عنهم كيدهم فكان رجال السلطــة يرتكبون عن طريق جنودهم كل فظيعة من الفعــل وكبيرة من الاثم فما كانوا ليتورعون عن احراق القرى بما فيها كما فعلوا في جرمانا والمليحة وزيدين وداريا ودير مجدل وجسرين والبلاط حيث نفر شيوخها واطفالهــا فرارا من النــار يلتجئون الى دمشق



من ضحايا الاستعمار الفرنسي الغاشم
جثث الشيوخ والاطفال القرويين العرب العزل الذين فتك بهم الفرنسيون
انتقاما لهزائمهم المنكرة من الثوار العرب الابطال

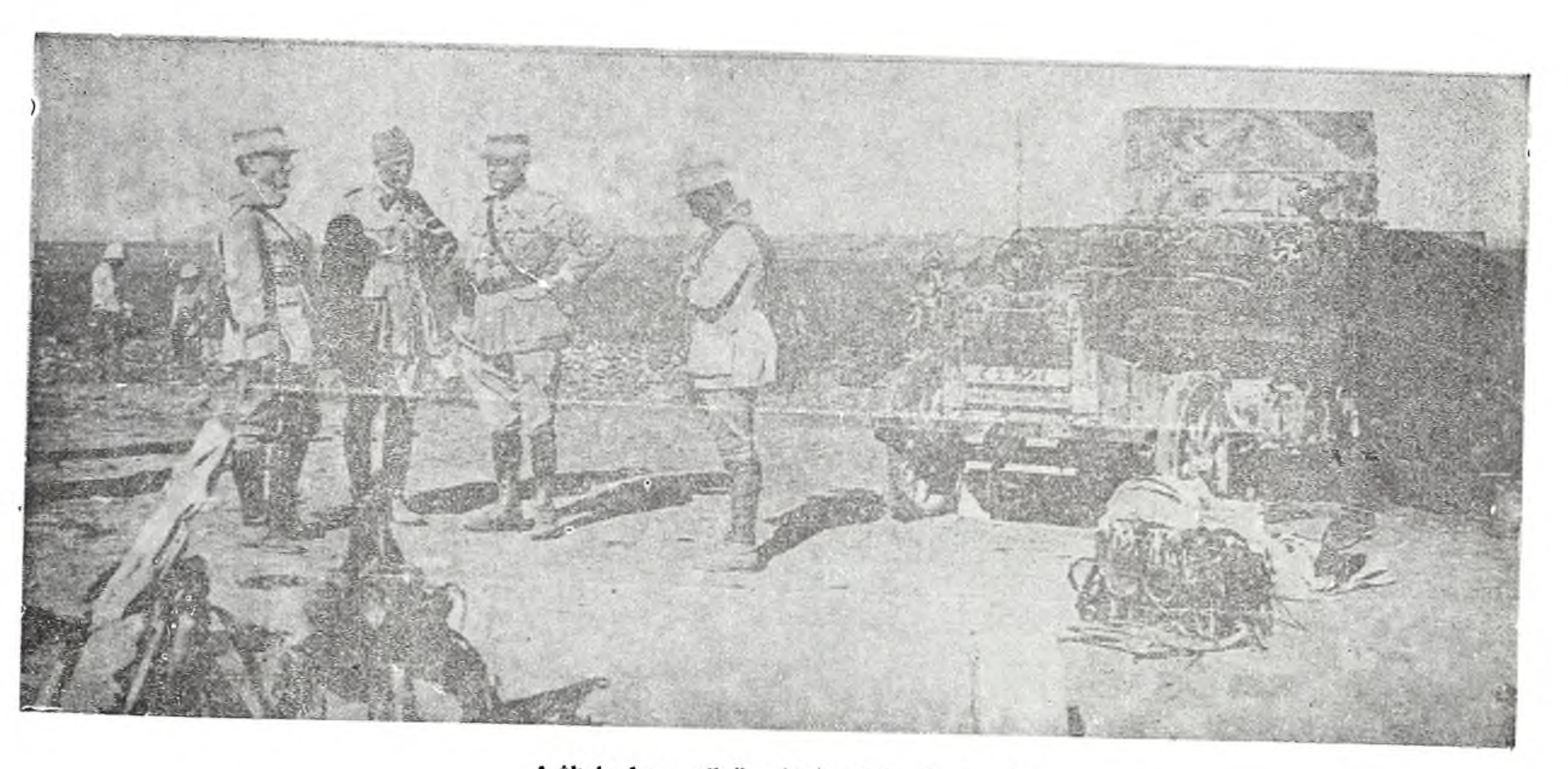
ليتفيئوا ظلالهـا ولذلك فقد اضطر الشباب من سكان هذه القرى لان يتبعوا الثـوار ويلتحقوا بالعصابات ثائرين لاعراضهم واموالهم وشيوخهم واطفالهم فازداد عدد افراد المجاهدين وغلى الفكر واضطرب البال وانتكأ الجرح على دمشق فما كان سيـل المهاجرين من القرى لينقطع اصلا عنها وتحرج الموقف تحرجا لم يسبق لـه في التاريخ من مثيـل .

ففي رابع عشر تشرين الاول شهدت دمشق منظرا يفتت القلوب ويحـز النفوس وتندك لـه الجبال وتسيخ به الارض ذلك ان عاد الفرنسيون الذيـن بارحوا عاصمة الامويين لمكافحة الثـورة ومعهم ستين او سبعين رجلا مـن الشيوخ القرويين مشدودي الاكتاف زمن خلفهم جمال عليها ما يقارب الاربعة والعشرين جثة من جثث القرويين الموثوقي الايدي القت القبض عليهم سترا لهزيمتها وكتما لانخزالها واضافة للعـار على العار أعدمتهم رميا بالرصاص وهم لو كانوا مطلقي الايدي ما كانت من يد تستطيع ان تصوب اليهم بندقية ما ولكن وجودهم عزلا من السلاح واخـذهم على حين غرة والكيد لهم بالحيـل والدسائس مكن الاعداء منهم ومن وراء ذا وذاك مركبـة نقل تقل عددا مـن جثث الابرياء مكدس بعضها فوق بعض وقد برزت بينها يد تدل على انهـا لطفل لا يتجاوز العاشرة من سنه .

عرض كل ذلك في ساحة الشهداء في دمشـق امام دار البلدية وسراي الحكومة مدة اربع او خمس ساعات امام اعين الرائين والمارين من الناس .

لقد كان لهذا المشهد الاليم تأثيره الكبير على نفوس الرائين وكان له مـن ناحية ثانيـة فعل عظيم في اثارة الحفائظ وشحذ العزائم واستنهاض الهمم ودعوة الناس للثـورة قصر انوفهم ورغما عنهم .

قامت بذلك من قتل رجال مارة وفلاحين نشيطين القوا بالسيف جانبا ليهملوا بالمحراث حتى لا يقال عنهم ثائرون فلم تجدهم الارض التي بها فلحوا



احدى السيارات الفرنسية التي حطمها الثوار

ولا الهدوء الذي اليه جنحوا ولم يخلصهم من غدر الغادرين شيئا اصلا فمن بعد ان عيث السلطة عن نيل واحد من الثائرين اتت بهؤلاء المساكين الذين لم يشهروا سيفا بوجهها ولم يهزوا اسلا عليها لم يقتصر الامر بالسلطة عند هذا الحد بل رافقه كثير من اسر وسجن وتعذيب وتقتيل فكان الى واحد من الفرنسيين ابان مرور هذا المنظر فالتفت هذا الفرنسي عندما رأى القتلى يقول الى رفيق له آه Ahça c,est Joli a voir وتعريبه « آه ما أجمل هذا المشهد » فلم ينبث سامعه ببنت شفة ولعله لم يجد احسن من السكوت له جوابا اذ ان القلب مهما قسى والنفس مهما غلظت والشعور مهما اعتراه الصم لا بد وان يظل فيه بقية من حس يحس به فيعلم ان مثل هذا المشهد غير مستحسن اما من طبع الله بطابع العمى على بصره والضلالة على بصيرته والموت على شعوره فهو كالانعام بل اضل سبيلا وقديما قيل : « جناية العجمي جبار » .

من أعالي دمشق كان الرائي نحو الشرق يبصر النيران والدخان يتصاعد فيعلم انها القرى التي ألمعنا اليها تلتهب وتنهب ما فيها من مواشي وانعام وفرش واثاث ولباس وامتاع ولقد كان مصداق ذلك ما شوهد معروضا للبيع في اسواق المدينة من امتعة واشياء لبني القرى وذويها .

كان صنائع الفرنسيين من بعض ارمن وشركس يعملون هذه الافاعيل التي تمجها النفوس وتبذؤها العيون وتنفر منها الافئدة والكبود .

لقد اتخذت منهم الاضاحي تتقدم بها الى ميادين القتال حتى يعمل فيها الصمصام فتكون عن الفرنسيين فداء ولذا كانت تكافئهم باطلاق ايديهم بهؤلاء المساكين والآمنين الهادئين في القرى سلبا ونهبا وقتلا وتفظيعا .

ظن هؤلاء البله المشدوهين ارباب القرى ان الفرنسيين ارهف حسا وانبل شعورا فلجئوا اليهم بالشكوى من صنائعهم وعمالهم شركسا كانوا او ارمنا



الانساني الفذ الصيدلي محمد سعيد المخيش
من حماة الاحياء المسيحية بدمشق

وراحوا الى مندوب المفوض الســامي المسيو اوبــوار وغيره من الفرنسيــين يرفعون عقيرتهم بالشكوى من ظالميهم فما كان منه الا ان اجابهم بنصيحة قيمة ودرس بالغ عليكم بشراء منهوباتكم من الجند بالمزاد العلني وبالفعل فقــد كان القسم منهم يعمل بهذه الوصية وينفذها فامتلأت على الاثر اسواق دمشــق وشوارعها بالمواشي والابقار والطنافس والمفروشات وقد ابدت دمشق مــن الشهامة ما يكتب لها على جبين الدهر بمداد من نور في هذا الشأن فهي لــم تقبل على شراء شيء مما كان يعرض فيها اصلا مما حدا بالناهبين السالبين النهب والسلب وكان مهمة الافرنسيين حرق القرى بما فيها من بيوت بالنفط والكبريت فكان الشيوخ والنساء والعجز هائمين على وجوههم يشكــون الى التوحش فعل التمدين ويدعون على الحضارة راضين بالهمجية ويتوسلون الى الله ان يظلوا على حالهم من بؤس وشقاء في عقر دورهم على ان يبعث اليهــم بأقوام من جملة اساليب مدنيتهم بعــد السلب الحرق وبعد القتل الاجــلاء والابعــاد .

لا يظنن ظان ان ليس في تلك القرى التي حرقت دورا جميلة البناء كثيرة الزخرف رفيعة العماد فهنالك البيوت العديــدة التي بها من الحدائق الغناء والمقاصير والافياء والاحواض وفيها نوافير الماء ما لاعد له ولا وصف ناهيــك عما هنالك من طنافس لا تقل عما يرى في اجمل المدن واحضر البلدان ومــن اسس ورياش تكدست في الدور بوضع واشكال قل ان يضارعها في المــدن من مثيــل . ان امثال هذه القرى ليست ملجأ الفلاحين الفقراء بل ان ثمة من اعيان دمشق ووجهائهــا من ترك المدينة انتجاعا للراحة والهدوء عن الضوضاء العدد الوفير . لهذا كانت نكبة القرى نازلة من النوازل التي ضعضعت جناح العاصمــة الامويــة .

وفي خامس عشر تشرين الاول قصدت قوة من الجند قرية جرمانا التي تبعــد خمس كيلو مترات عن دمشق وعندما بلغوها اطلقوا ايديها بما فيهــا

من ملبوس ومفروش ومواشي وحلى يأخذون كل ذلك حتى اذا ما ايقنوا انها خلت من كل ما غلا ثمنــه وخف حمله اعملوا النــار فيها كما كانوا يعملونهــا بغيرهــا . وصادف ان نجا من الحريق بعض الدور في بعض القرى فعادت نسوة الى بيوتهن التي لم يصلها النــار كي تتفقد ما غفل عنه الناهبون الــى قسم من نسوة ذهبت ترى ما ترك الردم تحته من اشياء علها تأتي به فتستفيد منــه فصادف ان مر اذ ذاك الجند الذين ذكروا ان قسما من تلك القرية لــم يحرق دوره ذهبوا لاتمام ما عمدوا اليــه فالتقــوا بمن ذكــرنا من النسوة فسلبوا منهن ما كن يحملن من متــاع ورياش ولم يكتفوا بذلك بل تعــدوا على العفة والشرف فكانوا وحوشا مفترسة .

لم يطل صبر المتشردين من القرى على هذه الحال بل تجمعوا واستقتلوا وانعكفوا على الجند يصدمونه صدمــة الجبار مما ألجــأه الى الفرار والعودة الى دمشق .

وعلى اثر ذلك فقد ارسلت الحكومة قوة كبرى لقمعهم فالتحم الفريقان ودامت معركــة من قبيل الظهــر حتى المساء رجعــت تلك القــوة مقهــورة مخذولة تتلمس ابواب دمشق وقــد قرب ازيز الرصاص حتى اصبح بــين احياء المدينــة فاستولى الرعب على النفوس واخــذ كــل يتوقــع الواقعــة وترقب سوء المصير .

وفي خلال ذلــك كانت تلتهم ثورة حماه الاخضر واليابس كما اسلفنا .
سرت في عاصمة بني اميــة اشاعــة ضرب السلطة الفرنسية الجهــة الجنوبية من البلد كالميــدان والشاغور بحجة لجوء رجال العصابة الى هذين الحيين . فتولى الذعر على اهاليه واخذوا ينتقلون بالنساء والاطفال والحوائج منه لغيره من الاحياء . وما ان رأت الحكومة ذلك حتى اذاعت بيانا رسميــا انكرت فيه ما اشيع في البلد ونفت ما قيــل وهددت كــل من ينتقل بشيء

من متاعــه بالسجن والجزاء النقدي . وعززت ذلك بارســـال قوة من الشرطة الى الحيين المذكورين ترجع اليه النساء والرجال والاطفال قسرا .

على انــه في السابع عشر من تشرين الاول عادت شائعــة ضرب الحيين من قبــل السلطة الفرنسية للظهور حديثا رغم اعلان التكذيب من قبل وايــد هذه الشائعـــة ان اربعــا من الطــائرات تلقت امرا بضرب حي الميــدان بأول فرصة . لا سيما وحوادث ضرب حماه قد انتقلت الى دمشق بسرعة البرق فقصد بعض الناس رئيس الحكومة يحملونه على التثبت من الامر لدى المراجع المتصلة بالجنرال ويطلبون اليه ان يتوسط بحفظ المدينة والحيين من الضرب اذ ان العاصمة هادئة لا ثائر فيهــا وانــه اذا كــان للسلطة مــا يقال بشـــأن العصابات عليهــا ان تستهدف مطاردتهم خارج المدينة بدلا من تدمير بيوت الآمنين الهادئين الساكنين .

رئيس الاتحاد السوري ابن بركــات :

ضاق النــاس بالحال التي مرت بهم ذرعا فلم يعلموا ما يفعلوا ولم يدروا ما يصنعون وباتوا حيارى من يراجعون والى من يشتكون . لهــذا قلنــا بأن قسما منهم لاذ برئيس الحكومة الذي كان يومئذ صبحي بركات . والحقيقــة التي كم كررنا اننــا نبتغيها في كل ما نكتب تدفعنا ان نصرح ان ذلك الرجــل كان في ذلك الحين ساعد الفرنسيين الايمن يبطشون به من شاء الانتقام منه وكان في جملة صنائع الفرنسيين ولا نغالي ان قلنــا في مقدمتهم . غير انــه على كل ما كان يتصف به من مثل هذه المزايا لا ننكر عليه الرجل ولا نبخســه انــه كان يود لو يكون المرجع في كــل شيء وان لا يتصل الناس بســواه من رجال الحكومة او السلطة . هــذه مزيــة الاعتماد على النفس من المزايا التي نقرهــا له ونثبتهــا . لذلك عندما قوبل بطلب التوسط لدى السلطة بالكف

عن ضرب دمشق او بالاحرى ضرب الحيين اللذين المعنا اليهما قبلا كان على سرور واغتباط . وكان يعتقد بأن المفوض السامي لا يمنعه مطلبا ولا يخالفه في امر ولا يمانعه في رأي . وهو على هذه العلل مشهور بالصدق والجراة اذ كان كثيرا ما صرح بكل شجاعته ان رجال حزب الشعب الذين اقصوا عن البلاد ومن جملتهم الزعيم الشهبندر من جملة ضحاياه وانه هو الذي تقدم بمشروع الابعاد فوافقت السلطة ويعني بها المفوض السامي على ذلك .

شرح له الذين قابلوه سوء المصير ووخامة العاقبة ان ظل الجنرال على رايه من حيث ضرب الحيين وفصلوا ذلك بقولهم ان كل من تهدم داره يبعث بالحريم والنساء الى المدينة ويتدارك له سلاحا ما ويلتحق بالثورة فلا يكون من جراء التخريب والتهديم الا ازكاء نار الثورة . فوعدهم رئيس الحكومة خيرا وعاهدهم بأن سيفرغ الجهد في اقناع الجنرال بالعدول عما صمم عليه وقرر .

على ان الحقيقة لم تكن كما قال بها رئيس الحكومة بل انه كان لا يزال يرى وجوب الضرب لسبب ظل مكتوما والذي يتبادر الى الذهن انه كان قد حنق على الاهلين لانهم لم يأتوا لمراجعته في بادىء الامر ولم يتخذوا منه المرجع الحقيقي للشكوى .

كان في جملة من قابل الرئيس واحدا افضى اليه رئيس الحكومة بأن كثيرا من موظفي الفرنسيين ملكيين وعسكريين يناصبون المفوض العداء ولذلك كثيرا ما بذلوا كل ما لديهم من جهود مع المراجع الفرنسية في باريز لسحب المفوض السامي لاسباب ناشبة بينهم وبينه على اساس الحزبية او المذهبية او الشخصية غير ان مساعيهم قد باءت بالفشل والخذلان وعندها اخذوا يزينون له ضرب الحيين حتى اذا ما فعل فانهم يبلغون مناهم عن هذه الطريقة طالما اخفقوا في نيله عن غيرها وبفعله الذي يشجعونه عليه يلقون على عاتقه المسؤولية الكبرى فيكونوا بلغوا ما يشتهون من اخذه تحت

المحاكمة والاستجواب بجرم عام .

افضى رئيس الحكومة الى هذا الرجل بهذا الامر الغامض فضعق السامع من هول ما سمع والتبس عليه الامر لا يدري ما يقول ولا ما يفعل وبات ينظر الى الوضع الذي وقف على حقيقته من فم رئيس الحكومة بعين قلقة وبال مضطرب وخاطر مشوش وقد ساوره من الالم ما لايمكن لاحد ان يحده بحد او ينعته بوصف اذ بات مستقبل البلاد وحاضرها بين يدي مفوض طائش ورئيس حكومة ارعن والناس بين الاول والثاني طعمة الاكل ومضغة العاتي فلا بارق امل يعلقون عليه الرجاء ولا ضوء حياة يتشبثون بأهدابه كي تعود المياه الى مجاريها .

لقد تلمست هذه الامة النكبى كل سبيل كي تحيا الحياة الحقة وتمسكت بكل حيلة تحتال بها على امم الغرب كي تعيش واياهم في سماء كله رخاء وعلى ارض ليس فيها من عناء فما كانت لتبلغ المنى ولا كانت لتهدي الى اقناع الظالم سبيلا . رفعت عقيرتها بالشكوى كثيرا واحتجت على طرق العنف غزيرا وطيرت البرقيات واحدة تلو اخرى فما كان ليعود عليها كل ما صنعته من فائدة وجدوى .

كان الناس يخشون الفاجعة الكبرى قبل نزولها ويتوقعون الشر قبل حدوثه ويخافون ان تنزل الكارثة ببلادهم والنازلة بأرضهم فلا يستطيعون لها دفعا ولا يتمكنون لها منعا على ان الرجال الذين قابلوا رئيس الحكومة يومئذ قد اتفقوا على تأليف وفد فخم يتوسط لدى الجنرال باسماعه صوت الامة ونقله امانيها اليه وان يكون ذلك يوم الاثنين المصادف ١٩ تشرين الاول فأخذ الناس بتأليف هذا الوفد وتنظيم لائحة المطاليب التي يريدون عرضها على المفوض السامي اخذوا بذلك ينتظرون اليوم الموعود حتى ينقذوا الوطن مما كانوا يخافون عليه .

تدمير عاصمة بني أمية :

اشرقت شمس الاحد ثامن عشر تشرين الاول ١٩٢٥ وقد علا دارتها فترة واستولى على صقيل وجهها اغبرار يكتنفه اكفهرار واصفرار وكأنها منذ طلعتها كانت تنذر روابي قاسيون وبطاح الشام ومآذن دمشق وربوتها بشر مستطير وكأن كل هذه البوادر التي تجلى فيها قرص الشمس من صباح ذلك اليوم المشؤوم كانت نذير سوء واعلان دمار او كأنه كان الى البوم الناعق الذي يبشر سكان المأوى بالخراب الآتي .

في هذا اليوم الذي انتقلت ساعة النحس اليه كان من الهمجية والبربرية والوحشية ما لم يحدث بمثله تاريخ ولم يذكر عنه قصص ولم يأت على روايته حديث . ما زمن هولاكو وتيمور لانك او نيرون بأشد وطئة واعظم فظاعة واكبر نكالا من يوم الاحد ثامن عشر تشرين الاول .

فلنسق اليك ايها المطالع الكريم حادث ذلك اليوم الرهيب يوم الفزع الاكبر يوم لم ينفع مال ولا بنون ويوم كان لكل امرء في دمشق شأن يغنيه لقد توالى نكوص قوى الحكومة في يومي السبت وصباح الاحد الى المدينة مقهورين مذعورين بصورة متوالية وانقضى نهار السبت بتمامه ورجال الثورة الوطنيون يهزمون رجال السلطة في كل معركة وفي كل واقعة واخذوا يتربصون صباح الاحد خروج قوى الحكومة خارج المدينة حتى يناهضونها هناك ويناوئونها ويعلمونها درسا جديدا علاوة على ما كانوا يلقنونها اياه من دروس عدة في فنون القتال ودروس الطعان ومنازلة الاعداء فلم تجرأ على ما يظهر على مبارحة دمشق للقاء الشجعان .

وما ان كانت الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم حتى تراءى الناس

في هرج ومرج وفي اضطراب وتشويش وساعة اخذ فيها كل امرء لا يعي ما يفعل ولا يعلم ماذا يصنع وكانت الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن وقع المصيبة كان شديدا .

اخذ الناس يتراكضون والذعر ملء قلوبهم والخوف يفعم افئدتهم وكل يلتجيء الى حماه ومأواه من غير ان يجرأ احد ان يسأل الآخر لماذا يفر ويأوي الى داره وما كان يسمع من حين الى حين الا ازيز الرصاص بصورة متوالية وقد اعقب ذلك الازيز قعقعة المدافع وتلا كلاهما افرنقاع القنابل وانفجارها فكان يسمع لصوتها الاجش من وقعها على بعض البيوت والاحياء ما يهيب بالمرء رعبا وفزعا وخوفا .

ثم توالى بعد ذلك طلق قنابل المدافع من قلعة المزة هدفها البيوت الآمنة دون سبق انذار او اشعار وحتى دون ان يكون لدى الرجال الاوروبيين وسفراء الدول ورعايا الاجانب علم بما سيجري ويكون .

لو كنا في عصر للقوانين لها قيمة او للانظمة لها وزنا او للاقوياء لهم عهد وذمام لقلنا ان ذلك كان خلافا لكل ما ذكر ولكن والاسف يحز النفس ويفري القلب نجهر بالصوت عاليا ان لا عهد لقوي ولا ذمام لغير الضعيف .

اما سبب ذلك الذعر والضرب فهو ان الثائرين الابرار عندما تمادى امامهم انهزام الحكومة ولجوئها الى المدينة جدوا في اثر تلك القوى مطاردين اياها حتى دخلت دمشق وتغلغلت قوى الحكومة في الشوارع وفي الازقة وبين البيوت يولون وجههم شطر حصن يأويهم ومعقل يقيهم وقلعة تذود عنهم سيوف الفرسان المغاوير حتى خافت السلطة من ذلك وحسبت له حسابا كبيرا والمجاهدون الاحرار لا ينفكون عن موالاة طرد رجال السلطة الفرنسية وملاحقتهم حتى القلاع ومن يفهم ان موالاة اطلاق الحكومة الفرنسية القنابل انما كان بسبب دخول المجاهدين عاصمة الامويين نهارا وكان عدد من غزا

دمشق من المجاهدين الابرار مئتي من المرج ومئة من الغوطة ومئة من دروز الجبـل وعلى رأسهم المجاهد البطل نسيب البكري وقد انضم اليهم عـــدد غير قليـل من ابطال احياء العمارة والشاغور وباب الســلام وضواحي دمشق تحت امرة كل من الصناديد الاشاوس حسن باشا الخراط ومحمود ســلام وابي عبده ديب الشيخ وحسن المقبعـة ومحمد الشوفاني وحسن النابلسي وعبد الغني الجلاد وحسن الزيبـق وابو عمر خيتي وسعيد الزعيم المجاهد الكريم الذي استشهد غب دخوله دمشق مع الفتى الباسل نصوح ابي الشامات من كان يناضل نضال الشجعان المستميتين حتى لقي ربه يسجل بدمه علـى صفحات التاريخ اسطورة البطولة والمجد والفخار .

ظل المجاهدون في البلد اياما متوالية وظل طيلة تلك المدة اطلاق القنابل والرصاص متواليا بصورة مزعجة مؤلمـة لا يستطيع تحملها بشر ولا تصورها انسان ولا وصفها بنان .

ظفر المجاهدون فاستسلم اليهم عـدد وفير من درك وشرطـة يتقدمون بأسلحتهم اليهم واصبحت اكثر احياء الشام تحت رحمة المجاهدين المؤمنين برسالة الوطنية الخالصة وامتهم فكانوا خير مايوثق به ويعتمد عليـه مـن مكرمة وشهامة وحفظ نظام وسيادة سلام وامان امـا من كان مبعثرا فـي دمشق من موظفين افرنسيين ونسائهم وولدهم فقد هرعوا الى قلعة دمشـق لاجئين يحتمون بصياصيها وابراجها وكواتها علهم ان يجدوا منقذا من سواعد الابطال ورصاص المجاهدين .

وقد بلغ اسماع المجاهد الجريء حسن المقبعة ان المفوض السامي قـدم الى دمشق ليزور قصر بني العظم في البزورية فشاء ان يقوم بما لم يقم بـه غيره وان يخطف هذا المفوض من شارع هو في عداد اعظم شوارع دمشـق فدخل المدينة ومعه رجاله الاشداء من جهة الشاغور وواصـل السير واياهم حتى بلغ القصر الذي كان المفوض حينئـذ فيه غير أن البطل الحسن ورجاله



المجاهد الكريم ابو عمر خيتي

الإخبار ما كادوا يصلون القصر حتى كان المفوض فر منه على جناح السرعة ولم يبق هنالك الا بعض الجنود الفرنسيين اذ اخذوا باطلاق النار على المجاهدين الذين شقوا لهم في طريق النصر سبيلا فسيحا على اثر معركة كانت مجزرة للبشرية وكانت مما تشيب لها نواصي الولدان رهبة وذعرا وقد اشتعلت النيران بنهاية هذه الواقعة في هذا القصر من غير ان يدرك رجال السلطة ما للآثار فيه من قيمة وثمن على عكس ما كان عليه المجاهدون الاحرار من محافظة على الآثار وتجنب أذاها عندما كان الجنود المحصورون يطلقون النار على كل من شبه لهم بانسان ومما لا نستطيع اغفال ذكره من رجال الوطنية الصادقة وعمله المبرور البطل المغوار حسن المقبعة اذ كان في الطليعة وكان يصول على الاعداء ويجول وقد اعمل فيهم فتكا ذريعا وتقتيلا مريعا وقد علا ذكره في الخافقين على مر السنين فهو قد قام بأعظم فرض اقدس من الجهاد والبسالة مما لا يمكن لمؤرخ وصفه مهما أعطي من قوة البيان وطلاقة العنان البنان . ظل هذا الرئبال يزمجر وفي كل زمجرة نفس تخر امامه وجثة تتحدر على اقدامه صرعى تغسلها الدماء حتى بلغ ما تمناه من نيل الموت في سبيل الشرف والمجد فخر هو الآخر وعلى صفحة وجهه نور يتلألأ فيضيء منه المكان نور الشهادة ومصباح الرحمة وقنديل الجنة والحياة .

كنا لا نود ان نقول ان ذعر رجال السلطة وجبنها تجاه شجاعة الوطنيين وبسالتهم قد اهابت بقوى الحكومة لدخول القلاع والتحصن فيها شأن المنهزمين المكسورين المقهورين ولكن قبعهم فيها عدم اصلاء الثوار النار خارج دمشق من ناحية وارضاء الضمير والتارخ من ناحية ثانية حدا بنا ان نسجل على رجال السلطة الفرنسية هذا الخذلان المريع . وليس ادل على هذا الذعر الشديد والخوف الاكيد من الاسلاك الشائكة التي نصبت في اعظم شوارع دمشق وساحاتها العامة ونصب الدبابات والمصفحات في كل مكان في قلب عاصمة الامويين كجادة السنجقدار والدرويشية وساحة الشهداء وسواها

من الساحات العامة في المدينة مما اقلق الاهلين الآمنين واودع ارواعهم شديد الخوف طالما رأوا ان رجال السلطة الفرنسية بقواتهم الجهنمية يخشون نفرا ليس لهم من القوى الا السواعد المفتولة والمهندات اليمانية والصدور المفعمة بالايمان والوطنية . ايقن الناس حينئذ ان القوى المعنوية التي تخفق في نفس ثائر لحق ومجاهد لعقيدة ومناضل عن يقين اقوى بكثير من الحديد والفولاذ والنار .

كانت هذه الاسلاك والمصفحات والدبابات تحافظ على دور الحكومة وعلى القلاع وعلى كل مكان يأويه موظف وكان بالحقيقة ليس تحت قبضة الحكومة والسلطة الفرنسية من اماكن الا ساحة السنجقدار وساحة الشهداء والقلعة وسراي الحكومة وان كان فدائرة الشرطة ودائرة البلدية وقسم من الصالحية حتى دار المندوب المفوض السامي وما عدا ما ذكر فهو تحت حراسة الوطنيين المجاهدين الابرار وفي عهدة الثائرين الاحرار وفي ذمة وحمى هؤلاء الليوث المغاوير .

من قائل ان الحكومة قد جنحت الى ترك اقسام المدينة تحت رحمة الثوار خوفا وذعرا وعجزا عن تأمين الامن وتوزيع السلام وتوطيد الهدوء والطمأنينة ومن قائل انها كانت تبتغي من وراء ذلك ان تترك الدار تنعي من بناها وان لا تهتم في قوم تعبت في مراسه وعيت عن مكافحة سلاسه .

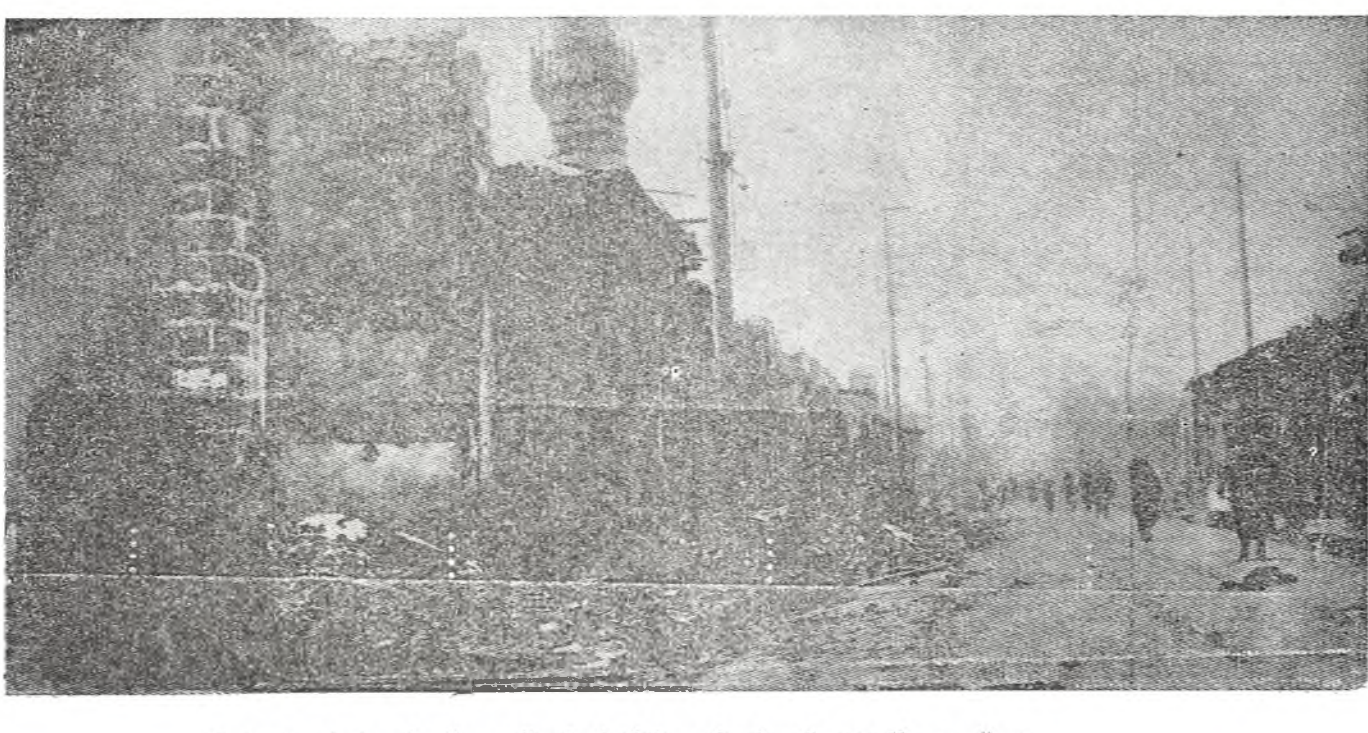
على ان القول الارجح والراي الاصوب والحقيقة التي ذكرها اكثر المؤرخين هي انها رمت من جراء صنيعها هذا الى امر سياسي بعيد ذلك هو ان تستطيع توطيد نفوذها على دعائم متينة وعلى اسس ثابتة وعلى ادلة وبراهين قاطعة. رمت من ذلك الى معركة تقع بين الاهلين وفتنة تحدث بين الاسلام والمسيحيين وحادثة بليغة كالتي دعيت بحرب الستين فتأخذ من كل هذه حجج دامغة على ان هذه الامة التي تناضل وتقاتل زاعمة انها تقوم وراء حق ووراء حرية ولاجل سيادة قومية انما شرذمة من قطاع طريق ولفيف من لصوص وسفكة دماء وعدد من اناس يبتغون الفتنة باسم المصلحة العامة

وباسم الوطنية والفضيلة والشرف . ظنوا ان الثائرين ممن تمثل في خاطرهم وقام في خيالهم ومر بذاكرتهم من هؤلاء الناس وما علموا ان الامن الذي ساد ربوع دمشق واحياءها التي نفضت السلطة يدها منها كان على غاية من الوطادة وعلى اتم ما يكون من السيادة وعلى اروع ما يمكن ان يكونه امن في اعظم عالم متمدن لم يقع في الاحياء التي تركت الحكومة والسلطة امر المحافظة على ذويها اي حادث من الحوادث ولا اية واقعة من الوقائع خلال وجود ذلك الحي تحت سلطة الوطنيين الثوار ..

كانت السلطة تود ان تظهر للعالم الاوروبي ان لاحياة للمسيحيين في سورية ما لم تكن ثمة دولة اجنبية تحميهم من اعتداء المسلمين ليقيم البرهان على وجوب وجودها بين ظهراني هذه البلاد وربوعها على ان الحقيقة ابت الا ان تظهر ناصعة البياض والا ان تلقم من يجرأ على اخفائها حجرا والا ان ترد اسهم الكائد لها الى صدره .

فالبرقيات العامة ذكرت في ذلك اليوم ما معنى تعريبه : « الشائع ان الثوار لم يقوموا بالحقيقة بما يؤخذون عليه بل على العكس فان حسن الخراط زار احياء المسيحيين وهدأ روعهم بقوله انكم أخواننا » وتقرير القناصل المشترك الذي قدمه ونظمه معتمدوا الدول في دمشق قد ايد ذلك واستهجن ضرب الفرنسيين البلد من غير سابق انذار كما انه استنكر على السلطة وضع احياء المسيحيين تحت رحمة الثائرين .

اما ما كان من السلطة واطلاقها القنابل والنار على احياء دمشق فقد استمر ذلك منها من منتصف يوم الاحد ثامن عشر تشرين اول حتى مساء الثلاثاء عشرين منه ولم يعلم بالدقة والضبط عن عدد الذين قضوا تحت الانقاض اما خسائر المدينة المادية فتقدر بثلاثة ملايين جنيه . وكان عدد القتلى من المجاهدين قليلا اما سيارات الفرنسيين فقد كانت مشحونة بجثث الجنود تأتي المستشفى كثيرا جدا .



حريق حي الميدان اكبر احياء دمشق كان الحي يقع في طرف المدينة ويعد معقلا للثوار السوريين الذين كانوا ينبثون منه الى قلب المدينة ويواجهون السلطات الفرنسية مما أدى الى تخريب جزء كبير منه ...

حلقت في سماء دمشق صباح الاثنين بتاريخ ١٩ تشرين الاول طائرتان فرنسيتان اخذتا باطلاق النار من رشاشاتهما على الدور والمآوي الآهلة بالسكان الآمنين كما تتابع قذف قنابل المدافع من قلعة المزة بعيارات كل قنبلة ١٥ كما كان شأن مدافع قلعة دمشق التي ما كانت تقل عن تلك اطلاقا لقنابلها التي كانت من عيار ٧/٥ والكل يستهدف احياء دمشق وبيوتها من غير تقدير لما ينجم عن ذلك الاطلاق من الاضرار في النفوس والارواح والاموال منقولة وغير منقولة ومن غير ان يقدر مطلقوها مبلغ ما تحدثه من الاضرار في الآثار الفنية التاريخية . وما كان المطل على دمشق ودورها يرى الا اسقفا تركع وتسجد وجدران تخر فتنحدر هاوية على ما تحتها من نساء واطفال وكثيرا ما كان يهرع اصحاب كثير من البيوت الى اقبية وسراديب تقيهم قذف القنابل وتنجيهم اطلاق الرصاص والنار فكانوا يطلون من نوافذ تلك الاقباء على منازلهم الآخذة بالتدمير والحرق والخراب .

لم يقف بالسلطة عند هذا الحد من الفواجع بل اخذت تطلق ظهر ذلك اليوم من افواه المدافع قنابل النفط اللاهبة هدفها دور السكان من غير الثائرين فما ان تمس القنبلة ما تصادفه حتى تشتعل وتصبح من لمسه شعلة واحدة ولهيبا متحدا كالجحيم . دام هذا القذف بهذا الشكل يومان التهمت النار فيهما اكثر من الف قصر من افخم قصور المدينة وابلغ آثارها النفيسة واغلى دورها بناء واثاثا فما كانت تصل قيمة الوسط من هذه الدور عن الالفي جنيه .



دخول الثوار الابطال الى دمشق

ذعر المفوض وفراره :

ادركت السلطة الخطأ الفادح الذي قامت به وشعرت بحراجة الموقف وقالت بامكان تغلب الثائرين على قواها فخشيت عاقبة الامر ونتيجة الحادث ولجأ المفوض .... السامي الى سيارته فامتطاها في الساعة العاشرة من صباح الاثنين وسار تحف به سيارات عديدة للمحافظة عليه يقصد بيروت تاركا دمشق التي اشعل فيها النار وفر . وقد اوجس رئيس الحكومة خيفة على نفسه فأزمع على اللحاق بمولاه ولكن عندما صارحه بذلك ابـاه عليه ومنعه منه وامره بالبقاء في دمشق فلم يستطع الا الاذعان والرضوخ فرجا المفوض ان يصحب معه عائلته التي كانت عبارة عن زوجه واخته فلبى رجاءه وكان عند ارادته وتودعا وقد بارح المفوض الشام في اتون ملتهب فارا من المعركة في ابان احتدامها وفي اوج لهيبها .

نسيب البكري وعصابات الغوطة والقلمون :

لم ينقطع ازيز الرصاص ولم تسكن قعقعة المدافع ولم تفتر انفجارات القنابل الا ان كان ثواني بين الواحدة والاخرى طوال يومي الاحد والاثنين ثامن عشر وتاسع عشر تشرين الاول . مما ضج له آل دمشق وقاطنوها على الاطلاق ومما جعلهم في حيص بيص فلا يودون ان يوعزوا الى الثائرين الذين حافظوا عليهم فصانوا اموالهم واعراضهم من ايدي السلب والنهب فيطلبون اليهم الانسحاب من بينهم والجلاء عن عاصمة ملكهم ولا هم يريدون ان تظل النار شابة والتدمير مجتاحا والناس فوضى يتطلبون الموت فلا يهتدون اليه .

وكانت السلطة تعلن من حين الى آخر انها لن تكف عما تفعل ما لم ينسحب من دخل المدينة من المجاهدين والثائرين . فبرهن هؤلاء القوم

على نبل ما تنطوي عليه صدورهم من اشرف الغايات نحو هذا الوطن بالفعل لا بالقول فألحوا على ساكني دمشق بأن يسمحوا لهم بأن يتركوا المدينة تكلأها عين الرحمة وترعاها يد الله من كل اذى وتحفظ البقية الباقية منها من ظلم الظالمين .

غادر المجاهدون الوطنيون عاصمة بني امية وتوجهوا للغوطة وكان فيها عصابات ثلاث قوية الاولى عصابة حسن الخراط وقد اقامت في المزور على ابواب دمشق والثانية عصابة جمعة سوسق وكانت تحل في جبال قلمون والثالثة عصابة رمضان شلاش من كانت ترابط في شمالي الغوطة اما المجاهد الكبير نسيب البكري فكانت مهمته الاشراف على هذه العصابات وادارة القيادة العليا في الغوطة والقلمون وقد قام هذا المجاهد العظيم بمهمته التي القيت على كاهله احسن قيام سطر له بالفخر والشكر والمجد .

ضحى وطنيو دمشق براحتهم وآثروا ان تنعم من غير ان يكونوا فيها طالما ان السلطة الفرنسية قالت بعدم الكف عن الضرب ما دام الثوار فيها . فشاؤوا ان يفوا هدوء المدينة بشقائهم وان تتذوق طعم القرارة والسكون من بعد ليل اليل ما شاموا خلاله وضح النهار من دخان القنابل المتكاثف والمنعقد في افق الشام .

على ان الفادي الكبير حسن الخراط لم يشأ ان يبارح دمشق من غير ان يعلم المفوض السامي بما جبل عليه الثائرون الابرار وفطروا من التضحية الحقيقية والمفاداة الصحيحة والوطنية الاكيدة لهذا بعث اليه بالكتاب التالي بعد ان نزح عن الشام :

من حسن الخراط الى المفوض السامي

« .... اما سياسيا فاني كللت شرف العرب بما هو اهله واستحسن فعلي العالم كله لحسن ادارة رجالي ومحافظتهم على اخواننا المسيحيين والاجانب خصوصا ، وعلى الضعفاء عموما . واما انت فقد نحرت شرف فرنسا وصوبت قنابلك الى قلبها ... انت ممثل فرنسا وانا حارس دمشق . اسرت جندك اسرا شريفا وانت ضربت النساء والاطفال والشيوخ ضربا دنيئا . حافظت على الآثار القديمة وانت هدمتها يا جنرال يا ممثل فرنسا !

كان بودك ان تجعلها دينية اسلاميـة وتفرق بيننا وبين اخواننا ولكن الله ابى . فضيعت رشدك وخربت الاحياء الاسلاميـة على رؤوس اهليها آملا ان اقابلك بالمثل ، وقد فاتك اننا عرب ونحافظ على الجار .

انت جنرال وقائد الفرق والجيوش ، وانا حارس بسيط ، جمعت عقلي وضيعت رشدك الخ .... »

قبيل ظهر الثلاثاء المصادف بتاريخ ٢٠ تشرين الاول سنة ٩٢٥ يمم قسم من الناس وجهتهم نحو الجنرال غاملان طالبين منه الايعاز الى من يلزم بوقف الضرب واسكان المدافع ابقاء على ما بقي من المدينـة قائما وتهدئة للناس والاطفال والشيوخ فأجابهم بتعذر ذلك حتى الظهر اذ ان الخطة التي اختطها لما تنتهي بعد ويتعذر ذلك ايضا ما لم يرضخ اهل دمشق لتلبية ما فرضته السلطة وادائها لها وذلك مئة الف ليرة ذهبية غرامـة حربيـة وما لم يتقدم بثلاثة آلاف بندقية مصحوبة كل منها بمئة طلق ناري مهددا بأنه اذا سمع عيار واحد من حي من احياء المدينة فانه يدمر الحي بأسره وهدد الوفد الذي قابله بأنه اذا لم يذعن سكان دمشق لما طلبته السلطة الفرنسية حتى الساعـة الخامسة من مساء ذلك اليوم فانه يأمر بهدم البقية الباقية من عاصمة بني اميـة .

هذا الذي لايمكن ان يكون وهذا المطلب الذي يستحيل ان يلبى وهذا التعجيز والاكراه وحمل الانسان فوق ما يطيق من اين تستطيع مدينة بأسرها ان تنفذ ما طلبته السلطة الفرنسية في هذه المدة الوجيزة والبرهة القليلة والزمن الذي لا يتسع لشيء لهذا كان من البداهة بمكان ان يأخذ رجال الوفد باقناع السلطة بتمديد الاجل حتى يستطيعوا ان يكونوا عندما طلبته منه . وبعد اخذ ورد ونقاش وجدال اقتنعت رجال السلطة بوجوب تمديد المدة حتى يوم السبت الذي يلي الثلاثاء المذكور .

بسطنا بين يدي القاريء الكريم ما كان في تلك الايام العصيبة التي مرت بالفيحاء الفناء ولم نشأ ان نعلق على ما كان في هذه المدينة التي هي اول مدينة أنشأت فوق البسيطة شيئا . فالمطالع الذي يتمثل وضع دمشق في ذلك اليوم يستطيع ان يقدر لاهاليها ما عانته وكابدته ورضخت له من امر لا يطاق .

تنفس الناس الصعداء بعد وقف الضرب واخذت السكينة والطمأنينة تؤوب بالتدريج الى الارواح والنفوس والقلوب وان كانت طمأنينة على دخل وسكينة موقوتة .

ساد سماء دمشق شيء من فترة كالتي تكون بين الصحو والموت والناس تفكر في انفاذ طلب السلطة حيارى لا تعي من اين تستطيع ان تكون عند تلبية الطلب والايام الثلاث التي ضربت مهلة للقيام بالمفروض مرت سراعا جدا لم يدر الناس بها كيف مرت واقبل اليوم الموعود ولم يكن قد قام من دمشق احد بما فرضته السلطة فهلعت قلوب الآمنين القاطنين رعبا وذعرت نفوس الساكنين وجلا من ان تعود السلطة سيرتها الاولى قبل يوم الثلاثاء . وقد زاد في رهبة الناس وجزعها ما اذاعه معتمد بريطانيا مساء الجمعة على رعاياه اذ قال : « نظرا لعدم تسلم السلاح ودفع المال الذي فرض ونظرا لان السلطة ستضرب دمشق بقنابلها مرة اخرى صباح غد فعلى الرعايا البريطانية

ان تؤم دار القنصلية صباح السبت مزودة بما يكفيها من قوت بضعة ايام مصحوبين بالاوراق المثبتة الرسمية » .

كان لهذا البيان الذي اصدرته معتمدية بريطانيا في دمشق اسوأ الوقع واعظم التأثير فأصبحت المدينة بحالة ذهول عميق تستسلم للموت وللقضاء والقدر .

بزغت شمس السبت وآن اوان الوعد ولم يعد في دمشق من حيلة تتذرع بها الى السلطة الفرنسية ان تكف عن الضرب ووقعت هذه المدينة الخالدة بين حيص وبيص الى ان فتقت الحيلة رأيا للسلطة الفرنسية العسكرية ذلك هو انها حملت الحكومة المحلية بالتعهد بدفع الغرامة من خزينتها ثم هي فيما بعد تفرضها على الناس وتجبيها كالاموال الاميرية مع ضريبة الاملاك هذا ما كان من امر المال واما البنادق فانها اخذت السلطة باسم البحث عنها تتحرى بيوت العاملين مطلقة يد المتحرين ان يفعلوا اثناء التنقيب والتفتيش ما يشتهون وعندما ايقنت السلطة بأن ليس ثمة من بنادق في البيوت اوعزت الى المتطوعة من الشركس والارمن ان تأخذ من القلعة بنادق تبيعها بأثمان باهظة حتى ان البندقية ساوت عشرة ليرات ذهبية . وهكذا اخذ الاهلون بابتياع البنادق بهذه الاثمان وتسليمها للجان التي خصصت للم السلاح ثم تبدل الامر فأصبحت اللجنة تقبل عن كل بندقية عشر ليرات ذهبية وبهذه العملية تم جمع السلاح المطلوب الذي فرض على المدينة .

نماذج مدنية قرن العشرين ! ...

١ — في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٥ بينا كان احد موظفي الاوقاف وهو من الاسر العريقة بالمجد والنبل السيد رضا القضماني قافلا

الى بيتـه مساء اذ امره سبعة من الجنود الافرنسية للوقوف في احـدى المنعطفات وقـد اطلقوا عليه النـار ارهابا يأمرونه بتسليم ما يحمل من نقود من قبل ان يخيم الظـلام بجنحيه على الشام . ومن غير ان يجديـه تكأكـأ النـاس والتفافهم حوله نفعا فلم تتركه رجال التمدين الا وقد افتدى نفسـه بما يحمل في جيبـه من ١٣ ليرة افرنسية وليرة عثمانية ذهبية .

كانت فصائل الجيش الفرنسي عندما انهزم قافلا للمدينة يصطحب معـه عددا من المزارعين والفلاحين فيزجهم في اعماق السجن والقضاء المحلي يجهل خبرهم ولا يعي عنهم شيئا . وما كـان هؤلاء المقادين للسجن ليعلـموا سبب زجهم فيـه فكثيرا ما كان سكان دمشق يرون سيارات مقفلة تذهب وتجيء بين القلعـة وظاهر المدينة مرتين او ثلاث من غير ان يعلموا ما فيها ومـا تقـل وتحمل .

٣ ـ اوعزت السلطة بالقبض على عدد من زعماء الشاغور للتحقيق معهم وقـد جيء بهم الى دائرة الشرطة وانتدب قاض من قبل المحكمة للاستجواب وفي اليوم الثاني المصادف الاسبوع الاخير من تشرين الاول سنة ٩٢٥ عندما طلب احضارهم اليـه اخبره احدهم بأن آمر السجن في القلعة اعدمهم جميعا من تلقاء نفسـه . واسماء هؤلاء النـاس التي ذهبت ضحية الغدر والانتقـام بلا جرم مدونة في سجل دائرة الشرطة وقد جرى فيها التحقيق ابتـدائي ولـم يتـم .

٤ ـ في هذه الايام المذكورة كان جنود المغاربة كلما شاء ان يتلهى بـذعر النـاس وخوفهم ويتسلى بامتـاع البصر برؤيتهم يتراكضون خوفا ووجـلا يأخذ بندقيته في اعظم شارع من شوارع الشام كسوق الحميدية فيطلـق في الفضاء العيارات النارية حتى يفتر ثغره البسام ضاحكا متقهقها من هلـع النـاس وتراكضهم اثر بعضهم بعضا وليس لاجل التسلي فحسب بل لاجـل السلب حتى ينتهز فرصة تلاشي الناس فينقض على الصيارف التي تكون في

السوق ويأخذ منها ما تصل اليه يده من جنيهات وهكذا يقفل راجعا فائزاً منتصرا مملئا جيوبه ذهبا .

٥ ـ كانت السلطة الفرنسية العادلة ! تعدم كثيرا من الناس بلا محاكمة ولا استجواب ولا تحقيق حتى ان من نجا من اطلاق القنابل اثناء ضرب المدينة لا ينجو من القاء القبض عليه بعد تلك الحادثة واخذه الى البستان المسمى « بالكركة » في اول الصالحية وهو الكائن وراء دار البعثة الفرنسية اذ كانت السلطة الكريمة تأمر كل من تأتي به اليه بأن يحفر بيده قبره ثم تواريه التراب بعد اطلاق الرصاص عليه فأعدمت بهذه الطريقة وعلى هذا الاسلوب في يوم ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ مايقارب الثلاثين شابا وكان من بين هؤلاء الشباب واحدا يسمى « علي الفتة » من حي السنانية اصيب هذا الشاب برصاص بعض الجنود فأغمي عليه لكثرة ما نزف من دمه فنقل مع الموتى من رفاقه الى دائرة الشرطة العامرة حيث كانت تنقل اليها عادة جثث من يعدم حتى يؤخذ منها كل مساء لحفر خارج المدينة فلما افاق الجريح من غشيته ورأى الجنود انه لا يزال بقيد الحياة هالهم هذا الامر وبثوا به الى دار البعثة الفرنسية حيث بحث عن حتفه بظلفه كما كان يفعل رفاقه واعدم كما مر .

٦ ـ عندما كانت مدافع الدولة المنتدبة تقوم بتمدين اهالي دمشق واحياءها بالقتل والتخريب وتدمر المنازل على رؤوس سكانها لجأ ما يقارب الخمسين شخصا الى منزل الوجيه عبد القادر العجلاني الكائنة بزقاق سيدي عامود ملتجئين اليه فرارا من الموت ولكن ما عتموا ان راوا النار تنهال على المنزل الذي التجأوا اليه فتدافعوا نحو الباب يبغون الخروج وكان المنزل يقابل احد اسوار القلعة الذي كان يتسوره كثير من الجند لرمي من يفزع للهرب من الناس . وما ان فتح الباب حتى اطلق الجند من سور القلعة رصاصه على من شاء الفرار فقتلوا العشرة منهم واخذوا بموالاة رمي النوافذ والابواب

بالرصاص تاركين من السور حتى اضطر الباقون الى نقب الجدران من خلف الدار والهرب تاركين جثث القتلى عند وصيد الباب .

٧ ــ كان احد الجند الفرنسي في ٢١ تشرين الاول في سوق الخضار خان الباشا بدمشق واذ بمرور احد كبراء الهند واعيانهم المدعو رحمة الله خان من مدينة كراتشي جاء دمشق ليذهب منها لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم في يثرب فمر بالسوق المذكور وكان مزدحما بالناس فمرت الجنود الفرنسية مخترقة ازدحام الناس واخذت تطلق الرصاص على من كان هناك من اناس فأصابته فضلا عن ثلاثة ممن كانوا هناك فشاء الهندي ان يعترض على هذا العمل فأرجأ ذلك للطريق الرسمي بمراجعة المعتمد البريطاني وقد فعل .

٨ ــ سمع عيار ناري صادر من حي سوقساروجة فأسرع رجال السلطة الى الحي المذكور ولما لم يعثروا على مطلقي النار طوقوا احد المنازل حيث لم يكن فيه الا امرأتان واطفال اربع فألصقوا التهمة بهؤلاء وامروهم بالخروج من الدار ثم طوقوها بالديناميت واشعلوا فيها النار فكانت انقاض البيت تتطاير في الفضاء غير ان الاليم في الموضوع ليس نسف الدار فحسب بل جهالة مصير العائلة برمتها بحيث لم يعد احد يعلم اين بقيت والى اين فرت وبات امرها مكتوما .

٩ ــ ابان ضرب المدينة بتاريخ ١٨ تشرين الاول خرج طبيب معروف في دمشق يبحث عن مأمن ينجيه وعائلته من القنابل التي تساقطت فأخذ طفله المدعو عدنان الذي لم يبلغ الخامسة ربيعا بيده ومر بشارع الدرويشية يلوح بمنديل ابيض اشارة السلام والاطمئنان ومنعا للجنود من اطلاق النار عليه وعلى طفله وعلى عائلته اذ ان دبابة كانت رابضة في الطريق فما كان من جنود الدبابة الا ان صوبوا قنابل الدبابة على ذلك الطبيب فأصابت شظايا القنبلة رجل الطفل المدلاة فبترتها وهكذا فر الطبيب وحينئذ تفرقت عائلته

شذر مذر اما جثث القتلى التي ظلت تحت الردم فلم يحصيها عد على وجه الضبط غير ان الرواة اجمعت على انه اخرج من حي الشاغور لوحده بيوم واحد ثلاثماية جثة من قتلى شيوخ ونساء واطفال .

١٠ ــ كل ما مر من الحوادث وان يكن على شيء من الفظاعة لا يستهان بها غير ان مفعوله لا يتجاوز نطاق الحادثة التي وقعت وجرت . اما مافعلته السلطة من تجنيد بعض مسيحي لبنان وسوقهم لمقاتلة الثوار في الاقليم السوري قصد اشعال الفتنة بين المسيحيين والمسلمين فهذا عمل لا يمكن تقدير عواقبه الوخيمة بوجه الدقة والضبط اذ انها بصنيعها هذا كانت ترمي الى ايقاظ الطائفية حتى تفتح المجال لشن الغارة بين طائفتين متآخيتين متحابتين ظلت تحت ارهاق العدى زمنا طويلا . وهذا بالحقيقة امر ينكر حتى من قبل نفس الفرنسيين المنصفين .

هذا ما استطعنا ان نصل اليه من الفظائع التي ارتكبت في الاقليم السوري من قبل رجال الحضارة والمدنية باسم التحضير والتمدين وحسبنا ان نوجز القول بأن الاقليم السوري وخاصة دمشق اصبحت بعد اسبوع من الفاجعة لا يمكن للمار اجتياز احيائها وشوارعها لما كان ينبعث فيها من روائح الجثث التي ظلت تحت الردم مدفونة .

على اننا نكتفي بما قاله الجنرال سرايل الى بعض اخوانه في عاصمة الفرنسيين باريز وهو : « ان مئة وخمسين قنبلة طاشت في دمشق » فمن هنا يدرك المطالع الكريم مبلغ رصانة القيادة العامة العمياء التي كانت تأمر باطلاق القنابل ودرجة اهتمامها بأرواح الناس . وكم كانت حريصة على النفوس والارواح .

ومن هنا يستطيع القاريء ان يقدر المدنية الاوروبية حق قدرها وان يأخذ الفكرة الصحيحة عن رجال الحضارة حتى يعلم ما ذا يجب على الضعيف نحو القوي .

قال الجنرال ساراي في تقرير له بعث به قبل براحه الاقليم السوري :
« ان تهديم دمشق كـان مناورة دلت على مهارة المدفعية الفرنسية » .

اما ما كان يجب ان يقال : « فهو ان تهديم دمشق كان صورة تجلت فيها روائع الحضارة الفرنسية في شكلها الطبيعي العاري عن كل طلاء » .

فهذه هي الادارة الحكيمة التي استطاعت الحكومة الفرنسية المنتدبة على الاقليم السوري ان تسوس بها سورية العربية وهذا هو فضل عصبة الامم على البلاد السورية اذ اوفدت اليها باسم تحضيرها من بقر بطون نسائها وقتل الامن من شيوخها وقضي على الاطفال الرضع في اسرتها وهذا هو السلم الذي نصبته الدولة المنتدبة لاهالي هذه البلاد كي يرتقوا درجاته حتى يصلوا الى الاستقلال الذي لا يبلغونه وفي يدهم درهم او في جوانحهم حس من وطنية . فلتعلم جامعة الامم بفدح المصاب الذي بعثت به الى هذه البلاد عن طريق الانتداب ولتعلم ان هذا السهم الذي رمت به الاقليم السوري اصاب عن يد الفرنسيين مقتلا لا قيام له من بعده ابدا .

دمشق تحت الادارة العرفيـــة :

ما ان كان مساء ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ سنة ١٩٢٥ حتى اذاعت السلطة بلاغا رسميا اعلنت بموجبه اخذ دمشق تحت الادارة العرفية وكذلك حوران بالنص التالي :

١ ـ تعلن الادارة العرفية في مدينة دمشق وسنجقي دمشق وحوران اعتبارا من ظهر يوم الاربعاء الواقع في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥

٢ ـ تخول السلطة العسكرية في المناطق التي اعلنت فيها الادارة العرفية حسب المادة الاولى من صلاحيات القضاء والضابطة التي تقوم بها السلطة الملكية وذلك في الجنايات والجنح التي تقترف ضد سلامة الدولة وسلامة

المنطقـة وجيوش الدولة المنتدبـة والنظام والامن العام وفقا لنصوص القرار رقم «٤ س» تاريخ ١٠ يناير سنة ١٩٢٥.

٣ ـ تقوم السلطة العسكرية بتطبيق الصلاحيات الملمع اليها بالاتفاق مـع حضرة المفوض السامي او مندوبـه .

٤ ـ الواجبات الناجمة عن احكام هذا القرار او احكام القرار رقم «٥ س» تتناول جميع الاشخاص الموجودين بأيـة صفة كانت في المناطق المعلنة فيهـا الادارة العرفيـة .

٥ ـ تثابر الادارة الملكيـة على القيـام بالصلاحيات التي لم تجرد عنـه بموجب هذا القرار .

٦ ـ امين السر العام والسلطات الملكية والعسكرية من فرنسية وسوريـة مكلفون كل فيما يخصه بتنفيذ احكام هذا القرار .

وقد نشر مع البلاغ الملمع اليـه اعلاه البيان التالي :

قامت عصابات في ضواحي دمشق بتعديات على الاملاك والاشخاص وقد تجرأ بعض الاشقياء على احداث الاضطرابات حتى في المدينة نفسها .

ولهذا فان المفوض السامي قد عزم عزما ثابتا على الاسراع بدون امهـال لوضع حد لهذه الحالة التي لا تحتمل وهو يدعو الاهالي جميعهم لمساعدتـه بثقـة تامـة للمحافظة على النظام الذي لا بد منـه ليتمكن كل شخص من أن يعيش ويشتغل في امان وسـلام ورغبة في الوصول الى هذه الغاية فـان الجنرال المفوض السامي الذي زودتـه حكومة الجمهورية الفرنسية بالسلطة المطلقـة يعلن الاحكام العرفية في مدينة دمشق وسنجقي دمشق وحوران .

يجب ان يفهم الاهالي ان هذه التدابير لم تتخذ الا لصالحهم والتمكن من اعادة الحياة في اقرب وقت الى مجراها الطبيعي .

على جميع الاهالي ان يراعوا بكل دقة جميع الاوامر والاحكام الصادرة من السلطات العسكرية والمدنية وان يكونوا على ثقة ان لا غاية من هذه الاوامر والاحكام الا الخير العام ولم يوح بها الا الرغبة في المحافظة على مصالح كل فرد من الاهالي واملاكه وحريته لا تبقى الاحكام العرفية الا اثناء الاضطرابات السائدة حاليا ويستعمل المفوض السامي ما في وسعه لاعادة الامن التام في ناحية دمشق فيتمكن اهالي المدن والقرى من العودة الى اشغالهم التي انقطعوا عنها وتتمكن سلطاتها بالثقة والتعاون مع الدولة المنتدبة من وضع التشكيلات الجديدة التي تترتب عليها ادارة البلاد .

صدى الفاجعة :

كان لاخبار الكارثة التي جنحت فوق ربوع الشام صدى مريعا وتأثيرا فظيعا واضطرابا عم العالم وان صحيفة التيمس التي تصدر في عاصمة البريطانيين قد زار مكاتبها الذي يحل دواما في القاهرة دمشق على الفور فوصف هذه الفاجعة بعبارات نجمل تعريبها بما يأتي :

« ... ان الانكسارات التي اصيب بها الفرنسيون والمقاومة التي لاقوها في جبل الدروز قد احدثت اضطرابا عاما فانتشر الثائرون خارج دمشق وانصرف الفرنسيون الى معالجة القرى التي اشتبهوا بأنها تلجيء رجال العصابات ومنذ اسبوعين احرق الفرنسيون قرى عديدة في الجنوب الشرقي من دمشق وجلبوا اربعة وعشرين جثة وطافوا بها على ظهور الجمال في شوارع دمشق الرئيسية وعرضوها في ساحة المرجة « الشهداء » وكانوا يقصدون من هذا المنظر الذي يثير كوامن الصدور ان يحذروا العناصر المقلقة

ولكنه افضى الى احداث تأثير يعاكس التأثير المقصود منه على خط مستقيم فقد هاج غضب الجمهور وسخطه ومما زاد الطين بلة ان كثيرين من القتلى الذين عرضت جثثهم هم من اهالي دمشق وبعد ثلاثة ايام من هذا العمل وجدت خارج باب شرقي ١٢ جثة من جثث الشراكسة الذين يستخدم الفرنسيين كثيرين منهم في القتال كجنود غير نظاميين فهذا الجواب على عمل الفرنسيين يدل على الروح السائد بين الذين اراد الفرنسيون ان يرهبوهم وفي ليل ١٧ اكتوبر هوجم جنود من الفرنسيين وقتلوا في احد الاحياء المتطرفة وبعد قليل اطلقت النار على عدد آخر من الجنود وفي صباح اليوم التالي ظهر في حي الشاغور ستون ثائرا وبعد قليل ظهرت عصابة من دروز جرمانا في حي الميدان وذهبت العصابتان الى الاسواق في وسط المدينة وشجعهما على ذلك اناسا من احياء اخرى هاجموا البوليس وجردوه من سلاحه وجعلوا يطلقون بنادقهم في الفضاء فبثوا الرعب والذعر ولم يكن احد يعرف في الحقيقة ما كان يجري وكان عدم الوقوف على حقيقة الحال سببا في ازدياد القلق ويظهر ان الفرنسيين كانوا يعتقدون من قبل ان الجمهور يوشك أن يقوم بحركة مهمة وان القوات التي تعمل ضدهم اكبر مما هي في الحقيقة على ان الذين راقبوا الحال مراقبة دقيقة يرون ان عدد المغيرين لم يزد قط على خمسماية .

وفي ظهر اليوم الثامن عشر من شهر اكتوبر ارسل الفرنسيون الدبابات فجعلت تخترق الاسواق بسرعة هائلة وتصب نيرانها ذات اليمين وذات اليسار وفي الساعة السادسة مساء بدأ الفرنسيون بضرب المدينة العريقة في القدم ويؤخذ مما عرف حتى الآن انهم لم يستعملوا هذه المرة سوى القنابل الخالية من القذائف ولكن هذا الضرب لم ينقص قلق الجمهور وذهوله واستمر الضرب الليل بطوله .

وفي صباح اليوم التالي سحبت جميع الجنود فجأة من المدينة ومن

جملتهـا احياء المسيحيين وحشدت في حي الصالحية ونقلت جميع عائلات الفرنسيين الى هذا الحي ثم شرعت المدفعية من الساعة العاشرة صباحا الى مدة اربـع وعشرين ساعة تطلق القنابل المحشوة بالقذائف على المدينة وجعلت الطيارات في الوقت نفسـه تمطر القذائف وتطلق الرشاشات .

وفي ظهر اليوم العشرين من اكتوبر انقطعت النيران وهـي الهدنـة التي تسمى هدنة الاربع والعشرين ساعة وقد تركـت قذائف المدفعيـات واعمال المغيرون آثارا لاتمحى ورأيت هذه الاثار في كل ناحية فأحدثت كآبة فـي نفسي فجميع المنطقة الواقعة بين سوق الحميدية والشارع المستقيم المسمى « سوق مدحت باشا » اصبحت خرابـا وجميع مـافي السوقين من المخازن قـد دمرتـه نيران الدبابات او قذائف المدفعيات مخزنا بعد مخزن واصيب حي الشاغور بأضرار عظيمة وكاد سوق الخراطين يصبح كله كومة رمـاد وترى المنازل منزلا بعـد آخر على وشـك الدمـار لان القنابل قـد خرقت جدرانـه ولا شك انها قنابل المدفعية الفرنسية على ان الجامع الاموي العظيم قد نجا لحسن الحظ من النار ولكن جامع السنانية الجميل اصابت احدى القنابل قبتـه ففتحت فيها فوهة عظيمة ومرت القنابل الاخرى في نوافـذه الجميلة المصنوعـة من الفسيفساء اما الخسارة التي لا تعوض فهي قصر آل العظم فلم يبـق فيه شيء ما من كنوزه فقد نهب بعضها واتلف البعض الآخر ولم تترك منـه قذائف المدافع سوى جدران مكان الحريم وتحول الى خراب واصيب سوق البزوريـة بأضرار عظيمة ودمرت منازل العائلات المشهـورة كعائلات البكري والركابي والقوتلي تدميرا تاما فالالفاظ تعجز عن الاحـاطـة بالمعـاني التي يوصف بها المنظر الذي تظهر به الآن تلـك المدينة المقدسة ومن الصعب تقدير الخسائر التي وقعت من جراء تدمير الابنية وكثيرون من الثقاة من كل نزعـة يقولون انها تتراوح بين مليون ومليونين من الجنيهات التركية الذهبية ولم يعرف من القتلـى الاجانب سـوى رجلين طرابلسيين ورجـل انكليزي واحد جريح واذا كانت الجاليـات الاوروبية قـد استطاعت النجاة

بسهولة فما ذلك بفضل الفرنسيين وحسن تصرفهم بل بتوسط المسلمين وخدماتهم الطيبة فقد سلكوا سلوكا باهرا وجعلوا يبادرون بأنفسهم الى توطيد النظام والسهر على الراحة في حي المسيحيين بعدما انسحب منه الجنود وحموه من كل من حاول ان يدخل اليه بقصد النهب وبادر بعض رجال البوليس من المسلمين واخذوا الاوروبيين الى اماكن يأمنون فيها فجميع الاوروبيين الذين لقيتهم ممتنون كل الامتنان من هذه المساعدة التي لقوها من المسلمين وفي حين ان الاوروبيين في دمشق لا يستطيعون ان يعبروا عن كل ما يخالج نفوسهم من الامتنان للمسلمين تراهم يظهرون استياء عظيما من ضرب مدينة مفتوحة كدمشق ذات اماكن معروفة رسميا بأنها مأهولة بالاوروبيين ومع ذلك ضربت بالقنابل وقد سحبت جميع الجنود من احياء المسيحيين وضربت اماكن الاوروبيين بدون اقل انذار سابق والظاهر ان السلطة الفرنسية قابضة على زمام الحالة ولكن لم ير الى الآن ما يدل على عودة الحال الى مجراها الاصلي نعم انه في وسع الفرنسيين ان يحتفظوا عنوة بالسلام في دمشق ولكن مفتاح الحالة كلها في سورية هو جبل الدروز فما دامت الحالة لم تستقر فيه فستستمر القلاقل من وقت الى آخر او تزداد ويرى العارفون أن فرنسا تحتاج الى قوات اكبر من القوات الحالية لاخضاع الجبل والاحتفاظ بالسلام في بقية البلاد التي كثرت فيها العصابات الآن ومع ذلك ففي الامكان تذليل العقبة فيما يتعلق بجبل الدروز من دون التجاء الى وسائل القمع لان هذه العقبة انما قامت لان الفرنسيين لم يقدروا حالة الدروز النفسية حق قدرها واصروا على اخضاع شعب اشتهر بعزة النفس والرجولية فاذا استطاعوا معالجة الامر بحكمة امكنهم تحويل الدروز من خطر مقيم الى حلفاء .

ولم يقتصر الامر بشأن الكارثة على هذه الصحيفة ومكاتبها بل ان انباءها ما كادت تبلغ عاصمة الفرنسيين حتى هاجت لها الدوائر السياسية اهتياجا كبيرا واخذت أمهات الصحف وكبريات الجرائد تكتب الحقوق الطوال

والمقالات الكبار عن ما كان في سورية كما يؤيد ذلك مقال جريدة الماتان التي تصدر في باريز والذي كان بعنوان « لقـد طال زمن الفضائح في سوريـة » والمقال الآخر الذي كان بنفس الجريدة ولكن بعنوان « لقد اضر ويضر الجنرال ساراييل بسمعة فرنسا كثيرا لعجزه عن متابعـة سياسة رشيـدة » كما ان جريدة الايكودي باريس نشرت مقالا للمسيو ديكيريليس عنوانه « من الذي يوحي الى سرايل ؟ » قال فيـه « ان الانباء الصريحة التي حملها بالامس احد الثقاة والذي غادر دمشق في السابع عشر من تشرين الاول تؤيد ما نشرتـه جريـدة التيمس من المعلومات وان الجنرال ساراييل بتدابيره الخاطئة قـد أثار فتنـة دمشق اما للانتقام من القرويين في ضواحي المدينة الذين ارعبتهم العصابات ... فاضطروا الى مدهـا بالمؤن واما لاتباع اساليب الارهاب لما لاح لـه شبح الثورة في المدينة .

وقد اصدر الجنرال ساراييل في اوائل شـهر اكتوبر امرا الى الفصائل الشركسية والسورية باحراق قرى جرمانا والمليحة وزيدين وداريا . وحدث في قريـة دير بحدل من قرى الامير كاظم حفيد الامير عبد القادر الجزائري ان جميع منازلها صب عليها البترول واضرمت النار فيها بلا استثناء فأصبحت اكواماً من الرمـاد .

« وفي خلال ذلك كثرت حوادث الاعدام السريع رميا بالرصاص وقد شهد الدمشقيون في يوم ١٤ اكتوبر منظرا تنخلع له القلـوب وهو منظر اثنـين وعشرين جثة من جثث القتلى عرفوا بينها جثث كثيرين من المكارين والقرويين المعروفين في سوق المدينة وقد سير بهذه الجثـث فى الشـوارع وهي في حالة عرى تام وقد ربطت الى ظهور الجمال . فسار هذا الموكب المفجع تخفره قوة من الجند ثم وقف في الساعة العمومية حيث صفت الجثث وعرضت على الجماهـير ....

« ومن ذلك الحين اخـذ السخـط والحنق من نفوس العامـة من احياء المدينة مأخذه فترك النـاس اعمالهم واقفلت المخازن واتخذت المدينة ذلـك

المظهر الذي ظهرت به في ايام الفتنــة .

وفي ١٧ اكتوبر اسر الثوار جنود فصيلة فرنسية فمثلوا بجنودنا التعساء وجاؤوا بجثثهم وطافوا بها في احياء المدينة التي ثارت كلهــا . وتبدو مــن ذلك الظروف والاحوال التي ادت الى ذبح جنودنا والى مصائب لا يمكن تلافيها بخطأ الجنرال سارايل المنكود وهي احوال تعود المسؤولية فيها اليه .

« انــه دبر في ١٣ يوليو مكيدة دنيئة للدروز بغية القبض على ممثليهم الذين هزأ بهم واهانهم قبل ذلك واختطف منهم ميثاق الضمان فقبض عليهم واودعهم السجن بعد مــا دعاهم الى ابــداء مطالبهم . وكانت نتيجة ذلك ان الدروز انتقموا لانفسهم فأبادوا فصيلة الضابط نورمان واخرجوا الفرنسيين من جبلهــم .

« وبين اليــوم الثامن واليوم الرابع عشر من شهر اكتوبر لجأ الجنــرال سارايل الى احراق القرى في ضواحي دمشق ودبر ذلك الموكب المفجع مــن الجمال المحملة جثثا او سمح بــه فانتقم السكان العرب من جنودنا التعساء وثاروا ثورة عامة . فما اســوأ ذلــك التدبير وتلك الغريزة التي اوحت الــى الجنرال سارايل مأساة جبل الدروز تلك المأساة التي تعود اسبابها الى اهماله التــام وعدم مبالاته . . .

« وتحرج الموقف بعد ذلك ولكن عناده المقرون بالحمق والقسوة والفظاعة منعه من الاعتراف بخطأه في عدم تبصره في تلك الحوادث وعدم عده اياهــا من الحوادث الخطيرة .

« وماذا يستطيع الجنرال سارايل ان يجيب عن هــذا السؤال البسيط وهو : لماذا حينما اظهر لك الضباط والموظفون ما في عنادك من الحمق وابلغوك ان الثورة على وشك النشوب ودعوك لمشاهدة الحالة بعيني راســك لم تذهب وتعاين تلك الحالة ؟ ولماذا لم تذهب من ثلاثة اشهر من دمشق الى السويداء والمسافة بينهما لا تستغرق اكثر من ثلاث ساعات بالسيارة ؟ » .

وعقدت جريدة التان التي تكاد ان تكون لسان حال الحكومة الفرنسية مقالا طويلا عن كوارث سورية تعريبه :

« اننا لا نبالغ اذا قلنا ان الحالة توجب القلق الشديد ولا بد من البحث في اسبابها ونتائجها فاما الاسباب فلا شك في ان الحالة الحاضرة ترجع اسبابها الى عمل ممثل فرنسا شخصيا والى السياسة التي اتبعها ويلوح الآن لكل من هو بعيد عن التحيز ان مسؤولية الجنرال سارايل مرتبطة بأصل مسألة الدروز ارتباطا يوجب الاسف وان التأثير الذي احدثته هذه المسألة في خارج جبلهم يدل بوضوح على ان في الدول السورية الاخرى استياء ونفورا من الدولة المنتدبة ولا يمكن تفسير ذلك الاستياء وذلك النفور الا بالاغلاط وضروب الاهمال الخطيرة التي ارتكبت في تنفيذ الانتداب .

وكذلك كان شأن جريدة الاكسيون فرانسيز فقد دبجت في صحيفتها ما تعريبه :

« تقول ان الحكومة كذبت امس الاول الاخبار السيئة الواردة عن سورية وذكرت ان الحالة حسنة جدا فيها كلها وفي دمشق بنوع خاص . وهكذا يكون الجنرال سارايل والمسيو بنليفه قد كذبا على الراي العام مرة اخرى .

ونشرت جريدة الجنرال المسيو سانبريس مقالا تعريبه :

« هل صحيح ما تقوله الصحف الانكليزية من ان الجنرال سرايل اهمل ابسط قواعد حقوق الانسان فأمر بضرب دمشق قبل ان يصدر انذارا بذلك لكي يجلو الاطفال والنساء منها وهل صحيح انه لم يبلغ قناصل الدول ماعزم عليه قبل تنفيذه ؟

ويقال فوق ذلك ان هذا العمل ادى الى احتجاج القناصل وتقديم هذا الاحتجاج الى ولاة الامور على يد قنصل المانيا بصفته عميد القناصل . فهل صحيح ان الجنرال سرايل طلب استدعاء قنصل المانيا لهذا السبب ؟ ان هذه المسائل كلها تحتاج الى جواب صريح واضح » .

على ان تقرير نفس الجنرال غاملان قائد الجيش الفرنسي العام في سورية بصدد ضرب دمشق ووقائع الغوطة الذي بعثه بصورة رسمية يشوه نوعا ما عن ما جرى في سورية وان كانت التقارير التي كانت ترسل بها رجال الفرنسيين لحكومتهم لم تكن حينئذ على شيء من حقيقته ولا على بعض من امر واقع الا اننا ننشر بعضها هنا من بعد ذكرنا الشيء الكثير عن الصحف الفرنسية بشأن الكارثة وها هو تعريب التقرير المذكور المرسل الى وزارة الحربية الفرنسية في ٣٠ اكتوبر تشرين الاول .

« ثارت الاضطرابات في دمشق يوم الاحد في ١٨ اكتوبر فأحدثت ازمة شديدة دامت ٤٨ ساعة .

« وقد دلت التعليمات على ان هذه الاضطرابات لم تثر الا بدافع خارجي من جهة وبدافع بعض العناصر الدمشقية التي تغتنم كل فرصة للمشاغبة على السلطة من جهة اخرى .

« فقد دخلت بعض العصابات المسلحة الاحياء والاسواق وخاصة الشاغور والميدان فتبعهم قسم من الغوغاء في هذه الاحياء بقصد السلب والسرقة ولولا حزم السلطة لكانت الحالة خطيرة .

« وقد اطلقت القلاع مدافعها على الاحياء الثائرة واشتركت الطيارات في هذه العمليـة فارغم هذا التدبير طائفة من الوجهاء على مراجعة السلطة والموافقة على الشروط المفروضة .

« ومنذ ذلك التاريخ ازداد عدد العصابات في ضواحي دمشق وحماه وكان الثائرون في القرى الدرزية المليحة وجرمانا وجسرين يلقون كل مساعدة وقد اضطر القائد العام في هذه الظروف ان يحشد قسما من الجيش في دمشق لملاحقة الثائرين في ضواحيها فوصلت الى دمشق في ١١ اكتوبر الفرقة الثانية وكتيبة من الشراكسة وفي ١٥ منه وصلت فرقة

من الكتيبة السادسة ثم وصلت في ١٦ منه فرقة اخرى من الكتيبة السادسة وكتيبة من السباهيين وكانت هذه النجدات كلها بمثابة فرق محافظة في بادىء الامر ثم اصبحت بعد امد قريب مكلفة بمقاومة الثائرين وتوطيد الامن في دمشق وضواحيها .

وفي ١٣ منه ارسلت قوة من الجيش الى جسرين حيث يقيم بعض الثائرين فتوفقت الى القبض على ١٠٦ منهم وعادت باربعة وعشرين جثة . اما خسائرنا فقد كانت طفيفة واعيدت الحملة في ١٤ منه فأحرق الجيش قرية المليحة بعد ان ثبت ثبوتا لا يحتمل الشك اشتراكها من الثائرين في معظم اعمالهم .

وقد طلب الى قرية جرمانا ان تسلم بنادقها فلم تفعل فاضطررنا الى احراقها في ١٥ وفي ١٧ منه ارسلت فرقة ١١ ــ ٢١ الى دوما باكرا وزارت قرى سقبا وجسرين وسواهما بينما كانت كتائب الشركس تحتل جرمانا وتقاتل بعض الذين اقدموا على احتلالها وقامت الثورة في دمشق في ١٨ منه بهجوم على قصر العظم واطرافه كان القصد منه كما تبين الوصول الى المفوض السامي وقد استمرت ٤٨ ساعة . وقد وضع تحت تصرف نسيب البكري ورمضان شلاش منذ امد غير قريب عدد لا بأس به من العصابات كان من الصعب ملاحقتها والقضاء عليها بالرغم من كل التدابير ثم بدأت منذ ذلك الحين الاعتداءات على رجال الجيش المنفردين وقد ثبت الآن ان تلك العصابات كانت تدخل دمشق من جهة الشاغور والميدان بمساعدة بعض الاهالي الذين يشاركونها في اعمالها وكانت تهاجم الجند المنفرد في الاحياء والاسواق وفي ١٨ منه وصل المفوض السامي قادما من بيروت وذهب توا الى ازرع ودرعا يزور مراكز الجيش وبرفقته الجنرال غاملان فكان الثائرون يحاولون بشتى الوسائل الوصول اليه وقد اكد لنا اذ ذاك ان كمينا هيء في القدم لمهاجمة القطار الذي يقل المفوض السامي من درعا الى دمشق

وانه لولا تأخر القطار لتمت هذه المؤامرة وتم الهجوم على القطار وحدث لحسن الطالع ان المفوض السامي اراد ان يزور مركز القيادة قبل زيارة قصر العظم فنجى من الهجوم الذي هيأه الثوار بعد الظهر واشترك فيه من الاسطحة القسم الاكبر من البيوت المجاورة وقد ارسلت نجدة لقصر العظم وكان الرصاص يتساقط عليها من النوافذ والحوانيت في تلك الاسواق الضيقة حتى ان بعض الجنود قد اصيبوا وهم في داخل سيارة الاسعاف وبعد ان تم للثوار مهاجمة قصر العظم انتشروا في بعض الاحياء واخذوا يطلقون رصاصهم حول القلعة وحول مركز القيادة من النوافذ والابواب والاسطحة ثم اقدموا في النهاية على اضرام النار في حي الارمن في القدم وفي منتصف الليل عاد الهدوء الى المدينة شيئا فشيئا حتى اذا ما انبلج الفجر استيقظت المدينة كعادتها هادئة ساكنة وقد كانت السلطات المحلية هي التي تقوم في الدفاع في ذلك اليوم اما اعمال القيادة الفرنسية فقد انحصرت في انقاذ قصر العظم وتقوية الحامية فيه وانشاء المتاريس حول الحي الاوروبي والمؤسسات الفرنسية الامر الذي حال دون اتساع الحركة وانتشارها وفي اليوم التالي حشدت وحدات الجيش واحتلت المراكز الهامة بشدة وهيأت مدافع القلعتين والطيارات العمل عند اول اشارة وبالرغم من جميع هذه الاستعدادات فقد عاد الثوار لاطلاق رصاصهم هنا وهناك واخذوا يحاولون اعادة الهجوم على قصر العظم وقد شبت النيران هذه المرة في جوار قصر العظم والقلعة وقام بعض السكان يغتنمون هذه الفرصة السانحة لاصطياد « الرومي » وقد ثبت بصورة لا تدعو الى الشك ان بعض رجال الدرك السوري كان على اتفاق مع الثائرين ومما ساعدنا على حصر الثورة في نطاق ضيق محاصرتنا الثوار في احياء الشاغور والميدان والعمارة واتخاذ كل التدابير التي نستطيعها لقمع الحركة والحيلولة دون امتدادها وانقلابها الى ثورة عامة ومما تجدر الاشارة اليه هنا اننا بالرغم من استعمال المدافع والطيارات فقد حاولنا جهد المستطاع ان تكون الخسائر في الارواح والاموال طفيفة

لا تذكر وبنـاء على اوامر المسيو اوبوار في اتخاذ كل تدبير يؤدي الى انهاء الثورة ساد الهدوء في المدينـة بأقل من اربعـة وعشرين ساعة وقد اضطررنا في هـذه الظروف لاستعمال المدفعية لان هؤلاء الذين يطلقون رصاصهم علينا من النـوافذ والاسطحة لا يمكن الوصول اليهم بغير هـذه الوسيلة فأطلقت مدافع القلعة قنابلهـا على جـوار قصر العظـم والقت الطائرات قذائفها على الشـاغور أما حاميـة قصـر العظـم فقـد احاطت بهـا النـيران مـن كـل حدب وصوب وانقطعت عنا اخبارها وقد انذرنا العائلات الاوروبيـة بالالتجاء الى المراكز العسكرية قبل اطلاق القنابل ولم يكف الثائرون رغـم كل هذه الانذارات عن اطلاق رصاصهم في سوق الحميدية ومدحت باشا والشاغور والميدان والعمارة فاضطررنا لاعطاء الاوامر للقلعـة بمتابعة القاء القنابل على جوار قصر العظم وعلى الشاغور والميدان واشرنا على قائد المدفعية بأن يجعل القنابل شبيهة بقنابل التجارب شديدة الصوت قليلة الاذى لالقاء الرعب في نفوس السكان ويظهر ان متابعة القاء القنابل قد هدأ الحالة كثيرا واوصلنـا الى النتائج المطلوبـة ففي الساعة الثامنة صباحا جاء وفد الى مركز القيادة العليـا وعلى رأسـه الامير سعيد حفيد الامير عبد القادر ثم جاء وفد آخر على راسـه حقي العظم وطلبا ايقاف اطلاق القنابل فعقد اجتماع برئاسـة مندوب المفوض وافق فيـه مندوبوا دمشق على دفع غرامة قدرها مئـة الف ليرة تركيـة ذهبا وتسليم ثلاثـة آلاف بندقية وقد اشترطنا عليهم ان يتم تسليم هذه الغرامـة صباح السبت في ٢٤ منه والا عدنا الى اطـلاق القنابل وقد دفعت الغرامة في الوقت المعين ولم يتمكن المندوبون من جمـع البنادق في الوقت المحدد فتدخلت دائرة الاستخبارات في الامر واخذت تبحث عن البنـادق وتفتش الدور ومنذ ذلك الحين ودمشق هادئة وقد عاد التجار الى فتـح حوانيتهم بعـد تردد طويل وقد اصيبت بعض الاحياء بالخسائر وكان القسم الاكبر منها من جراء النيران التي اضرمها الثـوار والسالبـون اما الطيارات والمدافع والمصفحات فليست مسؤولة الا عن قسم ضئيل مـن هـذه الخسائر وقد عنيت القيادة العامة بأن لاتعمد اليهـا الا عنـد الحاجة



من اقطاب المجاهدين الاحرار السادة سليم الاظن ابو حامد ابراهيم الفحل جميل دلول محمد ابو عبده قـــدور

المأساة وتمكنت مع هذا من ان تصل الى النتيجة المطلوبة في حصر الحركة بأقل النفقات والخسائر والحيلولة دون تحرك « الافاعي الدمشقية الحقيقية أ ه »

لقد سعى المفوض السامي الفرنسي سرايل ومن لف لفه من الموظفين الفرنسيين بأن يلقوا تبعة ما فعلوه في سورية على عاتق الحكومة البريطانية بداعي ان انكلترا هي التي مهدت سبيل الثورة وحملت الثوار على شق عصا الطاعة بوجه الحكومة الفرنسية حتى ان هذا المفوض تشكى من سوء تصرف معتمد انكلترا في دمشق المستر سمارت اذ قال بأنه كان يسعى هذا المعتمد بكل قواه لابدال الانتداب الفرنسي على سورية بالانتداب البريطاني وكان يتقول المفوض عن لسان هذا المعتمد انه كان يقول بعدم جرأة الفرنسيين على اطلاق القنابل على دمشق ومذكرات هذا المفوض مشحونة بما لاقيمة له من ذكريات اعتمد في كتابتها على درزي زعم بأنه استسلم السلطة فأفضى اليها بكل ما يعلمه من اسرار الثورة .

انا لسنا في حاجة لان ندلي بالبراهين على ان رجال فرنسا في الاقليم السوري هم الذين اشعلوا نار الثورة السورية بسوء ادارتهم وعجز سياستهم وحطة تصرفاتهم حتى ان نفس هذا المفوض قد اعترف في بعض المواقف بأن نشأة الثورة كان لخلاف نشب بين ضابط الاستخبارات على منصب حاكم جبل الدروز وتآمر بعض الموظفين الفرنسيين عليه وها هو بعض ما تضمنه تقرير المفوض الخاص الى وزارة الخارجية الفرنسية .

« فأنا اعترف بخطأي لقد تركت في المراكز الهامة وفي الجيش موظفين وضباطا يكرهونني كل الكره ويحاولون الايقاع بي ولقد كنت اعرف ذلك ولكني لم اتخذ في حقهم اي تدبير ظنا مني ان هؤلاء اذا كانوا يكرهونني فانهم لا يكرهون فرنسا وقد كنت مخطئا في هذا الظن وانا لا اتهم دون أن أذكر الاسماء فاني مضطر في مثل هذه الظروف للتصريح بتلك الاسماء وها انا اذكر هؤلاء واحدا بعد آخر : ان الخطأ الذي ارتكبته في سورية هو ابقائي

على بعض الموظفين الذين يكرهونني ويسعون للايقاع بي واول هؤلاء المسيو غوتيه المندوب المساعد في دمشق ورئيس الغرفة السياسية في المندوبية فقد كان هذا الموظف رئيس جماعة تعمل على مخالفة تعليماتي في الجبل وتأييد سياسة الكابتين رينو وهي سياسة التعاون مع عائلة الاطرش التي يرغب رجالها في الوصول الى الحكم ذلك الكابتين الذي اثار الشغب في دمشق وحاول مفاوضة الدروز الثائرين لتوطيد السلام بأي ثمن ولو قضى هذا السلام على مركز فرنسا ومكانتها ولقد اشرت اليكم في تقرير سابق ان السبب الاساسي في اضطرام نيران الثورة الدرزية كان عبارة عن خلاف بين ضباط الاستخبارات فقد كان احدهما يريد مركز الآخر وهو الكابتين رينو نفسه وكان يرغب في الوصول الى اغراضه بالتقرب من عائلة الاطرش وكان كاربيه يبعدها عنه واقد كان في عمل هذا الضابط بالنسبة لنفسه على الاقل شيء من المنطق فهو يريد مركز الآخر والوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا المركز هو ان يبدل سياسة هذا الموظف الآخر ومن هنا نشبت الثورة على ان من يظن ان الدروز وخاصة عائلة الاطرش سيعمدون الى الهدوء والسكينة اذا عين الكابتين رينو حاكما في الجبل لا يعرف الدروز ولا يعرف احوالهم فلو عين الكابتين رينو حاكما لوجد الدروز حجة اخرى لاثارة الثورة »

لكن التقرير الذي نظمه معتمدو الدول الاوروبية بصدد كارثة الشام بناء على طلب حكوماتهم اثبت ما المعنا اليه من لوم الفرنسيين على ضربهم البلد عن غير سابق انذار وعلى تركهم احياء المسيحيين تحت عطف الثوار ورحمتها ذاكرين للمسلمين اياديهم البيضاء في حماية اخوانهم المسيحيين ومعترفين بأن النصارى يومئذ لم يشكوا امرا الا ان اعترافهم بالجميل لاحد ابطال الثائرين ومشاهيرهم حسن الخراط الذي كان يردد بينهم كلمات « انتم اخوة لنا وعلينا محافظتكم » .

سحب سارايل وتعيين دي جوفنيل مكانه :

بعد ان أعلنت الثورة السورية وبعد ان تم هياج الاقطار الشامية وارتفع في كل مكان صوت العصيان ونهضت رجالات عدة في فرنسا تطالب باقالة سارايل توجه رئيس الوزارة الفرنسية المسيو بيلوفيل والذي كان بعين الزمن وزيراً للحربية يقصد المسيو هريو « اذ كان هذا رئيسا للوزارة التي بعثت بالجنرال سارايل الى سورية » يستطلع رأيه في الموافقة على طلبه من سورية اذ لم يعد في طاقة الفرنسيين المحافظة عليه وكان المسيو هريو في احد المصايف وقد رفض ما طلبه رئيس الوزراء وقال بأن كل قرار يتصادم مع ما اقرته الوزارة بشأن هذا المفوض يعد طعنة نجلاء للسياسة التي انتهجتها الوزارة التي اوفدته الى سورية فآب رئيس الوزراء بخفي حنين يحرق الارم غيظا وظل صابراً على مضض لا يحرك ساكنا حتى كانت فاجعة الشام وحتى نهض العالم المتمدن على قدم وساق فاستدعي حينئذ سارايل الى باريز كي يتقدم بالمعلومات التي لها علاقتها بما وقع في سورية وذلك وفق بيان شبه رسمي صدر يومئذ وفي ثامن تشرين الثاني امتطى المفوض من بيروت الباخرة « اسفنكس » عائدا الى البلاد الفرنسية حتى اذا كان يوم ١٨ منه تقدم الى مجلس النواب الفرنسي صحبة بريان ودلادييه حيث يقف امام لجنتي الخارجية والجيش النيابيتين فسأل النائب فري في ابتداء الجلسة هل يتقدم الجنرال كمتهم ام بأية صفة يمثل فقال المسيو بريان انه يأتي لتقديم البيانات الى اللجنتين اللتين طلبتا سماعها وان الحكومة تحتفظ بكل انواع المسؤوليات فادلى الجنرال ببياناته شاكيا مما القاه هو وسلفاه من مصاعب وما كان نصيب معاونيه من المسؤولية والتبعات في الحوادث الاخيرة وافاد في شرح وتبيان الاغلاط التي ارتكبها الموظفون المدنيون والعسكريون وخصيصا شرح ما كان قد قام به الكابتين كاربيه منوها ببعض الخطيئات الادارية التي اتاهـا

هذا الكابتين كما وانــه على العكس قد اثنى الثناء العاطر على الجنرال ميشو ونوه بشجاعتــه ومن جملة ما قاله بصدد هذا الجنرال ان جوادين قد صرعا من تحتــه في المعمعة وعزا الثورة الدرزيــة الى اختــلاط الاجنــاس وتعدد الاديان وقال بصعوبة سياسة بلاد تعددت اديانهم وتنوعت مذاهبهم واتى على ذكر المقابلات التي جرت بينــه وبين آل الاطرش في بدء الثورة وقال بــأن افراد هذه الاسرة لم يكونوا على وفاق تام لذلك اخفــق ولم يفلح في مسعاه وقال بان للحزب الا ســلام كثيرين من انصار نشأوا عن الحــرب التي كانت ناشبة بين الفرنسيين والريفيين وحصر اكثر الاسباب في اثارة نار العصيــان الى انقاص السلطــة القوة الفرنسية من الوجهة العسكرية وان الجنود التــي كان يؤتى بها من المستعمرات ما كانت لتستطيع ان تحل محل الجنود الفرنسية اما ضرب المدينة بالمدافع لم يكن الا عبارة عن ثماني قنابل اطلق اربعة منها قبل الظهر واربعة من بعده ثم استؤنف ضرب المدينة في اليوم الثاني لوجود الثوار لاثارة الاضطرابات على ان الامر الجلل هو ان بعض القائمين على اطلاق المدافع لم تكن لهم الخبرة المطلوبة في الرماية مما سبب الخطأ فيالاستهداف والتسديد نحو المرمى المطلوب ومما سبب اطاشة مئة وخمسين قنبلة في المدينة فتضرر من جراء ذلك مئتان وخمسون منزلا كما اصيب مئة وثلاثة وخمسون انسانا وقال انه لا يطلب ان يكون في سورية سبعون الف جندي عدد الجيش الذي كان عند الجنرال غورو كما وان عشرين الفا وهو عدد الجيش الذي كــان في سورية لا يكفي لاعادة النظام وسيادة الامن ونزع الفوضى وقد تقلد منصب المندوب السامي الجنرال دوبور الذي اتى مــن باريز في شهر تشرين الاول بأمر من وزارة الحربيــة للتحقق عن الحالة من يوم ٢ تشرين الثاني وظل فيه حتى وصول ديجوفنيل المندوب الجديد الى بيروت في ٣ كانون الاول قادما من فرنسا واول ما قام بــه هذا الرجل هو طلب خمسين الف جندي لاخمــاد الثورة فأخذت تتوافد النجدات بالتدريج .



المجاهدان الكريمان جاد سلام وهايل سلام

وقائع البلان ووادي التيم :

لقد اتخذ بنو معروف لهم روابي الجبال وقممها منازل ومساكن فهم يمتازون عن بقية الطوائف السورية باختيارهم الاقامة في معاقل الجبال فهم يحلون جبالا ثلاثة متجاورة حوران والشيخ ولبنان ويكادون ان يكونوا منفردين في الجبلين الاولين اما الجبل الثالث فيؤلفون فيه الاكثرية اي في مناطقه الوسطى وبعض جهات الساحل وما عدا ذلك الاغلبية للموارنة ومن عادات هؤلاء الرجال رجال بني معروف ان يشد بعضهم ازر بعض وان يلبوا اذا ما تنادوا لنائبة او ملمة وانهم عندما يدعو داع الى طعان او نزال في احد الجبلين فيضرم النار فترى رجال الجبل الآخر عند الاول شبانا وشيبا اطفالا ورجالا ونساء فلا يقعدهم عن الغارة والنجدة مقعد مهما كان شديدا وهم يسترخصون النفوس ويبذلون الارواح ولا يضنون بالمهج والاحشاء في سبيل ذلك ويقومون به لوجه الله لا يريدون جزاءا ولا شكورا .

اقليم البلان ــ المنطقة الممتدة غربي دمشق الجنوبي المؤلفة من قضاء وادي العجم وقاعدته قطنا ومن قضاء القنيطرة بما يتبعه من سفوح حرمون الشرقية فسكان الجميع هم من الدروز اما قاطنوا السهل فمن الفلاحين السنيين والنصارى والبدو والشراكسة والتركمان وغيرهم ــ . فجريا على القاعدة التي المعنا اليها من النهوض لمؤازرة الدروز بعضهم بعضا كان اول من لبى داعي الثورة جبل الشيخ اذ هب عدد كبير من رجاله متوجها الى جبل الدروز تأييدا لبني الاعمام وقد اشترك هؤلاء مع اولئك في اعظم المعارك الاولى مما كدر السلطة واساءها ومما دعاها ان توزع السلاح على المسيحيين من قرى بلان وان تغريهم بايقاع الشقاق بين ابناء البلد الواحد فلذلك عندما تم للدرزيين جلي حملة الجنرال غاملان عن جبلهم المنيع بشهر ايلول وعندما

أنسوا زوال الخطر من ناحيـة وايقنوا بانشغال الفرنسيين حينئذ بحوادث دمشق والغوطة وحماه والنبك قررت قيادة الثورة العليا تعبئة حملة الى اقليم بلان ووادي التيم للمحافظة على الاهلين من تعديات الفرنسيين بناء على دعوة حملها اهل مجدل في قرية كفر اللحا الى زعماء الثـورة وبنـاء ان يستميلوا الشركس وان يفاوضوا الامير فاعور كي ينضم الى الثورة .

وفي نهايـة تشرين الاول تألفت هذه الحملة وقائدها زيد الاطرش منضم اليـه كل من مشاهير الثورة فـؤاد سليم نزيه المؤيد علي عامر صياح الحمود فضل الله اسد الامير حسن متعب جاد سليمان آل الاطرش شكيب وهـاب حمزة الدرويش زكي الدروبي نصري سليم سعيد اليماني ابو تركـي سرحان آغا فريـد صبري البديوي خليـل بصلة اسعد كنج .

سارت هذه الحملة متجهة نحو الغرب تاركة جبل الدروز فأقامت باسطة رواقها على اقليـم البـلاد متخذة من قريـة مجدل شمس معسكرا لهـا – وهي قريـة درزيـة في سفح جبل الشيخ – وقد اقتصرت مهمة هـذه الحملة على منع اعتداء الفرنسيين عن الآمنين وعلى استمالة الشركس وعلـى حمل الامير فاعور للانضمام الى الثورة .

يتألف وادي التين من قرى عدة وبلدان شهيرات في مقدمتها حاصبيا وراشيـا ومرجعيون واهـالي هـذا الوادي خليـط من دروز ومن سنيين ومسيحيين عاشوا جميعا في وئام وحب وسلام في ظل الحكومة السوريـة العربية التي تبعوا لهـا في العهد الوطني .

اما عندما اكتسحت فرنسـا سورية الداخلية عام ١٩٢٠ بعـد فاجعـة ميسلون واقامت سياسة فرق تسد بين الطوائف المتآخية واوجدت مشاكل داخلية قسمت حينئذ هذه البقعة من العالم وجزئتها على صـغر مساحتها الى ممالك ودول ضاربة بما كان يتعالى من اصـوات البـلاد وذويها تـذمرا وشكوى عرض الحائط ولم تلتفت الى الى العرائض والبرقيـات التي كـانت

تجمع بأسرها بالتألم وباستنكار تلك التجزئة بل كانت تلبي دواما طلب من كانوا اذلـة صاغرين لها رغم انوفها وقسر ارادتهم درءا لانفاذ تهديد طالما ارهبتهم به السلطة وفي جملة ما نجم عن هذه السياسة الغاشمة تجزئـة واقتطـاع وادي التيم عن الجسمان السوري والحاقه بلبنان في اول ايلول سنة ١٩٢٠ بناء على قرار اصدره غورو اذ ذاك مناوءة لارادة قاطني هذا الوادي لهذا في سادس عشر يوليو عمد الفرنسيون على اثر ثورة الجبل الى العودة الى القاعدة التي المعنا اليها فرق تسد فأخذت السـلطة على توزيع الاسلحـة على القرى الآهلة بالمسيحيين في وادي العجم ووادي التيم فظهر هذا القوم الضئيل كأنه ينادي بوجوب حماية فرنسا اليه من دون السكان جميعا ونتج عن ذلـك ان هب من لم يشترك في الثورة طالبا اعطائه نصيبه من السلاح لانه اتخذ هـذا القسم الاكبر عمل السلطة في اقتصارها على توزيع السلاح على المسيحيين فحسب عملا عدائيا تستهدف فيه حياة الباقين واموالهم بأعظم الاخطار فهي فضلا عن انها لم تأبه الى ما كانوا يطلبون فانها اخذت تشدد بوجوب جمع مالدى هؤلاء من سلاح قديم مما دعا الاهلين لان يتمسكوا في هـذا السلاح اليسير مادامت السلطة آخذة بتوزيع السلاح على المسيحيين ولم تكتف السلطة بمـا فعلت بل اخذت تشوق الشباب المسيحي وتزين له التطوع لقتال ابناء وطنـه المجاهدين الاحرار فوجدت في البعض منهم ارضا خصبة لبذر بذور التفرقة وللانخداع بمعسول الاماني التي كانت تمنيه بها ولم تجز حيلتهـا على بعض منهم وعندها الفت ممن اشتهر بسوء السلوك وعرف بالتعصب الذميم المنبوذ عصابات نجم عن تأليفها ما كانت تتوقعه السلطة من حوادث سيـئة اخـذت حفظها الله ! ؟ ! بالعمل على توسيعها وتفشيها في حين ان الرؤسـاء الروحيين في ذلـك الوادي ادركوا سوء عاقبـة هذا الصنيع وتنبؤوا بمغبته المخيفـة فهرعـوا الى السلطـة الفرنسية يطلبـون اليها ان تعدل عما انتهجته مـن خطـة التسلح ناصحة اياها ان تأخذ على عاتقها بنفسها حماية السكان بقوى من جندها هذا اذا كانت تقصد من فعلها الحيلولة دون التعدي على المسيحيين



المجاهد الكبير نزيه المؤيد العظم بين رجاله الثـوار الاحرار

اما والسلطة لم تكن ترغب بالحقيقة المحافظة على الهدوء بل كانت ساعية بأفاعيلها الى خلق الفتن واضطراب حبل الامن فانها لم تصغ الى طلب الرؤساء الروحيين بل اخذت على العكس تعمل على اخلاء احياء النصارى من الجند رغبة منها في ايجاد المذابح حتى تستغل وتستفيد ما يحدث من عصيان فيتم ما تسعى لاجله ومما يؤيد ما ذكرناه من قضية توزيع السلاح ما ذكره الجنرال ديبور في مجتمع عقد في المفوضية بحضور كل من الاميرين سامي ارسلان وتوفيق ارسلان والشيخ حسين حمادة وغيرهم قائلا : « لقد قيل بأن السلطة وزعت سلاحا على النصارى اجل هذا صحيح ان السلطة وزعت عليهم سلاحا لانهم مهددون » وبذلك تفشى مفعول الثورة وسرى الى اقليم البلان بسبب امعان السلطة باضطهاد وادي العجم والتيم وحمل الكثير من الشباب والرجال على النزوح الى بني معروف في الجبل الدرزي والاستنجاد بقائد الثورة العام السلطان لاسيما من بعد ان فعل التخريب بقراهم فعلا ومن بعد ان كانت القنابل والقذائف تتوالى بالانطلاق على تلك الربوع وهي التي كان يعنيها البلاغ الصادر في ١١ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ الذي تضمن القاء الطيارات القنابل على بعض القرى في الجنوب وعلى القرى التي لم يقطنها مسيحيون .

لقد قلنا بأن زيد الاطرش كان على رأس حملة عسكرت في الاقليم والآن نتابع الحديث عنه فنقول لقد توجه جانب من تلك الحملة الى وادي التيم حيث استولى على حاصبيا في يوم ١١ تشرين الثاني بلا مقاومة قط ذلك لان قائد الحامية الفرنسية فزع الى الشيخ حسين قيس يستأويه بصفته من كبار شيوخ الدروز في الوادي وبصفته مسموع الكلمة لديهم وقد حمله على ذلك ما رآه من ضآلة عدد جنوده وشجاعة اخصامه فما كان من هذا الشيخ الا ان اجاره وحماه واوصله مع من كان لديه من الجند الى النبطية من غير اذى وهكذا احتل الثوار المدينة بين زغاريد النساء وهتافات الرجال واخذوا بتأليف حكومة وطنية يراسها نسيب غبريل من اعيان المسيحيين وقد قام

في قصر تلك الحكومة يومئذ كل من نزيه المؤيد وصبري البديوي خطيبا في الجمهور يحدثه على مؤازرة الثورة والانضمام الها معددا كل منهما ما ترمي اليه من مباديء سامية واهداف عليا .

عامل الثوار قاطني تلك المدينة بمنتهى العدل والانصاف واحقاق الحق وازهاق الباطل رغم دخولهم هذا البلد ظافرين محتلين وقد ايدت الصحف الفرنسية والصحف السورية ذلك حتى ان مراسل المقطم قد صرح في سابع عشر تشرين الثاني بما يأتي : « لم يتعرض الثائرون للاهلين بشيء ما بل قاموا تجاههم بكل عطف وانصاف » .

وجاء في العدد الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الثاني في صحيفة الفباء الدمشقية ما نصه بالحرف : « ان عصابة زيد الاطرش احتلت حاصبيا وهي تقدر بألف ثائر ولم تمس المسيحيين بسوء » واما جريدة الاحرار التي تصدر في بيروت فقد جاء فيها بالتاريخ نفسه : « ان الثوار لم يتعرضوا للاهلين بل احتلوا دوائر الحكومة وانتشروا في المدينة وقراها ثم احتلوا كوكبا ومرجعيون بلا مقاومة » اما الصحافي الثائه فقد قالت ما يلي : « ومما يجب الاعتراف للثائرين انهم يسيرون بطرق منظمة وانهم بحاصبية اظهروا كل عطف على المسيحيين وكانوا يسمحون للنساء والاطفال بالسفر ولم يتعرضوا لاحد مطلقا بسوء وجل ما فعلوه انهم اعلنوا حكومة سورية مستقلة وصرح زعماؤهم انه لا مأرب لهم مع الاهالي وان مأربهم مع الفرنسيين » .

على ان السلطة التي ما كانت تحجم في كل مناسبة عن قلب الحقائق اذاعت ما يلي : « ارتكب عصاة يقيمون في حاصبيا اعمال نهب وسلب في تلك المقاطعة دون ان يشرعوا في اقل عمل عسكري » .

ان الجهد الذي قلنا ان اقطاب الثورة كانوا يبذلونه من اجل منع الاذى عن الساكنين الآمنين وعن الاخوة المسيحيين قد ظل آخذا بالازدياد عقيب كل نصر او تقهقر لهذا كان هم الزعماء الوحيد المحافظة على هذه المباديء

تجاه جميع القاطنين على اختلاف مذاهبهم بصورة عامة وتجاه الاخوة المسيحيين بنوع خاص مما أودع حب الثائرين في قلوب الناس ومما حدا بالكثير من اهالي وسكان قرى هذا الاقليم ان تفد على الثائرين طالبة ان يشملوهم بحكمهم العادل وسلطتهم المنصفة الحقة التي كانت توزع العدل بين الناس على السواء من غير ميزة ولا مفضل من ذلك ماكان من مسلمي جديدة مرجعيون ومسيحييها معا وما كان ايضا من اهالي قرية كوكبا تلك القرية التي اتى كاهنها على راس وفد يطلب الى الثائرين ان يتناولوا الغداء على مائدته وان يدخلوا القرية آمنين مطمئنين .

لقد المعنا الى ان قسما من رعاع المسيحيين وحثالتهم او بالاحرى من دهمائهم وغوغائهم كانوا يناوئون الثورة ويمالئون السلطة عز عليهم ان يروا هذا الكاهن الجليل والحبر العظيم يبتغي الانصاف وينشد العدل بما طلب الى الثائرين فآلى على نفسه هذا القسم الذميم ان يقاوم رجال الثورة فاحتشد في مدخل القرية وقابل حمزة الدرويش ومن كان اليه باطلاق النار عليه فوقع من هؤلاء ثلاثة فصاح حمزة بصوت جهوري ما معناه كفوا ياقوم عن القتال واحقنوا الدماء ما استطعتم فوالله ما جئناكم لقتال او نضال او اذلال بل اتينا نحارب الفرنسيين المستعمرين واستهدفنا هذا العدو من دون الناس اجمعين . يا قوم قسما بشرف الدروز وهذه الثورة المباركة اننا حقنا الدماء ومنعنا العذاب واعتبرنا هذه القتلى الثلاث فداء عن هذا الوطن ان شئتموهم ان يكونوا كذلك وتأكدوا انكم خاسرون ان جنحتم الى غير هذا وان لم تكفوا عن اطلاق النار ... فلم يصيخوا الى مقاله ولم يصغوا الى ندائه ولم يأبهوا الى ما كان يتجلى في نبرات ندائه وخطابه من صدق وظلوا يصلون نار القتال فعلا رؤوس القوم قتام الحرب واشتد حينئذ القتل والضرب وحمل الثائرون وكانوا قلائل جدا حملة كادت ان تكون معقودة النصر لولا قلة العدد وضآلة العدد فكان من شهداء هذه المعركة ذلك الوطني الكبير والكاهن الفادي الذي اخلص النية في التضحية فكان ذبيح الوطن وظل عيسى في



المجاهد النبيل اديب سلام

الارض حقق رسالته فكان فداء عن اهل القرية وابناء الرعية . وكان كالمسيح الذي سيم العذاب من اخلص المخلصين اليه اذ فتك بهذا الكاهن الامين واحد من ابناء قريته ورعاياه .

راى قائد الحملة بعد ما جرى ان سداد الراي بالعودة الى حاصبيا وبعدم التقدم الى جديدة ، منعا من حدوث مالايحمد عقباه .

صبر الثائرون اياما اعدوا خلالها حملة لاحتلال الجديدة بقيادة حمزة الدرويش ونزيه المؤيد علهم يرون فيها غير ما كانوا يظنون ان يروه وعلهم يجدوا ان روح التعصب والشقاق التي بذرها العدو والمستعمر قد تلاشت وانقضت ولم يعد لها من اثر وان المسيحية والاسلام تعانقا فلم يحل دون وئامهما صعلوك زنيم او متفرنس ذميم فتوجهوا نحو الجديدة ولما بلغوا قرية ابل السقي التي تبعد عنها نصف ساعة تقريبا اعترضهم اهل هذه القرية التي معظم ساكنيها من الاخوة المسيحيين ودعوا الثائرين الاحرار الى تناول الطعام والمبيت فلبوا الدعوة وقضوا تلك الليلة لديهم وابان السهر والسمر اتى احد الشيوخ الى واحد من زعماء الثورة بكتاب بعث به بطرس كرم احد موارنة شمالي لبنان جيء به الى الجديدة يومئذ لصد الثوار عنها ولتأليف عصابة مارونية امدها الفرنسيون بالسلاح والمال لقتال الرجال الابرار ولايقاع الفتنة والوقيعة بين الاخوة من مسيحيين واسلام . وكان هذا الكتاب مفعما بالسب والشتم والتهديد والوعيد وظن ان يكون جوابه من الثائرين بما هو اهل له من مثيل ما كتب غير انه طاش سهمه وصلد زنده وخاب فأله فالثائرون ليسوا على خلق كخلقه وعلى نفس كنفسه ولا على هدف وضيع دنيء كمراميه وامانيه وآماله انهم قاموا بالثورة للذود عن ابناء الوطن الواحد على اختلاف النحل والملل والاديان والاجناس انهم ما قاموا لقتال المسيحي ولو قاتلهم ولا لطعن اليهودي ولو طاعنهم ولا للانتقام من اي واحد من ابناء الوطن مهما اختلف دينه عن دينهم ومهما افترق جنسه عن جنسهم وملته عن ملتهم

وشاؤوا ان يعلنوا لبطرس هذا ما غفل عنه من سمو قصد الثورة وعلو مبدأها وشرف رجالها فأجابوه على ذلك الكتاب برديد اوضحوا فيه الغاية من الثورة والغرض من القيام والمأرب من هذا القتال والاحتلال والزحف وصرحوا له بأنهم اعداء التعصب الطائفي واعداء من يقول به واعداء الفرنسي الذي شدد اواصر التفرقة وباعد بين الاخوة والقى بذور التفرقة والبغضاء بين الاهل والخلان وان الثورة ضد المستعمر افرنسي كان ام غيره وان المسيحيين في مأمن من كل اعتداء مهما اعتدى بعضهم على الثائرين ومهما احب ان ينفذ مطامع الفرنسيين في رجال الثورة فهم يقابلون الشتيمة بالعفو والوقيعة بالصفح ويعلمون الناس كيف يجب ان تكون مكارم الاخلاق وختموا ذلك الرديد بقولهم « الدين لله والوطن للجميع ولكل رأيه ومذهبه واجتهاده ولكم دينكم ولنا دين » .

عادوا ثانية الى حاصبيا ولم يشاؤوا ان يتقدموا الى جديدة من بعد هذا الكتاب لانهم صادقون فيما كتبوا واجابوا ولا يبتغون اهراق دماء احد من الوطن وان الدم المسيحي المهراق لا يقل شأنا ومكانة عن دم المسلم المراق هذا اذا لم يكن الاول اغلى على الثائر واعز فلا بدع اذن ان ينكفيء الثائرون جديدة ...

اقبل على حاصبيا بعد ذلك القائد العام في الاقليم زيد الاطرش فذكروا له ما وقع لهم مع بطرس وما كان منهم تجاهه وما بيتوا عليه من عدم الزحف على الجديدة فكان جد مسرورا وامن على ما قالوا واستصوب مافعلوا واذاع المنشور التالي :

الدين لله والوطن للجميع

الى اخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين اعزهم الله .

١ - ماروني من اهالي شمالي لبنان جاء به الفرنسيون الى الجديدة يومئذ للدفاع عنها والفوا له عصابة مارونية امدوها بالسلاح والمال لقتال الثوار وايقاع الشقاق بين طوائف البلاد واغراء المسيحيين بالمسلمين والمسلمين بالمسيحيين .

بلغنا من الوطنيين الاعزاء ان بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فأخذوا ينزحون توهما منهم ان الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى فساءنا هذا الخبر وآلمنا جد الالم لانهم اخوان لنا لا فرق بينهم قانعين بما ردوا به على ذلك الماروني بطرس المسكين وان يصبروا عن دخول وبين اي كان من الطوائف الاخرى وثانيا لان عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما اسلفناه من البيانات التي اوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا الى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية على حين اننا لم نفعل ذلك تنزيها للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية . ولكننا راينا بعض السذج لم يدركوا الاغراض النبيلة التي ترمي اليها ثورتنا هذه فأسرعنا ببياننا على هذه الصورة تطمينا لهم واننا نرجوا ان نثبت لكم عن قريب ان المبدأ الرئيسي الذي تستند عليه حركتنا القومية هو ما صدرنا به هذا الكلام : « الدين لله والوطن للجميع » .

معركــــة راشيــا

بعد ان رسخت اقدام الحملة في اقليم البلان على ما مر وبعد ان وطدت سلطانها في قضائي القنيطرة ووادي العجم وتناولت حاصبيا ايضا نمي اليها ان واقعة وقعت بين دروز راشيا والحامية التي فيها وان السلطة قــامت هنالك بما تقشعر منــه الابدان ويندى منــه وجــه الانسان وانــه لا مروءة لصابر عن نجدة ولا نخوة لقــاعد عن لهفة ولا صبر لمن يحمل بين جانحتيــه وفي راسه شرف والبلد العــامر بأخوتــه يندك واهاليه تسيء وتذبح وتسام سوء العذاب .

ثارت ثائرة الدم العربي في من كانوا معرسين بحاصبيا فأرسلوا تحت امرة حمزة الدرويش قسما كبيرا من قواهم كان من بينها نزيــه المؤيد وأسد الاطرش وشكيب وهاب وصبري فريد البديوي فألفوا قوة توجهت نحو راشيا لانقاذ من بقي من أهلهــا سالما من الاذى . وما ان مشوا نحو تلك القرية يسيرا حتى صادفوا في الطريق عوائل عدة نزحت عن راشيا لما عانوه فيها من ذل ونصب وعنة . بارحوهــا بوضع مؤلم وبحال يدمي وبمنظر ومشهــد يحز النفوس والاحساس . تلاقى رجال الحملة بشيخ فر يقود بقرته وقد حملها ما يلتحف ويفترش ، وبعجــوز جرت وراءهــا حمارا اركبت عليــه صغارها العديدين ، وبهيفاء فاقت البــدر جمالا تساقط لؤلؤ دمعها من نرجس عينيها لقتل خطيب او حبيب او واحد من ذويها وبأم ثكلت ابنها فمزقت الخــدود وشقت الجيوب وملأت ولاويلها تلك الجبال والبطاح ، وبطفل حز السير قدميه فسال دما يتجمد كــل ما سار نجيعا . تلك لعمرك مرائي تفتت الاكباد وتهلع النفوس وتقلق القلوب . وتهيب بأقسى الافئدة لأن يهيب الى راشيا لينقــذ من فيها من الاهلين فما بالــك بمن رأى ذلك وهو ذاهب للثأر ممن فظع ونكل

وفضح . رات رجال الحملة ما راوا فكان هذا المشهد شاحذا لهممهم وغـازا لسيرهم ومهمازا يدفعهم لان يطيروا لـو استطاعوا كي يبلغوا البلـد الذي فضح بأهلهـا وبدع .

ساروا يبتغون راشيا فوصلوها بالعشرين من تشرين الثاني وفيها عـدد من الجند الفرنسي لجأ الى القلعة يتحصن فيها فيدرأ عنه عادية الردى مـن يد الثائرين وقد صمم هذا العدد على الدفاع حتى النهاية فاجتمع وفـد رجا حمزة الدرويش ان ينجلي عن البلد حتى لا يرمي بلدهم بالقنابل من قبل رجال السلطة وحتى لا يندك كـل صرح فيـه وبنيان بأعمال التدمير . فقال حمزة بعدم الامكان الاصغاء لما طلب اليـه وبوجوب الاحتلال مهما كلف الامر وبأنـه مأمور بانفـاذ ما يحمل من اوامر فلا مجال للعدول عن الدخول اليه .

كانت القلعة تدعى بقلعة الامراء الشهابيين وهي واقعة في منتصف الطريق تطل على جهات المدينة الاربع وكانت تبعـد عن موقع الثائرين خمسمئة متر تقريبا وكان في كل منفذ من منافذها او شق من شقوقها او سطح من سطوحها اكياس من الرمـل وحوائل حجرية لحماية من خلفها من رصاص المجاهدين وكان عدد من لجأ اليهـا للتحصن فيها مؤلف من ٣٥٠ جنديا فرنسيا ومئـة وخمسين ماروني تجند في الجيش الفرنسي و ٧٠ مسيحي تطوع من اهـل راشيا لمقاتلة الثائرين الذين ما كان يقل عددهم عن الالفين .

ففي زوال الاحد في ٢٢ تشرين الثاني هاجم الثائرون القلعـة وانقسموا فرقا ثلاثة واحدة تقتني السلالم العادية الخشبية واخرى وبيدها القنـابل اليدوية الى لحف مغموسـة بالنفط يتقدمون القلعة وثالثـة وراءهم وهـي حملـة البنادق .

تقدمت هذه الفرق وقد استخفت بالموت فلم تحسب له حسابا ولم تقم لـه وزنا وانبرت تطلبه من رصاص تلـك القلعـة وكواهـا فصدقت الحملة عليها وتلقت وابلا من رصاصها كبرد من السماء في يوم حر قائظ واستلمت

كل فرقة جهة من جهات القلعة تهاجمها هجوما دونه انقضاض الصواعق ووثبات الاسود وكان كل من الهاجمين وطن نفسه على ان يكون سلما يصعد على جثته اخوه من خلفه حتى يبلغ مناه فيفتك يقاتل من خر صريعا وبذا استشهد من متسلقي السلالم ما لايقل عن مئتي بطل اشوس صنديد . الا ان الامر الذي لا ندحة عن ذكره هو انه ما كان ليتجندل في اسفل السور واحد ما لم يكن قد القى بما يحمله بيده ولو قطعة من نار يلقي بها داخل القلعة وظل العدد الكثير من الثائرين يخر صريعا في ساحة الشرف والمجد حتى ارتأى قسم من الابطال ان يبادروا بالهجوم على بابي القلعة الشرقي والغربي وان يعمدوا الى احراقهما بالنار وكسرهما بالفؤوس وكان على كل باب قوة فخلف الباب الشرقي فرقة السباهية التي كانت تقابل الثائرين بالسلاح الابيض وخلف الباب الغربي فرقة من الروس كانت تطعن المجاهدين بالحراب .

حمى وطيس المعركة وجاد الثائرون بالارواح عن سخاء وما كان يتقهقر واحد منهم حيا وما ولى احد منهم ظهره لوجهه بل كان يتقدم الى الامام والى الامام وابرز كل مجاهد ما يؤيد يقينه بالله وطلبه الاستشهاد في سبيله وتدافع الثائرون الى الموت تدافع الجياع على القصاع واقتحم القسم منهم مدخل الباب الغربي حيث يبدأ به سرداب طوله عشرة امتار بعرض مترين فما كان يلجأ ثائر الا وينتهي منه الى الموت وما كان يخلص منه مجاهد ويوشك ان يكون في ساحة القلعة حتى يقابله واحد من الروسيين بحربة فيتجندل فيحل محله ثان يكون نصيبه كالاول وهكذا حتى تكدست جثث الشهداء بعضا فوق بعض فكان هم القسم من المجاهدين ان يسحب تلك الاجسام الطاهرة الى خارج القلعة حتى يتخذ من تراكمها مرقاة يصعد به الى السطح وبذا استطاع لفيف من المجاهدين ان يتسلق الى سفح قبو لا يعلو من الخارج اكثر من امتار خمس واخذ يساعد الفرقة المهاجمة من ناحية الجنوب بما كان من قطع لاهبة لاسعار النار .

وكانت الفرقة التي داهمت الجنوب بقيادة البطلين المؤيد واسعد الكنج، فارتأى الاول المؤيد ان يعمد الى شق طريق في منازل الجهة الغربية الجنوبية للوصول الى عقب جدران القلعة واخذ مع اخوانه للعمل بذلك وما ان اضبح الصباح حتى كان المجاهدون امام اسلاك شائكة في آخر النفق وقد بلغ الثائرون اسفل الجدران والجند تشرف عليهم من الاعلى وقد اصبح من المتعذر على الثائر ان يخرج الى دائرة الاسلاك مادام الجند مرابط على سطح القلعة لهذا احدث المجاهدون في بعض جدران المنازل انقاب وقف رهط منهم وراءها بقيادة البطلين أسد الاطرش وصبري البديوي وطفق هؤلاء الاشاوس يلقون النار على الجند القائمين على حراسة الجدار الذي اصبح تحته المجاهدون وظل اطلاق النار كذلك الى ان اضطر الجند على الجلاء فأمن المجاهدون الذين بأسفل الجدار من رصاص الاعداء غير ان الجند قد ادرك ما رمى المجاهدون اليه فأخذ يرميهم بالقذائف اليدوية من وجهات عدة فثار ثائر الابطال وتقدموا من الاسلاك الشائكة فاقتلعوها بأبلغ ما يكون عليه المقاتل من جراة وحماس واندفعوا كالسيل تحت النيران المتدفقة وتحت حبائل الرصاص التي توالت واتى قسم منهم بسلمين طويلين شدا بعضا الى بعض حتى صارا واحدا طويلا والقوا به على جدار القلعة البالغ خمسة عشر مترا وشاء كل واحد منهم ان يذهب الى ربه عن اهون سبيل واقرب الفجاج فانبرى يصعد هذا السلم كل منهم حتى اذا ما بلغ منتهاه اصابته مرمية ألقته ممددا على الثرى وكان في مقدمة الفائزين بالشهادة البطل المغوار نسيب الاسعد ثم اعقبه الشهيد الباسل حامد كمال وتوالى الصعود من الثائرين كما توالى الرمي من الجند فقضى من البواسل الابطال عدد كبير كان مثال الوطنية ودليل التضحية عندها فكر البطل المؤيد بوسيلة يدخل القلعة فيها تلك هي ان يعمد الى القاء قذائف يدوية عديدة بصورة متوالية على خلف الاستحكام من غير ان يصعد اليه او ان يشرئب بعنقه على جداره . وقد نفذ ذلك بالفعل فأخذ باطلاق القنابل واحدة بعد واحدة فكان يسمع المجاهدون



المجاهد اللامع صبري فريد البديوي

على اثر انفجارها صراخ السنغال وعويلهم وعدوهم فوق السطح وقد اصابت منهم مقتلا عظيما . فاشتد ساعد المجاهدين ولمسوا صواب هذا الراي فصعد المجاهد المؤيد وخلفه البطل حميد الشامي وسلمان مرعي وابراهيم حمودة وصبري البديوي والمجاهدين يطلقون القنابل على الجند ويعملون النار في كل الجهات والنواحي فارتبك الفرنسيون لهذه المباغتة واخذوا بالفرار من ناحية الى

ناحية حتى لجأ قسم كبير منهم الى غرفة في القلعة سقفها قريب من الاستحكام الذي كان المجاهدون فيه فأشعل الثائرون النار في سقف الغرفة فلهب وتساقط حممه عليهم وقد رهبوا من ذلك وفزعوا منه فزعا كبيرا وفروا الى أقبية القلعة في الدور الارضي يطلقون النار وخصيصا كانوا يطلقون النار (كانوا يطلقون في السماء صواريخ اشارة الاستنجاد اذ كانت هذه القذائف الآخذة في السماء صعودا تنشر انوارا وهاجة حمراء تفعم الافق نورا شديد السطوع زمنا طويلا والفى بقية المجاهدين ممرا في اسفل السلم مغطى بأحجار قليلة اقتلعوها فخلصوا منه الى القلعة واندفقوا كالسيل ينشدون ويهللون ويكبرون وحطم المجاهدون الآخرون الذين كانوا بقيادة البطلين شكيب وهاب وحمزة الدرويش ابواب القلعة فدخلوها وقد ابلوا بالاعداء البلاء الحسن وكان معهم البطل صبري البديوي ورجال الشام وابطال المجدل . وكانت الطائرات تحلق فوق راشيا كل النهار من غير ان تلقي بالقنابل على البلد تفاديا من ان تصاب القلعة وخصت بقنابلها كل شخص قاصدا راشيا او خارجا منها ، رمت على القلعة لفافات من ورق تحمل توقيع الجنرال غاملان خطابا الى قائد القلعة تعريبها : « ستصل النجدات الى راشيا في الوقت المقرر لها كي تحيط بالدروز نهنئكم بدفاعكم المجيد » .

General Gamlin

C dt Arme

Rachaya 21 Novembre midi 30

Colonelles arriveront à Rachaya a date prevue raison encerclement Druses vous adresse felicitations pour Belle defense

Signé **G. Gamlin**

ثم دخل المجاهدين القلعة وبدأوا يتجولون في انحائها ومنعطفاتها فألفوا في غرفة منها بعضا من جنود القناصة اللبنانية وما ان شعر هؤلاء الجنود بالمجاهدين قد بلغوهم حتى اخذوا يصيحون مستنجدين : « نحن بوجه سلطان باشا ووجهكم » ويقصدون بذلك انهم في حمى قائد الثورة العام وفي حماهم وانهم قد سلموا امرهم اليهم وان حياتهم اصبحت بين يديهم فكرمى للقائد العام سلطان باشا الاطرش وكرمى للعروبة التي استجاروا فيها والنخوة التي لجؤوا اليها عفا المجاهدون عنهم فلم يمسوا واحد منهم بأذى . على رغم ما كانوا ابدوه من صنوف المقاومة والعناء في القتال مما لم يقم به نفس الفرنسيين نحو المجاهدين . وعلى هذا فقد تم النصر المبين للمجاهدين الصابرين بدخول القلعة من ناحيتها الجنوبية في الساعة الثانية من بعد ظهر الاثنين بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ مما يذكر للابطال الاشداء من الفعال بالشكر والتقدير والثناء في هذه المعارك التي لم يسبق لها في الثورة السورية من مثيل ما قام به كل من نزيه المؤيد ، وحمزة الدرويش وشكيب وهاب واسعد الكنج واسد الاطرش ، وصبري البديوي وفرحان عبدالله وحسن القنطار وسلمان مرعي ونجيب يوسف علم الدين وحميد الشامي وابراهيم حمودة واخوانهم الابطال المغاوير الذين رفعوا رأس الثورة السورية عاليا والذين ابدوا من اصالة الرأي وسداد الفكر وصواب الحجى مرفوقا كل ذلك بالمفاداة والتضحية التي ذهبت في الورى مثلا ما مهد لهم سبيل الظفرباحتلال القلعة وقهر الاعداء .

اما من كان سببا من اسباب النصر وعلما بارزا من اعلام الجهاد ووسيلة من الوسائل الحقيقية التي بنى عليها اولئك الابطال ذلك النصر المبين فكانوا حجرا اساسيا في ذلك البناء العالي من المجد والذين كانوا اللبن التي اقيم عليها صرح ذلك الفخار فكانوا شهداءه هم حسن حمود الصفدي وفارس حمود ومحمد السلقي وقاسم الفعلق وغيرهم مما لم تتصل بنا اسماؤهم



المجاهدون الابرار : عبد القادر سكر ، الامير عز الدين الجزائري ، سعيد العاص ، فارس عقيل

كانوا غرة في جبين هذه المعركة الوضاءة .

ما ان استقر بالمجاهدين المقام في القلعة حتى كانت النجدات من الفرنسيين قد اخذت بالزحف واحدة تلو اخرى في منتصف ليل الاثنين

اتت فرقة من رياق الى اسفل المحيته وقد اركزت مدافعها الثقيلة واخذت تلقي القنابل حول القلعة وسارت فرسانها تحميها المدافع فقامت هذه الفرسان بحركة التفاف من جبل ضهر الاحمر الى سهل كفر قوق غربي راشيا وشمالها والى جهات بستان عين اللبوة والعقبة جنوبا كما ان فرقة من جزين نهضت في نفس الوقت ونامت في قرية كفر مشتا غربي راشيا ناحية مدافعها الجبلية تحت كنيسة كفر مشتا مطلقة المدافع من هنالك على راشيا وقد تقدمت عساكرها تحت حماية المدافع في هضاب بيت كيفا وكروم المنشار التابعة لراشيا .

فرأى الثائرون حينئذ ان ينسحبوا الى حاصبيا قبل ان يحدق الجند بهم من كل طرف وقبل ان يستولي عليهم فيقعون اسرى بين يديه وبذلك اشتبك المجاهدون مع الجند التي وصلت الى راشيا فشق الثائرون لانفسهم طريقا في الناحية الشرقية الجنوبية من جبل الشيخ مارين بعين عطا وانسحب بيت العريان وبعض دروز القرى الشمالية لقرية عيحا . فاستولى الجيش صباح ٢٣ منه على راشيا من بعد ان قتل في هذه المعركة كل من الكومندان تينه والكابتين غرانجيه وقد تولى مكان الاخير الكابتين جروس دي مارليان فكانت معركة راشيا من اعظم المعارك التي نشبت بين المجاهدين والسلطة الفرنسية بما اظهره الثائرون من الشجاعة والبسالة .

لقد كان شكل الثورة السورية تبدل كثيرا عما آل اليه اخيرا لو كتب للمجاهدين البقاء في القلعة زمنا ما يتمكنون من بعده من الزحف على رياق وزحلة ولكن هكذا كانت مشيئة الله ولا مراد لحكمه وهكذا تهدمت اعظم بيوت راشيا واصبحت قاعا صفصفا خرابا يبابا .

الحكمين الوطني والافرنسي

مما سنأتي على ذكره من حوادث يستطيع المطالع الكريم ان يرى الفـرق بين ما كانت عليـه البلاد الواقعة في وادي التيم ابـان رضوخهـا للوطنيين الثائرين وابان رضوخها للفرنسيين المتمدنين :

١ ــ بعد ان انجلى الثوار عن منطقة حاصبيا في رابع كانون الاول قصد كنيسة عين قنية اثني وعشرين امرأة وفتاة من النصارى مصحوبات بكاهن الكنيسة . فعندما اقتحم الجند الفرنسي البلد ثم باب الكنيسة هاجموا من كن هنـالك وانبروا بالاعتداء على عفاف الفتيات هناك ومما يروى عن الفظاعة التي ارتكبها هؤلاء الجند بألم واسف شديدين ان أغمي على واحدة من تلـك النسوة لعديد ما تعاقب عليها من جنود . وعندما سمع اهالي قرية الخيـام بأمرها هب الكثير منهم الى استطلاع خبرها بالذات ورؤيـة ما جرى لهـا بالعين فآبوا مستنكرين ما رأوها به من وضـع ومشفقين على ما اصابها من حادث وبامكان المحقق المدقق ان يتثبت من هذه الحادثة المفجعة .

٢ ــ عندما احتل الضباط الفرنسيون راشيا دخل ثلاثة منهم منزل احد اهاليها وهو م.س فاعملوا فيه النهب من بعد ان اتوا الافعال الشنيعة الرذيلة مع زوجـة ذلك الرجل وشقيقتيه على مشهد ومرأى منه وغادروا الدار وعلى مناكب الجنود اكداس الطنافس والامتعة .

كان الرجل من احد التبعة البريطانية . فما ان تم له ماذكرنا حتى هرع الى بيروت يطلـع المعتمـد البريطاني على ما جرى لـه ولآل بيتـه . فاهتم المعتمد لهذه القضية واسرع توا الى الجنرال ديبور يطلعه على الامر فكـان جوابـه ما تعريبه « ان البلد يا سعادة القنصل في حرب والبلد الذي يكون هذا شأنها لا يمكن إن يمنع الجند من التعدي » .



المجاهدون الابرار السادة :
في الوسط ابو عمر ديبو وعلى يمينه حسن رعد وعلى شماله زكي الحلبي
من الخلف الامير احمد الشهابي محمود خيتي الشيخ نجيب رعد عبد الكريم

٣ – بين العوائل الدرزية في راشيا عائلة زاكي التي يرأسها الشيخ نعمان زاكي قاضي المذهب الدرزي والسنيين اشتهر هذا الرجل وعائلته بموالتهم الفرنسيين ومواساتهم لجرحاهم ولما يعلمه افراد اسرته من هذه الموالاة للسلطة وسابق معروفه مع الجند فانه ظل في راشيا على اثر جلاء الثوار عنها ولم ينسحب منها ظانا ان الفرنسيين اصدقاء صميمين له يتناول اذاهم سواه ويحل عذابهم لغيره ونقمتهم ممن لم يلقون اليهم بالمودة . اما ما كان من اصدقائه الاكارم واعزائه الاوفياء رجال السلطة الفرنسية عندما دخلوا راشيا في ٢٦ تشرين الثاني وعندما استقام لهم الامر واستقرت الحال فانهم فكروا بذلك الصديق الحميم واسرته الكريمة واحبوا ان يوفوها أجر الاخلاص لهم وان يجزوها عما اسلفتهم من صنيع جميل خير جزاء فراحوا يتفقدون هذه العائلة المبرورة حتى عثروا بأفرادها وعددهم تسع بين امرأة ورجل فجمعوهم واوقفوهم الى احد الجدر صفا واحدا واتاهم ضابط برتبة ملازم افرنسي يستمريء القائد بأمرهم فأجابه متهكما بهم بقوله ما تعريبه : « هيء لهم بطاقات سفر درجة اولى ولكن للصين » عانيا بما قال التهكم على معتقدات الدروز اذ يعتقدون بالتقمص بعد الموت وانتقال الروح الى الصين . فصدع الملازم بأمر قائده واحسن اعطاء البطاقات التي كانت عبارة عن طلق ناري من مسدسه يخترق صدر كل منهم رغم وجود نساء بينهم .

قال احد ضباط لبنان الذين رافقوا الجيش الفرنسي عندما رأى هذه الفاجعة : « ان افظع ما ارتكبه الفرنسيون في تاريخ حياتهم هو ما فعلوه بأسرة زاكي لغير جرم او ذنب » .

٤ – بين سكان زغرتا – لبنان – رجل تطوع في الجيش الفرنسي او بالاصح زين له التطوع فكان في عداد رجال القناصة اللبنانية وكان يدعى غطاس كرم طاف بقرى درزية واقعة في قضاء حاصبيا وراشيا فعمل وجماعته اثناء الطواف بهذه القرى السلب والنهب والنار وعندما بلغوا قريتي السريرة

والقطرانة نهبوا الاموال والمواشي بما فيها سبعمائة راس من الماعز يملكها رجل يدعى ابو احمد اصاب احد رجال العصابات المسيحية منها وهو يوسف الزيلع مئة وخمسين راسا . ومما يجدر بالذكر ان بين افراد هذه العصابة رجالا من الجناة العصاة ارتكبوا جرائم القتل بلفيف من بني معروف فحوكموا امام المجلس العسكري وقد برأ ساحتهم فاشترك هؤلاء المجرمون في نهب القرى ومن بينها جزين وما جاورها فأطلقت السلطة يدهم يعملون مايشاؤون من نهب وسلب وتعكير صفو .

٥ ــ عقيب احتلال الفرنسيين حاصبيا واشعالهم دور الدروز والسنيين استفظع ساكنوا قرية الخيام هذا الامر واستهجنوه وهرعوا الى القومندان كوستون يشكون اليه ما فعله الجند . فما كان من هذا القائد الا ان قال لهم : « ان الحكومة هي التي امرته باشعال النار في بيت سامي شمسي فأعمل فيه النار تنفيذا لامرها . وان مابقي من البيوت المحروقة فالمسيحيون من اهالي حاصبيا وكوكبا وراشيا هم الذين اشعلوا النار فيها . وان التبعة والمسؤولية عليهم لاعليه » . وقد قصد بما قال اثارة الحفائظ في نفس الدروز على المسيحيين علهم يهتاجوا فيغيرون على النصارى بذبح عظيم .

٦ ــ ذكر احد الشيعة من اهالي قرية الخيام التابعة الى حاصبيا لـ ا بك خ من اعيان صيدا ووجهائها ان الجند الفرنسي احرق في حاصبيا اربع نساء من الدروز عجزن عن اللحاق برجالهن ولم يبق الجنود على باب او نافذة الا وقد اتخذوا منها الوقود والمسيحيون جميعا واقفون على هذه الفظائع ولكن لا يجرؤون على ذكرها . حتى ان احد المسيحيين الاشراف اديب قطيط صرح بقوله : السلطة هي التي تنهبنا ولولا ما فعله اشياعها وصنائعها غطاس وبطرس كرم من اعمال شائنة ما كان الثائرون ليدخلوا مرجعيون وقد امن على ذلك احد مسيحيي مرجعيون السيد مراد علوية . كان النصارى يستطيعون الجهر بما شاهدوه لولا مخافة ان تنتقم السلطة منهم من جهة ولولا ان ينقطع عنهم



المجاهدون البواسل محمد الشعراوي ابو جود العاتي
رشيد الجوخدار ، ابو ياسين الخانجي ، ابو حامد الشربيني

التعويض الذي وعدوا به .

٧ ـ كانت في بلدة راشيا عانس في العقد الخامس من العمر عجوز شمطاء تتقزز منها النفوس وتبتعد عنها الرجال . فعندما دخل الجيش الفرنسي هذه البلد واقبل عليها الجند رغم ما ذكر بوضعها الذي كانت فيه وقد ارتكبوا معها الفعل الدنيء وقد اخذوا يتوالون عليها الواحد بعد الآخر حتى بلغ عدد من واقعها سبعة عشر جنديا . وما ان علم بالامر احد اقربائها « ي.ن » حتى خف الى جريدة البرق البيروتية يطلب الى صاحبها ان ينوه بهذه الحادثة فذعر صاحب الجريدة على جريدته وخاف ان تمنى بالتعطيل .

اجتزأنا هذه الحوادث القليلة واقتصرنا على ذكرها تاركين عددا كبيرا جدا من نوعها يضيق بنا رحب هذا الكتاب عن تعدادها .

فمن المقايسة بين ما قام به الثائرون المجاهدون من صنيع وفعل ابان دخول هذا الوادي تحت قبضتهم ومن بين هذه الافاعيل والفظائع التي ارتكبها رجال ينتحلون اسم المدنية ويدعون بالحضارة يتضح الفرق العظيم والبون الشاسع بين هؤلاء المتمدنين واولهك المتوحشين فليسجل التاريخ على كل منهما ما يستحق من رمي بالمدنية او الهمجية .

الحملة على الاقليم ثانية :

جهز متعب الاطرش حملة بقيادته من بني معروف وصلت في اواسط كانون الاول ديسمبر من عام ١٩٢٥ قرية الكفير من اعمال حاصبيا اقامت فيها يومين وبارحتها لتهاجم مركز «شويا» الكائنة في شرقي حاصبيا والمشرف ذلك المركز على كل هاتيك النواحي . لقد حصنه الفرنسيون تحصينا عظيما واركزوا فيه احد عشر مدفعا كبيرا وكثيرا من المدافع الرشاشة ولذلك عندما اقترب الثائرون من ذلك المركز اصلاهم نارا حامية ابعدهم بها عنه

فآبوا حتى اذا ما بزغ الفجر ومد الصباح رواقه تابعوا السير الى قرية المحيته اذ علموا بوصول مئتي جندي من الفرنسيين اليهـا . وبوصول الجند المحيتة اعملوا النـار فيها واسرعـوا بالعـودة على الفـور الى شويا من غير ان يلتقوا بالثائرين الذين تبعوهم وتسللوا بين الادغال والشعاب حتى بلغوا شولا وقد حصروها خمسة عشر ساعة كادوا ان يحتلوها لولا فرقة من الموارنة شهماء ؟! خرجت واحاطت ليـلا بالثائرين من جهة الجنوب فهاجمتهم فأصبحوا بـين نارين اضطروا حينئذ للارتداد الى الكفير وقد قصدوا قرية عين عطا ومجدل شمس واليك ايها القارىء الكريم نص الكتاب الذي بعث بـه متعب الاطرش الى اهـالي مرجعيون :

جناب الاجلاء الاماجد الحاج محمد افندي وعلي افنـدي وخنجر افندي العبد الله وعموم آل عبد الله في قريـة الخيام المحترمين .

بعد سؤال خاطركم نعرفكم انـه واصل انذار لتحت يد الحاج عبد الله ابو سمره واخيه يوسف بو سمرة من ابل السقي لاجل يبلغوه لمسيحيي حاصبيا ومرجعيون فعند اطلاعكم عليه تفهمون مضمونـه . والآن الخطة التي اتخذت قبلا لم تكن مدربـة لاننا غرب الديـار وحصل من ورائها ما حصل .

وعليـه ان قدر الله باشرنا بتدابير جديدة منظمـة والتوفيق على الله . اكدوا ايها الافاضل اننا لا نقصد الاعتداء على احد بل نحن مقاومون رجـال فرنسا الذين يريدون استعمار بلادنا ونحن لسنا ضد رجالهـا الاحرار الذين يريدون لنا كل خير . اما من جهة المسيحيين الذين تسلموا اسلحة من الحكومة بقصد مقاومتنا سوف نريهم منا ما يستحقونه وخصوصا اهالي راشيا الفخار الذين يضيقون على رجالنا العابري الطريق وقد قتلوا منهم حصانا وجرحـوا واحـدا من الذين يعتمد عليهم .

ثم بلغنا ان مسيحيي بلدتكم نهبوا حاصبيا ودخلوا مع الفرنسيين اليهـا فاذا استحسنتم ابلاغهم بارجاع ما نهبوه حيث لا يمكننا التغـاضي عنهم وترك

حقنا عندهم ولولا نظركم عليهم لكنا غير عاجزين عن تأديبهم فاذا لم يقبلوا نصيحتكم عرفونا .

لقد صادرت رجالنا بعض المكارين الذين اتوا من بلدتكم الى القنيطرة وصار تركهم اكراما لكم فبلغوا المكارين ان لا يعودوا ثانيا الى القنيطرة خوفا من وقوع سوء التفاهم ودام بقاكم .

حرر في ٢٥ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤

اخوكم متعب الاطرش

واقعة بلدة وبيلة

جرت بعد ضرب الشام في غوطة دمشق معارك عدة اجدرها بالذكر معركة بلدة ويبيلا اذ انقت الرعب في قلوب المستعمرين واخمدت من حماسهم واوهت من عزائمهم وباتوا لا يجرؤون على تخطي المخافر التي اتخذوها مركزا ثابتا لصد الهجمات الفجائية المتكررة .

لقد ارتأى الثائرون ان يتخذوا من الحرب اسلوب الدفاع لقاء هجوم العدو مع ارسال قوى لتطويقه وبذلك كانوا يحدثون فيه الفوضى والاضطراب والصعق ويحولون بينه وبين عتاده فيضطر الى التراجع والتقهقر ....

لقد وقعت بلدة ويبيله من غير ما كان المجاهدون يفكروا فيها ارتدى سليم المفتي ثوب الخيانة جهارا وفاخر فيه وباهى وقام بتأليف عصابة من مريضي النفوس ضعاف الايمان لقتال الوطنيين فأقسم البطل نزيه المؤيد على قتله فقاد خمسين فارسا ووجهته الميدان ولما ان جاوره اصطدم بالجند الفرنسي فاصطنع الانهزام والانسحاب مستدرجا ذلك الجيش الى ويبيله حيث وافاه متعب الاطرش من قرية الست بثمانين فارسا وهناك



البطل الرئيس عبد الوهاب عمر باشا

هناك لعب السيف في نحور الاعداء ورقابها فاشتفى غليـل الوطنيين مـن دمائهم وارتوى المجاهدون من نجيع كان ينفر من الاباهي والاوارد كفورات من الماء وقـد أحس الابطال الصناديد كسعيد العاص وعلي الاطرش وعبد القـادر سكر وعبد الوهـاب عمر باشا وخير الدين اللبابيدي الطيار وعمر عمر باشـا ومن كان اليهم من المجاهدين الاحرار بهذه المعركة فهبوا لنجدة الاخوة المجاهدين دليلهم ابو عبده سكر وحما وطيس المعركة حتى اصبـح الثائرون يتقارعون مع العدو بالقنابل اليدوية واغار البطل المغوار محمد عز الدين الحلبي برجاله على الاعداء ينجد أخوته الثائرين وظل يلاحقهـم حتى محطة القدم وقد استشهد مؤيد شرف وعشرة من الدروز وقد ابلى بالجند والجيش اعظم البلاء وظلت رحى الحرب دائرة منـذ الصباح الباكر حتـى الساعة السابعة مساء وفيها تم انهزام الجيش وانسحابه وتقهقره تاركـا من خلفه الغنائم للمجاهدين وقد ربح الثائرون الابرار احد عشر رشاشا و١١٣ بندقيـة و٨٠ حمل عتـاد مالئا بقتلاه تلـك البـطاح الفسـاح والاراضي الشاسعة . اما الجرحى فكانت اكثر من ستمئة عدا الجثث التي ظلت على قنيـة الميـاه .

بلغت الحماسة والبطولة بالثائرين مبلغا دفع البطل سعيد العاص لان يعمل القتـل في فلول الجيش ومنهزميه والفتك بهم لوحـده حتى ابـواب القشلة العزيزية في حي الميدان وحتى هنالك على بابها رمى احـد الضباط بعياره الناري فأرداه قتيـلا وعاد الى أخوته يعلن ما ذا فعل وما كـان على يـده . اما خسائر المجاهدين من قتلـى وجرحى فانهم لم تتجاوز الثمانية عشر تقريبـا .

على أثر هذا الانهزام المريع والتقهقر الشنيع اخذت مدافع السلطـة الفخيمة ! تستر هذا الفشل المريـع باطلاقها قنابلها وبدفعها طائراتها للتحليق والقاء القذائف حتى جن الليل وخيم .

كانت الغوطة في تلك الايام تحت نفوذ العصابات وسلطانها فتغلغل رجالها وانتشروا في قلمون والنبك وبلغوا قرية القصير وهددوا حمص شمالا وانتشروا في وادي بردى غربا دائبين على نسف الخط الحديدي بين بيروت ودمشق فعطلوه وعطلوا سير القطارات عليه مرارا عدة اما من ناحية الجنوب فقد انتشروا على طول خط حديد درعا دمشق يعملون على نسفه من حين الى حين ومن آونة الى اخرى مما ازعج السلطة واهاب بها دواما لتوزيع قواها على طول الخط للتصليح مرة وللمحافظة اخرى وبذا لم يهدأ للسلطة الفرنسية بال طوال تلك المدة .

معركة حمورة

أحاط الجيش الفرنسي بقرية جوبر وضيق الحصار عليها لما كان يقوم به اهلها نحوه من عجب عجاب مما لم يسبق لمثله شبيه في التاريخ من شجاعة ، الى فن حرب ، الى قتل عدو ، الى اضطراب وتشويش في الجيش ما خلد لها في صفحات التاريخ حتى لدى الفرنسيين انفسهم ذكرا مجيدا وعملا حميدا وشجاعة صارت مضرب الامثال .

بلغ الثائرين الاحرار ما عليه هذه القرية من تضييق حصار فهبوا لمساعدتها وكان ذلك في السابع عشر من كانون الاول من عام ١٩٢٥ وقد ألفوا حملة برئاسة البطل الكبير محمد عز الدين الحلبي ومعه كل من الابطال البواسل سعيد العاص ونزيه المؤيد ومنير الريس وخير الدين اللبابيدي وابي عبده سكر ومحمود ابو يحيى وسلامة الزير ومحمد الخطيب ويمموا وجههم لانقاذ جوبر فمروا بقرية حمورة حيث اشتبكوا بمن كان هنالك من الجند فتأزمت المعركة في داخل هذه القرية ـ حمورة ـ فأبدى فيها هؤلاء الصناديد الاشداء ما اشتهر عنهم في مثلها من بطولة وشجاعة واقدام وقد كاد ان يقبض على المجاهد الوطني منير الريس لو لم تدفع عادية الاعداء عنه ثيابه التي كان يرتديها والتي كانت تشابه



المجاهد الكبير الطبيب الجراح اللامع السيد امين رويحة وعقيلته الكريمة
وسط لفيف من المجاهدين الابرار السادة : سعيد العاص
وابو عبده فارس عقيل وصالح الشـــواني

بلونهـا وشكلها ثياب الشركس فاختلط بهم فتشابه الامر بشأنه وهكذا نجا مـن شرهم بأعجوبة غريبة ورد الله عنـه فتـك الاعداء الظالمين .

نفذ عتـاد الثائرين في آخر هذه المعركـة فاصطدم الفريقان وجهـا لوجـه واستبسل المجاهدون الاحرار استبسالا عظيما وقد انقذ الموقف كلٌ من المغاوير نزيـه المؤيد والمرحوم محمد علي الدروبي واخوة لهم آخرون كـان لصنيعهم اكبر التأثير واعظم الوقع على الاعداء .

وان مما اشتهرت به هذه الواقعة كثرة الآثام ، وغزارة الجرائم وتعدد التنكيل والاعتداء على الاعراض في تلك القرية بصورة ووضع لم يجرأ على اقترافها حيوان وناهيـك عما كان يقوم به الجند من ذبح اطفال ، وقتـلْ شيوخ وفضح نساء وحرق ارزاق وناهيك ايضا عما قام به هؤلاء الطغمـة اللئـام من هدم بيوت وبقر بطون وتفظيع شنيع .

لقد كان المجاهد منير الريس يرى بعينه من مخبأه في احد الحقـول التي لـم تصلها النـار ما كان يقوم بـه وحوش الانسانية من كـل عمـل همجي ترتعد لذكره الاجسام والنفوس والقلوب فتجاوز عدد القتلى مـن هؤلاء الابرياء الخمسين انسانا كما بلغت قتلى الجيش اثني وستين جنديا قتال الثائرين ابان الشتاء امر لا يطيقه الجنـد ولا يصبر عليه الجيش لاسيما في الغوطة لهذا لجأت السلطة الى تأسيس مخافر في القرى الآتية : دوما ، اوتايـا ، خرابو ، الشبعة ، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبـديلا فمن هذه السنة ان تفتر غالبـا حدة القتال في الشتاء وان تهدأ العاصفـة فيـه نوعا ما وان لا يسخر النضال في ابانـه كما يكون في غيره لهـذا ارتأى المجاهدون ان يعسكر البطل الكبير فوزي القاوقجي والمجاهد الباسل سعيد العاص ورجالهما في النبك وجهات الشمال وان يتمركز قسم كبير من مجاهدي الغوطـة مـع الوطني المقدام محمد عز الدين الحلبي ومن لديه من الدروز البواسل في الجبل المنيـع وان يظلّ في منطقة الشام كل مـن

الابطال نزيــه المؤيـد وابي عبده سكر وزكي الحلبي وابي قاسم الدرخباني والمهايني وغيرهم وقــد استطاع هؤلاء الاشاوس جميعا ان يعملوا في الحقل الوطني والجهاد الاقدس ما لاقبل لاحــد غيرهــم ان يعمله وقــد تركوا في تاريخ حياتهم صفحة من المع الصفحات في هذه الثورة الوطنية الكبرى فقد ثبتــوا الموقف رغم تبلبله ووطــدوا الاركــان على تزعزعهــا واستطاعوا لان يبعثوا التفاؤل بالنفوس رغم ما كانت تطلع به على الناس التقارير طافحـــة بالتشاؤم والتــذمر .

سكنت في الغوطة العاصفة في فصل الشتاء ولم يعد للحوادث مــن اثر مذكور اللهم الا ما كان من اغتيال البطل الشجاع حسن الخراط من قبــل الشركس في الحادي والعشرين من كانون الاول بقرية بلده . وما كان ايضا من مقتل الكولونيل فرن في وقعة الشبعة وقد سكت الفرنسيون عن خبر مقتلــه سبعة اشهر وكــان الفضل في هذه المعركة الظافرة للبطل الكبيــر الشهيد شوكت العائدي « من برز بعز الفعال في القتال واعظم المزايا فــي النضــال ومن علم الفرنسيين في الحرب دروسا كانوا بحاجة ماســة اليها وقد كتب بدم قلبــه على صفحات التاريخ اسطر الوطنية الحقــة والبطولة الخالدة والتضحية الكبرى » .

قال نزيــه المؤيد ما معناه في رســالة : « لقد ارهقنا العزيمة على ان نأتي بما يعكر صفــو السلطة ويخضد من شوكتها ويشوش عليهــا الامر ويربكها في كــل مكان فأخذنا بمهاجمة الخطــوط الحديدية التي تشل من حركتها والتي هي لهــا بمثابة الشرايين في الجسم فنسفنا في بحر يومين فقط خط شام درعا وخط شام بيروت واقتعدنا سبعة ايام على خط بيروت دمشق نتربص بالفرنسيين الدوائر فهزمنــا في غضون هذه الايام القلائل حملتين كبيرتين فرنسيتين شر هزيمة وبسبب نفاذ طعامنا وقلة علف خيلنا اضطررنــا بحكم الضرورة لان نعود الى الغوطة وهناك استطعنا ان نستــرد

ما غرب من عزمنـا وان نستعيد ما شرد من قوتنا وان نجمع الشمل وننظم الشـأن وان ندعو للجهاد والذود عن الحياض فلبى نداء الواجب معنا عـدد غفير التقفناه من كـل قريـة فرضناه عليها بسـلاحه وعتاده وكان صادف اذ ذاك رجوع البطل ابي عبـده ديب الشيخ من الجبل فكانت له اليد البيضاء بهـذه المهمة فشكرنا له يـده وقد اخذت جموعنا تزداد يوما عن يوم حتى بلغت آلاف مؤلفـة وبذلك تمكنا من تجهيز الحملات الى القلمون والاقليم لشد ازر الاخوان هنـاك » .

مما تقرأ ايهـا المطالع العزيز من رسـالة هذا البطل النزيه تدرك ما لاقى في سبيل احيـاء هذه المنطقة هذا الشجاع واخوته المجاهدين الابرار مـن عنـاء وخير ما نتقدم بـه اليهم جميعا قولنا لهم انهم رجال حق وانهم قاموا بواجبهم خير قيـام وهم خير من يعتمد عليهم في الليلة الدهماء والوقعـة السـوداء وبهذا بلاغ .

المندوب السامي لسورية ولبنـان في القاهرة والشام

اذيع في عاصمة الفرنسيين في الثامن من تشرين الثـاني سـنة ١٩٢٥ المرسوم الذي صدر بانهـاء المسيو هانري دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ مفوضا ساميا من قبـل فرنسا في سورية بدلا من سلفه سارايل وفي الثالث عشر من ذلك الشهر حصل مكاتب جريدة الاهرام بباريز من ذلك المفوض على حديث سياسي اوضح فيـه وجهتـه السياسية في سورية وافاض بالبحث عن ذلك بما فيـه كفاية وقد قال ما تعريبـه : « لقد جاء الـوقت الذي تعمل فيـه السياسة عملها فاذا كـان لا بد من استعمال القوة فانني

سأستعملها ولكن استعمالها يحزنني لان ما اريد عمله هنالك هو المساعدة في تنظيم الاستقلال الوطني تنظيما يجعل فرنسا واوروبا توافقان عليه وقال انه سيجعل شعاره في سورية احترام الجميع وسيضع نصب عينيه المستقبل لا الماضي فيجب ان يستأنف العمل على قاعدة جديدة وانه وهو رجل غير عسكري سيعمل بروح رجل غير عسكري وان وطنيته تساعده على فهم وطنية الآخرين ، وقال « واذا كان الدكتور شهبندر يريد الرجوع الى سورية ففي وسعه الرجوع اليها بلا خوف » .

وكان الامير جورج لطف الله في عاصمة الفرنسيين فدارت بينه وبين المسيو ديجوفنيل مباحثات سرية من جهة كما دارت بين المسيو جايار وزير فرنسا المفوض في مصر يومئذ وبين الامير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية محادثات من جهة ثانية فكان الاتفاق على ان يكون ما سيأتي من المباديء اساسا لحل المعضلة السورية متعهدا الامير ميشيل باقناع اللجنة مبدئيا بالقبول اما المباديء فهي :

١ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

٢ ــ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقا على كرامتها .

٣ ــ يفصل في مسألة الوحدة السورية في المستقبل بين أولي الشأن انفسهم .

٤ ــ تنشأ ادارة وطنية حائزة على ثقة البلاد .

٥ ــ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فيبقى لاهله .

كما اتفق الفريقان على ان يتقابل المندوب السامي مع رجال اللجنة التنفيذية في القاهرة وان تعلن هذه المباديء ويباشر بانفاذها .

بينما كان المسيو دي جوفنيل في عاصمة بلاده دعا اليه الامير شكيب
ارسلان حتى اذا ما بلغ عاصمة الفرنسيين والتقى بداعيه تجاذبا اطراف
الحديث بما يجب ان يكون لحل المعضلة السورية ووقف القتال وقد طلب
المندوب الى الامير تنظيم المشروع الذي يراه لحل المشكلة السورية فنظم
الامير ما يلي :

« عقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة تكون محالفة النظير
لنظيره يتعهد السوريون في هذه المحالفة بأن لا يأخذوا متخصصين فنيين
الا من فرنسا ولا يعقدوا قرضا الا في فرنسا . ولا يأخذوا ضباطا اذا
لزمهم من ذلك لتدريب جيشهم الا من فرنسا . واذا عجزوا بالانفراد عن
استثمار منابع الثروة في بلادهم لا يستمدون الا من مال فرنسا وصناعة
الجديد الى عاصمة البريطانيين حيث يتصل بوزير خارجيتها المستر
اياه ووعد بذلك خيرا وفي التاسع عشر من ذلك الشهر توجه المفوض
شامبرلن ومما شاع عن هذه الزيارة انها بغية الحصول على ما يمكن بلوغه
السوري . اذا نشبت حرب مع فرنسا يتعهد السوريون بتقديم عدد من
فرنسا . اذا هجم هاجم على سورية تتعهد فرنسا بتعضيد الجيش

تناول المفوض الجديد من الامير المشروع الذي المعنا اليه وقال بدرسه
او اتخاذ قاعدة بحرية في سواحل لبنان ».
الدولة السورية فيما لو رضيت حكومة لبنان بابقاء حامية فرنسية في لبنان
الجند لمساعدتها يتم الاتفاق عليه بشرط ان تجهزه فرنسا . لا تعارض
من المعلومات التي يتخذ منها ما يساعده على مواجهة المعضلة السورية ولكي
يقف على دخائل السياسة البريطانية في الشرق الادنى واساليبها الديبلوماسية
وقد تناول طعام العشاء الى كل من المستر شامبرلن والمستر ايمري
وزير مستعمرات انكلترا وسلخ معهما ساعتين تحدث اليهما فيها عن وضع
سورية وقد اتفقوا على الاسراع في تعيين الحدود بين سورية وفلسطين من

ناحية والحدود بين سورية والعراق من ناحية ثانية . وعلى تعاون الحكومتين في ربوع الشرق تضامنا وتكافلا .

احتجاج عاهل العرب

جلالة الملك حسين بن علي

لقد بعث جلالة الملك حسين بن علي من مقره اذ ذاك في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ الى رئيس جامعة الامم محتجا على ما جرى في سورية بالنص الآتي :

« بصفتي المعلومة الاساسية اقدم لفخامتك وللهيئة الموقرة احتراماتي ثم أجلب أنظار كمالات مزاياكم الى المعاملات الجارية في عموم سورية ونتائجها المؤدية الى محو العرب والمؤثرة حتى على شرف المقصد الاساسي من تشكيل وتأسيس هيئتكم المعظمة سيما بعد اعلان الجلفاء بصورة رسمية انهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لخلاص الشعوب المظلومة واعادة حقوقهم ومنافعهم الا ان العرب لا تشملهم مقاصد تلك التأسيسات ولكن بلاغ العظمة البريطانية اخيرا لمخلصكم بأن هيئتكم الموقرة قررت انتداب عظمتها ايضا على معان والعقبة ضمن انتدابها على عمان الشرق العربي يخالف ذلك وعليه فالمرجو من الفخامة اصدار القرار القطعي الصريح بمصير بلادنا معاشر العرب وتطبيق قوانين وقواعد الانتداب الاساسية على ما ترى انتدابه من بلادهم والا فالعرب لهم الفخر في الحكم عليهم بأن يكونوا ضحية لمصالح الحلفاء واخلاق المدنية الحاضرة ».

اخفـاق المفاوضات

رأى رئيس اللجنـة التنفيذيـة وجوب اطـلاع بعض من اخوتـه مـن الاعضاء على ما دار بينـه وبين المسيو جايار وقد فعل فقالوا بقوله وارتأوا عليـه ان تدعو اللجنة اكبر عدد ممكن من رجال القضية السورية للمداولـة والاتفاق على القواعد التي بحث بشأنها وجرى الاتفاق عليها وعلى هذا عقدت اللجنـة اجتماعا ضم عددا كبيرا ممن اشتغل بالقضية الوطنية بعضه مـن الاسكندرية والبعض الآخر من القدس وسورية وتباحثوا فيما يجب ان يقدم للمندوب كمذكرة غب وصوله وبحثوا الاسس المعروضـة من غير ان يعلموا انـه اتفق عليها مبدئيا فوضعوا صيغة جديدة تختلف عن تلك الاسس مـن وجوه عديدة وفي الثلاثين من الشهر المذكـور وصل المندوب الى القـاهرة وقـد حل في فندق الكونتيننتال فأدب له الامير ميشيل لطف الله مأدبـة شاي فائقـة في قصر الجزيرة وفي صباح اليـوم الثاني من وصوله زاره وفـد اللجنة وقد قدم اليه المذكرة التالية :

« ليست الحركة المنتشرة الآن في سورية سوى مظهر جديد من مظاهر العقيدة الوطنية العامة القائمة على مبدأ الجامعة القومية والاستقـلال الضامن للكيان القومي بجميع مظاهره شأن كـل امة كاملة الخصائص ويكفي أن نلقي نظرة سريعـة واحدة على تاريخ هذه الحركة الحديثة لكي تتبين لنا القـواعد العموميـة التي يمكن ان يبنى عليها حل مرض للمشاكل الناشبة الآن . ليس التنازع الذي كان موجودا بين العنصرين العربي والتركي في السلطنة العثمانية بخاف على من لـه المام بتاريخ تركيا الدستوري الحديث فقد اصطدم مبـدأ القومية العربية والمطالبـة بنظام خاص لبـلاد العرب الخاضعة للتاج العثماني على الرغم مما كان للعرب من المساواة العامة مع الترك امام القانون من جميع

الوجوه وكان من جراء ذلك ان الجمعيات العربية عقدت مؤتمرها المشهور في باريز سنة ١٩١٣ للتوسع في تنظيم الحركة العربية ووضع المسألة العربية بين أمهات المسائل التي تقتضي الحل في تركيا فشعر الترك بخطر الموقف وحاولوا تلافي الحالة بالتساهل مع العرب والاعتراف لهم ببعض ما كانوا يطلبونه فأصدروا ارادة سنية باجابة بعض تلك المطالب ولكن العرب لم يرضوا عنها لذلك كان هم الترك ان يغتنموا فرصة الاحكام العرفية في اثناء الحرب الكبرى للقضاء على المسألة العربية فساقوا زعماء الحركة الى مجلس عرفي في عاليه « لبنان » وحكموا بالاعدام على العدد الاعظم من كبرائهم ونفذوا الحكم في ساحتي بيروت ودمشق العمومتين المعروفة كل منهما الآن باسم ساحة الشهداء ولكن العرب وفي مقدمتهم السوريون لم تفتر عزائمهم ولما يؤسوا من الترك صاروا مستعدين لاستمالة الحلفاء لهم الى مساعدتهم على دولتهم توصلا لاستقلالهم فلما نالوا من الحلفاء عامة ومن انكلترا وفرنسا خاصة وعودا عديدة باستقلالهم حمل ذلك الوفا منهم على التطوع في جيوش الحلفاء وثار الحجاز بأجمعه على السلطنة العثمانية وتألف جيش عربي خاص مؤلف من جميع الولايات العربية لمقاتلة الترك وانتهى الامر بفوز الحلفاء. وشهد اللورد اللنبي نفسه في احد تقاريره بالفضل العظيم الذي كان للحملة العربية في انتصاراته في فلسطين ضد الترك ولكن الغرض الاساسي الذي تكبد من أجله السوريون خاصة والعرب عامة جميع هذه الضحايا لم يتحقق منه شيء وقد كانوا يعلقون آمالا كبيرة على مبدأ حق تقرير المصير الى ان جاءت اللجنة الاميركانية الى سورية ووقفت على آراء الاهالي في مصيرهم. ثم سافر الامير فيصل الذي كان يحكم المنطقة الداخلية في سورية باسم القائد البريطاني العام الى اوروبا ووصل الى تفاهم مع وزارة الخارجية الفرنسية لتنظيم دولة سورية وتعيين علاقات فرنسا بها وعاد آملا ان يحمل اهالي البلاد على قبول هذا الاتفاق ولكن لم يكد هذا الاتفاق يعرف حتى ثارت عليه ثائرة الاحزاب واجتمع مؤتمر سوري نادى باستقلال البلاد التام

ووضع دستور لها واقام حكومة ديموقراطية بادرت في الحال الى تنظيم الادارة وعاشت خمسة اشهر برهنت في خلالها على ما قامت به من تنظيم فروع الادارة واقرار الامن ووضع اساسات الرقي العلمي والاقتصادي على ان السوريين لا يقلون كفاءة عن كثير من الامم المستقلة في اوروبا نفسها ولكن السلطة الفرنسية لم تمهل هذه الحكومة فجهز الجنرال غورو حملة عسكرية اقتحم بها دمشق والمدن الداخلية الاخرى واحتل البلاد والغى استقلالها وجيشها الفتي وبادر الى وضع اسس جديدة للادارة برأيه الشخصي ولكن الحركة الوطنية لم تسكت بل ظلت مستمرة في الشمال بقيادة ابراهيم هنانو، بك احد الزعماء الوطنيين ودامت من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢١ وظهرت في الوقت نفسه حركة في حوران على اثر احتلال دمشق دامت ستة اشهر وظل القتال متواصلا في بلاد العلويين من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ وظهرت الثورة الاولى التي قام بها سلطان باشا الاطرش في سنة ١٩٢٢ ودامت ستة اشهر وكانت الادارة الفرنسية في سورية في خلال ذلك مضطربة لا تستقر على حال ففي اواخر سنة ١٩٢٠ مزق الجنرال غورو البلاد الى خمس دول لكل منها حكومتها وعلمها وفي السنة نفسها سلخ قسم من شمالي البلاد وأعطي لتركيا مع ان الفرنسيين تسلموا ذلك القسم من الانكليز وتعهدوا في المادة التاسعة من معاهدة سايكسبيكو ان لاتتنازل احداهما عن الاراضي الواقعة ضمن منطقتها بدون رضى الاخرى وشعرت السلطة الفرنسية ان هذا التمزيق ليس حلا طبيعيا فعمدت الى الجمع بين بعض الاجزاء التي فرقتها والفت حكومة الحلف السوري سنة ١٩٢٢ وجمعت فيه بين حكومة دمشق وحكومة حلب وحكومة بلاد العلويين ولكنها رأت بعد ذلك مرة اخرى أن تضيق نطاق هذا الحلف ففي سنة ١٩٢٣ عدلت عن النظام القديم وفصلت بلاد العلويين عن تلك الوحدة والفت حكومة الدولة السورية من حكومتي دمشق وحلب السابقتين فقط ولم يكن هذا الحلف ايضا مرضيا لاحد بوجه من الوجوه فعندما ظهرت الثورة الحالية بادر زعماؤها باعلان مطالبهم بمنشور

اذاعوه بكل مالديهم من وسائل الاذاعة وتناقلته الصحف وهو يعيد أسس الحكومة التي وضعها المؤتمر السوري في دمشق في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تحقيقا لرغبات الامة بأسرها ولا بد لنا من الاعتراف بأن الظروف الحالية في سورية تتضمن عوامل وحقائق جديدة تستحق ان توضع موضع الاعتبار فاذا كان يراد وضع حل للمشاكل الحاضرة يبنى على الاخلاص والرغبة الحقيقية في التفاهم فلا نظن ان سورية تأبى ذلك ولكن ليس في وسع احد في الوقت نفسه ان يشير بأي حل يتجاهل ماضي الحركة الوطنية في سورية والدماء التي أهرقت من أجلها والجهود التي بذلت في سبيلها والضحايا العظيمة التي جاد بها اهل البلاد عن طيبة خاطر من اجل اغراض الحركة الوطنية فالوطنية الحقيقية هي التي تحترم وطنية الآخرين كما تحترم نفسها واذا سئلنا راينا في هذا الحل بصفة احزاب تعمل لتحقيق المثل الاعلى الذي تنشده البلاد لا نستطيع سوى ان نبرز برامجنا الاستقلالية ونطلب تحقيقها فاذا كان يراد بالحل المطلوب اعادة السكينة الى البلاد السورية فهذا الوفد يرى انه من الممكن ان تتخذ القواعد التالية اساسا للبحث :

١ ــ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي واما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ــ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية موقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل والخارج .

٤ ــ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة

معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى عصبة الامم ودخول سورية في عداد هذه العصبة .

فاذا كانت الحكومة الفرنسية تجد في هذه المباديء العامة اساسا للتفاهم فنحن نرى ان تصدر تصريحا بذلك وان تنتدب هيئة من قبلها تجتمع بهيئة القائمين بالحركة الوطنية وتضع الهيئتان بالاتفاق بينهما قواعد توقيف القتال والاساليب اللازمة لتطبيق هذه المباديء ـ أ ء » .

عندما وقف المندوب على ما جاء في المذكرة والفى الفرق بينه وبين ما تم الاتفاق عليه بعيدا جدا من حيث الجوهر حار في امره ولكنه اخفى في نفسه شعوره ومرماه واظهر غير ما بطن وقال بأنها وفاقا لمباديء الثورة الفرنسية وقد طلب الوفد اليه ان يبدأ النقاش واياه على اساسها فأبى كما انه أبى التصريح عن الخطة التي رسمها لنفسه وقال بالاحتفاظ بها الى ما بعد بلوغه سورية وانه يكتفي اذ ذاك بالاصغاء الى مايبيت عليه السوريون من أمر وانفضت المقابلة بلا جدوى رغم استمرارها ساعة وعشرين دقيقة ثم ارتأى الوفد مقابلة المندوب مرة اخرى لعله يستطيع في هذه المرة ان يبلغ ما لم يستطعه من قبل ولكن الوقت لم يكن ليسمح اذ ذاك بذلك لهذا تم الرأي على انتداب احد اعضاء الوفد ليقوم بهذه المهمة مع المندوب وبالفعل فقد قابله واظهر له أن الوفد لم يكن بمرتاح الى ما افضت اليه المقابلة الاولى فقال المندوب من الواجب ان يسار في تخفيض المطالب رويدا رويدا وكان يقصد بما قاله اعادة السلام اولا الى البلاد واضاف بأنه لا يعتقد بقدرة الوفد على ان يؤثر تأثيرا ذا شأن بهذا الصدد واردف قائلا بأنه على استعداد لبحث لكل مقترح

لاعادة السلام على ان اللجنة لم تكتف بذلك بل بعثت اليه في مساء ذلك اليوم بالكتاب الآتي :

« ان شعور الوفد السوري الذي تشرف بمقابلتكم اليوم صباحا بالواجب الملقى على عاتقه تجاه الحوادث التي صبغت ارض سورية بالدم ورغبته في وضع حد لحالة البلاد الحاضرة والوصول الى سلم دائم قائم على الثقة المشتركة والاعتراف بالمصالح المتبادلة يحملانه على ان يقترح عليكم الاقتراح التالي : وهو ان يسافر وفد من قبلنا في الحال الى سورية للعمل على حقن الدم ولتمهيد طريق صالح للمفاوضة بين جنابكم ومندوبي زعماء الثورة ولكي تكفل التوفيق والنجاح لهذا المسعى يرجو منكم الوفد السوري بابلاغه موافقتكم على المبادىء التالية وقد وردت في المذكرة التي تشرفنا برفعها اليكم في هذا الصباح :

١ ــ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او للانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ــ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل وفي الخارج .

٤ ــ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيها على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية » .

كان المندوب غائبا في وليمة اعدت له عندما ورد اليه الكتاب الذي المعنا اليه ولم يصل ليده الا في الساعة الحادية عشرة غب عودته الى النزل فأسرع للجواب بما يلي :

« مصر في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الساعة ١١ ليلا . حضرة السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني .

من بواعث اسفي الشديد ان يكون الحل الذي تقترحونه غير مستطاع القبول بتاتا وان يكون في هذه الدرجة من قلة المطابقة للمحادثة التي دارت بيننا في هذا الصباح والتي حفظت محضرها ومن البديهي ان لايكون المهمة التي تطلبون مني بكتابكم اناطتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني حظ من التوفيق ولااريد ان ادعكم تعتقدون لحظة واحدة انه يسع فرنسا ـ كما تشيرون عليها ـ ان تنكث بالعهود التي قطعتها على نفسها امام خمسين دولة ثم انني كما تشرفت وصرحت لكم سأعلن بياني على رؤوس الاشهاد في سورية نفسها ولذلك اصارحكم القول من دون مرارة انه كان من الافضل لو لم يكتب كتابكم وفي هذه الحالة كان اعادة السلم الى سورية اسرع واسهل وانني اخشى ان تكونوا آخذين في تحمل تبعة الاضطرابات والمصائب التي لابد من ان تقع هذا وثقوا ياحضرة السكرتير العام باحترامي واسفي » .

وفي الثالث من كانون الاول اذاعت اللجنة ما يأتي :

« بعد ما نشر المسيو هنري دي‌جوفنيل المندوب السامي الجديد في سورية ولبنان الكتاب الذي ارسلته اليه اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري

الفلسطيني في ٣٠ نوفمبر الماضي ورد عليه قبل ان تتسلم اللجنة هذا الرد ببضع ساعات لم يبق بد للجنة من ان تذكر في هذا البيان الوجيز خلاصة ماجرى بينها وبين جنابه مرجئة الى موعد قريب نشر التفاصيل والمستندات في بيان مطول تلقت اللجنة تلغرافا من وطني كبير في باريز تاريخه ١٧ نوفمبر الماضي ابلغها فيه ان المسيو دي جوفنيل سيعرج على القاهرة في طريقه الى بيروت ويود ان يقابل وفدا من اللجنة ومن حزب الشعب وغيرهما وعلمت اللجنة بعد ذلك ان هذا التلغراف ارسل بعد ان اطلع عليه المسيو دي جوفنيل وبعد ان ارسل كتابا بخطه الى ذلك الوطني في المعنى نفسه واردفه هو نفسه بحديث نشرته الصحف بتاريخ ٢٦ نوفمبر في مصر قال فيه انه سيقابل اللجنة التنفيذية والاتحاد السوري في مصر فعقدت اللجنة جلسة خاصة للبحث في هذا الموضوع في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وقررت اجابة الدعوة وابلغ هذا القرار الى المسيو دي جوفنيل ثم جاء احد السوريين الوطنيين من باريز بتاريخ ٢٤ نوفمبر الماضي وافضى الى اللجنة بمعلومات مفصلة عن محادثات متعددة دارت بينه وبين المسيو دي جوفنيل وعرض على اللجنة قواعد اساسية لحل المشاكل الحاضرة في سورية وانشاء نظام الحكم فيها واكد للجنة ان المسيو دي جوفنيل يعتبر هذه القواعد أساسا صالحا للتفاهم ولا يرى فيها مايناقض الخطة التي يريد اتباعها ورغب في أن تطلع عليها اللجنة والاحزاب السورية الوطنية ففضل ذلك الاخ الوطني ان يحملها بنفسه ويأتي بها الى مصر وكان المسيو دي جوفنيل واقفا على ذلك ، وهذه ترجمة تلك القواعد عن اصلها الفرنسي المحفوظة في اللجنة .

١ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب العام المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

٢ ــ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية ومنطبقا على كرامتها .

٣ ــ يفصل في مسألــة الوحدة السورية في المستقبل وبين أولي الشأن انفسهــم .

٤ ــ تنشأ ادارة وطنية موقتة حائزة على ثقة البلاد .

٥ ــ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فانه يبقى لاهله .

فعقدت اللجنة جلسات متعددة للنظر في هذا الموقف الجديد دعت اليها كل من في مصر من رجال الاحزاب الاستقلاليــة لتسترشــد بآرائهم فتقــرر بالاجماع ان تقدم اليه مطالب معينة تفسر بمقدمة وجيزة عن تاريخ الحركـــة الوطنية في سوريــة ووضعت المذكرة والمطالب وتألف الوفد الذي يجب ان يطالب المسيو دي جوفنيل وتحدد موعد المقابلة قبل وصول المسيو ديجوفنيل الى مصر وبعد وصوله قابله الوفد في الموعد المعين أي يــوم الاثنين في ٣٠ نوفمبر الساعة التاسعة صباحا وقــدم اليه مذكرة مختومة بالمطالب وعليهــا طابع اللجنة التنفيذية وتوقيع السكرتير العام فتناولها المسيو دي جوفنيــل يدا بيد واطلع عليها ولاحظ انهــا بختم اللجنة فقط وسأل هل هي تمثل رأي اللجنة او آراء الجميع فأجيب انها تمثل آراء الجميع وقدم اليه كشفا بأسماء الوفــد كله والحزب الذي ينتمي اليه كل منهم .

ثم قال جنابه انه من السهل الاتفــاق على المبــاديء ولــكن يجب وضع أساليب التنفيذ فأجابه السكرتير العام باسطا نظريــة الوفد في كيفية التعاون بين فرنسا وسورية وقال له في الختام ان هذا هو النصيب الــذي نقدمــه نحن لهذا التعاون ثم اراد جنابه الوقوف على وجوه المسألة السورية المختلفة فبسطت لــه وكان يقول في خلال المحادثات انه لا يمكن عقد معاهــدات الا بعد تأليف الحكومة ولا تتألف الحكومة الا بعد انعقاد المجلس التأسيسي ولا يدعى المجلس التأسيسي الا بعد استتباب السلام فعندما خرج الوفد من لدنه

مقابله حد اعضاءه على انفراد وخاطبه في وجوب وضع حل عملي وباحثه في الطريقة المؤدية الى ذلك .

وعلى اثر ذلك عقدت اللجنة التنفيذية جلسة عند الظهر وقررت ان ترسل اليه في الحال كتابا تعرض فيه وساطتها لاعادة السلام ولكنها كررت طلبها السابق اولا على المباديء التي وضعتها في مذكرتها هذه :

١ — تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ — تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ — تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل وفي الخارج يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ — يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ — تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية .

ثم ارسلت اللجنة الكتاب الى المسيو دي جوفنيل مع رسول خاص في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه فظل الرسول يتردد على الفندق حتى الساعة التاسعة فلم يجده فاضطر في النهاية ان يترك له الكتاب في الفندق وقد تسلمه جنابه بعد عودته ليلا ورد عليه ذلك الرد الذي اذاعه في

الصحف فأجابته اللجنة عليـه بالكتاب الآتي :

القاهرة في اول ديسمبر سنة ١٩٢٥ حضرة ....

« اتشرف بأن ابلغكم وصول الكتاب الـذي ارسلتموه في ٣٠ نوفمبـر الماضي الى نجيب بك اشقير السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ولما كنـا نعمل من اجل توفير السلام والرخاء لبلادنا المحبوبـة ونعتقد اننـا نمثل الراي العـام اقترحنا الحلول التي كانت موضوع مذكرتنا وكتابنا اللذين قدما اليكم في ٣٠ نوفمبر الماضي وتعتقدون ياصاحب السعادة ان تساهلا اقل سخاء مما اقترحناه يقرب سورية من فرنسا ومـن السلام ولكننا نشعر والاسف ملىء نفوسنا ان الامر لن يكون كذلك على انه مهما تكن الاقتراحات الافرنسية التي تقبلها سورية فلا يمكن الا ان نبتهج بما ينتج عنها من السـلام والرخـاء وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول وافر احترامي .

ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني

فاللجنة التنفيذية اذن لم تحد قيد شعرة عن الخطة التي سلكتها مـن باديء الامر ولم يكن في الامر مناورة ولا طلبت منه في كتابها غير ما طلبته في مذكرتها ولكنها رغبة في حقن الدماء واعادة السلام الى نصابه وتمهيـدا لتحقيق المطالب التي طلبتها عرضت عليه وساطتها اذا وافق على المطالب التي قدمتها اليـه والتي لا تختلف من حيث الاساس عن القواعد السابقـة الذكر التي عـدها في باريز موافقة لآرائه وما زالت اللجنة تعتقد ان اجابة تلـك المطالب هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية وتوطيد سلام دائم في البلاد ».

فهذا جميع ما جرى يومئذ وقـد ظـل اغلبـه بطي الكتمان على ان ما لا ندحـة لنـا من الالماع اليـه هو ان مندوب فرنسا المفوض المسيو جايار قد امتعض امتعاضا عظيما لفشل المفاوضات وتزعزع مركزه حتى الصقت بـه

بعض الدوائر الفرنسية المسؤولة عن الاخفاق الذي مني به المفوض السامي حتى انه قيل باعداد قرار احالته على الراتب|وقيل بأن وزير مصر المفوض في باريس قد دافع عنه وانه لولا ذلك لما ظل في عمله .

لقد كان بعض العسكريين الذين أتوا من بيروت الى الاسكندرية لاستقبال المندوب فصحبوه للقاهرة ، على علم بما تم بينه وبين اللجنة التنفيذية وقد رأوا على اسارير وجهه احرف القنوط والكدر ظاهرة جلية فرأوها فرصة لا ينبغي افلاتها ويقتضي اغتنامها للاصطياد بالماء العكر فهونوا عليه امر الثورة وجملوا له وجوب الصمود لها واقنعوه بأنها لاشيء يذكر ولا لها اهمية قط وشجعوه على الظهور بمظهر القوي القادر الباطش ولما لم يكن الى جانبه وحواليه غير هؤلاء العسكريين المستعمرين ليبسط له جوهر الحقيقة ولكي ينير له سبيل الامر اسلس لهم قيادا واستسلم الى مشيئتهم وتركهم يمنون ارادتهم عليه وسنرى قريبا انهم كانوا هم العقبة الكأداء في اخفاق كل مفاوضة جرت بعد ذلك .

العودة الى التفاوض

لم يقعد فشل اللجنة بعزيمتها عن اتمام السعي وراء المصلحة ولم يتسرب القنوط اليها من ناحية ما بل كانت شديدة الايمان بامكان الوصول الى حل سلمي يرجع به الحسام الى غمده والسيف الى قرابه فأشارت على احد المتصلين بها ان يبعث من قبلها الى المندوب السامي بكتاب في صدد المعضلة فكتب اليه في الرابع من كانون الاول من القاهرة الكتاب التالي :

« انني عظيم الاسف بسبب الحادثة التي جرت في مصر والتي تناقض كل المناقضة ما شاهدتموه من الحالة الروحية والرغبة الشديدة في الاتفاق والتفاهم على ان هذه الحالة الروحية لما تتغير واستعداد النفوس ما زال على

مما كان ومع ذلك فاني اوجه نظركم الى الامور الآتيــة :

١ ــ ان اللجنة راغبة في التفاهم ووضع حد لسفك الدماء ولكنها لاجــل الوصول الى هذه الغايــة واقناع الذين بيدهم السلام رات ان تقترح طريقــة للأزمــة وهذه الطريقة لا يمكن نجاحها الا اذا وثقت من موافقتكم على بعض القواعد الاساسية .

٢ ــ ان هذه القواعد بينت في المذكرة التي قدمت اليكم في الصباح .

٣ ــ ان اللجنة لم تكن تريد ان تطالبكم في تطبيق سريع لخطتها وكــانت مستعدة للبحث في الاسباب والاحتمالات .

٤ ــ ان الكتاب الذي وصل الى يدكم في الساعة الحادية عشرة ارســل منــذ الساعة الرابعة بعد الظهر وكــانت اللجنة تتوقع ان يصل اليها الجواب وتبحث معكم في الاتفاق اذا كان ممكنا بعد سفركم .

٥ ــ ان القواعد التي قدمها الوفد لكم قائمة على الاسس التي بحثت فيها معكم في باريز غير ان اللجنة اثارت مســألــة الغــاء الانتــداب والجلاء عن البــلاد وكــان من الممكن الاتفاق على هذه القواعد بطريقة مرضية للفريقين » .

❋ ❋ ❋

وفي الســابع من الشهر المذكور اجاب المندوب برسالة ضمنها ما يلي :

« نعم ان الحالة مؤسفة وانت تعلم ماذا صنعت في لبنان الكبير فانــه سيبدأ يوم الخميس بوضع دستوره وكان افضل لسورية لو انهــا بدلا مــن أن تحارب تضع قانونها الاساسي وسنرى بعد ذلك الامور الاخرى وفضــلا عن هذا فانني من الآن تردني الانبــاء من شمالي سورية وهي تبرهن على ان الخصومات على وشك احداث حنق وتألم بين اجزاء سورية المختلفة وهمــا شديدان بقدر ما رأيت من اثرهما في سورية ولبنان وانت تصنع حسنا اذا قدمت الى هنا وقابلتني يوم الثلاثاء بتاريخ ١٥ ديسمبر مثلا » .

موقف الندوة اللبنانية من الثورة السورية

قرر المجلس النيابي اللبناني العتيد ! في جلسة اول كانون اول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ القرار التاريخي الهام بأكثريــة مطلقة تبلغ العشرين نائبا وبمخالفة كل من المخلصين الى لبنان اكثر من اخلاصهم الى سوريــة وهم ارســـلان والداعوق وبيهم وتلحوق .

اما القرار الذي يرفع لبنـان به رأســه عاليا لمناوأته لغته وتاريخـــه وعنعناتــه التاريخية فهو القرار التــالي : كما اقترح ان يكــون نصه جناب العبقري النائب دموس :

« لما كانت حوادث العصيان التي ابتدأت في جبل حوران قد تطاير شررها الى الاطراف الجنوبية الشرقية من لبنان فتناولت حاصبيا وراشيا ومايتبعهما من القرى المجاورة فألحقت بالبلاد ضررا فادحا بالاموال والارواح .

ولمـا كانت هذه الحوادث في قرانا التي على الحدود غـير مسندة الـى مبـدأ يبررها .

ولما كانت حكومة لبنان المحليــة مجهزة بجيش نظامي يرد غزوات الطامعين وكانت على ثقــة تامة من حماية الدولة المنتدبــة للبلاد عند الحاجة قيامـا بعهدها الذي قطعته مع جمعية الامم .

ولما كانت قوة الجندرمة المحلية على قلــة عددها قد قامت بواجبها أثناء مهاجمــة الحدود . ولما كان لبنان بانفصاله سياسيا عن جارته سورية وجبل الدروز يرغب في البقاء في عزلتــه وحياده التامين . ويعتبر تصدي الخوارج لمهاجمة اطرافــه تعديا على استقلاله وافتراء محضا على حريته ومصالحــه فان هذا المجلس يقرر ما يلي :

١ ـ ان هذا المجلس يعتبر هجوم الثوار على حاصبيا ومرجعيون وراشيا تعديا على استقلال لبنان وحرية سكانه .

٢ ـ يرفع هذا المجلس شكره بالنيابة عن البلاد الى الدولة المنتدبة الكريمة لما قامت به حتى الساعة من التضحيات بالارواح والاموال للذود عن حياض لبنان والعمل على سلامة سكانه وضمان استقلاله .

٣ ـ يقدر مفاداة الجندرمة اللبنانية حق قدرها ويثني على ثباتها وشجاعتها .

٤ ـ يؤكد هذا المجلس للدولة المنتدبة بقاء البلاد على ولائها لها ومحبتها التقليدية غير المتزعزعة .

٥ ـ يطلب هذا المجلس من دولة الحاكم ابلاغ الدولة المنتدبة هذا القرار بالصورة الرسمية .

انا لا نود ان نكيل اللوم والنقد الى لبنان لاننا نعلم ان الذي سيطر عليه هو الذي املى مثل هذا القرار ولكن الملامة اذا شئنا ان نوجهها فانما نوجهها الى الاكثرية التي لم تعضد الاقلية في ساعة نفس لبنان الحبيب ورجاله المخلصون يعلمون ما يربطهم بأمهم سورية من اواصر .

بماذا يتكلم لبنان وبماذا تتكلم سورية ومن اي عرق تحدر الاول وما هي المنعنات والتقاليد والاعراف التي تسيطر عليه ولا تسيطر عليها وما هو الفارق البعيد بين البلدين حتى لا تتحسس سورية بما يحسه لبنان وحتى لا يشعر لبنان بما يصيب سورية وهل النفع الذي يصيب البلد الواحد منهما من البعد والنوى بدرجة لا يصل الى الآخر حتى يستبيح المجلس النيابي اللبناني لنفسه واوطنه ان يقطع أنفه من وجهه فيبتر صلاته بسورية وهي منه كالقلب من الجسم وهو منها كالدماغ من الراس .

كيف يستطيع لبنان ان يحيا بمعزل عن سورية واين يستطيع ان يبعث

بالبضائع التي تأتي اليه من البحر ان لم تتلقفها بلاد الداخل وليس سوى سورية من بلاد لذلك ؟ . بماذا يستطيع العيش لبنان اذا نفضت سورية يدها من العلاقات به والاواصر معه ؟ وبأي يد تمكنت الندوة اللبنانية ان تسجل على نفسها سبة الدهر وعار الابد بالتخلي عن عنصريتها وقوميتها وتاريخها بمثل ما اصدرته مما ألمعنا اليه من القرار المؤلم الفظيع على اننا نعود فنقول في كل بلد أناس ممن لا ينظرون الى ابعد من أنوفهم فيورطون امتهم ووطنهم في هوة سحيقة لا قرارة لها بما يتخذونه من مقررات تعود على بلادهم وأمتهم بالضرر البليغ وبهذه الكلمة الجارحة بلاغ ونهيه .

وصول المفوض الى لبنان

كان المندوب السامي في اول كانون الاول ديسمبر في الثغر في بيروت، وقد استقبل بالحفاوة الشائقة .

وفي ثالث الشهر المذكور زار مجلس لبنان التمثيلي وقد ألقى فيه خطابا اليك تعريبه :

حضرة الرئيس والسادة النواب

« في الساعة التي نزلت فيها من الباخرة في ميناء بيروت سلمني الحاكم، المسيو كايلا القرار الذي وضعه المجلس النيابي للبنان الكبير ليشكر فرنسا التي كان جيشها سعيدا بوجود الدرك اللبناني الى جانبه « يقاتل للدفاع عن الاراضي اللبنانية ولحماية سكانه وللمحافظة على استقلاله » .

وكما ترون ايها السادة انني استعمل نفس العبارات التي اوردتموها في قراركم وانني أعيد قراركم نفسه ذاكرا بتأثر مشرب بمعرفة الجميل انكم، رجوتم مني ان انقل رسميا الى حكومة الدولة المنتدبة تأكيد تعلق اللبنانيين

الذي لا ينفصم بالامة الفرنسية .

ثم قال : « ان عهد الاستشارات قد انتهى وانه قال امس عند وصوله ويكرر قوله اليوم ويريد ان يصل الى اقصى الحدود وهو « السلام لمن يريد السلام والحرب لمن يريد الحرب » وانه حدد بهاتين الكلمتين خطة لا يمكن للرجال ولا للحوادث ان تحوله عنها ثم قال انه سيطلب الى الحاكم ان يدعو المجلس التمثيلي الى دورة استثنائية لوضع دستور لبنان وانه اذا ارادت بقية الدولة ان تشترك في فوائد الانظمة الحرة فهي تعرف الطريق . ومن العبث ان يعرض العصاة علي شروطا او ان يطلبوا مني وعودا فان العمل الذي أقوم به هنا هو الجواب فالحرب الآن لم يبق لها مبرر » .

فرد عليه رئيس المجلس بالشكران والامتنان والتقدير والاعجاب وفي العاشر من هذا الشهر اذاع المفوض الى سكان سورية جميعا البيان التالي : ـ

« أيا كنتم مسلمين او نصارى او اسرائيليين ومهما تكن الطوائف التي تنتمون اليها أخاطبكم مخاطبة الصديق واقول :

« مصيركم في يدكم »

في هذا اليوم العاشر من شهر ديسمبر يجتمع عند اخوانكم اللبنانيين المجلس الذي انتخبوه وقد كلفته المناقشة في القانون الاساسي وانتخاب حكومة للبلاد ولكان الامر كذلك في دولتي سورية وجبل الدروز لو ان هؤلاء يتمتعون كاللبنانيين بما يتعلق بالسلام من الخير والحسنات .

ان هنالك لسوء الحظ اقلية مصرة على متابعة حرب لا تنال من فرنسا ولا تضيرها فهي قصية عن هذه البلاد وهي اعلى من ان تصل اليها يد فهذه الحرب تشقي البلاد السورية باستنزاف خزينتها وتدمير قراها ومزروعاتها وتشريد النساء والاولاد عن مآويهم وتأخير تنظيم الاستقلال

الســوري .

اني لا الحق بهذه الاقلية مجموع الشعب السوري فان هذا الشعب يميل الى العمل في الهدوء والسكينة والحصول علىتأسيسات حرة مميزات الشعوب الجانحة الى السلام .

فان تكن الحرب تضطرني الى ان اعهد الى الجيش في الانفراد بالدفاع عن دمشق ضد العصابات فاني لا الهو مع ذلك عن السهر على انماء واسعاد الانحاء السورية الاخرى التي لا تزال امينة للانتداب والسلام .

فأنا اذن ادعو السوريين الحازمين المخلصين وجميع الوطنيين الصادقين الى معاضدتي في ظل العدالة والقوة الفرنسية لتأمين سلامة الاشخاص وانماء ثروة البلاد وتوسيع الحرية الوطنية التي هي في نظري سبب وجود الانتداب الفرنسي في هذه البلاد » .

على اثر وصول المفوض السامي الى لبنان وسورية بذلت في سبيل الاصلاح والتوفيق مساع عدة لم تقترن بالنتيجة المرجوة اذ كان المفوض يشترط في كل مرة خضوع الثوار والقاء السلاح حتى تستطيع فرنسا ان تجود بما تسمح به نفسها من نظام وقانون واليك الجهود التي بذلت والوفود التي الفت .

الوفــود

اول ما الف للوساطة والتوفيق وفد الامير امين ارسلان اذ اتصل هذا الوفد بأحد مساعدي المسيو دي جوفنيل وهو المسيو مليا فقررا على السفر على رأس وفد الى جبل الدروز للصلح والوئام ولكي لا يحمل هذا الوفد مسؤولية الفشل لم يجنح الى وضع قواعد للمفاوضة . وكان صحبة الامير

الاساتذة فوزي الغزي ولطفي الحفار وعفيف الصلح وقد بارح هذا الوفـــد دمشق في السابع عشر من كانون الاول الى درعا ومنها الى عرى وهنـــاك كان سلطان باشا وزعماء الثورة وقد ألح الامير بوجوب المصالحة شارحـــا ضرر متابعـــة الحرب .

وقد رد عليـــه السلطان واخوانه بأنهم لا ينزعون الى المصالحة ما لم تتعهد السلطة باجابة مطاليب الامة ولخصوها بما يلي :

١ ــ توحيد الحكومات السوريـــة .
٢ ــ اعــلان عفو عام بلا قيد ولا شرط .
٤ ــ تأليف حكومة موقتة يرضى عنها الثوار .
٤ ــ عقد معاهدة بين فرنسا وسورية .
٥ ــ تعويض المنكوبين عن خسائرهم .

وقد آب الوفد الى بيروت يطلــع المفوض على مطاليب الثوار فكان جوابه الرد والرفض .

وفي التاسع عشر من كانون الاول امــر المفوض الجنرال اندريا قائـــد منطقة دمشق بأن يعمد الى تأليف وفــد مــن عاصمة بني اميـــة يتقدم الى المندوب بما يطلب . فعقدت لهذه الغايـــة اجتماعات عدة في بهو البلديـــة افضت الى انتخاب عشرين وجيها هم السادة فارس الخوري محمد الــكرد علي الامير سعيد الجزائري فوزي الغزي رشدي الصفدى احمد اللحـــام لطفي الحفــار احمد الحسيبي اكليل المؤيد شاكر الحنبلي ابو الخير الموقــع عبد القادر الخطيب يوسف لنيادو عبد المحسن الاسطواني شكري الشربجي عطا الايوبي حسني العمري زكي المهايني معروف الارناؤوط عارف القوتلي .
فاتفقوا على تقدم ما يلي :

١ ــ انشاء حكومة وطنية موقتة .

٢ ــ تدعو هــذه الحكومــة الشعب لانتخاب مجلس تأسيسي انتخابــا حــــرا .

٣ ــ وحدة سورية بحدودها الطبيعية .

٤ ــ تأجيل العقوبات المتعلقة بالثورة .

لقد نمي الى المفوض السامي ما بيت عليه الرجال من قرار فبعث الــى الجنرال اندريا يصرح له برفضه استقبال الوفد او التفاهــم معــه ما دامت عاصمــة الامويين في ثوران وما دام الثوار متقلدي السلاح .

ثم في الحادي والعشرين من شهر كانون الاول ابرق المفوض الى الجنرال اندريا يقول له بأنــه جعل بعد ظهر الثلاثاء المصادف بتاريخ ٢٢ كانون الاول موعدا لمقابلة الوفد . فسافروا الى بيروت وقبل الموعد المضروب بساعات اتى من المفوضية رسول الى الفندق الذي حل به الوفــد قائلا بأن المندوب يرغب بمقابلتهم منفردين . فعقدوا جلسة حينئــذ اجمعوا فيهــا على اعلان رفض هذا الطلب واعلام المفوض بأنــه اذا لم ينزل عند ارادتهم مــن حيث المقابلة مجتمعين يعودون من حيث اتوا فأظهــر المفوض استعداده لقبولهــم حسب ما شاءوا .

وفي الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم دخلوا عليه وقــــد قدموا له مطاليبهم واستمرت المقابلة نصف ساعة ثم تمنى ان لو يجتمع لكل واحد منهم على انفراد ليطلع على رايــه . فكان له ما شاء ثم انه في الساعة السابعة اتوه على اجتماع فأدلى اليهم بالبيان التالي :

« سمعتكم جميعا واطلعت على مطالبكم وسأدرسها باهتمام كبير حاسبا حسابا للارتجال الذي لا يقوم عليه عمل دائم في حين اننــا نريد القيام بعمل وطيد واني انتظر منكم ان تعملوا معي بقدر امكانكم في سبيل السلام فالسلام

هو شرط العفو والدستور ويخشى ان تفضي اطالة الحركات العدائية في سورية الى الخراب والجوع . فقولوا هذا للمقاتلين الذين يحاربون انفسهم ويحاربون تحقيق امانيهم وآمالهم نفسها لانهم لو القوا السلاح لاستطاعوا الاشتراك في الانتخابات التي ستجري في كل مناطق سورية المتمتعة في الوقت الحاضر بالسلم . كما اني أفوض اليكم القول لهؤلاء المقاتلين الذين لم يرتكبوا جرائم تتعلق بالحق العام والذين لم يتولوا اية قيادة في تلك الثورة ان كل من جاء منهم في مدة خمسة عشر يوما الى مركز قيادة الكولونيل اندريا العامة وسلم سلاحه يستطيع العودة الى منزله بدون خشية . واما الزعماء الذين يقدمون خضوعهم في المهلة نفسها فلا يسعني ان اعدهم قبل السلم الا بتأمين حياتهم واني اتمنى من كل قلبي ان لا يكرهوني على استخدام النجدات التي امدتني بها بلادي كي اتمكن في وقت قريب من القول لفرنسا ان تمتنع عن ارسال الجنود فلنسرع في توطيد السلم وتوطيد الدستور الذي يتلوه وفي ايجاد جو يساعد على المناقشة في المشاكل الكبرى بأجمعها من دون ان يكون هنالك مجال لاتهام الدولة المنتدبة بالرغبة في الضغط على اي كان وبدون ان تتهم اية مدينة كانت بالسعي للاجحاف بالمدينة الاخرى » .

« اما الآن فقد تقررت الانتخابات حيث يسود السلام بيد انها ستجري في سنجقي دمشق وحوران بعد تاريخ الغاء الاحكام العرفية بشهر على الاكثر وان المجلس التمثيلي الذي سيكون وليد هذه الانتخابات يستطيع تقرير الدستور واعضاؤه الذين يقررون شكل الحكومة لا انا ولا انتم » .

« في لغتكم مثل عربي احبه كثيرا يقول ـ صديقك من صدقك لا من صدقك ـ ولقد سمعت اقوالكم جميعا فاسمحوا لي ان اسرد على مسامعكم حكاية كان في احد البلاد الجميلة رجلان فاضلان ابتاعا قطعتين من الارض واسعتين فقضى احدهما وقته في بناء الجدران حول ملكه وكانوا يتهمونه

عن خطـأ او عن صواب بأنه يعتدي على ملك هذا وذاك فاختصم مع كـل الجيران وتشاجر معهم وانتهى به الامر الى الافلاس قبل ان ينتهي مـن بنـاء منزلـه على ان الآخر اهتم اولا ببناء منزله وباتخاذ ذلك المنزل مسكناً لـه وبدعوة اصدقائه اليـه فازدادت ثروته وكان سعيدا ومحبوبا من جيرانـه الذين وثق معهم العلاقات الاقتصاديـة التـي لا غنى عنها لنجاحـه ونجاح الآخريـن » .

« فهذه هي الطريقة السلمية التي انصحكم باتباعها ـ لقد استقبلت منـذ وصولي وفودا عديدة ابدت آراء مختلفة وليس في وسع وفد من الوفـود ولا في وسعي انـا ان نقرر مصير هذه البلاد فالامر منوط بالانتخابات فاعملوا ايها السادة على توطيد السلم في القريب العاجل والسلم يتيح لسورية ان تقول كلمتها وهكذا تكونون قد خدمتم وطنكم وبلادي تشكر لكم اعمالكم هـذه لانهـا تتمنى السـعادة لكـل البـلاد المشمولـة بالانتـداب كما اني اتمنى سعادتـكم » .

رأي الوفـد ببيان المفوض

بعد ان وقف الوفد على ما جاء ببيان المفوض قرر التمسك بمطاليبه والف لجنة من السادة عارف القوتلي وفارس الخوري ورشدي الصفدي كي تتصل بالمسيو ميليـا فتقدم اليه تعليق الوفد على جـواب المندوب . واليك نص ما تسلمه المسيو ميليـا :

« يرى الوفـد ان التصريحات التي تفضل بها المندوب السامي لا تكفـي لاجابة رغائب الامـة وتلبيـة مطالبها المشروعة ولا يستطيع الوفد ان يتفاءل بهـا لتحقيق الرغائب واعادة السلام الى البلاد لان الفقرة الاولى التي تضمنت مطالب الوفد بخصوص العفـو العـام لم تقترن بنتيجـة كافيـة كي تقنع

الثائرين وتحملهم على التسليم لانها تتضمن شرط تسليم السلاح لنيل العفو ولا يخفى ان دروز حوران لا يقدمون على تسليم السلاح ما دامت البادية وسائر البلاد المجاورة لهم مسلحة .

« ولقد حاولت الدولة العثمانية مرارا عديدة تجريد جبل الدروز من السلاح فلم تستطع ذلك وكل من اخذت بندقية عاد فاقتنى بدلها ولو ببذل كل ما لديه فقبل ان تتخذ التدابير الكافية لأمن البادية ومنع غزوات القبائل لا يميل الدروز الى تسليم اسلحتهم وعلى هذا يكون هذا الشرط حائلا دون الاستفادة من منحة العفو .

« اما الثائرون الآخرون الموجودون في جوار دمشق وسائر المناطق السورية فان اكثرهم غير مسلحين بالبنادق او الاسلحة الحربية الاخرى فمن اذعن منهم واقبل على التسليم تطالبه السلطة بالسلاح الذي كان بيده وهو لا يستطيع تسليم سلاح حربي لانه لا يملكه فيفضي ذلك الى حبسه وارهاقه لاجل تسليم السلاح ويكون هذا حائلا دون تمتعه بالعفو ومانعا لغيره عن اقتحام التسليم وعلى ذلك يبقى هذا الشرط عثرة في سبيل انفاذ هذا الامر والوفد يرى ان وضع هذا الشرط يعرقل المساعي الصلحية التي جاء لاجلها .

« واما منع العفو عن الزعماء فهو ايضا حائل دون الوصول الى الغاية المطلوبة لان هؤلاء الزعماء يمتنعون عن بذل نفوذهم في سبيل اخماد الثورة والقاء السلاح ما داموا غير آمنين على حريتهم والتمتع بالعفو المنتظر كما ان هيئة الوفد لا تستطيع ان تؤثر في الثائرين الا بواسطة هؤلاء الزعماء وعلى ذلك ترى ان العفو لا يفيد بالطريقة المطلوبة الا اذا منح للزعماء والافراد على حد سواء . ومهما كانت بيانات المفوض السامي مشيرة الى سلامة حياة الزعماء وضمانها فهي لا تضمن لهم الحرية بل تجعلهم عرضة للمحاكمة والسجن

ولا ينتظر ان يذعن هؤلاء ويجارون الوفد في خطته السلمية ما لم يطمئنوا بانهم يستفيدون من العفو فائدة عاجلة .

وطلب الوفد انشاء مجلس تأسيسي لوضع الدستور على قاعدة السيادة القومية وكان يأمل ان المفوض السامي بالاستناد الى تصريحاته العديدة يتفضل باجابة هذا الطلب بصورة صريحة بيد ان القرار الذي نشرته الصحف اليومية جاء مضعفا لهذه الامنية ومهددا الدولة السورية بخطر جديد للتجزئة لانه تضمن اجتماع نواب كل لواء على حدة وتقرير الروابط السياسية بين لوائهم والالوية الاخرى حتى اذا قرر احد الالوية او احدى الولايات الانفصال عن الوحدة الحاضرة يجاب الى ذلك وبهذا يتيسر لدعاة الانفصال ان يمثلوا دورهم بدسائس جديدة لتمزيق البلاد السورية وانشاء دول جديدة فيها علاوة على العدد الموجود في حين ان استشارة الالوية بواسطة ممثليها قد تمت في المجالس التمثيلية السابقة فقد قرر مجلس النواب الحلبي الانضمام

الى دمشق كما قرر مجلس النواب الدمشقي الانضمام الى حلب وتألف من المجلسين مجلس واحد قام بوظيفته مدة سنتين وعلى ذلك يكون الاستفتاء قد تم بالطريق القانوني واصبحت الوحدة بين حلب ودمشق قضية محكمة لم يعد من الجائز الرجوع اليها واعادة الاستفتاء مرة ثانية ولو صح ذلك لجاز تكرر هذه الاعادة كلما اجتمع مجلس تمثيلي جديد فالوفد يرى ذلك افتئاتا على الوحدة السورية ويعد هذا القرار مهددا بتمزيق جديد وهو قادم لطلب توسيع الوحدة وضم البلاد المسلوخة » .

« ان هذه القاعدة المسنونة في قرار الانتخاب المذكور هي محصورة في الالوية السورية فقط في حين ان الالوية اللبنانية لم تكلف مثل هذا الاستفتاء بل ترك الامر للمجلس النيابي العام يقرر فيه مجتمعا . فاذا كان الاستفتاء اللوائي يطبق في سورية يصبح من الواجب تطبيقه في لبنان

ايضا وعندها تنتخب كل محافظة على حدة ويجتمع النواب في مركز المحافظة ويقررون البقاء مع لبنان او العودة الى الوحدة السورية . فالوفد يرى ان التفريق بين لبنان وسورية في المعاملة على هذه الصورة مجحف بحقوق سورية وهادم لوحدتها » .

« ومنا زالت الاقضية الاربعة التي سلخت عن دمشق في سنة ١٩٢٠ تلح بالرجوع الى تلك الوحدة وقد احتجت الحكومة السورية في ذلك الحين على هذا السلخ غير القانوني واحتفظت بحق الاعتراض عليه واقامة الدعوى بشأنه عندما تسنح الفرص وبما ان الانتداب هو الحكم بين الدول السورية عند وقوع خلاف على أي أمر كان فالسوريون اليوم يرفعون الدعوى لدى ممثل الانتداب على دولة لبنان الكبير ويطلبون استرداد هذه الاقضية بعد سماع مدافعاتهم بشأنها في طريق الاتصال بين دمشق وحلب بالسكة الحديدية واكثرية سكانها يطلبون ذلك وبعد ان يسمعوا حكم ممثل الانتداب يبقى حق استئنافه الى المراجع العليا كالوزارة الفرنسية وجمعية الامم ولما كان من المسلم به ان للسوريين الحق بعد انتهاء الانتداب بالمطالبة بحدودهم الاصلية فاذا لم تكن هذه الحدود غير مؤسسة منذ الآن على قاعدة المساواة وحفظ الحقوق يبقى باب النزاع مفتوحا ولما كانت وظيفة الانتداب اليوم تأسيس الحدود على سلم دائم ووفاق ابدي بين المقاطعات السورية فليس من الحزم ان يترك سبيل النزاع ميسرا لهذه المقاطعات ولا يعقل ان ترضى سورية الداخلية في وقت من الاوقات ان تبقى محرومة من منفذ على البحر وها ان مدينة طرابلس وملحقاتها تطالب بالعودة الى الوحدة السورية لانها ميناء حمص الاصلية ولا تستطيع الدولة السورية ان تعيش بدون هذا المنفذ .

فاذا كانت الدولة المنتدبة تريد ان تؤسس سلما دائما بين السوريين فما

عليها الا ان تنصفهم وتعطي كل ذي حق حقه منذ الآن ولا تترك باب الشر مفتوحـــا ...

« وينص قانون الانتخاب الذي اصدره المندوب على اجراء الانتخابات بحسب القانون الاخير الذي سنه الجنرال فيجان على اساس القضاء ومنع الترشيح على غير سكان القضاء الذين مر ستة اشهر على اقامتهم فيه وبما ان المجلس المنوي انتخابه هو مجلس تأسيسي فانـه يتعـذر وجـود نواب صالحين لوضع الدستور في كـل قضاء من هذه الاقضية واذا بقي هذا القرار نافذا يخرج معظم النواب من سكان القرى الذين ليس لهم خبرة كافية فـي مثل هذا العمل الهام فالوفـد يطلب ان يطلب ترشيح اي سوري كان في كل قضاء من اقضية البلاد السورية . ولما كـان هذا القانون مؤسسا على الطائفية وفيه حرمان للاقليات من حقوق الترشيح بصـورة لم يسبق لها مثيل فـي الاصول النيابية فالوفد يرى ان تزال هذه الفوارق ليتمتع جميع ابناء الوطن بالحقوق العامـة .

« ان مهمة الوفد سلمية صرفة وقد عرض على المندوب الاسس التـي يعتقـد انها صالحة لارضاء الشعب السوري واعادة السلام الى البلاد وهـو بما له من الخبرة يلح في الرجاء بقبولها لتنـال سورية استقلالها مع الاحتفاظ بصداقة فرنسا ومحبتها على قاعدة النفع المتبادل .

صبحي بركات يستقيل

لقد اسفرت نتائج تأليف الوفـد وسـفره الى بيروت ، استقالة رئيس الحكومة السورية صبحي بركات اذ عد مطالبة الوفد المندوب بانشاء حكومـة موقتة وموافقة المفوض على ذلك تحديا لحكومته فبعث في الثاني والعشرين من كانون الاول الى المندوب بالكتاب التـالي :

« ياصاحب السعادة

« ان المشكلات الحاضرة التي استعصى حلها تدعوني لأن أقدم اليكم استقالتي وانني كرجل وطني يشاطر هذه الامة شعورها ويعاني امورها منذ عهد طويل الامد لا بد لي وانا في الساعة الاخيرة من الحكم ان ألفت نظركم الى ان هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها امانيها وطمأنينتها الا اذا أجيبت الى مطالبها العادلة مثل تأليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الاساسي على اساس السيادة القومية وانشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وادارتها وان يعلن فيها عفو عام بدون استثناء الا فيما يتعلق بالحق الخاص وان تؤيدوا سورية في دخول عصبة الامم .

« وبقيت مسألة ذات عقد كثيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تؤلف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي اضيفت الى لبنان من جانب آخر فان حل هذه المسألة يحتاج الى اقدام وبعد نظر لان الوطنيين السوريين يعتبرون ان بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والآمال والآلام والعنصر واللغة . وهنالك كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية هي على جانب عظيم من الاهمية وانني لا ارتاب انكم ببعيد نظركم وصحة رايكم وما جبلتم عليه من الكرم وحب الخير تستطيعون ان تذللوا المصاعب كلها وتسلكوا في هذه البلاد سياسة جديدة لا علاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤسس بين بلادكم وبين سورية صلات ود ثابتة تنسي النفوس مافيها من احزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورخاء شاملا » .

رئيس الحكومة السورية الجديد

عندها شاء المفوض ان يعهد بتأليف الحكومة الموقتة الى الشيخ تاج الحسني من اعلن قبوله بهذه المهمة مبدئيا وذلك في الرابع والعشرين من كانون الاول وقد وضع برنامجا واسع النطاق مشترطا قبوله حتى يضطلع

بأعباء الحكم فنشأت مفاوضات بشأنه بين المندوب وبينه ظلت خمسة عشر يوما واسفرت عن الفشل لرفض المندوب ذلك البرنامج واليك نصه :

« أقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد امور البلاد وهي عالمة بثقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الازمة الشديدة التي تحتم على كل وطني ان يبذل قصارى مجهوداته لتحقيق رغائب الامة وانقاذها من الاخطار التي تحدق بها من كل جانب وستعمل على ايجاد طريقة حل يكون فيها مقنع ومرضاة للسوريين من غير ان تناقض المصالح الفرنسية الحقيقية . وستضع نصب عينيها تشييد اركان سلام دائم يرضى عنه جميع ابناء الوطن سواء المقيمون والنازحون حتى يتعاونوا على انهاض البلاد من عثارها واقالتها من كبوتها وتخليصها من الكوارث التي كادت تقوض اركانها وتهد بنيانها واننا نتحمل اعباء هذه الحالة برباطة جأش ونخاطر بأنفسنا في سبيل الامة وسلامة الوطن . ولكننا حبا في بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقا لرغائب الامة التي تسعى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد الآتية :

١ ـ تحقيق الاستقلال بوضع قانون البلاد الاساسي على قاعدة السلطان القومي ودعوة مجلس تأسيسي عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل .

٢ ـ تأليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على ان تدار على قاعدة اللامركزية بحسب ما يقرره المجلس التأسيسي العام واسترداد الاقضية الاربعة وهي البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا التي كانت سلخت عن سورية سنة ١٩٢٠م بقرار عرفي على غير رغبة اهلها وبالرغم من مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءا لا ينفك عن سورية اما سائر الاقاليم التي اضيفت الى لبنان فانه ينبغي ان تؤلف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يكن الاتفاق في شأنها مع حكومة لبنان .

٣ ـ معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تكون نافذة الا اذا ابرمها البرلمان

الســـوري على شرط ان تكون مؤســـسة على قاعدة السلطان القومي للسوريين مع حفظها لفرنسا في النفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي ما لا يتعارض مع ذلك السلطان القومي .

٤ ــ دخول سورية في جمعية الامم .

٥ ــ الجلاء التدريجي متى تألفت في البلاد السورية قوى أمن كافية .

٦ ــ التعويض عن منكوبي الثورة .

٧ ــ اصلاح النظام الاجتماعي والنظام النقدي .

٨ ــ توحيد القضاء بحيث يكون مؤسسًا على قاعدة السيادة القومية مع حفظ حقوق الاجانب والسوريين معـــا .

٩ ــ تحقيق العفو العـــام عن جميع الذين اشتركوا في الثورة في انحـــاء سورية المختلفـــة مع حفظ الحق الشخصي لاربابه .

١٠ ــ اطلاق يد الحكومة في ادارة البلاد .

١١ ــ لما كانت البلاد السورية من البحر المتوسط حتى حدود العراق آهلة بأمـــة واحدة تؤلف بينها وحدة اللغة والعنصر والتقاليد والآمال ولما كـــان جبل لبنان قد خص بادارة ممتازة بسبب ضرورية محلية فان الواجب يقضي بأن تقدر هذه الضرورة بقدرها وبأن لا تتجاوز مكانها .

وقد ختم بيانه بكلمة جاء فيها ان الوزارة تؤلف لادراك السلام وتأسيس قواعـــد صداقـــة بين الفرنسيين والسوريين على ان تقـــوم على أسس الثقة المتبادلـــة والمنفعة المتقابلة « انها تعتمد على تأييد الشعب ومؤازرة عقـــلاء الامـــة » .

الحكم المباشر

لما كل المسيو دي جوفنيل عن ان يتعاون مع احد من الوطنيين لتقليده اعباء الحكم فقد جنح في التاسع من شباط سنة ١٩٢٥ الى تعيين المسيو بير اليب حاكماً على سورية بقرار تعريبه ما يلي :

« ان ادارة وتسيير الاعمال الادارية في دولة سورية تؤمن بعناية وتحت سلطة المندوب فوق العادة للمفوض السامي لدى دولتي سورية وجبل الدروز المسيو بير اليب وذلك الى ان يوضع نظام نهائي بعد انتهاء الانتخابات وبعد انتهاء المندوب المفوض السامي من انتخاب مساعديه » .

المفاوضات في الجبل

لما اخفق المفوض بمساعيه بمصر وبيروت ارتأى على الجنرال اندريا ان يتصل ببني معروف وان يحبب اليهم العودة للسلام فبعث اليهم من درعا البلد الذي كان مقره في الخامس والعشرين من كانون الاول ــ ديسمبر ــ بالبيان التالي :

« ان الكولونيل اندريا حاكم جبل الدروز يعلن للشعب الدرزي واشيوخه بأن الدروز المتمردين قد انكسروا في راشيا كما انهم وسوف ينكسرون دائما كلما ارادوا السير ضد الفرنسيين . ان الدروز المتمردين قد تمكنوا ان يباغتوا في شهر اغستوس الماضي فرقا صغيرة من الجنود السورية لم تتخذ ــ نظرا لعدم اعتقادها بمراوغة سلطان الاطرش وبعض الشيوخ الآخرين ــ جميع الاحتياطات الواجب اتخاذها للقاء عدو حقيقي غير ان الفرنسيين ينظرون اليوم بعيون مفتحة ويدركون بأن الشعب الدرزي هو عموما طيب السريرة وبأن اغلب المشايخ يعترفون بأن فرنسا قد اصلحت احوال البلاد على ان الفرنسيين

يعرفون ايضا بأن الشيوخ سلطان ومتعب وزيد وعامر وزيـد الاطرش لـم يحافظوا على حرمة الكلام الذي اعطوه وما برحوا يدفعون بالشعب الدرزي الى العصيان والتمرد رغبة في ارضـاء مطامعهم الشخصية ولانهم يقبضون دراهم من الاجانب .

ان سلطان الاطرش كتب لي زاعما « يعني الرد على كتابه الاول ولم يفرق سلطان باشا بين سورية وجبل الدروز بل يعتبرهما بلادا واحدة » انه يطلب استقلال سورية (كذا) مهملا التكلم عن جبل الدروز اذن فهو لا يرغب فـي استقلال جبل الدروز بل يريد ان يحكم البلاد تحت امرة امير من امراء العرب فيأمر وينهي اذ ذاك كسيد مطلق وكون العنف والاستبداد من طبعه لايصرف ادارة الامور بغير العنف والقساوة فيصبح عندئذ الشعب الدرزي شعبا تعيسا وتئنون تحت نير كالشهبندر الذي بعد ان يقذف بكم في هاوية النحس وسوء الطالـع يصرف كـل جهوده وهمه الى ابتزاز جميع ما يصل اليه من دراهمكم واموالـكم .

اني بصفتي حاكما للدولة الدرزيـة اوجه الكلام الى الشيوخ اصحـاب النظر النظر الثاقب في الامور والعقلاء الذين يعرفون حقيقة سلطان ومتعب ويثقون بأن ليس من سبيل الى انتظار عمل صالح منهم والى الشعب الدرزي كافة قائلا للجميع احذروا من الانقياد بعد الآن لسلطان فهو يسير بكم الـى الخراب والتعاسة . اني رجعت حديثـا من بيروت حيث واجهـت المفوض السامي وطلبت منه الاستقلال الاداري التام لدولة الدروز وقد تم هذا الامر ووعد بتحقيقه رئيس الجمهورية الفرنسية ولذا فان مشايخ الدروز سـوف يستطيعون تعيين حاكم ينتخبونه بذاتهم بثلاثة اشهر عقب التسليم العـام وانا سوف اعمل بنفسي لخيركم كما فعلت الى الآن غير اني سأبذل جهـودا اعظم عندما تأتون بذاتكم لمقابلتي والتسليم بين يدي « لاتترددوا ابدا ولا تنتظروا قـط » .

فقد قلت لكم قبل الآن ان شروط التسليم تزيد ثقلا كلما تأخرتم عن نبذ العصيان وتقديم الطاعة .

انني قد انذرتكم بأن حملات فرنسية قوية جدا ستزحف عليكم في الربيع القادم فويل لكم اذ ذاك لان الشقاء والتعاسة سينزلان بقراكم وبعيالكم وبحلالكم وبمواشيكم .

« اني قد انتهيت من قراءة تاريخكم فوجدته طافحا بالامور الجميلة فأنتم اشداء في الحروب يلذ لي انا الفرنسي التحدث معكم ولكن تعالوا الي في درعا انكم سيمكنكم العودة بعد مواجهتي الى بيوتكم كما انكم ستدركون عند مواجهتي عظيم اخلاصي للدولة الدرزية لانني مجرد من الاغراض الشخصية في حين ان سلطان والاجانب الذين يغرونكم اليوم لا يفكرون الا بأنفسهم وبالدراهم التي يأملون الحصول عليها من الجنوب او من دمشق . انني عازم على جمع المجلس عن قريب في درعا فالشيوخ الذين يأتون سيتناقشون معي في القانون العتيد الذي سيعطى للدولة الدرزية وسنعتبره مع المأمورين الجدد ونقرر امر السلام ويرجع العمران والفلاح الى بلادكم مع رجوع الطمأنينة فاذا لم يتم ذلك ضربت المجاعة اطنابها في الجبل لانكم لن تستطيعوا حصد ما زرعتموه فالحملات الفرنسية ستمنعكم من ذلك فتنهب اذ ذاك قراكم وتذهب طعمة للنار ويباد ويخرب جميع ما لكم من الحلال . ان الدروز سوف يندحرون كما اندحروا في السويداء ورساس وراشيا .

ان لي ثقة في حسن ادراك شيوخ العائلات الكبرى وانني على انتظار في درعا ولكن انذركم بعدم التأخير ان كنتم ترغبون في عودة السعادة الى دياركم . واني اطلب من الحق سبحانه وتعالى ان يلهمكم الى ما به خيركم وان يرفق بأحوالكم وبكم » .

كما انه اذاع في اليوم الاول من يناير عام ١٩٢٦ البيان التالي :

« الى عموم الرؤساء الروحيين والجسمانيين للجبل وسائر الشعب الدرزي المحترمين .

« لقد بينا لكم قبل الآن بأنه يعز علينا ويؤسفنا جدا ان نراكم كل يوم تسبحون زيادة في بحر الجهالة والشقاء بمداومتكم على القيام بالحركات الافسادية واهراق دمائكم العزيزة دون جدوى . انكم شعب مخدوع لانكم تقتلون اولادكم في سبيل مصلحة هي غير مصلحتكم والذين من وراء دورهم يدفعون بكم الى الموت والخراب مسرورين جدا من امكانهم استخدامكم في سبيل غاياتهم ومطامعهم الخصوصية .

ايها الدروز ان امة بني معروف لم تكن في زمن من الازمان مستعبدة ونحن الذين منحناكم الاستقلال وجعلنا جبل الدروز دولة مستقلة مساوية لدولتي حلب ودمشق . وقد عملنا هذه الامور لمصلحتكم بالرغم من معارضة اعدائكم الذين لم يكونوا مسرورين ابدا من حظكم بل متكدرين غاية الكدر من رؤيتكم مساوين لهم في المجالس وفي مقاعد الحكومة وفي الاحتفالات الرسمية وامام كبراء وعظماء الارض الذين كنا نعزمهم لزيارة جبلكم لاعلاء جاهكم .

وانتم ايها الدروز المحترمون تعرفون جيدا كل هذه الحقائق وتعلمون حق العلم بالاختبار انا نحن الفرنسيين لسنا كقواد تركيا ممدوح باشا وسامي باشا وغيرهما من الذين كانوا يؤمنون زعمائكم وعامتكم ويحنثون بوعودهم ولسنا ايضا كالدولة العربية التي ارادت ان تجعل جبلكم متصرفية بسيطة يخضع لمأموري دمشق ويلتجيء لعجرفة مشايخ عربان البادية !
ايها الدروز الاجلاء هل رأيتم في زمانكم تاجرا من اهل المدن يحترم حقوق فلاح مادية كانت او ادبية .

كلا والف كلا فأنتم ايها الدروز شعب نشيط وذو بأس ونحن معاشر الفرنسيين احفاد بونابرت الكبير الذي كان اعظم ملوك الارض طرا والذي لما اتى الى عكا فاتحا احبكم وكتب لاجدادكم الكرام الذين احبوه ايضا عدة تحارير بخط يده فمن ذلك الذكرى العزيزة وغيرها نقدم لكم النصح والخير

اولا وان عقلاءكم يعرفون ان احفاد نابليون كثيرون جدا وان نفوسهم تتجاوز الاربعين مليونا عـدا وحكمهم يسود من اطراف المغرب الى اقاصي الهنـد الصينية على اكثر من مئتي مليـون من الرعايـا يستحيل عليكم مهما كنتم اصحاب بأس ان تحرزوا عليهم النصر النهائي او تتغلبوا عليهم نظرا لشهرتهم بتاريخ العالم واتساع سلطانهم المترامي الاطراف خاصة وهم معتمدون كـل الاعتماد ومصممون النية على الرجوع الى الجبل والعـودة اليـه مهما كلفهم الامر وانتم تدركون ان فرنسا اليـوم تفضل مائة الف مرة ان تمحى برمتها من وجه الارض على ان لا تعود الى الجبل وهي عازمة اذا اضطرها الامر ان تجلب مائة طابور لهذه الغاية اذ ان شرفها وسمعتها كدولـة معظمة يقضيان عليها بالرجوع اليـه .

لكن فرنسا وان كانت شديدة البأس فهي ايضا كبيرة الحلم واسعةالصدر وهي أم المدنيـة والعمران وتعـرف ايضا ان تفرق بين الحنطة والزيـوان وبين الجاني والضحية وكما ان اصابع اليد البشرية هي غير متساوية ففرنسا الزكية المشهورة بانسانيتها ستعرف جيـدا ان تفرق بين الذي حارب مـن تلقاء ارادتـه وبين الذي حارب غصبا عنـه وبين المعاند وبين النـادم لان الذي يعانـد يظن نفسه مصيبا في حال ان جميع النـاس عرضـة للسـهو والخطـأ ...

ان فخامة المفوض السامي المسيو هنري دي جوفنيل الذي كان في باريز نائبا لجمعيـة الامم قـد صرح بصوت جهوري وعال تسمعه جميع الاقطـار السورية انني سأحارب كـل من يريد الحرب واسـالم كل من يريد السلم ان هذه الجملة الذهبية ستلمع في تاريخ فرنسـا مظهـرة في وقت واحـد عزمها القاطع وحلمها وقدرتهـا على التفريق بين الذين يريدون الحرب وبين الذين يحاربون بالرغم عنهم لانا نحن نعلم امورا كثيرة عن الجبل ونعرف ان نفرق كما يقتضي بين الحنطة والزيوان كما قدمنا .

انني أردد على مسامعكم بأن فرنسا تضمن سلامة رأس كلّ من يقدم خضوعه بالحال وتؤمن حياته فقدموا خضوعكم بالحال بلا تردد ولا امهال واستسلموا الى فرنسا فما فرنسا الا ام حنون لكم تعالوا اليها ولا تخافوا لماذا تتركوا الغير يخدعونكم هل اصبحتم ايها الدروز عبيدا لاهل الشام وسكان شرقي الاردن ؟ انني أقول لكم الحق ان صبر فرنسا كبير غير ان له حدودا واليوم الذي يفرغ فيه صبر فرنسا تندمون حيث لا ينفع الندم وتأسفون على عدم استماع نصائحي ولكن هيهات بعد فوات الآوان .

أنا انذركم بأنه ستأتي ساعة لا تسمع فيها ضراعة ولا رجاء يوم تزحف الجيوش على الجبل بقواتها القاهرة فلا تبقي ولا تذر وتدمر وتحرق وتبيد جميع الاملاك للذين لم يقدموا قبل ذلك اليوم طاعتهم وخضوعهم لفرنسا .

ايها الدروز اني انتظركم الآن بدرعا وكل واحد منكم يستطيع المجيء عندي وانا احلف لكم بشرف الجنرال اندريا انني اتركه في جميع الاحوال يرجع حرا لبلاده بدون ادنى معارضة وفي أي وقت يريد الرجوع لكن اياكم ثم اياكم ان تتأخروا بعد او تنتظروا بعضكم بعضا وان يقول واحدكم متى ذهب الآخر انا اروح فانني احذركم من ذلك كل التحذير تعالوا الي كل واحد بمفرده لان الساعات والايام تمضي بسرعة مر السحاب ويوم العقاب صار اقرب مما تظنون والسمع على من اتبع الهدى وسمع النصيحة واهتدى الف سلام »
.

ما ان وقع هذا المنشور بين يدي عبد الغفار باشا الاطرش ووقف على ما فيه حتى بعث بكتاب الى الامير امين ارسلان مع رسول يدعى الشيخ اسماعيل عبد الدين يتضمن جواب آل معروف على ذلك البيان وهو كما يأتي :

« المسيو دي جوفنيل المندوب السامي الفرنسي

« ألقت الطيارات مع قنابلها نشرة فيها السؤال للدروز عن سبب

استمرارهم في الحرب الى ما ورد فيها فيافخامة المندوب نرجو ان يكون للحقيقة عنـدك مكان واسع حتى اذا اردت ان تطلع على حقيقة اسباب الثورة وما سبقها منـذ ٦ سنوات في اماكن مختلفة من البلاد السورية يتيسر لك ذلك دون ان تضطر الى قبول التقارير الرسمية المبنية في الاكثر على معلومات غير صحيحة كما وقع لاسلافك .

الدروز لم يعتدوا على الفرنسيين بل صبروا على شدة وقسوة وامور مخالفة لمصالحهم وللعـدل مدة طويلة وفي اثناء ذلك كانوا يجربون بكـل الوسـائل اسماع شكواهم الى ممثل فرنسا فكانت مساعيهم السلميـة هـذه تذهب سـدى حتى تفاقم الامـر وانفجرت هـذه الثـورة فكان مـا كـان ...

فالدروز يا فخامـة المندوب السامي يحاربون في سبيل حريـة البـلاد السورية واستقلالها وحقوق معترف بها وفي سبيل شرفهم الذي اهـين مرات عديدة وكـل منصف يعذرهم في ذلك ويعذرهم اذا تنبهوا هذه المرة لعدم الوقوع في خطيئات سياسية حتى لا يبقى سبب لتكرار الحروب ومعلوم فخامتكم ان الثقـة لا تتولد في النفوس لمجرد صدور الوعود فان التجارب الماضيـة التي جربت في زمن اسلافك الثلاثـة لم تترك في نفوس السوريين عموما والدروز خصوصا اثرا من الثقة والاعتماد لذلك ليس من الامور الهينة في الحاضر اقنـاع الشعب الدرزي وجميـع الثوار بترك السـلاح بلا قيـد ولا شـرط .

ان حقوق الشعوب الطبيعية التي لا تستطيع قوة بشرية قتلها او اخفاءها هي نفسها من دواعي الثورة فمتى صار الاعتراف بها للشعب السوري ووضع العمل بها على اساس متين يكفل حلول الوفاء محل الجفاء فلا يبقى باعث لتجدد القتال ولا العداوة وهذا الاساس قد آن لحكومة الشعب الفرنسي الحر الذي سبق الجميع الى طلب حقوقه بثورة دمويـة هائلة ان تضعه فتكسب صداقة

شعب كامل وتزيل من النفوس اثر السيئات الماضية التي سببت هذه الثورة وغيرها من قبلها .

اظهرتم فخامتكم اشفاقكم على نساء الدروز واطفالهم من الجوع وغيره وفي الحقيقة ان الطريقة التي اتبعها الجيش الفرنسي في رمي قنابل الطيارات والمدافع على المنازل والبيوت المأهولة بالنساء والاطفال هي اشد من الجوع والبرد وتدل على قساوة لا يمكن ان ينكرها منصف كفخامتكم ونؤكد لكم ان هذه القساوة الممنوعة بين الدول هي التي جعلت عموم الدروز يشعرون بالحقد الشديد على السلطة الفرنسية ويصممون على مواصلة القتال ويظهر لنا من عبارات هذه النشرة التي نحن في صددها ان فخامتكم لم تتوفقوا بعد الى تطهير محيطكم من الاشخاص الذين يحاولون تغطية غلطاتهم السياسية والادارية بوضع التقارير والاعتماد على بضعة اشخاص لا قيمة لهم بيننا ولا يقدرون ان يؤثروا في شيء جوهري بل يسيرون وراء المنافع الشخصية ونعتقد انه من الضروري ان نبين لفخامتكم ان الدروز ليسوا كما يصورهم لكم البعض ولا يمكن ان يلعب بهم احد فقائد الثورة سلطان باشا الاطرش قد جعلت له القيادة برضى العموم من دروز وغيرهم وقد سار على الخطة التي اجمع عليها الرأي العام وكنا نظن يافخامة المندوب انكم تقدرون عواطفنا الوطنية حق قدرها فلا تتهمونا بأننا آلة بيد الاجانب لذلك نكرر لفخامتكم اننا إطلاب حقوق طبيعية مشروعة لا غبار عليها ولا يوجد في تحقيقها ما ينافي مصلحة الشعب الفرنسي الحر .

والخلاصة اننا نؤكد لفخامتكم انكم باجابتكم البلاد الى مطالبها تخدمون الانسانية ووطنكم خدمة كبرى تسجل لكم بمداد الفخر ومن أهم هذه المطالب الاعتراف بالاستقلال واستبدال الحالة الحاضرة بشكل يتفق عليه يضمن لفرنسا مصالحها دون ان تتحمل الخسائر العظيمة في المال والرجال ودون ان تضطر البلاد لحمل السلاح دائما للوصول الى غاية شريفة لا تعجز

حكومتكم عن تحقيقها بصورة سلمية والبلاد يا فخامة المندوب غير مستعدة لقبول التجزئة المضرة وحيث ان جمعية الامم هي الهيئـة التي اتفقت على ايجادها دول العـالم المعظمة ومنها حكومة فرنسـا لاجل منع الخصام بين الشعوب فنحن نرى ان يكون الاتفاق الذي تطلبـه البلاد مسجلا لدى جمعية الامم وغني عن البيان ان هذه النقـاط كلها لا يمكن حلها بواسطة النشرات والمخابرات غير الرسمية بل تتخذ لها طرقـا اخرى كاعتماد مفوضين يمثلون الجميـع » .

الامضاء : الشعب الدرزي

جـواب المفوض

وقف المفوض على فحوى جواب الشعب الدرزي فرد عليه بالرسالة التالية وذلـك بتاريخ ٢٧ يناير عام ١٩٢٦ :

« ايها السادة : افهم جيـدا ان الشعب الدرزي يريـد تجنب الوقـوع في غلطـات جديدة حتى لا يقـع في حروب جديدة كما جـاء في الكتـاب الذي ارسل الي .

اذا كان الشعب يطمح الى الحصول على حقوق مشروعة كما صرح بـه الكتاب نفسه فاني مستعد كل الاستعداد ان امنحها لـه وفقا لميثاق جمعية الامم والانتداب كما منحتها للبـلاد اللبنانية والسورية التي لم يقع اضطرابات فيهـا انما لا يمـكن المطالبـة بهـذه الحقـوق المشروعـة الا بالوسـائط المشروعـة ...

فليكف الشعب الدرزي عن الحرب فيقدم له قانون اسـاسي بالاتفـاق مـع السلطات الوطنية ذات الصلاحية تراعى فيـه حقـوق جميع الاهـالي الساكنين في الجبل ومصالحهم وتمنياتهم .

يشكل المجلس وهو يصرح اذا كان يريد تأليف امة مستقلة ويريد الارتباط بدمشق وهو ينتخب رئيس الحكومة اذا بقي الجبل مستقلا واذا كان الامر خلاف ذلك اجتمع ممثلوا الدروز مع ممثلي المناطق الاخرى التي تطلب ذلك لتعيين حكومة واحدة والاقتراع على قانون اساسي واحد ..

تطلب فرنسا من السوريين والدروز والعلويين واللبنانيين ان يصونوا بالاشتراك حدودهم الخارجية المشتركة وان يتعهدوا بعدم استعمال القوة للفصل في الاختلافات الخارجية ولكنهم يلجأون في ذلك لتحكيم الدولة المنتدبة .

جاءت فرنسا الى هذه البلاد لتكون حكما ولتكفل رفاه شعوب سورية ولبنان بعضهم تجاه بعض ولتقدم للجميع مساعدة اختباراتها الفنية حتى ترشدهم في طريق التقدم ونجاح البلاد والسلم والعدل هذا ما ترمي اليه فرنسا فعلى الذين لا يسعون الا للخير العام ان يجتمعوا حولها ولا حاجة في ذلك لمخابرات سرية . ان التصريحات العلنية هي تعهدات اقوى جدا من الاتفاقات السرية والشعب بجملته وجمعية الامم هما كفيلان لهما فما على رؤساء الشعب الدرزي الا ان يلقوا بسلاحهم حتى يبدأ التنفيذ . السلم يولد الحرية اما الحرب فلا تولد الا الشقاء والخراب والجوع . اما بقية الشروط التفصيلية فما على رؤساء الدروز الا ان يسألوا عنها المسيو بير اليب والجنرال اندريا فاني فوضتهما بكل السلطة التي لدي » .

لم ينجح المفوض باقناع الشعب الدرزي بأن يرضخ الى شروطه المغمضة الملفقة وهكذا فشل هذه المرة ايضا كما ان سبق له الاخفاق في غيرها من قبل وقد آثر بنو معروف مواصلة القتال والضرب بعز وشهامة على ان يرضخوا لاستعباد عن رضى وطواعية .

فشل السلطة في قضية الانتخابات

عندما وصل المفوض الى بيروت كان حائرا بالطرق التي يجب عليه ان ينتهجها لانهاء الثورة فكان من جملة ما دبره هو اعلان الانتخابات في جميع سورية خلا لبنان . متخذا من استثناء هذه الطرق حجة الاطلاع على الراي العام مما أخاف العقلاء وجعلهم يتشاءمون من ذلك . على ان الوفد الدمشقي عندما كان في بيروت كان اول ما لفت نظره الى تلك النواحي واول ما حذره من الاقبال على ذلك غير ان المفوض قد اصر على انفاذ خططه فأذاع في ثالث وعشرين كانون الاول سنة ١٩٢٥ ديسمبر القرار الذي تعريبه ما يلي :

« ان المسيو دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ والمفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان الكبير وبلاد العلويين وجبل الدروز .

باعتبار الاضطرابات التي تسود قسما من سنجقي دمشق وحوران والتي اخرت موعد الانتخابات والتي لا يمكن ان تؤخذ الاكثرية بجريرة الاقلية ...

وباعتبار عدم وجود مجلس تمثيلي يعطل اشغال المفوضية العليا والحكومة السورية ان كان من جهة الميزانية او من الحكومة او من جهة المصالح العامة وتقدم البلاد ورقيها حيث لا يمكن معرفة افكار وآراء ممثلي البلاد الا بالتئام المجلس .

وباعتبار ان الانتخابات اذا لم يكن في الامكان ان تجري في الانحاء التي تسودها الاضطرابات بسبب وجود حالة عرفية بها فلا شيء يمنع حصولها في الانحاء الاخرى التي تسودها السكينة .

وباعتبار ان مصلحة سورية الاسراع باجراء الانتخابات في المحال التي يتمتع اهلها بالسكون والحرية لاجراء انتخاب حر .

وبناء على اقتراح السكرتير العام تقرر ما يأتي :

المادة الاولى ـ تجري انتخابات الدرجة الاولى للمجلس التمثيلي في الانحاء التي لا يوجد فيها حالة عرفية بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٢٦ وانتخاب الدرجة الثانية في ٢٢ منه .

المادة الثانية ـ تجري الانتخابات في السناجق الاخرى بعد شهر من رفع الادارة العرفية فيها .

المادة الثالثة ـ قبل اجتماع المجلس التمثيلي يجتمع مندوبو كل سنجق وولاية في المحل الذي يعينوه بأنفسهم ويعبرون عن تمنياتهم في الموقف السياسي الذي يرونه موافقا في السناجق التي يمثلونها وباقي الدوائر العمومية السورية .

المادة الرابعة ـ يجمع المندوب السامي بعدئذ ممثلي السناجق معتبرا بقدر الامكان التمنيات التي كانوا ابدوها بموجب قاعدة التسلسل التي قد قرروا تشكيلها .

المادة الخامسة ـ المجلس او المجالس التي تكون تألفت بهذا الشكل تتبع التعليمات الاساسية المعينة في المادة السابعة من القرار ٢٩٨٠ المؤرخ في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٤ لحينما يتم تشريع القانون الاساسي . ويمكنهم في الساعة التي يعينونها ان يصدقوا على القانون وذلك بموجب الصلاحية المعطاة لهم بموجب صك الانتداب أ هـ » .

اما قاطنوا لوائي حمص وحماه فانهم ابوا ان يشتركوا في هذه الانتخابات عندما وضح لهم خطرها ولقد عيت رجال السلطة هناك عن ايجاد من يرشح نفسه فأخذت بأعمال الارهاب والاعتقال فاتهمت في حمص بتاريخ ٢٥ يناير احد عشر وجيها بجريرة مناواة الانتخاب وقد ابعدتهم الى ارواد وهم السادة هاشم الاتاسي ، مظهر الاتاسي ، وصفي الاتاسي ، شكري الجندي ، توفيق الجندي ، نورس الجندي ، مظهر ارسلان ، راغب الجندي ، رفيق ارسلان

عبد القادر مراد يحيى خانكان وها هي صورة البيان الذي نظمه مجلس بلدية حمص داعيا لمقاطعة الانتخابات :

« نحن اعضاء المجلس البلدي في حمص بحسب التمثيل المشروع الذي حمله من الشعب الحمصي وبالنظر لما شعرنا به من اجماع الاهالي على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلي بحسب القرار الاخير لمخالفته للاماني الوطنية — قررنا تنفيذا لرغائب الشعب الذي ائتمنا على مصالحه رفض الاشتراك باجراء هذا الانتخاب .

« رئيف رسلان ، محمد مظهر الاتاسي ، محمد راغب الجندي ، علي الجندي ، شكري الاخرس ، عيسى فركوح ، عبد الرزاق الاخرس ، عبد المجيد الزهراوي » .

على ان مجلس بلدية حماه لم يكن اقل وطنية من زميله في حمص اذ اعلن مقاطعة الانتخابات في ٦ يناير بقرار اليك نصه :

« نحن اعضاء المجلس البلدي بحماه بالنظر لما تحققناه من اجماع الاهلين على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلي بموجب القرار الاخير لمخالفته للاماني الوطنية وبحسب تمثيلنا المشروع الذي ائتمنا عليه من قبل الشعب الحموي فتنفيذا لرغائبه ومصالحه قررنا رفض اشتراكنا في الانتخاب .

رزق الله فرح ، احمد الدريعي ، الحاج سليم عدي ، عبد الرزاق الاسود محمد البرازي ، محمد عدي » .

وان المجلس الاداري في نفس المدينة كان قاطع ايضا الانتخابات وأبى بجموعه ان يساهم فيها .

كان حاكم سورية الفرنسي المسيو بير اليب في عاشر يناير في بلدة حمص مجتمعا الى وجوهها محبذا لهم العمل في الانتخابات فأجابوه :

« انهم آسفون جد الاسف لما بلغت اليه الحالة الحاضرة من سوء تفاهم بين الشعب ورجال الدولة المنتدبة مما ادى الى مقاطعة الانتخابات وانهم

كـانوا يتمنون ان يحوم طائر الامن فوق سائر اصقاع الاقليـم السوري حتى يشترك جميع افراده باختيار الاكفياء لتمثيل الامة في مجلسها النيابي المنتظر غير ان انفراد بعض المدن باجراء الانتخابات دون بعض فيـه ما فيه من تجزئة البلاد الامر الذي يتجنبه كل وطني مخلص » .

ثم ولى وجهه شطر حماه لعله يستطيع ان يكون له هناك من النجاح في حمل الحمويين على المساهمة في الانتخابات غير ما لقيه من اهالي حمص . ولكن ما كاد يتصل برجالهـا حتى كان موقفهم منه نفس موقف رجال حمص في ذاك الصدد . فلم يقعـد به الاخفاق عن اتمام سيره الى حلب حيث كان مصيره الفشل ايضا من اهاليها .

عاد المسيو بير اليب والحنق بالغ منه منتهاه لما مني به من عدم النجاح ووضـع تقريرا اسهب فيـه بشرح ما اطلع عليـه من الوضع السوري رفعه الى المفـوض السـامي فتنـاول منـه بتاريـخ ١٣ ينـاير كتابـا تعريبـه مـا يلي :

« تناولت تقريرك عن الرحلة التي قمت بهـا مؤخـرا في حمص وحمـاه وحلب واني على رايك في استنتاجاتك .

ان الكولونيل مارتان المثبت في وظيفة المندوب المعاون يتعلق اذن في كل المسائل التي تتناول النظام العسكري . يمكن ان يظل هذا النظام ما دامت هذه النظم ليس لها ممثلون .

ليس مما يوجب علينا العجلة . اني قررت ان امنح البلاد قوانين اساسية تقيها لمستقبل بعيد من الحرب الاهليـة والحرب الدينية والحرب الاجنبيـة التي هي فريستها من اجيال عديدة سواء اتطلب الامر شهورا ام سنين فلذلك لا اهمية له . فانا عندي الوقت الكافي .

لقد جردت فرنسا في اثنـاء الحرب سبعة ملايين ولم تضطر الـى تجنيد رجل واحد زيادة عن جيشها للقيام بالاعمال الحربية في المغرب الاقصى وسورية

واحتلال الجانب الشمالي من نهر الرين . اما نفقاتها في سورية فهي لا توازي ستة اجزاء من الف جزء من ميزانيتها السنوية أي ان الجهود لا تثقل كثيرا على عاتقها . ومن جهة اخرى ماهي الصعوبات العسكرية التي تقوم بواجبها بازاء الصعوبات التي اعترضتنا في مدغسكر وفي تونس وفي المغرب وفي الهند الصينية وفي اوروبا ؟ ان الجمهورية الفرنسية لم تتراجع قط عن مهمة شرعت فيها وقد انتهت جميع حروبها بالانتصار .

فأنا اشعر اذن بشفقة كبرى تجاه الذين يتصورون ان السوريين والدروز يتمكنون بواسطة الخديعة او القوة من صدنا عن مقاصدنا فأرجوك ايها الصديق العزيز ان تعمل بصبر وحزم لتبديد هذه الاوهام التي ولدها الجهل وان تهتم الاهتمام التام ذاته في هدم سوء التفاهم الذي حاول بعض ذوي المطامع ايجاده بين سورية وفرنسا .

حال بعضهم ثلاث مرات في شهر واحد دون الدستور والسلم : حالوا دون ذلك في القاهرة بمطالبهم غير المعقولة وفي جبل الدروز بردهم مساعي الوطنيين الذين كانوا يرمون الى تخليص اخوانهم من توالي الجوع والشقاء والموت وفي بيروت بعملهم على اخفاق مساعي الشيخ تاج الدين في تأليفه الحكومة ولمحاولتهم معاكسة الانتخابات .

انني اكره جد الكره السياسة الخفية ففي الخفاء تعد المؤامرات التي تشقى بها الشعوب اما الحياة فلا بد لها من النور .

عندما تلقيت استقالة رئيس الدولة السورية اردت ان انشيء نظاما دستوريا في كل مكان يساعد به السلام على ذلك .

كان في وسعي ان اجري الانتخابات في حلب والاسكندرونة وبلاد العلويين فأجريتها اما في دمشق وجبل الدروز فما كانت الاضطرابات لتسمح باجرائها ففكرت ان قاضي دمشق يقدر على تأليف حكومة موقتة .

ولو وفق الشيخ تاج الدين في مسعاه لكان بتقريبه السلم قرب موعد

الانتخابات في دمشق ولتمكنت البلاد السورية من الاشتراك بالمناقشة في مصير مقدراتها . فلسورية لا لفرنسا ان تقول اذا كانت تريد ان تكون متحدة او منفصلة .

لقد تناولت مضابط متعارضة من حلبي والاسكندرية وانطاكية . ان طريقة المضابط تكاد لا تغني شيئا واني قد رايت بعض الاسماء على عريضتين مختلفتين في المبدأ ولذلك رايت من الواجب ان الجأ الى الانتخابات التي هي واسطة الشعوب المتمدنة للاعراب عن رايها . ولو كان تم الصلح قريبا في دمشق لكنت مستعدا كما صرحت للشيخ تاج الدين ان اعرض قرارات السناجق على الجمعية التأسيسية ولكانت اكثرية هذه الجمعية قررت الامر قرارا نهائيا .

ولو كان جبل الدروز الآن في حالة سلم لكان تمكن من اختيار دستور وحكومة ولو كانت دمشق متمتعة بالسلام لتمكنت من انتخاب ممثليها في الجمعية التأسيسية والمناقشة بالاشتراك مع بقية الجهات السورية . كل ما اطلب من سكان الاراضي الواقعة تحت الانتداب يوم يتم الصلح هو ان يتفاهموا فيما بينهم والشيء الوحيد الذي اعارضهم فيه عندئذ كما اعارضهم الآن هو ان يدعوا تنفيذ مآربهم بالقوة .

ان حقوق الضعفاء والاقوياء في نظر فرنسا هي متساوية فيجب اذن ان يجري تحكيم الدولة المنتدبة في الاختلافات التي تنشأ بين الجهات المختلفة من الاراضي الواقعة تحت الانتداب .

ان العالم المتمدن لا يفقه كيف ان السوريين لا يتمكنون ضمن هذا الاطار المرن الواسع من ان يمنحوا نفوسهم دساتير الشعوب الحرة . اما مسائل الحدود الداخلية فمن الجنون التكلم فيها في الساعة الحاضرة فليهتم السوريون في تنظيم سورية قبل ان يطمحوا الى توسيعها .

انا على يقين من انك تساعدهم على ذلك بنزاهة تامة تجاه جميع العناصر والمذاهب وبعطف قوي على المسلمين والنصارى على حد سواء . فانا بكل

ثقة اذن اراك تأخذ على عاتقك هذه المهمة . فتش عن السلم ولكن ان لم يقدموا؟!
لك الا الحرب فاقبل الحرب » .

الفتن في حلب

من البداهة ان يكون في البلد الواحد رجال جبلوا على الوطنية وآخرون على الرجعية وان يقاطع الانتخابات في حلب الاكثر الاغزر وان يشذ ويكون من الخوارج نفر من الارمن وبعض لئام المسيحيين لا من كرامهم ويسير ممن دعوا بالمسلمين عرفوا بمصانعة السلطة ودهانها وان يرضخوا لها في كل مطلب ويذعنوا لامرها في كل مأرب وان يكونوا مطيتها التي تمتطيهم كالانعام لبلوغ هدف من اهدافها وطعن للامة من طعناتها . فكان رأي هذه الفئة الضئيلة الاشتراك في الانتخابات مما اهاب بالوطنيين في حلب ان يبرقوا في ٦ يناير سنة ١٩٢٦ الى المفوض السامي بالبرقية التالية محتجين على الانتخابات وطالبين وقفها وها هي نص البرقية :

« قرار فخامتكم بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥ جاء صدمة لآمال الامة اذ يقضي بأن يكون انتخاب المجلس النيابي على اساس اللواء ويعطيه حق تقرير المصير في الارتباط مع الالوية الاخرى مما يفسح مجالا للدسائس الرامية الى الانفصال عن الوحدة السورية اذ تكون الاكثرية العظمى في المجلس من اهل الاقضية والقرى الذين لا تؤهلهم خبرتهم لمعرفة صالح البلاد والنظر في القانون الاساسي ولا يملكون حرية الفكر بدليل توقيعهم مضابط الانفصال التي أكرهوا عليها بقوة الدرك والمستشارين والقائمقامين مع عدم معرفة ما وقعوا عليه فنلفت نظركم الى ان اجراء الانتخابات في جزء من البلاد السورية منفصلا عن البقية وعلى هذا الشكل مخالف للنظريات الصحيحة .

نحتج على هذا القرار ملتمسين اجابة مطالبنا التي تقدم بها الى فخامتكم الوفد الدمشقي » .

التواقيع : عاكف الجابري وعبد الحميد الجابري والمهندس اسماعيل

باقي والطبيب علي رامز باقي والطبيب عبد الرحمن الكيالي والصيدلي سعاد جلبي وابراهيم هنانو والمحامي عبد القادر سرميني والصيدلي نعمان ونس ورشيد كتخدا ومصطفى كتخدا والنائب محمد ربيع المنقاري والصيدلي احمد الكواكبي والمحامي احمد منير الوفائي وعبد الودود كيالي وصبحي الاميري والمحامي احمد راشد المرعشي واسعد ابراهيم باشا والنائب محمد فاخر الجابري والشيخ طاهر الكيالي ومحمد زكي ميسر والحاج نوري الجسري واحمد الرفاعي » .

لم يشأ المفوض ان يصغ لنصيحة الوطنيين وان يعمل لوقف الانتخابات بل اصر على مباشرتها في الموعد الذي قرر لها فلم تجد حلب ندحة عن اعلان استنكارها لما تصادم به السلطة رغباتها . فأضربت على العمل وتعطلت عن اتيان مشاغلها وتوقف المسلمون عن المساهمة فيها وظل الاضراب طوال يوم السبت . عندها تنبهت السلطة الى انها مخفقة في عمليتها اذ ما ظل المشرفون على الاعمال الانتخابية من المسلمين كذلك استبدلتهم بنفر من مشايعيها وممالئيها فأجهدوا نفوسهم طويلا ولكن لم يفوزوا بطائل وعندها صدر قرار في مساء السبت مآله تمديد اجل الانتخاب حتى مساء الاحد وبذا اصطدم القرار المذكور مع القانون وعلاوة على ذلك فقد تضمن وجوب اتمام الانتخابات في ٤٨ ساعة رغم كل ظرف وموقف .

وقد ألقي القبض في مساء السبت على كل من احمد الرفاعي ، الحاج ربيع المنقاري ، سعد الله الجابري ، منير العمادي ، عبد اللطيف الكيالي ، عبد الجليل الكيالي ، زهير جابري ، الحاج محمود ابو صالح وغيرهم وقد القت السلطة نطاقا حول دور عدد من الزعماء تحجز حريتهم مانعة اياهم من مبارحة بيوتهم ...

ولقد أذيع لمقاطعة الانتخابات بيان بالنص التالي :

« في هذا الوقت العصيب وبينما الامة تسعى لتحقيق وحدتها السياسية

وسيادتها القومية على الاسس التي اجمعت البلاد على المطالبة بها عمدت المفوضية الفرنسية الى اجراء الانتخابات للمجالس التمثيلية في حلب وفي بعض الالوية كل على حدة مهملة الركن الاعظم والاهم منها لتكون هذه المجالس آلة لتجزئة البلاد وتفريقها فالحلبيون المخلصون لوطنهم يترفعون عن ان يكونوا سببا لهذه التجزئة المميتة فأجمعوا بالاتفاق على عدم الاشتراك في هذه الانتخابات وقرروا مقاطعتها ورائدهم في مشروعهم الاخلاص والثقة في حمية مواطنيهم الكرام .

فيا أيها الحلبي المخلص لوطنك وقومك اجعل رائدك الذمة والضمير فأنت حر وليس من قوة تجبرك على الانتخاب فلا تعبأ باعتقال او تهديد ايا كان مصدره لانك في حماية الامة التي خلق القانون لضمان حريتها واحترام ارادتها والسلام عليكم » .

ظلت حلب مضربة يوم الاحد ايضا مما أثار الم الفرنسيين ودعاهم الى اعتقال كثير من مقاطعي الانتخاب . فكدر ذلك الاهلين فتجمهروا يطلبون اطلاق سراح المعتقلين وابرق الزعماء الى المفوض السامي بالبرقية التالية :

« الحلبيون رائدهم القانون قاطعوا الانتخاب لانه لايتفق مع مطالب الامة السورية . الانتخاب حق لا اكراه فيه ولا عقاب عليه لكن السلطة الفرنسية وترجمان البعثة وموظفي الاستخبارات ومأموري الشرطة والبلدية يستعملون وسائل الاكراه والتهديد ويجبرون الناس على الانتخاب . ولقد اوقف بعض من لم ينتخب ووضعت اوراق مزورة في الصناديق وعزل رؤساء المناطق وصرخ المنادون باسم البلدية من لم ينتخب يقع تحت طائلة الجزاء . وحبس عدة اشخاص للارهاب بلا سبب قانوني ومدد اجل الانتخاب يوما ونصفا كل هذا كي تحرم الامة حقوقها المقدسة التي خلق القانون لحمايتها وتضعف الثقة بامكان تنفيذ مبادئكم السامية التي جئتم لاجلها فنحتج على هذه الاعمال المغايرة للحق والحرية طالبين وضع حد لها ليبقى الشعب حرا » .

« التواقيع : ابراهيم هنانو وربيع المنقاري وسعد الله الجابري والدكتور

عبد الرحمن الكيالي واحمد الرفاعي وجميل ابراهيم باشا وجميل فنصه » .

تجمهر الناس في الجامع الاموي الكبير في حلب لاداء صلاة العصر يوم الاحد فصعد المنبر الشيخ طاهر الكيالي يدعو الحاضرين الى المؤازرة والمعاقدة وتوحيد الكلمة على طلب الاماني المشروعة حاضا اياهم على الاخلاد للهدوء . وقد غادروا المسجد بمظاهرة كبرى يؤمون دار الحكومة لاطلاق سراح المعتقلين يتقدمهم تلاميذ المدارس وهم يهزجون بالاناشيد الحماسية وما ان بلغوا دار الحكومة حتى اقتحموها ينادون بحياة الاحرار وباسقاط الانتخابات المزيفة طالبين اخلاء سبيل المعتقلين عندها خرج مرعي باشا الملاح حاكم حلب يدعو النـاس الى التفرق واعدا اياهم بالسعي في اخلاء سبيل المعتقلين فاعتـلى منكب احـد الناس شاب دار بينه وبين الحاكم الحوار الآتي :

ـ لماذا سجنت هؤلاء الاحرار ؟ .. فأجابه :

ـ والله يا بني انا ما قبضت على احد ولا عندي خبر !!..

ـ اذن ليس لك من الامر شيء ...

ـ نعـم ..

ـ نطلب منـك اخلاء سبيلهم فورا ...

ـ لا استطيع ذلـك ...

ـ اذا كنت لا تستطيع فلماذا لا تستقيل ؟ ....

ـ انا ذاهب الى مندوب المفوض السامي للبحث معه ...

اقبل وفد من العلماء لمقابلة الحاكم وقـد خرجوا جميعا واياه يقصدون دار المندوب المفوض الـذي رفض مقابلتهـم مما زاد في استيائهم ضغثا على ابالة ومما اثار حفيظتهم ودعـاهم لان يقسموا بكـل محرجـة من الايمان الا ان ينتقموا .

ابان ذلك وصلت قوة من السنغال والمغاربة ودبابات الى دار الحكومـة باغتت الجماهير باطلاق النـار فتشتتوا من بعد ان قتل خمسة عشر رجـلا

وجرح اربعون واعتقل ثلاثون فأقفلت المدينة برمتها وساءت الحال واشتد الكارث ووقفت حركة البلد فألف المفوض محكمة استئنافية لمحاكمة مقاطعي الانتخابات فحكمت بالاحكام الآتية :

« حكمت على السيدين عبد القادر ناصح الملاح وجميل ابراهيم باشا حكما وجاهيا بالسجن ستة اشهر وغرامة « ٤٠٠ » فرنك وحكمت غيابيا على السادة ابراهيم هنانو ومحمد توفيق الحكيم واحمد ناصر آغا وبسيم القدسي وفاخر الجابري والمحامي عبد القادر سرميني ورشيد كتخدا ومحمد الهبراوي ومحمد الهاشم وحسين الفداوي وعبود كله بالسجن سنة واحدة وغرامة ٤٠٠ فرنك ما عدا السيد فاخر الجابري والمحامي عبد القادر السرميني فقد ارسلا الى المحكمة تقارير طبية تنبيء بمرضهم الا ان المحكمة اعتبرت هذه التقارير غير نظامية فرفضتها . وحكمت على الشيخ راغب الطباخ صاحب المطبعة العلمية وابنه السيد محمد بغرامة ١٢ ليرة لطبعهما النشرة الخاصة بمقاطعة الانتخابات .

وقد اجلت المحكمة الى وقت آخر النظر في قضية باقي المتهمين المعتقلين الذين ارسلوا الى قلعة ارواد وهم السادة : سعد الله الجابري والدكتور عبد الرحمن الكيالي والحاج ربيع المنقاري واحمد الرفاعي ومنير العمادي ...

بعثت السلطة بنجدات الى حلب لتهدئة الحال وقد اعتقلت الكثير من الرجال وابعدتهم الى ارواد واليك اسماء هؤلاء الافذاذ : عبد الرحمن الكيالي طاهر الكيالي ربيع المنقاري الحاج عثمان الشراباتي سعد الله الجابري احمد الرفاعي صلاح الدين الجابري منير العمادي .

اما اختفاء الزعيم ابراهيم هنانو وعجز السلطة عن اعتقاله فقد ادى الى رواج شوائع عدة قال بعضهم بأنه قصد الحدود لاشعال النار والفتن كما فعل في عام ١٩٢٠ وبعضهم قال بأنه غادر حلب للانضواء تحت لواء الثورة في الغوطة وبعضهم قال غير ذلك الى ان بدد اوهام هذه الشوائع بظهوره فجأة تحت سماء حلب يسلم نفسه للسلطة في الشهباء .

اكبرت فيه السلطة هذه الجرأة وعظم امره لديها فما كان منها ان اصابته بسوء بل اطلقت سراحه .

رغم جميع ما مر من الحوادث المقلقة المزعجة من جراء الانتخابات في حلب فانها تمت على رغم كل ما كان وجرى وقد فاز بالقوة كل من صبحي بركات رشيد المدرس غالب قاطر اغاسي شاكر نعمت الشعباني ميشيل جنادري سليم جنبرت رحمون نحماد .

كان هؤلاء الرجال ممن اعتمدتهم السلطة واخرجتهم بحرابها ظنا منها بأنهم سيمالئونها وسيبرمون اليها ما تشاء ولكن ما عتمت ان ساء فألها وطاش سهمها وصلد زندها ومنيت برجال اول ما قرروه في مجلسهم المطالبة بالوحدة السورية مما أزعج الفرنسيين وعكر صفوهم وشغل بالهم ودعاهم لاصدار قرار لحل المجلس ولم تعد السلطة لتدعوه مرة اخرى لاجتماع ما .

مسلموا لبنان والوحدة السورية

انشغل مجلس لبنان التمثيلي بوضع دستور جديد لبلاده فتألف جمع من كبار المسلمين منتهزين فرصة انشغال المجلس التمثيلي اللبناني في خامس كانون الثاني بدار جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بناء على دعوة من القاضي والمفتي موجهة اليهم وهنالك ناقشوا الاسئلة التي بعث بها رئيس المجلس المذكور الى مسلمي بيروت وقد صاغوا الرد الآتي :

« من المعلوم ان رغائب ومطالب الطائفة الاسلامية التي هي الاكثرية الساحقة في البلاد التي الحقت بمتصرفية لبنان منذ اعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ هي رفض هذا الانضمام وطلب الالتحاق بالاتحاد السوري على قاعدة اللامركزية وقد كررت احتجاجها على هذا الانضمام الذي وقع رغم ارادتها ومن دون استفتائها في ظروف عديدة وقدمتها مرارا الى المفوضية العليا وباريز وجمعية الامم وهي حاوية لجميع الحجج القاطعة والاسباب المشروعة

لرفض هذا الانضمام وآخر احتجاج قدمته شفاهيا بواسطة وفد من اعيان الطائفة الاسلامية وخطيا الى فخامة المفوض السامي وعليه قررت الطائفة الاسلامية في بيروت بالاجماع مغتنمة فرصة ورود الاسئلة الموجهة اليها من اللجنة الدستورية ان تعيد تثبيت احتجاجاتها السابقة على الحاقها بلبنان ورفض الاشتراك في الاسئلة الموجهة اليها من اللجنة المشار اليها في ما يتعلق بسن الدستور اللبناني ونؤيد ونكرر طلب الرجوع الى ما كانت تحفظه لنفسها بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية في كل وقت وزمان »

وهذه اسماء الذين اشتركوا في هذا الاجتماع :

« الشيخ احمد عباس والداماد احمد نامي وانيس الشيخ وبدر دمشقية ـ رئيس بلدية بيروت ـ والمحامي جميل الحسامي وجميل بدران والدكتور حسن الاسير وحسن قرنفل والدكتور حليم قدورة وحسن القاضي وحسن القباني والمهندس حسن المخزومي وخير الدين النحاس وخليل دعبول والحاج رشيد اللاذقاني والشيخ رضا القباني وزكريا النصولي والدكتور سامح الفاخوري وسليم الطبارة وشريف خرما وطه المدور وعبد الله بيهم وعارف رمضان وعمر الداعوق ـ عضو بيروت في المجلس التمثيلي ـ والحاج عبد القادر القباني ـ مدير الاوقاف ـ والشيخ عبد الكريم ابو النصر ـ نقيب الاشراف ـ والشيخ عبد الباسط الانسي والدكتور عبد الرؤوف حمادة ومحمد المخزومي ومحمد الفاخوري ومحمد عمر نجا ومحمد الباقر وخير الدين الاحدب ومحمد اللبابيدي ويوسف النحاس والشيخ عبد الرحمن المجذوب وحسن البنداق » .

مقاطعة الانتخابات في بعلبك

عقد المجلس البلدي في بعلبك اجتماعا قرر فيه ما يأتي :

« من المعلوم ان رغائب ومطالب الاكثرية الساحقة في البلاد التي الحقت

بمتصرفية لبنان منذ اعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠ هي رفض هذا الانضمام وطلب الالتحاق بالاتحاد السوري على قاعدة اللامركزية وقد كررت احتجاجاتها على هذا الانضمام الذي جرى بالرغم عن ارادتها وبدون استفتائها في ظروف عديدة وقدمتها مرارا الى المفوضية العليا وباريس وجمعية الامم وهي حاوية لجميع الحجج القاطعة والاسباب المشروعة لرفض هذا الانضمام وآخر احتجاج لهـا قدم بصورة شفاهية بواسطة وفد من اعيان الطائفة الاسلامية وبصورة خطية الى فخامة المفوض السامي فعليه قرر مجلس بلدية بعلبك منتهزا فرصة وصول الاسئلة الموجهة اليه من اللجنة الدستورية اعادة تثبيت الاحتجاجات السابقة من الاكثرية الساحقة على الالتحاق بلبنان ورفض الاشتراك في الاسئلة الموجهة اليه من اللجنة المشار اليها فيما يتعلق بسن الدستور اللبناني ويؤيد طلب الاكثرية الساحقة في البلاد التي الحقت بمتصرفية لبنان بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية في كل وقت ولهذا لا يرى مجلسنا لزوما لاعطاء الجواب على هذه الاسئلة ولا ارسال مندوبية ــ وقد نظم هذا القرار ورفع لرياسة المجلس النيابي في دولة لبنان الكبير باتفاق الآراء ــ .

صيدا والوحدة

نظم مسلموا صيدا بيانا طلبوا فيه الانفصال عن لبنان والالتحاق بسورية بعثوا به لرئاسة المجلس التمثيلي نصه ما يلي :

« قد علم لدى ممثلي الجمهورية الفرنسية في البلاد السورية من حين اعلن ما يدعونه دولة لبنان الكبير كما انه علم لدى مجلسي البرلمان والوزراء في فرنسا ولدى جمعية الامم نفسها ان جميع افراد الطائفة الاسلامية التي تؤلف الاكثرية الحقيقية في هذه البلاد لم يرضوا عن الحاقهم بمتصرفية لبنان القديمة ذلك الالحاق الذي ارغموا عليه ارغاما يؤيد ذلك الاحتجاجات

العديدة التي قدمت الى كبار الرجالات والهيئات السياسية والفرنسية والى جمعية الامم في ازمنة متعاقبة في كل الخمس السنوات التي وجدت فيها دولة لبنان الكبير والآن تغتنم الطائفة الاسلامية فرصة تكليف المفوض السامي المسيو دي جوفنيل المجلس اللبناني تنظيم القانون الاساسي لتظهر رغباتها الاكيدة في الانفصال عن ما يسمونه لبنان الكبير والانضمام الى الوحدة السورية على اساس اللامركزية .

وعلى هذا فقد قررت الطائفة الاسلامية في صيدا باجماع الآراء على اثر ورود الاسئلة الموجهة اليها من اللجنة الدستورية عدم الاشتراك في سن الدستور اللبناني وتكرير طلباتها الحقة بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على اساس اللامركزية ملتمسين تحقيق اماننا عملا باحترام حقوق الشعوب المقدسة » .

وتبع ذلك عشرات التواقيع كلهم من زعماء ووجهاء صيدا .

طرابلس الشام والوحدة

وابرق تجار ووجهاء وشباب وعمال طرابلس الشام برقيات يطلبون فيها الانضمام الى سورية كما انه جاء من عكار مثل ذلك .

الوحدة في جبل عامل

لم يكن شأن قاطني جبل عامل من حيث تطلاب الوحدة السورية بأقل من عكار وطرابلس الشام لذلك بعثوا بالمضبطة التالية للمندوب السامي :

« نحن اهالي جبل عامل منذ الحاقنا بلبنان الصغير ما زلنا نرى الغرم علينا والغنم له ندفع الضرائب ولا ينفق علينا منها سوى القليل حتى نرى حقنا مهضوما معه فلا نعطى من الوظائف ما نستحقه ومعلوم ان هذا الاستئثار شديد على النفوس جدا لذلك نطلب من عميد الدولة المنتدبة المسيو ديجوفنيل فصلنا عن لبنان بانشاء ادارة مستقلة تحت اشراف الدولة المنتدبة وان

آمالنـــا وطيدة بعدل المفوض السـامي وانصافه ان يجيب طلبنا هذا الذي هو حق وعدل » .

التواقيع : احمد رضا ، محمد التامر ، راشد عسيران ، حسين الدرويش ، النائب نجيب عسيران ، النائب السابق فضل الفضل ، علي جابر ، سليمان مروة ، علي عبـــد الله ، خنجر عبد الله ، اسماعيل خليل ، محمد جابر ، عبد الحسين ، محمود الامين ، السيد علي بدر الدين احمد حاج سعيد صباح » .

كما ان وجهاء مسلمي اللاذقية ابرقوا الى المندوب برقية طلبوا الوحـــدة فيها بالنص الآتي :

« باسم الاكثرية باللاذقية نلتمس اعلان الوحـــدة السوريـــة واشتراكنا بانتخابات المجلس التأسيسي السوري » .

اضطراب الفرنسيين لطلب الوحدة السوريـــة

عظم الامر على المفوض السـامي ان يهب المسلمون في لبنان هبة واحـــدة طالبين الانضمام الى الوحدة السورية كما اخابهم ان يتضامن السوريون في الداخل وان تجتمع كلمتهـــم على نبـــذ الانتخاب والتمسك بالوحـــدة فأيقن بخسران الصفقة وادرك ان من اشار عليه بالانتخاب كان سافه الراي خـــاطيء الفكر سيء التدبير لذلك الغى الانتخابات في الداخل وسعى باتخاذ تدبير لايقاف حركـــة الانفصال في لبنـــان واذاع بلاغا في ١٧ كـــانون الثـــاني سنة ١٩٢٦ هذا تعريبـــه :

« يتلقى منـــذ زمن المفوض الســـامي كثـــيرا من المضابط المعارضة بعضها بعضا فمنها ما يرمي الى اقتطاع هذا القسم او ذاك من لبنان ومنهـــا ما يطلب ابقاء الحدود الحالية على ماهي فهذه المضابط غير مفيدة .

ان شكل الانتخابات الذى يسمح للاهالي بأن يجهروا بأصواتهم في اوقات

منظمة هو افضل كثيرا من هذه العرائض فان الاول هو نداء للشعب وهـذه نداء لولي الامـر . ولهذا قرر المفوض السامي ان تكون الانتخابات لاحقة للسلم في كل مكان . ان الذين يواصلون عداءهم للانتخابات او يمتنعون عن الاشتراك فيها يتنازلون بأنفسهم عن استعمال حقوقهـم ويرى المفوض السامي ان من الواجب عليه ان ينبههم الى ذلك .

اما الذين يتعرضون للحدود فانهم يثيرون عداوات الجنسيات والاديـان ويجعلون الاتفاق بين الدول مستحيلا .

وهكذا فانهم يقفون في وجه الوحدة الحقيقية التي تقوم بتوثيق علاقـات المودة والمصلحة » .

حل حاكم لبنان مجلس بعلبك البلـدي بقرار اصـدره في سادس عشر كانون الثاني اذ انـه لم يطلب الانفصال عن لبنان فحسب بل ارتكب بنظـر السلطة مخالفة كبيرة .

عمر الداعـوق والوحـــدة

كان في مجلس لبنان التمثيلي رجال لم يقعـد بهمتهم اكثريتـه الممالئة للسلطة عن ان يرفعوا الصوت تحت قبة ذلـك المجلس يدوي عاليا بمطاليب البلاد الحقة ولم يكونوا على قلتهم الا الرجال الذين اسمعوا الخارج وما وراء البحار مطاليب الامة اللبنانية العربية طالبين تحقيق الاماني فلم يقصروا باداء رسالة الوطـن حقها ولم يكـن مفعـول السـلطة لتخفف من حماس هـؤلاء الرئابيل الافذاذ .

ان المجاهد باللسان والقلم وبكل مناسبة عمر الداعوق النـائب بالمجلس التمثيلي اللبناني واخـوته في الجهاد الوطنيين الاحرار قد قاموا بأوفر قسط من الوطنية نحو امتهم فقـد ابرق الوطني الحر والنائب الجريء عمر الداعوق

الى سكرتير جمعية الامم عن طريق المندوب السامي البرقية التالية :
« أنا الموقع على هـذا عمر الـداعوق نائـب بيروت اتشرف بأن ابسط لسعادتكم ما يلي : —

اولا — ان فريقا من نواب بيروت وطرابلس وصيدا والبقاع ، مع كونهم اقلية عددية الا انهم يمثلون اكثريـة السكان الذين تتألف منهم الجمهوريـة اللبنانية ، قد قدموا اثنـاء المناقشة في الدستور اللبناني اقتراحا احتجوا فيـه على ضم الاراضي التي يمثلونها الى لبنان دون ان يؤخذ راي اهاليهـا قبل ذاك الضم فهم يطلبون ان تؤلف هذه الاراضي دولـة مستقلة اداريـة مرتبطة باتحاد لا مركزي مع لبنان القديم وسورية .

ثانيـا — بعد ان وافق المجلس التمثيلي بالاكثرية على الدستور اللبناني قرأ حضرة مندوب المفوضية العليا التحفظات للمجلس وقال ان هذه التحفظات غير خاضعة للمناقشة . ولكي تطلع جمعيتكم الموقرة على احتجاجنا على ضمنا غير المشروع ولكي تعلموا ان هذه التحفظات لم توضع موضع المناقشة ولـم يوافق عليها المجلس التمثيلي أجزت لنفسي ارسال هذا البيان اليكم .
وتفضلوا يا حضرة السكرتـير العام بقبول اعتباري الفائق » .

العـودة للنضـال :

لقد كان الاخفاق لزيم كل التدابير التي اتخذها المفوض السامي ولم يكتب لـه النجاح في واحدة منها قط على ما مر بالقاريء الكريم ، لقد احبط مسعاه في القاهرة وفي سورية وفي لبنان وكان كلما فشل في رأي من الآراء ومهمة من المهمات زاد اوار الثورة ضراما واتسع نطاق العصيان انتشارا . وكان كلما عمد الى وسيلة من الوسـائل وباء بالخذلان اكسب ذلك الثائرين قـوة علـى قوتهم وايمانا بوجوب المثابرة على الثـورة زيـادة على ايمانهم . لذلك ارتأى ان لابد لـه من ان يعود الى القمع بالشدة فاستنجد بفرنسا طالبا معونتهـا

بقوات كبيرة يعزز مركزه وتقمع الفتنة التي ما زالت نيرانها تأج اجيجا فوردت القوات بكثرة حتى قيل انه بلغ عدد الجنود الفرنسية في الاقليم السوري ١٠٠ الف جندي في ذاك العهد وكلها بمعدات حربية حديثة من دبابات الى طائرات ومن رشاشات الى مدافع وهكذا .

لم يقف المفوض عند هذا الحد بل عمد الى تأليف كتائب من الشركس والارمن والاسماعيليين والنصيرية والموارنة ليستعين بها على اخماد نار العصيان الذي كان مندلع اللسان . انبعثت هذه القوى في جميع الانحاء السورية في عاصمة الامويين وضواحيها وفي وادي التيم واقليم البلان وفي جبال قلمون وفي حمص وحوران فاشتبكوا مع المجاهدين بمواقع ومعارك استبسل فيها كل من الفريقين استبسالا شديدا وكانت افعال الجيش الفرنسي في زمن المسيو دي جوفنيل نفس افعاله في عهد غيره مما المعنا في ما مر من الوقائع من اعمال وحشية لا يأتيها انسان ولا يقوم بها ذو وجدان فمن صلب وقتل الى نفي وحرق ومن فرض غرامات الى أذى وعذاب. وهنا لم يصدق فأل من ظنوا بأن مندوبا ساميا غير عسكري كالمسيو دي جوفنيل يكون ارفع نفسا واسمى حسا وادنى الى الرأفة منالا من غيره ممن كان لا تتصل الرحمة بقلبه ولا يمت الاشفاق والحدب لسبب الى فؤاده . وقد ظن هؤلاء الخاطئون ان المسيو دي جوفنيل قد يحمل العسكريين ان يكونوا اخف وطأة في زمنه منهم في ازمان سلفه ولكن كان هؤلاء المتفائلون بعيدا جدا عن جادة الصواب والحقيقة اذ سفه رأيهم بفعله وخطأ حدثهم بعمله وأراهم ان لا فرق بين مدني او عسكري طالما ان الفرنسي في غير بلاده ...

ان الفارق بين المدنيين والعسكريين انما يكون في فرنسا فحسب واما في خارجها فالجميع على الاجنبي سواء .

لقد كان للمتفائلين حق بأن يحسبوا ما حسبوه بالمسيو دي جوفنيل لما وجدوه عليه من لباقة وسياسة ومران . وحق لهم ان يظنوا به ما ظنوا من بعد ان راوه يتقرب من رجال الانكليز ويحكم الصلات معهم ويزور عاصمتهم عقب تعيينه ثم عندما رأوه يزور القدس الشريف عقيب بلوغه الاقليم السوري وقضاءه اياما ضيفا على المندوب السامي في فلسطين ولما راوه من زيارته قاعدة الملك في تركيا انقرة وحلوله ضيفا على الحكومة التركية وعقده معاهدة منح فيها هؤلاء ما كانوا يودونه من الاقليم السوري مما جعل الحكومة الفرنسية تستنكر منه ذلك وتعترض عليه . ثم ان اتصال هذا المفوض بمندوب ابن السعود في دمشق وتقريبه اياه منه ومنحه النجديين من الامتيازات ما لم يكن لهم من قبل . واعترافه بالاضافة الى حكومته بابن السعود عندما احتل الحجاز ملكا كل هذا كان مدعاة لان يظن الناس والاكثرون عددا منهم ان هذا المفوض يفرق عن غيره من سابقيه سياسة وحكمة وادارة . ثم اننا لا ننسى اتصاله على اثر تقلده منصبه الجديد بالمخلصين الوطنيين من السوريين في اوروبا وفي ابدائه لهم كل ما لديه من رغبة بالتفاهم معهم كما اننا لا نزال نذكر ما كان منه في مصر مما مر بالمطالع الكريم ومما لا نرى من حاجة لان نعيد هنا ما المعنا اليه قبلا .

عندما ألفى نفسه بين احضان الفشل المريع لم يجد بدا من الاستسلام لليأس ومنه الى ايدي العسكريين مما رفع عقيرة الناس بالشكوى والتألم مما اضطره لان يغادر البلاد في ثامن وعشرين مايس سنة ١٩٢٦ يتعثر بأذيال الاخفاق والخيبة .

خطط الفرنسيين الحربية وقواهم العسكرية

واصل الفرنسيون ارسال القوى الى الاقليم السوري نجدة لذوي السلطة فيه فأثبتوا حامية في حمص يقودها الجنرال مارتي واخرى في عاصمة

الامويين تحت امرة الجنرال اندريا وقد اعدوا حملتان في دمشق مهمة الاولى قتال المجاهدين في شمالي الغوطة بامرة الكولونيل ماسبت والاخرى لمنازلتهم في شرقها بقيادة الكولونيل فرن كما اقام الفرنسيون ابان فصل الشتاء مخافر عسكرية ست كبيرة في داخل الغوطة افعموها سلاحا وعتادا الاول في دوما والثاني في اوتايا والثالث في شبعا والرابع في خرابو والخامس في بويضان من المرج والسادس في براق على حدود جبل الدروز الشمالية لتحول دون اتصال ثائري الجبل بثائري الغوطة كما انهم نشروا على طول الخط الحديدي الحوراني قوات كبرى واقاموا مخفرا عسكريا في بصرى اسكي شام وآخر في بصرى الحرير ومثله في المسمية والمسيفرة كما انهم قد اركزوا معسكرين كبيرين في درعا وفي ادرع استعدادا للقتال وجمعوا قوى كبرى في جنوبي لبنان فألفوا حملة يقودها الكولونيل ليما نجا تكور كي يعمل على مطاردة الثوار في وادي التيم والبلان وبذلك لم يأت اوان الربيع حتى كانوا قد فرغوا من تدابيرهم العسكرية ومن مخططاتهم الحربية .

هذا من ناحية الفرنسيين واما الاحرار المجاهدين فانهم عندما رسخت اقدامهم في الغوطة في فصلي الخريف والشتاء نشروا نفوذهم فيها واخذوا يشنون الغارة على الشام من حين الى حين فيدخلون اسواقها ويعودون ظافرين كما بسطوا نفوذهم على سكة حديد دمشق بيروت حتى ان نفس المفوض السامي كان يخشى زيارة دمشق في باديء الامر وحتى انه ما جرؤ على زيارتها الا بعد ان مضى شهران ونيف على وصوله بيروت اذ خشي ان يؤخذ من قبل الثوار اسيرا ...

اتصلت عصابات الشمال بعصابات جبل قلمون فوحدوا منهاجهم ونشروا سلطة فعلية على المنطقة التي تمتد من شمالي حمص حتى جبل الدروز واتخذوا النبك مركزا لهم اما اهل البلاد فقد اقبلوا على تأييدهم كل التأييد واخذوا بالانضمام اليهم زرافاتا ووحدانا واليك نص الميثاق القومي الذي اقروه :

« نحن سكان جبل قلمون واهالي قضاء النبك نتعهد لان نخضع لاوامر الجيش الوطني ونقدم الرجال والمال والعتاد اللازم لاجل انقاذ الوطن من ايدي المستعمرين وتحرير سورية كلها بحدودها الطبيعية واننا نهرق آخر نقطة من دمائنا في سبيل استقلالنا ونحافظ على نص المقررات الاخيرة . نعلن لعموم اهالي المنطقة في جبل قلمون والنبك اننا عزمنا على مكافحة العدو حتى النتيجة الحاسمة ولاجل وصولنا لهذا القصد المقدس قد قررنا المواد الآتية :

١ ــ يعتبر كل وطني سوري عربي مجاهدا ومن يخالف يعد خائنا ويحاكم في المحكمة الثورية .

٢ ــ تؤلف في كل قرية هيئة او لجنة خاصة تكون من وجهاء القرية ويعهد اليها تنفيذ المقررات .

٣ ــ يجند من كل قرية مجاهدون بنسبة عدد نفوسها .

٤ ــ تكفل القرى مؤونة الجيش وعتاده حتى النهاية .

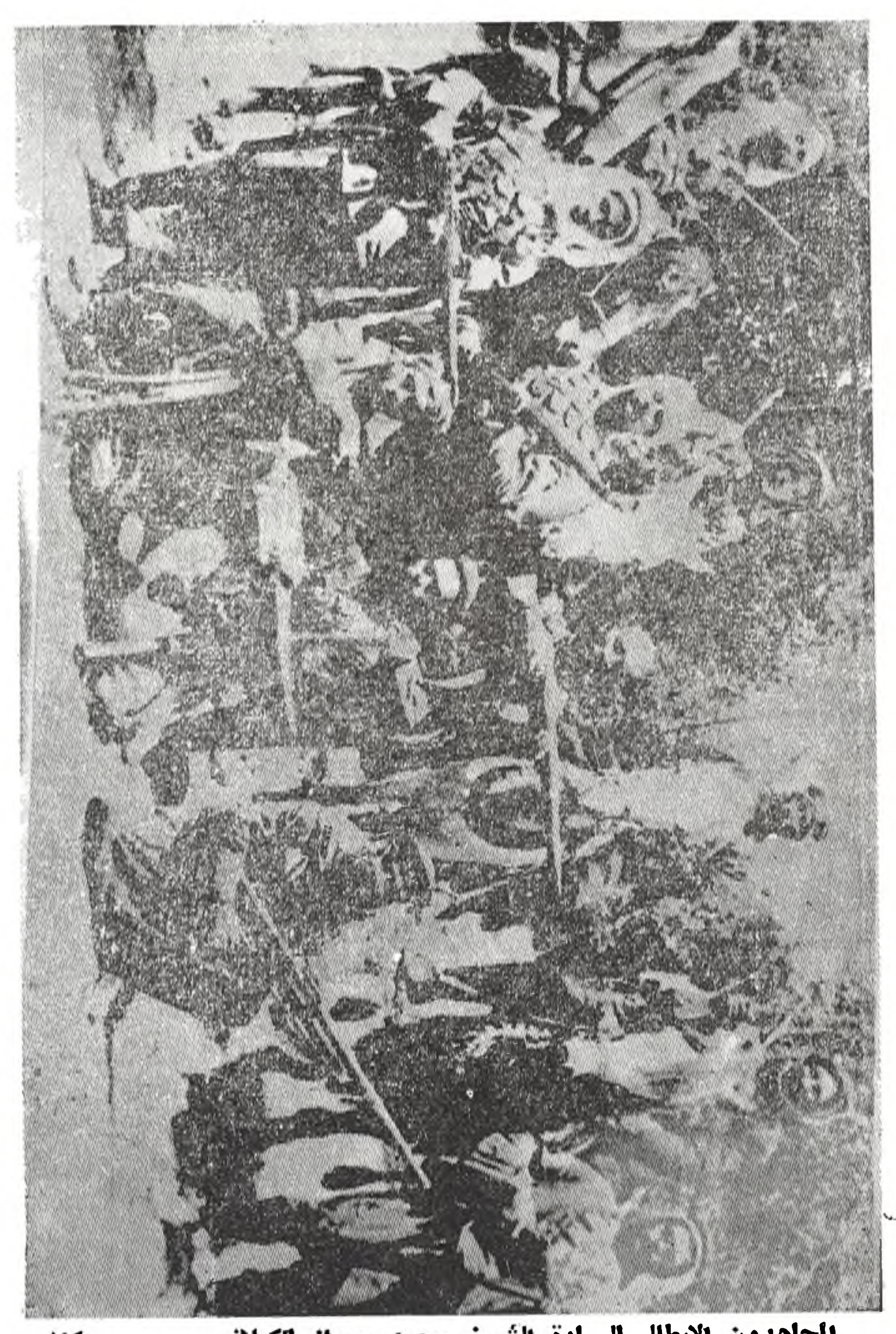
٥ ــ كل من يترك الجيش ويفر يعد خائنا للوطن ويعدم .

٦ ــ بمناسبة اعلان الجهاد لطرد العدو فجميع الدماء والبغضاء القديمة ترفع من الصدور » .

وظائف اللجان

« ان اللجنة المشكلة في كل قرية هي المسؤولة عن اعاشة المجاهدين وتدبير الذخائر اللازمة والقاء القبض على كل خائن والحث على الجهاد واجبار المقتدرين على شراء السلاح وتسليح من لا قدرة له .

الاعاشة : « يخصص مستودع في كل قرية ويجبي من الاهالي باسم اعشار تخصم هذه مستقبلا بموجب الوصل الذي سيعطى باسم الحكومة الثورية السورية . يجب ان يكون على رأس مجاهدي كل قرية احد الوجهاء



المجاهدون الابطال السادة الشيخ محمد حجاز الكيلاني ، سعيد عكاش
احمد غازي ، محمود حجاز الكيلاني ، حميد الجديني ، محمد علي الكيال
محمد الجاجة ، قدور الغزي ، اسعد اللحام ، كامل الريحاوي ، محمدالحبانية

ويكون مربوطاً بهيئة القيادة من الوجهة الحربية وعليه تبليغ المقررات الى لجنة القرية لتنفيذها .

« بما ان جهادنا المقدس لاجل تحرير البلاد فيجب علينا الاتفاق والاتحاد عملا بأمره تعـالى » .

نفـوذ الثـائرين

لقد قويت شوكـة الثوار في وادي التيم واقليم البلان فسيطروا علـى قضائي وادي العجـم والقنيطرة وتغلغلـوا في قـرى وادي العجم وبسطوا نفوذهم على هضابـه وكانوا يتقدمون من غير منازع ولا معارض . اما شأنهم في منطقـة دمشق الغربية التي تمتد من ابواب دمشق حتى الزبداني فانـه لا يقل عن شأنهم في وادي التيم والبلان .

اما الجبل المنيع ونعني به جبل الدروز فقد اصبح بكامله في قبضة الثوار بحيث لم يعد للفرنسيين من معسكرات ومآوي الا مراكز ضئيلة في حوران على الخط الحديدي بين درعا ودمشق فلا يجسر احد ان ينفذ الى الداخـل ولا يجرؤ واحد ان يتغلغل في البلاد .

معركة النبك الكبرى

لقد تجمعت في قلمون عصابات اربع هي عصابة جبل قلمون وعصابـة النبك وعصابة عكاشة وعصابة حسن الخراط وقد بعثت السلطة بمئة جندي وسيارات ست كبيرة مصفحة يقودها ضباط الدرك فبرز المجاهدون اليهم فاشتبكـوا واياهم في البساتين وكان عدد هؤلاء لا يتجاوز الخمسة والعشرين اسدا والتحم القتال وابتدات المعركـة فأسر الثائرون الضابط بهيج وجلوهم عن اربع رشاشات كبيرة واثنين صغيرين وعددا من سيارات الركوب .



من مشاهير قادة الثورة الابطال الامير عز الدين الجزائري ، نسيب البكري
سعيد العاص ، مع المجاهدين المغاوير السادة ابو شاكر القلعجي ، ابو حامد
الشربيني ، خليل بصري ، احمد الدلفيتي ، توفيق سوقية ، سعيد الاظن
محمد خشيفاتي ، عيد الشربجي ، ابودياب الدوماني ، فارس عقيل وغيرهم

ظلت المناوشات على هذا الوجه تتعاقب خلال تشرين الاول من عام ١٩٢٥ وفي كل منها كان النصر يعقد لواؤه للمجاهدين الابرار وكان كل ذلك مقدمة وتمهيدا للمركة الكبرى التي ألمعنا اليها في هذا العنوان . اما سبب المعركة التي سنأتي على وصفها فذلك ان عيون زعماء الثورة ووجهاءها وعلى رأسهم المجاهدين الكبيرين فوزي القاوقجي وسعيد العاص قد قرروا جميعا ان يجعلوا من النبك قاعدة الثورة في قلمون من بعد ان عملت الفوضى مفعولها ومن بعد ان اثرت المعاملات الشاذة التي ارتكبت هنالك تأثيرا سيئا لا سيما وان موضع النبك موقع يتناول حمص وحماه بنفوذه اذا ما كان هنالك من الرجال من يستطيع ان يؤمن الشوكة هنالك والسلطان .

ان مركز النبك لم يخف على السلطة ولم يغب عنها انها لها مفعولها وتأثيرها اذا ما تمركز المجاهدون فيها لهذا اعدت السلطة قوة كبرى يقودها الجنرال مارتي الفرنسي المختص بالحروب الجبلية وكانت هذه القوة تحدوها اربعة آلاف جندي مشاة والفا جندي فارس ومعداتها وثماني مدافع وكذلك مصفحات وعدد حربية كاملة بما فيها سبعون رشاشا .

وصف البطل الاكبر تلك المعركة الدامية بما يلي :

« أما نحن فلم نجد متسعا من الوقت لاتمام ترتيباتنا بيد اننا تمكنا من جمع ثمانمائة مقاتل من انحاء القلمون وقررنا ان ندافع عن النبك اولا في جهات قارة شمالا ثم في النبك نفسها وذلك لاستكشاف قوته ولضربه في مضيق عيون العلق ضربة مادية تؤثر في معنوياته ولا توصله الى النبك الا منهوك القوى » .

قلنا ان المجاهدين قد صمموا على ان يجعلوا من النبك مركزا لهم ولذلك ففي الحادي عشر من اذار عام ١٩٢٦ احتل المجاهدون المشاة قارة كما دخل الفرسان دير عطية ليطوقوا الجناح الايسر للجيش الفرنسي وما ان كان اليوم الثاني عشر من الشهر الملمع اليه حتى كان المجاهدون قد اعدوا له في مضيق عيون العلق ما ينبغي ...



من قادة الثـورة الاحرار السادة نسيب البـكري وفوزي القاوقجي
ومظهر البكري مع المجاهدين الكريمين ابو محي الدين شعبان وناجي الجم

وقد تقابل الجمعان فكان في المقدمة المغوارين البطلين فوزي القاوقجي وسعيد العاص وكان معهما خمسة عشر ابيا حرا . رأى هذان القائدان قلة عدد رجالهما وضآلة ثائريهما فرأوا من الحكمة الاخلاد للسكينة وعدم النبس بنبت شفة فلم يطلقوا عيارا ما . وظلوا كذلك كالجبال الرواسي صامدين حتى بات منهم الجيش على قاب قوسين او ادنى وهنالك اخذوا يصلونه نارا حامية قابلهم بالحمم كالبراكين الثائرة ولكن استطاع القاوقجي الحربي واخوه العاص ان يصدوا حملة الاعداء عليهم مقدار ساعتين ونصف من الزمن هازئين بالمصفحات التي كانت توالي اطلاق القذائف تترى وضاحكين بالمدافع التي كانت مقاذيفها تفري الصخر وتشق الارض وتحصد الخلق كل هذا ما كان يرعد للبطل الاكبر القاوقجي قلبا ولا كان لينال من نفسه شيئا ولا كان ليعمل بالعاص وبأخوانه عملا اذ كانت المفرقعات بأيدي هؤلاء الصناديد وفي رأسهم البطلين او بالاحرى قوتهم الكبرى القاوقجي والعاص اشد فعلا بالاعداء من كل ما كان العدو يرميهم به من حمم ولا نستطيع ان نسكت عن ما قام به ايضا البطل العزيز حسن الخراط في هذه المعركة من اعمال عظام سجلت له على صفحات التاريخ بمداد من نور ...

ان التنظيم اثره الكبير والخطط الحربية مفعولها الاعظم وللقائد المحنك المجرب فضله الذي لا ينسى لا سيما في مثل حرب العصابات التي يقل فيها عادة عدد المجاهدين ويضؤل مقدار العتاد الديهم والمعدات فالقائد الخبير في مثل هذه المواقف يدير حركات رجاله على اصول الكر والفر فعندما يرى وجوب الاقدام والحملة على العدو ومهاجمته ومقارعته ، يأمر به اما عندما يرى ان الحكمة تقضي بالاحجام وبالانسحاب وبالتراجع للوثوب عند اللزوم يقول فيه لذلك كان القاوقجي العظيم واخيه العاص الكبير من هذه الرجال النادرة والقواد الكبيرة والابطال الحكيمة رأيا تأخر النجدة وقلة العدد برجالهما كما ادركا كثرة العدو وتوفير العدد لديه وتألبه على الثائرين من كل ناحية لهذا اتفقا البطلان على ان يوعزا لاخوانهما المجاهدين بالانسحاب بلباقة ودهاء

وخبرة حتى تم ذلك بمعونة الله اذ ألقى الضباب حينئذ سجوفه فانسدلت عليهم في تلك الساعة تخفيهم عن عيون الاعداء .

تراجعوا رويدا رويدا بكل هوادة ولين الى النبك وهنالك هاجموا الجيش وقد أمطروه نارا من خلف ما أعدوه من استحكامات اقاموها على الفن الحديث من حيث يتمكن كل منها ان يدافع بالنار عن بقية الاستحكامات .

وقعت الواقعة في صباح الرابع عشر من اذار وظلت حامية الوطيس متأججة الاوار يندلع لهيبها من حين الى حين حتى كان العصر وهنا خطر للمجاهد الاكبر والقائد الاعظم القاوقجي ان يفسح المجال للعدو من احتلال المصح الهولاندي الواقع غربي البلد وذلك لحيلة حربية وردته وسنرى ماكان من هذه المكيدة التي نصبها هذا القائد الحربي لاعدائه فأوقعهم فيها . نفذ هذا البطل الاعظم ذلك واستطاع العدو بخيلائه وكبريائه ان يحتل المستشفى الذي ألمعنا اليه ولكن ما كادان يستقر المقام برجال الجيش هناك حتى باغتهم المجاهدون بقوة كالصواعق انقضت عليهم فقارعوهم على ابواب المصح وطردوهم منه شر طردة وهزموهم اشنع هزيمة واحتلوه رغم أنوف الاعداء وبذلك استعادوا جميع ما فقدوه بهجمات ثلاث متواليات فربحوا من العدو عددا وافرا وسلاحا عظيما وخيلا كثيرة . وفوق ذلك فقد صمدوا مصفحتين فعطلوهما . . .

وقد بدت في السماء طلائع خذلان العدو وظهرت الخسائر فيه كبرى اذ اصبح مدافعا بعد ان كان مهاجما وخمدت ناره بعد ان كانت متأججة وتعددت الثغر فيه بعد ان كان متراصا .

اما ما لانستطيع نكرانه فهو ان موالاة القتال اورثت المجاهدين نقصا بعتادهم الذي ربحوه فرأوا من الحكمة ان لا يظلوا حتى تنفذ ذخيرتهم مخافة ان يقعوا حينئذ بأيدي الاعداء ووجدوا ان الوضع الحربي يتطلب التراجع تدريجيا حتى يكون الخطر بعيدا عنه .



من اشهر ابطال الثورة المجاهد الكبير السيد صبري العسلي
وسط اخوانه المجاهدين الاحرار بحسب حروف الهجاء السادة احمد العسلي
حكمت العسلي ، خير الدين اللبابيدي ، فائق العسلي ، ممدوح العظم
محمود عزيزية ، الامير نسيب شهاب وغيرهم

على ان الجيش عندما مني بهذه الخسائر كان على وشك ان ينسحب نهائيا لولا ان انجلى المجاهدون عن البلد فتقوى من جأشه وثبت من عزمه وهدأ من روعه فعاد الى احتلال البد مجددا .

اجمع الزعماء الفنيون قاطبة على ان هذه المعركة هي من اكبر المعارك في القلمون اذ بدا فيها نظام الثورة واستبسال رجالها وشجاعة ابطالها وحنكة قوادها وخبرة زعمائها فهي من المعارك التي لا يغفل التاريخ ذكرها ويذكرها في جملة الوقائع الذهبية التي رفعت رأس الثورة السورية عاليا ولقد احرز عند الله الاجر ولدى الناس الذكر فنال الشهادة التي طمع فيها وسعى سعيه لها في عيون العلق ثمانية عشر شهيدا منهم فؤاد رسلان من اهالي مدينة حمص والملازم ابراهيم صدقي من مدينة دمشق .

اما ماخسره العدو فقد قال البطل الكبير سعيد العاص : « خسائر العدو في اليوم الاول ثلاثة ارباع مدفعيته وفي اليوم الثاني اربعمئة قتيل » .

كانت اسود هذه المعركة التي هي احدى المعارك العظمى كل من الابطال الصناديد المشاهير والزعماء العظماء في طليعتهم القاوقجي الاكبر وسعيد العاص وصبري العسلي وفائق العسلي وحكمت العسلي وزكي الحلبي وصادق الداغستاني ومنير الريس والطيار خير الدين اللبابيدي ويونس الخنشور ومصطفى الشيخ عرابي وخالد القيصر وحسن الخراط واحمد منلا الكردي وابو مصطفى الحرستاني وابو شريف شرف وجميل العلواني وغيرهم مما لم تتصل بنا اسماؤهم .

ومما لا بد من الاتيان على ذكره هو ان اهالي النبك قد ابلوا الاعداء بلاء حسنا وانهم ذبوا عن حياض بلدهم بشجاعة وحماس وقوة مراس ذودا عن الوطن المشياح وعن الاغراض التي كان العدو يتوعدها من حين الى حين ويتهدد ربات الجمال فيها .

عندما كانت حملة الجنرال مارتي آتية الى النبك كانت جنودها ورجالها يقومون بكل مخجل مندي من قتل وسلب ونهب ومن اعتداء على شيوخ عجز

واطفال رضع وفتيات ابكار ونساء محصنات وتدمير للمآوي وحرق للمساكن واتلاف للطرف والنفائس من كل اثاث ورياش .

كان جيش المدنية ورجال الحضارة يفعل افاعيله هذه ويذيع بالخافقين انه قام باعمال انسانية لا يستطيع احد نكرانها من اطعام جياع وايواء متشردين وتوزيع اللبن على الرضع ممن لم تبلغ الفطام .

لقد اعلنوا في الملايين انهم رجال عدل وانصاف وقد حق لهم ان يقولوا ذلك اذ انهم انصفوا من عدم تركهم احدا من هؤلاء الوحوش يدب على الثرى لكثرة ما وزعوا من رصاص الرشاشات وما ألقوا من قنابل الطيارات وما قذفوا من حمم الدبابات وما أهلكوا من نفوس بريئة معصومة لا ذنب لها ولا جريرة الا انها خالدة هادئة وادعة ولكونها ليست افرنسية . فاذا كان هذا هو الذنب الذي استحقت عليه الموت فلتفاخر المدنية برجالها ولتباهي الحضارة بأقطابها ولتدل عصبة التمدين بما بعثت به لهذا الشرق المسكين !!...

ثورة قطنا :

لم تشأ ان تكون قاعدة وادي العجم اقل من بقية قراه قياما بالواجب لذلك قد سرى اليها لسان الثورة فتناولها على يد قائد مخفرها النائب الدركي الباسل احمد البارافي .

اخذ هذا الشجاع البارافي يعمل للثورة ما اوتي من قوة واقناع يستثير الحماس القومي ويستنهض الشعور الوطني حتى استطاع ان يضم اليه نفر من الجنود وبعض من الكرد في سعسع وعندها في العشرين من اذار سنة ١٩٢٦ اخذ بتعطيل الهواتف وقطع اسلاكها وايقاف المخابرات بينها وبين دمشق وداهم دار الحكومة فيها بهجوم عنيف قتل فيه الرئيس الدركي زكي الجاجة والعريف يوسف وكان من الافذاذ الذين ارسخوا اقدام الثورة

هناك ورفعوا منار الجهاد في ذاك البلد كل من احمد بارافي ومحمد شريف الكردي ومحي الدين اغا قرجولي . فأعملوا النار في السراي من بعد ان اسروا الجنود الموالين للحكومة والسلطة وقد فكروا بأن البقاء في البلد من بعد ما كان منهم فيها ليس من الصواب ولا من سداد الراي لذلك اخلوها تفاديا من ان تطوقهم قوة تأتيهم فيقعون في الاسر .

غادرها هؤلاء المجاهدون الاغيار وظلوا نائين عنها عشرة ايام اعادوا الكرة عليها فيما بعد ومعهم الثائر الدرزي الشهير محمود كيوان واخوانه المجاهدون الاحرار وهنا التقى الفريقان فكانت ساعة قتال ابرز فيها الرجال الثائرون من ضروب الحماس وصنوف المراس ما مني العدو بالهزيمة تاركا من وراءه ما يقرب من مئة قتيل فاستطاعوا ان يحتلوها ثانية رغم انف العدو وقسر ارادته وقد خسر الابطال نفرا قليلا منهم الضابط الشجاع الشيخ خطار الذي لم يذهب رخيصا فقد ابلى بأعدائه قبل موته بلاء حسنا ثائرا لنفسه قبل ان يقضي نحبه .

بعد ان استقر بالمجاهدين المقام في قطنا عولوا على الجلاء عنها منسحبين الى الغوطة كي يقوموا بواجب الجهاد هناك ايضا .

الزحف الفرنسي على مناطق الثورة :

اخذت طلائع الربيع تبدو واخذت طلائع العدو تزحف اذ انها كانت تلك الجيوش مع الطبيعة في غفوة الكرى فلما هبت تلك هبت هذه ولما استيقظت الطبيعة من سباتها نهضت قوى الفرنسيين من سهادها وهكذا آلت رجال السلطة الفرنسية على نفسها ان تسيق الحملة في هذه المرة فترسل شيئا مما علق بها من ادران الفشل المتوالي ولعلها بالغة ما رمت اليه واستهدفته من قراع الثائرين وصدمهم الى ان يجلوا عن المناطق التي اجلوها عنها من قبل ...

ولقد مر بنا ان السلطة باشرت هذه الخطة التي اختطتها بالزحف على قلمون بقيادة الجنرال مارتي وقد المعنا الى ما كان من تلك الحملة مع الابطال المجاهدين . واليوم شاءت القيادة الفرنسية العليا ان تجعل المرحلة الثانية من عملها الاتجاه نحو اقليم البلان ووادي التيم المتلاصقين فجهزت لهذه الغاية قوتين عظيمتين غادرتا دمشق يوم ثالث نيسان اولاهما تحت امرة الجنرال مارتي التي تألفت من قواه التي رافقته من حمص وثانيتهما بقيادة الكولونيل ماسبت وجهتها سعسع ومجدل شمس .

لقد شاءت الحملة الاخرى ان تتصل بحملة الكولونيل ليمانغرانكور التي اتمت تجهيزها في صيدا سائرة بخيام جسر العجر وجهتها مجدل شمس مستقر المجاهدين في وادي التيم واقليم البلان ومركزه الاكبر وهي الواقعة في منحدر جبل مرحون — جبل الشيخ — بمكان متوسط بين دمشق والقنيطرة وقطنا وحاصبيا وراشيا .

كان رجال السلطة العسكرية الافرنسية آلوا على انفسهم قمع الثورة بأي شكل كان وعن اية طريقة كانت مهما كان السبيل المؤدي الى هذه الغاية شائكا مستنكرا مستهجنا وقديما سار الفرنسيون ويسيرون على قاعدة « الغاية تبرر الواسطة » . فمهما كلفت الغاية لبلوغها من احن ومحن ونكبات تصبها على الناس اجمعين ما تحجم عن اتيان ذلك طالما انه موصلها الى هدفها الذي استهدفته وسددت رميها اليه لذلك كانت وضعت رجال الحملات نصب أعينهم التدمير والفتك الذريع والتخريب والتقتيل والتنكيل وكل انواع المآسي وكل انواع المدنيات الاوروبية والحضارات الجهنمية فليس بدعا اذا ما سارت هذه الحملات على هذه الاسس والاركان في سيرها متخذة هذه الافاعيل المخجلة المؤلمة ذرائع ووسائل لبلوغ الاهداف والمرامي . ومن البداهة ان تحرز بعض الظفر في بعض الاحيان او اغلبها ما دامت تحارب قوما لاعتاد لهم الا القلوب الطافحة بالايمان الوطني والنفوس الزاهرة بالعقيدة القومية والصدور الملتهبة بنار الحرية وطبيعي ان تستطيع اخذ كثير من هؤلاء الناس

اخذ عزيز مقتدر . على ان مالا ينكر على رجال الثورة شديد طعانهم وكبير صمودهم وعظيم قتالهم الذي كم مرة علم الفرنسيين مواقع النزال . فاذا ما ظفر الفرنسيون على شرذمة من الاحرار الوطنيين الذين هم عزل بالنسبة اليها بالحقيقة النصر لهم والخذلان لهذه القوى التي كانت تتدرع تارة بالحديد المصفح خوف الاجسام وتارة بالاسلاك الشائكة خوف القلوب وتارة بالحمم من الطائرات في السماء خشية هذه النفوس الابية الشماء فانتصار الكمي المدجج بالسلاح على اعزل خلو من كل ما يجرح او يؤذي من الوسائل الحربية هو بالحقيقة فشل للاول ونصر وفخر ومجد للثاني . فالمجاهدون بالنسبة الى الفرنسيين على هذه البندقية في ايدي الاول والسيف وعلى جميع انواع المعدات الحربية في يدي الثاني تجعل الاول اعزلا والآخر كميا وهذا المثل ينطبق بحقيقته على الوطنيين والفرنسيين .

لهذا استطاعت هذه الحملات العظمى في ثالث عشر نيسان — ابريل — ان تحتل مجدل شمس بعد صدام عنيف دارت رحاه بينها وبين الابطال المجاهدين ولكن مما يرفع رأس الثائرين عاليا ان السلطة الفرنسية ما استطاعت ان تحتل مجدل شمس وفيها حجر على حجر بل استطاعت ان تحتل ارضا بلقعا بورا دمرتها عندما كانت مشيدة البنيان شامخة الذرى بطائراتها الحربية فجعلت منها خرابا يبابا ينعق البوم فيه .

اتخذت السلطة من هذه القرية مركزا حربيا كما اتخذت من القنيطرة ومرجعيون وحاصبيا قواعد ايضا والذي يهنأ الفرنسيون عليه انهم ما استطاعوا ان يخترقوا وادي التيم ومعظم قرى الدروز القائمة في جبل الشيخ الا بعد ان هدموها تهديما وجعلو منها بلاقع .

وبعد ان امن الفرنسيون مراكزهم في قلمون وفي اقليم البلان اعدوا العدة لمهاجمة الجبل الاشم فألفوا قوات كبرى روى بعض المؤرخون انها ناهزت العشرين الفا من كل من المسيفرة واذرع وبصرى اسكي شام .

ان المعارك التي خاضتها الرجال العسكريون مع بني معروف من قبل قد دعتهم لان لايستهينوا بالجبل وان يعملوا امــام خصم عنيــد ليس من اليسر والسهولة الاستيلاء على عرينه بالدرجة التي يمكن للمرء ان يتخيلها بله التفكير الاول . فالسلطة عالمة بما انطوى عليه هذا الشعب الابي من كــل شجاعـــة وحماس وحمية كتب له في اكثر المواقع ان لــم يكــن بأجمعها الظفــر المبين والنصر المكين على الفرنسيين . لكل هذا خشي الفرنسيون ان يمنوا بالفشل في هذه المرة كما كان شأنهم في غيرها بكثير من المرات فجمعوا شملهم ووحدوا صفوفهم وقاموا بحملة صادقة من نواح متعددة تكسبهم الظفر وتربحهم المعركة لذلك قالوا بوجوب الزحف على الجبل من وجهات ثلاث في آن واحد وقــد اقاموا قواعد حربية في هذه البــلاد التي ذكرناها المسيفرة وغيرهــا سلطوا فيهــا المدافع الضخمــة على القرى الدرزية المقابلــة لحوران قصد ضربهــا في اول وهــلة .

كان بنو معروف على علم عليم بما اريد بهم وكانوا غير جاهلين ما نصبه العــدو لهم من حبــائل ومكائد ومــا اتخذه لاخضاعهم مــن وســائل وذرائع وكانوا يذكرون ما كان من هزيمة الجيش الفرنسي عقيب معارك تشرين الاول من عــام ١٩٢٥ يوم انهزم الجيش شر هزيمة واندحر اعظم اندحار وولــى وجهــه شطر الغوطة عساه يبلغ منــاه من ثوارها من بعد ان عجز عن بلــوغ مــأربــه في الجبل .

وقد كانت رجال السلطة تعزو عدم انتصارها الى شح الماء هناك وكــانت تقول بان القوة الصغرى تعجز عن ان تقتحم تلك البقــاع كما ان الجيش اللجب يقضي فيها من الظمأ وكانت تود ان تحتل صلخد في الجنوب وبنــاء قــلاع في الغــرب ...

على ان الحقيقــة ليست كــذلك وان الفرنسيين ذعروا لسوء المغبة فــي دمشق وحمص وحماه وحلب ولذلك عادوا الى الغوطة كما المعنا . لقد استطاع

دي جوفنيل ان يحدث في الجبل دعاية واسعة النطاق له والفرنسيين حتى ان احد مشايخ بني معروف وهو اسماعيل عبد الدين من السويداء كان انتدبه بعض الزعماء لكي يقدم كتابا الى الكومندان كوستيلير يتضمن ما يريدونه منه من المطاليب فعاد الشيخ اسماعيل المذكور الى السويداء في الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ يبلغ القوم ما اجابه به كوستيلير ردا على الرسالة قال له :

« لا اسمح هنالك ان يكون في الجبل زعيم وان هذه المفاسد هي من الدكتور شهبندر وهو رجل فرمسون لا دين له والشروط التي نطلبها هي أن تعيدوا جميع اسلحة فرنسا وتؤدوا ثمن الخيل الاميرية التي بعتموها في شرقي الاردن وتعيدوا بناء القلعة وسائر دوائر الحكومة الى حالها السابق وتضعوا سلاحكم في محل تأمنون عليه وتأتوا خاضعين بعد اخراج الدكتور شهبندر من الجبل ولا بأس ان تجتمعوا للمذاكرة ولكن على شرط ان تضعوا في مقدمة رسالتكم اشارة خضوعكم ثم توقعوها لا بصورة فردية بل بعدد كبير من الرجال منعا للزعامة التي تأباها فرنسا ولا بد من استدعاء جميع العصابات التي تعبث بالامن خارج الجبل وانني لا اضمن العفو عن احد » .

ان ارتداد الجيش في ذلك الحين وعودة الجبل ورجاله الى مزاولة الاعمال والراحة يسيرا من عناء الطعن والضرب كل هذا كان مدعاة للم الشعث وشحذ الهمة والتأهب للنضال عندما يأتي آوانه وقد كان فشل مفاوضات الصلح التي دارت خلال كانون الثاني وعلى الاخص جواب كوستيلير التي كانت خطيئة أضيفت الى خطيئة سارايل الاولى التي امتنع بها عن مقابلة الزعماء كل هذا كان من قبيل الحافز والمهيج لبني معروف لا سيما ما أضيف على ذلك من تهديد اندريا ووعيده وجبروت دي جوفنيل وخيلائه مما اوقد نيران الحماسة في القلوب واجج ضرام الحمية في النفوس فعاهدوا الله وانفسهم على مواصلة القتال حتى الموت وحتى الحياة الابدية الخالدة وهي الشهادة وعكفوا على بعضهم بعضا يعجمون عود رجالهم ويغمزون من قناتها

فيرون ماذا يصنع القوم عندما يلتقي الجمعان ففازوا بالنتيجة التي هـدأت ارواعهم وسكنت نفوسهم وامنت لهم مواصلة الطعان تعاهدوا على ان ترسل كـل قرية محاربين من ابطالها للتناوب الى ان ينبلج الفجر لـذي عينين والى ان يكتب الله لهم الحياة ابدا او الموت سرمدا .

واتفقوا على ان يرسل ايضا الى الكومندان كوستيلير قائد درعا رسـالة تتضمن مطاليب الثورة وان يطلبوا اليه تقديمها الى المفوض السامي وانـه المسؤول عن عدم تقديمها وقـد قرروا تشكيل لجنة تدير الجبل ثم اخـذ الجمع بالتذاكر في امر حملتين ترجح احداهما على الاخرى الاولى حملـة الغوطـة والثانية حملة اللجـاه وحوران وقد بحثـوا أي الحملتـين يجب ان تكون هي المرسلة فتقرر بالاكثريـة هذه الاخيـرة لاسباب كانت بنظر مـن ارتآهـا وجيهة وقد كانوا على حق فيما ذهبوا اليه لقرب المكان من الجبـل من ناحيـة ولانـه اذا كتب لها الظفر تنهض بالعبء الثقيل عن الغوطة وتخفف الوطـأة عن المناطق الشماليـة السورية .

محاولة اغتيـال الزعيم الشهبندر

من الغريب جدا ان تجنح السلطة الفرنسية الى اسلوب بالحقيقة مهـين فهذه الزوبعة التي اتخذتها السلطة الفرنسية للتشفي من الزعيم والانتقام منه لا يجنح اليها شجاع شريف عندما عيت عن ان تنال منـه منالا في ساحات الشرف وفي مواطن السياسة لجأت الى نفر هزيل الايمان ضعيف الضمير مريض الوجدان قد نال منـه الجبن منتهاه وبلغت به الضعة والذلة والدناءة احط دركـة لقد استعانت بمن وصفناه كي يغتال الزعيم شهبندر الذي لـم يكن لـه من جريرة يستحق عليها مـا ارادوه لـه الا منتهى الاخلاص وآخر درجات التضحية واعظم ضروب المفاداة في سبيل الوطن والحرية والشعب العربي في سورية والعرب اجمعين .

كان هذا الكومندان الشجاع كوستيلير احد رجال عسكري فرنسا الذين لها ان تباهي بهم يخشى ان يلقى رجال بني معروف فينتزع من بينهم خصمه الالد الزعيم الشهبندر فلجأ الى ظاهر القنطار وابراهيم الاطرش يغريهما بالمال ويمنيهما بأطيب الآمال ويغدق عليهم من الوعود ما لم يستطع مفوضه السامي ان يبر بواحدة منها لاغتيال الزعيم الشهبندر .

لقد شاء هذا الضابط الباسل ان يفر من المعركة وجها لوجه وان يكتب له بذلك آية الظفر لو استطاع الى ذلك سبيلا ولكن انى له ان ينال من زعيم مخلص مبتغاه وهو الذي يخشى المعركة ان تثور والطعان ان يتم والواقعة ان تقع وقد كان عهدنا بكوستيلير ان يكون على شيء من جرأة وشهامة وشجاعة ولكن ما أرانا اياه قد جعلنا نغير عقيدتنا وان نعدل عن رأينا ونتأكد من اننا كنا واهمون .

لقد كانت السيدة المصونة ... التي تمت الى الوجيه الكبير السيد ابراهيم حاصباني من القرابة بسبب انبل قصدا من ظاهر القنطار وابراهيم الاطرش اذ انها ابى عليها اباؤها وعروبتها ان تسف الى هذه الدركة الدنيئة من الغدر واللؤم والخيانة فلم تسكت على هذه المؤامرة الوضيعة الحقيرة الدنيئة وذهبت الى الزعيم الشهبندر في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ تعلمه بما كان قائلة بأن مالا وفيرا قد ارصد لانفاذ هذه المؤامرة الوضيعة وقد ايد ابو محمود نسيب صخر للزعيم الشهبندر ان ابراهيم الاطرش وعده بخمسمئة ليرة عثمانية ذهبية ان مكنه من مباغتة دار الزعيم ليلا وفتح له باب حجرته فما كان من السيد الكريم ابو محمود المذكور الا ان رفض باباء وشمم ما عرضه عليه هذا الوغد اللئيم فكان بذلك اعظم مضحي واكبر فادي وقد استحق من العرب قاطبة الثناء الاغزر والشكر الاعطر والتمجيد والتخليد كما وان نفس الوجيه السيد الحاصباني المذكور قد اكد له تكليف الفرنسيين لظاهر القنطار باغتيال الزعيم لقاء خمسة آلاف ليرة عثمانية ذهبا لا سيما وان اسماعيل عبد الله قد ذكر هذا النبأ للمجاهد الكبير عبد الغفار باشا الاطرش .

معركـة السويداء الـكبرى

بعد ان قام المجاهدون الابرار بالتمهيد الى يـوم الطعـان والقتـال لجأوا يتحرون رجالهم ليعلموا مبلغ الوطنية فيهم فأخذوا يتصفحون تـاريخ اعمال كل رجل من رجالهم البـوارز فرأوا ان في القـوم لا بـد من زعانف يقتضي ازالتهـا لانها كالجراثيم الفتاكة في الجسم وقالوا بوجوب القضاء على هـذا القسم الضار من البشر وما هو الا ذلك الجاسوس الذي اكل لحم اخيه لحما ميتا والذي مالأ السلطة وداهنها وسعى امامها على اخيه الذي عاش وايـاه ويعيش زمنا طويلا . رأوا ان فارس الاطرش في قرية ذيبين وعبده الاطرش في قريـة المجيمر من هذه الجراثيم الفتاكة او بالاحرى من الطفيليات التـي تعيش بالذل والغفلة والجبن والنذالة فلا تستطيع ان تذر قرنها الا اذا خيـم الدجى او اذا كان القوم في غفلـة كان هذان النذلان خائني العشيرة والوطن خرجا على بني معروف في نضالها ولم يكونا لوحدهما فحسب بل ان هنالك كل من اخوتهم في الخيانات نجيب عامر وتركي عامر وعبد الكريم نصر هؤلاء الذين آثروا ان يكونوا في جانب الجبن والرعـددة على ان يكـونوا في جانب المجد والفخار فهم شاءوا ان يسموا في عداد الخائنين بانضمامهم للفرنسيين على ان يكونوا في صفوف الوطنيين المجاهدين . أجمع الرأي على حرق بيوت هؤلاء الخونـة جميعا وتطهير الشعب الدرزي من هذه الادران التي مـا شاء ان تظل عالقة به فتدنسه .

عقد زعماء الوطنيـة اجتماعا في قريـة دامـا ـ اللجاه ـ في الخامس والعشرين من شباط سنة ١٩٢٦ بدار المجاهد الكبير شبيب القنطار حضره عدد كبير من الزعماء سلطان باشـا وعبد الغفار باشا والمرحوم الامير حمد وعقلة القطامي وصياح الحمود وسلمان وفضل الله آل الاطرش ومن العوامرة علي وهائل والامير عادل ارسـلان وتوفيق حيدر وعلي عبيد وجابر الصغير

وغيرهم كانت الغاية من هذا الاجتماع البحث في الدعوة التي اذاعها المسيو دي جوفنيل حاثا فيها على السلام فأجمعوا على مجاوبته بكتاب شديد اللهجة خلو من العبارات الديبلوماسية ومن الالفاظ السياسية .

اننا لا نبخس الناس اشياءهم ولا نقول للمخطيء اصبت ولا للمصيب اخطأت ان دي جوفنيل على علاته وعلى ما هو عليه لا يخرج عن كونه مندوب لدولة كبرى كفرنسا لها نفوذها ولها مكانتها ولها حولها وعظمتها تحت الشمس فليس من الحكمة ولا من المصلحة في شيء ان يجنح الابطال المجاهدون الى مخاطبة المفوض السامي بتلك اللهجة القاسية التي ما كان حريا بهم ان يستعملوها في مخاطبة رجل كدي جوفنيل ولذلك فاننا نسطر لهم هذه الخطيئة التي ما كنا نود ان يقترفوها ولو كان المسيو دي جوفنيل بالحقيقة غير بار بوعد وغير منفذ لعهد وقد اجمع المجاهدون على مجاوبته بطلب الجلاء عن سورية عقيب اجتماع المجلس التأسيسي بشهرين مما دعاه لان يجيبهم بعدم المسالمة او المفاوضة ما لم يخضع الثائرون ويلقوا السلاح وفي اليوم الثاني برح المجاهدون هذه القرية الى لب اللجاه فكانوا يحتلون ما يمرون به من الاماكن من غير مقاومة تقريبا من ذلك قرية جدل . سيطروا على اللجاه واتخذوه موقعا لغاراتهم على مواقع الفرنسيين في حوران وعلى الاخص للاغارة على الخط الحديدي بغية عرقلة النقل الفرنسي .

هذا ما كان من الوطنيين اما ما قام به الفرنسيون فهو انهم عقدوا العزيمة على التوجه نحو السويداء وبدأوا في الزحف عليها يوم ثالث وعشرين نيسان عام ١٩٢٦ وكان القائد في هذه الحملة الجنرال اندريا سار الجيش وقد شقت الطائرات امامه السبيل فأغارت في الثاني والعشرين من نيسان المذكور على قرى الجبل كأم الرمان وصلخد وعرى وكانت تمطر كل من هذه المواطن والاماكن وبالا من القنابل والقذائف كانت الطيارات من السماء والمدافع الضخمة الراكزة في الاماكن التي ألمعنا اليها في حوران تصب الحمم والقذائف تترى زحف الجيش الفرنسي في هذه المرة من ناحيتين فسارت الحملة الاولى صباح

الاثنين والعشرين من نيسان مبارحة اذرع حتى وصلت قرية الغازية فاحتلتها بلا حادث اما الحملة الثانية وهي التي كانت دعيت بالقوات الرئيسية والتي كان نفس الجنرال اندريا يقودها فانها غادرت المسيفرة صباح الثالث والعشرين من نيسان متجهة الى قرية ام ولد وقد احتلتها من غير مقاومة كان الثائرون قد اجمعوا على ان لا يشتركوا مع الجيش بعراك حتى يستطيعوا انفاذ الخطة التي عزموا على تحقيقها لذلك كانت الحملة تسير بكل امان واطمئنان من غير منازع ولا معارض مما دفع الحملة الاولى للزحف من الغازية صباح الرابع والعشرين من نيسان محتلة في الزوال تل الحديد قاضية فيه ليلها كما استولت الحملة الثانية على قرية عرى وبذلك تم للحملتان الالتقاء والسير في صباح الخامس والعشرين من نيسان المذكور الى السويداء فأخذ الجيش بضرب هذه المدينة في الصباح الباكر من يوم الاحد المذكور وظلت رجال المدفعية توالي الضرب حتى كانت الساعة الثانية من الصباح وفيه اقلعت قليلا وتريثت يسيرا وظلت ربع ساعة ثم استأنفت الرمي وظلت احدى عشر طائرة في السويداء ترميها بالنار المتواصل والقوى تبعث بالقذائف من كل ناحية وصوب من السماء والارض حتى الظهر ولقد اشتد اطلاق القذائف لدرجة كان يبعثر الاحجار ويملأ السماء دخانا فانحجبت الغزالة عن الانظار وفي الزوال كان الجيش في السويداء بعد معركة ما تهاون القائد العام السلطان واخوانه المجاهدين الابطال فيها قليلا ولا كثيرا ولا ولوا وجوههم عن الموت يسيرا او غزيرا ولا تركوا للخصم مجال الظفر بهم وفي يدهم سلاح او لدى ذويهم عتاد ... اجل رأى المجاهدون ان الخطط الحربية تقضي بالارتحال من بعد ان نفذت من بين ايديهم كل وسائل الدفاع ومن بعد ان رأوا ذلك تركوا المجال للعدو يعمل ما يشاء ولكل حادث حديث .

ولى المجاهدون وجههم شطر الشرق ونزل السلطان ورجاله الاشاوس على عين الخشبة وتوجه الزعيم الشهبندر ومن كان اليه نحو قرية سالة حيث كان من قبل قد التحق به من جنود التونسيين الفارين من الجيش

الفرنسي قبل معركة السويداء عدد غفير فمنهم من سافر بعدها الى عمان ومنهم من توجه الى الفوطة وقد استبسل الكثير فكان شهيد الوغى بكل فخار اما الآخرون من المجاهدين فقد قصدوا العنات وغيرها من قرى المقرن الشرقي وكانوا على اتصال مع بعضهم بعضا .

لقد ضحى الزعيم الدكتور الشهبندر براحته ونظامه الخاص في كل موطن من مواطن الثورة وكان واقفا نفسه وشخصه على مداواة الجرحى ومعالجة المصابين من الثائرين ومثله كان المجاهد والحكيم امين رويحة وزملائه الاطباء والصيدلي سليمان المعصراني ليقلوا جميعا عن الزعيم الشهبندر حيث كانوا يقومون باسعاف من هو بحاجة الى اسعافه فيضمدون للمجروح جراحه ويواسون للمكلوم آلامه فكانوا يخففون بذلك الكثير من العناء على هؤلاء الابطال فكانوا لما قاموا به اعظم وقع واجمل أثر .

الداماد احمد نامي وبيانه

لم يأل المفوض السامي جهدا في السعي وراء ايجاد من يساعده على تهدئة الثورة بتأليف حكومة وطنية وقد حاول عبثا ان يجد من يأخذ بيده على انفاذ مراميه مما جعله ان يستأنف العودة على الشيخ تاج عله يستطيع ان يقنعه بما اراد من التعاون واياه فاصطدم باصرار الشيخ على تنفيذ برنامجه فانعكف على الاتصال بالرئيس الجليل هاشم الاتاسي والزعيم الكبير ابراهيم هنانو عله يجد عندهما ما فقده لدى غيرهما من التعاون معه فما كان نصيبه منهما الا الاعراض والرفض مشترطين لاجابة سؤله اجابته مطاليب البلاد وعندما بلغ به القنوط منتهاه ولى وجهه شطر الداماد احمد نامي من رضي بأن يتولى رئاسة الحكومة السورية والذي شدد في عزم المفوض على اعلان هذا الحدث السياسي في سورية ما رآه من احتلال اندريا الى السويداء اذ ثاني يوم دخول الجيش الفرنسي قاعدة الجبل اصدر المفوض في



من مشاهير أبطال الثورة الطبيب الجراح الـكبير أمين رويحـــة
مع المجاهد الباسل ابو شاكر القلعجي

الثالث والعشرين من نيسان قرارا جاء في مادته الاولى :

« عينت الداماد احمد نامي بك رئيسا لدولة سورية الى ان يلتئم البرلمان الى ان ينتخب قانونا ويعين بنفسه رئيس الدولة » .

وفي الثامن والعشرين من الشهر المذكور اذاع الداماد بيانه التالي :

« لقد قاسمت واقاسم جميع اماني الشعب السوري وقد تألمت واتألم لجميع آلامه واذا كنت اتحمل اليوم مسؤولية الحكومة الموقتة فذلك لكي اساعد سورية على تحقيق امانيها وعلى تخفيف آلامها اننا لا نقدر ان نصل الى غايتنا بالقوة بل بالمخابرات وبالاعتماد على الحق وليس علينا ضد الدولة المنتدبة ان ننال نجاحا بل بمساعدتها وليس بمحاربة اخواننا الذين ولدوا على ارض هذا الوطن مثلنا نوجد الوحدة السورية بل باستمالتهم الينا ان الثورة قد كلفت الوفا من الضحايا البشرية وخربت مدنا كاملة وحكمت على الغلال ان تهرأ تحت الاشجار وفي الحقول بل انها زادت في عمق الهوة التي تفصلنا عن الاسكندرونة والعلويين ولبنان في حين ان ضروريات حياتنا الوطنية تأمرنا ان نطمر هذه الهوة بفتح منفذ على البحر لحلب ودمشق وستسعى حكومتي لنيله بالطرق السلمية .

ومن جهة اخرى سنتخابر مع الدولة المنتدبة لاعطاء الانتداب شكل معاهدة مستمدة من المعاهدة المعقودة بين انكلترا والعراق واخيرا فاننا نعجل بانتخاب جمعية تأسيسية يعترف بواسطتها بحقوق جميع السوريين في استعمال الحرية والاستقلال .

فليثق الشعب السوري ويصبر فالنجاح امامنا انه يكفي لمحق سنابل القمح النافعة مطرة واحدة من البرد غير انه يلزم اياما عديدة بل اسابيع وشهور لينمو القمح ويحين الحصاد تلك هي شريعة الحياة التي لا يمكن نكرانها .

فاذا سرتم معنا على طريق هذه الشريعة ترون اذ ذاك نهاية العذاب والشقاء وتحققون رويدا رويدا في السلم والراحة مطاليب القلوب السورية » .

وفي الثلاثين من الشهر الملمع اليه كان المفوض والداماد في دمشق يعملان لتأليف الوزارة وقد صادفتهما عقبات شديدة وبالجهد الجهيد حتى تمكن الداماد ان يضم الى وزارته قسما من العناصر الوطنية فألفها في رابع مايس سنة ١٩٢٦ من الرجال الآتية : فارس الخوري للمعارف لطفي الحفار للزراعة والري حسني البرازي للداخلية شاكر نعمت الشعباني للمالية يوسف الحكيم للعدلية واثق المؤيد للاشغال العامة .

ونشرت هذه الحكومة الموقتة برنامجها الذي اقره المفوض السامي :

« الى الشعب السوري الكريم :

غير خاف على احد ما بلغته الكارثة الحاضرة من ايقاع الدمار والبلاء في هذا الوطن السوري المحبوب فقد تواترت عليه المصاعب المفجعة في الاشهر العشرة الماضية حتى كادت تقوض ما بناه لنفسه من آثار الحياة والعمران وبات الحذر شديدا من الاتيان على ثمرات جهود الاجيال السالفة والجيل الحاضر .

لقد اصبح الموقف رهيبا وكاد يقضي على شعاع الامل بالخروج من هذه المآزق الضيقة ولم يعد منصب الحكم والولاية يستهوي احدا في هذه الايام العصيبة .

عندما دعينا لتسلم ازمة الادارة في سورية وقفنا برهة موقف التردد والحيرة متهيبين اقتحام هذه الغمرة وقبول ما فيها من التبعة ونحن عالمون ان انهاض هذا الوطن من كبوته واقالته من عثاره يحتاج الى مفاداة ابنائه ومغامرتهم بأشخاصهم .

نحن نعلم ان للامة السورية حقوقا مشروعة تريد ادراكها وتعمد في نيلها على قوة الحق التي لا تغالب وبحسب هذه العقيدة ما زلنا من القائلين بوجوب العمل بالطرق الدستورية والوسائل القانونية . ومهما كانت نتيجة الثورة الحاضرة لا تتبدل امانينا الوطنية ولا تضعف عزائمنا عن متابعة قضيتنا والمطالبة بحقوقنا بالطرق السلمية المشروعة تلك الاماني التي كانت الامة

تسعى وراء تحقيقها منذ عهد قديم .

جاء المسيو دي جوفنيل المفوض السامي واعلن انه قـادم لانالة الشعب السوري حقوقه وقد مرت بضعة اشهر والمفاوضات تجري بينه وبين السوريين لايجاد اسلوب ملائم تحل به المشكلة الحاضرة بانالة السوريين حقوقهم وازالة اسباب شكاويهم وهو معدود من نوابغ الفرنسيين ومشبع بروح الحريـة والانصاف . ولـه في جميـع الامم مواقف كثيرة ولـه مزايا بارزة في نصرة الحق وتأييد العدل .

قبل ان وافقنا على تلبية الدعوة بتأليف حكومتنا الحاضرة وضعنا امامنا في ساحة التأمل والاعتبار امورا كثيرة تتناول قوة الحق في جانب قضيتنـا الوطنية والوعود المكتوبة والشفهية التي تلقيناها من فخامة المفوض السامي وشخصية هذا العميد البارزة في العالم الاوروبي مع الثقة المتبادلة بينه وبين حكومتنا السورية ولزوم الاعتمـاد المتقـابل والتعـاون الحقيقي بيننـا وبين الفرنسيين لنتمكن من الاستفادة بعملهم وخبرتهم ولتعود الى البلاد سكينتها وسلامتها وما ادى اليـه فقدان الثقة ومساويء الادارة الماضية من خـراب بلادنا وتدميرها وخطأ الموقف السلبي حيال كوارث البلاد الحيوية والاقتصادية وحيال الامن المضطرب والاموال المندثرة والدماء المسفوكـة .

بعد ان تأملنا كثيرا في هذه الامور وقابلناها مع معكوساتها في الكفـة الاخرى قضى علينا العقل والغيرة الوطنية ان نستخير الله ونعالج هذا الامـر ونحن معتمدون في نيـل النجاح على مؤازرة الشعب السوري الكريم وتأييده في هـذه المهمـة الشاقة . وقد عاهدنا انفسنا ان لا نجازف بشيء من حقوق الامة المشروعـة .

ان حكومتنـا قد اتخذت قاعدة لاعمالها البرنامج الآتي تسعى لتحقيقه :

١ ـ دعوة الجمعية التأسيسية لتتولـى سن دستور البـلاد على قاعـدة السيادة القومية .

٢ ـ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريـة لمـدة ثلاثين

سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الامتين مماثلة للمعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ويحتفظ فيها لفرنسا بالنفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي فقط على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية .

٣ ـ تحقيق الوحدة السورية بالوسائل التي باشرنا باجرائها منذ الآن وستظهر للامة نتائجها المثمرة في القريب العاجل انشاء الله .

٤ ـ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ ـ تأليف جيش وطني بحيث تتمكن البلاد الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد .

٦ ـ طلب ادخال سورية في عصبة الامم واعطائها حق التمثيل الخارجي أسوة بالعراق .

٧ ـ درس اصلاح النظام النقدي الحالي واعادة الاساس الذهبي في عملة البلاد الرسمية بصورة تدريجية .

٨ ـ استحصال العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية مع الاحتفاظ بالحقوق الشخصية .

٩ ـ استحصال قرار بالغاء الغرامات الحربية عن دمشق وغيرها .

١٠ ـ ايجاد طريقة للتعويض على منكوبي الثورة .

هذا هو الهدف الاصلي من برنامج حكومتنا الموقتة لاعادة السلام وتحقيق أماني البلاد بالسرعة الممكنة . ولما كان هذا البرنامج يحقق قسما كبيرا من الاماني الوطنية وحقوق البلاد فاننا نرجو من الامة السورية الكريمة مؤازرتنا لنتمكن من تنفيذه بأقرب وقت مستطاع والله من وراء القصد » .

على اثر تأليف الوزارة اخذ المفوض يفاوض الحكومة الحديثة في قضايا البلاد . وظلت هذه المفاوضات تدور بين الجانبين نحوا من اسبوعين فكان ممثل الجانب السوري فيها مجلس الوزراء ويمثل الجانب الفرنسي بها

المندوب الممتاز في دمشق بير اليب ورئيس الاستخبارات في المفوضية العليا الكولونيل كاترو واشترك نفس المفوض بها ايضا .

كانت خاتمة هذه المباحث توقيع المفوض السامي على وثيقتين اولاهما تتضمن ما جاء في البيان الوزاري ومواده العشرة ـ نشرناهما حديثا ـ . وثانيتهما تتعلق بطريقة انفاذ كل مادة من مواد البيان العشر وهذه لما تنشر بعد ...

ناول المندوب الداماد رسالتين خطهما بيده مخاطبا اياه بهما معترفا بالاولى بحق سورية ان تحصل على ثغر بحري متعهدا باعطائها طرابلس وعكار على طول الخط الحديدي الى بعلبك حيث تتصل طرابلس الشام بدمشق راسا من غير ان يمر الخط الحديدي بأرض لبنانية . كما انه اقر في الوثيقة الثانية بوجوب الوحدة السورية واعدا بتحقيقها على اساس التفاهم بين فرنسا وسورية من ناحية وبين سورية ولبنان من ناحية اخرى . والرسالتان مؤرختان في اواخر شهر نيسان سنة ١٩٢٦ وهما محفوظتان لدى الداماد ولم تنشرا .

لقد وقف بعض الزعماء البطريرك واميل اده على ما كان بين المفوض ورجال الحكومة السورية فآل الاخير على نفسه ان يقوم باقناع ابناء طائفته بعدم ادائها ممانعة ما بصدد ضم طرابلس الشام الى سورية وتوثيقا لذلك فقد وقع بخط يده على الوثيقة المتعلقة بالوحدة ومما استطاع الداماد ان يتفق عليه مع المندوب هو ان تتحقق الوحدة السورية عن طريق المفاوضات وذلك بعقد معاهدة بين الحكومتين السورية واللبنانية تتعهد كل منهما للاخرى بعدم اللجوء الى السلاح وبعدم الجنوح الى اي نوع من انواع الشدة في سبيل حل مشكلات الحدود . وان تتضمن المعاهدتان سلخ الاقضية الاربعة وطرابلس الشام وعكار عن لبنان وعند الاختلاف بين الحكومتين يكون المندوب السامي حكما بينهما والحكم الصادر عنه قابل للتمييز لدى جامعة الامم .

كأنا بالمفوض السامي لا يلقي الكلام الا على عواهنه وكأنا بـه عندما يتكلم

يضمر في نفسه الاخلاف بالوعد والنكث بالعهد .

فمن بعد ان وعد بما المعنا اليه وعاهد الحكومة السورية بما نوهنا به من عهود صريحة لا لبس فيها ولا ابهام ومن بعد ان آلى على نفسه تحقيق الوحدة السورية بسلخ الاقضية الاربعة وطرابلس الشام وعكار عن لبنان واعادتها الى احضان امها سورية كان خامس عشر مايس سنة ١٩٢٥ وفيه اعلن موافقته على دستور لبنان الجديد الذي ينص بصراحة تامة على ان اراضي لبنان وحدة لا تتجزأ ولا يجوز التنازل عن قسم منها وانه يجب انشاء جمهورية ذات نظام برلماني تتألف من مجلسين . وبالفعل فقد تم ذلك في السادس والعشرين من مايس فاحتفل بتأليفها احتفالا رسميا منقطع النظير .

لم يكن العهد برجال فرنسا ام الحرية الذين توفدهم الى هذه البلاد ان يكونوا كمن لا يحفظ الا ولا عهدا ولا يرعى ودا او زماما وانا اذا كنا نأسف لشيء فانما اسفنا ان الرجل الكبير تكون مكانته بنسبة ما يحافظ على كلمة يقولها او وعد ينجزه هذا ما تعلمه الامم الشرقية المتهمة بالوحشية وهذا ما تتحافظ عليه رغم ما تنعت فيه من الاوربي فما قول العالم المتمدن بمندوب سام يعد اليوم ويخلف فيما يليه من ايام يعد ويؤيد وعده بخط يده بوثائق رسمية فما قيمة الصكوك اذن ؟ طالما ان حكومة مع حكومة لا تقيد واحدة منها بما تم الاتفاق عليه خطيا اذن لا ذنب لفرد من افراد الناس اذا انكر مفعول صك من الصكوك التي تقيده طالما ان المجموعة الكبرى لامة عظمى كفرنسا لم تستنكر على ممثلها في الشرق ان ينكث ما عاهد وينقض ما وعد ...

كنا نربأ بالمفوض السامي ان يكون الى هذا الحد متراجعا فيمحو ماسجل على نفسه بيده ويقول في الغد عكس ما قاله اليوم . ان هذا الموقف المترجرج الذي وقفه المفوض وهذا العمل المتناقض الذي عمله المندوب قد لفت نظر وزير سوري اذ لم يستطع السكوت عن سؤال المفوض عن كيفية التوفيق والجمع بين الكلامين فقال له المندوب : « لا ارى فرقا بين دستور لبنان

وبيان الحكومة السورية ما دامت وزارة الخارجية وجمعية الامم لم تصادق عليهما فلهما وحدهما حق البت في هذه الشؤون وفصل الخلافات » .

وبارح المفوض في الثامن والعشرين من مايس من تلك السنة بيروت قافلا الى باريس فلم يعد ولم تعد تلك الوثائق بسفره من قيمة اصلا . اذ ان نفس المندوبين الذين تعاقبوا من بعده لم يقيموا لها وزنا رغم انها صدرت منه بالاضافة الى امته والى حكومته والى فرنسا بأسرها . ومن العجب العجاب ان القرار الذي يصدره رئيس محكمة من المحاكم في أي بلد من بلاد الله يحترمه الرئيس الذي يليه ويقوم بانفاذ احكامه مهما كان مخالفا لرأي هذا الاخير لانه صدر بالاضافة للمركز الذي اعتلاه الرئيس الجديد فكم بالحري ان تعتبر الحكومة الفرنسية ومن خلفها الشعب الفرنسي ما يبرمه ممثل لها في بلد من بلدان العالم مع أي كان .

انا بما نقول هنا نحافظ على نفوذ فرنسا الادبي في الشرق وان نمحصها الود المصفى ونخلص لها الحب الصادق لما ذكرناه حتى تعلم ان التاريخ لايزال يسطر لكل امة ودولة وشعب حسناته وسيئاته واقواله وافعاله . وانا اذا ما كنا نطلب اليها ان تحافظ على المواثيق والعهود التي قطعها رجالها للغير نكون قد طلبنا اليها ان لا تترك المؤرخين واقلامهم بأيديهم يسجلون على هذه الحكومة العريقة بالحرية وبالمحافظة على حقوق البشر غمط حقوق الانسان على رجالها وهي ساكتة مكتوفة الايدي لا تعيد ولا تبدي . انا نلجأ الى الشعب الفرنسي النبيل ان يسمع ما فعلت رجال حكومته وان يرى اخلافها عهدها ونقضها ميثاقها فلعله يتلافى آجلا ما لم يدر به على ما نعتقد في السابق ..

فواجع الميدان

الميدان حي من اشرف احياء الشام عديد السكان عريق المجد يتصل بالغوطة رأسا جنوبا وشرقا وغربا بين اهله وبين البادية آصرة شديدة ورابطة وثيقة ووشيجة متينة وعلى الاخص بحوران وجبل الدروز ولقد تطبع الكثير من اهالي هذا الحي الكريم بطبائع البداوة فسلخ معها زمنا طويلا تربى فيها

على الوفاء والمروءة والمحافظة على الاخلاق العربية الكريمة .

يتألف هذا الحي الكبير من اقسام ثلاثة الميدان الفوقاني وهو يكاد ان يكون جزءا من البادية تقريبا . والميدان الوسطاني وفيه اهراء الحبوب ومقر تجارها والميدان التحتاني وهو القسم الاقرب منها الى دمشق .

لقد انجلى الفرنسيون عن هذا الحي تمام الجلاء وتركوا اهله تحت سلطة الثائرين كي ينتقموا منهم من ناحية ولكي يوقعوا العداوة والبغضاء من بين ابناء الوطن الواحد فلعل الثائرين المجاهدين يعتدون على اخوانهم المسيحيين فيكون للسلطة ما تريد وهي التي كانت بكل مناسبة وبكل حين وزمان تود لو تنتهز الفرصة للايقاع ببني هذه الامة حتى تفرح بما يحزن الشعب ويؤلمه. وقد مر بنا ان الثورة كانت أعلى هدفا وانبل مقصدا وارفع مطلبا .

لما توالى خذلان المتطوعة في قتال الوطنيين المجاهدين ورأوا انفسهم لا قبل لهم بأولئك وانهم اقصر باعا في ميادين النضال من مقارعة الابطال ومجالدة الرجال عمدوا الى الوسيلة التي علمهم اياها الجيش الفرنسي وامرهم بها تلك اتيان الآمن الهادىء الوادع في حماه وفي مستقره يزعجونه بالسلب تارة والنهب طورا والقتل احيانا . فانبروا الى هذا الحي الكبير يعملون فيه ايديهم فيأخذون من المتاع والرياش والاثاث في تلك الدور ما تصل اليه ايديهم ويعودون لاقتسام الغنيمة الباردة حتى اذا مااستقر بهم المقام من بعد ان نزعوا من البيوت ما فيها من فرش وطنافس ورياش نشب الخلاف فيما بينهم على القسمة فبعضهم كان يود لو يحصل على ما لم يدع لغيره مما غنم شيئا والبعض الآخر يود ان يستأثر بالجميع فلا يعطي احدا شيئا وهكذا اشتعلت نار الضغينة بين هؤلاء النهاب السلاب ولولا ان الفرنسيين قدحالوا بينهم وبين ما اختلفوا عليه لاتسع الخرق ولعمت الفوضى بينهم ولكان فيهم مايسر الاعداء ويؤلم الاخوان .

لم يقتصر الامر على المتطوعة من ارمن وشركس في حوادث النهب والسلب بل زحف عدد من الجند الفرنسي يناهز عدده الستمئة تتقدم هذا الجيش

المصفحات والدبابات وقد كـان يقوده مدير الامن العام الفرنسي المسيو بيجان فأسرف هذا الجيش بالتنكيل والتعذيب والنهب والسلب واتيـان الموبقـات والمنـكر .

لقد انتهكت متطوعة الارمن حرمة المساجد فحطموا مصابيـح جامع باب المصلا وجامع جنيد وجامع سيدنا صهيب وحرقوا هنالك المصاحف ونهبـوا منها السجاجيـد واتوا من الآثام ما يخجل الانسان !!...

لقد ضج اهل الحي بهذه الاعمال البربرية وتألمت دمشق على ما اصـاب احـد اثمائهـا من نكبات وويلات وذهبوا يؤلفون وفدا من رجال الميـدان يؤم الجنرال اندريا سائلا اياه منع الاذى وكف الاعتداء والاكتفاء بما كان فطيب هذا الجنرال خاطرهم واظهر لهم كـأنه استاء جدا وكأنه ليس له علم بما جرى ووعدهم خيرا رادا ماسلب الى اهله اما السلطة المحلية فانها اعترفت بالامـر واذاعت بلاغا في ١٨ شباط نص على ما يأتي :

« بنـاء على شكوى الاهلين ومراجعتنا للجنرال اندريا بشأن اعتداءات الارمن والشركس اصدر الجنرال امرا باخراج ١٨ شرطيا ارمنيا ووعد باجراء تحقيق وانزال العقاب بالمعتدين وامر بوضع اليد على الاشياء المنهوبة واعادتها الى اصحابها » .

رغما عن ان الجنرال اندريا قد اقر بما كـان من السلب والنهب فانه عاد بعد ان هدأت الحال قليلا وسكن ثائر الامـة وهيجانها يطلق سراح من قـام بالسلب مما كدر السوريين وآلمهم وازعجهم كثيرا واقلقهم ومما دعى وجهـاء دمشق على اثر ذلك ان يعقدوا اجتماعـا في دار البلدية يضم نخبـة القـوم وعيونهم للبحث بما كان من السلطة وقد كـان بين المجتمعين محام هو الاستاذ ناصيف ابي زيـد له المكانة العليـا والوجاهة بين الاخوة المسيحيين فقـال يومئذ « نحن مسلمون ومسيحيون متضامنون في المطالب وان الارمن يرتكبون فظائع تقشعر لها الابدان فيجب ان نطلب من دولـة الانتداب احد امرين اما منـع هـذه الفظائع ومعاقبـة مرتكبيها واما السماح لنـا بالمهاجـرة مـن البـلاد » ...

وذهب العلامة الكبير فارس الخوري الى الجنرال اندريه يسأله عن الاسباب التي اهابت بالسلطة لان تقوم بهذه الاعمال الارهابية فأجابه حفظه الله : « قولوا للثوار بأن يتركوا السلاح » فقال له الاستاذ الخوري انتموا المسؤولين عن حمايتنا فأجابه ثانية : اذهبوا الى الثوار وطالبوهم بترك السلاح ! » .

لقد اراد الجنرال من وراء ذلك ان يعلم الناس في صراحة وجلاء انه سيستمر على قتل النساء والاطفال وهدم البيوت وحرق الدور وانتهاك حرمة المساجد ما دام الثائرون يمتشقون الحسام وكأنه كان يود ان يقول بأن السلطة الفرنسية اعجز من ان تبلغ مناها من الثائرين وان تقمع الفتنة لذلك عمدت الى هذه الوسائل التي لا تشرف موقف فرنسا في الشرق لا قليلا ولا كثيرا . لقد عددت صحف دمشق هذه الفظائع واتت على وصفها فكانت موضع مطالعة القارئين حتى ان جريدة المقتبس الغراء التي لا يزال عددها الصادر في التاسع عشر من شهر شباط قيد ذاكرتي ونصب عيني قد اتى على ذكر حادثة لما يرن صداها بصدري تلك ان احد جنود المتطوعة من الارمن بعث الى زوجته في بيروت بقاطرة تامة مكدسة فيها السجاد المنهوبة من منازل دمشق ومساجدها تكديسا وقد ابرقت الحكومة المحلية الى محطة رياق تستوقف هذه الشاحنة لذلك فان ما قراته من هذا النبأ المزعج لمما يؤلم كل واقف عليه مدرك منه ما كان يقوم به اذ ذاك متطوعة الارمن والشركس من كل ما يدمي ويؤلم ولو شئنا ان نعدد جميع ما جرى من نكبات لضاق بنا نطاق هذا الكتاب لذلك نجتزء منها الاحصاء التالي :

١ ــ نهب جميع الحوانيت وحواصل القمح الممتدة من باب المصلا حتى الميدان الفوقاني ويقدر عددها بألف حانوت وحاصل .

٢ ــ نهب اثاثات ورياش ستمئة منزل في حي الميدان وتجريد نساء هذه المنازل من الحلي والمصوغات وقطع اصابع بعضهن .

٣ ــ احراق عشرة دور وعشرين دكان وهدم مئة دار .

٤ ــ قتل مئتي نسمة من السكان الابرياء بين رجل وامرأة .

٦ ــ دخول بضعة جنود من الشركس على دار عمر عمر باشا في حي الميدان واطلاقهم الرصاص عليهم وقد اعترف بالحادثة البلاغ الرسمي الذي اطلعنا عليه في عدد الف باء بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥ اليك نصه :

« ان الموالين من الشركس الذي اصيب زعيمهم بجروح في الميدان ذهبوا على الفور الى نجدته وقتلوا عمر عمر باشا » .

لقد عقد اعضاء المجلس البلدي في دمشق اجتماعا قرروا الاحتجاج فيه لدى الجنرال اندريا على ضرب المنازل وهدمها وحرقها في الميدان فأجاب بأن المنازل لا تمس ولا يعتدى عليها وعلى أثر ذلك نشر في الثامن عشر من شباط البلاغ الآتي :

« وجه متصرف دمشق انظاري الى الشكايات العديدة التي يبديها الشعب من متطوعة الشركس فالسلطات المنتدبة لم تقصد بأعمالها العسكرية سوى ان تجعل السلم يسود هذه الارجاء وان تحفظ حياة الشعب وامواله من أي مذهب او اعتقاد كان ومن جهة اخرى فهي لا تعتني بانزال العقاب الا بالذين يخلون في الامن العام ويقلقون الراحة والسكينة وقد امرت باجراء التحقيقات بخصوص هذه الشكايات التي اذا ثبتت سأنزل العقاب الصارم بحق المتسببين فيها وقد اخذت الاحتياطات اللازمة لمنع تجدد مثل هذه الشكايات مرة اخرى وهذا طبقا لرغائب السلطة المنتدبة وبهذه المناسبة اوجه نظر الشعب الى الغلطات اليومية المرتكبة ضد جنودنا عند مرورهم في حي الميدان او في غيره وعلى الطلقات النارية التي توجه اليهم من البيوت او من مآذن الجوامع التي يجب على كل انسان ان يحترمها وانني احذر الاهالي بأن مثل هذه الحالة تجبرني على اخذ الاحتياطات اللازمة والصارمة معا واستخدام الوسائل العسكرية التي تؤدي الى الخراب وكل ذلك لتأمين سلامة جنودنا انني اطالب

الى الشعب بأن يضع حدا لمثل هذه الاعمال التي لا يمكن ان تفيد بل بالعكس فانهـا تجلب التعاسة والشقاء فالسلام على الذين يتبعون الطريق المستقيم ».

وقد عطلت دمشق اعالها احتجاجا على تلك الفظائع مضربة محتجة وقـد آزرهـا في ذلك الاخوة المسيحية وبعثت عصبة الميدان في الثورة الكتـاب التـالي :

« لجنة الثورة السورية الوطنية في الغوطة وضواحي دمشق عصبـة الميـدانيين : الى سماحة استاذنا ومولانا الشيخ بدر الدين الحسني المحترم .

« سلام الله عليكم وبعد فأنت اليـوم امـام المسلمين في جميـع البلدان السورية ان لم نقل في جميع الاقطار الاسلاميـة والهدى الذين يهتدون بـه والعلم الفرد الذي يسيرون وراءه ان نيران الثورة تشتعل في جميع انحـاء البـلاد والقتـال قائم على قـدم وساق وان ابنـاءك يقومون بواجبهم حيال بلادهم ولا يخرجون عن اوامر خالقهم وسنن نبيهم ولا يتعرضون لاخوانهـم الذميين ولا يقاتلون غير الاجنبي وهم الى الايام الاخيرة ما كانوا يطلبون منكم غير الدعاء ومراقبة الاحوال حسب عادتكم لتنهجوا المنهج الذي ترونه لازمـا عنـد الاقتضاء لقـد خرج الفرنسيون في جميع حركاتهم عن نظامات الحرب فقبلنا ذلك ولم ننتقم منهم على اعمالهم بغير قتـال جنودهم ولكنهم اليـوم اباحـوا للارمن الذين اتخذوهم انصارا لهم انتهاك حرمة دور المسلمين فـي حي الميـدان فأخذوا ينهبون ويقتلون البريئين والبريئات والغرض من ذلـك هو اجبـار اهل الميدان على الرحيـل من حيهم بعد ان اصبح الميدان خارج الحصار الذي اختطوه حول المدينة واضطروا قبله سكان قرى الغوطة بقنابل طياراتهم الى هجر قراهم ظنا منهم بأن الثوار يرحلون من الغوطة ولما لم يجدهم ذلك نفعا عادوا فقالوا لاهالي القرى ارجعوا الى قراكم نرغب اليك ياسماحة الامام ان تقنع الفرنسيين بأن يحترموا القوانين ولا ينتهكوا حرمة دور المسلمين وان لهم ان يقاتلونا نحن معشر الثوار ولهم علينا ان نأتي الى قتالهم في المكان

الذي يعينونه لنا وان المآسي التي مثلها رجلهم الخواجا بيجان ونال عليهـــا وساما ولم تمثل في عصر من العصور وعلم بهـــا الخاص والعام كافية ان كانوا يعقلون . ان جيوشنا اليوم التي تقابل حملات فرنسا مهما كانت كبيرة بحمد الله من العـــار ان تسمى عصابات لان العصابات لا تقاتل جيوشا وانما تقاتل سرقـــة واختلاسا وكان من الحق ان يعاملونا معاملة قانونية أي معاملة جيش لجيش فلا يقتلوا اسرانا وعندئذ نعاملهم بالمثل ولكنهم ابوا الا ان يمثلوا افظع صفحة من صحف التاريخ فهنيئا لهم بها قد بعثنا الى غبطـــة بطريرك الـــروم الارثوذكس بكتاب افهمناه فيـــه انه ان لم يقلع الفرنسيون عن هـــذه الاعمال البربرية ويرفعوا تعديات الارمن عن المسلمين الآمنين الذين لا علاقة لهم بالثوار نقابل بالمثل حي المسيحي المملوء بالارمن والنصارى من الذين يكيدون للثـــوار وفي الكتاب تفصيل لقـــوم يفقهون ونرغب اليك يا سماحة الامـــام ان تفهـــم الفرنسيين انهم ان لم يرتدعوا عن مثل هذه الاعمال الدنيئة وانهم اذا كـــانوا يريدون ان يقلبوا الحركـــة الى حركـــة دينية فان المسؤولية تقع عليهم وعندئذ ستأتي سماحتكم الينا ونمشي تحت لوائـــكم باسم الـــدين رضيتم ام كرهتم وندعوا باسمكم مسلمي سورية الى الجهاد ولتقوم اوروبا بعدئذ على المسؤول من كلينـــا ــ السوريين والفرنسيين ــ ونحن لدينـــا الوثائق العديـــدة الكثيرة التي يمكـــن ان نثبت للعالم بهـــا بأن فرنسا مازالت تعمل منذ قامت الثورة السوريـــة على اضرام النار بين المسلمين والمسيحيين لتجد لها انصارا فـــي اوروبا ومن حمد الله نيتها السيئة هذه قد شاعت وذاعت وعلم بها الخـــاص والعـــام وان الثوار قد تحاشوا كثيرا ان يقعوا في شباكها قبل ان يعلم الناس بحقيقة نيات فرنسا وتعلم بذلـــك اوروبا المتمدنة وختاما تفضلوا يا سماحة الامام بقبول اعظم احتراماتنا مولاي .

١ شعبان سنة ١٣٤٤ باسم عصبة الميـــدان

توفيق المهايني وعبد القادر سكر

كما ارسلت الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس في انطاكية وعموم بلاد الشرق الكتاب الآتي :

« الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس في انطاكية وعموم بلاد المشرق الانخم . ياصاحب الغبطة :

ليس المجال مجال تفصيل وتطويل فالرب والسموات والارضون وكل انسان منصف يقرر بأن الثوار عامة والدمشقيين منهم خاصة قد تحاشوا كل المحاشاة ان يمسوا اخوانهم النصارى بسوء رغم كل ما يشيعه ويذيعه عنهم الفرنسيون وعمالهم من بعض نصارى البلاد وفي مقدمتهم الموارنة وذلك لانهم قد ادركوا منذ قام ــ رجل فرنسا مسيو كربيــه ــ حاكم جبل الدروز السابق ينــادي يوم دخل الثوار مدينتهم دمشق للمرة الاولى « اين انتم يا نصــارى دمشق اليــوم يومكم » اجل لقد ادركوا بان الفرنسيين يريدون ان يقلبوا الثورة السورية من ثورة وطنية الى قتال ديني ويرغبون في ان يقتتلون ابناء البــلاد ولكن اخواننا النصارى لم يدركوا هذا الفرض السيء ولعلهم ادركوه وحبذوه رغبة في بقــاء فرنسا .

لقد ضربت دبابات الفرنسيين شوارع الميدان مرارا وقتلت كثيرين مــن الابرياء والبريئات من شيوخ ونساء واطفال في الشوارع والنوافذ فلم نحرك ساكنا وكنا نكتفي بقتال الجند الباغي فقط ثم نسفوا البيوت وقاموا بتهديمها ونهبها باسم فتح الشوارع فكذلــك لم نلتفت لغير قتال الجند ولكنهم اليوم اباحوا للنصارى الارمن نهب النساء المسلمات الآمنات الفقيرات اللواتي لــم يستطعن ان يرحلن من الميدان وليس لهن اقل علاقة بالثوار فو الذي رفــع السماء ان لم يغير الفرنسيين اعتبارا من تاريخ وصول هذا الكتاب الى غبطتكم واطلاعهم عليه ذلــك المنهج البربري لنضطر الى مقابلتهم بالمثل فننهب ونقتل اهالي الحي المسيحي المملوء بالارمن وغيرهم من النصارى الذين يكيدون الثوار والتاريخ والعــالم المنصف يجيز لنــا ذلــك ما دام الفرنسيون يبيحون للارمن

والنصارى الذين قد اتخذوهم لهم انصارا نهب بيوت المسلمين الابرياء وانتهاك حرمة نساء المسلمين الآمنات ثم نعتهم ايانا بلا خجل ولا وجل بالسلابين وما دام نصارى لبنان يقومون علينا ويتهموننا بأن ثورتنا ثورة دينية واننا نقتل النصارى رغم علمهم ببراءتنا من ذلك واننا وشرف العرب الذي هو عندنا كل شيء ليشجينا ويؤلمنا كل الالم اضطرارنا لانتهاج هذا المنهج الوحشي ولكن لسنا بملومين والبادي اظلم .

وهذا الكتاب هو الوثيقة التاريخية التي ستبرزها اذا لم يرتدع الفرنسيون عن اعمالهم ومضينا نحن في عملنا ونفذنا انذارنا واراد نصارى لبنان ان يتهمونا بالتعصب الديني واننا نلفت نظركم يا صاحب الغبطة بأننا معشر الثوار قد تحملنا فوق الطوق والامثلة على ذلك كثيرة وان الذين كادوا الينا من ابنائكم كثيرون فلم نتعرض لاحد منهم كلهذا تحاشيا من ان نتهم بالتعصب . وختاما فالبلاد بلادنا وبلادكم فنلفت نظر غبطتكم الى لزوم اقناع وكيل غبطة بطريرك الكاثوليك الذي يأتمر الفرنسيون بأمره ان يوعز الى هؤلاء بان يرفعوا الحيف عن الابرياء والبريئات ولا نريد اكثر وليس من العدل والانصاف اذا كان الشارع كما يسميه الذين اختطوا حول مدينة دمشق قد جعل الميدان خارج الحصار ان يعمدوا الى مثل هذه الوسائل البربرية ليضطروا سكان الميدان الى هجر محلتهم وهي تؤلف ثلث المدينة هذا ومن انذر فقد اعذر .

وتفضلوا ياصاحب الغبطة بقبول فائق الاحترام .

باسم عصبة الميدان

توفيق المهايني　　عبد القادر سكر

على ان الاستاذ الحسني لم يدع هذا الامر جانبا بل اهتم له كثيرا فبعث بواحد من تلامذته الاستاذ الشيخ رفيق السباعي لمقابلة الجنرال اندريا كي يخبره باستياء المحدث الاكبر من ذلك احتجاجه على هذه الاعمال البربرية

فرد الجنرال بالجواب الآتي وقد اذاعه على الصحف كبلاغ صدر بتاريخ ۲۰ شباط ما يلي :

« يا صاحب السماحة :

ان سكرتيركم الشيخ محمد رفيق السباعي اخبرني عن بعض شكاوى اهالي الميدان ضد اعمال متطوعتنا الشراكسة الذين كما يزعم يقتلون النساء والاولاد والشيوخ . وانه يا ذا السماحة لمن المؤسف ان تكون الحقيقة التي على هذا الشكل محرفة ايضا فالتجول ممنوع في الميدان الفوقاني والحافلات لا تذهب الى هناك بسبب وجود العصابات في جميع منعطفات الطرق وقد اضطررت لتكليف المتطوعة الشركس بتفتيش المنازل لتوقيف الثوار الملتجئين اليها وهؤلاء المتطوعون الشراكسة لا يقتلون الا الذين يقابلونهم بالطلقات النارية ويمنعونهم من القيام بوظيفتهم وأؤكد لكم فضلا عن ذلك ان بعض العصابات يلتجئون الى بعض الجوامع ويتخذون المآذن مركزا لهم يطلقون منها النيران على عساكرنا ومتطوعتنا وهذا العمل بدون شك مؤلم لاننا نحترم الجوامع ونرغب ان تكون محترمة من الجميع في كل وقت فأتوسل اليكم ياصاحب السماحة ان تدعو أئمة هذه الجوامع وان تمنعوهم من السماح للثوار بدخول هذه الاماكن المقدسة التي نريد ان تبقى على احترامها لانهم اذا تحدونا فالسلطة العسكرية تضطر لتسليط قنابل مدافعها حيث ما وجد الثوار وعندها اكون شديد الاسف لاضطراري الى استعمال هذا التدبير وانني اكرر لسماحتكم ان التعليمات الصريحة المعطاة لجنودنا والمتطوعين تنص على احترام النساء والاولاد والشيوخ والاموال ولكنه قد يتفق ان تصيب بعض الرصاصات الطائشة جماعة من الابرياء . ياصاحب السماحة سأستعمل الاجراءات الصارمة لانزال العقاب بالثوار ولتنظيف مدينة دمشق لحاجة ماسة لاقرار السلام وان سماحتكم تشاركونني في هذا الراي وعلى الاهلين المسالمين ان لا يسمحوا

للثـوار بالالتجاء اليهم على الاقل وبذلك يسهلون للجنود مهمتهم الشاقة اذا كانوا لا يريدون ان يفيئوهم وانني اكلف سعادة متصرف دمشـق ان يقابل الجميع وان يطلع سماحتكم على مجريات الاحوال وتفضلوا يا صاحب السماحة بقبول فائق اعتباري مع احترامي » .

أما دمشق الهائجة فقد وضع اهلوها احتجاجا بعثوا به الى قناصل الدول في المدينة بالنص التـالي :

« ان تهديم القرى ودك صروح العمران وتقتيـل الابرياء وسلب امـوال المحايدين هو كـل ما وصل من المدنية الفرنسيـة الى سوريـة التي جاءت فرنسا لتمدينها وتدريبها على الحياة الاستقلالية وقد صرنا نعتقد بعد الذي رأيناه ان الحريـة والعدالة محصورة بين جدران باريز لا تتعداهـا الى بلاد الانتداب والى الساعة التي وطأت بها فرنسا الاراضي السورية لم نر سـوى مرتبات باهظة ونفقات سفر وسيارات وخدم ومركبات لموظفيها تستحلهـم من دم الشعب السوري الذي رزح تحت باهظ الضرائب وكلما رفعنا عقيرتنا بالاحتجاج على مثـل هذه الاعمال والتصرفات الغريبـة الشاذة قالوا يـد اجنبية تدفعنا لذلك ولسنا بحاجة لتذكيركم بأن الثورة السوريـة ما نشأت الا بسبب سوء تصرف رجال الانتداب وطيشهم وتعمدهم قتل البلاد حكمـا قاسيا وابتزازهم الاموال بصورة مخجلة ان الثـوار لم يقصدوا من ثورتهم الوطنية البحتـة سوى اصلاح ما ارتكبته فرنسا من السيئات والسياسـة الخرقاء والنزق والحمق الذي يرافق جميع اعمالها وليست هذه الثورة سوى مظاهرة مسلحة لان البلاد السورية التي تأنف الاستعمار قامت بالاحتجاجات الكثيرة على تجزئة البلاد وتصرفات رجال الانتداب فكانت كالصارخ في واد وليست الثورة السورية مذهبية ولا طائفية رغم ما بذله رجال الانتداب مـن جهود لالباسها اللباس الديني والطائفي فقد سلحوا مسيحيي حوران ووادي التيم وضواحي حمص ودمشق وبالاخص الارمن ورعاع الشركس واغروهـم

بالفتك بالآمنين من المسلمين ونهب اموالهم وقتل الشيوخ والاطفال والتمثيل بالناس وبقر بطون الحاملات وتقطيع ايديهن طمعا في حلاهن واحراق الدور وانتهاك حرمات المعابد والمساجد ومع ذلك فقد ظلت الثورة وطنية ولم تنقلب الى طائفية فضلا عن ضرب مدينتي دمشق وحماه الآمنتين بالمدافع المدمرة والقذائف المحرقة ان الحكومة الفرنسية التي عجزت مع مالديها من قوة ومن الجنود ومن المعدات عن صد الثوار عن ابواب دمشق تطلب من الفلاح البائس المسكين الاعزل ان يقوم بما عجزت عنه وان الاعمال الفظيعة البربرية التي ارتكبها الارمن المتطوعون في الجيش الفرنسي برئاسة ضباط فرنسيين مما تقشعر لهوله الابدان فقد مشوا تحت العلم الفرنسي صباح الاربعاء بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ الى حي الميدان المسالم فمثلوا بالنساء والاطفال وسلبوا الدور والمنازل وهدموها واحرقوها وقتلوا الشيوخ ونهبوا المعابد والمعاهد الدينية ومزقوا الكتب الالهية المقدسة وقتلوا المسالمين الابرياء مما حملنا على لفت نظر سعادتكم الى النتيجة السيئة التي يخشى من وقوعها فقد لايستطيع علماء المسلمين منع شبانهم من القيام بعمل مماثل فيقتلون الارمن وينهبون اموالهم والمسؤولية في هذه الحالة لاحقة بموظفي فرنسا وخاصة بجمعية الامم التي تسمع بما يقع من فظائع وتتغاضى عنها وقد تجاوز عدد القتلى والجرحى والمصابين في هذا الحادث المؤلم الحد المعقول والهيئات الوطنية باذلة الجهد لوضع احصاء دقيق للضحايا وقد ثبت ذلك بموجب تقارير الشرطة اليومية وبلاغات المتصرف واذاعات الجنرال اندريا ولا ريب ان دول اوروبا لا ترضى ان يعامل الشعب السوري المسالم مثل هذه المعاملة السيئة وهذا ما دعانا الى رفع احتجاجنا لسعادتكم راجين ابلاغه الدولة التي تمثلونها لتظهر لفرنسا سوء الخطة التي تسير عليها ولتسعى لوضع حد لهذه الاعمال ولاعطاء البلاد حقوقها المشروعة وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

أما ثوار الغوطة فقد نشروا ما يلي :

« يا رجال الشرطة والدرك . قد رأيتم ما حل بابناء وطنكم سكان حي

الميـــدان من هتـــك العرض وقتل الاطفال الرضع وسلب الاموال من جانب متطوعـــة الارمن بدون مسوغ سوى التعصب الديني الذميم ولذلك ندعوكم باسم الوطنية ان تفروا من الخدمـــة ولو ادى ذلك الى قطع رزقكم مدة مـــن الزمـــن وانتم ياجنود المستعمرات ويا من يخدعكم المستعمرون بقولهم انكـــم تدافعون عن ابنـــاء دينكم من السلب والنهب فانتبهوا واعلموا انكم لا تقتلون ســـوى ابنـــاء دينكم ومـــا جئتم من اقاصي المعمور الا تحت القاعدة المرعبـــة لدى المستعمرين وهي ان ابنـــاء الاسلام يعضد بعضهم بعضا .

وانت ايها المندوب يا من تدعي انك قدمت الى سوريا حاملا لواء السلام والعـــدل يامن لا تفتأ تنـــادي ان رجال الثورة هم رجال سلب ونهب اننـــا نناشـــدك وطنيتك هل اعتدى احد من رجال الثورة على عرض مسيحي او قتـــل طفل وقطعـــه اربا اربا كمـــا فعل جيشك المنظم او هل سمعت عن احد منهم انـــه اختص مسيحيا بفريضة دون غيره من ابناء دينـــه فاياك نخاطب قائلين وليشهد العالم المتمدن انـــك ما اتيت الى هذه البـــلاد الا لتعيد عهـــد نيرون فيها وانتم ايها الموظفون يجب عليكم ان تستقيلوا من وظائفكم وانتـــم يا ابنـــاء هذا الوطن البائس من مسلم ومسيحي ويهودي نناديكم ونستحلفكم بأبنـــائكم ووطنيتكم ان تقاطعوا الارمن في بلادكم مقاطعة ابدية تلجئهم الـــى الهجرة لبلادهم والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه والسلام » .

كانت السلطة تتحرى الرسائل المختلفـــة لاثارة حفيظة الامة واستفزاز مكامن موجمات الشعب او بالاحرى كانت تنزع الى تحدي السوريين حتـــى يدرأوا عن انفسهم عاديـــة العـــدى فتتخذ من ذلـــك حجة تنتقم بها منهـــم وكانت تبعث بجندها كي تتحرش بالناس حتى اذا وقعت الواقعـــة تسللت من ذلـــك بايعاز ان الثائرين الذين اطلقوا النـــار على رجالها فحملوهـــا على الدفـــاع عن رجالها بالقـــاء القنابل على الدور الآمنـــة تارة وعلى قتل كثير من الوادعين برصاص طائش من جهـــة وبرصاص الثوار من جهة اخرى لهـــذا كـــان في السادس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٦ شرذمة من الجند

الفرنسي تخترق حي الجزماتية في الميدان وقد ارادت هـذه الشرذمـة ان تباغت الناس هنـالك بما يدفعهم الى الاعتداء عليهـا فيكونوا للسلطة من ذلك سبب وجيـه للحرق والتدمير والنهب والسلب والقتل وما ان اطلق رجال هـذه الدوريـة الرصاص في ذلـك الحي حتى اصطدم بطبيعة الحال مـع بعض ممن لا يقدرون الفرض الذي ترمي اليـه السلطة ولا يدركون الغـاية التي من ورائهـا ان تبعث بنفر من رجالها لذلك عم الاضطراب هناك وانتهت المعركة التي نشبت بين الجند والاهلين عن قتـل جندي واحد لقاء اشخاص عديدين من السكان ...

عندها لجأت السلطة الى الوسيلة الوحيدة التي طالما كانت تود انتهاجها والسير عليهـا تلك هي تدمير المنازل بالقذائف وحرق الدور بالنيران والنفط. وقـد سرى اللهب من خان محمود آغا الياسين حتى اواخر الجزماتية فالتهم ما يناهز المئة بيتا مع مسجدين وحوانيت عديدة .

وقد اذاعت السلطة بلاغا بررت فيـه فعلتها بأن الثائرين كانوا مختبئين في تلـك البيوت أطلقوا النـار على رجالها فاضطرت على الاثر ان تطلق يد جندها بالتدمير تارة وبالحرق والقتل طورا . على ان الحقيقة لم تكن كذلك ولم يكن ما اشتمل عليـه البلاغ بصدق . كانت تبتغي السلطة الفرنسية مـن ارهاق الناس وتعذيب الآمنين ان يهرعوا الى اداء الفرامات المفروضة عليهم . حتى انها كانت تجنح الى اتخاذ اساليب منكرة لتـأدية الغرامات كقطع الميـاه من الاحيـاء ومنع النـور وغير ذلك مما يؤلم الناس كمـا يؤيد هذا الشـأن البـلاغات التاليـة :

١ ــ بلاغ رسمي من الجنرال فاليير .

« انـه في حالة امتناع اهل الميدان الى تاريخ ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٦ عند الساعة السادسـة من الصباح عن تأدية غرامة الالف ليرة عثمانية ذهبـا المفروضـة عليهم في ١٥ اذار سنة ١٩٢٦ من قبل الحاكم العسكري لمنطقـة

دمشق يصير قطع مياه عين الفيجة للداعي المذكور ».

« ٢ – بلاغ : يوجد بعض قرى في الغوطة او بعض احياء في المدينة فرضت عليها غرامات فهذه القرى تعرض نفسها لعقوبات شديدة في حالة عدم تنفيذها وهذه العقوبات تنفذ بدون اعلان سابق عنها » .

وقد اسفر قطع المياه عن حي الميدان امتناع اطفاء الحريق مما اهاب باللجان الوطنية السورية ان ترفع احتجاجها لمعتمدي الدول الاجنبية في دمشق على اثر حادثة ١٦ نيسان الملمع اليها . ونص الاحتجاج ما يأتي :

« لسعادة قنصل دولة ...... الفخيمة

يؤسفنا جدا ان نعيد احتجاجنا لسعادتكم هذه المرة ايضا عن الاعمال الشاذة التي يأتيها رجال الدولة الفرنسية في سورية وكنا نود ان نرى لاحتجاجاتنا السابقة تأثيرها الحسن بايقاف تلك الاعمال الوحشية والرجوع الى القوانين الدولية والقواعد الانسانية واذا بهذه الدولة تزيد فظائعها مع الاهلين وكأن الانتداب التي اودعته جمعية الامم لمساعدة سورية وانهاضها مكافأة لما بذلته من الضحايا في الحرب العامة بجانب الحلفاء كان عبارة عن ما شاهدتموه من حرق وهدم ودك صروح المدنية والعمران وسلب الاموال ومشاركة السوريين بأموالهم وجعلهم ارقاء في بلادهم :

١ – تحمل المصفحات تنكات البنزين وتلقيها على الاماكن في الميدان على النحو الذي فعلته في زمن ساراي .

٢ – يقوم الضباط والجنود بنهب الاثاثات الموجودة في مساجد الميدان من السجاد الفاخر فلا يجدون وسيلة لاخفاء جرم تلك الدناءة الا بايقاد النار في المساجد الموجودة في حي الميدان .

٣ – يدخل الجنود للاحياء بداعي تعقيب آثار الثوار يوم لاتجد احدا امامهم فيدخلون الاماكن الخالية من الرجال يملؤون سياراتهم المصفحة مما

تصل اليه ايديهم من اثاثات المنازل ثم يوقدون فيها النـار .

٤ ـ لعب ولد من اولاد الازقة بمفرقعات العيد في السوق فظنها الجنـد المرابط في حصن باب الجابية عيارا فصوب الجند المدفع الرشاش على المارة حتى اصاب اثني عشر قتيلا من اطفال ونساء ورجال .

٥ ـ حين ما يبلغ السلطة مرور احد من الثوار في حي من الاحياء ترسل المصفحات لاطراف ذلـك الحي وتطلق القنابل على المارة كما فعلتـه بسوق مدحت باشا ومأذنة الشحم .

٦ ـ يقوم الجيش المتطوع بتجريب البنادق في اقفيـة المارة وقد فعل هذا في اماكن متعددة اخرى بشيخ محيالدين فأصابوا ثلاثة اشخاص .

٧ ـ يمر جمال امام الجنرال اندريا عند الباب الشرقي حين كان يتفقـد حصونه يحمل قنبا فيأمر الجند بايقاد النار في القنب فيحرق الجمل ولمـا يتعد الجمال المسكين بضع خطوات نادبا حظه على فقـده ماله فلا يشعر الا والرصاص يلقى عليـه فيرديه صريعا .

٨ ـ تواصل المدفعية القاء قنابلها والطيارات قذائفها على القرى واطراف احياء الشام والميدان والشاغور للهدم والقتل وقد مات بسبب ذلك من اطفال وشيوخ وعجزة وكـل ذلـك بقصد الارهـاب ولغرض النهب دون ان يراعى القـانون ...

٩ ـ يسنون القوانين التي تأتلف مع مصلحة البـلاد ويجلبون الموظفـين الاجانب فكانت ميزانية الدولة وثروتها لاطعام المعدمين منهم ولجلب الفقـر للبلاد حتى اصبحت نصف الميزانيـة لجيوشهم من الموظفين والنصف الآخر للموظفين الآخرين على قاعدة غريبة ثم يقولون بتحسن الحالـة ويرتكبـون انواعا من النهب المنظم تحت اسم الانتداب ومن خالفهم او من عرفـوا منـه رائحة المعارضة اعتقلوه باسم سلامة الدولة ...

١٠ ـ مشى الجند الفرنسي ـ يوم ٢٢ نيسان سنة ١٩٢٦ ـ حاملين ما

نهبوه من القرى علنا كأنهم آتين من فتح وما علموا انهم يحاربون ثوارا يطالبون بحق اقرت لهم بـــه الامم .

١١ ــ يذيع الجنرال اندريا في اليوم الذي قتل فيه جندي بمأذنة الشحم ان هذه الجناية فظيعة سيحكم بها العـــالم المتمدن ويذيـــع الجنرال فاليـــه ان الاطفائية ارادت اطفاء الحريق من الميـــدان ولكن الثوار منعوهم وان جمعيـــة الامم ستحكم على اعمالهم .

ان ممثلي الدول وعصبة الامم الذين انتـــدبوا فرنسا لا شـــك شاهـــدوا اعمالها التي سردنا بعضا منها ومئات من الحوادث اليومية التي تشاهدونهـــا وتقشعر منها الابدان ترضى بحكمكم بهذا الامـــر اذ ليس فيـــكم من يجهلها او يرتكب عار الكذب كما يرتكبون من تضليل الرأي العـــام ومخالفة الحقائق على النحو الذي سلكه رجال فرنسا بسورية ولنا الحق أن نعد هذه الاعمال وهذه البلاغات الكاذبة احتقارا لممثلي الدول واحتقارا لجمعية الامم وانتهاكا لحرمـــة الحريـــة والانسانية .

١٢ ــ تريد فرنسا ان تبني لهـــا مركزا في الشرق ولا شك ان هذا المركز لا يبنى على جماجم السوريين وعلى انقاض بلادهم وان القلوب لاتمتلك بالمدافع والطيارات ولكن الذي يمتلكها العدل والانصاف .

١٣ ــ تدعي فرنسا انها جاءت لانهاض سورية ومعاونتها فهل خفي على ممثلي الدول ان هذا التمدين ينحصر بما قدمنا من النهب والسلب وحصـــد النفوس بالمدافع والطيارات والمصفحات فمعاونتنـــا التي يزعمونها انما هـــي ابادتنا واعاشة فريق دون آخر .

١٤ ــ اذا كان مارأينـــاه من تلك المدنية وكانت سورية عبارة عن مطعـــم للمعدمين وعن مجزرة لوحوش فرنسا فاننا بما اظهرناه من تعقل وحكمة علـــى تحمل تلك الفظائع التي لم تسبق في تاريخ العالم يجب ان تكون الوصايـــة للسوريين على فرنسا فانهم احق بها فمن الامور المسلم بها ان المنتدب والوصي

يجب ان يكون امينا على وصايته خبيرا بأحوال الموصى عليه عالما بحقوقـه وواجباتـه ومن المؤسف لم نر في تلك الوصية صفحة واحدة تليق بحمل تلك الوصاية التي القتها اليها جمعية الامم .

١٥ ـ لسنا ندري ان كان السوريون الذين برهنوا على مقدرتهم في العالم كله وعلى نشاطهم هل يكون نشاطهم ذلك وبالا عليهم ويقدم وطنهم ضحـية المطـامـع ؟؟...

١٦ ـ نعلم ان اوروبا تعمل لمناصرة الانسانية وتخفيف الويلات عنهـا ولخدمة العلـم ونشره وتأسيس جمعيات الرفق بالحيوان فضلا عن الانسان لكن فرنسا تفردت بشعور وحشي مجرد عن العواطف البشرية فهلا تشعـر جمعيـة الامم ان هنـاك امـة قد تجاوزت العقل والمنطق بفظائعها وقسوتها والقتـل بلا تفريق بين النسوة والاطفال والشيوخ والرجال في القرى والمدن لمجرد مرور الثوار او لان عواطفهم مع الثوار وكيف لا يصبح حب الثورة غريزيا في نفوسهم ويزدادون ايمانا بحب وطنهم والدفاع عنهم وعن شرفهم وهـم يرون فظـائـع لا تقـع تحت حصر يرتكبهـا الفرنسيون باسـم الوصايـة والانتـــداب ...

« خاتمـة ـ ولما كنا على ثقـة ان ممثلي الدول وجمعية الامم لا ترضى استمرار تلك الاعمال الوحشية والخروج عن القواعـــد المألوفة وكان للصبر حد جئنا ببيان الوقائع الجارية باختصار راجين اعطـاء نتيجـة سعيكم بهذا الشأن محتجين على سكوتـكم ايضا طالبين تبليـغ احتجاجنا هـذا لدولكـم المعظمة لانصافنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترامات سيدي » .

***

كأن السلطة الفرنسية لم تجد في دمشق حيـا من الاحياء تصب نقمتها على رجالـه وتفرغ جماع انتقاماتها في اهله وقطانه ويبلـغ كرهـها اياه الى درجة لا حد لها مثل حي الميـدان فانهـا من بعـد ان صبت عليـه جامـات الغضب وفاجعات الدهر وحملات الايام مرتين شاءت ان تكون هذه الثالثـة

من نوعهـا حتى لايستقر لواحد من ذويـه قرار ولا يهدأ له بال لذلك نراهـا قد سيرت فجر سابع مايس قوة من رجالها حاصرت هذا الحي من الشـرق كما بعثت بقوة اخرى على طريق السكة الحديدية حاصرته من الغرب والجنوب كما تقدمت في عين الزمن قوة ثالثة من الشمال وهـكذا بدات قـوات ثلاث مباغتـة الحي من النواحي التي ألمعنا اليها والنـاس في الكرى غرقى بما اريد بهم لا يعلمون . وما ان كانوا في عز الغفوة وفي شدة الغفلة وقد عقدت على اجفان القوم سنة النوم حتى كـان رسل المدنية يقتحمون الـدور فيحطمون ابوابها عنـوة بكل قسوة وشدة فينفتح بعضها امامهم بعد معالجة شـديدة فيقتلون كل من بلغوه فيها من نسوة وشيوخ واطفال . وكانوا من ناحية ثانية يأتون الاهراء ومخازن الحبوب والحوانيت فيصدعون الابواب وينسلون الى الداخل كي يطلقوا ايديهم نهبا وحرقا .

كانت الطائرات من السماء ، وكانت الدبابات في العراء ، وكان الجند فيما بين ذلـك يعلقون صفائح النفض من اموال غير منقولة فيعملون الحريق في تلك الاماكن فتنفجر هناك النـار كأنها ينبوع ثرار وهـاج يمور بالماء مورا .

كانت المدافع الفرنسية في باب شرقي وفي البرامكة وفي المزة تنهال على حي الميـدان بأنواع القذائف والقنابل والحمم .

ما مرت من الزمن ساعة على ايقاد النار حتى امتدت من طرف الى طرف وحتى كان اللهب يعمل عمله في كل صف من صفي هذا الحي فينعقد لـواء النـار ويلتئم عقد الدخان فيتصل كل جنب بأخيه فيـه مما لا عين رأت افظع من ذلـك ولا أذن سمعت بأهول مما كـان . كـم من دار خربت منقضة على ذويهـا الهـادئين الغارقين في بحر من النـوم وكم من سيدة اطلقت النـار عليها لانها كانت تحاول الخلاص والهرب من بين ألسنة النار فكأنها كـانت تستجير من الرمضاء بالنـار ...

تشرد القـوم والتاث النـاس وحار ابناء ذلـك الحي بما يصنعون فـلا مأوى يأوون اليـه ولا ملجأ يلجؤون له الا ان كان ماقام البعض عند المساء من

ايداع فريق من النسوة محطة القدم لامتطاء القطار الى دمشق . على ان ذلك ايضا لم يكن لينجيهن من بين مخالب الجند الذي كمن لهن في قلعة هنالك فسلهن من القطار وبيتهن لديه ليلة الله اعلم بما جرى لهن فيها ...

أم الداماد رئيس حكومة دمشق لفيف من الميدانيين يستغيث به على ما حل فيه فكان في أذنيه وقر عن سماع المشتكى وكان يقول بأن لا حق له بالتدخل في امر عسكري بحت ناصحا اياهم بطرد الثائرين من بين ظهرانيهم حتى يأمنوا نقمة فرنسا وغضبة السلطة مهونا عليهم امر الغرامة بالحث على دفعها وهي ذات المبلغ البسيط الذي لايتجاوز الالف ذهب عثماني . وبلغ بالداماد امر صم الآذان عن الاصغاء درجة لم يسمح معها لمضخات الاطفاء ان تلبي طلب الوفد بقمع النار قائلا بأن هذا الموضوع من خصائص السلطة الفرنسية .

أطلق سراح الميدانيين والميدانيات اللواتي اعتقلن في القلعة على ما اسلفنا وسمح لهن بأن يقدمن المدينة فتوجهن نحو دار الحكومة مستغيثات فمانعهن الجند من التقدم فقصدن الفندق الذي يقيم الداماد فيه . فرفض قبولهن لديه ودعا فصيلة من الجند لحراسته . فذهبن الى دار المندوب الممتاز فردهن أسوأ رد مما حدا بهن لان يقفلن الى باب المصلى راجعين عاملين في اطفاء الحريق الذي لما يزل متقدا . وعندما حاول الجند ان يحول بينهن وبين غايتهن آثرن الهجوم عليه فيمزقهن برصاص بنادقه من أن يرجعن القهقرى منخذلات وآثرن الموت على رؤية النار تلتهم ديارهن .

اما في المساء فقد ذهبت المضخات للاطفاء .

لقد بلغ عدد الذين قضى نحبه تحت الردم او خر صريعا بالرصاص المئة وخمسين انسانا . ولا يقل عدد الدور والحوانيت والاهراء التي هدمت أو احرقت عن الالف لما في ذلك من بيوت مزينة بالآثار النفيسة القديمة . ولا نكون مبالغين اذا ما قلنا بأن الميدان قد خسر بهذه الفاجعة ما لايقل عن مليون من الليرات العثمانية الذهبية .

هرع القوم الى معتمدي الدول الاجنبية في دمشق يطلعونهم على ما جرى وكان . والتقى وفد منهم بقائد حامية دمشق الجديد يعلن له ما كان للحي وما آل اليه من الخراب والدمار فأجابهم بأن السلطة عمدت الى النار عندما رأت فيه الثوار .

عم الفزع الاكبر كل دمشق وراح الناس فيها يخشون سوء المصير ونعية ذلك الصنيع والبلاغ التالي الرسمي الذي اعلنته الحكومة السورية في عاشر مايس يؤيد ما حل بالميدان من نكبات وهاهو بنصه :

« في الوقت الذي شرعت الحكومة الوطنية الجديدة بأعمالها وقعت حادثة الميدان المؤلمة التي نشرت السلطة العسكرية بيانا بشأنها وعليه قامت الحكومة بما تستطيعه من الاعمال لاجل تخفيف ويلات المنكوبين من اهالي الميدان وغيرهم وللافاة خسائرهم ولما رأت الحكومة ان اهالي الاحياء المجاورة للميدان ينتقلون من بيوتهم خشية ان يصيبهم ما اصاب جيرانهم وكانت واثقة من اخلاص الاهلين جميعا واخلادهم الى السكينة وكان تنقلهم بالحالة المشهودة مما يزيد في ضررهم فقد قررت بعد الاتفاق مع السلطة العسكرية أن تبلغهم وجوب بقائهم في أماكنهم مطمئنين هادئين وان تتخذ جميع التدابير لمنع دخول الثائرين الى المحلات الاخرى واذا لا سمح الله تشبث الثائرون بالدخول اليها رغما عن كل التدابير غير ناظرين الى العواقب الوخيمة التي تنتجها مثل هذه المحاولة فان الحكومة العسكرية ستقوم بانذار الاهالي قبل اطلاق القنابل على الاحياء .

وعليه تنتظر الحكومة الوطنية من الاهلين داخل المدينة وخارجها أن يساعدوها بسكونهم وتعقلهم ويمنحوها الوقت الكافي لاتمام مهمتها التي ترمي الى تحقيق أماني البلاد واقرار السلام وهي ستقوم باتخاذ التدابير اللازمة للوصول لهذه الغاية بأقرب ما يمكن والسلام » .

موقف الوزراء الوطنيين من الحكومة

لقد مر بنا ان الحكومة الحديثة التي اخذت على عاتقها تهدئة الحال وتسكنية الخاطر كانت اذاعت على الامة بيانا حددت فيه جهودها واعلنت انها ان لم تبلغ هذه الاماني لا بد عائدة عن العمل مع السلطة الى صفوف الامة . فما ان رأت هذه الحكومة الجديدة ما حل بالميدان من كارثة وما كان من المجلس النيابي من قرار بشأن الوحدة حتى تبدل موقف الوزراء الوطنيين فيها وحتى قالوا بعدم مشاطرة الحكومة الرأي في كل ما يجري ضرا بالوطن لذلك وقف كل من الوطنيين فارس الخوري ولطفي الحفار . وحسني البرازي من الداماد موقفا صريحا لا ترجرج فيه ولا تردد وقالوا له بالعمل في احد الامرين اما ان ينضم اليهم فيعملوا معا واما ان يمالىء ويماشي عبيد الانتداب فيكون اليهم وبذلك تنتهي مهمتهم . عندما سكت الداماد عن الجواب لم يجدوا بدا من الاستقالة ولم يجدوا بدا من اعلان امتناعهم عن مشاركة الحكومة في العمل .

عند ذلك رأى الفرنسيون ان يحملوا الداماد على اصدار قرارفى ١٢ يونيوبحل الوزارة بعلة عدم التجانس وفي منتصف الليل اعتقلت السلطة الوزراء الوطنيين المستقيلين واحتفظت بهم في دار الحكومة حتى اذا ما كان الصباح ابعدوهم الى الحسجة كما انها القت القبض في عين الزمن على كل من الاحرار فوزي الغزي وبدر الدين الصفدي واديب الصفدي وابعدتهم الى حيث الوزراء كما انها في نفس اليوم ألفت الوزارة من العناصر المعتدلة فلم يعد في الحكم عنصر وطني واقتصرت الحكومة على التعاون مع العناصر الموالية للفرنسيين .

قبل القاء القبض على الوطنيين وابعادهم الفت حكومة الداماد لجنة من

اعضائها للعمل بقضية الثورة كما انهـا ألفت وفدا تحت امرة العلامة الشيخ بدر الدين الحسني من السادة الشيخ هاشم الخطيب وانور البكري وزكـي المهـايني واحمد اللحام والامير طاهر الجزائري بغية اقناع الثوار بالخضوع والاستسلام كما انتدبت الوجيه عثمان الشراباتي فسافر الى عمان وجبـل الدروز للتفاهم مع الزعماء . ومن البداهـة ان ما من لجنة من هاتين اللجنتين قد نجحت بمهمتها لما كان من حادث الميدان ونفي الوزراء الوطنيين مما لم يعد لهذه الوزارة من مكانـة .

* * *

كانت رحى المفاوضات تدور في الجبل الاشم بين القائد العام السلطـان والزعيم الشهبندر تلك المفاوضات التي كانت ترمي الى اقامـة النظام بيـن الغوطـة والجبل واتخاذ الخطة الواحدة التي يجب السير عليها من قبل الكل اذ ان الجميع ادركوا ضرورة التعاقد والتـآزر لا سيما من بعد ان اخفـق المسيو دي جوفنيل في مفاوضاته مع الوطنيين .

كان الزعيم الشهبندر بين مؤتمري دامـــة في الخامس والعشرين من شباط فتقرر ان تكون اللجاه معقلا للثورة وحصنا للثائرين وتقرر في السويداء بأن يكون مصطفى وصفي قائدا للغوطة . وفي بالا أقر المجلس الوطنـي الكبير تعيين القائد المجاهد فوزي القاوقجي قائدا عاما للغوطة .

غادر الزعيم الشهبندر في العاشر من نيسان سنة ١٩٢٦ قرية جـــدل في اللجاه من بعد ان اجتمع بالسلطان طويـلا ومن بعـد ان تم الاتفاق بينهما على وحدة الخطط السياسية عندها اطمأن الزعيم الى ما كان بينـه وبـين السـلطان فبلـغ في الثـاني عشر من نيسان المذكـور قريـة قرحتـه في طريقـه للغوطـة ..

الغوطـة وتنظيماتها

لقد ادرك مجاهدوا الغوطة ماينبغي للثورة من نظام وانتظام وخطط ومنهاج وما تحتاجه من قواعد ثابتـة واسس قويمة تقوم عليها اركانها ودعاماتهـا

لذلك عقد رؤساء الثورة اجتماعا خلال شباط سنة ١٩٢٦ وقرروا ما يأتي :

١ ـ يؤلف من مجموع عصابات الغوطة وضواحي دمشق وحدة تامة توزع على المناطق الحربية بحسب الضرورة الحربية واحوال المنطقة .

٢ ـ يؤلف مجلس عام يسمى « المجلس الوطني للجنة الثورة السورية في الفوطة وضواحي دمشق » ينتخب اعضاؤه من قبل رؤساء الثوار بتفويض خطي .

٣ ـ تقوم كل عصابة بالحركات الحربية في منطقتها برأي مشاورها العسكري اما الحركات العامة فتكون بقرار من المجلس .

٤ ـ تخصص كل عصابة مفرزة من رجالها لتوطيد الامن في منطقتها وتأمين المواصلات مع المناطق المجاورة لها .

٥ ـ يحمل رجال كل عصابة شارة خاصة بهم تميزهم عن سواهم ولا يجوز لاي مجاهد كان ان يترك عصابته المسجل فيها ويلتحق بغيرها .

٦ ـ الجاسوس الذي يقبض عليه في احدى مناطق الثوار يحال ـ بعد ان يضبط زعيم تلك المنطقة افادته الاولية ـ الى المجلس الوطني لينظر في امره ويصدر بحقه الحكم النهائي .

٧ ـ يلاحق المجلس الوطني ملاحقة شديدة الذين يعتدون على الاهلين ويدعون انهم من الثوار ويعاقبهم اشد عقاب ويطرد من صفوف المجاهدين المجاهد الذي يأتي عملا يخرج به عن غرض الثورة النبيل .

٨ ـ المناطق الحربية تبين وتحدد في نظام توزيعها .

٩ ـ صلاحية المجلس ووظيفته توضح في نظام تأليفه ومضبطة انتخاب اعضائه .

ثم اتوا على المناطق فوضعوا لها نظاما حسب ما يلي :

« المنطقة الاولى ـ اراضي باب السريجة وقبر عاتكة وما بين المزة وداريا والحد بينهما وبين المنطقة الثانية الخط الحديدي .



من أشهر قـــادة الثـورة
المجاهد الكبير نسيب البكري
رئيس المجلس الوطني الاعلى للثورة السورية



من أشهر قـادة الثـورة
في الوسط الزعيم الدكتور عبد الرحمن شـهبندر وعلى يمينه السيد فوزي البكري وعلى يساره حلمي ابو خضرة فالسيد نسيب البكري ممتطين صهوات خيولهم الاصيلة في ميادين البطولة والشرف

المنطقة الثانية ـ تمتد من اراضي حي الميدان والشاغور وقرى ببيلا ويلدا وعقربا حتى قرية عبادة والحد بينها وبين المنطقة الثالثة نهر بردى .

المنطقة الثالثة ـ تمتد من حدود نهر بردى حتى جسر نهر تورا والحد بينها وبين المنطقة الرابعة الطريق بين دوما ودمشق .

المنطقة الرابعة ـ تمتد من حدود المنطقة الثالثة الى مركز قضاء دوما .

المنطقة الخامسة ـ تمتد من حي الاكراد حتى عدرا .

المنطقة السادسة ـ من سهل القابون حتى صيدنايا ومن دمر حتى الزبداني .

المنطقة السابعة ـ من عدرا الى النبك حيث تتصل بعصابات الشمال » .

وثورة كهذه على أسس وقواعد ومناطق منظمة لا بد لها من مجلس اعلى ولا بد لهذا المجلس من نظام يسار عليه لهذا ارتأوا ان يكون النظام الآتي :

١ ـ يؤلف المجلس من عشرة اعضاء ينتخبهم زعماء الثورة في المناطق المذكورة آنفا .

٢ ـ ينظر المجلس بهيئته المجتمعة في القضايا العدلية والادارية .

٣ ـ ينقسم المجلس الى ثلاث لجان وهي :

١ ـ اللجنة المالية .

٢ ـ لجنة الحركات الحربية .

٣ ـ لجنة الدعاية والاستخبارات .

٤ ـ وظيفة اللجنة المالية جمع الاموال والاعانات لتأمين اعاشة الثوار ومهماتهم وفقا لنظام خاص يضعه لها المجلس الوطني .

٥ ـ وظيفة لجنة الحركات الحربية تنظيم الخطط الحربية وقيادة الثوار في مواطن القتال وابلاغ التعليمات الى المشورين العسكريين والسهر على توطيد الامن في مناطق الثوار وتأمين المواصلات بينها وبين المناطق المجاورة .



من مشاهير أبطال الثـورة الاحرار
السيدين فوزي البكري ـ عميد آل البكري
ـ والرئيس نسيب البكري يتحدثان عن الثـورة

٦ ـ وظيفة لجنة الدعاية والاستخبارات بث الدعاية وحض الاهالي على الثورة والقتال في مناطق الثوار ومدينة دمشق وجمع الاستعلامات السرية عن حركات الجيش الفرنسي ومقاومة دعايته واذاعة النشرات الاسبوعية عن اخبار الثوار وحركاتهم .

٧ ـ للمجلس الوطني طابع رسمي خاص .

من بعد وضع النظام لا بد من اعضاء لهذا المجلس الوطني يسيرون دفة الامور وفق ما ينبغي من أصول وقانون فاختار الزعماء لهذا المجلس الهيئة بقرار نصه ما يأتي :

« نحن عموم رؤساء الثوار في مناطق الغوطة وضواحي دمشق قد انتخبنا اعضاء المجس الوطني كلا من السادة زكي الحلبي ، شوكت العائدي نزيه المؤيد ، زكي الدروبي والرئيس محمود حمدي السمان ، فائق العسلي ، احمد الحصني ، جميل شاكر صبري ، فريد اسماعيل القلعجي ، محمد الشيخ علي ديبو وفوضناهم تفويضا مطلقا ليسيروا في اعمالهم حسب قرارنا الذي اتخذناه في ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦ باجماع الآراء والقرارات والاحكام التي يصدرها المجلس الوطني بعد الآن تسري على الجميع وزعماء الثوار هم القوة التنفيذية لهذا المجلس وعليه نظمنا مضبطة انتخاب اعضائه هذه الموقعة بامضاءاتنا تحريرا بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٦ ورأس المجلس في جميع الادوار نسيب البكري .

اجتمع هذا المجلس للمرة الاولى فكان ذلك في اول اذار عام ١٩٢٦ واتخذ القرارات التالية :

١ ـ ان يعهد بأعمال اللجنة المالية الى السادة نزيه المؤيد وعلي ديبو ومحمد الشيخ .

٢ ـ ان يعهد بأعمال لجنة الحركات الحربية الى الضباط زكي الحلبي وشوكت العائدي وصبري فريد .

٣ ــ ان يعهد بأعمال لجنة الدعاية والاستخبارات الى السادة فائق العسلي
٤ ــ ان يعهد بأمانة السر الى السيد فائق العسلي .

بأمانة السر الى السيد فائق العسلي .

اقام الزعيم الشهبندر في الغوطة يسيرا حتى كان احد الايام وفيه علم من ثقة ما يعده الفرنسيون من معدات الزحف على السويداء فما قر قراره ولا هدأ باله ولا سكن خاطره لتلك الحوادث فقرر السير قافلا الى الجبل حيث يشرف هناك على الوضع السياسي الحربي الذي يجب ان يستعد له الثائرون الابرار امام حملة الاستعمار .

وصل السويداء وقد شاهد المعركة التي دارت فيها في الخامس والعشرين من مارت سنة ١٩٢٦ .

عندما بلغ الفرنسيين قدوم الزعيم الشهبندر الى الغوطة هالهم الامر وكبر عليهم واقلقهم ورمى التبلبل فيهم ولم يجد رجال السلطة ما يهدىء من ثائرهم اتجاه ذلك الا اتخاذ التدابير لمطاردته . لذلك بعثوا بالطائرات تحلق في السماء ضاربة بالنار الاماكن التي نزل بها فكان صنعهم هذا لسانا ناطقا بما اعتلج في قلوبهم من ذعر وما قام في نفوسهم من خشية لحلول الزعيم في الغوطة .

ومن تصفح البلاغ الرسمي الذي نشره حاكم دمشق العسكري الجنرال فاليير على الاهلين في الغوطة في الثالث من مايس سنة ١٩٢٦ يدرك المطالع الكريم مبلغ ما كان يعتلج في صدور رجال السلطة من قلق واضطراب واليك نص البلاغ :

« لا احجم مع ما اشعر به من الاسف عن عمل الاعمال العسكرية التي اصبحت ضرورية ازاء عمل الشهبندر الذي لم يتجرأ على البقاء في الجبل على اثر اقتراب جنودنا بل جاء يحدث حركة جديدة . وهو بعد ان سبب

الشقاء للدروز يعمل للقضاء على رخاء هذه المقاطعة الجميلة ويبذر بذور الفوضى والموت في كل مكان يطأه . فاذا لم يسلم السكان الشهبندر وعصابته فلا يستحق لهم ان يستغربوا اذا اعتبروا مسؤولين معه .

اني ادعو قرى الغوطة الى السكون والهدوء والامتناع عن العداء ولا احجم في حالة الرفض عن استعمال الوسائط العسكرية التي تضمن اقرار النظام بسرعة » .

رسخت اقدام الفرنسيين في السويداء على ما مر بنا وامنوا الجبل وخضوعه لنفوذهم فما عادوا ليكترثوا لشيء فيه يزعج ولم يعد امامهم من معكر ومنغص الا الغوطة التي مازالت شاقة عصى الطاعة وما زال رجالها الاحرار يجهرون بالعصيان فما ان هدأ بالبال الفرنسيين في الجبل الاشم حتى فكروا بما يخضعون به الغوطة كما اخضعوا الجبل .

لقد اعدت السلطة حملات عدة لمهاجمة الثائرين في الغوطة واتخذت خطة مآلها مباغتة الثائرين فيها من الغرب والشرق والشمال والجنوب وكل ناحية بعين الزمن وبنفس الوقت دفعة واحدة فأخذت القوى الفرنسية بالزحف عليها بتاريخ ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ وقد اقبلت حملة بقيادة الجنرال ماسيت من ناحية الجبل الاشم كما قدمت حملة اخرى من المليحة حوران كما اطلت الحملة الثالثة من جبل قاسيون في دمشق هابطة طريق برزة وكما مشت الحملة الرابعة من عاصمة بني امية في الطريق العام للغوطة والخامسة اتت من النبك والقطيفة وبذلك اطبقت القوات جميعا على الغوطة من كل جهة ومن كل ناحية .

كان صباح تاسع عشر يوليو وفيه احتدم القتال على طريق دوما فعسكرت الحملة الثالثة في اوتايا واخذت تضرب القرى بمدافعها زاحفة على حوش الفارة فامتد بذلك خط القتال من حوش الريحاني حتى خرابو واوتايا فاحتشدت عصابات الغوطة في تلك القرى للقراع والنضال ...

عندما يقرأ القــارىء ما قامت به السلطة من هذه المعدات والقوات ومـا تأهبت له من ادوات وآلات يفزع على الثائرين ويظن انهم اخذوا كل مأخـذ وانهم اضحوا في قبضة اليد وتحت متناول الكف وانهم لم يعد لهم من حيلة ولا وسيلة للانقاذ والنجاة على ان الله الذي ربطـوا بـه امانيهم وعلقوا عليهم آمالهم ومقاليدهم واتكلوا بحقيقة على تقاديره وسلموه شؤونهم أرأف واشفق واعطف واسمى من ان يكلهم الى عدوهم ..

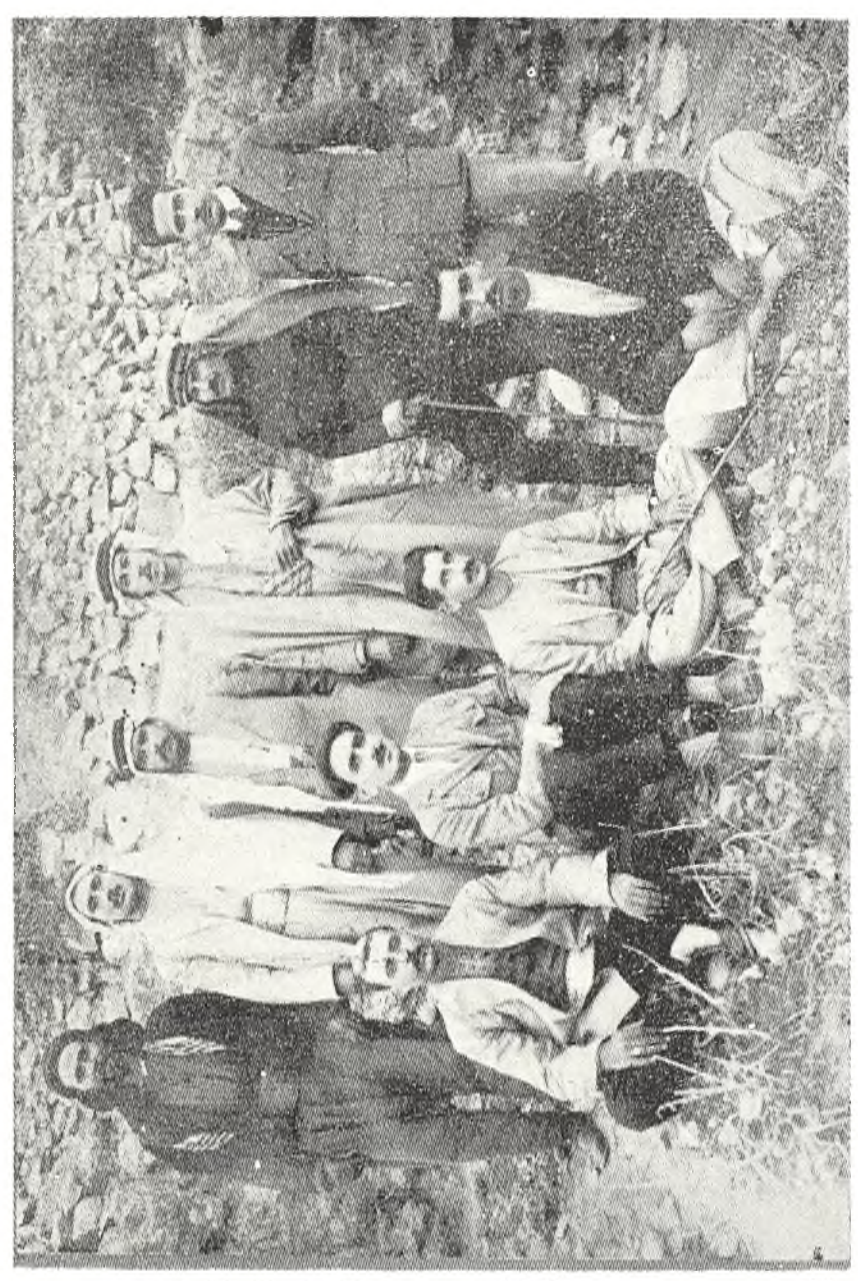
دارت الدورات وصمد المجاهدون امام الحديد والنار فما كانت لتثني عزائمهم او لتهن اصبارهم او لتضعف هممهم عن مقارعة الباطل وعن مجالدة الاستعمار وعن مقاتلة الاعـداء الآسرين لذلك ايد الله المجاهدين بأيد من عنده وبقوة من لدنــه وانجز وعده — وكان حقا علينا نصر المؤمنين — تشتت العدو في كل صقع واندحر في كل مكان وولى الهزيمة في كل معركة خاضها فـي تلك الجهات وظل الحرب سجالا منذ تاسع عشر يوليو سنة ١٩٢٦ حتـى الخامس والعشرين منــه فما كان لينتصر في الشفونية وحوش الدوير او في كفر بطنـا وجسرين احد من الجند المهاجم بل كـان يضطر دائما للتراجـع والتقهقر في كـل حملة يحملها او هجمة يهجمها ولذلك كان عندما يخفق مرة لا يجد ما يشفي بـه غليلــه الا حرق القرى الآمن أهلها الوادع قطانها وغير قتــل الاطفال الابرياء والنساء الضعفاء والشيوخ العجز .. وما كان النبـات لينجو من شر العــدو وآفاتــه بل كان يتناول اذاه اذ يقطع الماء عنــه بغــير ما سـبب او جريرة اذا ما ذكرنا هذه العناية الربانيــة التي كـلأت الوطنيين المجاهدين ومدتهم بجند من عندها فاننا نذكر الى جانب ذلك ما من الله بــه عليهم من تلك الشخصية الفذة والدماغ النير والعبقرية التي تجسمت فــي الخطط الحربية والترتيبات العسكرية التي قام بها القائد الكبير والغــازي العظيم والمنتصر بالحق وقـاهر الاستعمار في كــل الديار ذلــك هو فوزي القاوقجي فقط وانا لا نود ان نلقبــه بما يلقبــه بــه الغير اذ ان له من نصره



في الوسط القائد الفذي الكبير فوزي القاوقجي وعلى يمينه المجاهد الباسل السيد ابو محي‌الدين شعبان وعلى يساره المجاهد الرئيس نسيب البكري

الخفاق في آفاق الطباق خير لقب وخير مديح وخير ما يميزه به عن سواه من كل نعت ولا ادل على حقيقة ما عددناه في الانتصارات التي حازها المجاهدون في هذا الموضوع من نص البيان الذي نشره القاوقجي عن هذه المعارك في أوائل اغستوس سنة ١٩٢٦ بقوله :

« ان العدو الذي قد بذل من الاهتمام والاستعداد مدة عشرين يوما لجمع سائر قواه المتفرقة من انحاء سورية بقصد مهاجمة الغوطة وتطويقها قد تقدم في ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ للمراكز التي اختارها للاحاطة من الشفونية الى حوش الدوير وهاجم مواقعنا الدفاعية من الوراء والجناحين في ٢٠ منه واستمرت المعارك بشدة زائدة حتى ٢٥ منه فكان في كل معركة يخوضها يعود منها مندحرا وذلك بفضل ترتيباتنا الدفاعية وبطولة مجاهدينا وقد شتتنا قطعات العدو خلال المعارك التي دارت في جسرين وكفر بطنا والتجأت بعض اجزائه المشتتة الى كفر بطنا فحوصرت وهوجمت ليلة ٢١ هجوما شديدا كلفه ضحايا عديدة حتى انه من شدة الضغط طلب كثير من المحصورين الامان وقد اضطر العدو لاستخدام قواه الاحتياطية واستمرارها لانقاذ المحصورين فنصبنا له شركا اوقعنا فيه المحصورين والمنجدين وقضينا على البقية الباقية من الحملة المشتتة واتلفنا قسما كبيرا من المنجدين فأعاد العدو حملاته في الايام الاخيرة فكان نصيبه الفشل في النهاية كنصيبه في البداية وهكذا قد قضينا على احلام العدو وآماله المبنية على هذه القوة ولما اخفقت جميع حركاته وحاق به الخذلان والخسران قام ينتقم لنفسه بحرق القرى والمحصولات وقتل الاولاد والنساء ومنع الماء عن المزروعات وقد قمنا الآن بتنسيقات جديدة في الجيش وجعلنا الخدمة اجبارية واصبح لنا جيش نظامي بكافة معداته الحديثة من الغنائم الحربية وأخرى احتياطية ولما بلغ الخبر جبل الدروز خصصت نجدات قوية وقد وصلت مقدمتها مع قائدها متعب الاطرش وتمثل الاخاء الدرزي السوري والرابطة المتينة في هذه



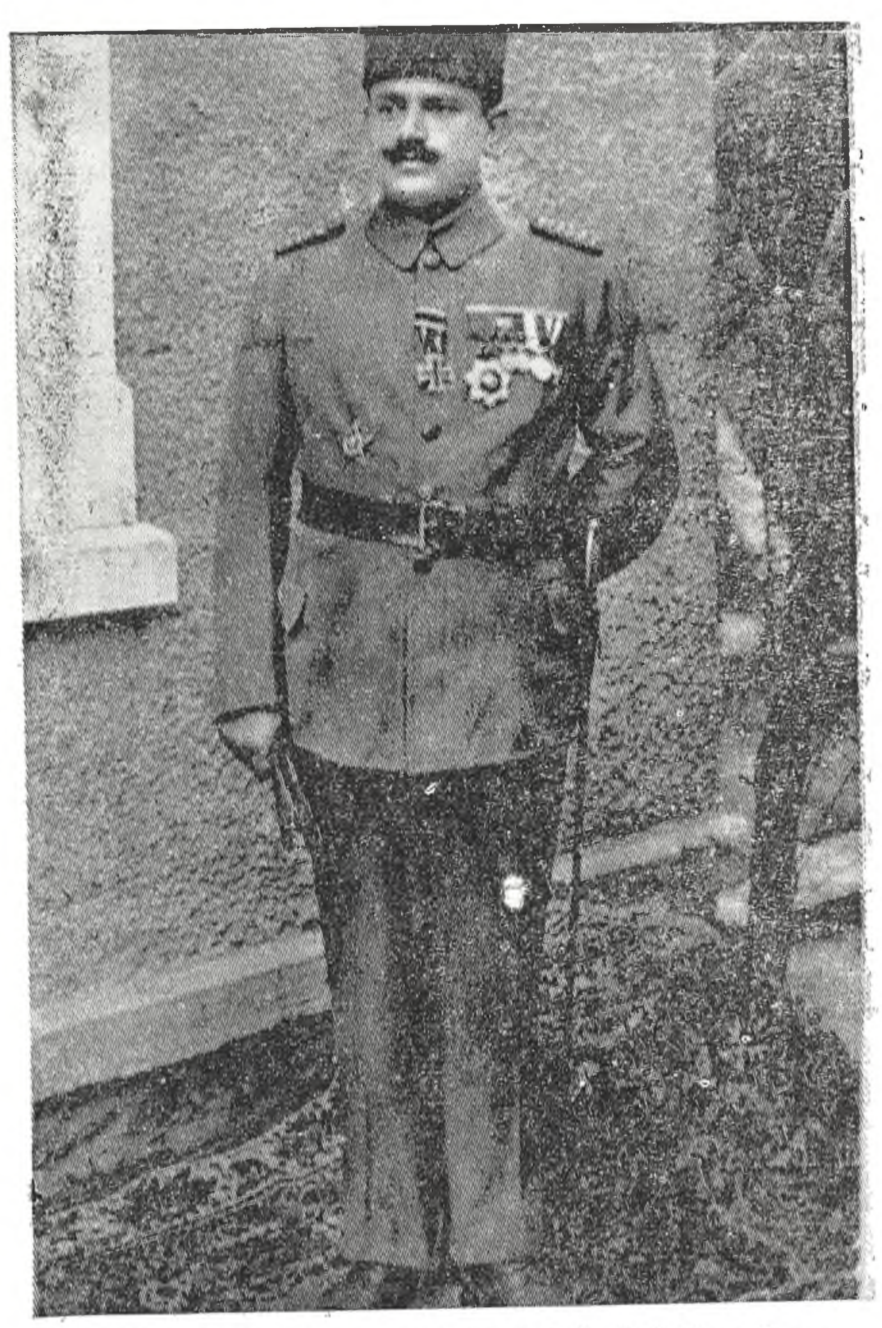
من اشهر ابطال الثـورة وقادتها المجاهدين الاحرار الواقفون من اليسار ابو محي‌الدين شعبان ، سعيد الاظن ، ابو عبده فارس ، الامير عز الدين الجزائري سعيد العاص توفيق القلعي . الجالسون من اليسار ابواحمد محمدعلي الكيال الدكتور محمد علي الشواف ، ابو سليمان العلبي ، هزاع ايوب

الآونة العصيبة . ان خسارة العدو تتجاوز الفا بين قتيل وجريح وفقيد وخمسمئة من الخيل والبغال وكثير من الضباط والطيارين وقد وقعت بأيدينا اوراق مهمة من الضباط المحصورين وبينها اوراق فينغ الذي قتل في معارك جسرين كفر بطنا وبين هذه الاوراق برنامج تطهير الغوطة وخرائطها وخسارتنا اثنان واربعون جريحا ومعظمها طفيفة وسبعة عشر شهيدا »

اتينا على ما قام به القاوقجي في تلك الناحية وعددنا ما كان منه واما ما كان من بقية الابطال المجاهدين الذين ما كان صنيعهم لينسى او جهادهم ليمحى او ما قاموا به من صدق الله ما عاهدوه عليه ليبلى بل نذكر لهؤلاء في الغزلانية وشبعا بمزيد الشكر ما قاموا به من حملة صادقة وصمود كبير حيث كانت هناك عصابة العهد والقائد مصطفى وصفي والضابط الباسل آصف السفرجلاني والرئيس محمود حمدي وكل من الابطال المجاهدين صالح سلو وممدوح عمر باشا وجميل البابا وسعيد غنيم وعصابة المليحة وزيدين يقاتلون في سبيل الله وفي سبيل اعلاء الوطن قتالا استحر فثبت واستبسل كل منهم استبسالا سطر لهم على صدر الدهر بمداد الفخر آيات الشكر .

وان ننس لا ننسى ما كان من البطل الضابط السفرجلاني من كل تضحية ومغامرة وشجاعة كادت ان تودي بحياته لما اصيب به من جراحات خطرة ذودا عن حياض هذه الربوع .

أما المغوار الهمام ابو محي‌الدين شعبان ورجاله الاحرار عصابة برزة فانه عند وادي منين بطريق صيدنايا اصطدم بقوة فرنسية على ضآلة عدد رجاله وكثرة عدوه ثبت هؤلاء المجاهدون وظلوا بين كر وفر الى ان استطاعوا ان ينسحبوا الى قرية برزة ناجين بأنفسهم من بعد ان اوقعوا بالعدو خسارات كبرى فتبع بهم الجند ولحق فيهم من بعد ساعات سبع اذاقوه فيها صنوف العذاب ومرارات الالم . وقد وقفت على أبواب القرية تناضل وتدافع



من أشهر قادة الثورة اللواء اركان حرب مصطفى وصفي باشــا

حتى اقبل الظلام وحينئذ تمكنوا من ان يولوا وجوههم شطر الجهة الشرقية حيث رابطوا فيها اما الجند فانه عندما دخل القرية اعمل النار فيها خرقا وسلبا .

بعد ان رأى الفرنسيون من ثبات المجاهدين ما لم يخطر لهم ببال اخذوا يتحصنون في الكروم بعد معارك الفزلانية وشبعا اما القائد مصطفى وصفي والضابط آصف السفرجلاني ورجالهما الابطال فانهما توجها الى الجبهة الجنوبية والتقيا بالمجاهد الكبير الاستاذ الشيخ محمد الاشمر حيث كان هذا البطل يصلي الاعداء نارا حامية مناضلا ومجاهدا لهذا فقد اشترك المجاهدون جميعا في القتال والنضال وابلوا بالاعداء بلاء حسنا حتى قاموا بأعظم واجب مفروض شكروا عليه .

انسحب الفرنسيون بعدها الى دمشق وعندها انتقل القائد مصطفى وصفي الى منطقة جرمانا والمليحة مشتركا مع عصابتها ابان انسحاب الفرنسيين في الاشعري وبيت سوى وكفر بطنا لدمشق وقد اشتبك خلال ذلك هؤلاء المجاهدون مع الفرنسيين بمعركة قوية .

ان قسما من الفرنسيين قد انقطع في كفر بطنا وقد طوقه المجاهدون وظلوا كذلك حتى الصباح وفيه التقت عصابة العهد والقائد مصطفى وصفي والضابط آصف السفرجلاني ورجالهما مع المجاهدين الابطال واصف وممدوح وعبد الوهاب آل عمر باشا وابو محي الدين شعبان وقد التفوا جميعا وتألبوا على العدو فدارت معركة بين الفريقين اخذ الجند خلالها يطلق النار من ثقوب الجامع هناك على المجاهدين من مسافة لا تزيد على الامتار السبع ودارت رحى القتال بصورة شديدة فكان من المبرزين فيها غير من سبق ذكره واصف وعبد الوهاب وممدوح آل عمر باشا والباسل اسعد سلام اذ انهم كانوا من الرماية على قدرة فائقة استطاعوا فيها اسقاط دائرة العدو اذ ذاك وحتى ان احدهم المجاهد ممدوح قد جندل من الفرنسيين لوحده



من أعلام الثــورة الابطــال
الضابط النبيل آصف السفرجلاني

ما ينوف عن سبعة عشر جنديا حاولوا الفرار من الحصار فلم يبلغوه وقد وقع شهيدا في هذه الواقعة البطل الرئيس محمود حمدي فكان منتقما وثائرا قبل ان يخر صريعا .

ما ان بلغ رجال السلطة خبر حصار قسم من الجند في كفر بطنا حتى وجهوا قوة من دمشق عن طريق عين ترما لانقاذ المحاصرين في كفر بطنا وقد استطاعوا بالحقيقة ان يجلوا الثائرين عن هذه القرية وان ينقذوا رجالها لما كانوا عليه من عدد وفير ومعدات غزيرة وقد اشتبكت هذه القوة عند عودتها الى دمشق من مجاهدين فكانت مناوشات عدة بين الفريقين كرا وفرا .

من البديهي ان ينفر القوم الى قتال العدو عندما يروه قادما عليهم ليوقع فيهم لذلك كانت في نواحي التل معارك دامية اظهر فيها رجال الثورة الاحرار وزعمائها من ضروب البطولة وصنوف الاستبسال وانواع الشجاعة والصمود بما لا يصبر عليه الا خيار الناس حزما واعلاهم عزما واثبتهم جأشا .

لقد كان البطل القاوقجي والامير عز الدين وشوكت العائدي من الرجال الافذاذ الذين قاموا بواجب القتال والصبر على الكريهة والنزال خير قيام سطر لهم اعلى الامثال مدى الحياة . ناهيك عما كان المغوار الباسل زكي المرادي والشجاع الدامي شوكت البسطامي يقومان به في قرحتا من كل ثبات وشجاعة ونضال كما نذكر بالاكبار ما كان من بسالة الشاب ممدوح عمر باشا الذي ابلى احسن البلاء ولم يكن التاريخ لينسى ما كان من مجيد الفعال وحميد الاعمال في معارك حوش الريحاني وخرابو واوتايا من عصابات وابو عبده العشي وابو عبده ديب الشيخ ومحمود خيتي وغنيم خيتي ويونس الخنشور وابو عمر ديبو .

بلغ المجاهدين ان الفرنسيين مزمعون على مباغتة الزور كما ان قوة اخرى لهم - رابطت في الجهـة المقابلة من ناحية المليحة سعيا وراء القيام بمعونـة القوة الاولى لتطويق المجاهدين وحصرهم لذلك التأمت عصابات عديدة وانضمت بعضـا الى بعض للحيلولـة دون مبتغى الفرنسيين فمن تلـك العصابات التي اجتمعت وتوحدت لتأليف مجموعة واحدة تستطيع ان تصمد وتثبت امـام الهجوم الفرنسي العظيـم عصابات جوبر وبرزة وعين ترما والعهد وبعضا من ابطال الدروز في جهات الزور .

أحكم الفرنسيون خططهم الحربيـة وهنالـك حصنوا انفسهم بمتاريس وحصون كانت لهم درعـا واقيـا مـن هجمات المجاهدين وترسا صـد عنهم عاديات الثائرين فحدثت هنالك معارك كانت بين الاقـدام والاحجام حسب الظرف الحربي والموقع والعدو والعدد فكان الثائرون يظهرون في هذا السبيل من ضروب الحنكة في القتال وصنوف الخبرة في الطعان ما جعلهم بالحقيقـة يعدون وان فروا وانسحبوا من ابرع المقاتلين واحمد المنازلين اذ انهم وان لم يظفروا بعدوهم ولم ينتصروا عليه الا انهم استطاعوا على ضآلة عددهم وقلـة معداتهم وعديد عدوهم ومعدات خصمهم وقوتـه الـكبرى وتفننه بالحرب وخططه ومناهجه لم يستطع ان ينفذ ما رسمه من خطة وما اختطه من منهاج وما سعى اليـه من مآرب في حصرهم بل تمكنوا من التغلب من بين يديـه والانسحاب من اشراكـه والتملص من الحبائل التي حاكها لهم فلم يستطـع ايقافهم فيهـا .

مما يذكر لرجال الثورة بمزيد الاعجاب والتقدير ما كان منهم جميعا وما كان من بعض من رجال من الصبر على المكاره والصمود امام النزال والنكبات بصورة لم يحدث التاريخ عن احد استطاع ان يقوم بمثلها . فليس من الرجولة والبطولة ان ينبري فرد لمقارعـة الف بعددهم وعديدهم بل من البسالـة والشجاعة ان يستطيع هذا الشخص الفرد النجاة بنفسه بأسلوب وبحيلـة

تفتقهـا له ذاكرتـه الخصبة فيسـتطيع ان ينجو من خطر أكيـد ومـوت نحوه سـديد .

داهمت القوى الفرنسية الزور من كل ناحية وظفرت بمواقـع الثائرين الذين تمكنوا من الانسحاب ولم يبق من فلول المجاهدين الا خمس لم تتصل بنا أسماؤهم الذين تمكنوا من الانسحاب وآخر مااستطعنا ان نعلم منهم المجاهد الصامت واصف عمر باشا .

اصبح العدو من هـؤلاء الخمسة على بضعة امتـار ولم يعـد من وسيلة للفرار والانهزام ولا من القتال والاقدام فما كان من هؤلاء الشجعان الا ان تحروا مخبأ يقيهم انظار العدو ان تقع عليهم ولم يكن هنالك من مكان يصلح لذلـك الا قنـاة جللها كثير من السياج الملتف على نثير الاشجار مشتبكا مـع قش يابس جلبب القناة انحدروا متردين فيه اخفاهم تكاثفـه عن الابصار ومـن المضحك المبكي مرور الجيش بأسره ومعداته وادواته الحربية الضخمة قريبا جدا من غير ان يستطيع واحد من هؤلاء الرجال ان ينفس النفس الطبيعي مخافة ان يصعد وينخفض من فوق صدره ما اخفاه عن العيون .

ومما يضحك ويبكي ايضا مرور احد الكلاب الذين يرافق الجيش علـى المعتاد قريبا من هؤلاء المختبئين . ومن المشهور في الكلب فرط حس الشـم بصورة يعين الجيش كثيرا . فان ذلك الكلب عندما استنشق اريج الانسان هناك أخذ ينتبه ويقف ويبحث بيده بين السياج قريبا منه فهنالك قـدر ايها القاريء العزيز ما حل بالمتواريين حينئذ وما اعتراهم من جزع وذعر وخوف أن تنكشف حيلتهم وتظهر دخيلتهم وقدر ما ذا تصور لكل منهم من الفـزع الاكبر بمرور انواع الفظائع على ذاكرته في تلك الساعة هـل هي الشنق ام الصلب أم الرمي بالرصاص ام الدهس ام اتخاذ كل منهم هدفا يتعلم به الجند الرمي أم وأم الى غير ذلك مما لا يستطيع ان يقدر موقفهم بصورة قريبـة من الحقيقة الا من أتيـح له في حياته ان وقف موقفهم .

لعل القاريء العزيز بحاجة لان يعلم ما ذا كانت نتيجة بحث الكلب عنهم وهل اهتدى اليهم فكشف امرهم . فنقول كان الله أراف واعطف واشفق من ان يجعل رجاله الذين يقاتلون في سبيله على خجالة وحياء امام عدوهم . فقد أعمى الله بصيرة هذا الكلب فلم يفلح بالاهتداء لهم ومرت الدبابات والمصفحات على مقربة منهم مع جند كثير ظل مدى طويلا سائرا فوق الجسر الذي كان قريبا جدا منهم فلم يظفر ولله الحمد واحد من الجيش بهم وهكذا اسبل الله على هؤلاء المختبئين ستره فلم يفضح لهم امرا . ونجوا بعناية الله وفضله من موت اكيد محقق مبرم .

اما ما كان منهم عقيب ابتعاد الجيش فانهم نفضوا غبار الماء ورشاش الماء وآثار الاشجار والاقشاش التي كانت علقت بهم وانبروا يلتحقون بأخوانهم المجاهدين يشكرون الله على ما انقذهم من براثن عدوهم .

لم يندحر الثوار المجاهدون عن شيء يسير او عن امر غير ذي بال كانت كل النواحي التي حلوا بها نارا وحمما وجحيما عليهم فقد كانت المرامي تنوالى من نواحي عديدة ومن مصادر كثيرة ومن جهات مختلفة وقد توالى اطلاق القنابل من المدافع ثمان واربعين ساعة بلا انقطاع فقد اشتركت بالقاء النار والحمم الطائرات والدبابات والمدافع من روابي المزة ومن البرامكة ومن معمل القزاز في باب شرقي ومن قصر البللور ومن قمم جبل الاكراد وكان عدد الجيش الفرنسي يربو على الثمانية عشر الفا لذلك لقد كان من الحكمة والحنكة والدهاء ان ينجو الثائرين بأنفسهم تلقاء هذه القوى التي لا تقاوم ومن النصر لهم والظفر انهم تمكنوا من ان يفلتوا مما أريد بهم .

عاد الجيش في الثاني والعشرين من يوليو سنة ١٩٢٦ الى دمشق ليرتاح من عناء القتال والصدام وليتأهب الى استئناف العمل .

كانت المعارك قليلة جدا ولم تعد كما كانت عليه من قبل لان المجاهدين



المجاهد الباسل السيد ممدوح عمر باشا المشهور بأبي فهد مدير سجن الغوطة

قد اختطوا لانفسهم خطة في القتال جديدة وحولوا منهاجهم الحربي من ان يكونوا منظمين كما مر بنا آنفا الى اتخاذ قاعدة حرب العصابات دستورا للعمل حديثا اذ ان القوة الكبرى يجب ان يكون امامها قوة تضارعها والا فعلى القائد المدرب ان يتخذ اشغال العدو هدفا لاقلاقه وازعاجه فيكون وقع هذا النوع الحربي عليه اشد وادهى وامر .

اما الفرنسيون فلم يهدأ لهم بال تمام الهدوء ولم يرتح لهم ضمير تمام الراحة ما لم يستطيعوا ان يؤسسد في الغوطة مواقع ومراكز تطمئنهم بأن لا يتمكن الثائرون من العودة لمهاجمتهم فيها ولذا فقد كان الرابع والعشرين من يوليو المذكور وفيه عاد الجيش الى استئناف القتال ومواصلة النضال ومتابعة النزال في الغوطة واخذ في كل يوم من الصباح الباكر يسير اليها ليؤمن نفوذه هناك مانعا عودة الثائرين عليها . وكان عدد الحملات التي سيرها الفرنسيون منذ ابتداء الثورة حتى اواسط يوليو المذكور يبلغ ٥٢ حملة فلم يعد بالحقيقة من قدرة للمجاهدين على ان يعيدوا الكرة وان يتخطوا الغوطة اذ ان الفرنسيين قد اخذوا بهدم الحوائل والدكوك القائمة بين الحدائق والبساتين وقطعوا كثيرا من الاشجار الضخمة تشفيا منها وانتقاما لمواراتها الثائرين عن انظارهم ودمروا كثيرا من البيوت وقطعوا الماء عن القرى مما كاد ان يقضي على الكثيرين من الآمنين عطشا وظمأ ناهيك عما كانت تقوم به السلطة اذ ذاك من انشاء المخافر والمراكز في جميع انحاء الغوطة مشحونة بالمدافع والجند كما احاطها الفرنسيون بسلسلة من حصون حصينة ومتاريس منيعة حالت دون اقدام الثائرين على دخول الغوطة او التجول فيها في كل امة من الامم لفيف من خائنين لئام يزين لهم ضعف الضمير ومرض الوجدان والجبن المستولي عليهم حب الانضمام الى الاعداء والكون مطايا الاستعباد لذلك كانت السلطة منصورة على الثورة بأمثال هؤلاء الرعاديد الادنياء الاذلاء وبسبب مصافات الود لها منهم تمكنت من الانتصار اخيرا على الغوطة، ومن

بينها امثال هؤلاء الانذال بين ضعاف الايمان بالثورة ان يقنعوا من يستطيعون اقناعه بوجوب موالاة الفرنسيين وصد المجاهدين ودفع غارة الثائرين ابقاء على مصالحهم الشخصية ومنافعهم الذاتية .

معـــارك بعلبـــك

من جملة المجاهدين الذين قاموا بالقسط الوافر من الجهاد الوطني زعيم عصابة بعلبك توفيق هولو حيدر من كان موظفا في دمشق خلال اغسطس سنة ١٩٢٥ ومن قصد قرية اللبوة الواقعة بين حمص وبعلبك عندما اتخذ الفرنسيون قرارا باعتقال رجال حزب الشعب اخذ هذا الباسل يتربص الدوائر بالسلطة الفرنسية ويعد العدة لايقاد نار الفتن هناك ومن جملة مزايا هذا الشهم انه اشترك في ايلول سنة ١٩٢٥ ولفيف معه من رجاله في حرب عصابات جبل قلمون وانه قاد حملة في شهر تشرين الثاني من نفس العام على مدينة حمص وكان على دهاء حربي بدا واضحا فيه عندما دعاه اهلوها لاحتلالها فلم يفعل وأثر التريث ثم توجه نحو الغوطة وغادرها للسويداء وكان في جملة مؤتمري دامة وفي عداد الهاجمين على اللجاه واحتلالها . وفي اوائل نيسان سنة ١٩٢٦ كان في ربوع بعلبك يضرم نار الثورة فيها وما ان علم الفرنسيون بأمره حتى جهزوا قوى بعثوها للقبض عليه فكانت عاقبة امرها معه خسرى اذ هزمها في الرابع عشر من نيسان المذكور شر هزيمة مشتتا اياها في كل واد وفي الثامن عشر من مايس سنة ١٩٢٦ باغت بعلبك واحتلها حربا فما استطاعت قوة ان تقف امامه ولا أن تحوله عن مرامه وكان يؤثر حرب العصابات والاشغال على الحرب المنظمة لذلك ما كان يستقر ناشيا حلاوة الظفر في بلد ما بل يعمل فيها ما يتحدث به الناس عنه وما يزعج اخصامه وينكفيء راجعا الى اشغاله في بلد آخر وفي ١١ يونيو سنة ١٩٢٦ أعد

الفرنسيون حملة كبرى زحفت من رياق ورأس بعلبــــك في قطارات عديدة يناهز مجموعها الخمسة آلاف جندي تدعمها الرشاشات والدبابات والطائرات والمدافع وما ان نزلت فجر اليــوم المذكور في محطة اللبوة وما كادت تبارحها سائرة الى القريــة لمداهمة العصاة بمسافة اربع كيلو مترات الا وانهال عليها وابل الرصاص كالامطار واوقع الذعر في صفوفها ورجالها فنكص الجند على الاعقاب الى المحطة خاسرين يلوذون بأكناف القاطرات لكي تقيهم عاديات العدا وانهزم الجند تاركين في ساحات الوغى عتادا وقتلى وجرحى غنمها الثــوار بين زغردة النساء واناشيد الابطال وأهازيج الشباب وجئن نساء القريـــــة يحملن الى المغاوير زادا وماء يزغردن مما دعا الجيش لان يظن ان هنالك نجدة اقبلت تعمل في فلوله السيف والنــار فما كان منه الا ان اركن للفرار .

وقد اتصل هذا الزعيم الباسل توفيق هولو حيــدر بزعماء بني معروف في اوائل اغسطس سنة ١٩٢٦ باقيا هناك حتى اواسطه للعمل على خطــة جديدة للقتــال يختطونها وعدا الى ربوعه يعتصم في جردها حتى اذا ما علم الفرنسيون بأمره جهزوا قوة كبرى لنزاله كان الظفر له فيها حليفــا وكــان الخذلان لاعدائه اليفــا وقــد استطاع هذا الاسد ان يثــأر للشهيد العربي الكبير احمد مريود من قاتله الكابتين بوافان فأرداه قتيلا .

أما في شتاء سنة ١٩٢٧ وبعد ان وطد الفرنسيون نفوذهم في معظم أماكن الثورة ومن بعد ان سيطروا على مناطق الثائرين فانه غادر معتصمه الى الجبل الاشم باقيا هناك الى جانب اخوانه المجاهدين .

المجاهدون في وادي التيم واقليم البلان ثانية

ما عتمت السلطة ان غادرت وادي التيم واقليم البلان بعد ان ظنت بأن الامر قــد استقام لها عقيب احتلال مجدل شمس وانها دوخت هذه المنطقة

بحيث لن تقوم الثائرين فيها قائمة فيما بعد وما لبثت السلطة ان عادت الى مراكزها حتى عاود المجاهدون الكرة على تلك الربوع بقيادة الامير عادل ارسلان والشهيد احمد مريود والبطل شكيب وهاب وهنالك دارت رحى القتال بين المجاهدين وبين الاعداء بما فيهم قسم من الشراكسة وبعض من مسيحى تلك البلاد وظل الطعان آخذا جهده وبالغا شدته حتى تم للمجاهدين في اواخر شهر مايس احتلال نفس مجدل شمس وبسط النفوذ على لبنان الشرقي تقريبا وقد اشتد ساعد الثائرين الابطال وقويت شوكتهم لدرجة بعثوا بها في الثلاثين من مايس انذارا الى مدينة زحلة طالبين اليها فيه الخضوع الى سلطانهم واداء الفين وخمسمئة ذهب عثماني جزية لهم عنوان الخضوع وما ان بلغ مدينة زحلة هذا النبأ العظيم حتى قلقت واضطربت وهبته تؤلف وفدا قوامه مطران الروم الارثوذكس ووكيل مطران الكاثوليك ورئيس دير الآباء اليسوعيين ورئيس البلدية ولفيف من الوجوه كي يقابل المستشار الفرنسي وكي يطلعه على ما كان من المجاهدين معهم وما ساد المدينة من فزع لاسيما من بعد ان بلغهم ما قامت به الحكومة الفرنسية من نقل اضابيرها الرسمية ومعاملاتها الى بيروت وتقدم الوفد اليه بالمطاليب التالية :

١ ــ جلب قوة لا تقل عن ٣٥٠٠ جندي لزحلة لحمايتها .

٢ ــ توزيع ١٥٠٠ بندقية على الشبان بوثائق على ان يعاد هذا السلاح للسلطة بعد ان تبرهن الحالة على عدم حاجة الاهالي اليه .

٣ ــ الترخيص للاهالي بشراء السلاح .

هدأ المستشار ثائر الوفد وطمأنهم وقال بأنه سيطلع القائد العام على هذا الامر الجلل وطلب اليهم ان يخلدوا الى السكينة والهدوء وان لا يخشوا شيئا .

اما المجاهدون فانهم لم ينجزوا وعدهم ولم ينفذوا وعيدهم ولم يهاجموا زحلة ولم يقابلوا فردا من اهاليها بسوء .

مر بنا ان معقل الغوطة قد تضعضع وان الضعف قد سرى الى صفوف الثائرين في الجبل والوهن قد تسرب . وان الثورة السورية قد دال امرها وتغير حالها ولم تعد فيها تلك النزوة المتأججة والنار المتأرجة لذلك في اواسط شهر أغسطس راى الامير عادل ارسلان ان يبارح اقليم البلان بمن اليه من صحب ورجال فتوجه الى قرية العادلة الواقعة جنوب الغوطة ومنها اخذ طريقه نحو اللجاه حيث تحصن فيه وعرس بشاطئيه .

كان مقر قيادة الثورة في الغوطة قرية حتيتة وكان هنالك المجاهد الكبير سعيد العاص ففي الثامن عشر من نيسان سنة ١٩٢٦ غادر هذا المجاهد المقر الملمع اليه يبتغي النواحي الشمالية لاشعال نار الثورة فيها . فسلك سبيل الضمير وانحدر منها الى قلمون وسار حتى قرى : اكروم واكوم وكفرنون وقنه والموسه والخوخ وبساتين والسهلة ولهذه القرى مركز حربي جغرافي عظيم وهي تتصل من الغرب بجبال عكار ومن الشمال بجبال العلويين ومن الشرق بسهل الهرمل ومن الجنوب بجبال لبنان واهاليها من مسلمي الشيعة .

كان مقر قيادة الثورة في الغوطة قرية حتيتة وكان هنالك المجاهد الكبير البواسل منير الريس وفائق الكيلاني وعلاء الدين الكيلاني وشاكر السباعي ورشاد ملص ومحمد علي الدروبي ومحمد علي النابلسي وكان من زعماء تلك النواحي المجاهد المغوار زين مرعي جعفر واقاربه الشجعان فشقوا عصى الطاعة على الحكومة فجهزت السلطة قوة لملاحقتهم تتألف من ١٥ فارسا يقودهم عبد الملك الدرزي كان من زين الشعان او بالحري من زين الرجال الا انه نازل هذه القوة وصمد لها حتى استطاع قتل واحد منها واسر الباقي وقد انضم اليه ابان ذلك المجاهد الباسل سعيد البري وقد نسف قسما من الخط الحديدي قريبا من وادي خالد فتوقف سير المواصلات وتعطلت الطريق بين حمص وطرابلس .



من أشهر ابطال الثورة المغاوير المجاهــد الكبير منير الريس

وبعد ان بلغ سعيد العاص القرى التي ألمنا اليها التي تسمى اكروم انضم اليه لفيف من ثائري حمص بامرة المضحي والمفادي الشجاع نظير النشواتي فعملوا يدا واحدة واتخذوا خطة ترمي الى مداهمة حمص ليلا وتجريد رجال المخافر من عتادها والسطو على الجند ثم العودة عند انبثاق الفجر الى اكروم . نفذوا ذلك حرفيا وقاموا بهذا الدور اجمل قيام فاضطرب ولاة الامور في طرابلس الشام وعكار والضنية وقلقوا وانفعلوا واتخذوا كل ما لديهم من وسيلة شديدة للدفاع عن تلك الربوع .

وفي رابع مايس بينما كان سعيد العاص ورجاله جميعا قافلون من مهاجمة حمص باغتهم اهل النصيرية من سكان قرية خربة غازي وخربة التبن وسرجة الحجر والحجير الناعم وام الجارتين وقرحا وخربة وام العظام وقد صمد الثائرون وقاتلوهم قتالا عنيفا مما دفع اهل النصيرية الى الحيلة فصاحوا بالمجاهدين « عليكم أمان امير المؤمنين » وقالوا ليس من حاجة لامتشاق الحسام فيما بيننا وتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نتفاهم ونتصافى . فانطلت هذه الخديعة والحيلة على الثائرين فباحوا اليهم بالمودة واستسلموا لهم فما كان من هؤلاء الا ان اطبقوا عليهم وانتزعوا سلاحهم منهم وابلغوا السلطة ما كان فبعثت بقوة تستلمهم واليك من اخذته السلطة من المجاهدين الاكارم : نظير النشواتي وحسين جراد وعبد الكريم العاص وسعيد شهلا ومرعي التركماني وعبد الله المغربي وحسين النابلسي وعقلة الدندشي .

ما ان تسلم الضابط الفرنسي هؤلاء الابطال الا وقد تناول مسدسه يرمي كل واحد منهم بالرصاص فردا فردا ثم اعاد الكرة مرة ثانية عليهم واحدا واحدا وامر الجند بأن تطرحهم هوة اعدها لذلك وعاد الى حمص . وكله ثقة بأنهم قد أصبحوا جثثا لا حراك فيها .

بعد رحيل الضابط افاق المجاهد المائت الحي نظير النشواتي وتحامل على نفسه حتى وصل الى حمص فالتجأ الى احد بيوتها واستدعى طبيبا يشفيه

مما فيــه ويضمد له جراحه فأتاه احد رجال الانسانيــة الاطبــاء الحقيقيين وقام بما عاهد الله عليه من تلبيــة نداء المستغيث ورد لهفة الملهيف وظل قائما على معالجته حتى كتب له الشفاء فأبى على هذا الشهم المجاهد اباؤه بأن يظل قابعا في الدار فالتحق بأخوانه المجاهدين الابرار يعاود القيام بالواجب الوطني واستبقى رجال النصيرية عندهم من رجال العصابة محمد علي الدروبي نجل محي الدين الدروبي وعلاء الدين الدروبي ــ وهو من خيرة المثقفين المتعلمين ــ فكــان استاذا في مدرسة الطفيلة حتى اعــلان الثورة وفيه انضم اليها وعمل تحت رايتها » .

عاد اهالي النصيرية عن استبقاء هذين المجاهدين لديهم وسلموهما الى الفرنسيين وقــد اعدمتهم السلطة في حمص من بعد عذاب فظيع وتنكيــل مريع لم يحدث التاريخ بأسوأ منه اصلا .

عقيب هذه الخيانة النكراء والجريمة الشنعاء والجبن البادي للعيان هب اهالي تلك الربوع للانتقام من الخونة الانذال فاتسع نطاق الثورة وتفشى امرها هنــاك واذاع قائد الثورة في الشمال البطل سعيد العاص على سكان الجبل الغربي البيــان التــالي :

« أخوانـنــا البواسل زعماء عشائر الحمادية الاماجد .

أزفت ساعة العمل وايقظتنا صرخة انقاذ الوطن ونحن عصبة أمير المؤمنين وستكون خطتنا الجهاد عملا بقوله تعالى : ــ وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ــ وقوله : ــ كتب عليكم القتال كما كتب على الذين من قبلكم » .

« ويجب علينا ان نعمل بقوله تعالى : ــ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ــ وقوله : ــ ولا تقولوا لبعضكم كما قال بنو اسرائيل لنبيهم : اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ــ بل قولوا : الى الجهاد الى الجهاد الى اخذ الثــأر الى انقاذ الوطن من براثن المستعمرين الاشرار ، الوطن وطنكم والشرف شرفكم وانتم عصبة امير المؤمنين فيجب علينا ان نخلد ذكــر جيشه الخالــد بأعماله

الخالدة ولا نكون دون اخواننا الدروز وانتم من خيرة العرب بل انتم خيار من خيار وانتم اهل الشجاعة والشهامة والنجدة والنخوة حاشا نفوسكم الابية ان تقيم على الذل وتخضع للعدو حاشا شهامتكم ان تستسلم أترضون بهتك العرض وانتم حماة العرض والدين .

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم »

اصبح مقر الثائرين في قرية عين التينة منضما اليها المضحي الكبير تظير النشواتي وعصابة حماه تحت امرة الكانفيد (١) واستقروا هناك لموالاة اعمال الثورة .

في اواسط مايو ازمع الفرنسيون على احتلال اكروم فهيئوا قوات كبرى قسموها على حملات لتأمين هذه الغاية فسارت حملة من حمص وثانية من الهرمل وثالثة من وادي خالد وحلقت الطائرات في السماء للاستكشاف والقاء القنابل .

اما المجاهدون فقد اعدوا العدة للقاء هذه القوى واختطوا لانفسهم خطة مآلها ان يكون الصدام في وادي فيسان فبدأت في الثامن عشر من مايس حركة الطعان والنزال في ناحيتين : الشرقية وفيها التقى البطل سعيد العاص ورجاله الاشداء بالحملة القادمة من حمص وصدموها واخذوا يعملون فيها فتكا ذريعا حتى المساء وقد انعقد لواء النصر لهم فهزموها شر هزيمة .

(١) عصابة الكانفيد مؤلفة من شباب حماة البواسل لقتال الفرنسيين ومن والاهم . أقامت في الجبل الاعلى حينا وفي جبل شمشو احيانا وهددت حماه مرات عديدة . وباغتت في قرية مورك وعصابة صبحي اللاذقاني قوة الدرك الحموي التي كان يرأسها عبد الله الشركسي قائد درك حماه فقتلت هذه العصابة خمسة من رجاله ولم ينج عبد الله الشركسي رئيسها الا فارا بلباس امرأة وعلى ان ذلك ايضا لم ينجه منهم اذ ان الشهيد رزوق نصر احد رجال العصابة قد تبعه الى حماه واغتاله فيها جهارا .

وفي الجنوبية وقد التقى الجعافرة البواسل فيها بالحملة الآتية من الهرمل المؤلفة من بعض اللبنانيين وجراكسة ونصيرية وقد بذل الجعافرة الابطال في هذه المعركة منتهى التضحية واعظم المفاداة وتحمس القوم حتى ان النساء شاركتهم في القتال وقد ابلوا في ذلك احسن البلاء وظلت رحى الحرب دائرة بين هؤلاء المجاهدين الابرار والاعداء حتى المساء وقد اشترك مع هؤلاء الجعافرة الصناديد البطل الكبير سعيد العاص ورجاله الابرار من بعد ان دحروا تلك الحملة فوضعوا عدوهم بين نارين . وقد كانت هذه المعركة مفخرة الثائرين مدى الاجيال اذ انهم ارغموا قائد الحملة الفرنسي ان يتزيا بالزي العربي حتى ينجو من ان يقع في ايديهم من بعد ان جرح جروحا بليغة . وقد غنم المجاهدون غنائم عدة بين خيل وبنادق وعتاد كما انهم خسروا في هذه المعارك ١٤ بطلا شهيدا بينهم امراة باسلة شهيدة .

عقيب هذا الظفر نشر قائد الحملة البلاغ التالي :

« أخواني الاعزاء ابناء المنطقة الشمالية :

نعلمكم يا انسال الابطال الاماجد الذين فتحوا الامصار والممالك وكانت راية نصرهم تخفق فوق رؤوسهم اينما حلوا ، ونزف اليكم هذه البشرى العظيمة بشرى انكسار الحملات التي هاجمت الجبل الغربي الشامخ تراث آبائنا واجدادنا فان حملة الهرمل كسرت شر كسرة ومزقت شر ممزق واما حملة حمص فقد جرح قائدها وبادت . وفقدت الحملتان معظم قواهما وقتل منهما زهاء ٦٠٠ واسر ٧٠ جنديا وسقط في ميدان القتال تسعة ضباط فرنسيون وغنم المجاهدون غنائم عظيمة من اسلحة وذخيرة وخيول يتجاوز عددها المئة وقتل ابو خزنة وتركت الاسرى بوجه سعد الله حمادة حرمة لعوائد البلاد ولانهم من ابنائها فيجب عليكم ان تكونوا متحدين وسنثابر على جهادنا متوكلين على الله حتى آخر نقطة من دمائنا فنطلب منكم المعونة والنجدة وامدادنا بالمال والرجال والله يحفظكم » .

بعد هذه المعارك العظيمة وبعد خذلان الفرنسيين صممت السلطة على حشد قوى جديدة في قرية زيتا وتأهبوا لغارة يقمعون بها ثورة الابطال المجاهدين .

بارح رجال الثورة وحلوا في قرية حميرة وقد وصل اذ ذاك الوطني المجاهد قاسم شوك من ثوار نضية ومصطفى علي شنديب وقد اتصلا بالقيادة وسار الكل الى مرجحين التأم اجتماع من كبار الشيوخ والزعماء وقرروا مبدئيا ان يؤلفوا جيشا وطنيا يدعى جيش امير المؤمنين وقرروا المطالبة بالانفصال عن لبنان وأقسموا اليمين الآتية :

« نحن زعماء الجبل العربي نقسم بكتاب الله وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرف امير المؤمنين اننا سنخدم اوطاننا ونضحي بالغالي والرخيص في سبيل انقاذ الوطن وان لا نشذ عن المقررات العامة ونعمل بموجب الشرع الشريف والله على ما نقول شهيد » .

ثم اتخذوا قرارا بمطاليبهم بعثوا بنسخ منه الى كل من القائد العام السلطان واللجنة التنفيذية بمصر والزعيم الشهبندر والوفد السوري في أوروبا والى جامعة الامم . نصه ما يلي :

« نحن الموقعون ادناه زعماء عشائر الهرمل وبعلبك قد عاهدنا الله ورسوله على ان نمد حركتكم الوطنية وثورتكم الشريفة بأموالنا وانفسنا وارواحنا وان لا نأتي بحركة سلمية اصلا ما لم تتفق كلمة المجالس السورية الوطنية للثورة العامة وزعماء الحركة السياسية امثالكم وبما اننا من الشعب الاسلامي العربي فان مطالبنا هي مطالبكم المشروعة السياسية ونرجو من دولتكم تبليغ جميع زعماء الحركة السياسية اخوانكم في الخارج واسماعهم اصواتنا واعلامهم مطالبنا وبالاخص الجمعيات السورية في اميركا واوروبا بأننا نود الرجوع الى حضن أمنا سورية وطننا التاريخي المحبوب وقطع علاقتنا وانفصالنا عن لبنان الصغير انفصالا تاما فنأمل من وطنيتكم حين قيامكم

بالمفاوضات السياسية والسلمية بأن لا يغيب عن بالكم وتنسوا المطالبة بحقوق اخوانكم لانه لا يمكن تأمين حياتنا فيداخل لبنان اصلا حيث حقوقنا السياسية والقومية مهضومة وستبقى مهضومة ابد الدهر . وها نحن نؤيد مطالبنا المشروعة بالسلام وباشتراكنا في الثورة العامة ولا نترك سلاحا من ايدينا ما لم نعد الى حضن امنا سورية حيث منطقتنا محصورة بين حمص وبعلبك وطرابلس ومرفأ اقتصادياتنا حمص وجميع معاملاتنا مع الداخلية وقد اهديت الهرمل لقمة سائغة للبنان مع انها سورية جغرافيا وتاريخيا . وقد علمتم كسرنا الحملات الفرنسية التي زحفت لاكتساح بلادنا واخضاع جبلنا الاشم ومجموع نفوسنا يتجاوز العشرين الف نسمة وكلنا عرب مسلمون فنرجوكم التكرم بالاسراع في اجابة ملتمسنا واعادة حقوقنا السياسية واعلامنا نتيجة المفاوضات ونعاهدكم على ان لا نلقي سلاحنا ما لم نصل الى غايتنا الاساسية وهدفنا الاسمى وهو الرجوع الى حضن امنا سورية والله يجعلكم ذخرا للامة العربية . في ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ »

واتخذوا قرارا آخر مآله تولية البطل المجاهد حسن طعان القيادة العليا بالنص التالي :

« نحن زعماء عشائر الحمادية الموقعون ادناه قد تعهدنا على انفسنا بتأليف جيش مؤلف من جميع العشائر باسم جيش امير المؤمنين على ان يكون لكل عشيرة قوة خاصة مرتبطة بالقيادة العليا المنحصرة برئاسة المجلس الاعلى الوطني للجبل الغربي وعلى ان تخضع العشيرة لجميع التعليمات الصادرة من رئيس المجلس ويكون هذا الجيش من حيث التقسيمات العشائرية مرتبطا برئيس المجلس المنتخب بالاكثرية وهو الشيخ حسن طعان دندش وعليه نوقع » .

وقد اتفق الجميع على ان تقسم منطقة القتال على العصابات حسب ما يلي :

« عصابة بعلبك من رياق الى بعلبك وعصابة حسن طعان دندش من بعلبك حتى رأس اللبوة وعصابة اولاد جعفر من اللبوة الى القصير وعصابة حمص من القصير حتى حمص .

لم يشأ لبنان الشمالي ان يقبع في معزل عن الثورة السورية ولم تشأ سير الضمنية ان تكون اقل حظا من اخواتها البلاد السورية العربية في المساهمة بالواجب الاقدس الوطني . ولم يشأ المجاهد الكبير سعيد العاص ان يكون في نجوة من تلبية النداء عندما يدعى اليه لهذا غادر الاكروم في الرابع عشر من يونيو مع بعض رجاله متوجها الى الضنية وقد كان تقدمه رجاله ليمهدوا السبيل لاستقباله فوصلوا قرية كفر حبوا بعد غز المسير يومين فنشب عراك بين المجاهدين والفرنسيين ابدى فيها الثائرون من انواع الكر على الاعداء ما اذهلهم وابهتهم ودحرهم شر اندحار ثم تابع الوطنيون سيرهم الى قاعدة الضنية وهنالك قاموا بتأليف حكومة نظامية واجروا للجنود جرايات وخصصوا للمجاهد المنظم ثلاث دنانير فرنسية في كل شهر واربع منها للقائد واثنتان للشرطي . وكان عماد الثائرين ومستندهم آل شوك الاكارم وآل شنديب العظام .

سعيد العاص في لبنان الشمالي والسلطة

تقع على مقربة من سير زغرتا فشاء المجاهد سعيد العاص ان لايحرم هذا البلد من شرف الجهاد ولا ان يكون اقل تيها وافتخارا من غيره . على انه بالحقيقة كان يرمي الى هدف اسمى من هذا ومقصد انبل من ذلك هو ان يكف رجال الموارنة عن العدوان على أخوانهم المسلمين تفاديا من ان يوقع العداوة والبغضاء بين ابناء المذاهب المختلفة في البلد الواحد . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ما كان يود ايضا ان يعمل الفتنة بينه وبين اناس يكن لهم في فؤاده كل تبجيل ولو عادوه ويضمر كل محبة ولو أساءوه . فما كان

يود ان يشن الغارة على الموارنة حتى لا يتخذ اعـداؤه واعداؤهم من صنيعه هذا حجة على عدم النضوج السياسي في السوريين . لكل هذا بعث البطـل الكبير سعيد العاص بالكتاب التالي الى موارنة زغرتا :

« الى وجوه زغرتا المحترمين :

علمت بأن تعدياتكم تزداد يوما فيوما على اخوانكم المسلمين وتعرضـكم لابنـاء السبيل من قبل بعض الجهلـة وسلبهم اموالهم على قارعـة الطريق فنحن قيامنا قومي بحت وهدفنـا اعداء الوطن الفرنسيون امـا انتم فلـكم ما لنـا وعليكم ما علينا اذا عـدتم الى الصراط المستقيم احبطتم اعمال هؤلاء حيث هذه الاعمال تولد ضغائن بينكم وبين جيرانكم المسلمين فأدعوكم للاقلاع عن الاعمال المخلة بحقوق الجوار ومصالح الوطن واذا تماديتم في التمرد فلا حرج علينا ولا تثريب . ونحن نتعهـد لكم طالما انتم على الحياد ان لا يمسكم سوء منـا فأدعوكم للتفاهم معنا والسير على خطة تتفق مع المصلحة الوطنية وتعيدكم الى الصواب فأرجوكم اعلامي عن خطتكم والسلام عليكم . في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ » .

فردوا عليه في العشرين من يونيو بما يلي :

« الى الزعيم العسكري الاركان حرب سعيد العاص المحترم .

« قد صار الاطلاع على كتابكم المؤرخ في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ وعرض فحواه على وجوه زغرتا وقـد فهم مضمونه ونتشرف باعطاء الجواب عليه بالصورة الآتية :

١ ـ انه لم يحصل من الزغرتاويين اعتداء على اخوانكم المجاهدين ولـم يحدث حادث سلب على قارعة الطريق خلافا لما اتصل بـكم لانـه لم يتعود الشعب الزغرتاوي على مناواة جيرانه وخصوصا المسلمين منهم وخصوصا عند عدم الاعتداء على الممتلكات والارواح ضمن منطقة زغرتا واذا رجعتم الى تاريخ علاقتنـا مع الامـة الاسلاميـة المجاورة لنـا يتضح لكم جليـا بأننـا

لم نكن بوقت من الاوقات معادين لهم ولا لمبادئهم وحركتنا التاريخية غايتهـا المحافظة على كرامتنا واراضينا معا .

٢ ان خطتنا تجاه حركتكم هي الحياد طالما لم يحصل اعتداء من قبلكـم على اراضينا وجوارنا المسلمين معا الذين تعودوا ان يضعوا ما عندهم تحت حماية زغرتا .

٣ ــ اننا لا نرى من الضروري الاجتماع بحضرتكم للتفاهم مبدئيا اذ اننـا متفقون على عدم التعدي والله يحفظكم » .   ــ وجوه زغرتا

فجاوبهم في الحادي والعشرين منه بالرد التالي :

« الى حضرات اخواننا وجوه زغرتا المحترمين .

وصلنا كتابكم وشكرناكم على احساساتكم وعواطفكم العربية وشهامتكم اللبنانيـة ان بقاءكم على الحياد هو عين الصواب الآن حيث فيه سلامة بلادكم والمصلحة الخاصة والعامة وحبا في ذلك فقد عممنا لجميع مناطق الثـورة بالامتناع عن كـل اعتـداء على اي فرد كـان بلا تفريق في الجنس والمذهب وباستطاعتكم ان توعزوا لاخواننا المسيحيين بالعودة الى اوطانهم فهم واملاكهم في عهدتنـا واذا حصل عليهم اقـل اعتداء فنحن مسؤولون واذا لم يحضروا فالتبعة ملقاة على عواتقهم فيما اذا صار على اموالهم شيء لا سمح الله مـن قبـل بعض الاشرار الذين لا يخلو منهم اي مكان ولا مانع من ان تجهزوا كـل عائلة بوثيقة من قبلكم بشرط ان يلزموا الحياد ويثابروا على اشغالهم وان لا يتجسس احد منهم على حركاتنا الحربية والسلام » .

وقد اذاع على اهالي الضنية في تاسع ذي الحجة البيان التالي :

« لي الشرف ان اعلم الجمهور ان زعماء الثورة في الضنية يؤمنون جميع السكان الذين غادروها خوفا على اموالهم وانفسهم واملاكهم فهم في حصن منيع على جميع املاكهم وانفسهم اذا عادوا لاعمالهم في المنطقة في خـلال أسبوع واقاموا في قراهم وكـل من لا يلبي الدعوة فماله حـلال للمجاهدين

وامواله تصادر باسم الثورة الوطنية » .

واعقبه ببلاغ الى المسيحيين في الضنية نصه ما يأتي :

« الى اخواننا في الوطن مسيحي الضنية :

ان خطتنا في هذه الثورة هي ان الدين لله والوطن للجميع وان المصلحة الوطنية فوق كل مصلحة وباستطاعتي ان أؤمنكم على اموالكم واعراضكم فيما اذا عدتم لاشغالكم وخدمتم وطنكم كأخوانكم المسلمين فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم واعلموا اننا اخوان في القومية واللغة والتقاليد والجنس والعادات ولكم دينكم ولنا ديننا ولا فرق بيننا وبينكم ونحن منكم وانتم منا فأدعوكم وانتم احرار الى الانخراط في صفوفنا اذا اردتم واما اذا احببتم البقاء على الحياد فانتم احرار ايضا فغايتنا استقلال بلادنا وتحريرها من الاستعباد ومنفعتنا في منفعتكم والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه فأدعوكم يا نسل قحطان وعدنان للانضمام الى اخوانكم والله يحفظم » .

لقد اكبر الفرنسيون جرأة الوطنيين وذهلوا لها وما كانوا ليظنوا ان تبلغ الشوكة والسلطان بالمجاهدين درجة يقتربون بها من طرابلس الشام واقتحامهم بابا من ابوابها وهي الضنية وفزعوا ان يمتد نفوذ الثائرين الى طرابلس الشام فيكون على رجال السلطة من العار ما لاحد له ولا وصف وخافوا ان يداهمهم الوطنيون في طرابلس الشام ويحتلوها فأعدوا العدة فورا وحشدوا قوات عظمى احاطوها بالحصون والمتاريس وعززوها بالاسلاك الشائكة واقاموا المدافع الضخمة منعا لكل طاريء وفي التاسع والعشرين من يونيو زار اميرال الاسطول الفرنسي في البحر الابيض ميناء طرابلس على ظهر بارجته وقد صعد الى البر يقصد دار الحكومة وهنالك اتى له الفرنسيون بوجوه المدينة واعيانها فخاطب هؤلاء بقوله لهم ما معناه : « اني اسمع دوما بأن الاهلين يفكرون في العصيان على الحكومة ومماشاة الثائرين فاذا ماحدثت واحدا نفسه باشعال نار الثورة في هذا الثغر متفقا مع بعض الاهلين فانه حينئذ

يعرض المدينة الى الدمار اذ اني لا اتردد لحظة عندئذ بضرب المدينة بقنابل مدرعاتي البحرية » .

وما ان اتم قوله حتى ودعهم قافلا بالبارجة الى بيروت وقد لجأت الحكومة الفرنسية الى الوسيلة التي طالما لجأت اليها عندما ترى قريبا من بلد ما تتأجج نار الثوران تلك هي اعتقال من عرف بالوطنية واشتهر بالحرية والدفاع عن الحقوق القومية فهي سرت على هذه القاعدة في مدينة طرابلس الشام فاعتقلت الوطنيين الاحرار عبد الحميد كرامة مفتيها الاسبق والدكتور يسار الشهير وعارف الحسن وحسن العلي وولده محمد وخضر المصطفى .

وقد عمدت من ناحية ثانية للعمل على القضاء على الفتنة بطرق استعملتها كثيرا تلك هي الاستعانة ببعض ابناء البلد الواحد على ابنائه الآخرين فقد اتصلوا ببعض من وجوه عكار والضنية ممن عرفوا بمسايرة الانتداب والاستعمار واتخذوا من هؤلاء الاوائل المتحركة اداة ينفثون عن طريقها السموم ويؤثرون على الضمائر والوجدانات وكان هؤلاء الانذال مطايا ومراكب يركبهم الاجنبي ويمتطيهم الفرنسي لتأمين اهدافه السامة ومراميه البغيضة وغاياته التي لا تشرف من يعينه عليها وقد سعى هؤلاء الخونة لدى مسني آل شوك وآل شنديب السعي الحثيث لاقناعهم بأن يستسلموا للسلطة طالما انها تعفو عنهم ولا تنال احدا منهم بأذى كان المعهود والمفروض ان لا يظفر ولا يبلغ هؤلاء القوم الجبناء من مآربهم شيئا ولكن استطاعوا على ما يظهر في المدة الاخيرة ان يؤثروا على بعض ممن يؤخذ بالحيل وتنطلي عليهم الدسائس فانخدع بعض منهم وظنوا ان ما قيل لهم حق وعدل وان الفرنسيين عند عهودهم ولكن سرعان ما كانت نبوءة الثائرين اصدق من سعي الساعين وخداع المرائين وابعد نظرا بالسلطة وأسد رأيا برجال الانتداب فالفرنسيون لم يفوا بعهودهم لهؤلاء المستسلمين بل قادوهم كمجرمين الى محاكم بيروت حيث يلفظ الديوان العسكري حكمه عليهم فكان نصيب هؤلاء الاغرار المنخدعين

حكم القضاء العسكري عليهم بالموت وهكذا تقرر اعدام كل من عبد الواحد حمدان شوك وقاسم شوك ومحمود علي خضر ومرعي حسن شنديب .

نظر المجاهد سعيد العاص نظرة في النجوم وقال لا بد من النزوح عن هذه الربوع طالما ان كثيرا من الانصار قد بدت على هممهم بوادر الفتور وطالما لمعت بأسارير جبهاتهم سيماء التضعضع والتردد وقال الجلاء قبل الوقوع في قبضة الفرنسيين خير من حدوث ما لايكون في الحسبان ولم يشأ ان يبارح تلك البلاد ما لم يقف بزعماء الحركة الوطنية في طرابلس الشام وجوارها على ما ينبغي ان يعلموه فيبعث بالبيان الآتي اليهم :

« أخواني الاماجد . علمتم بالتطور الجديد الذي تطورته الحركة الوطنية في هذه الربوع الجميلة بعد تلك الانتصارات الباهرة التي احرزناها على المستعمرين ولكن اصابع زينب لعبت في المدة الاخيرة بواسطة الذهب الرنان او بالحري الورقة السورية التي اخذت دورها المشين ففككت عرى اتحاد جبل المتاولة كما ان دسائس عبود عبد الرزاق — من أعيان عكار ومن انصار الفرنسيين — فككت عرى اتحاد الضنية فقد خدع بيت شوك وحملهم على استسلام مشين مما ادى الى تمزيق القوى وتفريقها فصرت أعزل وحيدا في منطقة الضنية ولم يبق معي سوى ابي علي طاهر وكذلك فالدعاية الهائلة التي نشطها الفرنسيون بالمال حملت آل جعفر على الاستسلام فرضوا بأن يسلموا خمسين بارودة للحكومة وفي هذا اليوم اجتمع زعماء الجبل كلهم بالمستشار الفرنسي في الهرمل لعقد اتفاق نهائي واستمال عبود عبد الرزاق كثيرا من الاسافل وسجلهم كجنود في الجيش الفرنسي لقتالنا ومما يوجب الاسف ان حسن طعان الدندش رأس حركة المتاولة تطوع عند السلطة وانخرط في زمرة الخونة لقاء مئة ليرة سورية يتقاضاها شهريا وهكذا شلت حركة المقاومة في المنطقة وبناء على هذه الاعتبارات وبسبب خضوع آل شوك ونزوح معظم سكان الضنية وانخراطهم في الجندية واخلاء القرى وفقد مواد

الفداء انسحبنا من هذه المنطقة لجلب القوى والقيام باعمال حاسمة فلا تعتمدوا على احد من بعدنا في هذه الديار ولا بد من سحق هؤلاء الخونة فتدبروا اموركم ونظموا صفوفكم ولا تركنوا الى الخونة فالحق ابلج والباطل لجلج واذكرونا مثل ذكرانا لكم والله في عونكم » .

انقاذ الداغستاني للخليلي ورجاله من قلعة دمشق والتحاقه بالثورة

لم تنحصر رجال الوطنية بالقيام بالواجب في حومات الوغى وساحات القتال ولم تقتصر على مصادمة الاعداء وقتل الالداء في ميدان الحرب ومعامع القتال بل كانت المروءات والشهامات قائمة في قلوب ونفوس رجال الثورة داخل المدن وخارجها بين رحى الحرب وبين هدأة الاطمئنان وكان كل من رجال الحرية السورية يشعر بالواجب فيقوم به وراء منضدته كأخيه الذي يقوم فيه خلف متراسه وحصنه وصوره وكما كان المجاهد ينبري الى تلبية النداء بحسامه وبندقيته كان الوطني الشهم السوري العربي يلبي داعي الوطن من خلف منضدته بيراعه وقرطاسه .

وفيما نسوقه للقاريء اللبيب من حادث جلل وقع في قلعة دمشق يتخيل له هول الموقف ومبلغ الجرأة والبسالة التي قام بهما ممثل دور الوطنية الشريف على مسرح الوظيفة بكل جأش رابط وبكل حزم وعزم شديدين زكريا الداغستاني احد موظفي السجن في قلعة دمشق على ذكاء وقاد وجرأة لا مثيل لها بتواضع وخفاء بلا جعجعة ولا مراء وشاءت الاقدار ان تظهر هذا الرجل بما انطوت عليه نفسه الابية ووجدانه الطاهر وقلبه الكبير من كل ما يعلي شأن المرء ويرفع من مقامه بين اقرانه كان هذا المتواضع الابي يقوم بمعاونة مدير السجون الاهلي بدمشق في نفس القلعة الواقعة بمنتصف دمشق تقريبا وتفصيل الحادث الذي قام بتمثيل دوره هذا الجريء هو ان السلطة أتت بوجوه حوران واعيانها الى سجن القلعة متسلمة اياهم من حكومة الشرق العربي وهم سلطان الطيار — شيخ عرب ولد علي — ورجال عصابة الشيخ مصطفى الخليلي من مشاهير شيوخ حوران وهم ضيف الله الصالح ومحمود النعيمي وسالم العبد وابي يحيى الديراني وغيرهم مما كان يشار



البطل زكريــا الداغستاني واخــوه المجاهد عزت الداغستاني

اليهم بالبنــان بالشــدة والبـأس وكـــان هـــؤلاء البـواسـل يحطون الرحال في اراضي شرقي الاردن تارة وفي اراضي اللجاه تارة اخرى وكانوا يدهمون التخوم السورية وحدودها من حين الى حين فيشغلون القوى الفرنسية ويقلقون راحتها من وقت الى وقت وقد كانت السلطة الفرنسية قبضت على الشيخ الخليلي واودعته السجن الفرنسي في قلعـــة دمشق انتظارا لحـكم القضاء العسكري فيــه وكانت الاواصر بين رجال السجن الاهلي والسجن العسكري الفرنسي في قلعة دمشق وطيدة المعاملات متينة الاواصر بالشؤون التي تتعلق بكلا موقوفي السجنين العسكري والملكي كان الداغستاني على صلة كبرى بكـل من الضابطين الباسلين عبد الوهاب عمر باشا والشهيد ابراهيم صدقي تجمعهم رابطة الصداقة منـذ ايام الجيش الفيصلي وتوحد بينهـم المبادىء السياسية تحدثوا جميعا بشأن الخليلي والطيار ورجالهما ووجوب انقاذهم من السجن حتى لا يكونوا اعضاء اشلاء في وقت احوج الثورة اليهم فيـه . لا سيما وان من الواجب انقاذهم لما كان يسمع عن ازمـاع السلطـة الحكم عليهم بالاعـدام تشفيا مما كـان يبلغها عنهم من توجيه التهم الاليمة المهمة عليهم من قبـل السلطـة الفرنسـية والمحاكم العسكريـة والى هؤلاء الاشاوس الثلاث الداغستاني وعمر باشا وصدقي اجتماعاتهم بنظام تهيئـة للخطط واعدادا للوسائل التي تفضي بالنتيجة لتمهيد سبيل الهرب بوجـــه الابطال المعتقلين وبعد الدرس الدقيق اجمـع الرأي على منهاج لو استطاعوا انفــاذ احكامه لتحور ناظم الثورة من وضع الى وضع ولكانت في اللجاه والصفاة حركات ترمي الى تحرير البلاد بالنتيجة قبـل اندلاع نار الثـورة السوريـة بزمن والذي افسد تطبيق هذه الخطة عن الاصابـة قلـة عـدد الذين كـان اشتراكهم في العمل واجبا من ناحية ونقصان الوسائط المقتضية من ناحيـة ثانية مما دعاهم لتأجيل تنفيذ ذلك الى وقت اكثر ملاءمة ومناسبة .

ذر قرن الثورة السورية وكان في عداد رجالها البطل المغوار عبد الوهاب عمر باشا والمجاهد البـار ابراهيم صدقي وقد لبى هذا الاخير نداء ربه في سبيل الله والوطن .

كان للطيار وللخليلي ورجالهما شأن يذكر في كل الاوساط الوطنية لهذا التأم عقد اجتماع في دار الوطني الكبير الوجيه المعروف احمد القضماني

وكان في جملة حاضريه المجاهدين الكريمين شفيق عمر باشا وعبد القادر آغا سكر وقد تألف هذا الجمع لمباحثة الداغستاني الباسل بأمر هذين الرجلين الطيار والخليلي وتهيئة العدة لانقاذهما مع رجالهما للاسباب المارة الذكر ولكي لا تكون ايضا اراضي حوران في معزل عن الثورة وفي نجوة من الاشتراك بها فارتأى الداغستاني ان يرتدي عشرة من الاخوة الذين يعتمد عليهم ثياب الدرك وعلى بذة واحد منهم شارة العريف وان يأتي هؤلاء الاخوة الى القلعة في وقت يحدده لهم من بعد ان يكون قد اودع هذا العريف كتابا رسميا من نائب الجمهورية يتضمن طلب الطيار والخليلي لحضور المحاكمة وتكون السيارات المعدة لنقلهم جاهزة امام باب القلعة حتى اذا ما نفذ ذلك التحق بهم الداغستاني مغادرا وظيفته وانفاذا لهذه الخطة فقد اتفق مع احد الخياطين على صنع اللباس الملمع اليه كما انه هيأ في عين الزمن مذكرة نائب الجمهورية موقعة بصورة رسمية خطابا لمدير السجون بتسليم الطيار والخليلي لرجال الدرك ليصير مثولهم امام المحكمة .

وبينما كان الداغستاني يقوم بذلك كان المجاهد شفيق عمر باشا يهيء الرجال التي تم الاتفاق على دورهم ليمثلوه وكان الاجتماع يتوالى بين حين وحين في منزل السيد القضماني الى ان فوجئوا بأحد الايام بتعقيب السلطة عبد القادر اغا سكر وعندها لم يجد هذا المجاهد بدا من الاشتراك في الثورة السورية فكان شأن الشهيد شفيق عمر باشا إذ لبى داعي الوطن لما رآه من تشديد السلطة وارهاقها اياه بالطلب لهذا فشلت خطة الداغستاني وبدأ يفكر بوسيلة اخرى عله ينفذ مأربه فيها وبعد ان حمى وطيس الثورة السورية عقيب تدمير السلطة الفرنسية بعض الاحياء بدمشق لدخول الثائرين اليها وبعد ان باتت عاصمة الامويين تحت متناول القنابل وهدفا لمدافع الجيش

وبينـــا كان نطاق الثورة آخذا بالاتساع بتراخي الزمن زار احد زعماء الاكراد المرحوم احمد الملا السيد الداغستاني واطلعه على ما عول عليــه من الالتحاق بالثورة السورية وانه جاء لوداعه خصيصا ولاستطلاع رايه في مهاجمة القلعه واحتلالها واسر الضباط الفرنسيين المرابطين فيها مع عائلاتهم رهينة منـــع الضرب عن دمشق فبعد اعمال الروية وبحث الوضع على ضوء الحكمة والتعقل تم اتفاقهما على ما يأتي :

اولا ـ ان يلتحق الملا بالثائرين وان يهيـأ منهم خمسين رجلا مدججين بالســلاح الذي يجب ان لا يتجاوز مسدسا وخنجرا وقنبلتين يدويتين وان يؤتى بهم العاصمة مترقبين ساعة دخــول الاهلين لزيارة اقاربهم مسجوني دمشق فيدخلون القلعة حاملين الطعام كأن لهم اقارب سجناء وعندها يدخلون فيها ويندسون بين الطوايا بحيث لا تقع عليهم عين انسان .

ثانيــا ـ يتوزع هؤلاء الرجال على المراكز العسكرية المعهود اليها بحراسة الابراج وانهاء المساجين حسب الحاجة في كل نقطة عسكرية قائمة ويترقب كل منهم الاشارة الرامية الى الهجوم والمداهمة وعندها ينقض كــل من هؤلاء الاســـود على الخفراء لتجريد كل منهم من عتاده واتخاذ مركزه .

ثالثــا ـ يكون العدد الوفير من الســجناء الشجعان في باحة السجن العامة على اهبة الهجوم على مدخــل السجن والنزوح عنـــه بيسر ولين فــلا يكون اتجاههم غير متقلدي المفاتيح ويكون نصيـب هؤلاء الخفراء نصيب غيرهم عند مداهمـــة الثائرين لهم .

رابعــا ـ كل هذا ومئات الثائرين على مقربة من مداخل دمشق منبثـة في بساتين احيائها وحدائقهـــا مترقبة سماع اصوات الرصاص حتى تهرع للحملة علـــى القلعـــة بهجوم مباغت سريع وهنالــك يتم الاستيلاء على المعدات والذخــــائر ...

هذا ما اتفق عليه الداغستاني والملا وما تعاهدا على انفاذه وقد رميا من تطبيق هذا البرنامج الى جعل الفرنسيين تجاه امر واقع من حيث منع الضرب

ووضع دستور لها واقام حكومــة ديموقراطيــة بادرت في الحال الى تنظيم الادارة وعاشت خمسة اشهر برهنت في خلالها على ما قامت به من تنظيم فروع الادارة واقرار الامن ووضع اساسات الرقي العلمي والاقتصادي علــى ان السوريين لا يقلون كفاءة عن كثير من الامم المستقلة في اوروبا نفسها ولكن السلطة الفرنسية لم تمهل هذه الحكومة فجهز الجنرال غورو حملة عسكرية اقتحم بها دمشق والمدن الداخليــة الاخرى واحتل البلاد والغى استقلالهــا وجيشها الفتي وبادر الى وضع اسس جديدة للادارة برايــه الشخصي ولكن الحركــة الوطنية لم تسكت بل ظلــت مستمرة في الشمال بقيادة ابراهيــم هنانو، بك احد الزعماء الوطنيين ودامت من سنــة ١٩٢٠ الى سنــة ١٩٢١ وظهرت في الوقت نفسه حركــة في حوران على اثر احتلال دمشق دامت ستة اشهر وظــل القتال متواصلا في بلاد العلويين من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ وظهرت الثورة الاولى التي قام بها سلطان باشا الاطرش في سنة ١٩٢٢ ودامت ستة اشهر وكانت الادارة الفرنسية في سورية في خلال ذلك مضطربة لا تستقر على حال ففي اواخر سنة ١٩٢٠ مزق الجنرال غورو البلاد الــى خمس دول لكل منها حكومتها وعلمها وفي السنة نفسها سلخ قسم من شمالي البــلاد واعطي لتركيا مع ان الفرنسيين تسلموا ذلــك القسم مــن الانكليــز وتعهدوا في المادة التاسعة من معاهــدة سايكسبيكو ان لاتتنازل احداهما عن الاراضي الواقعة ضمن منطقتها بدون رضى الاخرى وشعرت السلطة الفرنسية ان هــذا التمزيق ليس حلا طبيعيا فعمدت الى الجمع بين بعض الاجزاء التي فرقتها والفت حكومة الحلف السوري سنة ١٩٢٢ وجمعت فيه بين حكومة دمشق وحكومة حلب وحكومة بلاد العلويين ولكنها رأت بعد ذلك مرة اخرى أن تضيق نطاق هذا الحلف ففي سنة ١٩٢٣ عدلت عن النظام القديم وفصلت بلاد العلويين عن تلك الوحدة والفت حكومة الدولــة السوريــة من حكومتي دمشق وحلب السابقتين فقط ولم يكن هذا الحلف ايضا مرضيا لاحد بوجه من الوجوه فعندما ظهرت الثورة الحالية بادر زعماؤها باعلان مطالبهم بمنشور

اذاعوه بكل مالديهم من وسائل الاذاعة وتناقلته الصحف وهو يعيد أسس الحكومة التي وضعها المؤتمر السوري في دمشق في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تحقيقا لرغبات الامة بأسرها ولا بد لنا من الاعتراف بأن الظروف الحالية في سورية تتضمن عوامل وحقائق جديدة تستحق ان توضع موضع الاعتبار فاذا كان يراد وضع حل للمشاكل الحاضرة يبنى على الاخلاص والرغبة الحقيقية في التفاهم فلا نظن ان سورية تأبى ذلك ولكن ليس في وسع احد في الوقت نفسه ان يشير بأي حل يتجاهل ماضي الحركة الوطنية في سورية والدماء التي أهرقت من أجلها والجهود التي بذلت في سبيلها والضحايا العظيمة التي جاد بها اهل البلاد عن طيبة خاطر من اجل اغراض الحركة الوطنية فالوطنية الحقيقية هي التي تحترم وطنية الآخرين كما تحترم نفسها واذا سئلنا رأينا في هذا الحل بصفة احزاب تعمل لتحقيق المثل الاعلى الذي تنشده البلاد لا نستطيع سوى ان نبرز برامجنا الاستقلالية ونطلب تحقيقها فاذا كان يراد بالحل المطلوب اعادة السكينة الى البلاد السورية فهذا الوفد يرى انه من الممكن ان تتخذ القواعد التالية اساسا للبحث :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي واما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية موقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ـ تدعى جمعية تاسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل والخارج .

٤ ـ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة

اخفاق المفاوضات

رأى رئيس اللجنة التنفيذية وجوب اطلاع بعض من اخوته من الاعضاء على ما دار بينه وبين المسيو جايار وقد فعل فقالوا بقوله وارتأوا عليه ان تدعو اللجنة اكبر عدد ممكن من رجال القضية السورية للمداولة والاتفاق على القواعد التي بحث بشأنها وجرى الاتفاق عليها وعلى هذا عقدت اللجنة اجتماعا ضم عددا كبيرا ممن اشتغل بالقضية الوطنية بعضه من الاسكندرية والبعض الآخر من القدس وسورية وتباحثوا فيما يجب ان يقدم للمندوب كمذكرة غب وصوله وبحثوا الاسس المعروضة من غير ان يعلموا انه اتفق عليها مبدئيا فوضعوا صيغة جديدة تختلف عن تلك الاسس من وجوه عديدة وفي الثلاثين من الشهر المذكور وصل المندوب الى القاهرة وقد حل في فندق الكونتيننتال فأدب له الامير ميشيل لطف الله مأدبة شاي فائقة في قصر الجزيرة وفي صباح اليوم الثاني من وصوله زاره وفد اللجنة وقد قدم اليه المذكرة التالية :

« ليست الحركة المنتشرة الآن في سورية سوى مظهر جديد من مظاهر العقيدة الوطنية العامة القائمة على مبدأ الجامعة القومية والاستقلال الضامن للكيان القومي بجميع مظاهره شأن كل امة كاملة الخصائص ويكفي أن نلقي نظرة سريعة واحدة على تاريخ هذه الحركة الحديثة لكي تتبين لنا القواعد العمومية التي يمكن ان يبنى عليها حل مرض للمشاكل الناشبة الآن . ليس التنازع الذي كان موجودا بين العنصرين العربي والتركي في السلطنة العثمانية بخاف على من له المام بتاريخ تركيا الدستوري الحديث فقد اصطدم مبدأ القومية العربية والمطالبة بنظام خاص لبلاد العرب الخاضعة للتاج العثماني على الرغم مما كان للعرب من المساواة العامة مع الترك امام القانون من جميع

الوجوه وكـان من جراء ذلك ان الجمعيات العربية عقدت مؤتمرها المشهـور في باريز سنة ١٩١٣ للتوسع في تنظيم الحركة العربية ووضع المسألة العربية بين امهات المسائل التي تقتضي الحل في تركيـا فشعر الترك بخطر الموقف وحاولوا تلافي الحالة بالتساهل مع العرب والاعتراف لهم ببعض مـا كانـوا يطلبونه فأصدروا ارادة سنية باجابة بعض تلك المطالب ولكن العرب لم يرضوا عنها لذلك كان هم الترك ان يغتنموا فرصة الاحكام العرفية في اثنـاء الحرب الكبرى للقضاء على المسألة العربية فساقوا زعماء الحركـة الى مجلس عرفي في عاليه « لبنـان » وحكموا بالاعدام على العدد الاعظم من كبرائهم ونفـذوا الحكم في ساحتي بيروت ودمشق العمومتين المعروفة كل منهما الآن باسم ساحة الشهداء ولكن العرب وفي مقدمتهم السـوريون لم تفتر عزائمهم ولما يؤسوا من الترك صاروا مستعدين لاستمالة الحلفاء لهم الى مساعدتهم علـى دولتهم توصلا لاستقلالهم فلما نالوا من الحلفاء عامة ومن انكلترا وفرنسـا خاصة وعودا عديدة باستقلالهم حمل ذلك الوفا منهم على التطوع في جيوش الحلفاء وثار الحجاز بأجمعه على السلطنة العثمانية وتألف جيش عربي خاص مؤلف من جميع الولايات العربيـة لمقاتلة الترك وانتهى الامر بفوز الحلفـاء وشهد اللورد اللنبي نفسه في احد تقاريره بالفضل العظيم الذي كـان الحملة العربية في انتصاراتـه في فلسطين ضد الترك ولكن الفرض الاساسي الذي تكبد من أجله السوريون خاصة والعرب عامة جميع هذه الضحايا لم يتحقق منـه شيء وقـد كانوا يعلقون آمالا كبيرة على مبدأ حق تقرير المصير الى ان جاءت اللجنـة الاميركانية الى سورية ووقفت على آراء الاهالي في مصيرهم ثم سافر الامير فيصل الذي كـان يحكم المنطقة الداخلية في سورية باسـم القائـد البريطاني العام الى اوروبا ووصل الى تفاهم مع وزارة الخارجيـة الفرنسية لتنظيم دولة سورية وتعيين علاقات فرنسا بها وعاد آملا ان يحمل اهالي البلاد على قبـول هذا الاتفاق ولكن لم يكد هذا الاتفاق يعرف حتـى ثارت عليه ثائرة الاحزاب واجتمع مؤتمر سوري نادى باستقلال البلاد التـام

بينما كان المسيو دي جوفنيل في عاصمة بلاده دعا اليه الامير شكيب
ارسلان حتى اذا ما بلغ عاصمة الفرنسيين والتقى بداعيه تجاذبا اطراف
الحديث بما يجب ان يكون لحل المعضلة السورية ووقف القتال وقد طلب
المندوب الى الامير تنظيم المشروع الذي يراه لحل المشكلة السورية فنظم
الامير ما يلي :

« عقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة تكون محالفة النظير
لنظيره يتعهد السوريون في هذه المحالفة بأن لا يأخذوا متخصصين فنيين
الا من فرنسا ولا يعقدوا قرضا الا في فرنسا . ولا يأخذوا ضباطا اذا
لزمهم من ذلك لتدريب جيشهم الا من فرنسا . واذا عجزوا بالانفراد عن
استثمار منابع الثروة في بلادهم لا يستمدون الا من مال فرنسا وصناعة
الجديد الى عاصمة البريطانيين حيث يتصل بوزير خارجيتها المستر
إياه ووعد بذلك خيرا وفي التاسع عشر من ذلك الشهر توجه المفوض
شامبرلن ومما شاع عن هذه الزيارة انها بغية الحصول على ما يمكن بلوغه
السوري . اذا نشبت حرب مع فرنسا يتعهد السوريون بتقديم عدد من
فرنسا . اذا هجم هاجم على سورية تتعهد فرنسا بتعضيد الجيش

تناول المفوض الجديد من الامير المشروع الذي المعنا اليه وقال بدرسه
او اتخاذ قاعدة بحرية في سواحل لبنان ».
الدولة السورية فيما لو رضيت حكومة لبنان بابقاء حامية فرنسية في لبنان
الجند لمساعدتها يتم الاتفاق عليه بشرط ان تجهزه فرنسا . لا تعارض
من المعلومات التي يتخذ منها ما يساعده على مواجهة المعضلة السورية ولكي
يقف على دخائل السياسة البريطانية في الشرق الادنى واساليبهاالديبلوماسية
وقد تناول طعام العشاء الى كل من المستر شامبرلن والمستر ايمري
وزير مستعمرات انكلترا وسلخ معهما ساعتين تحدث اليهما فيها عن وضع
سورية وقد اتفقوا على الاسراع في تعيين الحدود بين سورية وفلسطين من

ناحية والحدود بين سورية والعراق من ناحية ثانية . وعلى تعاون الحكومتين في ربوع الشرق تضامنا وتكافلا .

احتجاج عاهل العرب

جلالة الملك حسين بن علي

لقد بعث جلالة الملك حسين بن علي من مقره اذ ذاك في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ الى رئيس جامعة الامم محتجا على ما جرى في سورية بالنص الآتي :

« بصفتي المعلومة الاساسية اقدم لفخامتك وللهيئة الموقرة احتراماتي ثم أجلب أنظار كمالات مزاياكم الى المعاملات الجارية في عموم سورية ونتائجها المؤدية الى محو العرب والمؤثرة حتى على شرف المقصد الاساسي من تشكيل وتأسيس هيئتكم المعظمة سيما بعد اعلان الحلفاء بصورة رسمية انهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لخلاص الشعوب المظلومة واعادة حقوقهم ومنافعهم الا ان العرب لا تشملهم مقاصد تلك التأسيسات ولكن بلاغ العظمة البريطانية اخيرا لمخلصكم بأن هيئتكم الموقرة قررت انتداب عظمتها ايضا على معان والعقبة ضمن انتدابها على عمان الشرق العربي يخالف ذلك وعليه فالمرجو من الفخامة اصدار القرار القطعي الصريح بمصير بلادنا معاشر العرب وتطبيق قوانين وقواعد الانتداب الاساسية على ما ترى انتدابه من بلادهم والا فالعرب لهم الفخر في الحكم عليهم بأن يكونوا ضحية لمصالح الحلفاء واخلاق المدنية الحاضرة » .

ما غرب من عزمنا وان نستعيد ما شرد من قوتنا وان نجمع الشمل وننظم الشأن وان ندعو للجهاد والذود عن الحياض فلبى نداء الواجب معنا عدد غفير التقفناه من كل قرية فرضناه عليها بسلاحه وعتاده وكان صادف اذ ذاك رجوع البطل ابي عبده ديب الشيخ من الجبل فكانت له اليد البيضاء بهذه المهمة فشكرنا له يده وقد اخذت جموعنا تزداد يوما عن يوم حتى بلغت آلاف مؤلفة وبذلك تمكنا من تجهيز الحملات الى القلمون والاقليم لشد ازر الاخوان هناك » .

مما تقرا ايها المطالع العزيز من رسالة هذا البطل النزيه تدرك ما لاقى في سبيل احياء هذه المنطقة هذا الشجاع واخوته المجاهدين الابرار من عناء وخير ما نتقدم به اليهم جميعا قولنا لهم انهم رجال حق وانهم قاموا بواجبهم خير قيام وهم خير من يعتمد عليهم في الليلة الدهماء والوقعة السوداء وبهذا بلاغ .

المندوب السامي لسورية ولبنان في القاهرة والشام

اذيع في عاصمة الفرنسيين في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ المرسوم الذي صدر بانهاء المسيو هانري دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ مفوضا ساميا من قبل فرنسا في سورية بدلا من سلفه سارايل وفي الثالث عشر من ذلك الشهر حصل مكاتب جريدة الاهرام بباريز من ذلك المفوض على حديث سياسي اوضح فيه وجهته السياسية في سورية وافاض بالبحث عن ذلك بما فيه كفاية وقد قال ما تعريبه : « لقد جاء الوقت الذي تعمل فيه السياسة عملها فاذا كان لا بد من استعمال القوة فانني

سأستعملها ولكن استعمالها يحزنني لان ما اريد عمله هنالك هو المساعدة في تنظيم الاستقلال الوطني تنظيما يجعل فرنسا واوروبا توافقان عليه وقال انه سيجعل شعاره في سورية احترام الجميع وسيضع نصب عينيه المستقبل لا الماضي فيجب ان يستأنف العمل على قاعدة جديدة وانه وهو رجل غير عسكري سيعمل بروح رجل غير عسكري وان وطنيته تساعده على فهم وطنية الآخرين ، وقال « واذا كان الدكتور شهبندر يريد الرجوع الى سورية ففي وسعه الرجوع اليها بلا خوف » .

وكان الامير جورج لطف الله في عاصمة الفرنسيين فدارت بينه وبين المسيو دي جوفنيل مباحثات سرية من جهة كما دارت بين المسيو جايار وزير فرنسا المفوض في مصر يومئذ وبين الامير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية محادثات من جهة ثانية فكان الاتفاق على ان يكون ما سيأتي من المبادىء اساسا لحل المعضلة السورية متعهدا الامير ميشيل باقناع اللجنة مبدئيا بالقبول اما المبادىء فهي :

١ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب المباشر لوضع نظام البلاد الأساسي على قاعدة السيادة القومية .

٢ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقا على كرامتها .

٣ ـ يفصل في مسألة الوحدة السورية في المستقبل بين أولي الشأن انفسهم .

٤ ـ تنشأ ادارة وطنية حائزة على ثقة البلاد .

٥ ـ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فيبقى لاهله .

كما اتفق الفريقان على ان يتقابل المندوب السامي مع رجال اللجنة التنفيذية في القاهرة وان تعلن هذه المبادىء ويباشر بانفاذها .

الصحف فأجابته اللجنة عليه بالكتاب الآتي :

القاهرة في اول ديسمبر سنة ١٩٢٥ حضرة ....

« اتشرف بأن ابلغكم وصول الكتاب الذي ارسلتموه في ٣٠ نوفمبر الماضي الى نجيب بك اشقير السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ولما كنا نعمل من اجل توفير السلام والرخاء لبلادنا المحبوبة ونعتقد اننا نمثل الراي العام اقترحنا الحلول التي كانت موضوع مذكرتنا وكتابنا اللذين قدما اليكم في ٣٠ نوفمبر الماضي وتعتقدون ياصاحب السعادة ان تساهلا اقل سخاء مما اقترحناه يقرب سورية من فرنسا ومن السلام ولكننا نشعر والاسف ملىء نفوسنا ان الامر لن يكون كذلك على انه مهما تكن الاقتراحات الافرنسية التي تقبلها سورية فلا يمكن الا ان نبتهج بما ينتج عنها من السلام والرخاء وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول وافر احترامي .

ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني

فاللجنة التنفيذية اذن لم تحد قيد شعرة عن الخطة التي سلكتها من بادىء الامر ولم يكن في الامر مناورة ولا طلبت منه في كتابها غيز ما طلبته في مذكرتها ولكنها رغبة في حقن الدماء واعادة السلام الى نصابه وتمهيداً لتحقيق المطالب التي طلبتها عرضت عليه وساطتها اذا وافق على المطالب التي قدمتها اليه والتي لا تختلف من حيث الاساس عن القواعد السابقة الذكر التي عدها في باريز موافقة لآرائه وما زالت اللجنة تعتقد ان اجابة تلك المطالب هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية وتوطيد سلام دائم في البلاد ».

فهذا جميع ما جرى يومئذ وقد ظل اغلبه بطي الكتمان على ان ما لا ندحة لنا من الالماع اليه هو ان مندوب فرنسا المفوض المسيو جايار قد امتعض امتعاضا عظيما لفشل المفاوضات وتزعزع مركزه حتى الصقت به

بعض الدوائر الفرنسية المسؤولة عن الاخفاق الذي مني به المفوض السامي حتى انه قيل باعداد قرار احالته على الراتب وقيل بان وزير مصر المفوض في باريس قد دافع عنه وانه لولا ذلك لما ظل في عمله .

لقد كان بعض العسكريين الذين أتوا من بيروت الى الاسكندرية لاستقبال المندوب فصحبوه للقاهرة ، على علم بما تم بينه وبين اللجنة التنفيذية وقد راوا على اسارير وجهه احرف القنوط والكدر ظاهرة جلية فراوها فرصة لا ينبغي افلاتها ويقتضي اغتنامها للاصطياد بالماء العكر فهونوا عليه امر الثورة وحملوا له وجوب الصمود لها واقنعوه بأنها لاشيء يذكر ولا لها اهمية قط وشجعوه على الظهور بمظهر القوي القادر الباطش ولما لم يكن الى جانبه وحواليه غير هؤلاء العسكريين المستعمرين ليبسط له جوهر الحقيقة ولكي ينير له سبيل الامر اسلس لهم قيادا واستسلم الى مشيئتهم وتركهم يمنون ارادتهم عليه وسنرى قريبا انهم كانوا هم العقبة الكأداء في اخفاق كل مفاوضة جرت بعد ذلك .

العودة الى التفاوض

لم يقعد فشل اللجنة بعزيمتها عن اتمام السعي وراء المصلحة ولم يتسرب القنوط اليها من ناحية ما بل كانت شديدة الايمان بامكان الوصول الى حل سلمي يرجع به الحسام الى غمده والسيف الى قرابه فأشارت على احد المتصلين بها ان يبعث من قبلها الى المندوب السامي بكتاب في صدد المعضلة فكتب اليه في الرابع من كانون الاول من القاهرة الكتاب التالي :

« انني عظيم الاسف بسبب الحادثة التي جرت في مصر والتي تناقض كل المناقضة ما شاهدتموه من الحالة الروحية والرغبة الشديدة في الاتفاق والتفاهم على ان هذه الحالة الروحية لما تتغير واستعداد النفوس ما زال على

٢ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية ومنطبقا على كرامتها .

٣ ـ يفصل في مسألــة الوحدة السورية في المستقبل وبين أولي الشأن انفسهــم .

٤ ـ تنشأ ادارة وطنية موقتة حائزة على ثقة البلاد .

٥ ـ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فانه يبقى لاهله .

فعقدت اللجنة جلسات متعددة للنظر في هذا الموقف الجديد دعت اليها كل من في مصر من رجال الاحزاب الاستقلاليــة لتسترشــد بآرائهم فتقــرر بالاجماع ان تقدم اليه مطالب معينة تفسر بمقدمة وجيزة عن تاريخ الحركــة الوطنية في سوريــة ووضعت المذكرة والمطالب وتألف الوفد الذي يجب ان يطالب المسيو دي جوفنيل وتحدد موعد المقابلة قبل وصول المسيو ديجوفنيل الى مصر وبعد وصوله قابله الوفد في الموعد المعين أي يــوم الاثنين في ٣٠ نوفمبر الساعة التاسعة صباحا وقــدم اليه مذكرة مختومة بالمطالب وعليهــا طابع اللجنة التنفيذية وتوقيع السكرتير العام فتناولها المسيو دي جوفنيــل يدا بيد واطلع عليها ولاحظ انهــا بختم اللجنة فقط وسأل هل هي تمثل رأي اللجنة او آراء الجميع فأجيب انها تمثل آراء الجميع وقدم اليه كشفا بأسماء الوفــد كله والحزب الذي ينتمي اليه كل منهم .

ثم قال جنابه انه من السهل الاتفــاق على المبــاديء ولــكن يجب وضع أساليب التنفيذ فأجابه السكرتير العام باسطا نظريــة الوفد في كيفية التعاون بين فرنسا وسورية وقال له في الختام ان هذا هو النصيب الــذي نقدمــه نحن لهذا التعاون ثم اراد جنابه الوقوف على وجوه المسألة السورية المختلفة فبسطت لــه وكان يقول في خلال المحادثات انه لا يمكن عقد معاهــدات الا بعد تأليف الحكومة ولا تتألف الحكومة الا بعد انعقاد المجلس التأسيسي ولا يدعى المجلس التأسيسي الا بعد استتباب السلام فعندما خرج الوفد من لدنه

قابله حد اعضاءه على انفراد وخاطبه في وجوب وضع حل عملي وباحثه في الطريقة المؤدية الى ذلك .

وعلى اثر ذلك عقدت اللجنة التنفيذية جلسة عند الظهر وقررت ان ترسل اليـه في الحال كتابا تعرض فيه وساطتها لاعادة السلام ولكنها كررت طلبها السابق اولا على المباديء التي وضعتها في مذكرتها هذه :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هـذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامـة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ـ تدعى جمعيـة تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العـام المباشر وهذه الجمعيـة تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية فـي الداخل وفي الخارج يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسوريـة باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرمـا الا بعـد موافقة البرلمان السوري عليـه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتـة .

٦ ـ تسجيل الاتفـاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعيـة .

ثم ارسلت اللجنة الكتاب الى المسيو دي جوفنيل مع رسول خاص في الساعة الرابعة بعد ظهر اليـوم نفسه فظل الرسول يتردد على الفندق حتى الساعة التاسعة فلم يجده فاضطر في النهاية ان يترك له الكتاب في الفندق وقـد تسلمه جنابـه بعد عودته ليلا ورد عليـه ذلك الرد الذي اذاعه فـي

٥ – يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ – تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية » .

كان المندوب غائبا في وليمة اعدت له عندما ورد اليه الكتاب الذي المعنا اليه ولم يصل ليده الا في الساعة الحادية عشرة غب عودته الى النزل فأسرع بالجواب بما يلي :

« مصر في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الساعة ١١ ليلا . حضرة السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني .

من بواعث اسفي الشديد ان يكون الحل الذي تقترحونه غير مستطاع القبول بتاتا وان يكون في هذه الدرجة من قلة المطابقة للمحادثة التي دارت بيننا في هذا الصباح والتي حفظت محضرها ومن البديهي ان لايكون للمهمة التي تطلبون مني بكتابكم اناطتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني حظ من التوفيق ولااريد ان أدعكم تعتقدون لحظة واحدة انه يسع فرنسا – كما تشيرون عليها – ان تنكث بالعهود التي قطعتها على نفسها امام خمسين دولة ثم انني كما تشرفت وصرحت لكم سأعلن بياني على رؤوس الاشهاد في سورية نفسها ولذلك اصارحكم القول من دون مرارة انه كان من الافضل لو لم يكتب كتابكم وفي هذه الحالة كان اعادة السلم الى سورية اسرع واسهل وانني اخشى ان تكونوا آخذين في تحمل تبعة الاضطرابات والمصائب التي لابد من ان تقع هذا وثقوا ياحضرة السكرتير العام باحترامي واسفي » .

وفي الثالث من كانون الاول اذاعت اللجنة ما يأتي :

« بعد ما نشر المسيو هنري ديجوفنيل المندوب السامي الجديد في سورية ولبنان الكتاب الذي ارسلته اليه اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري

الفلسطيني في ٣٠ نوفمبر الماضي ورد عليه قبل ان تتسلم اللجنة هذا الرد ببضع ساعات لم يبق بد للجنة من ان تذكر في هذا البيان الوجيز خلاصة ماجرى بينها وبين جنابه مرجئة الى موعد قريب نشر التفاصيل والمستندات في بيان مطول تلقت اللجنة تلغرافا من وطني كبير في باريز تاريخه ١٧ نوفمبر الماضي ابلغها فيه ان المسيو دي جوفنيل سيعرج على القاهرة في طريقه الى بيروت ويود ان يقابل وفدا من اللجنة ومن حزب الشعب وغيرهما وعلمت اللجنة بعد ذلك ان هذا التلغراف ارسل بعد ان اطلع عليه المسيو دي جوفنيل وبعد ان ارسل كتابا بخطه الى ذلك الوطني في المعنى نفسه واردفه هو نفسه بحديث نشرته الصحف بتاريخ ٢٦ نوفمبر في مصر قال فيه انه سيقابل اللجنة التنفيذية والاتحاد السوري في مصر فعقدت اللجنة جلسة خاصة للبحث في هذا الموضوع في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وقررت اجابة الدعوة وابلغ هذا القرار الى المسيو دي جوفنيل ثم جاء احد السوريين الوطنيين من باريز بتاريخ ٢٤ نوفمبر الماضي وافضى الى اللجنة بمعلومات مفصلة عن محادثات متعددة دارت بينه وبين المسيو دي جوفنيل وعرض على اللجنة قواعد اساسية لحل المشاكل الحاضرة في سورية وانشاء نظام الحكم فيها واكد للجنة ان المسيو دي جوفنيل يعتبر هذه القواعد اساسا صالحا للتفاهم ولا يرى فيها مايناقض الخطة التي يريد اتباعها ورغب في ان تطلع عليها اللجنة والاحزاب السورية الوطنية ففضل ذلك الاخ الوطني ان يحملها بنفسه ويأتي بها الى مصر وكان المسيو دي جوفنيل واقفا على ذلك ، وهذه ترجمة تلك القواعد عن اصلها الفرنسي المحفوظة في اللجنة .

١ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب العام المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

معينة يحافظ فيــه على مبدأ السيادة القومية ولا يعــد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليــه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السوريــة حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتــة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى عصبة الامم ودخول سورية في عــداد هــذه العصبـــة .

فاذا كانت الحكومة الفرنسية تجد في هذه المباديء العامة اساسا للتفاهم فنحن نرى ان تصدر تصريحا بذلك وان تنتدب هيئة من قبلها تجتمع بهيئــة القائمين بالحركة الوطنية وتضع الهيئتان بالاتفاق بينهما قواعد توقيف القتال والاساليب اللازمة لتطبيق هذه المباديء ــ أ ء » .

عندما وقف المندوب على ما جاء في المذكرة والفى الفرق بينه وبين مــا تم الاتفاق عليه بعيدا جدا من حيث الجوهر حار في امره ولكنه اخفى في نفسه شعوره ومرماه واظهر غير ما بطن وقال بأنهــا وفاقا لمباديء الثورة الفرنسية وقد طلب الوفد اليــه ان يبــدأ النقاش وايــاه على اساسها فأبى كما انه أبى التصريح عن الخطة التي رسمها لنفسه وقال بالاحتفاظ بها الى ما بعد بلوغه سورية وانه يكتفي اذ ذاك بالاصغاء الى مايبيت عليه السوريون من أمر وانفضت المقابلــة بلا جدوى رغم استمرارها ساعة وعشرين دقيقة ثم ارتأى الوفـــد مقابلة المندوب مرة اخرى لعله يستطيع في هذه المرة ان يبلغ ما لم يستطعه من قبل ولكن الوقت لم يكن ليسمح اذ ذاك بذلــك لهذا تم الراي على انتداب احد اعضاء الوفــد ليقوم بهذه المهمة مع المندوب وبالفعل فقد قابله واظهــر له ان الوفد لم يكن بمرتاح الى ما افضت اليــه المقابلة الاولى فقال المندوب من الواجب ان يسار في تخفيض المطالب رويدا رويدا وكان يقصد بما قالــه اعادة السلام اولا الى البلاد واضاف بأنــه لا يعتقد بقدرة الوفد على ان يؤثر تأثيرا ذا شان بهذا الصدد واردف قائلا بأنــه على استعداد لبحث لكل مقترح

لاعادة السلام على ان اللجنة لم تكتف بذلك بل بعثت اليه في مساء ذلك اليوم بالكتاب الآتي :

« ان شعور الوفد السوري الذي تشرف بمقابلتكم اليوم صباحا بالواجب الملقى على عاتقه تجاه الحوادث التي صبغت ارض سورية بالدم ورغبته في وضع حد لحالة البلاد الحاضرة والوصول الى سلم دائم قائم على الثقة المشتركة والاعتراف بالمصالح المتبادلة يحملانه على ان يقترح عليكم الاقتراح التالي : وهو ان يسافر وفد من قبلنا في الحال الى سورية للعمل على حقن الدم ولتمهيد طريق صالح للمفاوضة بين جنابكم ومندوبي زعماء الثورة ولكي تكفل التوفيق والنجاح لهذا المسعى يرجو منكم الوفد السوري بابلاغه موافقتكم على المباديء التالية وقد وردت في المذكرة التي تشرفنا برفعها اليكم في هذا الصباح :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او للانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل وفي الخارج .

٤ ـ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيها على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

الاساتذة فوزي الفزي ولطفي الحفار وعفيف الصلح وقد بارح هذا الوفـــد دمشـق في السـابع عشر من كانون الاول الى درعا ومنها الى عرى وهنـــاك كان سلطان باشا وزعماء الثورة وقد الح الامير بوجوب المصالحة شارحـــا ضرر متابعــة الحرب .

وقد رد عليــه السلطان واخوانه بأنهم لا ينزعون الى المصالحة ما لم تتعهد السلطة باجابة مطاليب الامة ولخصوها بما يلي :

١ ـ توحيد الحكومات السوريــة .
٢ ـ اعــلان عفو عام بلا قيد ولا شرط .
٤ ـ تأليف حكومة موقتة يرضى عنها الثوار .
٤ ـ عقد معاهدة بين فرنسا وسورية .
٥ ـ تعويض المنكوبين عن خسائرهم .

وقد آب الوفد الى بيروت يطلـع المفوض على مطاليب الثوار فكان جوابه الرد والرفض .

وفي التاسع عشر من كانون الاول امــر المفوض الجنرال اندريا قائـــد منطقة دمشق بأن يعمد الى تأليف وفــد مــن عاصمة بني اميــة يتقدم الى المندوب بما يطلب . فعقدت لهذه الغايــة اجتماعات عدة في بهو البلديـــة افضت الى انتخاب عشرين وجيها هم السادة فارس الخوري محمد الـكرد علي الامير سعيد الجزائري فوزي الغزي رشدي الصفدى احمد اللحـــام لطفي الحفــار احمد الحسيبي اكليل المؤيد شاكر الحنبلي ابو الخير الموقـــع عبد القادر الخطيب يوسف لنيادو عبد المحسن الاسطواني شكري الشربجي عطا الايوبي حسني العمري زكي المهايني معروف الارناؤوط عارف القوتلي . فاتفقوا على تقدم ما يلي :

١ ـ انشاء حكومة وطنية موقتة .

٢ ـ تدعو هذه الحكومة الشعب لانتخاب مجلس تأسيسي انتخابا حرا .

٣ ـ وحدة سورية بحدودها الطبيعية .

٤ ـ تأجيل العقوبات المتعلقة بالثورة .

لقد نمي الى المفوض السامي ما بيت عليه الرجال من قرار فبعث الى الجنرال اندريا يصرح له برفضه استقبال الوفد او التفاهم معه ما دامت عاصمة الامويين في ثوران وما دام الثوار متقلدي السلاح .

ثم في الحادي والعشرين من شهر كانون الاول ابرق المفوض الى الجنرال اندريا يقول له بأنه جعل بعد ظهر الثلاثاء المصادف بتاريخ ٢٢ كانون الاول موعدا لمقابلة الوفد . فسافروا الى بيروت وقبل الموعد المضروب بساعات اتى من المفوضية رسول الى الفندق الذي حل به الوفد قائلا بأن المندوب يرغب بمقابلتهم منفردين . فعقدوا جلسة حينئذ اجمعوا فيها على اعلان رفض هذا الطلب واعلام المفوض بأنه اذا لم ينزل عند ارادتهم من حيث المقابلة مجتمعين يعودون من حيث اتوا فاظهر المفوض استعداده لقبولهم حسب ما شاءوا .

وفي الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم دخلوا عليه وقد قدموا له مطاليبهم واستمرت المقابلة نصف ساعة ثم تمنى ان لو يجتمع لكل واحد منهم على انفراد ليطلع على رايه . فكان له ما شاء ثم انه في الساعة السابعة اتوه على اجتماع فأدلى اليهم بالبيان التالي :

« سمعتكم جميعا واطلعت على مطالبكم وسأدرسها باهتمام كبير حاسبا حسابا للارتجال الذي لا يقوم عليه عمل دائم في حين اننا نريد القيام بعمل وطيد واني انتظر منكم ان تعملوا معي بقدر امكانكم في سبيل السلام فالسلام

الذي لا ينفصم بالامة الفرنسية .

ثم قال : « ان عهد الاستشارات قد انتهى وانه قال امس عند وصوله ويكرر قوله اليوم ويريد ان يصل الى اقصى الحدود وهو « السلام لمن يريد السلام والحرب لمن يريد الحرب » وانه حدد بهاتين الكلمتين خطة لا يمكن للرجال ولا للحوادث ان تحوله عنها ثم قال انه سيطلب الى الحاكم ان يدعو المجلس التمثيلي الى دورة استثنائية لوضع دستور لبنان وانه اذا ارادت بقية الدولة ان تشترك في فوائد الانظمة الحرة فهي تعرف الطريق . ومن العبث ان يعرض العصاة علي شروطا او ان يطلبوا مني وعودا فان العمل الذي أقوم به هنا هو الجواب فالحرب الآن لم يبق لها مبرر » .

فرد عليه رئيس المجلس بالشكران والامتنان والتقدير والاعجاب وفي العاشر من هذا الشهر اذاع المفوض الى سكان سورية جميعا البيان التالي :ـ

« أيا كنتم مسلمين او نصارى او اسرائيليين ومهما تكن الطوائف التي تنتمون اليها اخاطبكم مخاطبة الصديق واقول :

« مصيركم في يدكم »

في هذا اليوم العاشر من شهر ديسمبر يجتمع عند اخوانكم اللبنانيين المجلس الذي انتخبوه وقد كلفته المناقشة في القانون الاساسي وانتخاب حكومة للبلاد ولكان الامر كذلك في دولتي سورية وجبل الدروز لو ان هؤلاء يتمتعون كاللبنانيين بما يتعلق بالسلام من الخير والحسنات .

ان هنالك لسوء الحظ اقلية مصرة على متابعة حرب لا تنال من فرنسا ولا تضيرها فهي قصية عن هذه البلاد وهي اعلى من ان تصل اليها يد فهذه الحرب تشقي البلاد السورية باستنزاف خزينتها وتدمير قراها ومزروعاتها وتشريد النساء والاولاد عن مآويهم وتأخير تنظيم الاستقلال

السوري .

اني لا الحق بهذه الاقلية مجموع الشعب السوري فان هذا الشعب يميل الى العمل في الهدوء والسكينة والحصول على تأسيسات حرة مميزات الشعوب الجانحة الى السلام .

فان تكن الحرب تضطرني الى ان اعهد الى الجيش في الانفراد بالدفاع عن دمشق ضد العصابات فاني لا الهو مع ذلك عن السهر على انماء واسعاد الانحاء السورية الاخرى التي لا تزال امينة للانتداب والسلام .

فانا اذن ادعو السوريين الحازمين المخلصين وجميع الوطنيين الصادقين الى معاضدتي في ظل العدالة والقوة الفرنسية لتأمين سلامة الاشخاص وانماء ثروة البلاد وتوسيع الحرية الوطنية التي هي في نظري سبب وجود الانتداب الفرنسي في هذه البلاد » .

على اثر وصول المفوض السامي الى لبنان وسورية بذلت في سبيل الاصلاح والتوفيق مساع عدة لم تقترن بالنتيجة المرجوة اذ كان المفوض يشترط في كل مرة خضوع الثوار والقاء السلاح حتى تستطيع فرنسا ان تجود بما تسمح به نفسها من نظام وقانون واليك الجهود التي بذلت والوفود التي الفت .

الوفود

اول ما ألف للوساطة والتوفيق وفد الامير امين ارسلان اذ اتصل هذا الوفد بأحد مساعدي المسيو دي جوفنيل وهو المسيو مليا فقررا على السفر على رأس وفد الى جبل الدروز للصلح والوئام ولكي لا يحمل هذا الوفد مسؤولية الفشل لم يجنح الى وضع قواعد للمفاوضة . وكان صحبة الامير

١ ـ ان هذا المجلس يعتبر هجوم الثوار على حاصبيا ومرجعيون وراشيا تعديا على استقلال لبنان وحرية سكانه .

٢ ـ يرفع هذا المجلس شكره بالنيابة عن البلاد الى الدولة المنتدبة الكريمة لما قامت به حتى الساعة من التضحيات بالارواح والاموال للذود عن حياض لبنان والعمل على سلامة سكانه وضمان استقلاله .

٣ ـ يقدر مفاداة الجندرمة اللبنانية حق قدرها ويثني على ثباتها وشجاعتها .

٤ ـ يؤكد هذا المجلس للدولة المنتدبة بقاء البلاد على ولائها لها ومحبتها التقليدية غير المتزعزعة .

٥ ـ يطلب هذا المجلس من دولة الحاكم ابلاغ الدولة المنتدبة هذا القرار بالصورة الرسمية .

انا لا نود ان نكيل اللوم والنقد الى لبنان لاننا نعلم ان الذي سيطر عليه هو الذي املى مثل هذا القرار ولكن الملامة اذا شئنا ان نوجهها فانما نوجهها الى الاكثرية التي لم تعضد الاقلية في ساعة نفس لبنان الحبيب ورجاله المخلصون يعلمون ما يربطهم بأمهم سورية من اواصر .

بماذا يتكلم لبنان وبماذا تتكلم سورية ومن اي عرق تحدر الاول وما هي العنعنات والتقاليد والاعراف التي تسيطر عليه ولا تسيطر عليها وما هو الفارق البعيد بين البلدين حتى لا تتحسس سورية بما يحسه لبنان وحتى لا يشعر لبنان بما يصيب سورية وهل النفع الذي يصيب البلد الواحد منهما من البعد والنوى بدرجة لا يصل الى الآخر حتى يستبيح المجلس النيابي اللبناني لنفسه ولوطنه ان يقطع انفه من وجهه فيبتر صلاته بسورية وهي منه كالقلب من الجسم وهو منها كالدماغ من الراس .

كيف يستطيع لبنان ان يحيا بمعزل عن سورية واين يستطيع ان يبعث

بالبضائع التي تأتي اليه من البحر ان لم تتلقفها بلاد الداخل وليس سوى سورية من بلاد لذلك ؟ . بماذا يستطيع العيش لبنان اذا نفضت سورية يدها من العلاقات به والاواصر معه ؟ وبأي يد تمكنت الندوة اللبنانية ان تسجل على نفسها سبة الدهر وعار الابد بالتخلي عن عنصريتها وقوميتها وتاريخها بمثل ما اصدرته مما المعنا اليه من القرار المؤلم الفظيع على اننا نعود فنقول في كل بلد اناس ممن لا ينظرون الى ابعد من انوفهم فيورطون امتهم ووطنهم في هوة سحيقة لا قرارة لها بما يتخذونه من مقررات تعود على بلادهم وأمتهم بالضرر البليغ وبهذه الكلمة الجارحة بلاغ ونهيه .

وصول المفوض الى لبنان

كان المندوب السامي في اول كانون الاول ديسمبر في الثغر في بيروت وقد استقبل بالحفاوة الشائقة .

وفي ثالث الشهر المذكور زار مجلس لبنان التمثيلي وقد القى فيه خطابا اليك تعريبه :

حضرة الرئيس والسادة النواب

« في الساعة التي نزلت فيها من الباخرة في ميناء بيروت سلمني الحاكم المسيو كايلا القرار الذي وضعه المجلس النيابي للبنان الكبير ليشكر فرنسا التي كان جيشها سعيدا بوجود الدرك اللبناني الى جانبه « يقاتل للدفاع عن الاراضي اللبنانية ولحماية سكانه وللمحافظة على استقلاله » .

وكما ترون ايها السادة انني استعمل نفس العبارات التي اوردتموها في قراركم وانني اعيد قراركم نفسه ذاكرا بتأثر مشرب بمعرفة الجميل انكم رجوتم مني ان انقل رسميا الى حكومة الدولة المنتدبة تأكيد تعلق اللبنانيين

ما كان ومع ذلك فاني اوجه نظركم الى الامور الآتيــة :

١ ــ ان اللجنة راغبة في التفاهم ووضع حد لسفك الدماء ولكنها لاجــل الوصول الى هذه الغايــة واقناع الذين بيدهم السلام رات ان تقترح طريقــة لازمــة وهذه الطريقة لا يمكن نجاحها الا اذا وثقت من موافقتكم على بعض القواعد الاساسية .

٢ ــ ان هذه القواعد بينت في المذكرة التي قدمت اليكم في الصباح .

٣ ــ ان اللجنة لم تكن تريد ان تطالبكم في تطبيق سريع لخطتها وكــانت مستعدة للبحث في الاسباب والاحتمالات .

٤ ــ ان الكتاب الذي وصل الى يدكم في الساعة الحادية عشرة ارســل منــذ الساعة الرابعة بعد الظهر وكــانت اللجنة تتوقع ان يصل اليها الجواب وتبحث معكم في الاتفاق اذا كان ممكنا بعد سفركم .

٥ ــ ان القواعد التي قدمها الوفد لكم قائمة على الاسس التي بحثت فيها معكم في باريز غير ان اللجنة اثارت مسألــة الغــاء الانتــداب والجلاء عن البــلاد وكــان من الممكن الاتفاق على هذه القواعد بطريقة مرضية للفريقين » .

❊ ❊ ❊

وفي الســابع من الشهر المذكور اجاب المندوب برسالة ضمنها ما يلي :

« نعم ان الحالة مؤسفة وانت تعلم ماذا صنعت في لبنان الكبير فانــــه سيبدأ يوم الخميس بوضع دستوره وكان افضل لسورية لو انهــا بدلا مــن أن تحارب تضع قانونها الاساسي وسنرى بعد ذلك الامور الاخرى وفضــلا عن هذا فانني من الآن تردني الانبــاء من شمالي سورية وهي تبرهن على ان الخصومات على وشك احداث حنق وتألم بين اجزاء سورية المختلفة وهمــا شديدان بقدر ما رايت من اثرهما في سورية ولبنان وانت تصنع حسنا اذا قدمت الى هنا وقابلتني يوم الثلاثاء بتاريخ ١٥ ديسمبر مثلا » .

موقف الندوة اللبنانية من الثورة السورية

قرر المجلس النيابي اللبناني العتيد ! في جلسة اول كانون اول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ القرار التاريخي الهام بأكثرية مطلقة تبلغ العشرين نائبا وبمخالفة كل من المخلصين الى لبنان اكثر من اخلاصهم الى سورية وهم ارسلان والداعوق وبيهم وتلحوق .

اما القرار الذي يرفع لبنان به راسه عاليا لمناواته لغته وتاريخه وعنعناته التاريخية فهو القرار التالي : كما اقترح ان يكون نصه جناب العبقري النائب دموس :

« لما كانت حوادث العصيان التي ابتدأت في جبل حوران قد تطاير شررها الى الاطراف الجنوبية الشرقية من لبنان فتناولت حاصبيا وراشيا ومايتبعهما من القرى المجاورة فألحقت بالبلاد ضررا فادحا بالاموال والارواح .

ولما كانت هذه الحوادث في قرانا التي على الحدود غير مستندة الى مبدأ يبررها .

ولما كانت حكومة لبنان المحلية مجهزة بجيش نظامي يرد غزوات الطامعين وكانت على ثقة تامة من حماية الدولة المنتدبة للبلاد عند الحاجة قياما بعهدها الذي قطعته مع جمعية الامم .

ولما كانت قوة الجندرمة المحلية على قلة عددها قد قامت بواجبها اثناء مهاجمة الحدود . ولما كان لبنان بانفصاله سياسيا عن جارته سورية وجبل الدروز يرغب في البقاء في عزلته وحياده التامين . ويعتبر تصدي الخوارج لمهاجمة اطرافه تعديا على استقلاله وافتراء محضا على حريته ومصالحه فان هذا المجلس يقرر ما يلي :

« ان المشكلات الحاضرة التي استعصى حلها تدعوني لأن اقدم اليكم استقالتي وانني كرجل وطني يشاطر هذه الامة شعورها ويعاني امورها منذ عهد طويل الامد لا بد لي وانا في الساعة الاخيرة من الحكم ان الفت نظركم الى ان هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها امانيها وطمأنينتها الا اذا أجيبت الى مطالبها العادلة مثل تأليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الاساسي على اساس السيادة القومية وانشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وادارتها وان يعلن فيها عفو عام بدون استثناء الا فيما يتعلق بالحق الخاص وان تؤيدوا سورية في دخول عصبة الامم .

« وبقيت مسألة ذات عقد كثيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تؤلف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي أضيفت الى لبنان من جانب آخر فان حل هذه المسألة يحتاج الى اقدام وبعد نظر لان الوطنيين السوريين يعتبرون ان بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والآمال والآلام والعنصر واللغة . وهنالك كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية هي على جانب عظيم من الاهمية وانني لا ارتاب انكم ببعيد نظركم وصحة رايكم وما جبلتم عليه من الكرم وحب الخير تستطيعون ان تذللوا المصاعب كلها وتسلكوا في هذه البلاد سياسة جديدة لا علاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤسس بين بلادكم وبين سورية صلات ود ثابتة تنسي النفوس مافيها من احزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورخاء شاملا » .

رئيس الحكومة السورية الجديد

عندما شاء المفوض ان يعهد بتأليف الحكومة الموقتة الى الشيخ تاج الحسني من اعلن قبوله بهذه المهمة مبدئيا وذلك في الرابع والعشرين من كانون الاول وقد وضع برنامجا واسع النطاق مشترطا قبوله حتى يضطلع

بأعباء الحكم فنشأت مفاوضات بشأنه بين المندوب وبينه ظلت خمسة عشر يوما واسفرت عن الفشل لرفض المندوب ذلك البرنامج واليك نصه :

« أقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد امور البلاد وهي عالمة بثقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الازمة الشديدة التي تحتم على كل وطني ان يبذل قصارى مجهوداته لتحقيق رغائب الامة وانقاذها من الاخطار التي تحدق بها من كل جانب وستعمل على ايجاد طريقة حل يكون فيها مقنع ومرضاة للسوريين من غير ان تناقض المصالح الفرنسية الحقيقية . وستضع نصب عينيها تشييد اركان سلام دائم يرضى عنه جميع ابناء الوطن سواء المقيمون والنازحون حتى يتعاونوا على انهاض البلاد من عثارها واقالتها من كبوتها وتخليصها من الكوارث التي كادت تقوض اركانها وتهد بنيانها واننا نتحمل أعباء هذه الحالة برباطة جأش ونخاطر بأنفسنا في سبيل الامة وسلامة الوطن . ولكننا حبا في بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقا لرغائب الامة التي تسعى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد الآتية :

١ ـ تحقيق الاستقلال بوضع قانون البلاد الاساسي على قاعدة السلطان القومي ودعوة مجلس تأسيسي عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل .

٢ ـ تأليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على ان تدار على قاعدة اللامركزية بحسب ما يقرره المجلس التأسيسي العام، واسترداد الاقضية الاربعة وهي البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا التي كانت سلخت عن سورية سنة ١٩٢٠م بقرار عرفي على غير رغبة اهلها وبالرغم من مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءا لا ينفك عن سورية اما سائر الاقاليم التي اضيفت الى لبنان فانه ينبغي ان تؤلف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يكن الاتفاق في شأنها مع حكومة لبنان .

٣ ـ معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تكون نافذة الا اذا ابرمها البرلمان

«ايضا وعندها تنتخب كل محافظة على حدة ويجتمع النواب في مركز المحافظة ويقررون البقاء مع لبنان او العودة الى الوحدة السورية . فالوفد يرى ان التفريق بين لبنان وسورية في المعاملة على هذه الصورة مجحف بحقوق سورية وهادم لوحدتها» .

« وما زالت الاقضية الاربعة التي سلخت عن دمشق في سنة ١٩٢٠ تلح بالرجوع الى تلك الوحدة وقد احتجت الحكومة السورية في ذلك الحين على هذا السلخ غير القانوني واحتفظت بحق الاعتراض عليه واقامة الدعوى بشأنه عندما تسنح الفرص وبما ان الانتداب هو الحكم بين الدول السورية عند وقوع خلاف على اي امر كان فالسوريون اليوم يرفعون الدعوى لدى ممثل الانتداب على دولة لبنان الكبير ويطلبون استرداد هذه الاقضية بعد سماع مدافعاتهم بشأنها في طريق الاتصال بين دمشق وحلب بالسكة الحديدية واكثرية سكانها يطلبون ذلك وبعد ان يسمعوا حكم ممثل الانتداب يبقى حق استئنافه الى المراجع العليا كالوزارة الفرنسية وجمعية الامم ولما كان من المسلم به ان للسوريين الحق بعد انتهاء الانتداب بالمطالبة بحدودهم الاصلية فاذا لم تكن هذه الحدود غير مؤسسة منذ الآن على قاعدة المساواة وحفظ الحقوق يبقى باب النزاع مفتوحا ولما كانت وظيفة الانتداب اليوم تأسيس الحدود على سلم دائم ووفاق ابدي بين المقاطعات السورية فليس من الحزم ان يترك سبيل النزاع ميسرا لهذه المقاطعات ولا يعقل ان ترضى سورية الداخلية في وقت من الاوقات ان تبقى محرومة من منفذ على البحر وها ان مدينة طرابلس وملحقاتها تطالب بالعودة الى الوحدة السورية لانها ميناء حمص الاصلية ولا تستطيع الدولة السورية ان تعيش بدون هذا المنفذ .

فاذا كانت الدولة المنتدبة تريد ان تؤسس سلما دائما بين السوريين فما

عليها الا ان تنصفهم وتعطي كل ذي حق حقه منذ الآن ولا تترك بابه الشر مفتوحـا ...

« وينص قانون الانتخاب الذي اصدره المندوب على اجراء الانتخابات بحسب القانون الاخير الذي سنه الجنرال فيجان على اساس القضاء ومنع الترشيح على غير سكان القضاء الذين مر ستة اشهر على اقامتهم فيه وبما ان المجلس المنوي انتخابه هو مجلس تأسيسي فانه يتعذر وجود نواب صالحين لوضع الدستور في كل قضاء من هذه الاقضية واذا بقي هذا القرار نافذا يخرج معظم النواب من سكان القرى الذين ليس لهم خبرة كافية في مثل هذا العمل الهام فالوفد يطلب ان يطلب ترشيح اي سوري كان في كل قضاء من أقضية البلاد السورية . ولما كان هذا القانون مؤسسا على الطائفية وفيه حرمان للاقليات من حقوق الترشيخ بصورة لم يسبق لها مثيل في الاصول النيابية فالوفد يرى ان تزال هذه الفوارق ليتمتع جميع ابناء الوطن بالحقوق العامة .

« ان مهمة الوفد سلمية صرفة وقد عرض على المندوب الاسس التي يعتقد انها صالحة لارضاء الشعب السوري واعادة السلام الى البلاد وهو بما له من الخبرة يلح في الرجاء بقبولها لتنال سورية استقلالها مع الاحتفاظ بصداقة فرنسا ومحبتها على قاعدة النفع المتبادل .

صبحي بركات يستقيل

لقد اسفرت نتائج تأليف الوفد وسفره الى بيروت ، استقالة رئيس الحكومة السورية صبحي بركات اذ عد مطالبة الوفد المندوب بانشاء حكومة موقتة وموافقة المفوض على ذلك تحديا لحكومته فبعث في الثاني والعشرين من كانون الاول الى المندوب بالكتاب التالي :

« ياصاحب السعادة

الثائرين وتحملهم على التسليم لانها تتضمن شرط تسليم السلاح لنيل العفو ولا يخفى ان دروز حوران لا يقدمون على تسليم السلاح ما دامت البادية وسائر البلاد المجاورة لهم مسلحة .

« ولقد حاولت الدولة العثمانية مرارا عديدة تجريد جبل الدروز من السلاح فلم تستطع ذلك وكل من اخذت بندقية عاد فاقتنى بدلها ولو ببذل كل ما لديه فقبل ان تتخذ التدابير الكافية لأمن البادية ومنع غزوات القبائل لا يميل الدروز الى تسليم اسلحتهم وعلى هذا يكون هذا الشرط حائلا دون الاستفادة من منحة العفو .

« اما الثائرون الآخرون الموجودون في جوار دمشق وسائر المناطق السورية فان اكثرهم غير مسلحين بالبنادق او الاسلحة الحربية الاخرى فمن اذعن منهم واقبل على التسليم تطالبه السلطة بالسلاح الذي كان بيده وهو لا يستطيع تسليم سلاح حربي لانه لا يملكه فيفضي ذلك الى حبسه وارهاقه لاجل تسليم السلاح ويكون هذا حائلا دون تمتعه بالعفو ومانعا لغيره عن اقتحام التسليم وعلى ذلك يبقى هذا الشرط عثرة في سبيل انفاذ هذا الامر والوفد يرى ان وضع هذا الشرط يعرقل المساعي الصلحية التي جاء لاجلها .

« واما منع العفو عن الزعماء فهو ايضا حائل دون الوصول الى الغاية المطلوبة لان هؤلاء الزعماء يمتنعون عن بذل نفوذهم في سبيل اخماد الثورة والقاء السلاح ما داموا غير آمنين على حريتهم والتمتع بالعفو المنتظر كما ان هيئة الوفد لا تستطيع ان تؤثر في الثائرين الا بواسطة هؤلاء الزعماء وعلى ذلك ترى ان العفو لا يفيد بالطريقة المطلوبة الا اذا منح للزعماء والافراد على حد سواء . ومهما كانت بيانات المفوض السامي مشيرة الى سلامة حياة الزعماء وضمانها فهي لا تضمن لهم الحرية بل تجعلهم عرضة للمحاكمة والسجن

ولا ينتظر ان يذعن هؤلاء ويجارون الوفد في خطته السلمية ما لم يطمئنوا بانهم يستفيدون من العفو فائدة عاجلة .

وطلب الوفد انشاء مجلس تأسيسي لوضع الدستور على قاعدة السيادة القومية وكان يأمل ان المفوض السامي بالاستناد الى تصريحاته العديدة يتفضل باجابة هذا الطلب بصورة صريحة بيد ان القرار الذي نشرته الصحف اليومية جاء مضعفا لهذه الامنية ومهددا الدولة السورية بخطر جديد للتجزئة لانه تضمن اجتماع نواب كل لواء على حدة وتقرير الروابط السياسية بين لوائهم والالوية الاخرى حتى اذا قرر احد الالوية او احدى الولايات الانفصال عن الوحدة الحاضرة يجاب الى ذلك وبهذا يتيسر لدعاة الانفصال ان يمثلوا دورهم بدسائس جديدة لتمزيق البلاد السورية وانشاء دول جديدة فيها علاوة على العدد الموجود في حين ان استشارة الالوية بواسطة ممثليها قد تمت في المجالس التمثيلية السابقة فقد قرر مجلس النواب الحلبي الانضمام الى دمشق كما قرر مجلس النواب الدمشقي الانضمام الى حلب وتألف من المجلسين مجلس واحد قام بوظيفته مدة سنتين وعلى ذلك يكون الاستفتاء قد تم بالطريق القانوني واصبحت الوحدة بين حلب ودمشق قضية محكمة لم يعد من الجائز الرجوع اليها واعادة الاستفتاء مرة ثانية ولو صح ذلك لجاز تكرر هذه الاعادة كلما اجتمع مجلس تمثيلي جديد فالوفد يرى ذلك افتئاتا على الوحدة السورية ويعد هذا القرار مهددا بتمزيق جديد وهو قادم لطلب توسيع الوحدة وضم البلاد المسلوخة » .

« ان هذه القاعدة المسنونة في قرار الانتخاب المذكور هي محصورة في الالوية السورية فقط في حين ان الالوية اللبنانية لم تكلف مثل هذا الاستفتاء بل ترك الامر للمجلس النيابي العام يقرر فيه مجتمعا . فاذا كان الاستفتاء اللوائي يطبق في سورية يصبح من الواجب تطبيقه في لبنان

هو شرط العفو والدستور ويخشى ان تفضي اطالة الحركات العدائية في سورية الى الخراب والجوع . فقولوا هذا للمقاتلين الذين يحاربون انفسهم ويحاربون تحقيق امانيهم وآمالهم نفسها لانهم لو القوا السلاح لاستطاعوا الاشتراك في الانتخابات التي ستجري في كل مناطق سورية المتمتعة في الوقت الحاضر بالسلم . كما اني أفوض اليكم القول لهؤلاء المقاتلين الذين لم يرتكبوا جرائم تتعلق بالحق العام والذين لم يتولوا اية قيادة في تلك الثورة ان كل من جاء منهم في مدة خمسة عشر يوما الى مركز قيادة الكولونيل اندريا العامة وسلم سلاحه يستطيع العودة الى منزله بدون خشية . واما الزعماء الذين يقدمون خضوعهم في المهلة نفسها فلا يسعني ان اعدهم قبل السلم الا بتأمين حياتهم واني اتمنى من كل قلبي ان لا يكرهوني على استخدام النجدات التي امدتني بها بلادي كي اتمكن في وقت قريب من القول لفرنسا ان تمتنع عن ارسال الجنود فلنسرع في توطيد السلم وتوطيد الدستور الذي يتلوه وفي ايجاد جو يساعد على المناقشة في المشاكل الكبرى بأجمعها من دون ان يكون هنالك مجال لاتهام الدولة المنتدبة بالرغبة في الضغط على اي كان وبدون ان تتهم اية مدينة كانت بالسعي للاجحاف بالمدينة الاخرى » .

« اما الآن فقد تقررت الانتخابات حيث يسود السلام بيد انها ستجري في سنجقي دمشق وحوران بعد تاريخ الغاء الاحكام العرفية بشهر على الاكثر وان المجلس التمثيلي الذي سيكون وليد هذه الانتخابات يستطيع تقرير الدستور واعضاؤه الذين يقررون شكل الحكومة لا انا ولا انتم » .

« في لغتكم مثل عربي احبه كثيرا يقول ــ صديقك من صدقك لا من صدقك ــ ولقد سمعت اقوالكم جميعا فاسمحوا لي ان اسرد على مسامعكم حكاية كان في احد البلاد الجميلة رجلان فاضلان ابتاعا قطعتين من الارض واسعتين فقضى احدهما وقته في بناء الجدران حول ملكه وكانوا يتهمونه

عن خطأ او عن صواب بأنه يعتدي على ملك هذا وذاك فاختصم مع كل الجيران وتشاجر معهم وانتهى به الامر الى الأفلاس قبل ان ينتهي من بناء منزله على ان الآخر اهتم اولا ببناء منزله وباتخاذ ذلك المنزل مسكنا له وبدعوة اصدقائه اليه فازدادت ثروته وكان سعيدا ومحبوبا من جيرانه الذين وثق معهم العلاقات الاقتصادية التي لا غنى عنها لنجاحه ونجاح الآخرين » .

« فهذه هي الطريقة السلمية التي انصحكم باتباعها ــ لقد استقبلت منذ وصولي وفودا عديدة ابدت آراء مختلفة وليس في وسع وفد من الوفود ولا في وسعي انا ان نقرر مصير هذه البلاد فالامر منوط بالانتخابات فاعملوا أيها السادة على توطيد السلم في القريب العاجل والسلم يتيح لسورية ان تقول كلمتها وهكذا تكونون قد خدمتم وطنكم وبلادي تشكر لكم اعمالكم هذه لانها تتمنى السعادة لكل البلاد المشمولة بالانتداب كما اني اتمنى سعادتكم » .

رأي الوفد ببيان المفوض

بعد ان وقف الوفد على ما جاء ببيان المفوض قرر التمسك بمطاليبه والف لجنة من السادة عارف القوتلي وفارس الخوري ورشدي الصفدي كي تتصل بالمسيو ميليا فتقدم اليه تعليق الوفد على جواب المندوب . واليك نص ما تسلمه المسيو ميليا :

« يرى الوفد ان التصريحات التي تفضل بها المندوب السامي لا تكفي لاجابة رغائب الامة وتلبية مطالبها المشروعة ولا يستطيع الوفد ان يتفاءل بها لتحقيق الرغائب واعادة السلام الى البلاد لان الفقرة الأولى التي تضمنت مطالب الوفد بخصوص العفو العام لم تقترن بنتيجة كافية كي تقنع

٥ ـ تقرر اللجنة القرارات الخطيرة بالاشتراك ولا يبت في أي امر حربي كان او بوظيفة حربية مستقلة الا برأي القائد وتناط بالقائد جميع الاعمال الحربية ولا يجوز لاحد ان يتدخل بالاعمال العامة .

« ملحق : الكسب الهامل اي الغنم الذي يحصل بدون قوة هو مال عام القضية واما الكسب الذي يحصل بالقوة اي في اثناء القتال فاذا كان بندقية او حصانا فهو للغانم واما اذا كان مقادير كبيرة فتحفظ باسم المصلحة العامة وتمنح مكافأة للغانم ..

« تعين الغرامات الخاصة والعامة بقرار خاص وجميع ما يرد من الاعانات يعتبر كمال خاص للقضية ومحظور جدا على اي رئيس كان التصرف بالاموال العامة وممنوع جدا القيام بأعمال اللصوصية من اي كان كما ان الاعمال الفردية ممنوعة ايضا » .

توجه المجاهدون نحو الغوطة حتى وصلوا قرية الهيجانة ومنها الى بحرة العتيبة فالعبادة فالقاسمية وما ان صاروا على منافذ الغوطة حتى نشبت بينهم وبين القوى الفرنسية معركة لم تكن بذي بال اذ هزمها الثائرون ودخلوا القاسمية عنوة وتابعوا السير الى النشابية وفيها دار للحكومة وهي ناحية فيها مدير لادارة شؤونها وشؤون ما يتبع لها من القرى . وقد احتلوها وضبطوا اضابيرها وبارحوها الى حوش خرابو حيث دخلوه عنوة ومنه ساروا نحو الزور « زور بالا » للتحصن فيه كما كان شأن العصابة الاولى في باديء الثورة .

علم الفرنسيون بمكان الثائرين وقد كانوا على غيظ شديد لما كان من الوطنيين في الغوطة فيهاجموهم بجند كثير وعتاد عظيم وداهموا الثائرين من كل جانب فقامت سوق الحرب هناك قياما فظيعا واشتد الهول وتضاعف الجهد وحمي وطيس القتال وامتد امد العراك سبع ساعات متوالية استشهد فيها كثير من الثائرين بينهم بطل الميدان الشهيد ابي خالد نجيب .

لقد كان موقف هذه الاسود بين تلك الادغال موقف الرئابيل على ابـواب العرانين داهمها من الدخلاء والخوارج مـا استفز في رؤوسها حمى الذود والزب والدفاع فكرت على هؤلاء الاجانب تصدم حديدها الملتوي امام فولاذ القلوب وترد نارها المتأججة بجحيم من ايمان يصهرها صهيرا ويذيبها ذوبا وتدفع الغارات بتيار جارف يأتي على المداهم المهاجـم كمـا تأتي النـار على القش اليابس هنالك كان الزئير يتجاوب صداه في تلك الربوع والحماس يشتد من حين الى حين فيحمل القوم على عدوهم حملات صادقات يبرهنون لـه من هو العربي اذا استثير واستغضب واستبيح حماه . فكانوا صخرة على العدو هدها السيل من عل . وكانوا لا يبالون بما تمطره السماء عليهم مـن قنابل وما تفجره الارض عليهم من قذائف وبما يتوالى فيهم بين الفينة والفينة من رصاص لانهم فقدوا كـل حس في تلك الساعة الا حس تطـلاب النصر عن طريق الموت والا حس الاندفاع على العدو بحزم وعزم لا يعرف انيا ولا يدر كللا . واننا لنذكر ما كان من آل العسلي وسواهم من المجاهدين الابطال وفي طليعتهم المجاهد الكبير صبري العسلي من البلاء الحسن والتضحية الجسيمة وضروب القتال في معـارك الغوطـة مما يسجل للجميع بالتقدير والاعجاب والاكبـــار .

وظلوا كذلك والنـار تعمل فيهم العمل الذريع والفتك المريع غير ان نارهم كانت ما تصل الارض ولا تذهب الا بجسد لذلك كـان تأثيرهم علـى القوى تأثيرا عظيما وفتكهم فيها فتكا بليغا وافنـاؤهم الكثير كان افناء وبيلا .

لقد سالت في هذه المعركـة الدماء وديانا وتصاعدت الانات تصاعدا كان يشق عنان السماء وتعالت اصوات الاستغاثة من الاعداء تستخرق السبـع الطباق فكانت معركـة تمتاز عن سواها من المعارك بالهول الذي يخيم فيهـا واقام في جوهـا وتناول كل أفق من الآفاق فيها ...



من أبطال الثـورة المغاوير المجاهد الكبير السيد صبري العسلي

وظلوا كذلك حتى اقبل الظلام وهنالك جمع بعض الاحياء جرحاهم وقد حملوهم الى دمشق للاعتناء بهم والباقي الصحيح من الثائرين لم يقنع بغير الزحف على قلمون . وهنا عندما احست القوى الفرنسية بهم عمدت الى مطاردتهم فتفرقوا عند مسرابا فتوجه الامير عز الدين برجاله في طريق حمورة وسلك سعيد العاص سبيل الاشعري وعاد عنه فسلك طريقا آخر غيره حتى بلغ حوش فارة وواصل السير الى أن كان الصباح فاذا به قريبا من قصير دوما . فخشي ان يعلم به الاعداء فيظفرون به فكمن في كهف هناك بمساعدة الاهلين حتى كان المساء وفيه توجه نحو القلمون الى ان بدت تباشير الصباح وعندها التجأ الى الشعاب وطفق يسير ليلا وينام نهارا حتى بلغ الشرق العربي ..

أما الامير عز الدين الجزائري فقد توجه نحو عين الصاحب بطريق دريج فباغته الجند هناك فدار بينه وبين الفرنسيين عراك صارم وقتال هائل ونضال مميت ابدى فيه الامير الكبير من الشجاعة والبسالة والمقدرة مما سطر له في قلوب اعدائه اعترافا بالبطولة والشجاعة والفتوة ، كان الامير يجد في القتال لكي يبلغ العين فيتحصن في مغارة فيها وقد تم له ما اراد فوصلها ولكن بعد جهد جاهد وعناء زائد وفقد رجال ابرار . وهناك تحصن فيها واصلى من كان يقترب من الجند نحو الكهف نيرانا حامية جدا ومن البداهة ان الجيش قد التف حول مكان الامير التفاف الهالة بالقمر او السوار بالمعصم وما كان هذا الجمع الحاشد ليقف مكتوف الايدي لا يعيد ولا يبدي بل كان يحاول المحاولة الشديدة العظمى أن لو يصل الى الاسد الرابض الحامي عن حماه وبذلك كانت تشتد رحى القتال وكان يحمى الوطيس بين الفريقين حموا كالنار سعيرا وقد اشتد اوار الجلاد بين الفريقين فكان بنسبة ضآلة عدد المجاهدين معكوسا شجاعة وبسالة وتضحية وكان يستحر النضال كلما زاد زمن الحرب وقد ابدى الامير ورجاله من الصمود والاستبسال

في هذه الواقعة ما يحير ويذهل ويدهش لا سيما واخوته سعيد اليماني ونعمان الجيرودي واحمد التلفيتي والصخري فهؤلاء قد قضوا شهداء في ميدان الشرف اذ بذلوا الجهد الجهيد للوصول الى الجبل فلم يبلغوه فخروا دون الوصول اليه صرعى يبتسمون للموت لانهم قاموا بما ينبغي عليهم فسمت نفوسهم ورقت ارواحهم وكانت في آفاق السماء تبتغي عليين .

ظل الامير الباسل في غاره يزمجر زمجرة الاسود ويثب وثبة الرئابيل ويدور مجاهدا دورات الابطال ويكر على الاعداء من نفس كهفه كر الليل على النهار . وظل كذلك حتى الزوال وقد تكأكأت مفرزات الجيش من كل حدب وصوب توالي رمي مكانه بالرصاص والنار وكان عددها يبلغ الالف رجلا . فرغم هذا العدد العديد ما كانت هذه القوى لتجرأ على مهاجمته في معتصمه لانه قد جندل منهم اكثر من سبعين قتيلا وافعم ساحة الحرب من اشلاء الاعداء فاشتد الامر على المجاهدين وازداد الكرب وعظم البلاء وسقط عدد كبير منهم فداء عن الوطن ولم ينج من هؤلاء المجاهدين البواسل الا تسعة ابطال فقط .

ضاق الامر بالامير ذرعا ولم يعلم الفرنسيون وسيلة للوصول اليه الى ان أسعفهم بعض ممن جف ماء الانسانية في عروقهم ونضب دم البشرية من اجسادهم وذهب من نفوسهم وقلوبهم الوجدان والضمير والشرف فدلوا الاعداء الى مقر هذا الاسد عن طريق مجهول غير مألوف وواصلوا السير فيه الى ان كانوا امام الكهف من الناحية التي يعلم البطل الامير انها تؤدي الى مكانه وهناك فاجأه العدو ومن معه بالقذائف اليدوية التي كانت تتفجر لديه والتي اصابت شظية من واحدة منها ساعده وقتلت رفيقه ابا قاعود أحمد وكان حينئذ عتاد الامير قد نفذ ولم يعد لديه رحمة الله عليه من الذخيرة والرصاص ما يمهد له سبيل الدوام على الجهاد طويلا ناهيك عما

كان يؤلمه من جرح ساعده فاستيأس واستبسل وقفز من الغار يهم بالخلاص فما كان من الجند الا ان تألبوا عليه واحاطوا به وسدوا دونه كل مسلك . وانهالوا بالنار يصلونه بها دراكا وتباعا فاستقتل رفيقاه المغربيان وأبليا من دونه البلاء الحسن وذبا عنه يدفعان الاعداء زمنا طويلا وحلقت في تلك الساعة في السماء اثنتي عشرة طائرة فباغته احد ضباط الجركس حاجي بك وفي يمينه قذيفة صائحا بالاسد الشجاع بما معناه « ايها الامير سلم تنج » وما كان يدري وقع كلامه في نفس رجل دلل على وطنيته ورجولته وشجاعته في كل ميدان من ميادين القتال وفي كل ساحة من ساحات الشرف فما كان يخطر ببال هذا الجركس انه كان يخاطب رجلا له نفس الامير وقلب الملك وروح اعاظم الرجال بل كان يظن انه يوجه كلامه الى رجل مثله لا يقدر الحياة ولا الموت ولا يعرف الشرف ولا المروءة ويجهل الوطنية والوطن والواجب والحق . أكبر الامير الشجاع من ذلك الوغد ان يطلب اليه سلاحه وما درى ان السلاح لا يعطى وفي المرء عرق ينبض او فؤاد يخفق فثار الامير بوجه هذا الرجل يقول : « لقد خسئت ايها اللئيم فاني ما امتضيت سلاحي وارهفت من عزب حدته لاتخلى عنه الى مثلك سريعا وما استل فارس صارمه الا ليغمده في الاحشاء لا ليسلمه الى الاعداء فرارا من موت طالما سعى اليه » قال هذا واردف يضيف على ما قال « خذها من يد امير وهكذا التسليم » ... وما ان اتم آخر كلمة من فيه حتى كان مسددا نحو الشركسي مسدسه يطلق النار عليه مما دفع ذلك الضابط لاطلاق رصاص بندقيته عليه من يد ترتعد برجفة الموت وصفعة الجبن وفي النفس الاخير . ولكن كانت اصابت من ذلك البطل الصنديد مقتلا وبالحقيقة قد فتحت امامه سبيل المجد وشقت طريق الفخار ونصبت سلما بينه وبين السماء ليبلغ جنات عدن محمولا على اجنحة ملائكة الله جزاء وفاقا .

عندما يحز بنـا الالم نفسا من شركسي ما لايظنن اشراف الشراكسـة اننا نبخس الناس اشياءهم او اننا نكون معتدين .

انا لنذكر للمحسن احسانه كما نجازي المسيء باساءته وانا لنسجل العمل اليسير المجيد ، بالشكران والثناء المزيد . وكما نحمل على من يطعن الامـة والوطن في صميمها ننحني ونبارك ونشيد بذكر من يقيـم نحوهـا بيسـير من عمـل .

مهدنا بهذه الكلمة اعترافا بفضل احـد متطوعة الشراكسة الذي كـان في ذلـك الحادث شاهد عيان . فان هذا الشركسي الشريف لم تقو نفسـه على رؤيـة ذلـك الامير لما رآه منـه من حميـة وتضحية وسمو ان يجهـز عليـه وهو حتى لم يستطع ان يدافع عنه ففلى اجيج الحس النبيل في صدر هـذا الشركسي النبيل وكبر عليه ان ير الشجاعة تنتحر والبسالة تغور ففر من الجيش الى بلاده يترك في نفوس سورية والسوريين له اعظم الاثر الخالد والامتنان مدى الدوران . . .

للطبيعة فلتـة وللامم في بعض الاحيـان غلطة وعلى المؤرخ المنصف ان لا يترك شاردة ولا واردة الا احصاها . نحن لا ننكر اننا في كثير من المواطن كنـا نشجب على الفرنسيين ما قاموا به من تدمير للدور وقتل للاطفال وغير ذلك من الافاعيـل التي لا يقرها اخو وجدان او ذو ضمير . اجل نحن لاننكر ذلك والى جانب ذلـك نذكر للفرنسيين ما يعملونه من انسانية وان قل ذلك منهم ــ وتجلة واحترام . كما كان شأنهم عندما جيء بجسمان البطل العظيـم والمجاهد الكبير المرحـوم الامير الجزائري الى المستشفى العسكي وما كان من الجنرال فالييه قائـد دمشق عندما اخذ بتسليمه لاهله بحضور المنـدوب الممتاز المسيو بير آليب ومـا فاه بـه من الكلم راثيا ومؤبنا ممتدحا للامـير خصالا ومزايا ومعترفا بما انطوى عليه ذلك البطل من شجاعة فائقة وبسالة

خارقـة وقتال كبير منحنيا بكل احترام واجلال رافعا قبعته بكل تجلـة وتعظيم يقدس في ذلك الجثمان نفس الموت ونفس الحياة بآن واحد وما كان رفاقه الحضور بأقل موقفا منـه من فقيدنا الحبيب . وبذلك سجلوا على افئدتنا لما كان منهم في ذلك الموضع شيئا من سلوى وعزاء .

وعلى الاثر لم يعد من عصابة في الغوطة فكان الامير رحمه الله هو شعلة الحماس ووقدة الشعور ولهيب الهمم حتى اذا ما خبا ذلك الضوء الذي كان متألقا انطفات جذوة كل شيء في تلك الربوع ...

موقف بريطانيا من الثورة السـورية

لقد كان يتراآى الى الفرنسيين ان دولة بريطانيا هي التي كانت تمد الثورة السورية وتغذيها حتى استطاعت ان تدوم المدة التي ظلتها شابة الاوار . وكان من الرجال الذين قام تلقاء الفرنسيين بذلك الجنرال ساراي والجنرال غاملان اخذا على نفسيهما القيام باقناع الراي العام الفرنسي ووزارة الحربية الفرنسية وكان هؤلاء الرجال يدعمون ملفقاتهم وترهاتهم والاكاذيب بتقارير لا صحـة لهـا وبأقوال باطلة لا ظل لحقيقتها وقد زعم الجنرال غاملان في رسالة سرية بعث بها الى وزارة الحربيانا في فرنسا انه يدعم مدعاه الذي ادلى به والذي نوهنا عنـه بشهادة زعيم درزي معروف كان واقفا بحكم مكانته السامية على كل شيء بشأن الثورة السورية وشد الانكليز ازرها وما كان ليتورع هـذا انجنرال عن ان يسند الى البريطانيين انهم كانوا يوالون نجدة الثائرين بالذخيرة والمآكـل والمال . وقد امتـد به الامر الى أنه كان يعزو تردد الكثير من ضباط انكليز على الجبل للقيـام بتوزيع الميرة والارزاق والذهب .

دبج الجنرال ساراي في الخامس والعشرين من اغسطس كتابا الى صديق له قال له فيـه ما معناه : « انا لا اعتقد بأن للبلشفية يدا في الحوادث الاخيرة

بل ان المتدخل الفعلي هو من الجانب البريطاني واستطيع البرهان على ذلك ومن تصفح مذكرات هذا الجنرال يرى انها ملأى بالوثائق التي وضعت وضعاً للتدليل على تلك المفتريات الجائرة .

قد يقول القاريء الكريم ما الذي يحدو بهؤلاء الرجال لان يلفقوا مثل هذه الاكاذيب وان يدبروا امثال هذه الاباطيل ولعله يدرك من غير ان يورد هذا السؤال من ان موقفهم المرجرج امام الشعب الفرنسي والموقف غير المشرف الذي وقفوه في هذه الربوع والذي اثار حفيظة الرأي العام الفرنسي عليهم دعاهم لان يلتمسوا سبيل ما يعتذرون به امام الامة الفرنسية فراحوا يقولون انهم ارغموا على ركوب ذلك المركب الخشن وعلى سلوك تلك السياسة الغاشمة مندفعين بذلك المبرر الذي اوجدوه من لاشيء . وهم بصنيعهم هذا شاؤوا ان يحدثوا في ارواع الامة الفرنسية النبيلة انهم قاموا بما قاموا به من الاعمال التي لا يقرها اخو الحجى ولا يقول بمثلها ذو لب قمعا لثورة نفخ في نارها يد غريبة اجنبية . وبذلك كانوا يرهبون الجمهرة الغفيرة من الرأي الفرنسي بأن اهالي البلاد في رضى عن الحكم الفرنسي غير مستثقلين ظله ولا متبرمين به وان التدخل الاجنبي هو الذي اضرم ثورة ما كان ليندلع لسانها لولا ذلك التدخل .

على ان الحقيقة التي لا نكران لها ولا مرية فيها هي ان انكلترا كانت في كل الادوار التي تعاقبت على سورية ابان الثورة البا على الثائرين سعياً وراء ارضاء الفرنسيين . والتدابير التي لجأت اليها بريطانيا العظمى في الشرق العربي فحالت دون تخطي الثائرين الحدود السورية مجتازة تخوم الشرق العربي وارسال انكلترا في اوائل اغسطس الدبابات والمصفحات لهذا الغرض كل هذا دليل واضح على ان بريطانيا لم يكن لها اقل علاقة او مدخل في

الثورة السورية . واذا كان من البراهين ما يؤيد حجج بعض الفرنسيين امام الرأي العام الفرنسي فبرهان بريطانيا على عكس ذلك انذارها كلا من الثائر المعروف اذ ذاك حسن الحكيم والمحامي الشهير سعيد حيدر بوجوب براح عمان غب وصولهما الى تلك الديار في الرابع عشر من ايلول عام ١٩٢٥ يوم ان قدموا على تلك المنطقة من الجبل الاشم . وسفرهما فورا الى معان التي كانت يومئذ تابعة لاراضي الحجاز خير ما تجنح به بريطانيا على ما الصقه بها الجنرال غاملان والجنرال ساراي وسواهما .

ودليل اكبر من كل هذا تدلل به انكلترة على تلفيق تلك الانباء الباطلة قبضها على الاستاذ جميل مردم عندما كان في حيفا بأواخر ايلول من تلك السنة . وغير ذلك من البراهين والدلائل التي تدعم حقيقة موقف الانكليز من الثورة السورية حتى أن الامير عبد الله جمع شيوخ شرقي الاردن لاقناعهم عدم التدخل بالثورة السورية خصيصا وهددوهم بالعقاب عند المخالفة وكذلك الجنرال بيك باشا قائد الجيش العربي العام في الشرق العربي جمع شيوخ اربد واطلعهم على وجوب التزام الحياد التام تلقاء الثورة السورية وعدم محاربة الفرنسيين وعدم السفر الى سورية . وفي العشرين من ايلول سنة ١٩٢٥ اذيع في قاعدة شرقي الاردن بلاغا رسميا بالنص التالي :

« رعاية لقواعد الحياد التام بسبب حوادث سورية الحاضرة لا يسمح لأي كان بأن يعبر الحدود الفاصلة بين شرق الاردن وسورية من بعد الغروب حتى الفجر ويجوز في اثناء النهار عبور الحدود بشرط ان يقدم العابر نفسه الى احد المراكز الآتية :

في المفرق : الى قائد فصيلة الجيش العربي .

في الرمثا : الى قائد فصيلة الجيش العربي .

في أم قيس : الى الحاكم .

وقد شاء اهل فلسطين القيام بتظاهرة وطنية تأييدا لسورية فمنعتهم الحكومة فاحتجت اللجنة التنفيذية في القدس داعية المسلمين الى الدعاء بعد صلاة الجمعة يوم ١٨ ايلول سنة ١٩٢٥ والمسيحيين الى القداس يوم الاحد في ٢٠ منه للابتهال الى الله تعالى بمعونة الثائرين وان يؤيدهم بنصر من عنده .

واحتجاج اهل فلسطين واضرابهم يوم مجيء دي جوفنيل ومروره فيها وكتابة البعض على جدران القدس الشريف بأحرف ظاهرة (ليسقط المسيو دي جوفنيل جلاد سورية) واضراب ثالث الحرمين القدس كل ذلك دليل على ما ذكرناه .

وقد شدد البريطانيون على الثائرين في الازرق وضيقوا عليهم تضييقا شديدا ومنعوا الكثير من الرجال من الاقامة فيه .

وفي العاشر من نيسان اعلنت الادارة العرفية في الازرق بمرسوم أذيع في عمان كما يأتي :

« بما ان البلدان الواقعة حول الازرق اصبحت بحالة قلق اعلن لاشعار آخر ان المنطقة المبينة في ما يأتي هي خاضعة للحكم العرفي وكل من يخالف ضمن حدود هذه المنطقة اوامر السلطة العسكرية يعرض نفسه للمحاكمة امام مجلس عسكري ويجازى بالعقوبات التي تشير بها السلطات العسكرية . ان المنطقة المعلن فيها الحكم العرفي هي محاطة بخط بين المراكز الآتية :

« من تلول الرقيات ــ حمام الصارة ــ قصر العمرة ــ ومن آخر نقطة واقعة الى جنوب قصر العمرة الى طريق بغداد ــ وطول طريق بغداد الى جبل كرما ــ شمالي غربي تلول الشبهات ــ شمالي تخوم شرق الاردن الشمالية » .

وان القائد البريطاني في الازرق لم يكن اقل حماسا وانتصارا للفرنسيين من شرقي الاردن اذ اذاع في الثالث عشر من نيسان سنة ١٩٢٧ البيان التالي:

« حيث ان الاوامر الصادرة التي تقضي بأن تستعمل منطقة الازرق ملجأ للنساء والاولاد ولغير المحاربين فقط لا ملجأ للحاربين او مكانا للحرب والقتال لم تنفذ ، لذلك فقد اعلنت الحكم العرفي في الازرق والمنطقة المجاورة له وقد اتخذت الترتيبات لارسال قوة من الجند لتنفيذ اوامري هذه . ان الاولاد والشيوخ مسموح لهم في البقاء بالازرق على ان لا يسمح للرجال المسلحين ومن يرى قائد القوة بأن وجودهم في المنطقة مما يهدد السلام في البلاد بالبقاء في تلك الآونة ولذلك فاني آمر جميع هؤلاء بأن يغادروا منطقة شرق الاردن » .

وقد اصدر الكابتين كروب قائد منطقة الازرق في سابع عشر حزيران سنة ١٩٢٧ المنشور التالي :

« بما ان الشروط التي بموجبها تمكن مساعدة الموجودين في المنطقة العسكرية الآن للرجوع الى اوطانهم فقد اعلنت واذيعت فاني اعلن هنا بأن جميع الذين ليسوا من سكان شرق الاردن والذين ليس لهم وسائط معيشة ظاهرة في الازرق يجب عليهم العودة لاوطانهم بدون تأخير وعليه أعطوا مهلة ١٤ يوما من تاريخ هذا الاعلان حتى يمكنهم تجهيز انفسهم للرحيل وبعد انتهاء هذه المدة يطرد من المنطقة كل من يخالف هذا الامر » .

واستطاع الفرنسيون عن طريق مدير استخباراتهم الكولونيل ارنو ومستشار درعا وقاضي المذهب الدرزي الشيخ محمود ابو فخر ان يقنعوا بمعونة الكولونيل كوكس معتمد بريطانيا في عمان والكولونيل سترادفورت قائد الطيران البريطاني في الازرق كلا من عبد الغفار باشا الاطرش وعلي الاطرش واسد الاطرش ومتعب الاطرش بالاستسلام للسلطة الفرنسية فاستسلموا .

الثورة والعصبة

سبق لنا القول في غير هذا المكان من الكتاب أن اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني قاموا بالخدمات الجلى في البلاد الاوروبية دفاعا عن

القضية السورية وسعينا وراء ابلاغ البلاد امانيها . وقد اتينا على نشر الجانب الكبير من تلك المذكرات والتقارير ولا نرى بدا من اثبات البرقيات والاحتجاجات والكتابات التي نحن بحاجة الى سردها تنويرا للرأي العام السوري العربي واعترافا بجهود هذه اللجنة الكريمة ومساعيها وهاهي البرقية التي بعثت بها الى جمعية الامم في الثامن من ايلول سنة ١٩٢٥ :

« قررت اللجنة التنفيذية ان ترفع الى جمعيتكم المحترمة مرة اخرى ما نتمناه من ظفر المبادىء التي قامت عليها اعظم هيئة انشئت لاقامة العدل والسلام ولتكون ملجأ للشعوب المظلومة وتستميحكم اللجنة عذرا بتذكيركم بأنها كانت ترفع اليكم كل سنة شكاوى ومطالب الشعب في سورية وفلسطين ولكن يظهر ان الاهتمام اليسير الذي لقيته تلك المطالب من جمعية الامم دفع قسما من الاهالي الى اليأس وأفضى الى حالة محزنة تتخبط فيها البلاد اليوم وتظهر هذه الحالة ظهورا محزنا في الدماء التي تسفك والقرى التي تدمر فاللجنة ترجو مرة اخرى من جمعيتكم المحترمة ان تتدخل في الامر وان لايقتصر تدخلها على وضع حد لاعمال التخريب التي تجري في سورية الآن لمنع القتال من ان يتطور تطورا يجر الكوارث بل يتناول على الاخص سماع صوت الشعب الذي يطلب العدالة في سورية وفلسطين وذلك بارسال لجنة تحقيق تبحث عن اسباب الثورة الحقيقية وتقف على شكاوى الاهالي وتسمع اصواتهم مباشرة بطريقة لا تشوبها شائبة وها ان اهالي تلك البلاد التاعسة يضعون في جمعية الامم وتدخلها المباشر بقية ما عندهم من امل في العدل والانصاف وما برحوا يعدونها الملجأ الوحيد » .

وها هي المذكرة التي تضمنت مقترحات الامير شكيب ارسلان بشأن القضية السورية المقدمة من قبله الى المسيو دي جوفنيل عندما طلب هذا الاخير الاجتماع بالاول في عاصمة الفرنسيين وسلمه اياها :

« نعترف بأن فرنسا تقدر على تدويخنا بالقوة لكننا واثقون بأن شرفنا القومي يأبى الا ان نرفع رؤوسنا فيما بعد عند كل فرصة ملائمة ولهذا نرى انه لا يصعب لاجل مصلحة الامتين ايجاد شكل وئام وسلام بين فرنسا وسورية يضع حدا لاسباب النزاع بيننا .

ان فرنسا منذ سبع سنوات قد بذلت مليارين ونصف مليار من الفرنكات في سورية وتلف نحو عشرة آلاف عسكري من جيشها - لم تدخل في هذا الاحصاء قتلى الحرب السورية الى الساعة الحاضرة - وقد خسرت في البلاد العواطف التي كانت تعتمد عليها حتى في الاوساط الكاثوليكية . أفلا يمكن النظر في حل لهذه الازمة يغنيها عن اطراد الخسائر المستمرة التي هي مضطرة اليها واسترداد العواطف التي خسرتها ؟

نعم انه مع حسن النية ونظرة صائبة في مطالب الفريقين يمكن الوصول الى ذلك . فالسوريون يطلبون قبل كل شيء استقلالهم التام الناجز نظير سائر الممالك المستقلة ويبتغون التمتع التام بسلطانهم القومي . ويريدون اذن ان يكونوا داخلين في جمعية الامم أي انهم يريدون الاستمتاع بجميع نتائج الاستقلال من الوجهة الفعلية ومن الوجهة القانونية .

ان اخواننا اللبنانيين يريدون لانفسهم دولة مستقلة بنفسها . فنحن نبتغي هذا الخلاص لدولة لبنان كما لدولة سورية . الا ان هذه الاقضية الثلاث صيدا وصور ومرجعيون ومقاطعة طرابلس واقضية البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا يكون لها الحق بأعطاء الاصوات العمومية ان تختار اي القطرين تريد ان تتبع سورية او لبنان . اما بلاد العلويين فتدخل ضمن سورية .

ومن جملة نتائج الاستقلال الآتي حق كل من سورية ولبنان في التمثيل السياسي الخاص في البلدان الاجنبية . ثم انه لاجل الاعتراف بالضحايا التي بذلتها فرنسا في سورية ولبنان يعترف نواب الشعبين السوري واللبناني لفرنسا بعدد معلوم من المنافع الاقتصادية تلخص فيما يأتي :

السوريون يتعهدون باستثمار خيرات بلادهم الطبيعية اي انهم اذا لم

يقدروا على القيام به مستقلين بأنفسهم لا يلجأون الا الى راس المال الفرنسي والصناعة الفرنسية وان جميع قروض الحكومة والبلديات لاتعقد الا في فرنسا . وان مدربي الجيش السوري يؤخذون من ضباط الجيش الفرنسي. وان تعليم اللغة الفرنسية يكون عاما الزاميا ولا يكون في جمهورية سورية حامية فرنسية لكن اذا اشتهى لبنان ذلك فان سورية لا تعارض فيه كذلك في قضية القاعدة البحرية التي يجوز لفرنسا ان تطلبها . واخيرا لاجل توطيد العلاقات الاخوية بين الامتين تعقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة وتضع سورية في حال الحرب تحت تصرف فرنسا عددا من الجند يصير الاتفاق عليه وانما نزارة دخل سورية تمنعها من تجهيز هذا العدد من الجند فتترك امر تجهيزهم وتسليحهم للدولة الفرنسية كما ان هذه الدولة تأخذ على نفسها ان تخف لمعاونة سورية في حال الخطر

ان تعيين شكل الحكومة في المستقبل يتعلق بارادة الشعب التي تظهر بواسطة نوابه المنتخبين بصورة قانونية . فاذا تم الاتفاق ووقع عليه تؤلف لجان من المتخصصين لوضع جزئيات الادارة الجديدة .

على ان الاتفاق على الخطوط العامة لهذا القرار يجب ان يعقد مع زعماء الاحزاب الوطنية ولا يدخل في ذلك المأمورين .

واذا كان ثمة شك في قبول الشعب بهذه الاقتراحات تعين جمعية الامم لجنة مؤلفة من رجال من البلدان المحايدة ويكون انتخاب هؤء الرجال بالوفاق من كل من الطرفين فتذهب هذه اللجنة الى البلاد لتحقق ما اذا كانت هذه المطالب مطابقة لرغائب الاهلين ام لا .

فاذا وقع على الاتفاقات او وجدت حاجة الى تحقيق لجنة تذهب من قبل جمعية الامم واكملت التحقيقات واتت بها تعلن فرنسا الامان العام حتى يمكن الرجوع الى الحالة المعتادة وتنصرف العساكر الفرنسية تدريجيا وتقوم مظاهر الود مؤذنة بالحالة الجديدة وحينئذ تبدأ المحبة الاكيدة . واما في

دور الانتقال الذي يسبق استتباب الحكومة المنتظمة فيرضى نواب الشعب السوري بالاستعانة بآراء اخصائيين اوربيين يؤخذون من البلاد المحايدة ويكلفون الموازنة على توطيد ادارة منتظمة في البلاد » أ هـ .

وفي منتصف كانون الاول سنة ١٩٢٥ نشرت سكرتيرية جامعة الامم عن الثورة السورية ما يلي :

« تعقد لجنة الانتدابات الدائمة في روما في ١٦ فبراير في الساعة الحادية عشرة صباحا اجتماعها الاستثنائي الخاص بدرس تقارير الحكومة الفرنسية عن ادارة الانتداب في سورية ولبنان وتؤلف هذه اللجنة من المركيز تيودولي الايطالي رئيسا والسنيور فربري وانداراد البرتغالي والسنيور ليوبولد بالاسيوس الاسباني والمسيو روم الفرنسي والسر فريدريك لوجارد الانكليزي والمسيو بيار ادرتس البلجيكي والمسيو فان ريس الهولندي والسيدة حنة بوجدويكسيل الاسوجية والمسيو شيوكي باماناكا الياباني والمسيو وليام رايار السويسري والمسيو حريشو مندوب مكتب العمل الدولي اعضاء » .

على ان المسيو كلوزون ممثل فرنسا في لجنة الانتدابات اذ ذاك صرح قائلا:

« ان اللجنة واقفة على الاضطرابات القائمة في جبل الدروز . وقد اتخذت الحكومة الفرنسية الوسائل اللازمة لاعادة الامن الى نصابه وبدات تنفذ الآن هذه الوسائل فانفذت قوة يقودها الجنرال غاملان الى السويداء في ٢٤ سبتمبر واخذت سلطة الحكومة المنتدبة تعود الى جبل الدروز بحيث جاء كثيرون من زعماء الثورة في ١١ اكتوبر وقدموا الطاعة للسلطة الفرنسية وفي ١٨ منه قدم رؤساء الدين في قنوات وافراد اسرة عامر الطاعة وطلبوا الامان على ان حمد بك وسلطان باشا الاطرش لا يزالان لاجئين الى الجبل ولم يسلما سلاحهما بعد . ثم ان بعض المحرضين من السكان انتهزوا فرصة الثورة

في جبل الدروز وحاولوا احداث اضطرابات حمص وحماة ودمشق بمساعدة فريق من البدو الذين دابهم السلب والنهب ولكن هذه الاضطرابات قمعت على التوالي بكل سرعة وان تهمل الحكومة الفرنسية تدابير تعيد الطمأنينة التامة الى النفوس موقنة بأن لجنة الانتدابات الدائمة سترى نتيجة مجهوداتها في اجتماعها الاستثنائي المقبل .

« ان صك الانتداب يقضي على فرنسا في سورية ولبنان كما تعلمون بأن تسن نظاما اساسيا لهذين البلدين قبل ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ وقد الفت لجنة لهذا الغرض برئاسة المسيو بول بونكور تضم بين اعضائها اثنين من البرلمان واحد المتشرعين وكثيرين من موظفي وزارة الخارجية واحد اساتذة كلية الحقوق واحد الموظفين في مجلس شورى الدولة وبدأت هذه اللجنة في وضع النظام الاساسي (الدستور) لسورية ولبنان بالاتفاق في الرأي مع السلطات المحلية مراعية مصالح السكان السوريين واللبنانيين وآمالهم .

وان اهم ما يعني به المسيو بول بونكور واعضاء لجنته هو تأمين التعاون التام بين ممثلي السكان المفوضين في القيام بهذه المهمة الدقيقة بالاتفاق مع المندوب السامي وعلى قاعدة الاستقلال الذاتي الواسعة النطاق المنصوص عليها في عهدة جمعية الامم وفي صك الانتداب وذلك مع مراعاة جميع العوامل السياسية والجغرافية والطائفية .

« واننا نؤمل ان تساعة الروح الحرة التي تشرف على استشارة السكان على تعزيز الثقة بين الاهلين والدولة المنتدبة تعزيزا يسترعي الانظار . وسيشير التقرير الاضافي الذي تقدمه الحكومة الفرنسية الى السكرتيرية العامة في يناير سنة ١٩٢٦ الى نتائج عظيمة في هذا الموضوع . وهو التقرير الذي سيمكن لجنة الانتدابات الدائمة من الوقوف على الحقائق وابداء ملاحظاتها في الاجتماع الذي تعقده في شهر مارس » .

وقد بعثت اللجنة التنفيذية لدى المؤتمر السوري الفلسطيني بمصر جمهرة من البيانات والمستندات الى لجنة الانتدابات في الجمعية الاممية كي يصار الى درسها في الاجتماع الخاص للثورة السورية بروما في السادس عشر من شباط سنة ١٩٢٦ بتقرير مؤرخ في الرابع من الشهر المذكور واليك نصه :

« يا صاحب السعادة :

كنا قد قدمنا الى سعادتكم بمناسبة اجتماع الجمعية العمومية السادسة لجمعية الامم بيانا مفصلا عن تنفيذ الانتداب في سورية ولبنان كما كنا نفعل في السنوات السابقة . وقد تحققنا الآن والالم ملء نفوسنا ان نظام الانتداب الذي نفذته الحكومة الفرنسية قد افضى الى النتائج المهلكة التي يردد العالم كله صداها السيء في الوقت الحاضر كما كنا نحاذره .

وقد هال حرج الموقف اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني وخشيت وقوع العواقب الوخيمة التي تعرضت سورية لها فأسرعت وطلبت من جمعية الامم مرارا متعددة ان تتدخل تدخلا مباشرا لحجب الدماء بأرسال لجنة تحقيق في الحال الى مكان الوقائع .

ولكن آلام سورية واستغاثات احزابها السياسية في الخارج لم تستطع ويا للاسف ان تمنع لجنة الانتدابات من تأجيل فحص الحالة في سورية الى موعد بعيد هو ١٦ فبراير . فاغتنمت السلطة الفرنسية فرصة هذا التأجيل ولم تتردد في استخدام جميع ما لديها من الوسائل لكي تخمد بالحديد والنار لهيب الثورة التي اضطرمت نيرانها .

على انه لم يبق ادنى شك في مسؤولية عمال الانتداب عن اثارة ثورة جبل الدروز وقد اتضحت هذه المسؤولية كل الوضوح من تقارير الموظفين الفرنسيين ومن التحقيقات التي اجراها اشخاص كثيرون من جملتهم مسيو

كيرللس الذي اوفدته جريدة ايكودي باري الى سورية لدرس الحالة فكتب سلسلة مقالات عديدة . مؤيدة بالمستندات كشف فيها الحجاب الذي كان مسدولا على الفضائح الادارية الفرنسية .

وقد ارسلنا اليكم بتاريخ ٢٩ يناير الماضي المستندات الآتية :

١ ــ نسخة من بيان مفصل عن وقائع دمشق .

٢ ــ نسخة عن عريضة قدمها فيضي الاتاسي متصرف حماه الى المندوب السامي الفرنسي عن ثورة حماه .

٣ ــ نسخة من كتاب الاستقالة الذي قدمه نسيب مسلم الخياط قائمقام الزبداني بسبب ضرب مضايا .

٤ ــ نسخة من احتجاج قدمته سيدات حماه الى المندوب السامي الفرنسي

وهذه المستندات توضح تطور الثورة وامتدادها وتبين وسائل التنكيل والارهاق التي استخدمتها السلطة الفرنسية بدعوى قمع الثورة . وقد ورد فيها وصف لكارثة دمشق وكارثة حماه وتدمير القرى الآمنة في جوار دمشق ومما يزيد في قيمتها انها مستندات صادرة من رجال ذوي صبغة رسمية من انصار الانتداب ومقدمة الى ممثل فرنسا . ونضيف اليها الآن المستندات الآتية :

١ ــ تقرير عن وقائع دمشق .

٢ ــ تقرير عن وقائع حماه .

٣ ــ تقرير عن وقائع وادي التيم ــ حاصبيا وراشيا ــ .

٤ ــ تقرير عن سلسلة من الفضائح التي ارتكبتها الجنود الفرنسية .

وقد استقينا الوقائع المذكورة في البند ٤ من مصادر مختلفة اخصها

بالذكر البلاغات الرسمية الفرنسية والجرائد السورية . وكل ما نقلناه عن الصحف لم تصدر السلطة تكذيبا له . وقد حرصنا على ان لانذكر اية واقعة لم نتثبت من صحتها .

ونقدم مع هذه المستندات بيانا مفصلا بعنوان (المسألة السورية المفاوضات مع مسيو دي جوفنيل في باريس ومصر وبيروت) واضفنا الى هذا البيان ملحقين ـ الاول هو المذكرة التي قدمتها اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الى مسيو دي جوفنيل في مصر . والثاني الكتاب الذي كتبته اللجنة اليه . وفي ذيل البيان تقرير من الدكتور عبد الرحمن شهبندر عن اسباب الثورة ومطالب البلاد .

وهذا البيان يظهر جليا ان جميع المساعي التي بذلها فريق من كبراء السوريين وممثلوا الاحزاب السياسية في سورية وفي الخارج قد اصطدمت بتعنت السياسة الفرنسية واصرارها على السير في خططها الاستعمارية .

فبناء على ماتقدم :

ولما كان اعطاء فرنسا الانتداب على سورية مناقضا للمادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم اذ لم يكن لرغائب الاهالي الاعتبار الاول في اختيار الدولة المنتدبة فضلا عن كون اللجنة الاميركية التي طافت سورية سنة ١٩١٩ قررت ان ٩٠ بالمائة من الاهالي يعارضون في اعطاء فرنسا الانتداب على سورية .

ولما كان الامن لم يستقر قط استقرارا تاما في سورية منذ احتلتها الجنود الفرنسية بل كانت الثورات متعاقبة في جميع الاقطار السورية وابلغت وقائعها الى جمعية الامم في حينها .

ولما كانت مهمة الانتداب تقضي على فرنسا بأن تصون وحدة الاقطار السورية ولكنها اجرت مفاوضات مع تركيا رغبة في الحصول على عطفها

وسلمتها قسما من الاراضي السورية وقبلت حدودا مصطنعة لسورية تركت البلاد تحت رحمة جيرانها من الشمال (اتفاق انقرة) .

ولما كان العرض المعترف به من الانتداب هو ازالة اضرار الحروب ومساعدة البلاد على الترقي والفلاح وارشاد الامة في سيرها الى الاستقلال . ففعلت فرنسا عكس ذلك اذ حولت سورية الى ساحة حرب عم فيها الخراب وتراكمت انقاضه كما وقع في دمشق وحماه والقنيطرة وحاصبيا وراشيا وفي جميع انحاء البلاد . وبدلا من ان تساعد على ترقي البلاد زادت الحالة الاقتصادية حرجا بانشاء بنك امتص ما في البلاد من الذهب وجعلت تداول الاوراق التي اصدرها الزاميا وهي اوراق معرضة لجميع التقلبات فأفضى ذلك الى اضعاف الثقة المالية في البلاد والغت الحقوق السياسية التي كان السوريون يتمتعون بها عندما كانوا في السلطنة العثمانية وحرمتهم في تقرير مصيرهم . وقسمت سورية الى دول ارهقتها بالضرائب لتسد حاجات جيش من الموظفين لا فائدة منه .

ولما كان حكم الشعب بالقوة مكروها في كل حين . وكانت فرنسا قد أثارت الاحقاد بسلوك موظفيها ونزعت كل ثقة من النفوس وجعلت الشعب السوري يعتقد ان فرنسا تسعى الى ابادة قسم من الاهالي ليستفيد قسم آخر .

ولما كان عدم تدخل جمعية الامم في العراك الحالي يسوق البلاد الى الخراب التام ويوجد في الشرق مباءة للاضطرابات الوخيمة من جميع الوجوه ...

فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تناشد جمعية الامم بكل ما فيها من قوة لفحص الحالة الجديدة التي اوجدت في سورية وتأمر في الحال بأرسال لجنة تحقيق تضع قرارا عن الموقف وتعيد الى سورية السكينة والسلام والى جمعية الامم سمعتها الحسنة وثقة الشعوب المكلفة حمايتها .

وترى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ان فرنسا قد فشلت في القيام بانتدابها وان على جمعية الامم ان تعيد النظر في القرار الذي منحتها به هذا الانتداب فتعطي سورية الاستقلال الكامل الذي ما برحت تطالب به .

ولا يسع جمعية الامم ان تنظر بعدم اكتراث الى اطالة حرب مدمرة تجتاح سورية وتغرقها في دماء ابنائها . ولا تستطيع ان تتبرأ من المسؤولية الخطيرة عن الاعمال المريعة التي ترتكب في هذا الوقت » .

وقد وصل الى عاصمة ايطاليا في اوائل شباط سنة ١٩٢٦ رجال الوفد السوري لحضور الجلسة التي ألمعنا اليها الى ان لجنة الانتدابات ستعقدها فيها . وقد رمى الوفد من وجوده ابان ذلك من تأثير ذلك ان استفهم ملك ايطاليا صباح ثامن عشر شباط من مندوب فرنسا عن وضع سورية وضرب دمشق .

وقد رفع المسيو دي جوفنيل بيانا عن الثورة السورية الى لجنة الانتدابات كي تبحثه هذه اللجنة في روما . كما ان روبير دوكه المندوب الفرنسي لدى جامعة الامم كان في العاصمة الايطالية ليجيب على ماقد تسأله اياه اللجنة ابان تدقيق التقرير .

وقد كان يتضمن هذا التقرير شيئا عن الاضطراب السياسي في الجبل الاشم وكان هذا التقرير على امور لم تكن منطبقة على حقيقة الوضع السوري بصورة صحيحة ولم يكن ما أسند الى السوريين لاسيما ما عزي الى بني معروف على شيء من الصحة مما اهاب بالوفد السوري الى تفنيده بتقرير رفعه الى لجنة الانتدابات في تاريخ الحادي والعشرين من شباط فكذب :

١ ــ ما زعم عن نقص الاعمال الفنية عند السوريين في حين ان الاحتلال قضى على يسر البلاد تماما .

٢ ـ ما اتهم به الوطنيين السوريين في مصر وحزب الشعب فقد قالوا انه من البديهي ان تؤيد الجالية السورية في مصر القضية الوطنية . اما الاعانات التي قيل انها ارسلت الى الثائرين فهي وسيلة يقصد منها ايهام الرأي العام بأنه لولا هذه الاعانات لما نشبت الثورة في سورية .

والقول بأن هنالك أناسا يسعون للحصول على عرش سورية من المضحكات فجميع السوريين لا يرمون الا لغرض واحد وهو استقلال بلادهم في ظل نظام ديمقراطي ومعلوم ان حزب الشعب مؤلف من فئات ديمقراطية ومفكرة .

٣ ـ اما فيما يتعلق بمحاولة المسيو دي جوفنيل وضع دستور البلاد فان السوريين لم يحتجوا على ان ولاة الامور في بلادهم هم من المسيحيين او من الترك بل احتجوا لانهم راوهم خدمة للاجانب .

٤ ـ اضرب السوريون عند الاشتراك في الانتخابات الجزئية لاسباب اهمها فساد الاساليب الانتخابية التي ارادت السلطة ان تجعلها على اساس محلي طائفي وان تكون على درجتين بقصد تمزيق وحدة البلاد وتحويلها الى سناجق وانشاء مجالس تمثيلية لا تمثل البلاد تمثيلا حقيقيا .

٥ ـ رد الوفد السوري ايضا على ما جاء في تقرير المسيو دي جوفنيل عن سعي سلطان باشا الاطرش الى الانفصال .

٦ ـ نفى الوفد ما قيل عن اشتداد الاحقاد الدينية والسياسية .

٧ ـ بحث في تمزيق الوحدة السورية .

٨ ـ اشار الى وسائل العلاج التي اقترحها المسيو دي جوفنيل وقال انها وسائل غير ناجعة » .

وقد ادلى المسيو روبير دوكه ابان درس التقرير الفرنسي بتصريحات رأى بها ان يمن على الحلفاء بما حملوا دولته من عبء المسؤولية وما سببوا

لها من تضحيــة كبرى من جراء ما ألقوه على عاتقها من امر الانتداب علـى سورية وقد حمل على السوريين بأنهم لم يساعدوها على تحرير بلادهم ولا على الزب عن حدودهم .

وقد استوضحت اللجنة عن مهمة ممثلي فرنسا في العلاقات الخارجية فقال المسيو روبير دوكه : « طلبت الحكومـة الفرنسية من السوريين مـن يساعدها ابان بحث توزيع الديون وانشأت معتمديات في مصر والولايات المتحدة والبرازيل للاهتمام بشؤون المهاجرين » .

وقد اخذت اللجنة تبحث النظام الاداري للبلاد المنتدب عليها فأفضى المسيو دوكه بالاسباب التي اوجبت اقامة الحدود الحالية للبنان ، وتوزيع السلطـة بين الحكومة المحلية والسلطة المنتدبة . وقد رأى المسيو دوكه ان اهم الامور الحالية هو انشاء هيئة مشتركـة بين جميع الدول السورية لضمان الاستقلال الذاتي في كـل منهـا مـع مراعاة ما تتطلبـه البـلاد من حياة اقتصادية مشتركـة .

في الرابع والعشرين من شباط سـنة ١٩٢٦ كـان يذاع في العاصمـة الايطاليـة ان رئيس لجنة الانتدابات المركيز يتودلي اجتمع بالوفد السوري للمرة الرابعـة وانه تبلغ منه برقيتين من القاهرة تتناولان ما طغى على سورية من حوادث وآلام وقد افضى الرئيس في الجلسة بذلك اليوم ان جامعة الامم لم تتعرض الى توزيع الانتدابات وبذلك لم يعد في طوق لجنة الانتدابات حل ما يتطلبـه السوريون بشأن الغاء الانتداب او تعديله ولا ان يأخذا ذلك بنظر الاعتبار على ان ثلاثة من المندوبين في اللجنـة شاؤوا ان يقام ببحث ما ذكر بشأن سورية ولكن لم توافق الاكثريـة على ذلك ولم تعتـد بما ارتأوه وفي السادس من مارت ارفض عقد اللجنة فأعلنت هذا الانفضاض واتخذت تقريرا فصلت فيـه خلاصة مناقشاتها وفي الثامن من ذلك الشهر رفعته الى مجلس عصبة الامم خاتمة اياه بالملاحظة التالية :

« ان فرنسا تصرح على الملأ انها لا تتبع في سورية ولبنان اي غرض سوى مساعدة الشعوب التي يعترف من الآن فصاعدا بسيادتها واهليتها للحصول على المقدرة التي تمارس بها هذه السيادة بنفسها فيجب ان يسلم بأن الامتناع عن التعاون لتنفيذ الانتداب لا يعجل حلول يوم التحرير العام بل يؤجله فما يظهره السوريون الوطنيون من نفاذ صبر يبدو في بعض الاحيان في شكل عدم اكتراث للانتداب او اعداء له يجب ان يتحول بعد الآن الى تعاون ودي وتأمل اللجنة ان الجهود التي بذلتها بعض الاحزاب السورية حتى الآن في منع نجاح سياسة الدولة المنتدبة في البلاد وفي الطعن في هذه السياسة في الخارج تخصص بعد الآن لتقويتها » .

لقد اخذ المسيو اوندن مندوب اسوج في مجلس العصبة لدراسة ذلك التقرير فعلق عليه بشرح من قبله رفعه الى المجلس باجتماعه المنعقد خلال شهر نيسان سنة ١٩٢٦ وقد اقرته العصبة بعد نقاش قصير وها هو تعريب ذلك :

« ان الاضطراب الذي ساد سورية فلم يسمح للدولة المنتدبة بأن تقدم تقريرها حتى الآن جعل مجلس جمعية الامم يقترح على لجنة الانتدابات الدائمة في دور انعقادها في شهر اكتوبر الماضي ان تطلب الى الحكومة الفرنسية تقديم تقرير خاص عن الحالة في هذه الاراضي السورية يفحص في اثناء اجتماع غير عادي كان يجب ان يعقد في شهر فبراير من هذه السنة وقد اقر المجلس في اجتماعه يوم ٩ ديسمبر الاخير اقتراح اللجنة هذا كما تعهدت الحكومة المنتدبة بارسال التقرير المطلوب وقد تبين بجلاء من التقرير الذي قدمته اللجنة الدائمة للانتدابات عن اجتماعها الثامن غير العادي انها فحصت تقرير الدولة المنتدبة فحصا دقيقا ودرست مجمل الحالة في الاراضي المشمولة في الانتدابات وان محاضر الاربع والعشرين جلسة التي عقدت في خلال مدة تزيد عن ثلاثة اسابيع والتي ستبلغ الى المجلس والى اعضاء الجمعية بأسرع ما يستطاع من الوقت ان هذه المحاضر تنطق بالجهود الصادقة

التي بذلتها اللجنة الى الوصول للاسباب الحقيقية التي اوقعت الاضطرابات في سورية وتشهد بما اسداه المسيو روبير ديكه ممثل الحكومة الفرنسية المفوض من مساعدة قيمة للجنة واني اعتقد ان هذا التقرير وما تضمنه من الفصول التي تعلل المشاكل التي صادفتها الحكومة الفرنسية في تطبيق الانتداب في سورية وبعض خطيئات ارتكبت في اعمال الادارة وحوادث هي اصل لما وقع في جبل الدروز كل ذلك سينير الراي العام عن الاعمال التي عملت في الاراضي المشمولة بالانتدابات ويساعد الدولة المنتدبة على حل المشاكل التي تواجهها ولا اكاد اراني في حاجة الى القول ان المجلس سيقدر تقديرا عظيما الجهود التي ستسعى الدولة المنتدبة ان تبذلها في المستقبل لاحاطة لجنة الانتدابات احاطة تامة بالحوادث التي تحدث بالاراضي المشمولة بالانتداب وذلك بأن تقدم لها من دون ابطاء جميع الوثائق التي قد يهمها الاطلاع عليها وفي جملتها نتائج التحقيق الدقيق الذي دعي المسيو دي جوفنيل الى اجرائه وقد اقر خبراء الجمعية الاخصائيون باتفاق الآراء تقرير اللجنة ولما كانوا قد حققوا ما جاء فيه تحقيقا دقيقا فانه يلوح لي انه ليست هنالك حاجة ما الى ان يفحص المجلس بالاسهاب الامور العديدة التي عالجتها اللجنة وقدم عليها ممثل الدولة المنتدبة المفوض ملاحظات في تعليقه الملحق بهذا التقرير وعليه اتشرف بأن اقترح طبقا للطريقة المتبعة احالة هذا التقرير الى الدولة المنتدبة والرجاء منها بأن تتفضل بمنحه ما يستحقه من عناية واهتمام ومع هذا فأظن ان هنالك شيئا من الالتباس في نقطة من نقط تقرير اللجنة وملاحظات الممثل المفوض للدولة المنتدبة فيما يختص بابلاغ جمعية الامم الاتفاق الجديد الذي عقده المسيو دي جوفنيل في انقره فاللجنة لا تستند الى روح المادة الثالثة من صك الانتداب وحده بل تستند ايضا الى المادة الرابعة التي تنص على ان (تضمن الدولة المنتدبة اراضي سورية ولبنان من كل ضياع او استئجار يقع عليها او على قسم منها ومن وضع اية مراقبة لسلطة اجنبية عليها) والذي يلوح لي انه يجب ان يستخرج بالضرورة من

نصوص هذه المادة ان المراقبة الاجبارية على الصلات الخارجية للاراضي المشمولة بالانتداب وهي للدولة التي دعيت لتكون منتدبة بموجب المادة الثالثة من صك الانتداب لا تستلزم منح الدولة المنتدبة حق التنازل بمحض سلطتها المفردة عن جزء من الاراضي المنتدب لها ايا كان او مهما كان يسيرا ويجب

علي قبل اقتراح اقرار القرار ان الفت النظر الى شدة حرج الحالة في الموقف الحاضر اذ ان حركة الثورة لم تنته حتى الآن ويظهر ان الاراضي المشمولة بالانتداب لا تزال تتحمل خسارة لا يستهان بها في الارواح والممتلكات ولا يسع المجلس الا ان يواصل درس الحالة بقلق شديد راجيا ان الجهود التي يبذلها أولوا الشأن تؤدي الى وضع حد لهذه الثورة في القريب العاجل . ومهما تكن البواعث والاسباب التي بعثت على هذه الثورة ومهما تكن التبعات وقد عولجت هذه الامور المختلفة باسهاب في تقرير لجنة الانتدابات وفي محاضر جلساتها فان اللجنة ترى ان افضل حل ممكن وموافق هو تعاون جميع هيئات الاراضي السورية تعاونا صميما صادقا مع الدولة المنتدبة لتوطيد السلام ولانشاء ادارة اعتيادية طبقا للسياسة التي كانت موضوع تصريحات المسيو روبير دوكه الحديثة والمسيو ديجوفنيل بصفة كونهما ممثلين للحكومة الفرنسية والتي نالت موافقة لجنة الانتدابات عليها من دون تردد واريد بهذا الصدد أن ألفت بوجه خاص نظر المجلس الى الفقرتين الاخيرتين من تقرير اللجنة اللتين انقلهما بنصهما (ان فرنسا تعلن انها لا تتبع في سورية وفي لبنان غاية ما سوى مساعدة الشعوب التي يعترف من الآن فصاعدا بسيادتها واهليتها الحصول على المقدرة التي تمارسها في هذه السيادة بنفسها ويجب اذن التسليم بأن رفض التعاون في تنفيذ الانتداب لا يعجل حلول يوم تحرير البلاد تحريرا كاملا بل يؤجله فما يظهره السوريون الوطنيون احيانا من نفاذ الصبر في شكل يدل على عدم الاكتراث للانتداب او على عداء له يجب ان يتحول بعد الآن الى تعاون ودي وتأمل

اللجنة ان الجهود التي بذلتها بعض العناصر السورية حتى الآن لعرقلة نجاح سياســة الدولة المنتدبة في البلاد وللطعن في هــذه السياســة في الخارج توقف بعد الآن على تعزيزها وتأييدها) .

(ان الدولة المنتدبــة تؤكد علنا وصراحة ان لا غرض لسياستها ســوى انشاء حكومة حرة في سورية ولبنان وقد برهن المسيو دي جوفنيل المندوب السامي الفرنسي الجديد بتصريحاته واعماله على ان يوافق كل الموافقة على هــذه السياسة فمن السهل على الذين يعيشون في ظل تلك الادارة ان يقدموا معاونتهم للدولة المنتدبة ليكون ذلك دليلا على حسن نيتهم ورضائهم وفهمهم المقصد السامي منها ولما كانت هذه الغاية متفقة مع غاية الدولة التي تقــوم وقتيا بمهمة الوصي السياسي عليهم فيجب ان تتجه جهودهم الى تعجيــل تحقيق تلك الغاية وتشجيعها فالاصرار على الثورة بعد الآن يجب ان لاتستنكره الدولة المنتدبة وحــدها ومعها جمعية الامم بل جميع الذين في سورية ولبنان وفي الخارج الذين يودون ان يروا السلام والرخاء والحرية تسود البلاد التي تمزقها اليوم الخصومة الدموية العميقــة) وانا واثق بأن المجلس على اتفاق فى الرجاء وان هذه الاماني التي اعربت عنها هاتان الفقرتان تلاقي تأييدا تامــا من جميع أولي الشأن سواء كانوا من سكان البلاد انفسهم او من عمال الدولة المنتدبة فهم يستفيدون استفادة تامة ومباشرة من فخر تطبيق البرنامج الذي حددتــه المادة ٢٢ من عهــد جمعيــة الامم ومن تطبيق الانتداب نفسه في سورية وارى شخصيا ان افضل أسلوب تسير عليه الدولة المنتدبة هو أن تنشر في جميــع الاراضي المنتدب لها هذا النص الذي يعبر عن رغائب الدوائر المختصة بجمعية الامم في السياسة التي تمنحها اعظم تأييــد ودي واتشرف بأن اقترح اقرار القرار الآتي :

« لما كــان مجلس جمعية الامم قد فحص تقرير الحكومة الفرنسية عــن الحالة في سورية لسنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ (تقرير وقتي) كما فحص عــدة عرائض وتقرير لجنة الانتدابات الدائمة والملاحظات المقدمة على هذا التقرير

من قبل الممثل المفوض السلطة المنتدبة والتقرير الذي قدمه له المقرر يقرر (ارسال تقرير اللجنة وتقرير المقرر الى الحكومة الفرنسية ودعوتهما الى التفضل بمنحهما ما يستحقان من اهتمام » .

عقدت لجنة الانتدابات في السابع عشر من يونيو في مركزها اجتماعا عاديا حضره الوفد السوري مبرزا مستنداته ووثائقه ملحا عليها ان تعمل على اقناع الفرنسيين بايقاف الهدم والتدمير وانصاف سورية والنزول عند مطاليبها وكان المسيو دي جوفنيل في ذلك الاجتماع في الذات يرفع تقريرا عما كان في سورية فدار الحوار بينه وبين اللجنة ساعات ثلاث افرغ جهده في اقناعها بتبرير ضربه دمشق بالقنابل بدافع ضرورة عسكرية ومبررا تعدد الدول في سورية بأن ذلك وفاقا للروح الديني والعهد الاقطاعي ولم يفطن الى انه وقع بالتناقض عندما اكد بأن انتخابات لبنان الاخيرة اذ ذاك كانت متفقة الكلمة على رغم الاختلافات الدينية وقد زعم بأنه انزل العقاب بمن لم يحسن القيام بسلطانه من رجال الجندية وحاول بأن يقيم الدليل على عدم احترام السوريين الا القوة معتبرين كل لين وسخاء من الطرف الفرنسي عجزا وضعفا وان الشرقيين قاطبة لم يركنوا الى جامعة الامم مفسرا ميثاق لوكارنو ائتلافا اوروبيا على آسيا ثم عرج على القول بأن الثائرين يطلبون انسحاب الجند الفرنسي الذي لو تم لكان هنالك مذبحة شاملة حاملا على الوفد السوري واعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني حملة شعواء زاعما ان سورية لم ترض عنهم مدافعين عنها وقد كلف رئيس لجنة الانتدابات المسيو دي جوفنيل ان يتقدم ببيانات واضحة عن شؤون معينة بجلسة خاصة دفعا لازعاج الدولة المنتدبة وارتباكها وكانت جلسة سرية خصوصية حضرها بعد زوال ذلك اليوم المسيو دي جوفنيل وحده مجيبا على ما وجه اليه من اسئلة واليك تعريب ما دار بينه وبين اللجنة مأخوذا عن محضر الجلسة الرسمية :

« فتحت الجلسة فقال الرئيس انه يشكر المسيو دي جوفنيل على ما ابداه

بقدومه على التعاون معها وقال المسيو اورتس انه تساءل مرارا كيف يتفق ان تكون المعارضة صادرة من اقلية كما قال المسيو دي جوفنيل في جلسة الصباح في حين ان جمعية الامم تلقت شكاوى كثيرة صادرة من جمعيات سورية عديدة في اوروبا وفي اميركا وجميعها معارض الدولة المنتدبة ما عدا عددا قليلا نادرا جدا منها فأجابه هذا انه اذا كانت اللجنة تريد ان تحصل على اكداس من العرائض فانه مستعد لارسالها فليس اسهل من الحصول عليها وان هذه العرائض صادرة من أناس مقيمين في خارج سورية اما الذين في الداخل فهم مخلصون للانتداب يرحبون به وانهم يستقبلون ممثلي فرنسا بحماسة في تنقلاتهم فلاحظ المسيو اورتس انه ما دام عضوا في لجنة الانتدابات فلا يستطيع ان يكون شاهدا على مظاهرات الحماسة وعرفان الجميل التي ذكرها المسيو دي جوفنيل فالاصوات الوحيدة التي تصل اليه ترتفع بالشكوى وما دام يجد في العرائض التي يتلقاها عريضة واحدة للدولة المنتدبة مقابل ٣٠ او ٤٠ بالشكوى من اعمالها فهو يتساءل لماذا لا تحتج العناصر التي تحبذ الانتداب على التهم التي تتهم بها الدولة فأجاب المسيو دي جوفنيل ان العرائض صادرة من أناس لا سلطة لهم وانه لا يريد ان يأبه لعرائض لا تصدر من هيئات رسمية ويجب ان لاتخدع اللجنة بالعرائض ويجب ان لا يذهب عن البال ان الارتياح اعظم حتما من الاستياء فلاحظ المسيو اورتس ان المسيو دي جوفنيل تكلم في الصباح عن حركة العصيان وقال انها خاضعة لرؤساء يوحدون مجهوداتهم فهو يريد ان يعرف من هم هؤلاء الرؤساء الذين اوجدوا اتفاقا بين فريقين كانا منقسمين كما كانت الحالة حتى الآن بين دمشق وجبل الدروز فمن الممكن ان العناصر التي تلزم للحكومة يمكن استخراجها من هؤلاء الرؤساء ويخطر له ان فرنسا حكمت تلك البلاد لاناس لا نفوذ لهم وكان الآخرون ضدها فأجاب دي جوفنيل ذاكرا عددا من الزعماء وقال ان سلطان الاطرش موجود بلا شك وهو ذو سلطة ولكنه اذا وضع في منصة الحكم كان عرضة في الحال لمعارضة شديدة وقد بذل السعي في كل

حين لوضع درزي في راس حكومة الجبل ولكن صعوبة تثبيته هي التي قضت بتعيين حاكم افرنسي على البلاد فليس في البلاد رئيس وطني يطيق سلطة منافس له ومن رؤساء العصيان الآخرين الامير عادل ارسلان فهو من عائلة درزية من جبل لبنان منقسمة على نفسها انقساما كبيرا . والدكتور شهبندر الذي هو مسلم سوري اثرت في نفس المسيو دي جوفنيل لهجته في بعض رسائله وتساءل عن امكان استخدامه ولكن يظهر انه ذو فكر كثير التردد والتقلب على انه من الخطر أن يجعل ثوار الامس رؤساء وقد جربت هذه التجربة بصبحي بركات وعين رئيسا للحكومة السورية فعين اصدقاءه في مراكز كثيرة مدفوعا بشعور رئيس عصابة قديم فكان ذلك سببا لاثارة معارضة تكاد تكون عمومية وفضلا عن ذلك فان هذا المثال شجع رؤساء آخرين على العصيان معتقدين ان ذلك مقدمة للوصول الى منصة الحكم والى جانب الرؤساء الذين لهم شيء من القيمة اشخاص عديدون لا قيمة لهم ومعظمهم عاديون يستحيل عليهم ان يفعلوا شيئا آخر ولا شك في ان الموقف يسهل وتستفيد السلطة الفرنسية من ذلك لو قدمت لها البلاد رؤساء ولكن الحالة ليست كذلك قط ولم يحكم دمشق في أي عصر من العصور رجل دمشقي وكان صلاح الدين نفسه رجلا كرديا من الموصل .

فسأل المسيو ارتس كيف يمكن الوصول اذن الى جعل البلاد تحكم نفسها بنفسها .

فأجابه مسيو دي جوفنيل ان الرؤساء يعدون للرئاسة بالتعليم والتربية وقد اخترت البرنس احمد نامي رئيسا للحكومة السورية لانه الوحيد الذي لقيته ووجدت انه ذو كلمة يركن اليها .

فذكر المسيو مرلن ان المسيو دي جوفنيل قال في جلسة الصباح انه لجأ الى الشعب بازاء الصعوبات التي سببها له رؤساء ذو طبائع اقطاعية لكي

يعين وكلاءه بنفسه افلا يمكن جعل الاهالي يعينون الذين يعدونهم جديرين بحكمهم بدلا من اجهاد النفس بالسعي الى ايجاد رجال قادرين على الحكم بين الاقطاعيين .

فأجاب المسيو دي جوفنيل ان هذه الوسيلة الوحيدة التي يلوح له انها طبيعية وممكنة فالرجال الذين يصلون الى ادارة شؤون البلاد ادارة ثابتة مستقرة عملا بالوكالة التي تعطى لهم يجب اخراجهم من سواد الشعب بفضل التعليم .

فلاحظ رئيس اللجنة انه قد جرت انتخابات وان مسيو دي جوفنيل ذكر رقما مؤثرا عن نسبة الناخبين الذين اشتركوا فيها ولكن الحكومة اتهمت بأنها ادارة الانتخابات بوسائل العنت وابعدت عددا من المعارضين قبل اجرائها وارسلتهم الى مكان اقامة الزامية .

فأجاب مسيو دي جوفنيل ان الامر لم يكن كذلك وانه سافر هو بنفسه لكي يأمر باجراء الانتخابات في سورية في كل مكان لم تكن فيه ادارة عرفية في ٢١ ديسمبر اي في يوم استقالة صبحي بك بركات وجعل يوم ٨ ينـاير موعدا لاجراء الانتخابات فلم يكن الوقت اذن كافيا لاعدادها ولم يصدر امرا باقامات اجبارية . اما ماجرى من هذا النوع في حلب فقد كان بعد الانتخابات لا قبلها والسبب الذي دعى اليها هو مقاطعة منظمة فالانتخابات قد جرت اذن بسرعة وبحرية .

فسأل مسيو فان ريس المندوب السامي عما فعله رئيس حكومة سورية اخيرا وكيف انه حل وزارته وارسل ثلاثة من وزرائه الى محل اقامة الزامية .

فأجاب مسيو دي جوفنيل ان هذا الحديث صحيح فقد تمسك احمد نامي بك رئيس الحكومة بوجوب تعيين عدد من المتطرفين في وزارته . وتدخل مسيو دي جوفنيل لكي لا يكون فيها منهم اكثر من نصف الوزراء ولكن هؤلاء المتطرفين نظموا مؤامرة بالاتفاق مع العصابات فلم يجد احمد نامي بك بدا من

طلب الاذن بإرسالهم الى محل اقامة الزامية .

وسأل رئيس اللجنة ماهي مسؤولية الوزراء تجاه البرلمان ؟ ؟

فأجاب مسيو دي جوفنيل بأنه لا يوجد برلمان في دمشق حيث لا يمكن رفع الادارة العرفية .

وقال مسيو رايار انه لا يعلق اهمية كبيرة على العرائض وهي في بعض الاحيان تنهال دفعة واحدة كأن احد الناس ضغط على زر كهربائي لارسالها كلها في وقت واحد من جميع انحاء العالم . ولكنه يريد ان يذكر بعض الوقائع التي اوجدت الشك في نفوس اعضاء اللجنة . وذكر اسم كراين وحادثة بلفور وتقارير بعض القناصل وان بعض السياح الذين بينهم احد اصدقائه الشخصيين لم يكادوا يستطيعون النزول الى بيروت والسفر منها وان البلاد غاصة بالجنود وان الدولة المنتدبة اضطرت الى تبديل خمسة مندوبين ساميين وان المراقبة عمومية وان المسيو دي جوفنيل ذاته ذكر انه يكفي ان تظهر الدولة المنتدبة ارتياحها الى احد السوريين لكي يكون ذلك هادما لسمعته .

فقال المسيو دي جوفنيل ان الامر لا يتعلق بارتياح الدولة المنتدبة بل انه عندما يوضع رجل في منصة الحكم ينازع في الحال كما يجري في كل مكان ولكن هذه الحال في سورية اشد منها في كل مكان آخر .

ورد المسيو دي جوفنيل على الوقائع التي ذكرها مسيو رايار واحدة فواحدة ولاحت له انها مناقضة لما ذكره مسيو دي جوفنيل من ارتياح الاهالي . وقال مسيو دي جوفنيل ان الشرق كان يجري دائما على خطة « الكيس كومين » الذي كان يسعى الى التفريق بين الاوربيين وهذا ما يجري في سورية فان احد السوريين يقابل احد الفرنسيين ويقول له انه يستطيع ان يتفاهم بسهولة معه ولكن يوجد فرنسي آخر فيه جميع العيوب يحول

دون الاتفاق . فيجب على الاوروبيين ان يفكروا في هذا المنهج ويشعروا انه من الضروري لهم ان يتساندوا في الشرق . وهذا الميل يوضح ما جرى عند ذهاب بعثة كراين فقد شاع ان سورية ستوضع تحت الانتداب الاميركي ونتج من ذلك حركة كان المستر كراين ضحيتها . اما فيما يتعلق بمستربلفور فان الصهيونية التي هي غول الجميع في سورية هي التي كانت السبب . ففي الوقت الذي قام فيه مستر بلفور بسياحته لم يكن احد يطيق ان يسمع شيئا عن الصهيونية وهذا هو الذي سبب المظاهرات في دمشق ضد مستر بلفور فلم يجد الانتداب الفرنسي الذي لم يكن مسؤولا عنها بوجه من الوجوه بدا من حماية مستر بلفور ممثل الصهيونية بقوة البوليس .

اما السياح الذين لم يستطيعوا ان يسافروا من بيروت فالسبب في ذلك يعود الى طباعهم فقد لاقى المندوب السامي سياحا في سورية كلها واستطاع اعضاء مؤتمر الآثار اخيرا ان يتجولوا في البلاد ويزورا حلب وبعلبك وتدمر . فاذا كانوا لم يذهبوا الى دمشق فلأنه لم يكن لهم الوقت الكافي ولكن من الممكن الذهاب اليها بالقطار كما تذهب الى باريس او بالطريق العادية التي سلكها مسيو دي جوفنيل نفسه ولم يصبه فيها أقل سوء فيجب ان لا تغتر اللجنة بالحوادث . نعم ان السلطة ليست محبوبة في سورية اكثر منها في كل بلد آخر ولكنها تحب بين وقت وآخر وفي هذا بعض المزية . اما الثورة في جبل الدروز فانها في طور الانتهاء . وليست البلاد غاصة بالجنود فيها نحو فرقتين ومن المهم ان تزول الشكوك من نفوس اعضاء اللجنة لانها متضامنة مع الدولة المنتدبة .

فصرح مسيو رايار انه ما من احد اعظم اقتناعا منه بالضرورة المطلقة القاضية بالتعاون مع الدولة المنتدبة فهذا التعاون لا بد منه لكي يسير النظام سيرا حسنا ولهذا الفرض ذاته اراد ان يبسط ما يخالج نفسه بحرية تامة .

وقال السر فريدريك لوجارد انه يعتقد ان الادارة العرفية ما زالت موجودة في جزء كبير من البلاد ويأمل ان يكون في المستطاع رفعها قريبا وحصرها في ساحة الاعمال العسكرية حيث يفهم ضرورة وجودها

فأجاب مسيو دي جوفنيل انه استطاع ان يلغي الادارة العرفية من حوران ولم يجد بدا من ابقائها في دمشق وجبل الدروز والاقليم الواقع بين حمص وطرابلس حيث عادت العصابات الى التكون مغتنمة فرصة انشغال الجنود في الجنوب وسيلغي الادارة العرفية في وقت ممكن ولكنه لا يستطيع ان يحدد هذا الوقت . وعلى اثر ذلك يبدأ اجراء الانتخابات وتعطى البلاد دستورا .

فسأل المسيو فان رئيس اللجنة المندوب السامي عن الاسباب التي حملت الجنود الفرنسيين على مهاجمة حي الميدان الممتد في حوض المدينة الجنوبي وهل اخلى الاهالي هذا الحي ولجأوا الى المدينة قبل الهجوم .

فأجاب مسيو دي جوفنيل ان معظم السكان كانوا قد رحلوا فالبعض الذين بقوا كانوا على اتصال بالعصابات وربما كانوا مشتركين معها . وكان يجب ان تتوفر الجنود لكي يمكن حراسة الميدان وجعله ضمن نطاق الحماية الذي يحيط بالمدينة . وكان جميع السكان الاتقياء قد لجأوا الى داخل المدينة .

وكانت مخافر الحماية المجاورة لحي الميدان عرضة للهجوم على الدوام في الليل وكان الثوار قد نظموا الحي وحفروا فيه الخنادق واقاموا الاستحكامات وبقي فيه عدد من السكان لان امراة قتلت وجاءت اثنتان او ثلاث امام الجنود في يوم الهجوم وطلبن منهم حمايتهن وارسلن الى داخل المدينة .

وسأل السر ف . لوجارد ممن يتألف الجنود المكلفون بالقمع فأجاب

مسيو دي جوفنيل ان فيهم كثيرين من الجنود الجزائرية وفيهم جنود فرنسيون ايضا يحتلون المدن ويوجد ايضا جنود سوريون وجندرمة لبنانية . ويحدث ان الارمن والجركس المجندين في القوات المحلية يتهمون كما اتهموا . وترتكب الجندرمة اللبنانية احيانا مثل هذه المساويء . على ان النهب هناك من المساويء المتأصلة في البلاد فتقضي الحالة في بعض الاحيان بتسريح فصائل كاملة . وقد امكن تأليف جندرمة لبنانية من اناس منتخبين ويقدم العلويون جنودا ايضا كالجركس وهم الآن في ايدي ضباط من الفرنسيين ويتصرفون بكل دربة ونظام . ويوجد ايضا كوكبة او كوكبتان من الكرد وكوكبة من الدروز ستتلوها ثانية بعد ذلك .

فساءل السر ف . لوجارد هل هؤلاء الجنود في ايدي ضباط من الفرنسيين فأجاب مسيو دي جوفنيل نعم ولكن اصحاب الرتب العسكرية الصغرى هم من غير الاوروبيين ويوجد منهم ايضا بعض الضباط ويجب ان ينتظم الجيش الوطني الذي سيحل محل القوات الفرنسية شيئا فشيئا ولكن هذه المهمة صعبة جدا .

وسأل رئيس اللجنة مسيو دي جوفنيل هل صحيح ما شاع انه يهتم كما اهتمت اللجنة في روما بمسألة النقد التي احدثت استياء في سورية .

فأجاب المسيو دي جوفنيل ان هذه المسألة موضوع اهتمامه وانه عمل كثيرا لادخال حرية النقد وان جميع انواع النقد تستعمل في سورية الآن وفضلا عن ذلك ففي النية احداث نقد جديد وهو الآن موضوع البحث .

وقال الرئيس انه اذا لم تكن بقيت أسئلة توجه الى المندوب السامي فقد حان الوقت لتقديم الشكر اليه ويجب ان يعلم وهو الخبير بشؤون

جمعية الامم ان اللجنة لا ترغب بتاتا في احداث مصاعب للدولة المنتدبة ولكنها تعد مهمتها مهمة جدية وهو يعرف جيدا بلدان الشرق الادنى معرفة شخصية فلا يدهشه ما يلاقيه مسيو دي جوفنيل من المصاعب .

فشكر المسيو دي جوفنيل للرئيس واللجنة اصغاءهما الى بياناته . وقد استطاع ان يظهر صعوبة مهمته التي لا تحتوي في الواقع الا الصعوبات وسعى الى تنوير اللجنة اعظم تنوير ممكن لانه لا بد من التعاون بين الدولة المنتدبة ولجنة الانتدابات وهو تحت تصرف اللجنة ويحترمها احتراما عظيما وقد اعطاها ايضاحات على اعظم ما يمكن من الصراحة جوابا على الاسئلة التي سئلت فهو يظهر كل امتنانه لما شهده من الاصغاء والعطف » .

على هامش عصبة الامم

من المفروض في جامعة الامم ان تكون بمركز القاضي الذي لا يحيد عن احقاق الحق واعلان العدل قيد انملة ومن المنتظر من اعظم جمعية تنصب نفسها انها مثال القسطاس المستقيم لا بين فرد وفرد بين امة وامة او دولة ودولة ان تكون على حياد تام فلا تتحيز ولا تحابي والواجب في الحاكم ان لا يحكم بعلم شخصه فكيف تسنى لرئيس جامعة الامم ان يؤمن على اقوال المسيو دي جوفنيل بقوله : « بأنه يعرف بلدان الشرق الادنى معرفة شخصية فلا يدهشه ما يلاقيه ــ المسيو دي جوفنيل ــ من مصاعب .

اننا لا نخفي جمعية الامم اننا كنا نود ان نرى فيها مثالا اكبر للاخذ بناصر الضعيف . واننا عندما وقفنا على ما كان منها من التحيز الى المسيو دي جوفنيل لم نكن بعالمين انها ستضرب عرض الحائط بمقرراتها هي نفسها وبمقترحاتها وهي التي وضعتها وبقوانينها التي فرضتها وما كنا

عالمين بأنها تظل باقية من بعد ان رأينا الاعتداء يقع تلو الاعتداء على امة من الامم التي زجت نفسها في عداد اعضائها ـ كالحبشة ـ فلم تدافع عنها الدفاع المطلوب ولم تناصرها المناصرة الواجبة . وما كنا نظن بأن يبلغ بها الضعف المعنوي والمادي درجة يفقدها الحس والشعور بأن الواجب عليها ان تعلن فسخها وابطالها طالما انها لا تستطيع ان تنفذ ما تبرمه او ان تملي ارادتها على احد اللهم الا ان كان ضعيفا وعندي انها لو انصفت لاضافت على اسمها الجملة التالية « الضعيفة المغلوبة على امرها امام القوي » فليعد المسيو دي جوفنيل الى الحقيقة وليقل بأن الشرق على حق اذا كان اساء الظن بجمعية الامم وفسر ميثاق لوكارنو بأنه ائتلاف اوروبي على اشياء ولكن لا عفوا فليس هو ائتلاف اوروبي على آسيا فحسب بل هو ائتلاف القوي على الضعيف اوروبيا كان ام اسيويا .

كان الوفد السوري في جنيف مدة اقامة المسيو دي جوفنيل هنالك لا سيما وقد تقدمت ذلك بوادر من دوائر عليها في باريز تشف عن طلب حل لتلك المشاكل على طريق التفاهم والاتفاق وكان ختام هذه الاجتماعات سماح الحكومة الفرنسية للوفد بأن يؤم عاصمة الفرنسيين فكان فيها خلال شهر تموز مجتمعا برئيس اللجنة التنفيذية الامير ميشيل لطف الله وقد دارت بين الجميع مباحث عدة دامت زمنا طويلا استمد خلالها الوفد من اللجنة تعاليم وافية فكان في يده برنامج عام وافق الكل عليه ليكون اساسا للمفاوضة واليك نصه :

١ ـ يشترط باديء ذي بدء ان تعترف الحكومة الفرنسية باستقلال البلاد التام وبحقها في التمثيل الخارجي وتؤلف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة وتوقيف حالة الحرب ثم يشرع بانتخاب المجلس التأسيسي انتخابا حرا مباشرا بالاقتراع العام ليتولى سن الدستور وتعيين شكل الحكومة والدولة على اساس السيادة القومية ـ على ان لا تجري في غضون الانتخابات

حركات عسكرية لا من الخارج ولا من الداخل – واما الانتخابات الحالية فانها تلغى بطبيعة الحال .

٢ – تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الامتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقي السوريين ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ومجلس النواب الفرنسي ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وارجحية في المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الاختلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الامم التي تضمن تنفيذها .

٣ – تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام واقضية عكار وحصن الاكراد وبعلبك التي هي جزء من الوحدة الطبيعية اما بقية البلاد التي ضمت الى لبنان فيستفتى اهلها بتقرير مصيرهم .

٤ – توحيد النظام القضائي على اساس السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ – ادخال سورية في جمعية الامم .

٦ – تأليف جيش وطني في مدة ثلاث سنين بحيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد ويتم الجلاء التام في خلال هذه المدة .

٧ – اصلاح النظام النقدي واعادة العملة على الاساس الذهبي حالا في كافة البلاد السورية واللبنانية والغاء امتياز البنك السوري وضمان اوراق النقد السوري المتداولة او تبديلها .

٨ – العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصي المضمون بطبيعة الحال .

٩ ـ الغاء الغرامات الحربية بتمامها مع اعادة كل ما أخذ حتى الآن بهذا الاسم سواء اكان في دمشق ام في غيرها من المدن والقرى .

١٠ ـ تعويض منكوبي الثورة .

لم تسفر تلك المفاوضات عن نتيجة محمودة المغبة اذ ان الاتفاق ما كاد ان يكون على المسائل الجوهرية حتى تغلب انصار البطش والاستعمار في سورية على دعاة الوئام والسلام مما اهاب بالوزارة الخارجية الفرنسية ان تبلغ الوفد بارجاء البت فيما تم الاتفاق عليه من الشروط الى ما بعد سفر المندوب الجديد الفرنسي في سورية ولبنان المسيو بونسو (١) والى ما بعد قيامه هناك بالتحقيق . حتى اذا ما عاد الى فرنسا ابلغت الوفد ما يقر قرارها عليه بهذا الصدد . هنالك لاحظ الوفد ان الحكومة الفرنسية ترمي الى وقف المفاوضات بصنيعها ذاك هذا اذا لم تكن قد ذهبت الى قطع المفاوضات بتاتا . لذلك توجه الوفد الى جنيف رافعا الى جامعة الامم البيان بمساعيه في باريس .

لقد كبر الامر على رجال الاستعمار في سورية ان تتنزل فرنسا لمفاوضة وفد سوري تعترف عليه حكومة باريز وقد راى هؤلاء الرجال بهذا التنازل ضعة وحطة يقلل من هيبتها وسمعتها في الشرق مستعينين على حمل وزارة الخارجية على قطعها كل صلة بالوفد بكبار المستعمرين في قاعدة الفرنسيين . مهددين الحكومة بعدم انفاذهم اي مشروع يتم الاتفاق عليه بينها وبين الوفد مما اضطر الوزارة لان تنزل عند رغبتهم وان يكون منها من وقف المفاوضات ما كان .

---

(١) في الرابع عشر من اغسطس انهى المسيو بونسو مندوبا ساميا لفرنسا في سورية ولبنان خلفا لسلفه المسيو دي جوفنيل الا أنه لم يمارس رؤية شؤون منصبه الا في الحادي عشر تشرين الاول من تلك السنة .

على ان هؤلاء المستعمرين قد تجاوزوا اكثر من ذلك اذ اذاعوا في اواسط اغسطس سنة ١٩٢٦ في عاصمة الامويين بلاغا رسميا بالتعريب الآتي :

« شاعت اشاعات بأن مفاوضات دارت في باريس تتعلق بحوادث سورية الحالية فليكن بعلم كل انسان انه لا يمكن عمل مفاوضة في باريز لاعادة السلم الداخلي الا بعد انتهاء الثورة واستسلام الثائرين .

ان الاوامر الواردة من الحكومة الفرنسية تقضي بالسير بحزم لارجاع الامن الى البلاد . وما لم تدرك هذه النتيجة فمن العبث التفكير بأقل مفاوضة » .

وما ان وقف الوفد السوري في جنيف على هذا البلاغ حتى بعث الى الصحف المصرية في خامس ايلول سنة ١٩٢٦ البلاغ التالي :

« اطلعنا في بعض جرائد سورية على بيان نشرته السلطة المحلية هناك متضمنا تكذيب الخبر الذي تناقلته الجرائد بوقوع مفاوضات صلحية بيننا وبين الحكومة الفرنسية في باريس .

فهذا التكذيب لايقوي سمع السلطة المشار اليها في تحري الصحة والصدق بل الحقيقة ان الوفد السوري لم يكن ليذهب الى باريس من تلقاء نفسه ولا يقدر فعلا ان يذهب الى باريس الا باشارة رسمية واذا كانت المفاوضات الصلحية التي استمرت عدة جلسات لم تسفر عن اتفاق نهائي فلم يكن الوفد السوري هو المسؤول عن هذه الحالة بل وقوف المفاوضات انما نشأ عن اختلاف آراء ذوي الحل والعقد من الفرنسيين انفسهم وعليه نشفع هذا التكذيب بتكذيب آخر وهو انه لا اثر من الصحة لما ذكرته بعض الجرائد الباريسية من وقوع خلاف بين اعضاء الوفد بعضهم مع بعض او بين الوفد والملك فيصل الذي لم يتدخل في هذه المفاوضات وان لا صحة ايضا لوضع مسألة العرش السوري موضع المناقشة اذ كان تعيين شكل الحكومة المستقبلة

يعد اليوم امرا متعذرا وهو على كل حال منوط بارادة الشعب السوري العربي الذي بالبداهة لا يبحث فيه اصلا بل ينشد الاستقلال والحرية في ظلال الوحدة والجمهورية .

الميثـــاق الوطنـي

لقد نمي الى المجاهدين في اواخر حزيران سنة ١٩٢٦ ابان وجودهم في الازرق ان جلالة ملك العراق فيصل الاول عازم على ان يكون في اوروبا عن طريق الصحراء مجتمعا بزعماء الثورة للاطلاع على ما يشاؤون من مطلب اذ انه سارع وراء التدخل في حل القضية السورية بين ابنائه الوطنيين وفرنسا عن طريق الصلح اذا استطاع واذا لو يتفق الثائرون على برنامج معين يعمل جلالته على تحقيقه . لهذا فقد عقد الزعيم الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر عدة اجتماعات في الازرق وضعوا في ختامها ميثاقا وطنيا بعث به الزعيم في السابع والعشرين من حزيران الى السلطان الذي اقره :

١ – اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال سورية التام وبحقها في التمثيل الخارجي وتأليف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة ثم يشرع في انتخاب المجلس التأسيسي انتخابا مباشرا بالاقتراع العام فيتولى سن الدستور وتقرير شكل الحكم على اساس السيادة القومية .

٢ – تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلاقات المتقابلة بين الامتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقي السوريين ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ومجلس النواب الفرنسي ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وارجحية في المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية

وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الامم وتضمن تنفيذها .

٣ ــ تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام واقضية عكار وحصن الاكراد وبعلبك التي هي جزء من الوحدة بطبيعة الحال . اما بقية البلاد التي ضمت الى لبنان فيستفتى اهلها في تقرير مصيرهم .

٤ ــ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ ــ دخول سورية في جمعية الامم .

٦ ــ تأليف جيش وطني في خلال ثلاث سنوات بحيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد على ان يتم الجلاء التام في هذه المدة .

٧ ــ اصلاح نظام النقد واعادة العملة على اساس الذهب والغاء امتيازات البنك السوري وضمان اوراق النقد السوري المتداولة او تبديلها .

٨ ــ العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون احتفاظ بالحق الشخصي المضمون بطبيعة الحال .

٩ ــ الغاء الغرامات الحربية كلها مع اعادة ما اخذ حتى الآن بهذا الاسم سواء أكان من دمشق ام في غيرها من المدن .

١٠ ــ التعويض على منكوبي الثورة .

التقاء عاهل العراق بالزعماء

وضع الوطنيون البرنامج الذي اتفقوا على تسليمه للملك فيصل الاول

كي يعمل على تحقيق ما جاء فيـه واتخذ فريق منهم سمته نحو بغداد في الثاني من تموز عام ١٩٢٦ كان في مقدمتهم الزعيم الشهبندر برفاقة كل من سلامة الاطرش والامير حسن الاطرش ونزيه المؤيد ويوسف العيسى ومتعب الاطرش وعلي دوقان الاطرش وعلي مصطفى الاطرش وغيرهم وساروا الى الجنوب من القياسة وبعد ساعة اطلت سيارة من بعد فاذا هي سيارة الملك المقصود . وكانت جلسة اقتعد فيها الزعماء مقعدا والفوا ندوة هناك مع الملك ومع من كان برفاقته من رستم حيدر وتوفيق السويدي وتحسين قدري وعندها ناولوا جلالة المليك الميثاق فكان جد معجبا بما تضمنه من حكمة وحنكة وانصاف . ثم اقترح الزعيم وضع بيان يتضمن توكيل فيصل الاول بالكلام باسم الوطنيين منتدبين رئيس اللجنة التنفيذية الامير ميشيل لطف الله وامين سرها العام نجيب شقير والوفد السوري في اوروبا وسعيد حيدر للانضمام الى جلالته في التفاوض .

عود على بدء

عاد الزعيم الشهبندر الى العمل المجدي الجدي في الثورة فتوجه نحو قرية من قرى حوران المتطرفة وهي البويضة ليثير في بعض من الحورانيين شعلة الحماس وليودع في نفوسهم وجوب العمل على انقاذ الوطن من براثن الاعداء وقد عقد اجتماعا هناك كان من حضوره نسيب البكري وفواز البركات وعلي خلقي وخلف التل وعقلة القطامي وعواد الماضي وسليمان السودي وابن اسماعيل الترك والشيخ سعيد الباني والشيخ محمد حجازي ، واتفق الكل على المباشرة بالعمل بارسال مفرزة من البدو تشغل الاعداء على الحدود وقد كان ذلك بمعرفة الشيخ درداح وصايل من رجال بني صخر .

توجه الزعيم الى الجبل الاشم للمرة الاخيرة في اول تشرين الاول عام

١٩٢٦ بصحبة كل من نسيب البكري وعبد الغفار باشا الاطرش وعلي عبيد وجاد الله الاطرش . وقد بلغوا غرابة وخربة الخازمة في صباح اليوم التالي مارين امام الجيش الفرنسي المعسكر بتل الخضر في قرية امتان . فكان هذا المرور شجاعة نادرة اذ ان الطائرات كانت محلقة فوق رؤوسهم لتتبين مواقعهم وقد عقد الزعيم الشهبندر والسلطان في خربة الخازمة جلسة هامة ختامية لها علاقتها باللجنة العليا ترمي الى التنظيم الاداري الذي ام الجبل الزعيم لاجله فلم ينته البحث ولم يفض الى نتيجة ما . وما ان امسى المساء حتى خرجوا منها لشدة قربها من معسكر الفرنسيين ولكثرة العيون المنبثة هناك والارصاد وخرجوا الى العراء ليلا وقد التف المجاهدون بهم فنام البعض على قطع من صخر وظل الآخر يرعى النائمين بالمناوبة وهكذا حتى لاح نور الصباح وقد عقدوا جلسة في مغارة الديكة لاتمام ما وقفوا عنده من البحث . وبينما كانوا كذلك واذ بفارس فرج من الغاربة واسماعيل الحجلة من المشقوق وسليم الجرمقاني من صلخد قادمين من لدن الفرنسيين يرجون الكف عن الاعمال والاشغال هناك زاعمين بأن الفرنسيين ملبين مطاليب البلاد فوعد الوطنيون بالنزول عند ذلك الطلب خلال أسبوع واحد على شريطة ان يلزم الجنود مراكزهم وان تبدأ المفاوضات فكان ذلك خدعة من المجاهدين وتسويف من الوطنيين حتى يبيتوا على ما يريدون .

أسبل غول الليل على عروس النهار برقع الظلام فانتحى السلطان والزعيم والمجاهد نسيب البكري ناحية وساروا خلسة يتعشون في بيت شيخ الطلانات الواقعة على مرمى النار من معسكر الفرنسيين في تل الخضر .

وما ان كان الهزيع الاول من الدجى حتى توجهوا نحو الازرق وقد بلغوه راد ضحى الاثنين رابع تشرين الاول من عام الف وتسعمئة وست وعشرين وهو تاريخ هجرة الزعماء من الجبل للمرة الاخيرة .

الزعيم الدكتور شهبندر شخصية معروفة في الغرب قبل الشرق وفي

اوروبا قبل البلاد العربية ما هو رجل علمي يريد ان يتهدى بنور علمه الوهاج كل فريق وان تسير على نهجه كل فئـة لهذا طلبت الولايات المتحدة اليـه أن يوافيها هنالك فأبى عليه اخلاصه الوطني ان يدع البلاد السورية ورجالها في غمرة من دجى ليل حالك . فاهتم للامر كثيرا وعني بمعالجة الحال واعتمد قبل السفر ان يعقد اجتماعا لذلك الغرض خصيصا فكان منه ذلك في العشرين من تشرين الاول من العام الملمع اليه في بيارة تدعى « البيارة التركية بيافا » الى كل من زعيم فلسطين الحاج امين الحسيني وحسن الحكيم والحاج عثمان الشراباتي وقد اجمع الكل على التنظيم والحؤول دون توزيع الاعانات افراديا . وعلى تشكيل لجان يعهد اليها امر التوزيع وعلى وضع موازنة ثابتة للجهـاد . وقد تقرر ان تكون حصة الجبل خمس وخمسين في المائة والغوطة ثلاثين في المائة واللجاه خمسة عشر في المائة من مجموع الاعانات الواردة وكان من حضـور الاجتماع راشـد الذوق ، عجـاج نويهض ، حلمي ابو خضرة ، وفي الساعة الاولى من بعد زوال سابع وعشرين تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ بـارح الزعيم منطقة الثورة نهائيـا للعراق متفقا من اخوانه الوطنيين ومع زعيم فلسطين الاستاذ الحسيني .

غادر هذه الربوع تلبية للدعوة التي وردتـه من الولايات المتحدة على مـا علمنا يرافقه مظهر البكري الى وفد المجاهدين العراق الذي كان على راسـه حسن الحكيم ومن اعضائه محمد الشريقي وعبد اللطيف العسلي وقد وصلوا الرمادي بعد ايام ثلاث فكان الاحتفاء بهم والاقبال على استقبالهم عظيما جدا عجيبا للغاية وقد حلوا ضيوفا على الرحب والسعة في الزوراء فكانوا اهـلا فيها وطئت سهلا وكان من الزعيم الشهبندر ما كان من افتتان وخلب وبالعقول لعب فكان سحبان ابن وائل اذا ما خطب وكان النابغة الذبياني اذا مـا اجج واقنـع وكـان رسول البيـان والافصاح والاعراب اذا مـا اسهب وفصل واطنب فلا بدع بعد ذلك اذا ما جمع القلوب على حبه ووحد النفوس علـى

احترامه وكأكأ الجميع على الانصياع لامره .

كانت مقابلات الزعيم واحاديثه في كل انحاء القطر الشقيق العراق الحبيب، لهجة اللاهج وذكر الذاكر وترديد النوادي والمجتمعات وقد عممت الصحف ذلك واعادت ذكره الرسائل ودونت ما كان منه القراطيس مما اوجس في نفوس البريطانيين خيفة فحالوا دون السماح له بمغادرة بلاد الرشيد وطلبوا اليه ارجاء النزوح الى الولايات المتحدة لما بعد المؤتمر الذي دعي اليه .

فتظاهر بأنه يود ان يغز السير الى اوروبا عن طريق مصر فأذنت حينئذ له بذلك فغادر في السابع من مايس عام ١٩٢٧ عاصمة العباسيين على متن طائرة فأمسى في غزة هاشم حتى اذا ما انبلج فجر الاحد وذر قرن الغزالة يومئذ بدأ فجأة في القاهرة بين آله وصحبه مما أغاظ فرنسا وبريطانيا على قدومه للاقليم المصري ودعاهم للاحتجاج على ذلك .

الاقليم المصري الشقيق الاكبر الى الاقليم السوري اظهر في كثير من المواطن عطفه على السوريين ومد لهم يد المعونة عند اللأواء وعند المدلهمات من الليالي فكان بارق الامل الوطيد وكان المرجع الحبيب الفريد وكان ترتيلة انفجر للشريد الطريد ينشدها كلما دجى من حوله ليل الخطوب واحلولك .

فتح صدره للزعيم وبسط ثراه لرجل الوطنية الصحيح ومد رواق سمائه الفخور يظلل به ذلك الرجل الآوي اللاجيء العائد الى كنف احرار الشرق الادنى ، قطاب مصر وزعمائها الاحرار .

هنالك تقابل الزعيم بالزعيم والتقى الاخلاص بالاخلاص ووجدت التضحية تضحية مثلها فهش كل للآخر وبش وانبرى زعيم الشرق يناضل عن الزعيم السوري ويحامي ويدافع ويصمد امام الدولتين العظيمتين صمودا ما كان

وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الامم وتضمن تنفيذها .

لغير سعد باشا زغلول من اجل الشهبندر في سبيل الاقليم السوري وظل هذا الزعيم العظيم يناضل ويقنع ويأتي بالحجج الدوامغ على وجوب بقاء هذا الضيف العزيز الغالي اللا أعز منه ولا أغلى في القاهرة حتى كانت مشادة سياسية عنيفة ومحاولات ديبلوماسية سحيقة وحتى كان اخذ ورد كبيرين افضى الى انتصار الحق على الباطل وظفر المروءة بالنذالة واخضاع قوى الاعداء الى الوطنية فسمح له بالبقاء هنالك . وهنالك كان محل اكبار الوجوه وكان اعجاب الاعيان وموضع تجلة واعجاب الجميع حتى عاد الى وطنه عام ١٩٣٧ محفوفا بالاكبار والاجلال .

اما ما كان من السلطان اذ ذاك فقد اثر البقاء في البادية قريات الملح يومئذ ثلاث سنوات قاسى فيها امر العذاب وعانى خلالها من الصبر على الجوع وعدم توفر الزاد لذويه ما لا يطيق الصبر عليه الا اولو العزم من الرسل واولو الهمة من مثل السلطان .

ثم توجه بعدها نحو الكرك وظل هناك يصمد للحدثان ولضربات الايام ولنوازل القضاء صابرا حتى اشرق اليوم المجيد باصدار العفو عنه عام ١٩٣٧ فدخل دمشق محمولا على الاعناق تقديرا لما قام به فظللت دمشق سحابة من سعادة وهناء ورخاء بمقدم قائدها العام الحقيقي السلطان محمولا على الاعناق والاكف تقديرا لما قام فيه وما صبر عليه وما كان منه طوال تلك الايام التي خالها السوريون قرونا وهكذا كان عام ١٩٣٧ حيث دخل الزعيم الشهبندر وسلطان الاطرش في طليعة المجاهدين الابطال عاصمة بني امية دخول ملوك بني أمية اليها رافعين الراس عالين الهام ناصعين الجبين محرزين الظفر المبين . .

مساعي الوفد

التأم عقد جامعة الامم السنوي العام في ايلول عام ١٩٢٦ فبعث الوفد

بالصرخة التاليـة اليها :

« حضرة صاحب السعادة رئيس الاجتماع السابع لجمعية الامم .

كان لنا الشرف نحن الموقعين على هذا مندوبي المؤتمر السوري الفلسطيني واحزاب استقلال سورية ان بسطنا في مذكرتنا المؤرخة في ٧ يونيو سنـة ١٩٢٦ لمجلس جمعية الامم واللجنة الانتدابات الدائمة في الوقت عينه حـالة بلادنا الباعثة على الالم والحزن طالبيـن منهما ان يتدخـلا بنفوذهما السامى لاجل اعادة الامور الى مجراها الطبيعي في سورية .

وقد قلنا في تلك المذكرة ان المواطنين السوريين عملا بنصائح ومشورات لجنة الانتدابات في الجلسة التي عقدتها في روما ونوهت فيها بمزايا الاتفاق المباشر مع فرنسا اخذوا يبذلون المساعي عند السلطات الفرنسية للبحث عن وسيلة للاتفاق وحمل الحكومة الفرنسية على التسليم بمشروعية الامـاني السورية وان تلك المساعي لم تجد نفعا لان الحكومة الفرنسية صرحت بلسان مندوبيها المسؤولين بأنهـا تبغى مواصلة الحرب الى ان يخضع السوريون من غير شرط ولا قيد .

والظاهر ان الدولة المنتدبة اعتقدت ان في استطاعتها التوصل الى تهدئة البلاد تماما بقوة السلاح وسياستها برمتها مبنية على هذه الفكرة ونعني بهـا فكرة اخضاع سورية بالقوة .

ومما يجب ذكره هنا انه رغما من الدم الذي لا يفتأ يهرق منذ ١٥ شهرا ورغما من الحملات العسكرية التي يتوالى توجيهها الى سورية لا تزال البلاغات الرسمية الفرنسية تصر على وصف المعارك الدائرة في البلاد المعهود في امرها الى جمعية الامم انها ليست الا تدابير بوليسية بسيطة ولا تفتـأ تؤكـد بأن الهدوء قد استتب تماما . وليس لهذه الدعوى ظل من الصحة بدليل الحقائق الواقعة التي تنطق بأفصح بيان بما ينفيها .

وعندنا ان هذه الطريقة التي جرت عليها فرنسا تناقض الفرض الانساني الذي تسعى اليه جمعية الامم .

فأمام خطورة الحالة التي تتفاقم يوما فيوما رأينا من المفيد ان نتبع الى النهاية نصائح مجلس الجمعية واردنا ان ننسى الاربعة عشر الف قتيل - انظر التقرير المقدم الى السكرتارية العامة في يونيو سنة ١٩٢٦ - والضحايا الابرياء من النساء والاطفال وتدمير المدن التاريخية والقرى الزاهرة . فسافرنا في شهر يوليو سنة ١٩٢٦ الى باريس ولبثنا فيها اربعين يوما نبذل اقصى ما عندنا من المجهودات لكي نتوصل مع ولاة الامور الفرنسيين الى اتفاق يضع حدا لهذه الحالة السيئة . وقد اجتمعنا مرارا عديدة بصاحب السعادة المسيو دي جوفنيل المندوب السامي فأظهر هذه المرة من روح المسالمة ما لا يسعنا الا ان نذكره بالحمد والثناء ولكن حين اوشكنا ان نصل الى اتفاق تام وقعت أمور غامضة لا يد لنا فيها وكان من جرائها ان وقفت المفاوضات بغتة وعندئذ بذلنا مساعي شديدة لاستئناف المحادثة بقصد الوصول الى اتفاق يرضي الفريقين عملا برأي لجنة الانتدابات فذهبت مساعينا ادراج الرياح واضطررنا الى العودة الى جنيف لالتجئ الى عدل جمعية الامم وانصافها لنبسط لها المجهودات التي بذلناها رفقا للرغبة التي اعربت عنها .

واذا كان قد ظهر لنا ما نذكره بالدهشة والالم وهو تلك الاصوات التي ارتفعت مؤخرا في مجلس جمعية الامم للقضاء على ذلك التصرف المحمود الذي اظهرته لجنة الانتدابات الدائمة حين اقترحت ان تسمع اقوال مندوبي الشعوب ذات الشأن فان صدورنا لا تزال عامرة بالامل بأن مجلس جمعية الامم لا يحيد عن مهمته المقدسة وان الحجة التي كثيرا ما لاكتها الالسنة بوجود دسائس خيالية لا تثنيه عن اتمام الواجب عليه للعدالة والانسانية .

وقد كان لنا الشرف ان صرحنا في عرائضنا السابقة تقريباً في مذكراتنا التي قدمناها الى المجلس والى الجمعية العمومية والى لجنة الانتدابات الدائمة بأن من اهم اسباب الهياج الحالي في سورية سياسة الاستعمار التي تتجلى بأعمال العنف والشدة واحداث الفرقة بين طوائف الاهلين والقضاء على كل حرية . فعلى هذه الامور الثلاثة تتكيء السلطات المحتلة لتأييد سلطانها . ومن البراهين القاطعة على هذه السياسة ادارة البلاد بالارهاب وتقسيم سورية الى اربع دويلات وضم اراضي احدى هذه الدويلات الى الاخرى من غير رغبة سكانها الذين لا يفتأون يحتجون على ذلك كما يؤخذ من تلغراف مؤرخ في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦ قدمناه الى السكرتارية العامة وهذا نصه :

« نحن الموقعين على هذا التجار واصحاب الاملاك والمحامين والاطباء والمهندسين الممثلين للرأي العام في البلاد التي ضمت الى لبنان من دون رضاء سكانها ننتهز فرصة اجتماع مجلس جمعية الامم فنكرر احتجاجنا على الحاق بلادنا بلبنان بناء على ما يسمونه قانونا اساسيا سن من غير اشتراكنا وعلى غير ارادة الاهلين بدليل ان النواب عنا أبوا الموافقة عليه في جلسة مجلس النواب اللبناني التي عقدت في ١٩ مايو ونطالب بالوحدة السورية على اساس السيادة القومية ونرجو ان تتدخل جمعية الامم تدخلا فعليا توصلا الى حل المسألة السورية حلا عادلا طبقا لمبدأ الحق واماني السكان الاجماعية » .

وقد ارسل هذا التلغراف من فلسطين لتعذر ارساله من الأراضي المشمولة بالانتداب الفرنسي .

ولا شك في ان ارادة اهالي البلاد لم تظهر حتى الآن بأجلى من مظهرها في هذا التلغراف . ومنه يرى ان قانون البلاد اساسي الذي كان ينبغي ان يصدر عن هذه الارادة وان يكون من عملها وحدها طبقا لروح المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ومباديء القانون العام الحديث وضعته السلطات الفرنسية بمحض ارادتها وهي تحاول ان تفرضه على الاهلين بالتدليس والخداع او

بما يشبه ذلك .

ان السلطات المشار اليها لا تروم ان تتصل بممثلي اغلبية الشعب ولا تزال تعدهم اعداء فرنسا لا لسبب الا لانهم يطالبون بحقوق بلادهم المشروعة وهي لا تريد ان تفهم ان الاهلين ما قاموا قومتهم الا مدفوعين باليأس بعد ما تبين لهم ان السلطات الفرنسية انكرت مبادىء جمعية الامم وحقوق الامة المشروعة جدا وبعد ما رأوا ان مطالبهم الحقة قد ضرب بها عرض الحائط .

فبعد كل هذا يتعذر علينا ان نصدق ان جمعية الامم التي تجتهد في ان تقوم بتبعاتها الادبية تأبى بعد ١٥ شهرا انقضت في القتل والتخريب ان تتوسط في انقاذ بلادنا من طائلة الخراب التام ووضع حد لحالة يخشى ان تكدر صفو الامن في الشرق الادنى .

ان جمعية الامم هي الحكم المكلف اصدار حكمه في الاختلافات القائمة بين الدولة المنتدبة واهالي البلاد المشمولة بهذا الانتداب .

واننا نرى بالنظر الى خطورة الحالة ولاجل ان تتمكن جمعية الامم من تكوين رأي نهائي قاطع عن الحالة في سورية ان يعمل تحقيق ونظن ان الدولة المنتدبة لا يسعها ان تعارض في مثل هذا التحقيق الا اذا خشيت ان يفضح نور الفحص اعمالها فاذا ارسلت جمعية الامم الى سورية بعثة لجمع المعلومات عن حقيقة الحالة وحقيقة اماني الامة فانها لا تكون بذلك الا عاملة بروح عهد جمعية ولا شك ان سلطة الاشراف التي لها قانونا ستمكنها اذا استعملت حق الاستعمال من تكوين راي صحيح عن حالة يألم لها ضمير كل رجل متمدن .

ونحن نعترف ان رأي الجمعية لم يؤخذ في صحة الانتدابات من الوجهة القانونية ولا في طريقة توزيعها ولا في ابرامها ولكننا نعلم ان سلطة الجمعية

الادبية السامية تجعل من الميسور لها ان تطلب ان لا تسفك الدماء باسمها
وبهذا الروح نتقدم بعريضتنا اليكم انتم الذين تمثلون اسمى مظاهر الضمير البشري على وجه العالم المتمدن ونطلب العدل لبلادنا التعسة آملين ان تظلوا أمناء في خدمة العدالة والحرية اللتين هما غرض الشعوب الاسمى وان تتفضلوا باعارة ملتمسنا ما هو جدير به من العناية بعد ما طال اصطبارنا .

وتفضلوا ياسعادة الرئيس وياحضرات الاعضاء بقبول فائق احترامنا » .

ما كان الوفد ليدخر جهده في بسط القضية السورية امام اية هيئة سياسية يرى فيها امكان انصافه لهذا لم يهمل مراجعة المؤتمر الراديكالي الاشتراكي الفرنسي ومؤتمر جمعية حقوق الانسان المنعقدين في فرنسا في شهر اكتوبر عام ١٩٢٦ مما جعل المؤتمرين يدونان في جملة اعمالهما المسألة السورية . فقد كانت مطالب الوفد نفس المطالب التي تضمنها البرنامج الآنف الذكر وكان لهذا العمل اثره الحسن لدى المؤتمرين اذ اعتقد كل منهما بحسن نوايا السوريين ووجوب احلالها محل الاعتبار اللائق واتخذكل منهما دليلا على رغبة الجانب السوري بالتفاهم الحقيقي .

وقد نمي الى الوفد السوري الفلسطيني ان مجلس العصبة قرر باجتماعه الاخير منح فرنسا مهلة اشهر ست لتقدم مشروع دستور سورية . فبعث الوفد الى امين سر العصبة العام بالاحتجاج التالي :

« جنيف في١٢اكتوبر سنة ١٩٢٦ .

سعادة السكرتير العام لجمعية الامم .

نتشرف بان نرفع اليكم مايأتي : علمنا ان مجلس جمعية الامم الذي كان يجب ان يتلقى في اثناء اجتماعه الحالي مشروع دستور لسورية ولبنان ومكاتبة تتعلق باتفاق كان ينبغي ان يوضع بين فرنسا والشعب السوري عملا بنصائح لجنة الانتدابات قد امهل ممثل فرنسا ستة اشهر اخرى لكي يسمح

الحكومة الفرنسية باستشارة المجالس المحلية .

فنتشرف بان نلفت انظار جمعية الامم الى ان هذه المهلة الجديدة ستجر ويلات جديدة على سورية التي تنتظر ببسالة وشمم منذ ستين ان ترى عدالة وانصافا من هذا المجتمع الدولي .

ان هذه هي المهلة الثالثة التي تطلبها فرنسا من جمعية الامم . ولكنها لا تريد منها ان تسعى الى ايجاد حل يتفق مع مطالب الشعب السوري بل ان تنتهز فرصة اخرى كما فعلت حتى الآن لكي تبيد بالحديد والنار كل سعي الحرية والاستقلال اللذين عدتهما جمعية الامم نفسها من اسس عهدها واعمالها النافعة .

فنحن نعتقد واليأس ملء نفوسنا ان الواجب يقضي علينا بان نحتج على تأخير حل هذه المسألة مرة اخرى . ولم نعد نعلم متى تريد جمعية الامم ان تتدخل لصيانة البلاد الموضوعة تحت حراستها لكي تضع حدا نهائيا المذابح التي ترتكب باسمها كل يوم . ونتشرف ياحضرة السكرتير العام بأن نتقدم اليكم بوافر احترامنا » .

المسيو بونسو وموقفه من البلاد

كان المفوض السامي الجديد المسيو بونسو في مدينة بيروت في الحادي عشر من تشرين الاول سنة (١٩٢٦) آتيا من عاصمة حكومته وقد نشر على اثر قدومه انه سيعمل على درس الاوضاع عن كثب معلنا انه لم يأت عملا ما ، ما لم تتم دراسته للحالة التي كانت عليها البلاد وما لم يحط بحقيقة الوضع الاحاطة التامة . وما ان مكث قليلا حتى نزح الى دمشق ومنها الى الجبل الاشم ومنه عائدا الى حلب فدير الزور فبيروت .

وقـد بعثت اليه اللجنة التنفيذية في رابع كـانون الاول سـنة ١٩٢٦ الكتاب التالي تأييدا لما سعت اليه من حب التفاهم مع حكومته ونزولا عند ارادة عصبة الامم وما اسدته الى اللجنة من نصائح واليك الكتاب :

« يا صاحب السعـادة لم تنقطع اللجنـة التنفيذيـة للمؤتمر السوري الفلسطيني منذ اوائل القتال الذي خضب سورية بالدماء واشتهرت اسبابـه لدى الخاص والعـام عن بذل مساعيهـا لاعـادة السلام على اسس توفق بين امانينا الوطنية ومصالح فرنسا الحقيقية .

هذه الفكرة هي التـي كانت رائدا لنـا في محادثاتنا الاولى مع المسيو دي جوفنيل في القاهرة في شهر نوفمبر سنة (١٩٢٥)وهي التي كانت رائد وفدنا عندما استأنف المفاوضات في باريز في شهر يوليو (١٩٢٦) وكان يرجى ان تنتهي هذه المفاوضات بسرعة ولكنها توقفت لاسباب لا دخل لنا فيها ولكي يستطيع المندوب السامي الجديد ان يقف بنفسه على حقيقة الحالة في سورية فنحن نرجو من سعادتكم الآن ان تبلغونـا اذا كنتم ترون ان الوقت قـد حان لاستئناف المفاوضات والسعي بالاشتراك معكم وبروح الوفاق والتعاون الخالص لايجاد حل يقضي الى حسم النزاع واعادة السلام الى البلاد ووضع علاقات بين فرنسا وسورية مؤسسة على الثقـة المتبـادلة وصيانة اماني امتنـا الشرعية ومصالح فرنسا الحقيقية .

فاذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح الصادر عن اخلاص وتنزه عن [illegible] فنحن مستعدون لاستئنـاف المحادثات بالطريقـة والشكل اللذين ترونهما مفيدين » .

ثم عاود المفوض السامي الجديد الكرة على دمشق كي يقف على رغائب الاهلين .

لقد استعدت دمشق لهذا الامر فألفت وفدا زاره في السابع عشر من كانون الاول وقدم له المطالب التالية :

« ١ ـ اسدال ستار على الماضي والتعامل على اساس روح معاهدة لوكارنو ٢ ـ دعوة جمعية تأسيسية تسن الدستور على اساس السيادة القومية ٣ ـ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين الحكومة الوطنية والدولة المنتدبة لمدة ثلاثين سنة ٤ ـ تحقيق الوحدة السورية ٥ ـ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية ٦ ـ تأليف جيش وطني ٧ ـ ادخال سورية في جمعية الامم وتخويلها حق التمثيل الخارجي ٨ ـ اعلان عفو عام ٩ ـ ايجاد طريقة للتعويض على المنكوبين .

كما ان سكان حماة وحمص ودير الزور قدمت اليه مطاليبها .

وكذلك عندما زار حلب تقدم منه الاهلون بطلبات تتحد روحا ومعنى مع مطاليب المدن الاخرى . وقد وعدهم بأن تكون المعاهدة التي ستنعقد بين سورية وفرنسا شبه معاهدة العراق .

وعندما مر باللاذقية وفد من مسلميها مقدما اليه نفس المطاليب .

وعندما عاد الى بيروت طلب الى رؤساء الطوائف وزعمائها وضع تقرير مفصل عما ينبغي ان يؤخذ به من كل تدبير لمعالجة الوضع اذ ذاك فحصل على ما اراد واخذ يدقق كل ذلك .

لم يجب المفوض السامي اللجنة التنفيذية على كتابها الا ان اقامته في سورية لم تطل مدتها اذ بارحها الى عاصمة بلاده في اوائل شباط عام «١٩٢٧» مذودا بالتقارير والمطاليب التي رفعت اليه ليطلع اولي الامر على نتيجة ابحاثه ولكي يعلم الخطة التي يجب عليه ان يسير عليها .

وخلال مارس سنة (١٩٢٧) كان المسيو بونسو في جنيف كي يحضر

اجتماع عصبة الامم وهنالك اتصل بـه الوفد السوري الذي وقف على ان المقامات المسؤولة الفرنسوية تود ان تعود الى المفاوضة التي انبت حبها خلال اغسطوس الماضي . وان هذه المقامات كانت تود ان يبدأ الجانب السوري بطلب التفاهم امام جمعية الامم . فبعث الوفد بكتاب الى مجلس العصبة بالنص التالي :

« جنيف في ٨ مارس سنة (١٩٢٧) الى سعادة رئيس مجلس جمعية الامم . يا صاحب السعادة .

علمنا نحن الموقعين على هذا مندوبي اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ان الحكومة الفرنسوية شارعة في عرض مشروع للمشكلة السورية على جمعية الامم فننتهز هذه الفرصة لنصرح مرة اخرى برغبتنا الاكيدة الصادقة في اقرار العلاقات بين فرنسا وسورية على اساس الولاء والوفاق ونرى ان الواجب يقضي علينا بازاء ذلك بان نصرح جهارا اننا لما كنا لم نقصد قط الى غرض شخصي ولم نعمل الا لنيل حرية سورية واستقلالها فلا نجد اي مانع يمنعنا عن الموافقة على كل حل ينطبق على اماني الامة السورية ونحن نأمل ان تتغلب روح الحكومة الفرنسوية والشعب الفرنسوي الحرة على جميع المصاعب المتراكمة في سبيل الوفاق » .

وتوجه الوفد الى باريز على الاثر بغية اتمام المفاوضات معه ، فمكث اياما لم يمكن له خلالها ما اراد فقفل راجعا الى جنيف من بعد ان تأكد له ان الفرنسيين غير ميالين الى الاتفاق واياه ولا الى اجابة شيء من مطاليب البلاد وان فرنسا قد قصدت من كل ما قامت به من تعليل سورية بمعسول الاماني والتسويف والمماطلة وقمع كل حركة بالقوة بدليل ما جاء في المذكرة الفرنسية التي نشرت في شباط عام « ١٩٢٧ » وتعريبها ما يلي :

« ان حوادث سنة (١٩٢٥ ــ ١٩٢٦) كانت ثقيلة الوطأة على سورية وعلى

فرنسا على السواء ويظهر ان معظم الاحزاب السياسية السورية اليوم اخذت تدرك ان النظام والسلام ضروريان لتقدم البلاد ويسرها ومما يسر ذكره ان شهوة المطامع السياسية خفت وحلت محلها الرغبة البادية في كل مكان في تعاون فرنسا وسورية فالفرصة سانحة اذن لاتفاق الاحزاب السورية على برنامج يشمل الحد الادنى للمطالب التي يمكن قبولها من جانبهم او من جانب فرنسا وحول هذا البرنامج يؤلف من الاتحاد لاسداء اعظم ما يمكن اسداؤه من الخير للشعب السوري وليس هناك تناقض ما بين هذا النوع من التهادم السياسي واحتفاظ كل حزب من هذه الاحزاب بغاية وطنية لا يفكر احد في معارضتها ومكافحتها وتكون القاعدة الاساسية لهذا البرنامج قبول الانتداب الفرنسي باخلاص وولاء على ان ينفذ هذا الانتداب كما تصوره مؤتمر السلام وحددته جمعية الامم ان الانتداب مطابق لفكرة الاستقلال الوطني لانه سبيلا موصل الى هذا الاستقلال وهذا هو شعور المنتدبين الذين تقوم مهمتهم الاصلية على تنظيم السيادة القومية لسوريا ولبنان وغني عن البيان ان تنظيم الحريات للسوريين وتهيئة اسبابها بتعاون صريح بين المنتدبين والمشمولين بالانتداب هو المادة الاولى من البرنامج السياسي الذي يجب ان يلتف حوله جميع العقلاء وذوي النيات الحسنة ورب قائل يقول وفي اي حدود جغرافية يزول هذا العمل والجواب على ذلك هو ان لبنان والمقاطعات التي تؤلف سورية لا تتمنى الا الاشتراك في الحياة ولا يسع فرنسا الا ان تحترم هذه الرغبة ولذلك سيظل لبنان مستقلا عن جيرانه اما حدوده فتحدد نهائيا باتفاق مع هؤلاء الجيران واذا تعذر الاتفاق فيحال الامر الى التحكيم ويجب ان يذعن الجميع لقراره واما الاستقلال الاداري للمقاطعات فيجب الاحتفاظ به كمسألة من مسائل النظام الداخلي اذ لا يوجد سبب ما يحول دون حله طبقا لرغائب الشعب . ان فرنسا المنتدبة لا تعد سورية كمستعمرة ولا كبلاد مشمولة بالحماية فهي تساعدها لان جمعية الامم عهدت اليها في هذا الواجب الدولي الذي هو جم المتاعب . وامنيتها الوحيدة هي أن تقوم بالواجب عليها لان العهد

المقطوع واجب الاحترام وبذلك تجد عوضا ادبيا واقتصاديا مقابل ما بذلت من الرجال وما انفقته من الاموال مما يعترف به جميع المفكرين من السوريين .

وان نتائج مثل هذه الخطة من جانب فرنسا يجب ان تظهر باعمال تطابق الاماني الوطنية السورية .. اي بالسير نحو الوحدة الوطنية بانشاء نظام حكومي دستوري يطابق فكرة السواد الاعظم من المواطنين ويقبلونه عن طيبة خاطر وتخفيض عدد الموظفين الفرنسويين الى ادنى حد ممكن على ان يكونوا مستشارين فقط لا موظفين لهم حق التنفيذ وانشاء مليشيا وطنية بالتدريج بضباط من الفرنسويين يعهد اليها في صون النظام في الداخل ومراقبة الحدود .

واما فيما يختص بالشؤون الخارجية فاذا كان مفهوم الانتداب يجبر فرنسا على ان تمثل سورية سياسيا فانها لا ترى مانعا يمنع من وجود موظفين سوريين يعملون بالاتفاق التام مع ممثلي الدولة المنتدبة للدفاع عن مصالح اخوانهم المقيمين في الخارج رمزا للسيادة الوطنية .

ان قبول الاحزاب السورية لهذه القواعد العامة مع تنازلها عن ارائها في الامور الثانوية عن طيبة خاطر يمكن سورية من افتتاح عهد من السلام واليسر ويسهل لها جلب الاموال الضرورية لان هذه الاموال لا سبيل اليها الا اذا كفل المقرضين الضمان الوافي على ثبات الحالة السياسية .

وفي هذا باعث آخر يبعث الوطنيين السوريين على ان يقفوا حول برنامج وسط معتدل يظهر ان قبوله هو الطريقة الوحيدة المفيدة لتهيئة وسائل الاستقلال القومي التام الذي يطابق تحقيقه رغائب جميع الفرنسويين والسوريين على السواء» .

آب المفوض السامي الى بيروت في اواسط حزيران مصحوبا بالبرنامج الذي زودته به حكومته في تلك المرحلة وقد اذاعه رسميا في سادس وعشرين

تموز عام ١٩٢٧ بالنص الآتي :

« لقد تسنى مرارا عديدة للمفوض السامي في خلال مدة اقامته في فرنسا ان يوضح للحكومة الفرنسية وللجان الامور الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب نتائج التحقيق الذي قام به عن الحالة في سورية ولبنان وان ينقل اليها بوجه خاص الاماني التي بسطت لديه مدة اقامته الاولى وتجواله في البلاد المشمولة بالانتداب .

وقد جرى له منذ عودته مفاوضات عديدة مع رؤساء الدول اوضح خلالها آراء ومقاصد الدولة المنتدبة وابان لهم نقاط الخطة الاساسية التي سيواصل امر تحقيقها بالاتفاق مع الدولة المشمولة بالانتداب وهي :

اولا ـ لما كانت فرنسا عملا بمنطوق صك الانتداب « المادة الاولى » قد ألقي على عاتقها ـ ان تمهد السبيل لنمو سورية ولبنان نموا تدريجيا كدولة مستقلة ـ وان تحفظ الاستقلال الداخلي على قدر ما تسمح به الظروف فهي تستمر على اتمام المهمة المعهودة اليها من قبل جمعية الامم ولا وجه للبحث في امكان عدولها عنها .

صفة هذه المهمة ـ ان تطبيق نص المادة الثانية والعشرين من معاهدة فرسايل ظهر انه ذو دقة خاصة في الشرق حيث الطوائف المختلفة التي تقيم في اراضيه قد بلغت منذ زمن بعيد درجة من الرقي جعلها في الصف الاول بين الدول الاكثر تطورا في الشرق الادنى فالدولة المنتدبة مع تأييدها الامن والسكينة وهما الركنان الاساسيان لكل تطور سياسي لم تغفل عن تحقيق أمنية هذه الطوائف غير ان تأويل هذه الاماني صادف حتى الآن عراقيل لا يستهان بها نظرا لما بينها من التناقض الكثير .

وكان الاهتمام بتحقيق اماني هذه الطوائف هي الفكرة المتواصلة التي

اوحت بالسياسة الفرنسية ولم تزل الدولة المنتدبة ثابتة على هذه الخطة وموطدة النية على النزول عند هذه الاماني ما دامت ضمن دائرة النظام والسكينة وما دامت لاتمس حقوق الاقليات التي ايدتها المعاهدات ولا تخالف ما تقتضيه المصالح العامة الكبرى للبلاد .

ثانيا ــ استمرار السياسة الفرنسية والقانون الاساسي ــ ان هذه السياسة التي حددها مسيو دي جوفنيل بوضوح نالت موافقة الحكومة الفرنسية وجمعية الامم فوجب ان يفصح عنها بصراحة في القانون الاساسي وهذه هي السياسة التي سيبقى المفوض السامي الجديد متمسكا بها .

على ان النظام النهائي لبلاد الشرق المشمولة بالانتداب الفرنسي سيكون قبل كل شيء من وضع الذين يهمهم امره فالدول ضمن نظامها الحالي الذي هو ثمرة جهود ثماني سنوات جديرة بأن تبحث فيشؤون مصلحتها وفي ازالة المنازعات بعضها مع بعض كما انها جديرة بأن تعقد كل اتفاق جديد من شأنه ان يزيد التوفيق بين المصالح التي لم تكن في وقت من الاوقات متفرقة ولا منفصلة فالدولة المنتدبة ستبذل قصارى جهدها في عقد اتفاق عام وستقوم بوظيفة الحكم في ما قد يحصل من المنازعات اما اذا كانت قد رغبت في جعل النظام الجديد على اساس موافقة الاهلين عليه فلا يسعها ان تنسى المهمة التي وكلت اليها فاذا لم يحصل اتفاق عمدت الى التدابير اللازمة لاجل المحافظة على السكينة وضمان المستقبل وستبلغ تلك التدابير وقتئذ الى جمعية الامم .

ثالثا : ــ الحكومات المحلية ووظيفة الانتداب ــ لقد تم حتى الآن تقدم كبير من هذا الوجه وسلمت الدولة المنتدبة مقاليد السلطة الى الذين يهمهم الامر في كل جهة اعيد اليها نظام ثابت وامكن فيها بفضل الهدوء والسكينة استطلاع رأي الامة وتأليف حكومات نظامية فعلى الحكومات المحلية ان تعمل مافيه مصلحتها الخاصة بمشورة ومساعدة الدولة المنتدبة . ان تجديد التنظيم الجاري في دوائر الانتداب المؤدي الى لامركزية اتم والى التقريب بين

المشورة والعمل واجتناب تراكم هيئات المراقبة سيزيد رغبة الدولة المنتدبة وضوحا وجلاء فيما يختص بمساعدة الدول المشمولة بالانتداب في تطورها السياسي والاسراع بـه فتتحقق حينئـذ تماما الامنيـة المنصوص عليهـا في عهد جمعية الامم .

رابعا : ـ النظام والامن ـ اعيد النظام واصبح الامن سائدا اليوم ضمن الحدود ولقد بذلت الدولة المنتدبة للوصول الى هذا الغرض جهـدا عظيما وقبلت تقديم ضحايا تدل دلالة واضحـة على انها تريـد ارادة لا تتزعزع ان تصل الى نتيجة حسنة بمهمتها الكبرى التي بها توثق عرى الصداقة النهائية بين فرنسا والبلاد المشمولة بالانتداب .

ويجب ان تتأيد فوائد السلم بالتعاون الادبي والتعاون المادي بين تلك الدول نفسها فان السلم هو خير منهاج لهـا وكل عمل يجري بدون هذا السلم سواء من الوجه السياسي أم الوجه الاداري ام الاقتصادي او المالي لا يثمر الثمرات المرجوة منـه بل يكون عبثا بلا جدوى وهذا يجعل ما تطلبه الدولة المنتدبـة من اشتراك تلك الدول على وجه معقول في الاعباء التي تستلزمها صيانة الامن طلبا مشروعا .

ولا يستفاد من هذا التصريح بوجه من الوجوه ان الدولة المنتدبة تفكـر في ان تضعف عدة الامن التي اعدتها لحماية هذه البلاد او انها لاتهتم بعـد الآن بحفظ النظام فهي بالعكس لا تزال تتحمل التبعة امام جمعية الامم ولكنها تريد ان تزيد كل يوم اشتراك الاهلين انفسهم في الجهد الذي تبذله لمنفعتهم في سبيل حفظ الامن وعلى ذلك يجب ان يقابل التخفيض المتوقع في القوات الفرنسية بزيادة في القوات المحليـة والمليشيا اللازمـة للدفاع عن الاراضي وستكون اعباء تلك القوات على عاتق الدول المشار اليهم .

خامسا ـ التقدم الاقتصادي ـ ان صيانة الامن تجعل في انجاح البـلاد

الاقتصادي ولا تلبث ان تحمل المهاجرين العديدين الذين مـا برحوا شديدي التمسك بمساقط رؤوسهم على الرجوع الى البلاد فبالخطة الاقتصادية يمكن ان يكون تعاون الدولة المنتدبـة والدول المشمولة بالانتداب مفيدا في تحقيق أمور لا تكفي المتوفرات المحلية للقيام بها لاسيما ان تحسين الحالة الاقتصادية والمالية في العالم وبالاخص لامكان الحصول على شروط للسلفيات اكثر موافقة مما مضى لا بد ان يكون له تأثيرا في الشرق . ولقد يثبت المفوض السامي في اثناء اقامته في فرنسا ان الاسواق الفرنسية يمكنها ان تهتم بتقدم سوريـة ولبنان من الوجهة الاقتصادية .

سادسا ــ ادارة المصالح المشتركة ــ ان المصالح المشتركة بين الـدول المشمولة بالانتـداب الفرنسي كثيرا جـدا والمنازعات التي قامت في بعـض الاحيـان لا تتفق بوجه عام مع الحقيقة الراهنة فلاجل صيانة ذلك الملـك المشترك تقوم المفوضية السامية بنوع خاص بمراقبة بعض المصالح التي يمتد عملها على جميع الاراضي بالسواء وستظل قائمة بهذه المراقبة بتنبيه خـاص الى ان تضع الدول الحالية قواعد ثابتة لاتفاقها وتؤسس تحت رعاية الدولة المنتدبة الهيئات المشتركة اللازمـة .

وبينما نرى تطور العالم يتجه في كل مكان نحـو تأليف المصالح لا يسع دول الشرق وحدها ان تطلب التقدم والرقي باتباع سياسة تفريق ضيقـة جدا . ان مستقبلها لا يكون بالسير على هذا المنوال والدولة المنتدبة المهتمـة بتوثيق عرى الاتحاد والوئام بين الملل التي وكـلت اليهـا وصايتها تتمنى ان تراها تزداد تقربـا بعضها الى بعض ويجب ان يكـون لهـا من ادارة المصالح المشتركـة بينها فرصة تنتهزها لذلك والمفوض السامي يريد ان يتبع هـذه بمعاونة ممثلي الدول معاونة تزداد نشاطا في كل يوم وان الزمان سيعمل عمله وحكمة الحكومات واختبارها يتكفلان بالباقي . وان الانتداب بحكـم صفته

نفسها لا يسعى الخلود ولا التجدد .

فالى قضاء تلك المهمة يرمي الجميع وان عدم الصبر لا يعجل في الحل المرغوب فيه بل لا يمكن ان يعود الا بتأخير وان العنف ليقوض اعدال الآمـــال .

ان المبدأ الحر الذي تتمشى عليه الجمهورية الفرنسية لا يسع احدا ان يرتاب فيه وعليه فان الدولة المنتدبة التي عهد اليها في مساعدة سورية ولبنان كدولتين مستقلتين في سبيل الرقي التدريجي وفي جعل حقوق الجميع محمية ومحترمة لا تتخلف عن القيام بواجباتها ــ أ هـ . »

كان لهذا البيان الوقع الاليم في نفوس السوريين اذ دل على قضائه المبرم على سياسة التفاهم بين سورية وفرنسا وايد استمساك الفرنسيين بذلك الاساليب القديمة البالية والخطط التي كانت مدعاة لتباعد الشقة بين الفريقين .

فاذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني خلال اغسطس سنة ١٩٢٧ ردا على ذلك البيان معربة فيه ان الخطة التي نوهت الحكومة الفرنسية بها تناقض تماما سياسة الوطنيين معلنة ان لم يعد في وسع اللجنة بعد موقفها الودي وبعد ما كان من الفرنسيين من الجواب عليه الا العودة الى السلبية والمعارضة ودعوة السوريين داخلا وخارجا الى استئناف الجهاد حتى تتحقق الاماني والآمال وقد اجمع الوطنيون في الداخل على عقد مؤتمر كان فيه عن دمشق كل من السادة الامير سعيد الجزائري ويوسف العيسى واحسان الشريف وعن حمص هاشم الاتاسي ومظهر ارسلان وعن حماه نجيب البرازي وعبد القادر الكيلاني وعن حلب ابراهيم هنانو وعبد الرحمن الكيالي وعن طرابلس الشام عبد الحميد كرامى والدكتور عبد اللطيف البيسار وعارف الرفاعي وعن بيروت الدكتور عبد الله اليافي وعبد الرحمن بيهم وكان

الغرض من هذا المؤتمر بحث البيـان وتقرير ما ينبغي ان يسار عليه مـن الخطة في تلـك المرحلة فانعقد هذا المؤتمر في بيروت في الثالث والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٧ برئاسة الرئيس الجليل هاشم الاتاسي وانفض في الخامس والعشرين من الشهر الملمع اليـه من بعد ان وضع البيان التالي خطاب للمفوض السامي :

« لما وجدنا الموقف السياسي في سورية لم ينجـل غيهبـه منـذ ثماني سنوات وان الدولة الفرنسية رغم اهتمامها الشديد في الامر لا تزال تلجـأ الى تجارب متنوعة والى تطبيق خطط واشـكال من الاوضاع السياسيـة والادارية لم تنتج حتى الآن التفاهم المرغوب ولم تضمن تحقيق الاماني التي ترمي اليها الامـة السورية ولم تزل تذكر ما جره الماضي من الاحوال السيئة والمصائب المفجعة وشعرنا بان البلاد قادمة على تطور جديد لايتفق تماما مع المطالبات التي رفعتها الامة السورية الى حكومة الجمهورية الفرنسيـة بلسان وفودها وممثليها وصحافتهـا تكرارا ورأينا ان بيـان المفوض السامي المسيو بونسو المعلن في ٢٦ يوليو غامض وان ماجاء فيه من اسس ونظريات عامة لم يجل الموقف الذي اشرنا اليه بل ولد نوعا من الريبة في نفوس اهالي وطننـا الذين كانوا يعتقدون بانه يقضي على جميع مايشكون منه ويحقق كل مايصبون اليه ، ولما كان ايضا ما شاع وذاع عن الاجراءات التي تنوي السطة تطبيقهـا والحكومة المحلية تنفيذها لايتفق مع ماتنتظره البلاد فضلا عن وجود عامل آخر يقف دائما في سبيل حسن التفاهم وهو فقدان بعض الحريات كحرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الكلام وكوجود الادارة العرفية المختلفة الشدة بـين مكان ومكان والاستمرار على الاعتقالات وسلب الحرية الشخصية بدون سابق احكام وكعدم اعتناء السلطة الفرنسية برأي اكثريـة الامـة الذي يجاهر بـه الوطنيون .

لهذه الاسباب جميعها وجدنا ان واجب الاخلاص يوجب علينـا التداول

في الامور كلها لنجد لها حلا عادلا مرضيا للطرفين فقد راينا على عقد اجتماع في جو خال من التأثيرات واخترنا مدينة بيروت وبحثنا هذه الامور من جميع اطرافها لنرفع النتيجة الى المراجع العليا ونكاشفها بما فيه مصلحة الامتين السورية والفرنسية ، لتبقى الثقة متبادلة ولتعود الطمأنينة الى القلوب ونتساعد على تحقيق النوايا الحسنة فيما يتعلق بارشاد وترقية سورية التي قطعت الجمهورية الفرنسية على نفسها عهدابايصالها الى المستوى اللائق بها من المدنية والاستقلال .

وقد كان اول عملنا درسنا بيان المفوض السامي فوجدنا بعد درسه انه يقضي علينا لفت نظره الى نقاط غامضة لم نتوصل الى حلها وهي :

١ ـ ان السلطة الفرنسية اطلعت كما قلنا على امانيالبلاد وعرفت ما يصبوا اليه ابناؤها من الطلبات ومع ذلك ففي جميع التطورات التي تطورتها القضية السورية في المدة الاخيرة وفي جميع المفاوضات التي دارت معكم ومع اسلافكم وبعض كبار رجال فرنسا الذين قدموا سورية وتذاكروا مع وفودها ودرسوا حالاتها الاقتصادية والسياسية والادارية لم يأت ذكر التحفظات التي ترتكز عليها سياسة فرنسا في سورية . وغير خاف ان التجاريب الكثيرة عند الامم التي وقعت بينها اختلافات دلت على ان اقرب الطرق لحل المشكلات وازالة سوء التفاهم كانت ومازالت بتعيين النقاط والمنافع التي يحتفظ بها احد الفريقين فبيان المفوض لم يذكر شيئاً من هذا القبيل ولم يشر اليه ولو من طرف خفيحتى ان التفسير الشفهي للبيان لم يتعرض لذلك ايضاً .

٢ـ لم يتضمن البيان مايدل على عادة الحرية الطبيعية للامة فيصحافتها واجتماعاتها وتشكيل احزابها ورفع الاحكام العرفية والغاء النفي الاداري وسياسة الابعاد ولا نص على العفو العام الذي يستطيع معه المعتقلون والمحكومون السياسيون والمبعدون عن اوطانهم الرجوع الى البلاد قبل

دخولها في تطور عملي جديد لكي يعملوا ويشتركوا في خدمة البلاد .

٣ ـ اعتبر البيان سورية اجزاء مفككة متباينة وراعى الطائفية والتقسيمات الادارية والاوضاع السياسية وغير خاف ان هذا الاعتبار يجعل الجسم السوري الذي لم يقو الحكم السالف على تجزئته وتفكيكه عرضة للوهن والضعف مع السنين .

٤ ـ يصرح بيانكم « ان الدستور سيضعه من يهمهم امره » ويفهم من هذا وجود من لا يهمهم أمره في البلاد مع ان الامة ما زالت تنتظر الدستور بفارغ الصبر وتلح بوضعه من قبل جمعية تأسيسية تنتخب انتخابا حرا لتكون ممثلة لها بأجمعها وتستطيع ان تحدد علاقات الطرفين والشكل الاداري الملائم لحالة البلاد الادارية والاقتصادية والسياسية وما تتطلبه من الاسس الكافلة لتنفيذ سلطانها القومي .

٥ ـ اشار البيان الى بقاء الدول والبلاد ضمن نظمها الحالية فهذه القضية لم تعالج بوضوح كاف وبطريقة حاسمة لانه ليس بخاف عليكم ان المصالح التي تفضلتم بالقول عنها « انها لم تكن في وقت من الاوقات منفصلة ومتفرقة » لا تضمن الوسائل المؤدية الى ازالة المنازعات فيما لو صح وجودها . وعقد الاتفاقات لا يكون ميسورا ما لم تصرح الدولة المنتدبة في مقرراتها واجراءاتها باعتبار سورية مجموعا كاملا يقضي ان يطبق فيه ما يحفظ جميع المقومات والمشخصات التي تحتاج اليها كل امة للمحافظة على قوميتها الخاصة .

٦ ـ ذكر البيان اهتمام الاسواق الفرنسية في انجاح سورية من الوجهة الاقتصادية ولكنه لم يتعرض لاقتصاديات البلاد الحالية وضرورة تحسينها بتخفيف الضرائب التي أثقلت كاهل السوريين واضحت اضعاف ما كان يؤديه المكلف في الماضي وما يتحمله انتاج زراعته وصناعته وتجارته ولم يعد

ينظر في امر الحواجز الجمركية وفي امر الشركات ذات الامتيازات التي رغم وجود الغبن في امتيازاتها لا تسير على شروط هذه الامتيازات الى آخر ما هنالك من الامور الداخلية التي لم يشعر الرجل السوري باصلاحها فلا كبير فائدة له من اهتمام الاسواق الفرنسية بأموره الاقتصادية .

٧ ــ ذكر البيان ان المفوض سيبقى متمسكا بالسياسة التي حددها المسيو دي جوفنيل بوضوح وجلاء والتي حصلت على موافقة الحكومة الفرنسية وجمعية الامم .. والمفوض السامي السابق عقد اتفاقا مع الدولة السورية مبنيا على هذه السياسة فهل ما جاء في هذا الاتفاق هو الذي سينفذه المندوب الحالي ؟ ان البيان لم يوضح هذا الامر .

٨ ــ اشار بيانكم الى تنظيم جديد في دوائر الانتداب ولكنه لم يحدد العلاقات التي ستكون بين هذه الدوائر والحكومة المحلية وعلى من تقع المسؤولية فيما يرتأيه المستشارون اذا وقع اختلاف او خطأ ونحن نرى حتى اليوم ان الحكومة المحلية تتحمل مسئولية تنفيذ اجراءات عديدة لم تكن صادرة عن فكرتها الخاصة . وعلى هذا ضاعت المسؤولية وضعفت كفاءة الموظفين الوطنيين واضطربت المعاملات .

٩ ــ ذكرتم ان الدولة المنتدبة « لاجل صيانة الملك » ستقوم بنوع خاص بمراقبة المصالح وذلك على ما تبين لنا باحداث مصالح مشتركة فهل يفهم من هذا ان هذه الدوائر ستتولى توثيق عرى الاتحاد والوئام بين الملل التي ذكرتموها وعلى أي أساس يكون .

١٠ ــ يقول البيان ان عدم الصبر لا يعجل في الحل المرغوب فيه بل يمكن ان يعود بتأخير وان العنف يقوض اعدل الآمال وهو قول حق ولكن الا تظنون ان السنين التي مرت بدون استقرار على سياسة مرضية بدليل سرعة

تبدل الاوضاع الادارية والسياسية ومخالفة هذه الاوضاع رغم تنوعها للاماني الوطنية يحمل على ادخال اليأس في نفوس المفكرين ويولد القلق في افكارهم لانهم طالما سعوا لمداواة ذلك بالطرق السلمية والقانونية فلم يجدوا التسهيلات المطلوبة وكان سعيهم وبالا عليهم وعلى حريتهم .

النتيجة : ــ فهذه النقط الغامضة في بيان المفوض السامي هي التي وجدنا ضرورة رفعها اليكم ولفت نظركم اليها كما ان الاسباب الداعية للتفكير في تقرير مصير الحالة الحرجة تنحصر في عدم اضاعة الجهود والاتعاب المبذولة في سبيل انماء مواهب الامة واستثمار خيرات البلاد وهذا ما يقوي رغبتنا في التفاهم والعمل المشترك مع الامة الفرنسية الحرة توصلا لهذه الغاية ويدعونا لان نضيف الى ذلك الكلمة الآتية :

ان السوريين في الحاحهم على الشعب الفرنسي بتحقيق امانيهم لا يطلبون خلق حالة سياسية جديدة لان البيانات والمعاهدات اعترفت باستقلال سورية واعترفت للسوريين بالجدارة بحكم انفسهم فهم اذن يطلبون حقا كانت الدولة الفرنسية قد ضمنته لهم وحرمتهم منه سياسة بعض الموظفين الفرنسيين في سورية الذين تجاوزوا حدود النصح والارشاد مما ادى الى جر فرنسا لمواجهة المواقف المضربة في سورية ولهذا فنحن واثقون بأن وجهة نظر الدولة الفرنسية ووجهة نظر الوطنيين يمكن بل يجب ان يتفقا ويتحدا ونحن نعتقد أن في فرنسا أمة نبيلة تؤيد قضيتنا الوطنية وتعطف عليها وتريد اعادة الثقة بيننا وبينها وهذا ما يؤكد لنا تمسك الشعب الفرنسي بالعدل ويدلنا على لزوم التعاون المشترك المبني على تبادل المنفعة وتعيين واجبات الطرفين .

هذا واسمحوا لنا ياجناب المفوض ان نذكركم بطلبات امتنا التي قدمت اليكم سابقا بلسان وفودها في الداخل ووفدها في الخارج والتي بسطناها اجمالا في هذه السطور ووعدتم قبل سفركم الى فرنسا بدرسها ومعالجتها

والآن لا نعلم مصيرها ولا نسبتها فيما تنوون اجراءه وقد وجدنا انه جدير بنا لفت نظركم في الختام الى لسان حال امتنا في الظروف الحاضرة فهو يخاطبكم قائلا :

طلبتم منا الصبر فصبرنا وحسن الثقة فوثقنا فهل يرضيكم بقاؤنا متذمرين شاكين مقيدي الحركة مفككي الاجزاء ؟ اننا لا نصدق ذلك ولا نريد ان نصدق اننا عندما نطلب منكم النظر في قضيتنا بانصاف ونسائلكم تعديل ما هو ضروري تعديله واصلاح ما هو واجب اصلاحه من المواقف والتدابير غير المرضية ان تتهمونا بأننا اعداؤكم وان مصالح الانتداب مهددة مع أننا أدرى الناس بالامر الواقع ونياتنا الحسنة .

هذا هو لسان حال الامة نعيده على مسامعكم ونزيد عليه بأننا لسنا اعداء فرنسا التي عرفناها بعلمها وحريتها ومدنيتها وتفانيها في خدمة المباديء الانسانية ولهذا رمينا بهذا الاجتماع الى تذكيركم بأن الامة السورية مستعدة لمد يد الصداقة والمصافحة ونسيان الماضي المؤلم كلما وجدت تحقيقا لامانيها وسيادتها القومية ـ ا هـ » .

على هذه الصورة الاليمة انطوى علم الثورة السورية وانزوت جذوة الحماس الوطني الذي طالما تأجج والذي طالما كان عنه من الاعمال المجيدة والافعال الحميدة ما لا يمكن لمنصف ان يتجاوز عنه او ان ينساه وهكذا سجلت الامة السورية العربية على صفحة فؤادها الى المفوض السامي الفرنسي المسيو بونسو ما تسجله الامم المغلوبة على امرها في تاريخها من الم ممض وكدر يحز النفس وتأثير مرير لا مزيد عليه .

لقد اخذ هذا الرجل بالصمت حينا وبالمساوفة احيانا وبالوعد تارة بزعم تدقيق الامور طورا فكان بين هذه الادوار التي اتقن تمثيلها في منعطفات المسرح السياسي وتضاعيفه أبرع ممثل بالنسبة الى أمته على رأي قصيري البصر قليلي الادراك غير عارفي الدهر ومختبرات الايام وكان من ناحية ثانية

يدر الرماد على تلك النار التي ظن بأنها قد انطفأت ابدا وانها لن تعود ان تصلي بنارها احدا وان الوقدة الاخيرة التي اتقدتها مضت وخبت وانطفأت ولم يعد لها من حرور او اثر .

اننا نقول الى المسيو بونسو انك اخطأت نحو امتك كما اخطأت نحو الشعب العربي في سورية كما نريد ان نثبت له هنا اننا ما كنا نأمل من رجل بعثته امته ليكون الرسول الامين الحامل الى السوريين نبل الشعب الفرنسي مخدرا الشعب السوري وممنيا اياه بمعسول الوعود التي كانت في النتيجة برقا خلبا .

ما ظن الوفد بأن الفرنسيين سيكلون امرهم في سورية الى مفوض سام ينطق باسمهم بالتسويف والمماطلة وبالعهود التي لم ينجز شيئا منها بل كانت الامة السورية على امل كبير ورجاء لا يخيب بأن الشعب الفرنسي من دون الحكومة اهل لكل مكرمة ومحمدة حتى كان من المفوض السامي ما كان فانقلبت الآية واصبح كل انسان يخشى كل افرنسي على وجه الارض .

وصفوة القول :

فلكل ما تقدم ذكره من الحوادث والمعارك وبينما كانت المفاوضات قائمة على قدم وساق بين الوطنيين من مختلف الهيئات ورجالات البلاد من جهة وبين الفرنسيين من جهة ثانية وكلا الطرفين يعلقان عليها وطيد الآمال كانت الاعمال الحربية ، ورحى القتال مستعرة بضراوة وشراسة لم يعرف التاريخ لها مثيلا بحيث تتأجج الحرب والطعان بين حين وآخر والتهب اواره حتى عم جميع البقاع وتجاوز عنان السماء حمما ونارا فسالت ينابيع الدماء ، وفرشت الاراضي بالاشلاء وكان النصر معقود لواءه للابطال المجاهدين الذائدين عن حياض الوطن رغم كثرة العدو ، ووفرة ذخائره ومعداته وقد كاد المجاهدون ان يقطفوا ثمرات النصر ولكن حدث في هذه الآونة ما لم يخطر على

بال انسان مما نمسك القلم عن ذكره لما يحز في النفس من مرير الآلام اسفر عن تسرب الضعف الى الثورة ، والوهن في العزائم ، وتفرق الكلمة ، وتعدد النزعات ، وفقدان العتاد ، ونفاذ المعدات انتهت بقيام الجيش الفرنسي بهجوم غادر في الثلث الاخير من شهر تموز ١٩٢٦ وجرت مذابح ومعارك ضارية وبالسلاح الابيض بين المجاهدين والفرنسيين بلغت شدتها حتى اوائل ايلول عام ١٩٢٦ انتهت بتراجع الثائرين وجلائهم عن الجبل والغوطة وغيرها من مناطق الثورة وهو ما كان نذيرا بانهاء الثورة ، واخماد لهيبها ، ومع ان الغوطة كانت معقلا حصينا للمجاهدين الابطال اعمل الثوار بالاعداء ذبحا ذريعا ، وتقتيلا شنيعا ، وفتكا مريعا لم يضع الجلاء عنها الحد الاخير المحركات الحربية بل ظلت المناوشات بين الطرفين بين آونة واخرى حتى اوائل نيسان عام ١٩٢٧ اذ سكنت اصوات المدافع وهدأ أزيز الرصاص الذي ظل يلعلع بشدة نحو سنة وتسعة اشهر وقد بلغت خسائر الفرنسيين في هذه الثورة حسب ما جاء في تقاريرهم الرسمية بأكثر من (٣٠٠) ضابط وما يقرب من عشرة آلاف جندي أما ضحايا المجاهدين فلم يكن من الممكن الحصول على احصاء دقيق بهم الا انها من المحتم انها كانت اقل بكثير مما خسره الفرنسيون باستثناء ما هي عادة الفرنسيين والمستعمرين من الحاق الاذى والتنكيل بالابرياء المدنيين الآمنين الذين كانوا ضحية الظلم والتشفي والانتقام. وبعد ان عجنت تربة الوطن بدماء الابطال الشهداء ، والضحايا الابرياء وهذه الدماء الذكية لم تجف بعد حيث وقفت البلاد موقفا اشد سلبية وحتى اقنعت الوطنيين بالدخول في مفاوضات لانتخابات جمعية تأسيسية تضع قانونا أساسيا للبلاد ثم تتولى الحكومة الشرعية عقد معاهدة مع فرنسا تحل محل صك الانتداب ولكن حنث الفرنسيون بالمعاهدة وبالعهود كعادتهم وتجددت الاضطرابات الرهيبة وقامت المظاهرات الدامية في طول البلاد وعرضها مما سنأتي على ذكره وتفصيله في كتاب مقبل نصدره ان شاء الله وهكذا لم يهدأ


RF
بربرية المتمدنين

للفرنسيين بال او يقر لهم قرار الى كان عدوانهم الاثيم الذي انتهى بأعياد النصر والجلاء عن ارض الوطن ، وتحقيق الاماني القومية العربية التي أعلنها المواطن العربي الاول بطل الجلاء السيد شكري القوتلي بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٦ الذي كان رئيساً للجمهورية يومئذ وفيه تم جلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد ..

ففي سبيل الله ما قاسى السوريون العرب في هذه الثورة من آلام وما ضحوا من ارواح ودماء . وفي سبيل الله ما جاهدوا ودافعوا وناضلوا (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز) .



من اشهر قادة الثـورة بطـلُ الجـلاء
المواطن العربي الاول الرئيس شـكري القوتلي

شهداء الثورة السورية العربية

مرتبـــة على حروف الهجاء

لقد سبق لنا ان المعنا في صدر كتابنا هذا الى ان الرائد الذي حدا بنـا لتأليف هذا الكتاب هو ذكر الاحسان للمحسن والاساءة للمسيء من غـير ان نولي وجهنا شطر شخصية ما او فئة من الناس دون فئة ومن غير ان نتقيـد بمذهب او عنصر او دين .

فعلى هذه الصفحة المجيدة نثبت آيات الخلود وعلى هذه اللوحة اوحـــة الفخار نعدد اسماء الابطال الذين قضوا في سبيل العزة القومية وفي سبيـل النجدة الوطنية وفي سبيل الواجب الاقدس في سبيل سورية الحبيبة والعروبة العزيزة والحرية الحمراء التي صبغوا جوانبها بدمائهم الذكية .

هؤلاء هم حملة المشاعل امام الجيل الآتي وهؤلاء هم رافعوا لواء المجد امام العصور المقبلة وهؤلاء هم الائمة الذين اختطوا على صعيد هـذه البلاد بتـلك الدماء والاشلاء اسطر التضحية الصحيحة لتكون بذرا في الثرى ينبت في الايام التي ستتلوا هذه الايام نشأ جديدا حديثا رضع المفاداة وتغذى بلبانهـا وتنشق نسيمها وسار على غرار هؤلاء الابرار .

فهؤلاء هم كالنجوم ولكن الخوافق منها واللوامـع لا الخواسف منهـــا والكوامد وهؤلا هم كالبدر المشرق الكامل لا كالهلال الناقص الفـادي وهؤلاء هم كالشمس المتألقة السطاعة لا كالتي يحجبها الغمام ويسترها الظلام .

انا اذا اثبتنا على هذه الصفحة النصعاء النقية البياض ذكر هؤلاء الاعلام من الامة انما نسجل الفخار مقرين لذويه بالايثار والافضلية ومعترفين لبنيه بالاولية والاسبقية فيهناهم من رجال كانوا القادة احياء وامواتا وكانوا العبرة

تحت الشمس وتحت الثرى وكانوا المثال الذي يحتذى فوق الارض وتحت القبر .

ان هؤلاء الافذاذ لم يموتوا ولن ينسووا ولا الايام والليالي بقادرة على ان تمحوا معالمهم على كر الدهور ومر العصور فلهم من الامة مزيد الشكر ومن الله جزيل الاجر فانفاذا لهذه الغاية المجردة والهدف الاعلى من الاعتراف بفضل الاحرار وجهادهم لاندحة لنا عن ان نشيد بذكر الاخوة الاكارم والابطال الجحاجح والفرسان المغاوير بنو معروف الاشداء البواسل وغيرهم من الابطال السوريين العرب وقد جنحنا الى البدء بذكر شهداء بني معروف لان الثورة السورية شبت في جبلهم الاشم ومنه عمت سائر الاقطار السورية

ان هذا العنصر الكريم عنصر بني معروف الابطال يكاد ان يكون كالتبر المذاب لا بل كالدرة اليتيمة في عقد الثورة السورية المجيدة فهم اولوا هذه الثورة أثابهم الله من ذات اليد وذات النفس ما يعجز عن توصيفه هذا الطرس فهم بحق اسود الشرى وهم بنبل رجال الوغى وهم عن جدارة رجال المعارك في كل ساحة وفي كل موقف وفي كل مكان وقد ألممنا بهذه النبذة اليسيرة عن خصالهم الجليلة واعمالهم العظيمة ونحن ندري بأننا لا نوفيهم حقهم ولا نؤديهم قسطهم وما هم جديرون به من الاشادة بكل محمدة لهم ومفخرة .

فالشهداء الابرار منهم الذين سنأتي على تعداد اسمائهم مع كلمة يسيرة جدا تعطي الفكرة عن ذلك الشهيد الحي منهم وهي كل مااستطعنا بعد الجهد الجاهد والعناء العظيم ان نبلغها بكل شقة فما نعتذر بـه الى اسر بني معروف العريقة الامجاد والشرف هو اننا كنا نود ان نطلع على العالم بالصفحات النواصع من التاريخ الابلج لهذا القوم العزيز على العروبة والكريم على المروءة والعظيم بكل افعاله ولكن هذا هو كل ما تمكنا من بلوغه على اننا لنرجو ان يتخذ أخوتنا بنومعروف مما يقرؤونه في كتابنا هذا عنهم اسمى ما نتحسسه من اقرار بالرجولة واعتراف بالبطولة وذكر لكل ماقاموا بـه ويقومون من شجاعة وحماس في كل حين وآن .

الشهيد اسماعيل الاطرش

صلخد من القرى التي ساهمت في الثورة السورية وانجبت رجالا وبعثت بأبطال في كل المواطن وفي كل المعامع وفي جميع المعارك منهم فقيدنا الشاب النبيل الذي لم يكن له في معركة الكفر التي لبى بها داعي الله عام ١٩٢٥ الا عشرين عاما قضاه بالواجب المفروض على كل فتى في ريعان الصبا في الجبل الاشم من كفاح الى نضال في سبيل الله والعروبة والوطن .

الشهيد أجود البربور

الشجاعة الفائقة والتضحية الحقة والاخلاص الاكيد هذه هي المزايا التي اتصف بها فقيدنا الشاب فهو على ما كان عليه من الاربع والعشرين عاما سن الشباب وعمر الفتوة وريعان الصبى كان كمن خاض معارك عدة وجلى في مواقف كثيرة . لم تسعده الايام بأن يخوض غمار قتال الا في الثورة السورية ولكنه قام بواجبه فيها كما لو كان مارس الحروب من قبل ان يخلق بمئات السنين فقد ابلى بأعدائه اوفر بلاء وقاتلهم اشد قتال ولم يرتد عما جاهد لاجله الا وقد نال مبتغاه ولم ينكفيء قافلا عن هدفه الا بالموت الذي تطلبه كثيرا فبلغه عن طريق المروءة والحمية والشرف والنضال في ساحة المجد فخر قتيلا في موقعة تل خاروف المكان الواقع على تخوم الجبل الاشم وقرى حوران من بعد ان ناضل نضال الاسود وابلى بالاعداء البلاء الاوفى وكال للاخصام الصاع صاعين والبطولة بطولتين قضى والقوم يكبرون به الشجاعة والحماس ويتخذون منه المثل العليا وشديد المراس .

الشهيد احمد البربور

الخؤولة والعمومة كالاخوة والابوة ينتقل اليها كريم الشيم وحميد الخصال كما تنتقل من الاب الى الابن ومن الشقيق الى الشقيق فهذا الشهيد بن عم اجود وحميد وساهم هذا الفقيد في ثورة ادهم خنجر الى السلطان وغار في

حروب العشائر وهو حديث السن بعد وقاتل قتال الاسود عن العرائن وناضل نضال النمور عن الحمى وجاهد في سبيل ثلاث الله والوطن والعروبة وظل يكافح من اجلهم وفي سبيلهم حتى كان في موقعة تل خاروف مع من استشهد من بني عمه تاركا له هذا الذكر الذي لايمكن لعمري ان يتلى الا وتأخذ بمجامع نفسه مشاعر يرى فيها ان العربي خلق للموت شريفا او العيش الصحيح حيا فحيا الله ذكر هذا الشبل الذي لم يتجاوز الثلاثة والعشرين ربيعا حتى ختم حياته المقدسة بأعظم الذكرى والخلود .

الشهيـــد احمد الخطيب

لم يساهم فقيدنا هذا في الثورة السورية في جبله الاشم فحسب بل انه كان من انصع الابطال افعالا في حوادث الغوطة ومعاركها فهو الذي انجبته قرية طربا فرفع راسها عاليا وكان احسن ممثل لرجالها اذ ختم الخمسة والاربعين سنة من عمره الحافل بجليل الاعمال في معركة معلولة في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ يسجل للبلد الذي اعتزت به آيات الفخر بشهادته السامية .

الشهيد احمد صعب

هذا الشهيد الذي كان علما من اعلام قرية الشريحي والذي سلخ الخمسة وثلاثين عاما من عمره قام باعظم الواجبات الوطنية وخاض اكثر المعارك الحربية التي نشبت ابان الثورة السورية وآخر ما اتم به جهاده الشريف في ٢ آب سنة ١٩٢٥ في معركة المزرعة الشهيرة حيث قضى واجب الجهاد الاكبر .

الشهيد اسماعيـــل المتني

عندما خر شهيدا هذا البطل المغوار في معركة المزرعة في ٢ آب سنة ١٩٢٥ لم يكن له من العمر الا اربعين عاما قضاه في اعظم ما يكون عليه الرجل الشجاع والكمي الكبير فهو بحق مفخرة قرية الكسيب وهو عن صدق رجل

المعارك ابلى فيها البلاء الحسن حتى كان لـه شرف الموت دفاعـا عن عـرض ووطن ودين .

الشهيد ابراهيم نصـر

المعركة التي استشهد فيها هذا الفقيد العظيم معركة الزباير في اللجـاه التي نشبت في ايار عام « ١٩٢٦ » فكان بطلها غير المدافع وكان فارسها غير المنازع وكان الرجل الذي ظل يناضل ويجادل ويجاهد حتى رفع راس قريـة نجران باعماله فقضى في الثاني والاربعين من عمره يملأ تلك البطاح فخرا ومجدا .

الشهيـد توفيق الغوطاني

هذا الفقيد من طراز التي نوهنا عنها قريبا وقلنا انها بالحقيقة قد ساهمت في الثورة الشريفة برجالها فكان هذا الفقيد من جملة من جعل لها في العالم اسما كبيرا ومن فرسانها المعدودين الذين ابلوا وكافحوا في اعظم المعارك وخصيصا في معركة رساس فناضل حتى استشهد في الخـامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وليس له الا ثمان وثلاثين عاما طوى آخره بالشهـادة الـتي كم حن الكثير اليها .

الشهيد جميـل عز الدين الحلبي

هذا الشهيد البطل كان علم جبل العرب الخفاق في المعارك ولواءها المرفوع في كل واقعـة وآخر ماختم به هـذا الشهيـد عمره الذي ماتجاوز الاربعـة والعشرين عاما استشهاده في اللجاه عام ١٩٢٧ في المعركـة التي نشبت في قرية الشما .

الشهيد جبر شفلين

اسرة شفلين لها النصيب الاوفر من مشاطرة الثورة السوريـة فهي قد طلعت

علينا في عالم ثورتنا برجال اشداء نذكر منهم شهيدنا الفذ جبر الذي كانت له في المعارك حملات عنيفات وهو الذي ماسلخ الثلاثين من سنه حتى كان في معركة صميد ٩٢٦ وفي وقائع اللجاه يجول جولات ويندفع نحو الموت اندفاعا حتى كان منه ما اراد فاثبت انه من ابطال مغاوير ورجال صناديد يلقى الله بقلب ملؤه ايمانا .

الشهيد حامد الحلبي

شهيدنا الشيخ ابلى اشد البلاء في الاعداء وكم جندل العدد الاوفر من الاخصام وكم صمد في المعارك فهو على شيخوخته كان عامر الزند مفتول الذراع يعلم الاجيال الكر والفر وهو من كبار الاثرياء في جبل العرب الذي كان قد انهى سن الخمسين في معركة المسيفرة ومعركة ازريق فكان فيهما آية النزال والاقدام اللذين قربا خطواته وعجلا بروحه ان تنطلق الى العلياء .

الشهيد حمود الحلبي

من قرى جبل العرب الاشم التي بعثت بشبابها وشيوخها الى هذه الثورة الكريمة ليعلوا شأنها ويرفعوا منارها قرية المشقوق التي ظهر بها فقيدنا الكهل الموصوف بالسخاء المعروف بالجرأة المشهود له بالحمية والحماسة والمروءة فهو الذي كان في معركة الكفر من الصناديد الابطال الذين ثبتوا وصبروا وجاهدوا حتى اذا ما بلغ الثلاثين من عمره الا وقد لحق بربه يؤثر قرباه على هذه الدنيا الفانية .

الشهيد الامير حمد بن شبل الاطرش

من جملة الامراء الذين كانت لهم المواقف المشهودة من هذه العائلة النبيلة عائلة الاطرش الكريمة الامير حمد بن شبل الاطرش وهو بالحقيقة شبل ذلك الاسد الذي يمت الكل الى ذلك الليث الاول من هذه الاسرة العظيمة كان هذا

الامير من اكابر واعيان قرية عرى التي تألبت فيها الزعامة والتي كــان أميرنا الملمع اليه باجماع الكلمة امير الجبل بعد وفــاة الامير سليم . قــام بالواجب المفروض ودافع الدفاع المشهود وجال جولات عديدات سطرت له في موقعــة عرى آيات الشجاعة مصحوبة بالفروسية والبطولة وكان العزيز عليــه ان يخر صريعا في فراشه فظل يناضل حتى بلغ مناه من الشهادة في تلك الموقعــة عن عمر ناهز الثلاثين عاما فهو امير الوغا كما كان امير الجبل .

حمد بن قاسم الاطرش

قرية عنز في الجبل الاشم من القرى التي انجبت اشبالا واخرجت صناديد وابطالا فشهيدنا هــذا الباسل لم يكن لــه الا خمسة وعشرين سنة يوم قــام بضروب الحماس والنعرة الوطنية المغروسة فيه ويوم ان حضر المعركة بموقعة رساس فاظهر هنالك ممايشهد له بانه من هــذا العنصر الكريم العربي الدرزي مالاح معه في ساحات الشرف لوحات خر في آخرها يشهــد السماء والارض على انه ابلى البلاء الاقدس في سبيل الوطن والعروبة فاستشهد هنالك يرفع رأس قريته في الميادين والساحات .

الشهيد حمد البربور

من الابطال الاشاوس الذين يشار اليهم ويعتمد عليهم يوم الملمات قــاتل الاتراك منذ ان كان يافعا في حروب سامي باشا الشهير ثم انضوى تحت لواء المليك الاول للثورة العربية الكبرى المغفور له فيصل بن الحسين وظل صــادق العهد وفي الوعد امينا على من كرس نفسه اليــه حتى كان الاحتلال الفرنسي فلم يوآت الفرنسيين ولم يواليهم بل ناواهم وقارعهم تحت لواء الثورة السورية في ظل السلطان واشترك بمعارك عدةتشهد ببسالته وكانمن المدربين الخبيرين وكان على علم بمواقع القتال ومواطن الحروب يركن اليه الكثيرين من بني معروف فيعملون برأيه الصائب ويفاخرون بتفكيره الناضج . ظل هذا المقدام يبدي من

حين الى حين آية جديدة على البطولة حتى كانت واقعة تل الخروف فخرقتيلا في ساحة الشرف الى اخيه اجود (من سبق ذكره) وماكان يود ان يحيى من بعد اخيه الشهيد ابدا ولعمري هذه بطولة خارقة يجب ان تسجلها له الاقلام في بطون التواريخ .

الشهيد حمد عـامر

هذا الفقيد الفحل والشيخ المهاب يعد ركنا كبيرا من اركان الثورة والذي انتخبته قرية البثينة ليكون لسانها الناطق في الثورة السورية الكبرى وليكون علمها الخفاق فيها فكان في الحقيقة عند ذلك الظن الحسن فساهم في اكثر الوقائع حتى كانت واقعة المزرعة الاخيرة عام ١٩٢٥ وفيها كافح وقاتل حتى ختم الخمسين من عمره بأن احرز لقب شهيد في سبيل العروبة .

الشهيد حمود مقلـد

رامي من القرى المعدودة التي كان لها القسط الوافر في الثورة السورية بحمد وفخر فهي التي كانت ترسل بالبطل من رجالها اثر البطل وبالصميدع اثر الصميدع ومن جملة من بعثت به الى ميادين الجهاد ونال شرف الاستشهاد في الثاني من آب عام ١٩٢٥ بواقعة المزرعة في الخامسة والاربعين من عمره فقيدنا الكبير حمود مقلد .

الشهيد حمدان مقلـد

انا لانغمط حق هذا الفقيد ايضا فهو من نفس القرية وفي نفس التاريخ وعين الواقعة وبنفس السن الذي المعنا اليه عندما ذكرنا منقب سلفه الشهيد حمود فشهيدنا حمدان لا يقل تضحية عمن تقدمه ولم يكن ادنى منه في حلبة المعامع جولانا وفي عظيم المعارك اخذا وردا اذ ختم كسالفه حياته بنظير ما ختمها بها ذاك .

الشهيد حامد سلام

من ابطال بني سلام وشجعانها ومن فرسانها واكابر عيونها هذا الشهيد الكبير الذي نشأ في قرية الطيبة على حب الرجولة والشجاعة حتى اذا ما كانت الثورة السورية هب لمشاطرة اخوانه فيها العمل فجاهد الى ان كانت معركة تل الحديد عام ١٩٢٦ وفيها قام بأعظم قسط من الواجب المفروض فقاتل حتى قتل وهو في الاربعين من عمره يعلن للملأ انه جذلا طروبا بما انتهت اليه حياته من استشهاد في سبيل الله والوطن .

الشهيد خزاعي سلام

ليس بدعا عن ان ينجب بنو معروف اسرة بعد اسرة وعائلة بعد عائلة تحمل لواء الشرف عاليا في الجبل الاشم فهذه الاسرة اسرة سلام في عداد الاسر العريقة بالمجد والعوائل الشهيرة بالسؤدد وشهيدنا خزاعي هذا من هذه العائلة النبيلة التي زينت مفرق قرية الكسيب بأحد رجالها الذي نأتي على ذكر مناقبه لقد ساهم هذا الشاب في المعارك العظيمة حتى انتهى به الامر الى معركة العادلية في الرابع والعشرين من اغسطس سنة ١٩٢٥ وفيها لم يكن له من صباه الا ست وعشرين عاما وفيها شاء القضاء والقدر ان يلحق هذا الفتى بمن سبقه من صناديد وابطال شهد العالم لهم بالفروسية والبطولة فنال رفعة الشهادة في هذه المعركة من بعد ان كان مثالا لمن بعده من شبيبة وشيب .

الشهيد خزاعي ناصيف

« عراجي » لم ترض بأن تكون اقل شأنا في هذه الثورة عن اخواتها قرى الجبل الاشم فهي التي اوفدت شهيدنا المفضال الى الثورة السورية فكان بطل معاركها الى ان كانت واقعة المزرعة في عام ١٩٢٥ وفيها دمر اعداءه جهد طاقته حتى خر صريع الواجب ولم يكن له الا ثمان واربعين عاما سلاحه بما يزهي ويعجب .

الشهيد دخيل بن عودة اسحاق

هاهو التاريخ قد اتى اليوم يؤيد بدم الابطال المسيحيين ان الثورة عربية حقيقية غير اسلامية طائفية مسيحية فحسب او يهودية او غير ذلك مما ينعت الغرب هذا الشرق من حين الى حين بما بالواقع براء منه . ان هذه الثورة ليست مسيحية فحسب ولا اسلامية فقط ولا يهودية وانما هي ثورة قام بها وانضوى تحت لوائها كل عربي سواء اكان يعتنق الاسلام اوالنصرانية

وفيما يلي من ذكر الاخوة المسيحية الاشاوس الذين برزوا في ساحات القتال ادل برهان وادمغ حجة على صدق ما اتينا على ذكره .

هنا هو دخيل الشهيد من قرية عرى احدى قرى الجبل العزيز المنيع يقاتل لا للمسيح ولا لاحمد بل للوطن الاعلى والعروبة العظمى وسوريةالحبيبة وهو من المزارعين المعروفين في بلده خاض غمار معركة عرى حتى كان من الظافرين بأن سجل على اللوح الذهبي اسمه واسم اخوانه رفيعا فكان من المستشهدين فداء المبدأ الاعلى ولم يكن له يومئذ الا ثلاثين ربيعا .

الشهيد سلامة بن حنا نويصر

هذا الاخ من الاخوة المسيحيين الذين شاؤوا ان يفقؤوا حصرما بأعين من يرمي الثورة بالعصبية والانحياز ويخرج بها عن حقيقتها التي كانت بها ولاجلها .

شهيدنا الباسل من الكهول الذين لم يقعد بهم السن عن ان يكونوا محنكين ذوي خبرة في الجهاد والنضال وقد اثبت ذلك في المعارك التي حضرها وعلى الاخص في واقعة المزرعة ولم يكن له يوم ان استشهد ذودا عن الحمى الا خمسا واربعين سنة .

الشهيد رشيد ابن علي عبيـــد

على حداثة سن هذا الشهيد وعلى يفاعة صباه قام بواجبه الاكبر في هذه الثورة اعظم قيام وما ذكر عنه انه لاقى في سبيل وطنه من المشاق وســوء العذاب ما لا يتحمله جبابرة الرجال وابطالها اذ انه القي القبض عليه في عمان وسلم السلطة الفرنسية في درعا ومنها اقتــادوه مشيا على الاقــدام حتى الســويداء وهنــاك وجد من بعد بلوغه اياها بثمانية ايام قتيل الظلم شهيد السم اذ وجد جثة هامدة مسمومــة فحياة هذا الفتى مثــال رائع للشباب مــن بعــده يجب ان ينهجوا منهاجــه وان يكون لهم في الوطنية الــكبرى قدوة صالحة .

الشهيد سالم ابن حمود الاطرش

في جملة من فاخرت به قرية السويداء من البواسل هذا الشهيد الفتى الذي لم يساهم بالثورة السورية في جبله الاشم فحسب بل ناضل في الغوطه فكان اللولب في معاركها وكان الفذ الجحجاح في مواقعها حتى كانت معركــة الشبعا الاولى وفيها رحل عن هذه الدنيا يود الآخرة عام الف وتسعمائة وخمس وعشرين وعاش خمسا وعشرين سنة كان فيها موضع الاكبار جهادا وبسالة .

الشهيد سلمان ابن حمد الحلبي

من وجهاء قريــة عرمان ومن اعيانها العاملين في الحقل العام الوطنيــة وممن برز في معركــة المسيفرة الشهيرة وكان فيها مثال الاقدام والحماس وعنوان المكرمة والصولة والجولان هذا الكهل لا بل هذا الشهم هــذا الفقيد العظيم الذي ظل يجاهد في سبيل الله والوطن والعروبة حتى قضى نحبــه يعتز بأنــه كان في عداد من نال رتبة الشهيد عند الله في هذه المعركة التي أبلى فيها بلاء حسنا في آخر العمر الذي كان عبارة عن خمس وثلاثين ســنــة فهو من المشاهير المعدودين ومن الابطال الشهيدين .

الشهيد سليمان ابن صالح الحلبي

ومن نفس القرية وفي ذات المعركة ومن الرجال العظام والابطال الفخام والشيوخ الاجلاء هذا الشهيد الذي ختم عمره الاربعين عاما بعد معارك عدة علم الشباب فيها النضال والكفاح قضى شهيدا بعد ان خاض عديد المعارك يسجل في بطاح الجبل وفي بقاعها وعلى الحصى ورمالها بدمه آية جهاده الخالد .

الشهيد سلامة بن محمد محرز الحلبي

نعود الى لاهته تلك القرية التي ألمعنا الى ما لها من مفخرة ومحمدة فيما مدت به الثورة من رجال فهذا الشهيد الكبير بالافعال الحديث بالسن كان مع من ناضل في معارك اللجاه ومع من دافع عن امته وذب عن وطنه واجاب صوت ربه في الخامس والعشرين من عمره رمزا للبطولة والشباب والفتوة والصبا .

الشهيد سعيد سلام

في واقعة العادلية في الرابع والعشرين من اغسطس عام ١٩٢٥ كان شهيدنا الفارس المغوار في هذه المعركة والاسد الشاري في تلك الموقعة وهو احد من مثل قرية الطربا التي هو منها احسن تمثيل وقد كان شابا قائما بواجب الصبا وحق الفتوة في ميادين الشرف احسن قيام لهذا ما كاد ان يأتي على الثلاثين من عمره الا وقد تجندل في هذه المعركة يحيي مجد آل سلام ومجد بلاده ومجد العرق الذي تحدر منه شهيدنا سعيدا خالدا على المدى .

الشهيد سعيد ناصيف

في الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٥ وفي معركة رساس كان لشهيدنا هناك الاسم اللامع والذكر الشاسع والصيت البعيد وفي هـذه المعركـة التي بعثت به قريـة دوما اليها والى غيرها من المعـارك وفي تمام الخمسين من عمره كان هذا الفقيد شهيدا مذكورا محمودا مشهورا بما قام به من فرض محتوم وواجب لازم نحو الامة والوطن .

الشهيـد سليم سلام

بئست واقعة المزرعة التي افقدتنا كما مر وسيمر رجالا افذاذا وصناديد ابطالا وبئست هذه الواقعـة التي وان كان رجال الثـورة قد برزوا فيهـا وخلدوا لهم الاسـم الذي ما يتـأتى للاجيـال القادمة ان تنساه ولا يمكـن للعصور المقبلة ان تسلاه ولكن فقـد واحد كأمة يضعضع ويهلع فممن كـان في هذه المعركة كالرئبال ايضا هذا الفقيد سليم الذي بعثت به قرية الشريحي الى هذه الثورة فكان عنـد حسن الظن وكان عندما كان يطلب منه واكثر فهو الذي بنى بحد السيف فيها هذا الذكر الذي يذكر به وهو الذي شيد على كوم من بطولة مجده واقام على رابية من الشجاعة عرشا خلد في الخافقـين له مقاما وفي ثاني آب سـنة ١٩٢٥ قضى آخر اعماله الجهاديـة وكان لـه اذ ذاك اثني واربعين عاما يسجل اسمه في سجل الشهداء الامجاد .

الشـهيد سليمان العقبـاني

الغضنفر الذي ألقى الرعب عن جدارة واستحقاق في قلوب الاعـداء والرئبـال الوثاب الذي غرس مهابته في قلوب الاخصام والاسد الكبير الذي بانقضاضه كالنمور الكواسر والبطل الذي عرف عنه الفاروق والفيصل والحسام في كل واقعة وفي كل معركة والشجاع الاوحد الذي تقلد السيف فكان خير من قارع به وناضل وخير من ضرب فعدل وقوم شهيدنا هذا وفقيدنا الغالي

سليمان هذا هو الذي كان اذا ما انقض على جمع من رجال شتتهم بالسلاح الابيض وفناهم بحد حسامه وقصم الظهر وبرى الشخص بضرب واحد هذا هو الذي اعاد عهد عاد واباد كل فارس بكل ناد وبذ عنترة بن شداد وان نذكر له الوقائع فما يزال شبح واقعة ميشو العظمى ماثلا امام اعيننا وبطلنا الشهيد يحمحم فيها فيكون لصوته زئير الاسود وقعقعة الرعود ففي ٢ آب سنة ١٩٢٥ وفي معركة المزرعة الشهيرة يئس ومل ان يظل حيا وهو الذي طالما تطلب الموت فكان يفر منه خوفا ورعدة ولكن في هذه المرة استبسل الحمام واقدم ولم يحجم وجمع قواه على هذا الفقيد الغالي فسل منه الروح وهو في الخمسين من عمره يملأ الدنيا ذكرا وصيتا ويرفع راس قرية السجن في الجبل الاشم عاليا فتباهي بأنها اظهرت للعالم بطلها ورجلها والكوكب الذي مازال حتى بعد الموت يخفق في سمائها كل المدى وطوال الابد .

الشهيد سليم جريرة

بتمام الاثني والاربعين عاما من العمر في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ كان هذا الفقيد في جملة من شاء له القضاء وسعى له القدر أن يكون حيا من بعد الموت معلوما من بعد العدم مفهوما فوق الارض وان كان تحت التراب فهو الذي انتخبته قرية ام رواق ليخلد اسمه الى اسمها في التاريخ باستشهاده في معركة رساس التي طالما سعى الكثير اليها فلم ينلها .

الشهيد سعيد بن معزة المغوش

ابن النجيب لا ينجب وان نجب فاق اباه فشهيدنا هذا ابن البطل الكبير الشهيد معزة المغوش كما سيمر معنا وفقيدنا هذا سعيد سعيد حقا بأن كان في عداد الشهداء السعداء فهو لم يتم العشرين من عمره حتى كان في اكثر مواقع الثورة يقيمها ويقعدها ويضرب قاصيها بدانيها وقد تم له ما اراد من خوض المعامع وجوب المعارك حتى كانت واقعة العادلية وفي ٢٤ اغسطس

١٩٢٥ لحق هذا الفتى بربه وقد ترك له في نفس قريته خلخلة وفي غيرها من كل مكان في العالم ذكرى واسما ومجدا .

الشهيد شريف سلام

في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وفي معركة رساس وفي الثاني والعشرين من العمر قضى شهيدنا الفتى الباسل ومات وهو حي بعد وانجلى غيهب الجهالة عن اسمه فصار معلوما ومشهورا مات ولم يمت وضمته ذرات الجدث وصفائح القبر وهو على هذه الثرى ذكره يتمشى وفي اقطار المعمور يذيع فقرية طربة التي انجبته فخورة بـه معتزة بأمثاله تباهي على من لم يساهم من القرى في الثورة وتدل .

الشهيد شبلي مقلد

شهيدنا هذا من شيوخ قرية رامي البواسل الاشداء الذين كانوا نبراسا يهتدى بضوئه في المعارك وكان نجما متئلقا في سماء سورية بأفعاله واعماله ففي ٢ آب سنة ١٩٢٥ في واقعة المزرعة كان لـه الذكر الباقي والتأثير الاكبر والجرأة المتناهية والصمود بوجه الاعداء حتى كافح اشد كفاح وناضل اعظم نضال وعلى رغم الشيخوخة كان المبرز في حلبة النضال فالخمسين من عمره التي اتمها بجليل الفعال ختمت في هذه الواقعة بالشهادة الكبرى والاسم الخالد .

الشهيد صالح ابو اسعد الحلبي

وقرية لاهتة ايضا قد ارسلت من شبابها النجب وفتيانها العباقرة هذا الشهيد الذي رفع منارها مع من رفعه في كل المعارك وعلى الاخص في معارك وادي التيم فبرز هنالك وكان من الاشاوس المعدودة والمغاوير المشهودة وقد جاد جودا كبيرا بضرباته التي لم تخطيء واصاباته التي لم تزح عن الهدف وببسالته التي كانت بحق خالدة فاستشهد في تلك المعارك عام ١٩٢٥

الشـهيد صالح هـــــلال

من خلخلة نبغ هذا الشهيد الجبار من ابلى وجاهد ومن كان في واقعـة حرجلـة عام ١٩٢٥ من اروع ابطالها المجيدين ومن اتم الخامسة والثلاثـين فأتم معهـا ما ينبغي ان يـكون لـه من راس مرفـوع ناطـح السماء بالموت في سبيل الله .

الشـهيد عطـا الله عـــودة

في واقعة المسيفرة يوم ابرز الشجعان والابطال من المسلمين ما جبـلوا منه وفطروا عليـه من حماس كان هذا العزيز المسيحي العربي ممن بعثـت بهم أم الرمان في جملـة من ارسلت من بنيها ليكون عاقدا لواء المجد لها في الخافقين فهو من المزارعين الذين شهدت لهم ميادين القتال بالبطولة والفروسية فهو الذي كان في عداد شهداء هذه الواقعة من بعد ان سطر للنصرانية لؤلؤة الفخار براقـة لامعة في جبين الثورة وله ثمان وثلاثين عاما .

الشهيد عقيــل الجودة

معركة رساس شاءت ان تتشرف بهذا الاخ النصراني النبيل وان يطهـر دمه النقي الصافي ثراها ويضمخ هواءها بذلك العبير الذكي عبير الشجاعـة والحماس فاستشهد من بعد ان اشهد كل من كان حوله على انه من المغاوير الذين لا يقلون عن الاسلام حماسا ودفاعا وبذلك نال في الاربعين من العمر الشهادة التي سعى اليها طويلا .

الشـهيد ضاهر حمايـل

في واقعة وادي الغيضة خلال آب سنة ١٩٢٦ كان فقيدنا من الشهداء الذين ساهموا في الثـورة السورية وجاهـدوا وبرزوا كثـيرا على الاقران فالثماني والثلاثين عاما التي قضاها هذا الفقيد بالعراك كانت خير ما اختتمت

به من فعال وما اتمه من اعمال وكانت قريته الغيضة من القرى التي لم تكن لتقل عن اخواتها جهادا واندفاعا وراء المجد التالد فالفقيد قد خلد له ولها الذكر الابدي والاسم السرمدي والفعل الحسن .

الشهيد علي القوطاني

من قرية طربة نجب هذا الكهل الهمام وحضر مواقع الجبل وكان فارسها غير المنازع واخذ يتدرج في معارج القتال من معركة الى معركة حتى كان ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وكانت واقعة دوما الشام وفيها كان الرئبال المنقض والصميدع الكاسر والفارس المغوار وكان في تمام الاربعين من عمره برهن على حبه للموت باستبساله حتى نال شرف الموت في سبيل العزة والعروبة والمجد .

الشهيد عساف ناصيف

فتى من الفتيان وشابا من الشبان وبطلا من الابطال على رغم حداثة السن شهيدنا هذا . ما كان صغر سنه ليحول دونه واقتحام الاهوال والشدائد والصعاب ولم تكن يفاعة عمره لتحول دون اقدامه وقيامه بالواجب المفروض نحو الاوطان بل كان له من كل ذلك حافزا يدفعه نحو الموت طالبا شرف المجد الاعلى ومبتغيا المكان اللائق بأسود الشرى يوم الوغى حضر كثيرا من المعارك حتى كان ثاني آب سنة ١٩٢٥ وكانت معركة المزرعة الشهيرة ولم يكن له من العمر حينئذ الا ثماني عشر ربعا حيث اجاب داعي المروءة والشهامة والدفاع عن وطنه رافعا اسم قرية دوما عاليا وظل مناضلا حتى ادركته الوفاة وهو في ميدان الشرف .

الشهيد علي طويرش الصحناوي

من قرى الجبل الاشم الجنينة التي هي كالروضة فيه على ما يظهر اذ تبعث بأزاهيرها ولكن الزهرة لا تذبل والعطرة لا ينفذ اريجها كشهيدنا هذا

البطل الذي خاض انواع المعارك على اختلافها والذي برز في معركة السويداء عام ١٩٢٥ فأظهر جميع ما اختبره من صنوف الجهاد خلال الاربعين عاما بما اذهل وحير ومما ختم هذه الاربعين بأحسن خاتمة يتطلبها المؤمن بعقيدته الواثق من ربه فنال ما تطلب من التقرب لربه وبها استوفى عظيم الاجر .

الشهيد فضل الله باشا الهنيدي

من الرجال من يعد فردهم بألوف ومنهم الالاف بفرد وفقيدنا هذا ركن من اركان الجهاد وعماد من اعمدة النضال بمصرعه انهد ذاك الاساس وبمقتله اندكت اكبر قائمة من قوائم صرح الثورة كان هذا المجاهد العظيم الكهف الذي يلتجيء اليه وكان الحصن الذي يرتجى عليه هو من بني معروف الاشاوس بل في عداد مقدمتهم وفي طلائعهم عرف بالشجاعة الخارقة والجود الفائق وكان اصيلا بالرأي غزير التفكير وكان باسلا في وثباته عظيما في حملاته كبيرا اذا ما انقض على اعدائه جمع بين المزايا الحسان جميعا وضم في شخصه الكريم لفيفا من خصال قلما كان واحدها في الكثير من الناس كان في زمان الثورة شمسا يستضيء المجاهدون بنورها وكان قمرا يسري الوطنيون على نوره وكان نجما متألقا في السماء كلما احلولك ليل الدجى وادلهم ففي فقد هذا المغوار الكبير فقد للهمم العالية والحملات الصادقة والقوة التي كانت مخبأ يتقي بها رجاله الاعداء فيردون كيدهم لنحورهم وبينما كان في احدى المعارك وقد اتينا على ذكرها في هذا الكتاب ينزل بأعدائه اشد البلاء يحدق بمنظاره الى اماكن الاخصام واذ برصاصة من طائرة تخترق دماغه المفكر وتخرج من عينيه المتوقدة حمية وبسالة فيهوي معانيا اشد الآلام من غير ان ينبث ببنت شفة او ان يصعد في السماء انة وهكذا ظل صابرا جليدا يحتمل المه بنفس كبيرة وجهاد مع آلامه عظيم حتى كان في عليين وقد خلد في قومه وفي أمته وفي العرب اجمعين ذكرا لا يمحى ومجدا لا يبلى واسما لن يموت .

الشهيد فؤاد سليم

لشهيدنا مزية الجهاد بالقلم والحسام فهو احد خريجي الجامعةالاميركية في بيروت . لقد تفتحت عيناه للوهلة الاولى في العالم في بعقلين عام ١٨٩٣ حتى اذا ما اصبح ممن تستطيع الجامعة الاميركية ان تضمه الى جملة تلاميذها كان من بينهم وظل يتابع العلوم فيها حتى نال شهادتها . لقد اشترك الفقيد الكريم بالثورة العربية الكبرى فكان من ابطالها المشهورين وكان ايام العهد الفيصلي ضابطا رئيسا واستخدم في الدرك وله مواقع شهيرة في تأديب العصابات في البقاع غادر الملك فيصل هذه البلاد وغادر شهيدنا العزيز هذه العاصمة الى الشرق العربي واخذ يتدرج في مراقي الوظائف حتى كان قائمقاما وحتى كان رئيسا للضباط المتفوقين في الجيش ثم توجه الى القاهرة يجاهد بقلمه حتى اذا ما لعلع رصاص الثورة في سورية كان اول من اجاب صداه واخذ يؤتي من انواع الكفاح فكان بطلها غير المنازع . وابلى في اكثر المعارك بأشد ما يستطيع ان يقوم به فارس وراجل وظل يقاتل قتالا مجيدا ويستبسل استبسالا شديدا حتى نال في سبيل الفخار اسمى مقام فخر عام ١٩٢٥ وقد بنى له من دمائه وسامات ومن بطولته امارات زينت صدره وجلببت كله فاذا ما عددنا من خلاله ومزاياه الشيء اليسير فاننا لا نرى ندحة عن ان نذيع تلك الجملة المهيبة والآية الحكيمة الا وهي « الدين لله والوطن للجميع » اذ اول من نطق بها هو فقيدنا الغالي فسقى ثراه شآبيب الرحمة بعداد ما قام به من اعمال وما خلد من فعال وما ترك من محامد ومآثر حيا وبعد وفاته .

الشهيد فرح بن موسى الدرويش

هذا المجاهد المسيحي هذا الاخ الكبير المناضل المنافح من قرية عرى التي لم يعد من حاجة لان نشيد بذكرها لما ساهمت في الثورة بكثير من صناديد وابطال فهو من الشباب الذين خاضوا المعارك وطافوا القتال في ميادين

الحروب فانتهى بهم المطاف في واقعة كناكر وهنالك ارتفع الصليب يعانق الهلال فيخر تحت الاثنين معا هذا الشهيد يجمع على انه مسلم مسيحي بآن واحد وهنالك نال الشهادة فسمت روحه الى عليين .

الشهيد فواز ابن عز الدين الحلبي

لم يمتاز شعب بني معروف بالكفاح والنضال فحسب بل كان من ابنائه الغر المحاميد هذا الفقيد فبنسبة ما نفاخر ونباهي بأبناء بني معروف مراساً وبأساً بنسبة ما نعتز ونذل بهذا الشهيد الحبيب الذي جمع الى آيات الفروسية وآيات العبقرية آيات العرفان والذكاء والعلم فهو شاب اتقن من اللغات العربية والتركية والالمانية والفرنسية وكان فارسا عنيدا نظاميا بحيث كان في اواخر عمره استاذا برتبة رئيس للدرك وقد ركل هذا المنصب ركلا قبيل الثورة لخلاف شجر بينه وبين الكابتين كاربيه وهو بحق احد نواة الثورة اللامعة في الجبل . لقي في سبيل وطنه اشد انواع العذاب من نفي وتشريد وقد حل به داء عضال أعيى اشهر الاطباء فانتقل من هذا العالم على اثره شهيداً وان لم يكن قد خر في ساحة القتال صريعاً .

الشهيد فرحان شرف

هذا الشهيد من الفرسان المعدودة ومن الابطال المشهورة الذين كانت لهم في مواطن الطعان مواقف ومشاهد فهو من تيما وهو من خواضي اكثر المعارك في الثورة وهو الذي لم يقاتل في جبله الاشم فقط بل كانت للغوطة نصيب من جهاده ففي واقعة المليحة حيث التقى الجمعان واستحر القتال وحم القضاء فكان فارس المعامع خر شهيدنا صريعا قتيل الواجب ولم يكن له من العمر الا خمسا وثلاثين عاماً .

الشهيد فندي المقلد

لقد حق لنا ان نفزع الى الالم من تلك المعركة الكبرى معركة المزرعة فهي التي استشهد الكثير من ابطال الثورة فيها وهي التي رفعت راس الجبل الاشم عاليا على اننا ما زلنا نألم لفقد الشهم مهما كانت نتيجة المعركة نحو نحو هذا الوطن محمودة المغبة ففقيدنا هذا الذي كان مبعث قرية رامي للثورة كان في ثاني آب سنة ١٩٢٥ في عداد الذين ابلوا اعظم البلاء واحسن القتال في هذه المعركة فقضى في الاربعين من السن يرافق من قضى فيها من اخوانه الى الملأ الاعلى .

الشهيد فرحان ناصيف

ومن قرية دوما وفي نفس التاريخ وعين المعركة كان شابنا الشهيد في عداد من خاض غمرات المنون مرارا في وقائع عدة وهو الذي لا يقل شجاعة واستبسالا عن سلفه الشاب وهو الذي كان في هذه الواقعة واقعة المزرعة مثلا اعلى للحماس المتقد واوار الوطنية الملتهب وهو الذي ظل كرفيقه منافحا حتى كان في عداد شهداء هذه المعركة الكبرى ولم يكن له من العمر الا اثني وعشرين عاما وهكذا طوى هذا الفقيد حياة مفعمة على قلة مداها بالنبل والشهامة والشرف .

الشهيد قاسم ابو رايد

وهذا انجبته ايضا قرية طربه التي كتبنا الكثير عنها وهذا الذي كان في معركة السويداء خلال آب ١٩٢٦ يجاهد اعظم جهاد ويكافح اكبر كفاح فهو ممن سجل له بمداد اعماله وبيراع حماسه آية الفخر في ميدان النضال وعبرة التاريخ في ساحة القتال وعظة الشهادة في الغابرين والقادمين ولم يتم الثماني والثلاثين عاما حتى كان في عداد الشهداء الاخيار .

الشهيد قاسم الشاعر

وها هي قرية بوسان من القرى التي لم تشأ ان تكون اقل نصيبا في الثورة من اخواتها فهي تساهم عن طريق شهيدنا قاسم في الثورة السورية في معركة المزرعة لم يكن هذا الفقيد اقل حماسا وادنى شجاعة عن أخوته في تلك الواقعة فهو في جملة من خر صريعا فيها من بعد ان قاسم اخوته المجاهدين القسط الاول من فرض حتم عليه وعلى امثاله الرئابيل وكان له اربع واربعون عاما من العمر حافل بأعظم المآثر والمحامد .

الشهيد كامل بن حسن حطوم الحلبي

من شباب ذيبين البواسل وفتيانها الابطال فتانا هذا الذي لم يسلخ يوم ان اجاب داعي الله في معركة المسيفرة الا خمس وعشرين خريفا والذي كان في الحقيقة فخر الشباب في النضال ومعزة الفتيان يوم الطعان والذي مابالى يوم ان قضى واجبه ولبى نداء ربه لانه ايقن انه من المقربين عند الله ومن المكرمين عند الخلائق اجمعين .

الشهيد مصطفى بن ذوقان الاطرش

هذا الشهيد الشاب هذا الفتى البطل شقيق السلطان وكفاه بذلك فخرا وهو من قرية القرية خاض المعارك وجاب المعامع وبرز في الوقائع التي حضرها حتى كان مضرب الامثال وهكذا حتى كانت معركة الكفر الاولى في اوائل ايلول سنة ١٩٢٥ وفيها ودع هذا العالم الفاني يستقبل العالم الباقي ولم يكن قد سلخ من العمر الا خمسة وعشرين ربيعا قضاها بنبيل الخصال وحميد الخلال .

الشهيد محمد ابن قرقوط الحلبي

هذه ذيبين من القرى التي يفاخر بها القاريء عندما يسمع انها لم تجد

على الثورة بالشباب والشيوخ فحسب بل اتتنا ايضا بكهلنا وشهيدنا وهذا الشجاع المفضال الذي كان له اعظم الافعال في وقعة المسيفرة فكان من شهدائها المغاوير وابطالها الصناديد في نهاية عمره الذي كان عبارة عن خمس وثمانين عاما فهو الشهيد العلم جاد بنفسه وبروحه وبماله فكان آية في الاولين والآخرين .

الشهيد محمود البربور

ان هذه العائلة الكريمة اسرة البربور قد انجبت فيما انجبت من شبابها هذا الفقيد الكريم الذي ما كاد ان يتم الاثني والعشرين عاما حتى قضى شهيد الواجب شهيد الوطن شهيد المجد العربي وهذا الفتى الباسل من الشباب الذين اشتهروا بالذكاء والعلم والبسالة وهو لم يبلغ السن التي كان مثيله فيها يستطيع ان يبلغ ما بلغه منها فقيدنا الشاب ما كان يحسب هذا الشجاع الفتى الموت حسابا وما كان ليقعد به سنه الحديث عن ان يلحق بالرجال للقتال فهو على صغر سنه اشترك في الثورة السورية وكان من الرجال المعدودين في معارك الفوطة وقد برز بأفانين الطعن والضرب لدرجة كان من اليه من الرجال يعجب ويحار ويدهش واخذ يناضل في اكثر المعارك في الفوطة حتى خر قتيلا في احداها وقد شفى غليل نفسه من اعدائه وثأر له من اخصامه وتروى من النجيع والدماء التي سفكها في سبيل قيامه بواجبه نحو امته وقومه فوارحمتاه للشباب النضر والغصن الرطب والعود الزاهر وسقيا لشباب العرب يقومون بالتضحية الحقة فلا يقعدهم عن اداء الرسالة الوطنية من سن حديث او يفاعة او مال .

الشهيد محمد ابن فائز سلام

عائلة سلام الكريمة من الاسر الكبرى التي رفعت منار الثورة ساميا يتناول العالم بالنور والضياء وهاهو الواحد تلو الآخر من ابطالها يسجل نفسه في

صفحة الشهداء بأحرف من نور وهذا شهيدنا محمد من هذه العائلة الكريمة حديث السن كبير الفعل ابرز في المعارك التي خاض فيها اعظم ما يظهره اشجع الشجعان واكبر الفرسان اشترك في كثير من المواقع وكان ثابت الجنان عامر الزند والبنان وكان المرافق الى النائب الكريم المجاهد الكبير جاد الله سلام البطل الشهير فشهيدنا محمد من قرية طربة وكان في عداد من اشترك في واقعة العادلية في ٢٤ اغسطس سنة ١٩٢٥ قاتل حتى قتل ولم يكن له من العمر الا ثماني عشر ربيعا .

الشهيد مزعل شلفين

فقيدنا هذا من الشهداء الابرار الذي كانت له في ساحات الوغى انصع الصفحات وقد ابلى في معامع القتال احسن البلاء حتى حظي في معركة صميد عام ١٩٢٦ بشرف الشهادة في سبيل الله والواجب .

الشهيد معزة المفوش

بهذا الشهيد الكبير خلخلت قرية خلخالة مواقف الاعداء وزلزلت اماكنهم في اغلب النواحي حتى كانت واقعة الصور ، ١٩٢٦ وفيها بعد ان اتى على الاربعين من عمره سلم نفسه لشريفه في ميدان البطولة يعتز بانه من الشهداء الابرار على الله والاعزاء على الناس .

الشهيد مؤيد شرف

هو احد مشايخ تيما الابطال الشجعان كان له الحظ الاوفر في معارك الجبل والنصيب الاغزر في معارك الغوطة كانت معركة يلدا خلال تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ وكان هذا الشيخ الرهط كالجبل المنيع والحصن الحصين وكان فارس المعارك وبطل النزال والصائل الجائل ففي هذه الواقعة كان هذا الشيخ الوقور ممن اجاب نداء ربه فخرت المهابة صريعة بموته عن خمس وخمسين عاما سلخت بانصع الفعال .

الشهيد مسعود سلام

اسعد بالحظ شهيدنا مسعود فكان بالحقيقة مسعودا فهو قد طالب بالموت كثيرا وبالشهادة عديدا وبالقضاء فيميدان الشرف والمجد مديدا فناضل ودافع عن بلاده وعن قرية كسيب التي هو منها حتى كانت معركة السويداء المعلومة ولم يكن له من العمر الا اثني وخمسين عاما وفيها بلغ ماتمناه فكان في عداد الشهداء السعداء الماثلين بين يدي الله .

الشهيد معزة السجاع

قرية الرشيدة في المقرن الشرقي مشهورة ببطولة ابنائها وشجاعة ذويها وحماس بنيها وعائلة السجاع فيها من العوائل التي شهد الكفاح لهم بالمقدرة واعترف القتال لهم بالمفخرة واقرت تلك الربوع لهمبالمقدرة الفائقة فشهيدنا هذا عندما كانت معركة المزرعة الكبرى كان في الاثني والاربعين من سنه وكان في المغاوير الذين سجلوا في التاريخ الابدي واللوح الازلي الشهادة من اجل الله والامة والوطن .

الشهيد نسيب بن محمد الاطرش

انجبت قرية صلخد هذا الشهيد الابي الذي قضى الستين من عمره متنقلا من معركة الى واقعة ومن جهاد شريف الى جهاد اشرف وهو فيعائلة الطرشان العظيمة من الزعماء المجيدين طوى مراحل حياته في معركة المجيمرة وعرى بعد نضال عنيف في الثالث منتشرين الاول ١٩٢٥ ولهذا الفقيد الكبير نفوذ وشوكة وسلطان ومن الاعيان المشار اليهم بلبنان .

الشهيد نايف بن علي عبيد

لقد كان حظ الثورة منالشباب الابطال ومن الفتيان المغاوير وافرا جدا ونصيبها غزيرا ففي جملة الشبية الذين يعدون بحق فخرها وبصدق عزها وبالواقع شرفها الاسمى شهيدنا هذا الذي برز فياكثر المعارك حتى كانت

معركة السويداء الكبرى وحتى قاوم المقاومة الشدى ودافع الدفاع الاوفى وعارك العراك الاكبر فصال صولة واحدة وجال جولة فردة في اواخر وختام الواقعة فكان رحمه الله من الشباب الذين خروا صرعى القيام بالواجب .

الشهيد نصار البربور

شهيدنا هذا من الشهداء الذين مت الحسب العالي اليهم بالسؤدد عن طريق المشايخ في قرية سالة شهد هذا الفقيد معارك الشهبا فكان من الفوارس الشجعان وكان من ابطال الطعان عرف عن هذا الشهيد الوفاء والصدق والاقدام وكان معروفا بالبسالة عند الشباب الدرزي كان في الثورة رجلا كبيرا يعتز به ويفتخر وكان في المعارك اسدا رابضا وهزبرا اغلبا عرفت عنه الشجاعة بأجلى معانيها والحماسة بأوفى مراميها ناضل حتى كانت معركة الكفر وفيها اصابته مرمية في جبينه لفظ بها انفاسه الطاهرة وهو يحيي العروبة وبني قومه العرب ويحثهم على الاخذ بثأر الوطن وعلى القتال حتى الموت وبذلك كان يقوم بالواجب حتى في آخر لحظة من لحظات حياته ففارق هذه الدنيا يستقبل الآخرة باسما راضيا تغمده الله بالرحمة .

الشهيد ناصيف حرب

شهيدنا هذا من الشهداء الشيوخ الاجلاء الذين كانت حياتهم درسا وعبرة للشباب وللكهول فاذا ما ظهرت به قرية دوما في الجبل الاشم كما ظهرت بغيره رفعة وسؤددا فانها لتباهي وتفاخر اذ ان هذا الشيخ الجليل الذي قضى الخمسين من سنه يذود عن حياض وطنه فانه ختم هذا العمر الحافل بالمآثر في معركة بريكة عام ١٩٢٦ بما اضاف على اعماله الشهادة في سبيل امته ووطنه .

الشهيد نجيب ناصيف

وهذا ممن باهت دوما في الجبل شجاعته وحماسته وممن ذاد عنها وعن سائر الجبل ومن سلخ الخمسة والثلاثين عاما من عمره متنقلا من قتال الى نضال ومن طعن الى ضرب ومن غارة الى حرب حتى كانت معركة القنوات عام ١٩٢٦ وفيها استلم طريق الابد يترك هذا العالم مكتفيا بما أوتي من شهادة .

الشهيد هاني ابن عبد الله الحلبي

اما قرية بريكة التي برزت بفقيدها هذا العظيم والذي باهت به ودات على انه جاهد في اكثر المعارك الثورية وكافح في أعظم الوقائع الحربية وكان من ابطال المجاهدين المعدودين فان لها ان تعتز وتفتخر به لاسيما وانه ختم آخر ايام حياته التي لم ترب على السبع والثلاثين عاما في معركة الصفا على انه جاهد في اكثر المعارك الثورية وكافح فيأعظم الوقائع الحربية وكان على الاعداء والسخط على الالداء مرفوعا بروحه السامية الى الملأ والسماء .

الشهيد هلال ابو زيدان

قرية العجيلات عجلت بارسال هذا البطل الى ميادين الثورة وساحات النضال تلبية لنداء الواجب والوطن فكان من الفرسان المعول عليهم والمستند اليهم وكان من الشيوخ الاجلاء الذين صمدوا صمود الجبال الرواسي والاسود الكواسر والنمور الوثابة عند الاقنضاء شاطر اخوانه القتال في اكثر المعارك حتى كانت معركة الشبكي وفيها كان اوفى على الخمسين من سنه فقاتل القتال المستحر وجاهد الجهاد الاكبر حتى نال من الله الاجر ومن الناس الشكر .



الشـهيد الامير احمد مريود

الشـهيد احمد ابن موسى مريود

شهيدنا العظيم هذا من آل مريود الكرام المتحدر من المهـادوة الاسـرة العريقة في السؤدد من انبل العوائل العربية ومن امراء البلقاء (مقاطعة فـي شرقي الاردن) ذات الاصل الثابت انحسر الظلام عن هذا الهمام فوضعتـه أمـه في جباتة الخشب واخذ ابوه في تربيته والاهتمام بأمره حتى راهق او كاد فبعث به الى كتاتيب القرية الى ان بات على مقربـة من ان يبلغ الحلم وعندها ام القنيطرة لاتمام التحصيل الابتدائي فيها ثم كان في دمشق فـي مدرسة السلطاني لقد كان هذا الشهم على ذكاء نادر واقتعاد للدرس واصغاء ونباهـة خارقة وقد تنبأ له معارفه بمستقبل مجيد وبمناصب سامية وكان يعمل على دراسة تاريخ افذاذ العرب وعيونها فولع بذلك ولعا شديدا ملك كـل حواسه واستأثر بجميع مشاعره واقامت في نفسه فكرة تجديد العصر الذهبي للعرب واوقدت في فؤاده شعلة الشعور القومي فسرت مع الدم في عروقـه فانبرى للسياسة يعمل فيها وللوطنية يبحث قضاياه والصحـافـة يدبج المقالات في احدى صحفها التي كانت تصدر في قصبة القنيطرة باسم (جريدة الجولان) يومئذ وكان اشتغاله بالقضية العربية مدعاة لان يتصـل بأقطاب حركتها بدمشق وفي غيرها فكان في عداد تلك الرجال واخذت فكرة العروبة تنمو متناسبة مع عمره حتى كانت الحرب الكبرى وفي غضونهـا سعى للالتحاق بالامير فيصل ابن الحسين عاملا في الثورة العربية وقد غادر جباتة الخشب الى رفيقه جلال البخاري انفاذا لما بيتا عليه وبينا كانا فـي طريقهما الى الثورة العربية واذ بالامير نوري الشعلان يقطع دونهما السبيل التي غزا السير فيها وحال دون الامنية التي توجها لها والقى القبض عليهما يقدمهما الى جمال السفاح الذي احالهما الى الديوان العرفي في عاليه حيث

قضى باعدام الشهيد الكبير البخاري وببراءة الشهيد مريود لما كان بين هذا الشهيد وبين النائب العام اذ ذاك من صداقة وثيقة العرى وبعد ان اطلق سراحه اتى جباتة الخشب وضعت الحرب اوزارها وانجلت عن ظفر الحلفاء ودخول فيصل الاول سورية وتوليه امارتها فملكها فكان المترجم من رجال هذا المليك الكريم واقام في فندق فيكتوريا المطل على بردى وكان من رجالات الوطنية الاحرار ومن اعضاء المؤتمر السوري حتى انه لما انجلى الملك فيصل عن هذه الربوع ذهب شهيدنا الغالي الى الشرق العربي حيث عين معاونا للامير شاكر وقد كان العامل الفعال في التعرض على الجنرال غورو في حادث القنيطرة الذي مر ذكره ثم نزح الى الحجاز وانتقل الى العراق فأقام فيه يحبوه عطف العراقيين وسخاؤهم واحترام الرافدين وولائهم وجود عاصمة الرشيد وكرمها حتى كانت الثورة السورية وفيها غادر العراق قافلا للجبل .

اخذ باذكاء نار الثورة في الاقليم وسار بمجموعة للغوطة صحبة الامير عادل ارسلان واخذ باقناع الجمع بوجوب افتتاح جبهة الاقليم واشعل نار الثورة في جبل الشيخ والقنيطرة والفاعور رغم ما كان عليه شقيقه الاكبر علي من ممالأة الفرنسيين وموالاته لهم .

لقد المعنا الى ان المرحوم من جباتة الخشب وهذه من اعمال القنيطرة فعندما وصل قصبة القنيطرة اقام بين اهله وخلانه في قريته يعجم عود اهلها ويغمز من قناتهم ليرى مبلغ الوطنية التي تعتلج في صدورهم ومقدار ما يستطيع اعتماده عليهم عندما تتأزم الازمات وتتوالى الملمات فلم يلق منهم ما كان يأمل ولا لقي عندهم ما كان يود ان يراه من عزيمة وشكيمة فأخذ يعمل على اقناعهم بوجوب الخدمة الوطنية ويلقي في ارواعهم العزة القومية ويستنهض ما وئد من هممهم ويستفز ما رقد من نشاطهم وقد وصل الى ان سلح بعضهم من اموالهم وهذه همة للفقيد تسطر له في الاوابد والخوالي وظل في داره في القرية يرسل السرية تلو السرية الى ما ينبغي من مواقع

واماكن حتى انه بعث في احد الايام بفئة من رجال ترابط على طريق القنيطرة - دمشق لتشغل قوى الحكومة عندما تجد بعضا منها ذاهبا او آيبا فصدعت بالامر ورابطت فصادف مجيء سيارة تقل اربعا من الركاب فتبين انهم من رجال السلطة فأعملت فيهم النار فأردت ثلاثة قتلى منهم وتابعت السيارة المسير حتى كانت في القنيطرة فظهر ان من جملة هؤلاء المجندلين قائد متطوعة الشركس عثمان بك واثنين من رفاقه فعظم الامر على الشراكسة واهتاجوا ايما اهتياج وحاولوا ان يهاجموا قرية الجباتة عندما بلغهم ان اولئك الرجال هم من جماعة البطل احمد مريود ولولا ان تناول العقلاء الامر بالحكمة وتناولوه بالروية لوقعت الواقعة ولنشبت بين اهل القرية وبين الشركس غارات لا تحمد مغبتها على ان الحكومة التي كانت تود ان لو تقع الفتنة وان يتناكر اهل البلد بعضا لبعض وان تحيل الموجدة والبغضاء بينهم سلكت السبيل الى ذلك فكان المارق من الوطنية في تلك القرية مطية الحكومة ودليل سوء وبوم خراب فأطلع هذا القسم من الناس اولي الامر على مبلغ قوة الفقيد وعلى انه لا يخشى شره ولا يرهب جانبه وانه ايبس من المكنة والقوة بحيث يستطيع ان يقاوم ويدافع لذلك اعدت الحكومة جيشا لجبا وبعثت به بمهاجمة قرية الجباتة . لقد كان الفقيد رحمة الله عليه اصيل الراي بعيد النظر يحسب للامور حسابها فما كان ليترك الحوادث تمر من غير ان يكون متأهبا لها وما كان ليدع الايام تعمل على مباغتته بما لم يكن متوقعه لذلك في اليوم الذي كان الجيش زاحفا فيه مساء نحو قرية الجباتة كان الشهيد يبعث برفيق دمشقي له يدعى عبده الكلاس اخلص له الود وشاطره الاسى والفرح موفدا معه ايضا عبدا يمانيا للاستكشاف وسبر غور تلك النواحي ليلا وما ان بعدا قليلا عن القرية حتى قفلا راجعين سريعا يعلمان البطل بقدوم جيش زاخر بالعدد والعتاد اصبح على مقربة من القرية وما ان سمع الفقيد بذلك حتى تناول سلاحه ورصاصه وايقظ اخوته واولاده واطلعهم على الامر وذهب

الى ضاحية القرية ليلتقي بالجيش فاسرع الى اللحاق به اخوه محمود وابنا عمه حسن ومحمد ودارت بين هؤلاء الاشاوس واولئك الرعاديد معركة دامية ثبت لها هؤلاء الابطال ثباتا كان له منتهى التأثير في ذلك الجيش اللجب وصمدوا صمود الجبال الرواسي والروابي الشوامخ حتى استشهد محمود وحسن بعد ان أبليا البلاء الحسن وحتى تمكن فقيدنا الغالي من اتخاذ ذريعة تذرع بها واخذ يطلق النار من خلفها وكان اخوه الصغير ياسين وهو لايتجاوز الخمسة عشر ربيعا قد توارى بازائه خلف استحكام مع بشير العبد اليماني وقريب له احمد خالد اما ولده حسين فقد كان في جهة شمالية من أبيه الى عبده الكلاس وخليل الديراني ومصطفى كشكي ورمضان بغدادي وعلي جمعة وقد قاتل هذان الاخيران قتالا مجيدا وناضلا نضالا عنيفا حتى سقطا في حومة الوغى تغسلهم دماؤهم وتكفنهم ثيابهم وترجهم الرحمة في كنف منها واسع الفضفاض هنالك صاح ياسين برفاقه ان اليوم يومكم والبلد بلدكم والناس الذين تدافعون عنهم منكم واليكم فكان لهذا النداء في نفوسهم صدى مستحبا ومسموعا فحملوا على اعدائهم حملة صدقوا الله فيها ما عاهدوه عليه من صبر علىه ينجز لهم ما وعدهم به من نصر ومنا كادوا يستميتون استماتة الشجاع وينقضون على الاعداء انقضاض الصواعق حتى أصابت ياسين رصاصة في فخذه فعاد الى اخيه قائلا انه اصيب فكان من الشهيد ان ابتسم ابتسامة المستخف بالموت المستصغر بالحمام وقد امر العبد اليماني ان يأتيه بكل مافي الدار من رصاص فكلف العبد شخصا غيره بانفاذ ما أمر به ولم يبرح ساحة القتال بل اخذ بها كرا وفرا يمعن في الاعداء قتلا وفتكا وقد علا الجو في تلك الواقعة سحابة من قتام وعجاج من رغام وغمامة من حمام حتى ما كان الرفيق يرى رفيقه وظلوا على ذلك زمنا كان فيه بقية المجاهدين قد دوهموا من جيش المتطوعة والجنود في القرية واشتبكوا بعضا ببعض وكان هنالك كل من المجاهدين البواسل حكمة وصبري وفائق واديب

واحمد آل العسلي الكرام وقد اصيب البطل حكمت برصاصة في صدره وفائق الباسل بأخرى خر على اثرها صريعا واستطاع الباقون ان ينجوا بأنفسهم بعد قتال عنيف وسنوضح فيما بعد تفصيل ذلك في محله اما الامير عز الدين الجزائري فقد كان قريبا من المعركة وقد ايقظه اطلاق الرصاص ودوي القنابل فأتى مدرسة القرية يوزع رجاله الاشداء على جهاتها الثلاث وقد اتخذ لنفسه الجهة المقابلة للطريق هناك فقاتل ورجاله قتالا مجيدا ودافع دفاع الابطال وقد رمى تسعة من الشركس حاولوا الوصول اليه ثم انسحب برجاله الى خارج القرية وقد استشهد منهم اربع ابطال بعد ان ابلوا في الاعداء احسن بلاء .

كان الامير عادل ارسلان وعدد من رجاله في قرية حضر التي تبعد عن جباثا ساعة وربع الساعة تقريبا فعندما وقعت المعركة التي ألمعنا اليها انتبه الامير ورجاله على دوي القنابل واسرعوا الى نجدة اولئك المجاهدين الابطال وخاضوا تلك المعركة فكانوا من صناديدها وقد طردوا الجند وهزموهم الى خان ارينبه ثم دخل الجند فيما بعد قرية الجباثا وهناك كان قسم من الجيش بدباباته قريبا من القنيطرة وقسم من المجاهدين قد توجه نحو الشام وبعد ان تفقد هؤلاء بعضهم بعضا ولم يعثروا لفقيدنا الغالي احمد على اثر أخذوا يتحرون اخباره ويستطلعون آثاره فأفضى بهم ذلك الى معرفة ان الفقيد الحبيب قد خر في هذه المعركة قتيلا من بعد ان افنى عددا كبيرا من اعدائه ومن بعد أن ثأر لنفسه قبل موته فأبلى بذلك بلاء عظيما في مناوئيه كما استشهد اربعة من ذويه وقد دل احد رجال القرية المارقين من الوطنية والدين الجند عليه فأخذوه الى خان ارينبه بعد ان سلبوه ما كان معه وحملوه الى دمشق من بعد ان اعمل الجند النهب والسلب في ذلك لدرجة لم يدعوا فيها شيئا وقد كان عديد من استشهد في هذه المعركة ثلاثين بطلا بينهم ثلاثة من ربات الحجال اللواتي كن لا يقللن بعظيم فعالهن عن الرجال وهكذا

لقد اغلق جفنيه هذا العبقري الشهير على آخر صفحة من صفحات غـــدر العاقين من بني قومـــه لا من كرامهم واستقبل صفحة حياة عرضها السماوات والارض أعدت لامثاله الشهداء الخالدين المخلصين ليقتعد منها مقعدا ابديا ازليا لا يعتوره عدم ولا ينتابه فناء .

الشـــهيد ابراهيم صدقي

الخلة الحميدة التي اتصف بها بنـــوع خاص شهيدنا الصادق ابراهيـــم صدقي العربي خلة الصبر والثبات والصمود على الاهوال من غير ما تذمـــر ولا تململـــل .

شهيدنا مغربي الاصل دمشقي الموطن ترعرع في بيت قوامه العلم وعتاده الصلاح وكان وحيد أبويه دخل مدرسة الرشدية العسكرية في دمشق واتاها الى الاعدادية العسكرية بالشام حتى اذا ما امتد لسان الحرب العالمية يتناول هذه البلاد كان الفقيد في جملة من سيق الى خدمة العسكرية واماكن التدريب وترقى الى رتبة ضابط وقد ادى هذه الرتبة حقها ووفى بواجبه اعظم الوفاء وظل كذلك حتى سكتت الحرب . كان الفقيد في ايام العهـــد الفيصلي فـــي مقدمـــة ضباط العرب وكان في عداد من وقع الاختيار عليه لقيادة العصابات ضد الجيش الافرنسي ومن بعد ان مر العهد العربي الفيصلي بما ادمى وابكى عاد فقيدنا لدمشق واخذ بمهمة تعليم النشء فكان معلمـــا وطفق يوفر مـــن راتبـــه الضئيل ما مهد له الانضمام الى معهـــد الحقوق في الشام فكان مـــن تلامذة عام ١٩٢٣ وظل كذلك وقد انهى الصفين الاولين من هذا المعهد فحالت الثورة السورية بينه وبين التتمة لنوال الاجازة فآثر ان يقتعد للجند والعدو في ميدان الحروب على ان يقتعد على مقاعد الدرس في المعاهد العلمية مـــا اقعده والداه العجوزان ولا شقيقته الصغرى عن ان ينضوي تحت لواء الثـــورة شاهرا في وجه الظلم والاستعمار حسامه . وقـــد اشترك شهيدنا الغـــالي

في جميــع المعارك التي نشبت خلال الثورة ومما يذكر له بكل تقدير واعجاب انه كان يتنقل من مكان الى مكان ومن واقعــة الى واقعــة مهما بعدت الدار وشط المزار سائرا على الاقدام كان يجوب الجبل الاشم من ادناه الى اقصــاه وبالعكس وكان يأتي الغوطة من كل نواحيهــا غير مستعين بغير قدميــه في الحل والترحال جاب القلمون وحمص وجميع تلك الربوع مشيا من غير ان يكل او يمل وهذا ما لا يتفق لغيره ان يستطيع الصبر عليه وهذه مزية كبرى ينبغي ان تكون لدى المجاهد .

كان حلو الحديث فكه المعشر باشا ضاحكا يروي النكات التي تفتر منهــا الثغور وكان كلما أنس من احد من المجاهدين ايما او نصبا روح عنهم وســر ما بهم وابدل افراحهم افراحا وكان مرحا طروبا لايعرف الهول تأثيرا عليه ولا تعلم الملمات وصولا اليه كان يواسي المحزون وينعش اليائس ويحيي ميت الرجاء وكان على ذلك كله حاضر الذاكرة سريع النكتة تعشقه جميع عارفيه والمتصلين به فكان بالحقيقة بلبل المجالس وتغريــدة الاوانس على عكس ما تنشب الحروب فهو حينئذ سيد الشباب الميامين والابطال المجاهــدين وكثيرا ماكان يصمــد بمفرده امام الجيش اللجب فيظــل يقاتل ويناضل حتى يرد الجموع الغفيرة خائبة على الاعقاب لقد صادف أن كان المجاهدون في الغوطة وقد خرج الجيش من ضاحية المدينة ليشتبك بهم فرده الثائرون بعدده وعديده خائبــا مدحورا حتى ما يقرب من حي الميدان وهنالك احتمى بثكنة القدم ورشاشاتهــا تدرؤ عنه الدبابات هجمات الثائرين وكان فصيل من الجيش محتميــا خلف دك من دكوك بستان هناك وكان الوطنيون في بستان مقابل له وعندها لم ير المجاهدون الا شهيدنا العزيز قافزا دك البستان هابطا دك بستان الجيش هازجا ناشدا مما اذعر الجند واخافهم واهاب بهــم لان يولوا الادبار فتعقبهم الثائرون بفضــل الفقيد واعملوا السيف باقفيتهم حتى كانوا في الثكنات والمخــافر كان الثالث عشر من آذار من عام ١٩٢٦ وفيه تصدت حملة خارجة من حمص فتقدم نحو

قارة وكان المجاهدون اذ ذاك في دير عطية يعاقبون من مالأ الفرنسيين ووالاهم من اهالي تلك القرية التي تمردت على الثورة وكان اكثر زعماء المجاهدين يعملون فيها بفرض الغرامات ولم السلاح وغير ذلك من صنوف الاخضاع وكانت الحملة قد احتشدت في حيه فبذل القائدان الكبيران القاوقجي والعاص كل جهد لاقناع المجاهدين بوجوب السير نحو الحملة فما اصغى الى اقوالهم غير نفر يسير من شباب لايتجاوز عددهم بضعة وعشرين اسدا فساروا جميعا نحو عيون العلق وهي التلول التي تقع قريبا من طريق دمشق ـ حلب بالسيارة ورابط هذا النفر من الثائرين ينتظرون بقية المجاهدين الذين اشغلهم في دير عطية حب الكسب واللهو ، بلم الامتعة عن كل مأرب آخر وبينما كان القائدان ورجالهما في التلول التي المعنا اليها حلقت فوقهم طائرة فرنسية للاستكشاف وفتح الطريق امام الحملة التي كانت قادمة لاخضاع القلمون فاصلاها المجاهدون نارا حاميا كما اصلتهم قنابل ورصاص وعندما قامت الطائرة بغارتها تلك اس المجاهدون بعطل طرأ على بندقية الفقيد صدقي وقد حاولوا عبثا اصلاحها فطلبوا اليه العودة الى داره لاصلاحها فترك كثيرا بالاذعان وما اصغى الا بعد الحاح والحاف وما اذعن حتى قال يعز علي فراقكم في مثل هذه الساعة والتفظ في بنانه دمعتين ترقرقتا في مقلتيه واشاح بوجهه عنهم حتى لايروه باكيا وهو الذي لم يعرفوه الا باسما ضاحكا فكأنه بكى عالما ماخبأ الدهر له بين طياته وكان منه ذلك من قبيل الحس قبل الوقوع او بالاحرى قد أوحته اليه نفسه الشاعرة وقلبه الحساس بوقوع الكارثة قبل ان تقع وقفل راجعا الى القرية حسبما طلبوا اليه واخذ باصلاح بندقيته واذ ذاك قعقعة المدافع وارعدت القنابل واذ الرصاص فادرك الشهيد ان الملحمة قد وقعت بين الجيش واخوانه وانه عار عليه ان يظل كالنساء مختبئا في حماه فابى عليه اباؤه الا ان يستسقى الردى والا ان يخوض غمار المنون فظفر يبتغي التلول فاذا بها تحت حصار وضيق واذا بالالوف المؤلفة من مشاة وركوب تحطاط بها فصعب عليه

ان يحيا من بعد اخوانه وان يعيش عقيب اقرانه وان يكون في العالم من بعد ان يؤتى على المجاهدين فخف الى الجناح الايمن من الجيش وصعد على ذروة التل يصد زحف الفرسان عليه مانعا اياهم من اكمال تطويقهم رفاقه وقاتل احر قتال حتى خر صريعا تطأه سنابك الخيل جذلا طروبا بعد ان وفى اخوانه حقهم من الدفاع عنهم حتى الموت فهو قد استقبل المنوت بوقت كان بامكانه ان يتجنبه وهو تصدى الهلاك بآن كان بامكانه ان يتحاشى الحمام وهذا هو الجهاد الاكبر وهذا هو الشرف الاغزر وهذه هي المفاداة الحقيقية التي قل من الناس من يقوم بها فهو قام بواجب فوق الواجب وبفرض فوق الفروض وبعمل قليل من الناس من يعمله لهذا نسجل للبطل الشهيد ابراهيم صدقي مزاياه وخصاله ومفاداته وجهاده فقد رفع راس الثورة عاليا مع من رفعه منها من اخوانه المجاهدين الابرار اسبل الله عليه ضافي ثوب الرحمة وخصه بالاجر الجزيل .

الشهيد ابو تركي سرحان

من الضباط الذين كان لهم في هذه الثورة المقامات الاول والمراكز العليا والتأثير النافذ شهيدنا الكهل هذا الذي شاطر المجاهدين في اكثر المواقع وكان برفقة الزعيم الشهبندر في اغلب المعارك والمواقف وكانت له على الثورة الايادي البيضاء في الجهاد اذ استبسل في سبيل انقاذ الوطن استبسالا منيعا رفع له اعظم المضارب واكبر الالوية وظل يناضل حتى استشهد في معركة المنجكية عام ١٩٢٥ يغلق كتاب حياته الذي عد خمسا واربعين صفحة من صفحات البطولة اللوامع مجموع عمره .

الشهيد ابو خالد نجيب

الورع والاناة وطول التفكير والصمت كانت مزايا فقيدنا النجيب والروية والثبات والصمود من مزاياه التي قل ان يشاركه بها احد فقيدنا من عائلة

بارزة في حي الميدان بدمشق رفع راس حيه عاليا في ميدان الثورة فما كان له فيها من ثان او ثالث الا من غير الحي لأن ابن كلمته يفعل اكثر مما يقول وكان كثير الملاحظـة عميـق التروي بمنتهى الجرأة والحماس خاض المعارك بقلب اذهل مرافقيه وحماس حير عارفيه وثبات طارت له نفوس رائيه شعاعا كم كان يقارع الالوف وعندما يلتقي الوجه بالوجه يتنـاول مسدسه فيردي خصمه بأسرع من لمح البصر كان يباغت الجند العديد بنفر من رجاله يسير وكان يـكتب عليهم الغلبـة والظفر بالنتيجة لم يعرف الهزيمة والاندحـار والخزلان في كل الوقائع التي خاض غمارها ولم يعهد بأحد اصلب منه دينـه واكثر بالله يقينا هو قائد الميدان بلا معارض وهو اول المجاهدين غير مدافع واذا ما شئنا ان نعدد من بطولة هـذا الفقيد الغـالي لضاق بنا نطاق الطرس ذرعا ولجف بنا مداد اليراع عدا ووصفا كان كالجبل الراسخ الذي لا يتزعزع وكان على جأش رابط لا يعرف الهلع وكـان في معركة زور بالا الصمصامـة التي يعيى المحدق في دورانها وفي عديد اتجاهاتها من ناحية الى ناحية وبينما كان الفقيد الغالي يقاتل القتال المستميت وقد بارح احد القوات مكانا حصينا اقدم فقيدنا لكي يتلافى خطيئة غيره واذ بالدبابة ترشقه بوابل رصاصها فيخر رحمة الله عليه شهيدا يسمع الانين والوجيع فاذا ما بكى الثائرون هذا الشهيد العظيم فانما يبكون فيه خلالا ندرت في غيره وخصالا قلت بسواه ومزايا تعذر وجودها في امثاله فيهناه من مجاهد الم فقده امة كاملة وشعبا بأسره ويهناه بأنه لم يمت الا وقـد سطر لنفسه آية الشهادة والتقى في لوح الله المحفوظ وليسعده انه من اهل الجنان حتما لما كان عليه من كل فضيلة ودين ووجدان فتغمده الله بواسع الرحمة وعظيم الغفران .

الشـهيد ابو ديـاب البرازي

شهيدنا هذا من الشجعان الذين ما كان يقف امام جراتهم حائل من الحوائل

فهو الذي كان مع المجاهد المعروف احمد مريود يوم التصدي الى غورو وهو من الرجال المعدودة التي كان لها العلم الخفاق في الثورة والذي دافع في واقعة حوش نصري حتى اتى على الخمسين من عمره فاستشهد تاركا صفحة نقية البياض في العالم .

الشهيد احمد الخباز وولده

كأني بهذا الشهيد الموقر الذي عندما خر صريع الواجب عن عمر يربو على الثمانين عاما في واقعة عين ترما بالزور كان المفرد في الشيخوخة الى هذا الحد ممن ساهموا في هذه الثورة ومما يؤثر عن هذا الفقيد انه لم يشأ ان يكون لوحده فيها بل صحبه معه ولده خليل من قضى واياه بيوم واحد ولم يكن لولده الا عشرين ربيعا فحيا الله الشجاعة المزدوجة والبطولة المتكررة والبسالة بحق .

الشهيد احمد الصيداوي

جاهد هذا الفقد وساهم في الثورة هذه بكل ما اوتي من قوة حتى وقع بين أيدي الاعداء اسيرا في اراضي دوما في الغوطة فأعدم في المركزالعسكري عام ١٩٢٥ عن عمر يناهز الثلاثين عاما قضاه في المعامع والمعارك .

الشهيد توفيق بن راغب الحلبي

الحركة الدائمة والجهد المتواصل والنضال بالقلم وبالدعايات وبميدان القتال كل هذا من مزايا هذا الفقيد الفادي وله ميزة على غيره من اخوانه أن كان في عداد المخلصين الزعيم الشهبندر وانه كان في صفوف مرافقيه الاول فلا يفارقه ولا يدعه لوحده وهو الذي منذ كانت الاتراك في هذه الربوع باسطة الظل ناشرة اللواء كان فقيدنا في عداد من رفع راية العصيان بوجه الظلم العثماني ومن بين من شق عصا الطاعة على الطغيان الطوراني

ويعود تاريخ اعماله السياسية الى اعلان الدستور والحرية في عهد الاتراك في هذه البلاد ومنذ ذلك التاريخ اخذ يناوىء الاضطهاد بحماس وشجاعة فكان هدفا لاحكام مختلفة في ذلك العهد لا سيما وقد اصدر صحيفة (الراوي) الشهيرة التي كانت له بالحقيقة صفحة نقية البياض وتكاد ان تكون هذه الجريدة الاولى من نوعها الهزلي الجدي السياسي في الاقليم السوري ظل

على نضاله حتى أعلن نفير الحرب العام وعندها طاردته الاتراك لانفاذ الحكم عليه بالاعدام حتى يكون شأنه شأن من اعدم من اخوانه الوطنيين الاحرار العسلي والانكليزي والمؤيد والزهراوي وسواهم على انه فر حينئذ الى الزعيم الشهبندر للعراق وقد كانت وقتئذ محتلة من البريطانيين رافق الزعيم ايضا الى مصر واتصل كتابة بالملك فيصل وقد كان اميرا اذ ذاك فالتحق بالثورة العربية الكبرى وظل في معمعانها يقاتل حتى دخل الشام مع الملك فيصل ورافقه حتى انجلا ظل عهده وحل محله العهد الفرنسي وعندها كان الى الزعيم وفي صفه يقارع ويقاوم في مواقف مختلفة حتى زج بالسجن مع الزعيم وحتى ابعد الى ارواد واياه وعادا معا ولم يثنه السجن والتشريد عما قام في فكره وتمثل في خاطره من وجوب النضال حتى النهاية فأخذ يؤلف الاحزاب السياسية ويبعث الروح الخامدة الوطنية ويستفز الشعور القومي في الناس وما انفك يفعل كذلك حتى ارتفع لواء الثورة السورية فكان في عداد من ساهموا بها واخذ هذا الشهيد يجاهد فيها باخلاص لاحد له وبتضحية لا نهاية لها وقاتل في اكثر المعارك حتى كان في عداد الشهداء الابرار الذين فدوا وطنهم بالنفس والنفيس والجهد والجهيد والعمل المجيد .

الشهيد توفيق خالد عليكو

من الاثرياء الملاكين شهيدنا هذا الفذ الذي كان من المتعلمين اشترك في الجهاد فكان مشهور الوقائع معلوم النضال في الثورة السورية وكان

لــه اثني واربعين عامــا يوم ختم سن حياته شهيدا في معركة حمورة .

الشهيد توفيق الديركـي

هذا الشهيد ممن حضر معركة الشفونية وابلى فيها بلاء كبيرا ودافـع دفاع الامجاد عن هذه البلاد وظل يبرز من ضروب الشجاعة صنوفا عديـدة اتم بهـا الثلاثين من سنه يشهد الملأ على ما تمناه من الموت شـهيدا فـي سبيل الواجب .

الشـهيد جهجاه جعفـر

يعتز هذا المجاهد الكبير بأن اسمه لم يكن معروفا بالاوساط الثوريـة وانه كان كرجل عادي رغم مكانته الفائقـة ومركزه الرفيع عنـد عشيرته وآله عشيرة الجعافرة الابطال فهو لم يأبه بأن لم يذكر اسمه في كل معركـة ولم يهتم الا بالفعل والعمل والحقيقة وانا لنشكر لهذا الشهيد الكبير صدق وطنيته في وقت كان باستطاعته ان يصدق الفرنسيين الود اذ ان السـلطة كـانت تخطب صداقته وتود ان لو كان الى جانبها فكثيرا ما اوهم المستشار الفرنسي بأنه ممالىء للحكومة المنتدبة وكان قوله هذا عبارة عن تثبيط لهممهم حتـى لا يكونوا له بالمرصاد وحتى لا يحولوا دونه والقيام بالواجب الوطني الصحيـح لذلك جهجاه الشهيد من الرجال الاشاوس الذين عركوا الدهر فعلبوه شجاعة وصبرا وفادوه بالتضحية والايثار وكم خاض غمار معارك عدة كان يجهزهـا بالعتاد والسلاح من ماله الخاص وكم جاد بالمال الكثير على المجاهدين فـي مواطن عدة ففي فقده فقد ركن من اركان الثورة عظيم لما امتاز رحمه الله من ندى وجود بالنفس والنفيس والغالي والرخيص اسبل الله عليه ثوب الرحمة واجزله عظيم الاجر .

الشهيـد جمعـة سوسق

من الافذاذ البواسل ومن الكواكب اللوامع هـذا الفذ الوحيـد والبطـل

الشهيد ورجل الفروسة والبطولة كان مختار قرية رنكوس وكانت حياته ملأى بالعصيان على الظلم وشق عصا الطاعة بوجه الاستعمار من قديم هو الذي شهر حسامه بوجه آل طوران وهو الذي ناوء الاستعباد من اي كان وهو الذى القت عليه القبض الحكومة التركية سائقة اياه الى قرية القطيفة من اعمال القلمون لانفاذ حكم الاعدام فيه فكان من بسالته وقوة جأشه ان حطم القيود وفك السلاسل وافنى الاغلال بقوة فولاذية وصرع اثنين من الجنود فارا ملتجئا الى حكومة فيصل الاول اذ ذاك كان يلتهم الموت التهاما وكان يقضم الحياة قضما وكان اذا ماثار ثائره صال وجال وارعب من حوله وبحق اسد الثرى وليث الوغى وظل يتنقل من ساحة نضال الى معركة جهاد حتى كانت موقعة اللجاه الاخيرة وفيها استبسل ملك الموت وتقدم من هذا الشهيد الباسل من بعد ان تخلى له عن هذه الروح الطيبة هازجا باسما ناشدا اناشيد الحياة الخالدة وكان له اذ ذاك خمسا واربعين عاما .

الشهيد جمال ابو جيب

كان طلاب العلم في هذه الثورة كانوا مندفعين اليها بواجبهم الدنيوي والديني معا ولذلك نرى ان شهيدنا هذا هو في عداد هؤلاء وهو احد من استشهد في واقعة الميدان يوم التطويق عن عمر قضاه في الصلاح وهو ثلاثين عاما بعد جهاد وكفاح .

الشهيد حكمة العسلي

اختص شهيدنا الغالي حكمة بالتواضع والدعة والعمل بهدوء من غير ما جلبة ولاضوضاء هو ابن السيد علي العسلي المشهور بدمشق وهو عين من الاعيان في محلة الميدان وعضو بلدية الشام اذ ذاك .

والد فقيدنا حكمة في عاصمة الامويين وقد اخذ في التعلم حتى اتم الثانوي من علمه وتدرب على الزراعة وقداتصف بالجراة الفائقة والجأش الرابض والحزم

والامانة ساهم في كل من الثورة العربية والثورة السورية وقـد عرفت عنـه البراعة في تدمير الخطوط الحديدية ونسف الجسور وقطع الاسلاك وهـذا ماكان مودوع امره اليه ابان قيامه في الاعمال الثورية اخذ في الجهد والنضال ايام الثورة السورية الى المجاهدين وعلى الاخص الى الشهيـد الكبير احمـد مريود والى المجاهد الكريم فائق العسلي بن اخي فقيدنا حكمة كانت واقعة جباتة الخشب وكان حكمة المجاهد الى كل من آل العسلي اديب وصبري واحمـد وفائق كما ذكرنا فيما كان الجميع آخذين في القتال في حومة الوغى وبالعراك مع الجيش كما المعنا بذلك سابقا وقد قام كل منهم كما ينبغي من ثبـات ومـا يقتضى من جلاد وما يلزم من صمود اصيب بطلنا العزيز حكمة برصاصة في صدره اضطر صبري الباسل الجلود لحمله وتولى فائـق الهمام امر الدفـاع وقد اصيب ايضا هذا البطل فخر صريعا وشاهده حكمة عندما تجندل فصاح بصبري انجو بنفسك اذ لاامل لي في الحياة فالجرح مميت والـدم متدفـق وفائق قد لقى ربه والح على صبري الشجاع ان يتركه فلم يفعل وقـد تأثـر الجريح مما نزف من دمه ففارق الحيـاة يسجل على صفحة التـاريخ آيـة التضحية الحقة وسورة الجهاد الاكبر باحرف من نـور ، اطبقت الشركس على المجاهد صبري الذي خانته بندقيته عن الاطلاق لعطل طرأ عليها فاطلعهم على ان امه من الشركس وسمى لهم اسماء اخواله فاقتصروا على تجريده من سلاحه ولباسه واما المجاهدان احمد واديب فكانا اسبق الجميع الى الانسحاب اذذاك حيث اتخذا طريقا غير الطريق الذي اتجه به كل من المجاهدين الابرار حكمـة وفائق وصبري وبذلك تمكنا من النجاة بسلام .

فشهيدنا حكمة البطل المجاهد جـدير بالتقدير والاكبـار والتجلة والذكران مـدى الدوران حكمة الباسل كان مثـال الرجولة والشجاعة بصمت وهدوء لايبتغي على ذلك ظهورا ولا يتطلب اجرا وهذه مزية قلت ان تكون في عدد وفير من رجال فاسبغ الله عليه الرحمة شآبيب واسدل فوقه الرضوان سجفا كثيفا ماكر ليل وفر نهار .



الشهيـد حسن الخراط

حسن الخراط الثائر العربي الكبـير الذي هز الاستعمار

حسن الخراط الثائر العربي الكبير

ماكان العلم في يوم من الايام ليوجد الوطنية او لينمى في النفس حب التضحية والمفاداة وما كانت الدروس العالية والثقافة السامية لتحدث في المرء شيئا معدوما او لتخلق في القلب حسا مفقودا بل ان كل هذا مما يعزز ديقوي ويظهر ولكن لايكون ولايحدث ولايبري .

عصامينا الخراط من الرجال الذين ماتثقفوا الثقافة العالية ولاتدرجوا في معارج المعاهد العلمية حتى ولا الكتاتيب فهو اذا مابرز على اقرانه في ميدان العبقرية والعصامية والنبوغ في الوطنية واساليب القتال فانما من وضع نفسه وخلق يده فلم يقتبس الخطة الحربية عن قائد خبير ولا عن معلم قدير ولا وقف في يوم من الايام مواقف الاسود تذب عن حياضها اقتباسا عن رجل تقدمه لذلك او سبقه اليه وانما اتى من ضروب الوطنية الصحيحة ومن صنوف الجهاد الحق عفوا بلا تكلف وارتجالا بلا تعنت لذلك نكبر فيه على جهله في كل شيء علمه الواسع واطلاعه العريض بمهام رجاله اذ كان ركنا من الاركان التي لايمكن ان يستغنى عنهم ولا يتأتى ان يحرز واحد من اخوانه النصر بدونه قد اوجد في نفوس رفاقه به ثقة جعلتهم يستصغرون الموت ان كان معهم ويستحلون العذاب ان كان اليهم ويستمرئون طعم الردى اذا كانوا واياه على صعيد واحد . عرف بالوفاء وعرف بالخفة والنشاط واشتهر بالجرأة والحماس حتى ماكان يتوارى في متراس او يتحصن بمحصن ولا كان يتخذ من شجيرة مخبأ ولا من قاعدة من القواعد درعا كان كالسيل عندما يتدفق فيهوي على الوديان فيردى الاعداء مجندلين كالشهاب الثاقب وكان كالصواعق عندما تنقض فلا يدري المنقض انى تحدث ومتى تقع فمن مزايا الثورات في العالم انها تظهر جوهر المرء عندما يكن مخفيا عن الابصار ومكنونا عن الانظار وبعيدا عن الظهور ففي الثورات تلمع انجم كانت مغطاة بطبقة كثيفة من غيم الجهالة وفي الثورات تضيء كواكب كانت شمس تلك البلاد في عرض السماء خافية ضوئها خابية نورها كالحة اشعاعها والاضواء فعندما تكتنف

تلك الشمس حجب الغمام تبرق تلك النيرات فترمي بالانوار على المعمور فتبدو اشد سطوعا من كل يوم وهكذا كان عصامينا قبل ان تنشب نار الثورة في البلاد فقد كان مغمور الذات مجهول الحقيقة غير معروف الكنة الى ان نادى منادي الوطن وارتفعت راية الحرية تخفق في سماء هذه الربوع فانضوى اليها هذا الفذ العبقري يثير في نفوس من عرف ولم يعرف معنى الجهاد الصحيح ومعنى البطولة الحقيقية ومعنى حب الوطن الذي نبت في فؤاده فازهر واينع واثمر لقد كان رمزا من رمز الخلود في الخافقين وقد كان علما من اعلام الجهاد في الملوين وكان نبراسا مضيئا في المغربين فهو ولم يقتصر ذكره على بلاد الشرق فحسب بل تعداه الى بلاد الغرب حتى ان الكثيرين الذين لم يعرفوا الخراط حسبوه خريج اكبر الجامعات او مجاز من اعظم المعاهد الاوربية في حين انه امي لايعرف القراءة ولا الكتابة وهذه مفخرة له ومحمدة زادت من علو مقامه ورفعت من سمو مكانه انا اذا ماشئنا ان نعدد مزايا هذا البطل الكبير اعجزتنا القراطيس ولم تمدنا المدادات والاحبار فقد كان هذا العبقري حارسا بسيطا يحمي ذمار الدور في احياء دمشق فدار الدهر دورته وانقلبت الايام قلبتها جعلت ذلك الحارس البسيط حارسا كبيرا يحمي الوطن بأسره ويذود عن البلاد بكاملها وهكذا فقد انتقل من سذاجة الامن البسيط الى ذروة الدفاع عن بيضة الحمى وعن ربوع سورية وهو لم يكن شجاعا بمفرده بل كان كل من اليه شجاعا مثله يتشرب من نفسه العظيمة شعاع الجرأة فينتقل مع البرق الى نفوس مرافقيه وهكذا كان هذا الفذ الخراط خارطا بالحقيقة كل عزيمة للاعداء وفاريا بالفعل كل قوة وشجاعة في الاخصام وكان كثيرا ما يرتمي على الجند صائحا بهم ها انذا امام حصونكم واست في الدور والاسواق تبحثون عني فابرزوا من مكامنكم ان كنتم رجالا وبمثل هذه الصفات التي كان يصفها بهم كان يأخذ بمشاعرهم ويستحوذ على مافيهم من قوى معنوية او مادية ومن البداهة ان هذا البطل الصنديد خاض اكثر

المعارك وكان فيها ظافرا وكان فيها مثال الغلبة على اعدائه .

لقد اصيب في كتفه كما مر في هذا الكتاب في واقعة الزور فكان مثال الوقدة الوطنية والشعلة الحماسية وظل يقاتل متنقلا من واقعة الى واقعة حتى كانت مناوشة على ابواب دمشق عند بساتين الشاغور وهناك بينما كان الى رجاله يقارع نفرا من الارمن والشركس اذ اصابته مرمية سقط على اثرها مغشيا عليه وقد حضنه سعيد قنباز من كان اليه وصاح برجاله ان احملوا على هؤلاء الاعداء فصدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد انتصروا عليهم وعادوا الى جريحنا المفدى وكان الدم قد نزف منه بكثرة فلم يعد بالامكان ان ينج من مخالب الموت وقد أتوا ببرذون حملوه عليه ولكن لم تخط به هذه قليلا حتى فاضت روحه السامية الى الملأ الاعلى وقد ترك له من مبادئه واذكاره وحسانه وافعاله ومزاياه ومآثره ما جعل المستشرقين والسائحين يأتون الى هذه الربوع يتحرون اماكن هذا الفقيد الغالي كي يباركون فيه روح الوطنية والحرية والايادي البيضاء على هذه البلاد وقد دفن رحمه الله في مقبرة الباب الصغير اثرا من الآثار القيمة التي يرجع اليها في كل حين .

الشهيد حسن المقبعة

كان شهيدنا هذا على شجاعة فائقة وبسالة نادرة وكان يضرب به المثل في كل معركة ختم الثلاثين من عمره شهيدا في دار العظم في البزورية بدمشق عام ١٩٢٥ بعد بلاء ابلاه باعدائه ونزال اوقعه باخصامه وهو من الشجعان المعدودين في الثورة .

الشهيد حسن وطفة

من ابطال النبك الصناديد هذا الشهيد الكريم وهو الذي ختم حياته التي ناهزت الخمسة والثلاثين عاما بالشهادة في واقعة عين ترما بالزور من بعد نضال وعراك شريفين .

الشهيد حسن الفوال

وهذا ايضا من الشجاعة بمكان عظيم لا يقل عن رفيقه في الجهاد السابق الذي نوهنا ببطولته قضى هذا الشهيد عن خمسين عاما من بعد ان جرح يوم التطويق فمات في دمشق عام ١٩٢٦ وهو من الشهداء المبرزين .

الشهيد حسن المصري

لقد ابلى هذا الشهيد في الاعداء بلاء بعث البطولة من مرقدها فيه واحيا ذكرى الامجاد الاول وظل يناضل حتى كانت موقعة حرستا عام ١٩٢٥ وفيها قضى نحبه شهيد الفرض الاقدس الجهاد الاكبر وله اثني وثلاثين عاما من العمر .

الشهيد حسين عرب ملي

في واقعة النبك الشهيرة انهى هذا الشهيد الخمس والاربعين سنة من عمره من بعد ان كان جنديا فارسا ومن بعد ان شاطر اخوانه المجاهدين انىرف المواقف وانبل الاعمال .

الشهيد حميد عوض

البطولة الخارقة التي عرفت عن هذا الفقيد الشاب كانت ملأ الاسماع والابصار عن حق وهو الذي اقتحم قلعة راشيا مع المجاهد المبطل نزيه المؤيد واخوانه المجاهدين الابرار وقد انهى واجب الدفاع شهيدا في باب السريجة بدمشق عام ١٩٢٦

الشهيد خير بن صادق غزال

في واقعة عقربا استشهد هذا الشاب المتدين عن عمر لا يتجاوز الخمسة وعشرين عاما من بعد ان قضاه في الصلاح والتقوى والتلمذة على العلامة

الكبير الشيخ علي الدقر (١) فختم حياته بالجهاد الذي حض عليه كل دين سماوي او وطني .

الشهيد داوود الفارة

في واقعة جسر المطير عام ١٩٢٦ كان هذا الفلاح الشجاع والمزارع البطل يسجل في العالم بدمه ان الناس ليست بالاسماء والالقاب بل بالاعمال والافعال وان المسميات والكناوي لا قيمة لها امام الحقيقة الا مايكون عليها صاحبها من خلق وعمل فقد كان لهذا الشهيد الكريم من العمر ثلاثين سنة يوم نال مرتبة الشهيد بعد قتال مجيد .

الشهيد رشيد الخنشور

قرية دوما في الغوطة من القرى التي كان لها نصيب وافر في هذه الثورة فقد بعثت بالصيد الميامين من ابطالها يقتمرون المواقع ويغشون المعارك منهم هذا الشهيد الذي يعد من اعيانها البوارز ومن وجهائها النواهض .

الشهيد رشيد برافي

تربى في مهد الشجاعة وداجى على ربوع البسالة فكان من الصناديد المغاوير ساهم في وقائع الثورة وانهى الاربعين من سنه حيث لبى داعي الوطن شهيدا .

الشهيد زكي بن صالح الحلبي

عرف عن هذا البطل القائمقام الحلبي انه من رجال الجندية والقادة العسكريين الشهيرين بالحزم والعزم وشدة البطش وكان رجل جد لا هزل

---

(١) المغفور له الاستاذ الشيخ علي الدقر علم من اعلام الاسلام الذين لهم الايادي البيضاء في خدمة الدين الحنيف والشرع الاسلامي الشريف فهو يكاد ان يكون الاول الذي قضى على التبشير غير الاسلامي في جميع انحاء سورية بمترامي اطرافها وهو الذي جدد ما اندثر من آثار ومعالم الاسلام فقاتل التعصب وحرر المعتقدات مما طرأ عليها من سخافات .

وكان لا يعلم الا الفعل بدل القول ولد هذا البطل في البلد الاول من الشمال حلب الشهباء وقد انتمى الى المدارس الابتدائية ومنها اخذ يتدرج في مراقي التعليم فينتقل من مدرسة الى مدرسة في سلك الضباط حتى كان العهد التركي برتبة ملازم ثاني ثم ترفع الى رتبة ملازم اول ثم ترقى الى رتبة رئيس ثم الى وكيل قائد له من الدرجة الرفيعة الحقيقية ماجعل الجيش العربي ان يختاره في جملة من وقع اختياره عليه من الضباط الذين كانوا بحق نواة جيش عربي لو سمح له الزمن لكان في عداد الجيوش العظمى في العالم ترقى هذا المجاهد الكبير في الجيش العربي الى رتبة قائمقام وتأهل لرتبة الزعيم فأقعده عن الوصول اليها دخول الجيش الفرنسي وانهيار الحكم العربي العتيد .

لم تفتر همة فقيدنا ولم يقعد به شيء من خمول عن تلبية داعي الوطن فأول ما نفخ في بوق الثورة في العالمين هب مع من هب شهيدنا الكريم الحلبي يندفع مع تيار الوطنية الجارف فيكر على الاعداء في ايام الثورة السورية كرور الاعوام والليالي .

كان يعتقد هذا البطل ان من واجب العسكريين قاطبة ان يكونوا في مقدمة مدربي الامة ومعلمي الشعب ومنقذي الوطن بالفعل لا بالقول وان الواجب المفروض على كل من تربى التربية الجندية ان يتولى بنفسه تثقيف افراد الامة وتدريبها على الحياة العسكرية وان الامة التي لا يتولى رجالها العسكريون امر قيادتها نحو الرجولة عن طريق التعليم العسكري لا يمكنها في يوم من الايام ان تصل الى ما تنشد وتصبو اليه من حياة حقة لذلك كان في الثورة عن عقيدة ومبدأ صحيحين لا لغرض شخصي او لمأرب ذاتي وكان بالتحاقه بالمجاهدين قد نفذ معتقده وطبق خطته وتمم برنامجه الشخصي الواجب الاتباع حضر معارك عدة كان يبلي بها البلاء الحسن وكان يقود من

يكون اليه من رجاله بحنكة عسكرية وخبرة جندية ودهاء مجيد غير ان المنية التي لايقف في سبيلها حائل ولا واقف قد حلت بشهيدنا وهو يقوم بالجهاد المقدس في واقعة ام الشراطيط بينما كان يناويء الاعداء ويقارع الخصوم. فاذا نعينا الى رجال الجندية والى الامة العربية هذا الفقيد الكريم وهذا الشهيد النبيل وهذا العسكري بحق فانما ننعي رجلا كان مخلصا وفيا صريحا لا يماري ولا يحابي وكان مثال الجندي الصادق الذي لا يتسرب اليه الهزل ولا يترشح نحوه الا كل نشاط وحزم وعزم ولولا ان يختطفه المنون لكان له من الايادي البيضاء على النشء العربي في التربية ما لايمكن ان ينكر وما يجعل الشباب ممن يصلحون ان يكونوا في مقتبل حياتهم وآتيها رجال جيش يعول عليه فرحم الله النشاط في هذا القائد الكبير ورحم الله الغيرة والحمية في رجلها العظيم وعزى شقيقه الزعيم العسكري الكبير السيد امين وآله الاكرمين والامة السورية العربية عن فقد مثل هذا القائد الشجاع الكريم .

الشهيد زكـي المرادي

نكبر في هذا الفقيد الذي انبثق من عائلة شهرت ابنائها سلفا وخلفا عمت اقطار الاقليم السوري ماامتاز به من ايثار وتضحية وخلق سامي عم الجميع بفضله وتناول الاكثرين عددا ممن كان له به اتصال ومن الضروري ان نأتي على ذكر ما لهذه الاسرة الكريمة من سؤدد وعلم ووجاهة ونسب رفيع يمت الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من ناحية والى ما تفرع منها مما يناهز الخمسة عشر مفتيا في عاصمة الامويين ومن هذه الاسرة الشريفة صاحب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ابو الفضل خليل المرادي كان فقيدنا يجمع الى حصافة الرأي قوة العضل وكان من مشاهير الرماة بحيث لا يخطيء الهدف قط كان يجود بالمال وبالنفس معا لم يعرف عنه انه رد قاصدا او اشاح عن راغب في مساعدة وكان كثيرا

مايمد يد العون والمعونة حتى او استهدف الخطر من جراء ذلك حياته ولعارفيه الاطلاع الوافر على ما بذل وضحى ذاكرين له وقائع عدة .

كان ابان العهد التركي موظفا في شعب المالية ومفتشا للجباية في قصبة حوران وفي ذلك الحين كان على اتصال مع جلالة الملك فيصل الاول عندما كان هذا الملك اميرا وقد استشار المليك بالالتحاق به مع رهط من الفرسان فآثر الملك بقائه في منصبه بحوران اذ ان وجوده على رأس العمل ادعى للفائدة واوفى بالمرام . وكان همزة الوصل بين الاقطار العربية وبين اهالي حــوران وكــــان يفضي من حين الى حين من اخطر المعلومات عن العثمانيين الجيش العربي ومما سهل له سبيل الدعاية للتخلص من النير التركي ما كان يقــوم به موظفو الاتراك من اضطهاد وتنكيل وعذاب وبذا استطاع ان يحمل قاطني حوران على العصيان وقد بلغ به الامر حدا كان الكثير من الحوارنة يسعى كل مافي طاقته الحصول على بندقيــة وذخيرتها لغرضين الاول قصد العصيان على تركيا والثاني للالتحاق بالجيش العربي وظل كذلك حتى دخـــل الجيش العربي حوران فكان الشهيد في مقدمة المستقبلين .

ساهم الفقيد العزيز بالثورة السورية فأسس دارا في كل من قريتي سكا والغزلانيــة في الغوطــة استقبل المجاهدين من حين الى حين فيهما وقــد كــان له عمل يؤثر في كل من الهيجانية والغزلانية وحران العواميد وبذلــك كان له النفوذ الاكبر في نواحي المرج واشترك في جميع المعارك التي حدثت في تلك الربوع فأبدى فيها من انواع البسالة والشجاعة ماجعله يعد بمئـــات وقد اثر في نفس شهيدنا استشهاد الفتى الشجاع شوكت البسطامي ابن أخت الفقيد فطفق على اثر وفاته في ساحة الوغى يعرض نفسه لكل خطــر محدق ويرمي بحياته في كــل هوة من الخطر وعندما انفرط عقد المجاهدين في اكثر الانحاء قبيل القضاء على الثورة توجه للجبــل ليرى ماذا يجب ان يفعل . فالتقى بالمجاهد الكبير نسيب البكري وبأخوانه فارتــأى عليه ان لا

ببارح المرج حتى لا يخبو سعير الثورة هنـاك اصغى الى ذلك وعاد صحبـة ثلاثين من رجاله وقـد جرت له معارك ومناوشات بسيـطة حتى اصطدموا في ذات يوم بحملة بابيلا التي كان عدد رجالها يتجاوز الالف مقاتل وقـد اطبق الجند على المجاهدين فاضطروا لان يفوزوا من المعركـة بالخلاص الا فقيدنا الذي لم يفر بل ظل يطلق النـار صائحا يالثارات شوكت يالدمـاء عادل النكدي ياللعروبة والوطن وصمد بمفرده يناضل ويكافح حتى نفـذ العتـاد منه فتمكن منه اعداؤه بعد ان جندل منهم ثمانين رجلا قبل ان يصاب وفي عام ١٩٢٦ ودع هذا العالم عن عمر لا يعدو الاربعين ربيعا وهو في جدثه في قريـة بابيلا قضاه بما شاعت له الرجولة وشاء لها من كل صفات مثلى ومزايا عليا وصبر جلود فهو مفخرة أسرة المرادي الكريمة بنوع خاص وسورية والشعب العربي بوجه عام .

الشهيد زكي ابن سليم الشربجي

وان كان هذا الشهيد الكريم لم يتثقف الثقافة العالية الا انه كـان صلبا في دينـه شجاعا في قتاله احد تلامذة العلامة الكبير الشيخ الدقر وقد كان في سلك الدرك الجندي الاول بسالة وبطولة ظل يجاهـد في اكثر مواطـن الثورة حتى كانت واقعة عقربا ولم يكن له من العمر اذ ذاك الا ثلاثين عام يوم ان قضى نحبه في سبيل المبدأ الحر والوطنية الصادقة والدين الحنيف ..



الشهيد سعد الدين ابن عبد الله ابن احمد مؤيد باشا العظم

ينفرد شهيدنا العزيز هذا من بين فقدائنا الابرار بالثبات على الوطنية الخالصة وعلى العقيدة الراسخة التي مايمكن لصروف الايام ولا لكر الاعوام ان تنال بشيء منها .

بزغ هلال حياة هذا الفقيد في سماء دمشق وقد تعهد امره ورعايته والده السيد عبد الله واتى له بالاساتذة الى داره حتى اصبح بامكانه ان ينضوي تحت لواء المدرسة الابتدائية الرسمية وهنالك استطاع نيل شهادتها فترقى الى مدرسة السلطاني وكانت الحرب الكونية قد ذر قرنها فلم يستطع شهيدنا الكريم ان يتمم الدراسة فيها فتركها مكرها والتحق الامير فيصل شهيدنا الكريم ان يتمم الدراسة فيها فتركها مكرها والتحق بجيش الامير فيصل وكان من المبرزين في تلك الايام فكوفيء بوسامين على ما برز به من شجاعة واقدام وكان موضع اعجاب الاعراب وامرائهم حتى ان احدهم قد قدم اليه حساما اشعارا بأنه رجل سنام وآية طعان وكان الى المليك العربي عندما دخل للمرة الاولى دمشق ظافرا . انكب فقيدنا الهمام على الاشتغال بالسياسة وقد اخذ بتأليف كتاب يضم ما تبعثر من حوادث القضية العربية ولم يتمكن من اتمامه لما اوقفه عنه من تعاطي امور الزراعة .

ساهم بحوادث كراين بعد ان انسل عرش الملك فيصل واشترك بالثورة السورية فكان اللولب الذي لا يهدأ والمحرك الذي لا يفتر كان فقيدنا الكريم مضرب المثل في الشجاعة ومحل التقدير وموضع الاعجاب وكان ممن يعتمد عليهم ويوثق به لهذا تودعت اليه مهمة وطنية من قبل الجبل الاشم يؤديها في الشرق العربي الى العسكري العظيم البطل يحيى حياتي وكان اليهما دليلان من عرب السردية يقودانهما سواء السبيل في الليل الاليل وقد امتاز فقيدنا بأن كان ما يبدل زيه العربي الذي شب على الظهور به ومات وهو في ذلك الزي الذي كان رمز العروبة وشعار الحرية ودليل الانطلاق من الاسر والعبودية ، الكوفية والعقال والعباءة فما بدل هذا اللباس ولا لبس سواه

ولا عدله ارتداه سلما وحربا في المدنية والبادية في الدعة والنعيم وفي البؤس والشقاء والعيش اللاّمي .

ذهب الشهيد الكريم والقائد الكبير يحيى حياتي الى دليليهما وقد سولت الى هذين الاغيرين الوغدين نفساهما الدنيئة ان تغدرا بمن وجب عليهما حراستهما والاخلاص لهما والذود عنهما والغدر من شيم اللئام انحطت همتاهما الى ان بات كل منهما يرى الجبن شجاعة والرعدة إقداما والاسفاف الى الحضيض رفة ومقاما وقد نفذا ما انطويا عليه من لؤم وما جبلا به من شر وما ترقرق في فؤادهما الدنس من دناءة وحطة وسفالة فصوب احدهما رصاص بندقيته على شهيدنا المؤيد الفادي فأرداه قتيلا يستشهد الصحراء على ما نزف منه من دماء ويرقب السماء بعين جمدت تنتظر من الله ان يوقع بأسفه اللؤماء وصوب الآخر بندقيته الى رفيق الشهيد الكريم فلم يستطع رصاصها ان ينال من مجاهدنا يحيى حياتي الا قسما من طرف اذنه وفر الظالمان السافلان لا يلويان على شيء فعليك رحمة الله ياشهيد الغدر وياضحية الخيانة ويارجل الشهامة والمروءة والحمى الذي لم يعرف بك فتور وفي سبيل الله والعروبة والوطن ماقمت به من جليل الاعمال ورفيع الفعال .

الشهيد سليم الاظن

ساهم هذا الفقيد في اكثر مواقع الثورة حتى كانت موقعة زاكية عام ١٩٢٦ وفيها قام بأقصى ما استطاع من واجب الدفاع فاستشهد فيها ولم يكن قد ناهز الا الخمس وثلاثين عاما .

الشهيد سعيد حجاز

غير المثقفين في الامة السورية كانوا كالمتعلمين شجاعة وبسالة وللوطن فداء شهيدنا هذا لم يكن ممن تثقف او تعلم الثقافة او العلم المطلوبين وقد ابرز بعد التطويق بواقعة زيدين ما شهد له اقرانه من بطولة انهت عمره الذي كان خمسا وعشرين عاما بالشهادة التي تطلبها عن جدارة واستحقاق .

الشـهيد شوكت العـائدي

الدهاء والمفاداة والصمود والتضحية والثبات على المبدأ كله كان مـــن خصال هــذا الفقيـد الغالي فقـد كان على واجب لوطنـه لايضاهى وكـان على حماس في سبيل البلاد لا يجارى وكـان على تمسك بالعقيـدة لايبز ولا يقارب . درج الفقيد في دمشق يرد مناهل العلم فكان في طلاب مدرســة الملك الضاهر واخذ يجد وينشط حتى نال شهادتها وتأهل لدخول مدرسـة السلطاني وتابع الدروس حتى النهاية فصادف بدء الحرب العالمية فكان في عداد من اخذ للجيش العثماني باسم الخدمة المقصورة اي وكيل ضابط وظل هذا الشهيد في الجيش التركي ستة اشهر في بعلبك من سنة ١٩١٥ حتى أتى في نهاية هذه المدة الى مسقط راســه فكان ضابطا لسرية الهجانة فــي قريـة القابون وقد ابدى من الحنكة العسكرية والخبرة في الجندية مـا دعا رجال السلطة من بني عثمان اذ ذاك لان تنتخبه للمدينة المنورة ملتحقا بفيلق فخري باشا بالجيش هنالك وبقي الشهيد الى ان شبت الثورة العربية فالتحق بها يرافق سمير الرافعي واخذ يعمل بما أوتي من جد وحماس في ميــدان الثورة واليه يرجع فضل تشكيل الحرس الملكي برئاسته وقـد وقع اختيار الملك فيصل وقد كان اميرا اذ ذاك على هذا الفقيد فجعله مرافقه الخاص في ساحات الوغى الكبرى فكان عند حسن الظن به وكان خير محافظ على الواجب الجندي وعلى ما ينبغي ان يكون عليه من الخلق كل عسكري شريف دخـــل الجيش العربي عاصمة الامويين عام ١٩١٨ فكان شهيدنا البطل معاون قائد موقع دمشق القائمقام عبد الله الدليمي وكان اذ ذاك الفقيد رئيسا فأبدى من مواهبـه ومن ينبوع عبقريته ما رقاه الى رتبـة قائد معاون في السابع عشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ قام الشهيد بما وسد اليه من منصب خير قيام حتى كان بتاريخ ثالث كانون الاول سنة ١٩١٨ في اللواء الملكي ومنها الـى قيادة القنيطرة وقد كـان موضع اكبار عارفيه وكان محل اعتبار الخبيرين

جيه وكان خليقا بكل منصب سامي ومركز رفيع عمل مع العصابات التي كانت تغور على مرجعيون مع الامير احمد مريود والامير فاعور فكان اهلا للاعجاب بأعماله وتقدير افاعيله والحق بقيادة الفرقة الثالثة ومنها الى موقع الشـــام فكان فيه القائد المعاون ثم اتبع بقيادة الفرقة الاولى في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٢٠ وظل كذلك حتى اكتسح الجيش الفرنسي عاصمة بلاد الشام دمشق وعندها توجه نحو عمان فكان قائد موقعها زمنا غادر هذه المدينة في نهايتـــه الى القاهرة وتردد بين دمشق وعمان خلال ذلك زمنا يسيرا ولـــما تألفت الحكومة العربية الشريفية واعقب ذلك الحكومة العربية السعوديـــة التحق بالشريف فكان قائد حامية جدة اما عندما نفخ بوق الثورة السوريـــة في البقاع والتلال والبطاح فقد نفر يخف اليها جائدا بما كان اقتصده مـــن رواتبه التي استوفاها تامة واندفع الى ميدان التضحية الحقيقية راكلا المراكز والمناصب يبتغي المنصب الاكبر والمقام الارفع ينشد مكانة المجاهد الشريف المقاتل في سبيل الله والوطن وفي معركـــة ام الشراطيط ختم هـــذا الفقيد العظيم حياته المملوءة بالمحمدة والمكرمة بعـــد ان عارك الاعداء في كثير مـــن المواقع وابلى احسن البلاء وقضى في هذه المعركة شهيدا باسلا غامر في كل شيء وجاد بأعز مالديه وهو الروح .

الشـــهيد شـــفيق عمر باشـــا

ما زال هذا الحي الكريم حي الميدان بدمشق ينجب من حين الى حـــين في هذه الثورة المباركـــة رجلا تلو رجل وبطلا تلو بطل ففقيدنا شفيق يمتاز بانتسابه من ناحيـــة امه الى صاحب الرسالة الكبرى صاحب العروبة الحقـــة شمس الدين الحنيف الرسول الاعظم والنبي الافخم محمد بن عبد الله فحق لهذا الشهيد ان يسير على غرار من مت اليه بنسب وان يتخذ منه المثـــال الذي يسار على ضوئه ويهتدى بهديه ويحذى في كل سبيل حذوه .

كان هذا الشهيد الكريم من ذوي الآراء الصائبة والعواطف النبيلة والحدب على الفقراء والانتصار للضعفاء وكان ذا نخوة ومروءة وشهامة وبأس وطول مراس له اليد الطولى في القضايا والاحزاب السياسية ولا سيما في فاجعة ميسلون الشهيرة فقد امد الثورة السورية في جميع قواه مادة ومعنى وفدى وطنه بالنفس والنفيس وقضى شهيدا فداء بلاده في ٢١ تشرين الاول سنة ٩٢٦ وآخر ما ختم به حياته المملوءة بالجليل من الاعمال قوله — لن يموت هذا الوطن مادام عرق العروبة نابضا بقلوبنا نحن العرب — فرحم الله هذا الفقيد العزيز بعدد مآثره وحسناته .

الشهيد شوكت البسطامي

لا نعدو كبد الحقيقة ان قلنا ان هذا الشهيد الفتى هو اصغر المجاهدين سنا وان كان من كبارهم فعلا وصبرا صاح به الوجدان الكبير الذي كان بين جنبيه ودعاه الضمير الحي الذي خفق بين برديه واهابت به نخوة العروبة التي عششت في رأسه واقامت في نفسه وتناولت جميع مشاعره وحسه فانبرى يتطلب الثورة ليكون في عداد رجالها وهو اصغر ابنائها .

برهن هذا الشاب الحبيب على ان العربي السوري لايقعده عن الواجب سن ولا يحول دون دفاعه عن وطنه حائل مادي او معنوي او طبيعي وانه اذا مارأى الذل يهجم على ربوعه ليظللها بجمجمته طفر طفرة الرئبال يهيض تلك الاجنحة ويميط عن ربوعه كل لثام هكذا كان شأن فقيدنا الفتى البسطامي الذي ابى عليه اباؤه ان يظل مع القاعدين فخاض معارك الجهاد وهو لم يتجاوز الخمسة عشر عاما فكان من افاعيله مارفع رأس الثورة عاليا وما قوم من اعوجاج الكثير ممن يدينون بالباطل وظل الى خاله البطل المجاهد الصابر زكي المرادي لا يفارقه ويلازمه ملازمة الظل حتى كانت معارك الغزلانية ودير الحجر وفيها نفر الى الاعداء بقلب اصم ونفس جبارة وقلب فولاذي وما كان الاعداء لينالون منه منالا لولا ان اميت السرج من تحته وهو كار على الاعداء

فهوى عن فرسه وقد ادركته فرقة من المتطوعة فاستحكم بالارض واخذ يطلق النار على مهاجميه حتى اردى منهم عددا كبيرا وحتى نفد منه الرصاص فانقضوا عليه وافرغوا في دماغه المفكر رصاص مسدساتهم فكانت آخر نظرة منه اليهم نظرة التشفي اذ انه لم يذهب دمه سدى بل قاتل في اعدائه قبل ان يقتل ونال منهم قبل ان ينالوا منه ودفن في مقبرة الغزلانية تاركا من بعده الى اترابه آية البطولة خالدة ينسجون على منواله بها ويحذون حذوه فيها ويذكرون انه كان الاسبق وعليهم ان يلحقوا به .

الشهيد شفيق ابن عبد الله السكري

لم يكن حظ الثورة من طلبة المدارس بأقل من حظها من بقية طبقات الامة وهاهم اخوتنا الطلاب الاكارم يتلو واحدهم الآخر في ميدان التضحية والبطولة والمجد فشهيدنا هذا تلميذ ايضا خرج الى النور بثوب المدرسة الذي كان به يقتعد في معهده العلمي مقعدا ليتلقى وهو فيه لبان الاضاحي والتفادي وقد ساهم في الجهاد حتى ألقي القبض عليه في قرية نولة فاستاقه الجند الى دمشق وما ان وصل حي الميدان منها حتى ابى عليه اباؤه ان يعود على اقدامه كما ذهب من دمشق فعصى على من كان يقوده واستنكف عن السير وعن دخول الشام مخزولا وعندما اضطروه للسير تشبث بأحد اعمدة الكهرباء المنصوبة ولم يفارقه حتى اذا عيى الجند عند اقتلاعه منه عمدوا الى الحربة يجزون بها انامله ويديه لعلهم يتمكنون من قيادته ولكنه كان اقوى منهم عزيمة وارسخ عقيدة فلم ينتصروا عليه وعندما اعياهم به الامر لجئوا الى الرصاص يستهدفونه به وهكذا قضى هذا الشاب الباسل فخر التلامذة منتصرا على اعدائه بأن نفذ مشيئته فيهم وكانت كلمته هي العليا فلم يدخل دمشق الا محمولا منتصرا .

الشـهيد صالح قنبـاز

اذا كنا نكبر في شهيد من الشهداء قيامه بالواجب فقد حق لنا ان نكبر ونعظم بشهيدنا هذا بطبيبنا المداوي قيامه بواجب الانسانية في ساعة ملأ الخطر فيها كل مكان في حماه وقليل من يقوم بما يتوجب عليه اذا مادنت ساعة الازمات والملمات لا بل قليل من يجود بروحه في سبيل غيره فهو كريم بأقصى درجات الكرم وهو طبيب حقيقي بكل مافي هذه الكلمة من معنى. لا يظنن القاريء العزيز ان هذا الفقيد الغالي قد انحدر من اسرة كبيرة بالمال الوفير عظيمة بالابهات والمظاهر الخلابة كلا ان فقيدنا العزيز نشأ من عائلة فقيرة بالمال غنية بطيب الاحدوثة والذكر المجيد كانت ولادته بمدينة ابي الفداء بحماه عام ١٩٨٧ وقد تعهد تربيته ابواه اللذين كانا في بلدهما مثال الدعة والتواضع والحكمة والادب واخذا يتعهدانه في الرعاية جهد الطاقة حتى اصبح بسن يستطيع معها ان يكون تلميذا في مدارس حماه الابتدائية . اكمل دروسه الاولية في مدرسة كان يقوم على ادارتها مفتي المدينة الاستاذ الشيخ سعيد النعسان وقد اتم الدراسة فيها هذا الفقيد الكبير بتفوق كبير لقد انتقل الى مدرسة حماه الاميرية اذ كانت مؤلفة من صفوف خمس الثلاث الاول ابتدائية والاثنان الآخران ثانويان واجتهد هذا الفقيد الحبيب حتى كان نبراسا مضيئا في معهده وحتى اشاد بذكره مدير تلك المدرسة السيد رفعت في خطاب القاه يوم الاحتفاء بتوزيع الشهادات واعطاء الفقيد شهادته اتى الفقيد الى دمشق ليكون في عداد طلبة المدرسة الثانوية فيها وكان الاول في كل صف من صفوف هذه المدرسة فتى من مسلمي جزيرة كريد ما كانت التلامذة بقادرة على انتزاع الاولية منه وظل كذلك حتى انتمى فقيدنا الغالي الى تلك المدرسة وكان في الصف الذي فيه الكريدي المتفوق عندها بذ شهيدنا ذلك الفتى وفاق عليه وانتزع منه رتبة الاول وكان مكانه وانهى الشهيد الزكي هذه المدرسة ونال شهادتها وانخرط في المعهد الطبي العربي بدمشق.

ونال الاجازة في الطبابة من ذلك المعهد عام ١٩٠٦ بعد ذلك بيسير كان الفقيد في عداد الضباط وكان مقداما حكيما له اليد الطولى في كل محمدة ومكرمة وقد ساهم في كل مشروع نافع في حماه وكان دعامة لكل حركة وطنية مباركة ولم يكن عالما في الطب والعلوم المادية الدنيوية الطبيعية فحسب بل كان فقيها متشرعا عالما بالفرائض الف فيه كتابا لم يطبع بعد وكان عالما في التاريخ متضلعا بحوادث امته بارعا بسير الامم الاخرى . يكاد ان يكون الفقيد اعلم ابناء وطنه في الرياضيات والطبيعيات يراقب باهتمام ما يحدث وما يتجدد في علوم الكون والطبابة من نظريات حديثة . كان على عقيدة راسخة بوجوب كون كل من ابناء الامة جنودا في جيش العمل الحقيقي وان يسعى الجميع على اختلاف الملل والنحل وراء الاستقلال القومي والاقتصادي ودواعي الحياة الحقة وكان الى كل ذلك مثابرا على القيام بواجبه الديني فلم يفته اداء صلاة من الصلوات الخمس في يوم ما ولم يمر به واحد من اشهر الصيام لم يمسك به عن الطعام وعن جميع المحرمات . اشتهر بذلك منذ بلوغه العلم حتى نيل الشهادة في سبيل الله والواجب وبعد ان انهى فقيدنا الانساني دروس الطب كان استاذا للعلوم الطبيعية في مدرسة ابي الفداء الثانوية وظل فيها حتى نشوب الحرب العالمية . كان في عداد مؤسسي معهد دار العلم والتربية بحماه وكان عماده الرفيع وركنه الركين ساهم بالتأليف وضرب به بقسط وافر فألف كتب مدرسية عديدة واسس ناديا ادبيا في حماه وكان من ابرز مزايا الفقيد ايثاره العمل في الخفاء على العمل بجلاء فكان يفضل بان يقوم باعظم الاعمال خطورة واهمية من غير ان يعرف عنه هو الذي قام بذلك وكان يعتقد بانه وقف على المصلحة العامة وهبة للامة وكان يكره الظهور متمثلا بالقول المأثور (الظهور يقسم الظهور) . لم يشأ طبيبنا الشهيد ان يكون في نجوة عما يكون في الغرب من تجدد في الطب فيتمم وجهته نحو البلاد الفرنسية عام ١٩٢٣ ليطلع على ماحدث في العالم الطبي من رقي وكان من متخصصي الطب الباطني «فاجتمع الى الجهابذة من الفرنسيين يستكشف الحديث من الفن في هذا الفرع من

الطب وما كان ليدع الفرصة تمر دون ان يقتنصها فقد كانت احاديثه تمتد بينه وبين هؤلاء الاعلام من رجال فرانسا الي البحث واياهم فيها كانوا ينتوونه للامة العربية وكان في غضون اقامته بفرانسا ساعيا سعيا حثيثا وراء افادة امته عن طريق محادثة رجالات فرانسا بالقضية الوطنية العربية مدعما وجهات نظرهم بشأنها بادمغ الحجج وانصع البراهين وفي اواخر العام الملمع اليه آب من اوربا الى القاهرة وكان اوان اداء فريضة الحج قد آن فما اراد ان تمر به تلك الفرصة من غير ان ينتهزها فذهب الى الاراضي الحجازية المقدسة وآب منها حاجا ييمم وجهته نحو بلده حماه ولم يستقر به المقام في مدينة ابي الفداء حتى اخذ بترجمة كتاب المستشرق المجري (غواد قهر)وموضوعه (الاسلام وشرعته) وكثيرا ماكان يمد مجلة الزهراء من حين الى حين بابحاث طبية وفي اليوم الخامس من تشرين الاول عام ١٩٢٥ كانت الثورة السورية حامية الاوار في حماه والقوى الفرنسية تفرغ حممها وقنابلها على رواد الحقيقة ورواد الحرية ورجال الوطنية من اهل تلك المدينة وكان الفقيد الغالي في منزله يحز نفسه الالم لما يجري حوله بلده من كل اليم وشديد وقد اطل يسرح الطرف في الطريق العام فوقع بصره على حادث كان له في فؤاده وخز والم ذلك ان احد ذوي قرباه اصيب بطلق ناري كان بحاجة لمعونة طبيب يداويه فما ان شاهد طبيبنا المفضال ذلك حتى هرع الى البر لما عاهد الله عليه يوم نيله الشهادة واقسم له من مد يد العون الى كل من هو بحاجة لمعونته عن طريق صنعته وطريق قيامه بواجبه الانساني ، اسرع الى نجدة ذلك الجريح ولم يبالي بالنار التي كانت تنهال من كل حدب وصوب على البقعة التي وقع فيها المصاب جريحا وبينما كان آخذا بفحص الجريح والعمل على تضميده قائما بواجب فرض واذ اطلق عليه احد الجنود الفرنسية نارا حامية اصاب من الطبيب المداوي مقتلا فاصبح المنجد المضمد بحاجة لمن يسعفه ويضمده وبات الطبيب بحاجة الى من يطببه . انا لانود ان نحمل على الامم المتوحشة عندما تقوم بعمل بربري لانها ليست على حضارة ومدنية تردعها عن اتيان

وحشي من الاعمال ولكن بماذا نصف عمل بعض الفرنسيين المفروض فيهم ان يكونوا على شيء من مدنية وثقافة وبماذا نعلل استهدافهم طبيبنا حرمت القوانين الدولية باجمعها التعرض له بالاذى ان لم تحض على وجوب رعايته واحترامه وتقدير قيامه بالواجب الانساني .

بماذا نستطيع ان نعتذر الى هذا الرجل الفاضل الى هذا الطبيب الوفي الى هذا الانسان الحقيقي عن عمل الجند الذي يقرنا احرار الفرنسيين على انه كان بربريا وحشيا ليس فيه ذرة من الانسانية .

لنعد الى فقيدنا المجاهد وان لم يجرد سيفا او يصوب نحو هدف رصاصا فقد خر صريعا في حومة الجهاد المعنوي الادبي الاخلاقي . قضى شهيد بره بالوعد وانجازه للعهد وصدقه ماحلف عليه فهو قد كتب بصنيعه ذاك الى زملائه الاطباء والصيادلة من بعده ان الواجب واجب والفرض فرض وان يمد يده مقسما جهد ايمانه ان يكون انسانا صحيحا عليه ان يكون كذلك وقد كان الفقيد رحمة الله عليه هذا الرجل فهو مثال على كل طبيب انساني ان يحذو حذوه وان يسير على غراره وينسج على منواله .

الشهيد صبري الخطيب

من جملة الذين تلقو العلم ايضا على الاستاذ الشيخ الدقر هو هذا الفقيد الشجاع الفتى الذي لم يكن قد تجاوز خمس وعشرين عاما من سنه يوم ان خرج الى الجند بمفرده في حي الاكراد واشتبك لوحده مع ذلك الجيش فاوقفه زمنا يسيرا حتى نفذ ما كان لديه من ذخيرة وعتاد وبنفاذه نفذت حياته الدنيا يستقبل الحياة العليا بالشهادة .

الشهيد الامير عز الدين ابن الامير محي الدين الحسني الجزائري

يمت هذا الامير النبيل الى اسرة لها المجد مناطا والسؤدد لها اتصالا فهو نجل الامير محي الدين الحسني الجزائري وحفيد الامير عبد القادر الجزائري

من ناحية امه . انبلج كوكبه المضيء الى هذا العالم عام ١٩١٦ هـ فانخرط في مدارس دمشق الابتدائية وما ان ترعرع وشب حتى بعث به ابوه الى الكلية العثمانية في بيروت الكلية الاسلامية اليوم التي كان يراسها العلامة المرحوم الشيخ احمد عباس الازهري وما ان ومض بريق الحرب الكونية العامة حتى كانت اسرة فقيدنا العزيز محل اضطهاد الاتحاديين وموضع التشريد والابعاد الى بروصة على ان هذا الحرب ما كادت ان يحل محلها السلام الاوعادت هذه الاسرة الكريمة عائلة الفقيد من منفاها فاوى فقيدنا الكريم الى المدرسة العلمانية في بيروت حتى اذا ما انتهى منها انتقل الى القسم التحضيري من المعهد الطبي العربي بدمشق ليحق له دخول كلية الحقوق وهذا آخر عهده في المعاهد العلمية حيث طغت اذ ذاك موجة الثورة السورية العربية على اجواء دمشق وآفاقها وتناولت الشباب والشيوخ والنساء والاطفال فاصطلى بنارها من كان على همة مستنفدة وعزيمة مستنهضة وشعور دقاق فكان الفقيد من جملة من لبى داعي الوطن وفي طليعة من نفض عنه غبار الرضوخ الى المذلة فامتشق صارم العصيان وتوجه نحو ميدان الطعان وقد وقفت ايها المطالع العزيز على ما كان له من مواقف لم نسجلها نحن فحسب بل ان الزمن كتب على صفحات العبر آيات ما احرز من ظفر فهو المقدام بحق والشجاع عن صدق كان رحمه الله صريحا صادقا عاملا غير قوال ولا مداجي كان يجهر بالحق ولا يخشى ما ورائه وكان يصارح المرء مافي عقيدته غير حاسب لتلك الصراحة مغبة وكان كريما ما عرف انه قبض كفا او لم يدا بل كان من اهل الجود والندى كان على قلب عاطف وشعور رائف واحساس يكاد يبين من شدة الحنان كان على هذه الصفات والمزايا كريم الاخلاق عذب الحديث رقيق الحواشي جميل الاحدوثة والذكر لايمل مخاطبة حديثه مهما طال عرف بالمواساة ولين الطبع وكريم الخلال كان بارعا في ركب الخيل والقنص متفوقا على اترابه اما اخلاصه ووطنيته وحميته فهذا مالا يستطيع تحديده بنان او وصفه انسان وهو على أدب جم وشعور

فياض ونفس سامية ولولا ان يقصف المنون هذا الجوهر المكنون والغصن المصون لكان لهذا الشاب المركز اللائق والكعب العالي والاوج السحيق في السماء .

مواقعه الشهيرة ومواقفه الكبيرة واعماله المجيدة في السورية عديدة محفوفة بجلائل الغايات وانبل المكرمات فهو كان في عداد من بث الدعوة للثورة داخل البلاد وخارجها وكان له الفضل في تأمين مواصلات المجاهدين وامدادهم بالذخائر والعتاد وموافاتهم باصدق الانباء عن الاعداء وقد ساعده على القيام بهذه المهمة الخطيرة مهمة الاستخبار الوثيق اتصاله بقسم من اركان الجيش الفرنسي واذا ما انصفنا هذا الفقيد الامير الشاب حقه فان علينا واجبا يقضي بان نعلن للملأ ان من جملة الاسباب التي اهابت بانتصار الثائرين في وقعة ميشو استطلاع هذا الذكي الحاذق اخبار الجيش وقوى العدو وخطته مرسلا بكل ذلك الى السلطان في حينه فكان لدى القائد العام كل هذه المعلومات الهامة قبل ابتداء المعركة بايام اربع ومما اشتهر عن فقيدنا الغالي انه كان قوي الحجة قادرا على اقناع مخاطبه بوجوب الالتحاق بالثورة فكثيرا ما عمل على تحريض القرويين لان يشقوا عصا الطاعة وكثيرا ما بعث روح الثورة بالنفوس من مكامنها . لقد كان رحمه الله طموحا جدا ومقداما جسورا لا يبالي بالاخطار ولا بالاهوال وقد بلغ به الحماس والشجاعة ان بيت في احد الايام على مهاجمة مركز الطيران الفرنسي في المزة مع لفيف من الثائرين المخلصين الاشداء وكاد ان يفلح في مسعاه ويظفر بمناه لولا ان حدث خطأ في الهجوم نبه الاعداء وحذر الاخصام ومما يذكر لهذا الشهم بالشكر ان ازعاجه السلطة الفرنسية بتخريب الخطوط الحديدية والاسلاك البرقية ومهاجمة القطارات العسكرية المشحونة بالذخائر والادوات الحربية والاجمل في الامر انه ماكانت السلطة لتستطيع فضح أمره أو كشف سره لقد كانت باكورةأعمال الفقيد جمع اربعمائة مقاتل بين فارس وراجل عقيب مهاجمة الثائرين دمشق وخروجه برجاله الى جهات العادلية واشغاله مفرزة الشراكسة وقائدها

الشركسي عثمان بك وقائدها الفرنسي وقد هزم الفرنسيين والشراكسة في هذه المعركة شر هزيمة كان يقوم بكل ذلك من غير ان يتظاهر بالعداء الى الفرنسيين اذ انه على عقيب تلك المعركة كان في دمشق بين اهله وخلانه كانه لم يفعل شيئا ظن رحمه الله الفرنسيين غافلين عنه وانهم جاهلون ما قام به ويقوم من جليل الخدمات وعظيم الفعال لهذا ما كاد ان يظهر حتى القي القبض عليه وزج في السجن وقد لاقى فيه من ضروب التنكيل وصنوف التعذيب الوانا واخيرا خرج منه لما لاهله من المكانة والمنزلة والنفوذ ثم التحق بالثورة علنا بعدها وانضم الى الاخوة المجاهدين وقد اختط لنفسه خطة في الثورة منها يدرك المرء مبلغ ما انطوى عليه هذا الشهم من نبل وذكاء وقد اوضح رحمه الله ذلك بقوله بمذكراته : وجدت ان الواجب يقضي علي بالالتحاق باخواني المجاهدين جهارا فتوكلت على الله وهيأت نفسي للعمل مفاديا بالنفس والنفيس في سبيل الوطن العزيز ووضعت برنامجا لاعمالي وهو اولا ان لا اتعرض للقرى بطلب شيء منعا للتذمر والعداء .

ثالثا عينت لعائلات الشهداء مرتبات شهرية حتى يكون المجاهد مطمئن الاطاعة العمياء .

ثالثا عينت لعائلات الششهداء مرتبات شهرية حتى يكون المجاهد مطمئن القلب مرتاح الضمير اذا اصابه شيء وجعلت راتب الجنود ثلاثة جنيهات مع الاكل والشرب والدخان ويزاد له الراتب ان قدم كفاءة وبسالة وتعطى له مكافأة تتناسب مع اهمية عمله ومن يقترف اعمالا مشينة سيئة وسواها يعاقب عقابا صارما .

اشترك الفقيد الغالي في معارك الاقليم فكان بطلها المغوار وفارسها المقدام ورجلها الوحيد واستولى على محطة الكسوة فسلب صندوقها ما كان فيه من دراهم ويقدر بستمائة ليرة سورية لم يتناول منها قرشا واحدا بل وزعه على الاخوة الذين معه وكان في معارك يلدا ودوما وتل القابوسية وعين ترما وزغبين

وزاكية ووادي معربا وام الشراطيط ومعارك الجبل وقد برع رحمه الله باتلاف الخطوط الحديدية وتدمير الاسلاك البرقية والهاتفية لا سيما الخطوط المتصلة بين دوما ودمشق من ناحية والقنيطرة ودمشق من ناحية ثانية لا سيما ما اقتلعه ورجاله من اعمدة البرق قريبا من محطة الكسوة وقد قدر عدد تلك الاعمدة بثلاثمئة ومن الجميل جدا ان نثبت نص الرسالة التي تركها للفرنسيين : « بما اننا مررنا بهذه الجهات وربما ان يبلغكم ذلك فاحببنا ان نترك لكم اثرا تذكروننا به ونأسف جدا بان ضيق الوقت لم يسمح لنا بان نخرب اكثر مما وقع نظرا لكثرة الاعمال المطلوبة منا في جهات ثانية وبالختام نرجو من الله ان ينصرنا عليكم ويردكم الى بلادكم مدحورين خاسرين » .

وقد ساهم الفقيد في القضية الوطنية في براعة اذ طالما تقدم في التقارير المسهبة الى الهيئات العاملة بمصر يستفز همتها ويستنهض عزيمتها وهو الذي كشف الغطاء عما كان يقوم به البعض في الثورة من اخطاء في الاموال وسواها اشترك الفقيد باكثر مواقع الغوطة وعلى الاخص مع المجاهد الكبير سعيد العاص ومما يشهد بسرعة الخاطر وتوقد الذهن انه كان في احد الايام سائرا الى اخوانه المجاهدين قريبا من عرب الرولة التي كان بينها وبينه وبين الثائرين حزازات قديمة وكأن يتحاشى التقرب من تلك القبيلة فبينما سار لاستطلاع اخبار العدو واذ وجد نفسه بين مضارب هؤلاء العرب وخيامها فلم يجد ما ينقذه الا ان استعان بالاستفادة من بذته العسكرية ولسانه الفرنسي فأوهم من اقبل نحوه من العربان انه فرنسي اذ كلمهم باللغة الفرنسية طالبا ترجمان وقد امرهم بتهيئة الزاد والماء للجيش الذي سيأتي قريبا فأكرموا وفادته واحسنوا استقباله واطلعوه على ان القائد الفرنسي نزيل الامير فواز الشعلان وانهم اقاموا للقائد معالم الزينة فشكرهم على ذلك وانفلت من بينهم وعاد عدوا نحو اخوانه المجاهدين يقص عليهم ما كان .

شاطر الفقيد اخوانه الثائرين الاحرار النصيب الاوفى في معارك زور — بالا

التي بذل المجاهدون فيها كل أوتوه من حزم وعزم وبطولة فكان الفارس المقدام وكان الشجاع الذي لا يصد وان نذكر له المآثر والمحامد فانا لا نفيه حقه ولا نتمكن من ان نؤديه قسطه .

لقد ترقى الفقيد في معارج الرفعة والمجد في الثورة السورية حتى انتهى به المطاف على ما اسلفنا ذكره في معركة عين الصاحب التي بذ بها من كان ايه شجاعة وفاز على من كان معه بسالة، وقد المعنا في حينه الى انه رحمه الله ابدى الصمود والثبات ما ادهش واعجب ولولا ان نفد منه العتاد ولم يعد بين يديه مايدافع به عنه ويحمي حماه لما بلغ الاعداء منه امنية ولما استطاعوا ان يصلوا اليه بسوء ولكن حم القضاء ونزل القدر ولم يعد في طول الامير النبيل ان يناضل ويطاعن ويجالد بأكثر مما فعل فظفر به خصومه في هذه المعركة المذكورة ونالوا منه مما لهم وهكذا طوى الفقيد الحبيب في شهر مايس عام ١٩٢٧ آخر صفحة من صفحات الشجاعة تاركا اياها بين ايدي الاجيال القابلة تتعلم فيها ما شاءت من فروسية وتضحية وجهاد وتلمع امامها فيها بروق الوطنية والحرية والفاداة الحقيقية وتنير سبلها بما فيها من عبقرية وعصامية ونبوغ . فهو قاد في حياته اخوانه الى مواطن العزة والنبل بنفسه وقاد من بعد استشهاده ابناء قومه نحو الشرف والمجد فيما تركه بين ايديهم من آثر ومذكراته ومآثره فرحم الله الشباب الناضر الذي كان ولما يزل نبراسا يستضا به كلما احلولك ديجور الظلام وكلما تلبدة في افاق هذه الربوع سحب القتام .

الشهيد عادل النكدي

تنفرد اللوعة بهذا الشهيد العزيز على غيرها من اللوعات اذ وئد العلم قبل ان ينفع واندثرت الثقافة قبل ان تترعرع وانصهر غصن رطب كان مؤملا ان يكون دوحة فينانه يتفيأ ظلالها الوف من الشبيبة المثقفين ومئات من الطلبة المتعلمين وعديد من رجال مخلصين فاذا مابكى اليراع فقيده الغالي عادل النكدي فانه يبكي فيه شابا لم يقطف من ثمرات علومه التي انكب على دراستها في

المعاهد الغربية ثمرا ولم يستنشق من نفحات ازاهير اتعابه اريجا ينعش الامل او عبيرا يحيي معدم الرجاء .

نعني بهذه الكلمة شابا كان ملء الدنيا بهجة وملء النفوس ثقة وملء القلوب املا ضروما .

ولد الفقيد في عبيا (لبنان) واخذ في الدراسة الاولية في مدارسها حتى اذا اصبح ممن يمكنه قانون الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت من ان يكون في عداد طلابها كان في جملة هؤلاء التلاميذ . داب هذا الشاب النبيه على الجد والنشاط حتى ظفر بالشهادة النهائية عام ١٩١٣

وفي العام التالي تقدم للفحص لكي يكون في زمرة طلبة الحقوق في بيروت وقد كان النجاح حليفه واستطاع ان يتم السنة الاولى من المعهد الملمع اليه . اعلن النفير العام في العالم فتعطلت دروس هذا المعهد وآوى الفقيد الى داره يستعيض فيها عما فقده من المطالعة في المعهد . ولم يشأ الفقيد العزيز ان يكون هملا ولا غفلا فقد انتمى الى الاستذة في مدرسة عبيا سنة ١٩١٥ وهي مدرسة رسمية انشأها الاتراك وظل استاذا ينير طلبته بالفكر الوقاد والعلم الصحيح حتى الغيت تلك المدارس التي انشأها الترك في لبنان عام ١٩١٧ فانفرد الى المطالعة وخدمة الامة عن طريق التعريب ثم الى الاعمال الزراعية حتى اذا ما كانت اواخر عام ١٩١٥ كان فقيدنا الغالي في عاصمة الامويين استاذا للفلسفة وعلم النفس في مدرسة التجهيز الرسمية . رأى ان بيروت بحاجة الى أن يكون مدرسا للغة العربية فيها ووجد ان المدرسة العلمانية الفرنسية تود ان تلقي اليه بمقاليد هذا الدرس لديها فغادر الشام الى هذا المعهد واصبح مدرسا فيه .

انكب هذا العزيز على متابعة دروس الحقوق وهوسه فيه دفعه الى ان يتوجه الى القاهرة فيكون في عداد تلاميذ معهد الحقوق الفرنسي فيها فسعى سعيه للدخول في السنة الثانية من ذلك المعهد ولم تستغن عنه بلاد

لبنـان اذ جعلته مديرا لمدرسة عين قنية في الشوف على ان الدهر ما كـان
ليدعـه يرتاح او ليستقر اذ دعته ظروف سياسية قـاهرة لأن يرحـل الى
بيروت ومنها الى فلسطين ومن هذه الى اوروبا . فانخرط في جامعة لوزان
ـ سويسرا ونال اجازة في الحقوق منها عام ١٩٢٥ وشهادة عليم في الحقوق
في اوائل عام ١٩٢٦ وحصل على لقب عليم Docteur وقد عرب كتـاب :
(نظم اوروبا السياسية المعاصرة تأليف المسيو ايتان فلاندان وطبع الجزء
المختص منه بدولة بريطانيا ثم كتب فيه تربية الاحداث) و (لمحة عن اصول
الادارة في الاسلام)

Essai sur les principes ladministratifes dan l'Islam
Institution politiques de l'Europe contemporaine

وبهذا المؤلف الاخير نال شهادة الدكتوراة في الحقوق فكان اطروحتـه
لنوالهـا ومما يذكر لهذا الفقيد بملء الفخار انه دبج مقدمة اطروحته بأربعين
صحيفة عزا فيها مايرى من تأخر الفقه الاسلامي الى قحط رجال الـدين
المتفقهين وبنى هذا القحط فيهم على ضغط الغرب على الشرق ونشب المستعمر
اظافره في البلاد الاسلامية فغضب لذلك احد اساتذة الجامعة الذي كـان
في لجنة اعضاء لجنة الفحص واعتبر هذه المقدمة ضربا من التعصب وخروجا
على نظام الجامعة فاضطر الفقيد الى الغاء تلك المقدمـة وتحبير سواها وقد
نالت هذه الاطروحة رضى اللجنة وموافقتها عليها ولم يفتر الفقيد عن نشـر
علومـه بشتى الطرق فمن تأليف الى تعريب ومن مقالات الى محاضرات في
لغـة امته وقومـه وفي اللغة الفرنسية وبتوقيعه الخاص وبتواقيع مستعارة
فكثيرا ما كـان يختص جريـدة (اومانيتيه) الفرنسية بمقالاته الكثـيرة
بالافرنسية كما كان يختص صحف المنبر والحقيقة والطالب والرأي العـام
بمقالاته العربية السياسية والادبية والاجتماعيـة .

نشأ شابنا الحبيب في بيت رفيع العماد لـه ولـع بالعرب واخبارها
وتاريخها وحضارتها وكان لبنان في تلـك الآونة مقتصرا في ولعه على الادب
مجردا عن النزعـة السياسية من هنا ندرك ما عاناه حبيبنا الشاب من كـل

مشقة وعذاب في عقد الصلة بين ميوله وميول ذويه من بني قومه وتوجيه تلك الافكار نحو العقائد الوطنية الصحيحة ونحو القضية السياسية العربية . ومما شد أزره في اقناع الغير الكوارث التي توالت على لبنان وكان اشد اذ انه الهب القوم حماسة واضرم محيطه نشاطا وبعث في مخاطبيه روح الوطنية صادقة ودعاهم لان يقولوا جميعا بوجوب تقرير المصير عن طريق الحرية والاستقلال وبذلك استطاع ان يحشد الجمع الغفير من ابناء لبنان الجنوبي مجمعين على المطالبة بالوحدة السورية امام اللجنة وكانت له مواقف شديدة على رجال السلطة وحمل فيها عليها عن طريق العقل والمنطق وطريق السياسة الايجابية الوطنية الصحيحة مالم تستطع السلطة ان تدينه بجرم ما بل كان ماقدرت عليه هو انها كانت من حين الى حين تتجنب مواقفه النبيلة ضدها فتوعز اليه بمغادرة لبنان . كان يدلي بالبراهين الناصعة على وجوب الوحدة السورية بحيث ما كانت السلطة ورجالها مهما علا كعبهم في ميدان البلاغة وقويت شكيمتهم في ساحة الفصاحة ان يقفوا امام ذلك العلامة المفكر والكاتب الكبير .

كان ينتقد اوضاع لبنان الكبير ويشجب انشائه ويتهكم كل التهكم بصورة ادبية قانونية لاتدع للغير مجالا لاخذه بمسؤولية ما مما ازعج واقلق وكان في بلاد فرنسا حركة دائبة للسعي وراء افهام الفرنسيين ورجال الحل والربط فيهم الحقوق السورية والقضية الوطنية فما كان يترك نائبا من نواب فرنسا الا ويتحدث اليه مقيما الحجة عليه وقد استطاع بفضل تلك المساعي التي بذلها ان يحمل احد رجال فرنسا هانري دو شامبون مدير سياسة مجلة المجلس النيابي الفرنسي على التصريح علنا على صفحات مجلته مرارا بما معناه : (ان القضية السورية قضية كائنة فان لم تحل وفقا لمطالب السوريين فالاضطراب الفكري يزداد رسوخا وقوة)

وقد بلغت ثقة هذا الرجل الفرنسي بحبيبنا الفقيد درجة كان يقول عنـه : (اخبرني بهذا المسيو نكد ولي في كلامه الثقة المطلقة) وعندما اعترى الجمعية السورية العربية في باريس الفتور اوقد هذا الشاب الملتهب ذكاء والمشتعل وطنية نار الحمية فيها فأودعها الحياة وبث فيها الروح ولم شعثها ووحـد كلمتها وقادها نحو موطن الخدمـة القومية الصحيحة وعندما شبت نـار الثورة السورية عام ١٩٢٥ وفات الفقيد الحبيب ان يساهم فيها لم يقعده ذلك عن ان يشاطر اخوانه فيها بذكائه وحديثه ويراعه فكان بالحقيقة جهاده اذ ذاك في المنتديات والمجتمعات بخطاباته وعلى صحف المجلات واعمـدة الجرائد والبيانات ببراعة افعل واثر اقوى من كل جهاد سواها وقد قال ثقة من القادمين من عاصمة الفرنسيين (ان عشر عشر ما كتبته صحيفة اومانيتيه الفرنسية عن الثورة السورية كان بقلم هذا الفقيد الاعز) وفوق كل هـذا فقد كان لديه من النائب الفرنسي المسيو مارسيل كاشان ما لايقل عن ثلاثمئة جواب على الرسائل التي بعث فيها الفقيد اليه . . .

هذا بعض من كل وجزء من جميع ونقطة من بحر وهذا ما لم يتفق لغير عادل ان يقـوم بـه في بلاد الغرب في بلاد فرنسا من اعمال تدهش وتحير وتعجب على انه بعد كل هذا لم يقنع رحمة الله عليه ان يجاهد بالقلم ولـم يرو ظمأ شبابه المتوقد ما سيل من مداد بل تعطش للدماء وشاء بأن غلتـه الصاديـة من مهج الاعداء بالصمصام والحسام بدل اليراعة والكلام .

كان رحمة الله عليه عاقلا حكيما اذ انه ماانضوى تحت لواء الثورة بالفعل الا من بعد ان اتم جميع دروسه ونال شهاداته عن جدارة وكفاءة واذا كـان البعض من علماء في الحقوق قد احرزوا شهادة عليم من اجل كتاب ألفه فلدى هذا العبقري مجموعات من كتب ومقالات ومحاضرات ان في اللغـة الفرنسية او في العربية وفي جميع الاحيان ان قبل الابتدائي في دراسة الحقوق وفي خلالها او عقيبها . لقد استفزه حب وطنه الى وجوب

مغادرة فرنسا على اسرع مايكون غير منتظر ان يتناول بيمينه شهادة عليـم
في الحقوق لذلك قد ادى مايتوجب عليه من الرسم من اجل الحصول عليها
وترك كي تبعث بها عمدة الجامعة اليه بعد لأي ما والتحق بالثورة عن طريق
فلسطين ولم يعرج على بلده ولم يقابل احدا من بني قومه ولم يشأ ان يستثير
في ذويــه وآله حبهم وعطفهم عليه مخافة ان يقعدوا به من مواصلة جهاده
بنفســه وروحه وقلبه وقد آثر الخدمــة العامة والنضال عن الوطن على رؤية
الاهل والخلان والاوطان وما ان كان لدى القيادة العليا للثــورة حتى ارتأت
هذه القيادة ان تجعل منــه الحكم لحل ما قد يشجر بين الثائرين من قضايا
فقام رحمة الله عليه بأعظم قسط من الوطنية الصحيحة دل على مبلغ ما كان
يملكه هذا الفتى الشيخ من عقل راجح ومن حصافة في الراي واصالة فــي
الفكر وتدبير وحكمة كل هذا لم يقعد به عن ان يكون في المعارك بنفســـــه
فيغوض غمراتها بنفس القلب الذي ادهش الاوروبيين في بلادهم كما ادهشهم
في بلادنا وقد شاء ان يعرفهم بنفسه في معامع الوغى ومواطن القتال كمــا
عرفهم اليه بين المحابر والمنابر وعلى صفحات المجــلات والجرائــد والنوادي
والمجتمعات لذلك عندما شاءت القوة ان تتغلغل في الغوطة مافترت همتــه
ولا وهنت عزيمته بل اندفــع مع تيار عواطفه الشريفه لكي يودع في ارواح
من كان اليه من المجاهدين وجوب التضحيــة والمفاداة حتى ما تلتوي عزائمهم
ولا تهن هممهم فبرز في الطليعة يحضهم على الثبات وينفخ فيهم روح الجرأة
بارزا واضحا متعرضا للاخطار لا يبالي بها وكان يخالف بذلك رأي أخوانــه
الذين كانوا يلحون عليه بأن ينعكف عن هذا العمل حتى لا تفقد الثورة رأيــــا
صائبا فيــه وشخصا حكيما بذاته وفي واقعة بالا صمد الى ثلاثة من الزعماء
وخمسة وعشرين مقاتلا امام جيش عدده الالف وخمسمئة وكان في طليعــة
المجاهدين وانتهت هذه المعركــة باصابته تحت كتفه فلم يبال بذلك واستراح
يوما واحدا فقط وسكت عن القتال اذ انه ماحدثت فيه واقعة قط حتى اذا
ما كان اليــوم الثالث والخامس والسادس وكانت ثمة معارك ومواقع حرب

وجرحه لم يندمل وقاتل ودمـه يسيل وفي اليوم السابع شعر بانه منهوك القوى فاعتمد على ان لا يخرج وكان يوم ٢١ تموز فحدثت فيه معركة بيت سحم وما كان هذا الابي الحقيقي يسمع ازيز الرصاص يلعلع في الفضاء حتى حفزت به همته الى النهوض فتنـاول سلاحـه وانعكف على ساحة الحرب يبرز فيها وفيها ادرك ما التهب اليه من موت طالما سعى وراءه فأصابته فـي صدر مرمية رمت به ولـكن في احضان الخلـود في حجر الرفعة في سماء الفخر مدى الدهر .

رجل هذه صفاته وهذه اعماله وهذه تضحياته وجهاده حاشا للامم ان تنساه وللشعوب ان تفقد ذكره ولو فقدت محياه وشاب ملأ الدنيا بنفسـه الكبيرة وقلبـه الواسع وفكره الجوال المنتشر في الآفاق محال ان لا يمـلأ الدنيـا بسمعها وبصرهـا وبأفاعيله طالمـا كـان اسمـه وصيته وفعلـه مالىء الخافقين .

اذا كانت الامم الغربية تنحني احتراما امام عظمـائها فاننا نحن معاشـر العرب لانحني امام عظمائنا ولكن نقوم ظهورنا ونرفع رؤوسنا ونباهي بامجادنا ورجالنا فنحن لا ننحني امام ذكرك ايها الشاب الكهل الشيخ بآن واحـد ولـكن نعتز ونفاخر ونباهي ونذل بانك واحد في امة ولو كنت أمة في واحد وبهذا لك بلاء .

الشهيد عـلاء الدين الكيلاني

انا لنثبت لهذا الشاب الايثـار من حيث ركله برجله المناصب والوظائف حبا بخدمة امته وايثارا للجهاد الصحيح على الراتب بقطع النظر عن مقداره .
كان الشهيد من الشباب الذين يعتز ويفتخر بهم وكان اصيلا بالنسبة الى نسبه وبالنسبة الى عمله فهو من العائلة الكيلانية من ناحية ابيه ومن عائلـة الحريري من جهة امـه فقد جمع بين اصالة الحسب من الناحيتين ناحيـة

الوالدة وناحية الوالد واضاف الى ذلك ما امتاز به من خلق سام ومزايا رفيعة كان مثقفا الثقافة التي اهلته لان يكون استاذا في حماه واستاذا في الطفيلة من اعمال الشرق العربي .

قرع ناقوس الثورة في البلاد فلم يستطع شهيدنا ان يظل سامعا صوت البلاد الداوي يصيح به وبأمثاله لانقاذ الوطن وان يسكت عن تلبية تلك الصيحة فاستقال من عمله وتوجه نحو السويداء برفقة الصحافي البلجيكي الذي قدم اليه الابرة المغناطيسية (البوصلة) وقد كانت رجال الثورة تستدل بتلك الابرة على تعيين الجهات اثناء الزحف .

انضم هذا الفقيد الى الوطني الاشهر سعيد العاص وابدى من الشجاعة والحماس في كل معركة خاضها ان في الغوطة او في الشمال ما أطلق السن المجاهدين باللهج بما قام به وابداه . والوطنيون لا يزالون يذكرون له صموده وصبره في وقائع النبك وايام الزحف على اكروم وايام مداهمة المخافر الى اخوانه . لقد كان شهيرا بالرماية وباقتحام الاخطار وبايثاره شظف العيش على رفاهه وبالتضحية والاباء والشمم وكان سريع الغضب سريع الرضى وكان على تجلد كبير يؤيد له ذلك ماابرزه من ضروب الشجاعة عندما سلم للسلطة مع من كانوا معه في كارثة خربة غازي وبذلك كان فداء عن وطنه وامته وبلاده فنال بتلك الشهادة ما كان يصبو اليه ايام حياته من كل جزاء وفاق فلفظ نفسه الطاهر الاخير خلال عام ١٩٢٦ تاركا من بعده احفل الذكرى بالمحامد وانصع الافعال على مر الاجيال .

الشهيد عمر عمر باشا

شقيق النبيل نبيل واخو الاصيل اصيل فهذا الشهيد عمر شقيق الفقيد شفيق السابق ومن البداهة ان يكون هذا اصلا ومحتدا ونسبا وحسبا مثلما نقدمه سؤددا ومجدا . كان شهيدنا ميالا الى العلم الديني كالفقه

والفرائض وميالا ايضا الى الادب والتاريخ فطالع الكثير منهما ورافق العلماء وتخلق بأخلاق الكثيرين منهم وكان الى كل ذلك متقنا الرماية والفروسية ساهم في فاجعة ميسلون وقاد رجالا فيها شاقا لهم طريق المجد سائرا واياهم على غرار الاولين المجاهدين . كان محنكا وداهية وذا خبرة وتجريب وبما كان يمتاز به من تفكير قويم وراي اصيل لم يدع لاعدائه سلطة عليه ولا الى التمكن من فضح سر الاجتماعات التي كان يعقدها والمؤامرات التي يدبرها والخطط التي كان يرسمها حتى ان مستشار الشرطة المسيو بيجان كان من المعجبين بشهيدنا العزيز لما مني به من الفشل في كل مرة يطارده بها ولم يكتم هذا الفرنسي دهشته واستغرابه بل اعلنها في كثير من المواطن. كان الشهيد على مروءة وشهامة واخلاق نبيلة وكان في عداد الذين ذبوا عن الاخوة المسيحية في الميدان كما مر سابقا ومن اخص خلاله الوفاء والرجولة والاباء ومن كلماته الخالدة التي طالما رددها بمناسبة وغير مناسبة (الوطن بحاجة قصوى الى التضحية مالا وروحا ووقتا قام بواجبه الوطني مما جعله في عداد الشهداء وظل كذلك حتى كان خامس عشر كانون اول ١٩٢٥ وفيه تصدى له بعض الجنود الذين شاءوا ان يستروا هزيمتهم بقتل من يرونه امامهم مجاهدا كميا او اعزلا فأطلق النار عليه فخر يتخبط بدمائه صائحا الآن يمكن للمستعمر انتزاع سلاحي ولكن هيهات ان تصل يده الاثيمة الى انتزاع الروح الوطنية من فؤادي) وهكذا طوى هذا الفقيد الغالي آخر صفحة من صفحات حياته بشهادة حقة نالها مسطرا له في الخافقين ذكرى مجيد .

الشهيد عبد الوهاب الرجلة

من الرجال المثقفين الذين شاركوا المجاهدين في الثورة هذا الفقيد الذي قاتل قتالا مجيدا ودافع دفاعا عنيدا في واقعة زاكية عام ١٩٢٦ واستشهد عن خمس واربعين عاما .

الشيخ عارف النويلاتي

ليست الوطنية وقفا على فئة من المتعلمين او غيرهم ولا محتكرة بفئة من الناس دون فئة فشهيدنا هذا من التجار الذين لم ينتضوا بعمرهم سيفا ولم يستلوا حساما ورغم الرفاه الذي درج به والنعيم الذي تحدر منه ابرز شجاعة عظمى في واقعة جسر المطير فقضى شهيدا وله خمس وعشرين ربيعا عام ١٩٢٦

الشهيد علي خالد عليكو

كان شهيدنا هذا شرطيا وكان في عداد من قاتلوا وناضلوا الى آخر مدى في النضال طوى آخر ورقة من اوراق حياته التي كانت ثمانية وثلاثين سنة شهيدا في واقعة حمورة .

الشهيد عمر علي ظاظا

فارس مغوار وجندي شجاع هذا الشهيد قام بجلائل الاعمال بالثورة حتى انجلا له الموقف في واقعة جوبر فخر صريعا شهيد البطولة والواجب فكان له اربعين عاما من سنه .

الشهيد علي الطويل

من قرية دوما الغوطة هذا الشهيد الغالي من كان له في الجهاد مواقع ما تخلو من بسالة وما استثنيت من بطولة اخذ يمد الثورة بدمه ونضاله حتى كانت واقعة حرستا البواب عام ١٩٢٥ وفيها اتم الاربعين من عمره مستشهدا السماوات العلا والارض الدنا على انه يناهض بحق وقضى الشهيد .

الشهيد علي الصيداوي

بينا كان هذا المجاهد الباسل الفقيد يدافع عن اوطانه ويقتحم الاهوال بحسامه وسنانه واذ اصابته شظية من طائرة في واقعة حرستا خر على اثرها صريع الواجب وله من العمر اثني واربعين عاما .

الشهيد عبد الغني جمعة

شاب من الشباب الذين كانوا في المعارك ممن يباهى بهم ويفتخر ختم الثلاثين عاما من سنه بالشهادة في احدى معارك باب السريجة بدمشق عام ١٩٢٦

الشهيد فائق العسلي

اذا شئنا ان نوفي هذا الشهيد وصفه الحقيقي نستطيع ان نقول انه كان الحركة الدائمة التي ما تندفع وراء عمل وتعود من قضائه الا وتتابع السير الى غيره لاتمامه فهو ممن وصف بالجلد وتحمل المسئوليات بآن واحد ولد شهيدنا العسلي بدمشق وترفع في المدارس حتى كان في السلطاني وقد أنست منه الحكومة الفيصلية نباهة وحزما وجدا فرات ان يكون مفتشا في الوزارة الخارجية ولما ان دخل الجيش الفرنسي محتلا عاصمة بني أمية ووطد اركانه فيها حتى اصبح شهيدنا الفائق رئيسا لديوان الشرطة العام في الشام ومما يدل على حزمه وانتهازه الفائدة في كل مكان وزمان مداومته على الدراسة في معهد الحقوق بدمشق رغم قيامه بوظيفته خير قيام الى ان نال اجازة هذا المعهد وقد كان بوده ان يلتحق بالثورة قبل ان يتم دراسة الحقوق ولكن اصالة رأيه وسداد فكره صبراه الى النتيجة التي ما ان بلغ منتهاها حتى كان في عداد الثائرين مساهما في معارك الغوطة ولا نود ان نفجع نفس القاريء مرتين بذكر وصف الحادث الذي لفظ به هذا العزيز المتفوق نفسه الاخير اذ مر بنا قريبا ذلك بحيث لا نرى من حاجة لتكراره فقد فارق هذا العالم الفاني مجاهدا في جباتة الخشب على ما ذكرنا يرمق هذا العالم بنظرة ودعه بها الوداع الاخير وقد اودعه كل ما ينبغي للشباب ان يقوم به من بعد موته . انا لا نغرق ولا نبالغ اذا ماقلنا انه كان الحركة الدائمة فهو اداري ومعرب وكاتب وثائر له في عالم الادب كعب عالي وفي التعريب خبرة واسعة واداء للمعنى عظيم كان يدبج المقالات في جريدة

الميزان التي كانت تصدر في دمشق من قبل الاستاذ احمد شاكر الكرمي الشهير . وهو اديب بفطرته الاولى كان يبعث بكتاباته الى صحف الشام وهو لم يبلغ سن الحلم عرب رسائل غرام الراهبة البرتغالية وله غير ذلك من الاعمال القلمية والافعال السامية ما يضيق نطاق هذه الصفحة عن استيعاب ذكره فنكتفي بأن نقول عنه بأن فقده كان خسارة وفاجعة وجرح دامي في صميم الذكرى مانخاله بذاهب ابدا فيكفيه انه كان المثال الصحيح الذي يجب ان يحذو حذوه في كل عمل وفي كل فعل عندما نذكر الثورات والحريات والمطالب القومية فرحم الله من كان فائقا اسما وفعلا ومن كان شجاعا ذكرا وعملا .

الشهيد فؤاد ارسلان

نخص شهيدنا الغالي عزيزنا الشجاع بالجراة في وقت تتلجلج فيه الالسن وتضطرب فيه النفوس وتهلع القلوب فزعا وخوفا فقيدنا العزيز في العقد الثالث من عمره من ابناء حمص مدينة ابن الوليد ينتمي الى عائلة نبيلة خصب بالمجد والمحتد ولد في هذه البلدة وهو نجل الوجيه الكبير السيد رشيد رسلان كان الفقيد عضوا في جامعة الناشئة بحمص ورئيسا لفرقة الكشاف المسلم خالد بن الوليد واتحد مع البطل العظيم القاوقجي في اعماله قبل ان تنشب ثورة حماه ولما اعيته الحيل عن انفاذ خطط الثورة في بلده غادره الى الجبل الاشم عن طريق فلسطين . ساهم في الثورة السورية فكان في الغوطة مع اخوانه البررة واشترك مع البطل الكبير سعيد العاص في معارك الشمال فمثل البطولة اجمل تمثيل واحيا معالم الشباب وقادهم نحو مواطن العزة فكان من ابطال معركة عيون العلق ومن خيرة الشباب السوري اقداما وحزما عندما التقى الجمعان في تلك المعركة وحمل كل فريق على صاحبه أصيب الفقيد برجله فلم يستطع اخوانه الاهتمام بأمره والعناية به اذ انهم كانوا في شغل لانفسهم عنه شاغل وقد توسل ان يحملوه معهم فلم

يتمكنوا من اجابة طلبه اذ كانوا يخشون ان يلحق بهم العدو فيدركهم وهم آخذون بالاهتمام به وهكذا ظل شهيدنا العزيز في مكانه وقد ادركته المصفحات فأخذت به حيا الى دار حسن آغا سويدان التي كانت للمستشار الفرنسي ومتصرف حمص فوزي الملكي مركزا ومحلا وهنا تقدم المتصرف من فقيدنا وقد شاء ان يتهكم عليه ويسخر منه مستجلبا بذلك عطف اسياده الفرنسيين ومتخذا من هذا الموقف مستغلا يباهي به ويفاخر بأنه من انصار اعداء الوطنية فسأله عن اسباب التحاقه بالثورة وهو من اسرة عريقة في مجدها نبيلة في مركزها فأجابه بأن الذي قام به انما هو عمل من الاعمال التي لا يمكن لمثل المتصرف ان يفقه منها شيئا على ماهو عليه من قلب ونفس وحس قال له بأنه التحق بالثورة ذبا عن الوطن ودفاعا عن الحرية وسعيا وراء تحقيق المطالب القومية وانه ليس بأول شهيد وآخر شهيد في سبيل القضية السورية العربية وانه ليس بالضحية الواحدة التي يضحيها الاستعمار على مذبح شهواته من غير ان يرع الا ولا ذمة وانه يستعذب الموت من قاتلي الانسانية ويؤثره على الحياة بدل كالحياة التي يحياها المتصرف واشباهه من مطايا الظالمين والمستعمرين . لم يتم بطلنا الجريء وشجاعنا ومقدامنا كلامه حتى استشاط المستشار غضبا مما راى من حماسه فصوب الى دماغ الحبيب الشهيد مسدسه وافرغ رصاصه فيه فخر على الارض يجأر بالدعاء الى الله ان يرد كيد الظالمين الى نحورهم ويبتهل له تعالى بأن يقرب اليوم الذي فيه يلاقون جزاء ما صنعت ايديهم وهكذا كان هذا الفقيد الفادي فاديا كل اخوانه بحياته ومضحيا نفسه في سبيلهم وفي سبيل الوطن ومقدما حياته فداء عن حياتهم فلم يتعقبهم جيش ولم يظفر بهم عدو ولم ينل خصمهم منهم مناه وهكذا كان هذا الفقيد مثلا اوليا بتكريس حياته بالفعل لا بالقول في سبيل ربه وفي سبيل وطنه وفي اللفيف الذي تركه من اخوانه وفي سبيل الجراة الصحيحة وبذلك ترك المثال الفرد الذي يجب ان يشاد به ويلهج بذكره ويردد على المدى فيكون الفقيد حيا باقيا دائما .

الشهيد فوزي معتوق

قليل من الثائرين الذين ساهموا في هذه الثورة المباركة وكان لهم من العمر ما لهذا الشهيد الذي لم يكن له الا خمس عشر عاما عندما خر صريع الوطنية في واقعة بلده مقتبسا صلابة العقيدة عن استاذه العلامة الشيخ علي الدقر الملمع اليه .

الشهيد فارس نعمو

غني شهيدنا هذا بماله وغني بنضاله ظل يقاتل في الثورة حتى كان له من عمره ثماني وثلاثين عاما فاذا به يخر في ميدان الشرف شهيدا .

الشهيد محمد الدروبي

تعتز الثورة بدهاء هذا الشاب الذي على يفاعة سنه وحداثة عمره خدم المجاهدين اجل الخدمات بما كان يوهم به القوى الفرنسية فتضطر الى الانسحاب قبل ان تشترك مع الثائرين ويمتاز هذا الفتى الشجاع بأنه كان ثائرا وليس مع الثائرين وكان مجاهدا وهو في عداد القاعدين وكان يأتي للوطنيين بأصدق الانباء فتتخذ الاهبة وتستعد للنزال حتى لاتؤخذ على حين غرة وكثيرا ما كان المجاهدون يوقعون اشد الخسائر بأعدائهم بفضل هذا الشاب الوطني الخلوص وقد ساهم في اكثر المواقع من غير ان يعلم به رجال السلطة وظل كذلك حتى القي القبض عليه بتهمة التواطؤ مع الثائرين وقد سيق الى ديوان الحرب بدمشق ففر واستطاع الالتحاق بالمجاهدين يشترك في معارك الغوطة وفي معارك الشمال وكم كان يبرز من صنوف الشجاعة والحماس ما لا يمكن لكاتب ان يحده بوصف وهو في جملة ضحايا كارثة خربة غازي فذهب طعمة الغدر من بعد ان ذاق امر العذاب ففي ذمة الله ما فعل به المستعمر وفي سبيل الوطن ما لاقى هذا البطل من اهوال

وقد فارق هذا العالم عام ١٩٢٦ مزدوا بعطف كل من وقف على صنائعه الحسان تغمده الله بالرحمة والغفران .

الشهيد محمد ابن حامد الفحل

مثل هذا الشهيد العزيز في الثورة مركز الشرع الاسلامي فيها ورفع شأن العلم الديني هنالك وكان الاول بين طلاب العلم في تلك الثورة وهو احد مريدي العلامة الشيخ الدقر يمتاز هذا الفقيد بأنه من حفظة القرآن الكريم وانه عامل بسنة رسوله العظيم وانه كان مثال الشريعة المحمدية الحنيفة وهذا بحق ممن لبى داعي ربه فعمل بما اقتضاه الدين الاسلامي من الجهاد الحق وسار على غرار السلف الصالح وما كان ليهدأ له جانب او ليستقر به مضجع وبلاده بين انياب الاستعمار مرة ومخالب الاضطهاد مرة اخرى . لذلك التحق بالثورة عن عقيدة وايمان ومبدأ واستبسل استبسالا عظيما كان في نهايته في واقعة عقربا بعد التطويق من جملة الشهداء الاخيار يبسم للموت عن حق وصدق وايمان وكان له عندما خر صريعا في سبيل ربه خمسا وعشرين عاما من العمر .

الشهيد محمد الشب

قرية كفر بطنا انابت باشتراك هذه الثورة هذا الفتى مع من انابته عنها من رجالها فقام بهذا الواجب اخير ما يقوم به شجاع صنديد اذ ظل يقاتل حتى كانت معركة بيت سوى عام ١٩٢٦ وفيها انهى الخمس وعشرين عاما من حياته بالشهادة في سبيل بلده ووطنه وامته .

الشهيد مصطفى الاغواني الشهير بمستو الاغواني

في جملة من كان في معركة الزور الاخيرة عام ١٩٢٦ هذا الشهيد البطل الذي ملأ آفاق الثورة واجوائها بطولة وشجاعة وقضى شهيدا في الاربعين من العمر .

الشهيد محمـد علي ظاظا

تاجر ومزارع هذا الشهيد وباسل وشجاع ومناضل ظل في الجهاد يكافح حتى كانت واقعة المديرة وفيها اتم الخمس والاربعين من عمره شهيدا يفاخر به ويباهى .

الشهيد محي‌الدين عمر جمو

من الفرسان الذين طبق ذكرهم ارجاء الخافقين ومن الابطال الذين كانت لهم الوقائع المشهورة والمعارك المعلومة هذا الشهيد الذي كان جنديا فارسا وكان له ثمان وثلاثين عاما يوم خر صريع البطولة والفروسية في واقعة باب الجابية بدمشق .

الشهيد محمد حسن ايوبي

ان هذا الشهيد ممن احرز الشهادة الابتدائية وكان فارسا على قسط وافر من الوطنية والحماس التحق بالثورة وكان فيها مقداما لفت الانظار الى شجاعته في اكثر المعارك حتى اذا ماكانت واقعة قطنا ابرز فيها من ضروب الطعان والنزال ماختم به الخمس وثلاثين من عمره شهيدا فيها .

الشهيد مهدي قزيها

اشتهر هذا الشاب الشهيد بصنع المفرقعات في الثورة وكان له عمل مأثور وجهاد مبرور عن هذه الطريق في الثورة وقد قام بواجبه السامي خير قيام سجل له الشهادة عندما كان في الخامسة والعشرين عاما واكد له الفخر والذكر والصيت .

الشهيد موسى مللي

من جملة الموظفين الذين آثروا القيام بواجب الجهاد على القيام باعمال

الوظائف هذا الشهيد الباسل كان مع المجاهدين في الثورة وكانت له مواقفه شهيرة وكان ممن برز في مواطن القتال قضى آخر يوم من سنه الذي كان اربعين عاما في واقعة الشاغور شهيدا مبرورا .

الشهيد محي الدين رجب

قام هذا الشهيد البطل بواجبه من الدفاع عن حيه ووطنه من بعد ان كان ثائرا يدافع عن بلاده وناضل نضال الاسود عن عرائنها في حي الاكراد حتى لفظ آخر سنه من الاربعين من عمره خاتما اياها بالبطولة والشهادة .

الشهيد محمد مصطفى مللي

على رغم ما كان عليه هذا الفقيد من العمل التجاري فانه كان غيورا على وطنه التحق هذا الشهيد بالثورة وجاب وقائعها وانتهى به المطاف في واقعة بابيلا وفيها استشهد عن ست وثلاثين عاما قضاها بنبل واخلاص .

الشهيد محمود بيروتي ظاظا

هذا الشهيد من الذين برزوا في الوطنية فكان لهم قدح معلى وتقدموا في الجهاد فكانت لهم قدم راسخة قاتل في اكثر المواقع الى ان انتهى من عمره الذي هو خمس وثلاثين عاما في معركة فكا شهيدا عظيما .

هذا هو كل مااستطعنا ان نحصل عليه وان يصل الينا من شهداء اخيار ومجاهدين ابرار وهذه كل ما بلغتنا من سيرهم ايجازا واسهابا فالى كل ممن نستطع ان نوفيه مايستحقه جهاده من شرح وتفصيل ممن ذكرنا نرفع هذا الاعتذار اليه ولعلنا نحصل على تراجم بقية الشهداء فنذكرهم في الطبعة الثانية ان شاء الله .

مصـــادر الكتـــاب

١ الثورة السورية الوطنيـة مذكرات الدكتور شهبندر اصدرته جريـدة الجزيرة بدمشق

٢ رسائل اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري وسجلاتها .

٣ خطط الشام للعلامة الجليل محمد كرد علي .

٤ الثورة العربية الكبرى للمؤرخ الكبير المعاصر امين سعيد .

٥ صفحة من الايام الحمراء للمجاهد الشهير محمد سعيد العاص .

٦ دليل المهاجرين للصحافي الفاضل قاسم الهيماني البقاعي .

٧ جبل الدروز

٨ حوران الدامية للاستاذ الاديب حنا ابي راشد

٩ ديوان الثورة السورية جمع وترتيب الكاتب الاديب ياسين عرفة .

١٠ قرارات المفوضين السامين بدمشق اصدرته جريدة الشعب .

١١ دمشق تحت القنابل مذكرات الكاتبة الافرنسية الشهيرة آليس بولو ابان الثورة السورية .

a Damas sous les Bombs Journai d'un Francaise pendant la Revolte Syrienne 1924—1925 Alice Poualleau

١٢ كيف استقرت فرانسا في سوريا تأليف الكونت غونتنبرون .

Comment la France s'est installéc en Syrie par *G. G.*

١٣ الحقيقة عن سورية « مدام سان بوان » .

١٤ بعض صحف ومجـلات عربيـة وغربيـة كانت تصـدر خلال الاعـوام ١٩٢٠ ــ ١٩٢٧ .

١٥ الرسائل والاخبار التي اتحفني بها عظام رجال الثورة السورية وكبار ابطالها الاحرار .

لو قدر لاحد من القراء الافاضل أن ينهج النهج الذي آليت على نفسي انتهاجه في تأليف مايعن على البال تأليفه باي موضوع من المواضيع لقدر لي الجهود العظيمة التي بكل تواضع افتخر بانني قمت بها غير باغ من وراء ذلك الا ان كان النفع الشامل فيما اذا اشتمل هذا الكتاب على ما ينفع به الامة والخدمة العامة للوطن فيما اذا لمعت من بين ثناياه وطواياه فائدة او حكمة فالمشاق والمصاعب التي يقاسيها المؤلفون وقد قاسيت ماقاسوا تدفعني لان ارفع جزيل الشكر وعظيم الثناء وابلغ الاحترام الى كل من اخذ بيدي نحو جادة الصواب فهداني اسوأ السبيل وانجعني من منهل عرفانه العذب ماتاح لي القيام بهذا العمل الذي ارجو ان اخلص منه الى كلمة « قمت ايها المؤلف بالواجب » ان كنت استحقها فالى كل من اطرفني بما لديه من اخبار الثورة السورية دقيقها وجليلها ممن ذكرت اعلاه اقدم خالص الشكران ومنتهى الامتنان وابلغ الاحترام وما زال الكل المنهل الصافي والمنهاج الوافي دمشق (المهاجرين) الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة . تلفون: ١٣٩٤٣

الحسيني

الدكتور محي الدين عبدالرحمن السفرجلاني

الفهرس

انتهى الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه

ذكرى ومعذرة

ظهرت اخطاء مطبعية لايخلو منها كل كتاب مما لاتخفى على فطنة القاريء اللبيب . فمعذرة (والعصمة لله وحده) .

المؤلف

